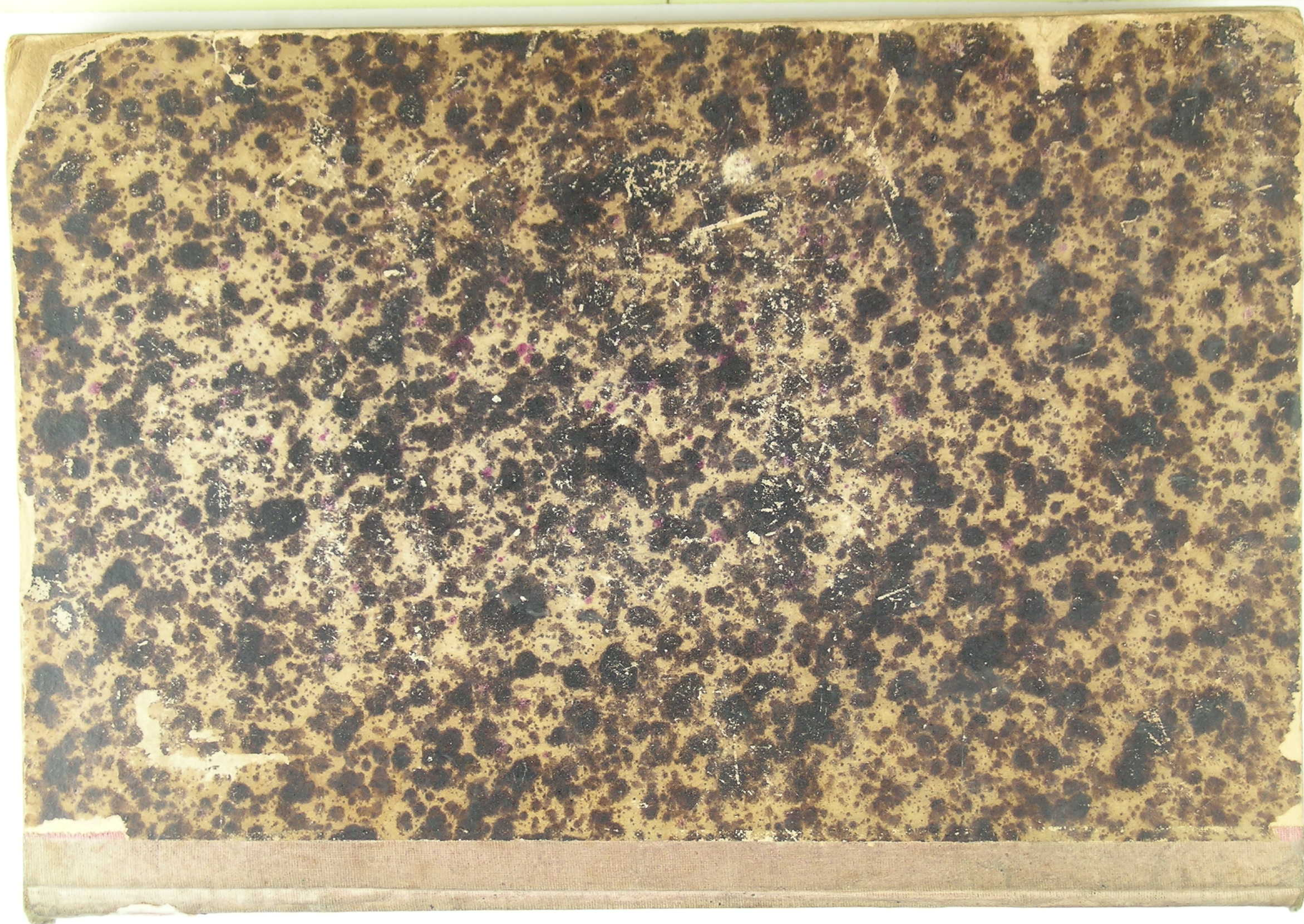


(فهرست شرح العلامة الشبرخيتي على الاربعين النووية)

(تمت)

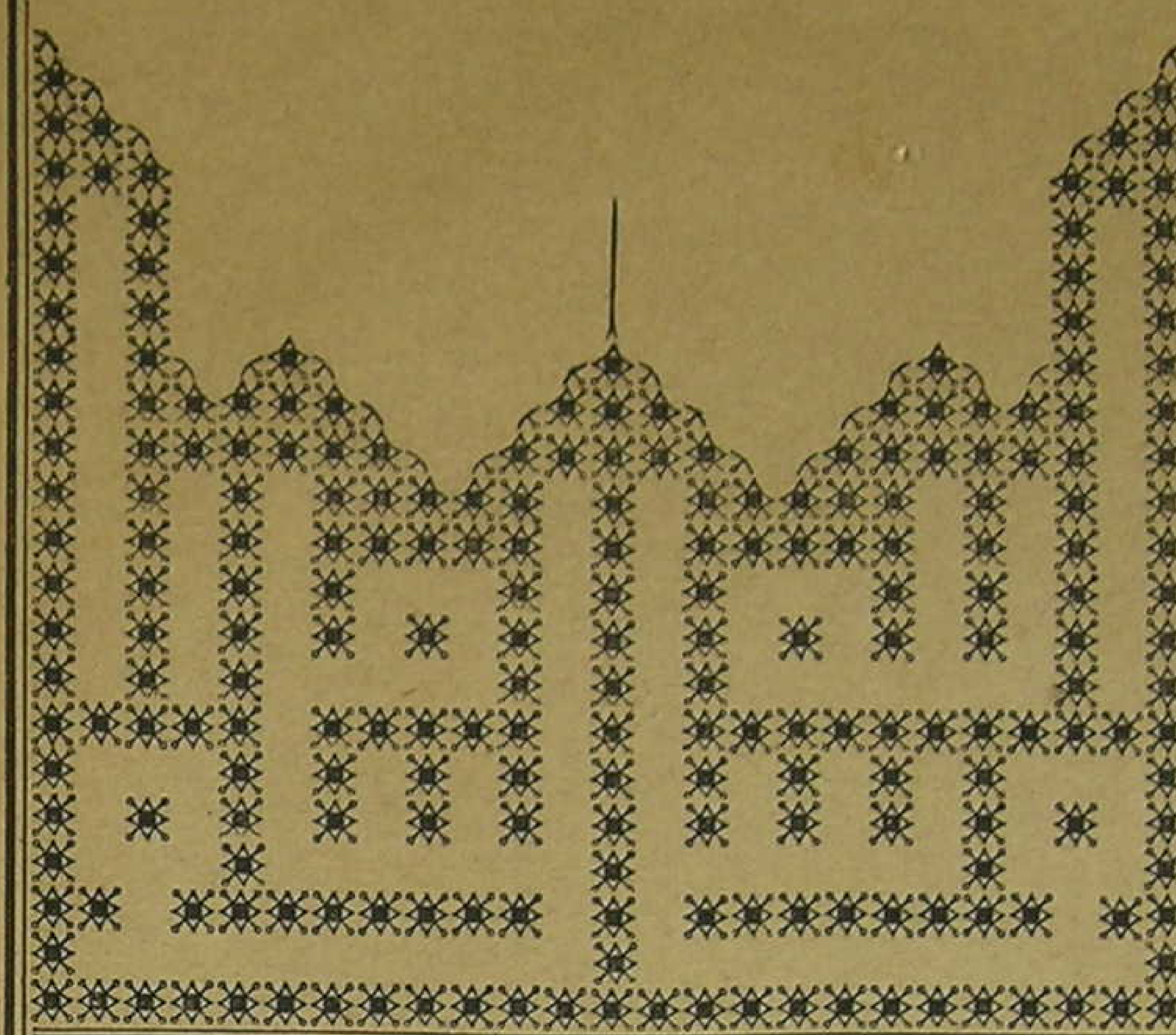
كتاب الفتوحات الوهبيه بشرح الاربعين حديثا النوويه

تأليف العالم العلامة الحبر البحر الفهامة
الشيخ ابراهيم ابن مرعى بن عطية
الشبرخيتى المالكى
نفعنا الله به
آمين

وبهامشه كتاب المجالس السنيه فى الكلام على الاربعين النوويه
للشيخ الامام العالم العلامه والبحر الفهامه سيدنا ومولانا الشيخ
أحمد ابن الشيخ حجازى الفشنى تغمده الله بالرحمة والرضوان آمين



(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الخيريه المنشأة بحوش عطى بجمالية مصر المعزيه)
سنة ١٣٠٤
(هجريه)



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى وفق لحمل الحديث من اصطفاه من الانام وهدى من ارتضاه لفهم ما فيه من الاحكام وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك العلام وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أوتى جوامع الكلم وبدائع الحكم العظام صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الكرام صلاة متضاعفة مترادفة على ممر الشهور والاعوام وسلم تسليما (وبعد) فيقول العبد الفقير الضعيف الملتجى الى مولاه القوى اللطيف ابراهيم بن مرعى بن عطية الشبرخيتى المالكى ستر الله عيوبه وغفر ذنوبه وبلغه فى الدارين مطلوبه ان أولى ما أنفقت فيه نفائس الاعمار وصرفت اليه جواهر الافكار واستعملت فيه الاسماع والابصار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاربعون التى ألفها ولى الله العلامة محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النواوى من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم المشتملة على أبلغ المعانى وأحكم المبانى حتى وصف أكثرها بان عليه مدار الاسلام وابتناء الاحكام فلذا عن لى أن أكتب عليها شرحا متمثلا بقول القائل

أسير خلف ركاب النجب ذا عرج • مؤملا جبر ما لاقيت من عوج

فان لحقت بهم من بعد ما سبقوا • فكم لرب السما فى الناس من فرج

وان ظللت بقفر الارض منقطعا • فما على عرج فى ذاك من حرج

جعله الله خالصا لوجهه الكريم محصلا للفوز بجنات النعيم ونفع به فى الحياة وبعد الممات انه قريب مجيب الدعوات (وسميته) الفتوحات الوهبيه بشرح الاربعين النوويه ثم انه ينبغى أن ينبه على المصنف بالتعريف بذكر نسبه وبعض مآثره على وجه لطيف لانه كان علما بين أقرانه فريدا فى عصره وأوانه فنقول هو يحيى بن شرف الدين بن مرى بضم الميم وكسر الراء كما وجد مضبوطا بخطه ابن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام بكسر الحاء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى وفقنا لاداء أفضل العبادات وأوقفنا على كيفية اكتساب أكمل السعادات وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له رب الارضين والسموات وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المؤيد بأفضل الآيات والمعجزات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بحسب تعاقب الاوقات والساعات (وبعد) فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه المغنى أحمد بن حجازى الفشنى غفر الله تعالى له ذنوبه وستر فى الدارين عيوبه هذه مجالس سنيه فى الكلام على الاربعين النوويه وضعتها لتكون تذكرة لنفسى وللقاصرين مثلى من أبناء جنسى ضاما اليها من الفوائد الظريفه والمواعظ الشريفه والنكت اللطيفه والنوادر والحكايات ما تقر به أعين أولى الرغبات خاتما لها بما يحتاج اليه قارئ الميعاد وتشتاق اليه العين ويشتاق اليه الفؤاد من مجلس يتعلق بالختام ليكون كفاية للواعظ فى الرقائق والمواعظ وأرجو من الله تعالى ان يكون خالصا لوجهه الكريم وسببا للفوز بالنعيم الابدى المقيم فانه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير آمين

(المجلس الاول فى الحديث الاول)

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست الحسيب على الخواطر اذا اختلجت الذى

المهملة وبالزاى المعجمة الحزامى النواوى ثم الدمشقى والنووى نسبة لنوى والنسبة اليها بحذف الالف على الاصل ويجوز كتبها بالالف على العادة وقد أقام الشيخ بدمشق نحوا من ثمانية وعشرين سنة واستدل ابن المبارك بقول من قال من أقام ببلد أربع سنين نسب اليها ولد فى العشر الاول من المحرم سنة احدى وثلاثين وستمائة وقيل فى العشر الاوسط منه سنة ثلاثين وستمائة وهذا هو المعتمد ونوى قرية من قرى دمشق ونشأ بها وقرأ بها القرآن ولله در القائل حيث قال

لقيت خيرا يا نوى • ووقيت من ألم النوى

فلقد نشا بك عالم • لله أخلص ما نوى

وعلا علاه وفضله • فضل الحبوب على النوى

فلما بلغ سبع سنين وكانت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان نام جنب والده فانتبه نحو نصف الليل وأيقظه وقال يا أبت ما هذا النور الذى قد ملأ الدار فاستيقظ أهله جميعا فلم يروا شيأ فعرف والده أنها ليلة القدر فلما بلغ عشر سنين وكان بنوى الشيخ يس بن يوسف المراكشى من أولياء الله تعالى فرأى الصبيان يكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكى لاكراههم ويقرأ القرآن فى تلك الحال قال فوقع فى قلبى محبته وجعله أبوه فى دكان يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن قال الشيخ يس فأتيت الذى يقرئه القرآن فوصيته به وقلت له هذا الصبى يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم وينتفع الناس به فقال أمنجم أنت فقلت لا وانما أنطقنى الله الذى أنطق كل شئ بذلك فذكر ذلك لوالده فحرص عليه الى ان ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام قال الشيخ فلما كان عمرى تسع عشرة سنة قدم بى والدى الى دمشق سنة تسع وأربعين يعنى وستمائة فسكنت المدرسة الرواحية وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبى الى الارض وكان قوتى بها جراية المدرسة لا غير قال بعضهم وكان يتصدق منها أيضا ومن قوة يقينه ملازمته لحية عظيمة فى بيته بالرواحية ويراها كل ليلة تخرج اليه ويقدم لها لبابا تأكله حتى ان بعضهم رآه فى غفلة وهو يطعمها اللباب فقال له يا سيدى ما هذه وخاف فقال له هذه خلق من خلق الله لا تضر ولا تنفع أسألك بالله ان تكتم ما رأيت ولا تحدث أحدا قال وحفظت التنبيه فى أربعة أشهر ونصف وبقية المهذب فى باقى السنة قال فلما كانت سنة احدى وخمسين حججت مع والدى وكانت الوقفة بالجمعة وكانت رحلتنا من أول رجب فأقمت بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم نحوا من شهر ونصف قال والده ولما توجهنا للرحيل من نوى أخذته الحمى الى يوم عرفة ولم يتأوه قط فلما عدنا الى نوى ونزل الى دمشق صب عليه العلم صبا قال الشيخ ومرضت بالمدرسة الرواحية فبينما أنا فى بعض الليالى فى الصفة الشرقية منها ووالدى واخوتى وجماعة من أقاربى نائمون الى جنبى اذ نشطنى الله تعالى وعافانى من ألمى فاشتاقت نفسى الى الذكر فجعلت أسبح فبينما أنا كذلك بين السر والجهر اذا بشيخ حسن الصورة جميل المنظر يتوضأ على حافة البركة وقت نصف الليل أو قريب منه فلما فرغ من وضوئه أتانى وقال لى يا ولدى لا تذكر الله تشوش على والدك واخوانك ومن فى هذه المدرسة فقلت له يا شيخ من أنت فقال أنا ناصح لك شارد عنى فوقع فى نفسى انه ابليس فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ورفعت صوتى بالتسبيح فأعرض عنى ومشى الى ناحية باب المدرسة فتبعته فوجدته مقفلا وفتشتها فلم أجد فيها أحدا غير من كان فيها فقال والدى ما خبرك فأخبرته فجعلوا يتعجبون وقعدنا كلنا نسبح ونذكر قال ابن العطار وأخبرنى الشيخ القدوة ولى الدين أبو الحسين قال مرضت فعادنى الشيخ محيى الدين فلما جلس

لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والارض تحركت أو سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الافعال وان خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الذى لا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الارضون والسموات وهو الى العبيد أقرب من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى رقت رتبته فى سماء نبوته وأسرعت الخوارق الى جنابه حين دعاها لاظهار معجزته ودعا الناس الى الله سبحانه وتعالى فاستجابت الخلائق لدعوته وتوافقت القلوب على صدق محبته والتذ الخلق بسماع حديثه وأخباره الواردة عنه فى غيبته شوقا الى رؤيته صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين بدوام ملته آمين (وبعد) فان أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار (قوله بسم الله الرحمن الرحيم عن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنية وفى رواية بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها وفى رواية ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه رواه امام المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى فى صحيحيهما اللذين

عندى جعل يتكلم فى الصبر فلما تكلم جعل الالم يذهب قليلا قليلا حتى زال فعرفت أنه ببركته وكان شديد الورع والزهد صابرا على خشونة العيش حتى ان رجلا من أصحابنا قشر خيارة ليطعمه اياها فامتنع من أكلها وقال أخشى أن ترطب جسمى وتجلب النوم وكان لا يدخل الحمام وقلع ثوبه فقلاه بعض الطلبة وكان فيه قمل فنهاه وقال دعه وكان تاركا لجميع ملاذ الدنيا ولم يتزوج ولا يأكل فى اليوم والليلة الا أكلة واحدة بعد العشاء مما يؤتى به من عند أبويه ولا يشرب الا شربة واحدة عند السحر ولا يشرب المبرد أى الملقى فيه الثلج وكان لا يجمع بين أدمين ولا يأكل اللحم الا عندما يتوجه الى نوى وكان يلبس ثوب قطن وعمامة سنجابية ولم يتناول فواكه دمشق لشبهة فيها قال ابن العطار فسألته عن ذلك فقال دمشق كثيرة الاوقاف وأملاك من هو تحت الحجر والتصرف وهى لا تجوز الا على وجه الغبطة والناس لا يفعلونها وقال الشيخ تقى الدين السبكى ما اجتمع بعد التابعين المجموع الذى اجتمع فى النووى ووجد فى مجموع بخط الشيخ شمس الدين النووى ان بواب الرواحية حكى وقال ذهب الشيخ فى الليل فتبعته فانفتح الباب بغير مفتاح فخرج ومشيت معه خطوات فاذا نحن بمكة فأحرم الشيخ وطاف وسعى ثم طاف الى أثناء الليل ورجع فمشيت خلفه فاذا نحن بالرواحية قال الذهبى وتولى مشيخة دار الحديث الاشرفية بعد موت أبى شامة سنة خمس وستين وفى البلد من هو أسن منه وأعلى سندا فلم يأخذ من معلومها شيأ الى ان مات ولما مرض مرض الموت اشتهى التفاح فجىء له به فلم يأكله فلما مات رآه بعض أهله فقال ما فعل الله بك فقال أكرم نزلى وتقبل عملى وأول اقرائى جاءنى التفاح وتوفى يوم الاربعاء رابع عشرى رجب سنة ست وسبعين وستمائة ودفن ببلده طيب الله مضجعه روى انه أنشد أبياتا عند الوفاة منها هذان البيتان وزيد ما بعدهما

تباشر قلبى فى قدومى عليهم • وبالسير روحى يوم تسرى اليهم
وفى رحلتى يصفو مقامى وحبذا • مقام به حط الرحال لديهم
ولا زادلى الا يقينى بانهم • لهم كرم يغنى الوفود عليهم

واشتهر أن الخضر عليه السلام كان يجتمع به قال بعض الاخيار انه رأى فيما يرى النائم رؤيا كثيرة قال وسمعت نوبة تضرب فعجبت من ذلك فقلت ما هذا فقيل لى الليلة قطب يحيى النووى فاستيقظت من منامى ولم أكن أعرف الشيخ ولا سمعت به قبل ذلك واتفق انى دخلت المدينة يعنى فى حاجة فذكرت ذلك لشخص فقال الشيخ فى دار الحديث فى الاشرفية وهو الآن جالس فيها للميعاد فاستدللت عليها ودخلتها فوجدته جالسا فيها وحوله جماعة فوقع بصره على فنهض قائما الى جهتى وترك الجماعة ومشى الى طرف ايوانها ولم يتركنى أكلمه وقال اكتم ما معك ولا تحدث به أحدا ثم رجع الى موضعه ولم أكن رأيته قبلها ولم أجتمع به بعدها وحكى اليافعى فى آخر الحكاية الثانية والثلاثين من روض الرياحين فيما بينه ان الشيخ خطف سارق عمامته وهرب فتبعه الشيخ يعدو خلفه ويقول ملكتك اياها قل قبلت والسارق ما عنده خبر من ذلك وقد افتتح رحمه الله كغيره بقوله • (بسم الله الرحمن الرحيم) • اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذى بال أى شأن يهتم به شرعا لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر وفى رواية أقطع وفى رواية أجذم بالجيم والذال المعجمة وفى بعض الروايات بحمد الله وهو من التشبيه البليغ فى العيب المنفر ومعنى الجميع انه ناقص قليل البركة أو مقطوعها وان تم وكمل حسا فلا يرد ما قيل انا نرى كثيرا من الامور التى يبدأ فيها ببسم الله لم تتم ونرى أمورا بالعكس وخرج بذى البال المحرم والمكروه وفى

وصف

هما أصح الكتب المصنفة) اعلموا اخوانى (٤) وفقنى الله واياكم لطاعته ان بسم الله الرحمن الرحيم كلمة من تحقق بها ادله جزيل النوال ومن ذكرها بلغ نهاية الآمال ومن لازمها خلعت عليه خلع الاقبال ألبس قلبه حلل الاتصال وأفرد روحه بشهود الجمال واستخلص سره بكشف الجلال فهى كلمة توسل بها نوح عليه السلام فى الزمن القديم وعادت بركتها على الهدهد فكسى تاجا من السميع العليم وقالت بلقيس يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ولم يقرأها سليمان الا خضع له كل شئ وأمره الله عز وجل يوم أنزلت عليه أن ينادى فى أسباط بنى اسرائيل الامن أحب منكم أن يحضر أمان الله فاحضر الى سليمان فى محراب داود فانه يريد أن يقوم خطيبا فلم يبق محبوس فى العبادة ولا سائح حتى هرول اليه حتى اجتمعت عليه الاحبار والعباد والزهاد والاسباط كلهم عنده فقام فوق منبر ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ثم تلا عليه أمانة الأمان بسم الله الرحمن الرحيم (قال النسفى) رحمه الله فى تفسيره قيل ان الكتب المنزلة من السماء الى الارض مائة وأربعة صحف شيث ستون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشرة والتوراة والانجيل والزبور والفرقان ومعانى كل الكتب مجموعة فى القرآن ومعانى القرآن مجموعة فى الفاتحة ومعانى الفاتحة مجموعة فى البسملة ومعانى البسملة مجموعة فى بائها ومعناها بى كان ما كان وبى يكون ما يكون زاد بعضهم ومعانى الباء فى نقطتها أى فى ذلك اشارة الى الوحدة وهى عدم التعدد فهو الواحد

وصف الامر بذى البال فائدتان الاولى رعاية اسم الله حيث يبدأ به فى الامور التى لها بال وشأن وخطر والثانية التيسير على الناس فى عدم طلبها فى محقرات الامور وأورد ان البسملة أمر ذو بال فتحتاج الى سبق مثلها ويتسلسل وأجيب بان المراد الامر الذى يقصد لذاته بحيث لا يكون وسيلة لغيره وأورد عليه طلبها فى الوضوء مع انه غير مقصود لذاته دون الصلاة مع كونها مقصودة لذاتها والأولى أن يقال انها كما تحصل البركة لغيرها تحصل مثل ذلك لنفسها أيضا كالشاة من أربعين تزكى نفسها وغيرها والباء للاستعانة متعلقة بمضمر يحتمل أن يكون اسما وأن يكون فعلا عاما أو خاصا مقدما أو مؤخرا والأولى أن يكون فعلا وأن يكون خاصا وأن يكون مؤخرا أما أولوية الفعلية فلان العمل للافعال بالاصالة وأما أولوية كونه خاصا فلان التالى لها فى كل محل يعين العامل المحذوف ولذا يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له قال الشيخ سعد الدين لا خفاء ان العامل المضمر هو الفعل النحوى والتسمية انما جعلت مبدأ للفعل الحسى ففى الكلام حذف مضاف أى لفظ ما جعلت التسمية مبدأ له اهـ أى فيضمر المسافر أسافر والآكل آكل وأما أولوية التأخير فلان المقصود الاهم البداءة باسمه تعالى ردا على الكفار فى ابتدائهم بأسماء آلهتهم ولانه أدل على الاختصاص وأورد على أن التقديم للاختصاص قوله تعالى اقرأ باسم ربك فانه لو كان التقديم مفيدا لذلك لوجب ان يؤخر الفعل ويقدم باسم ربك لان كلام الله تعالى أحق برعاية ما يجب رعايته وأجيب بان الاهم فيه القراءة لانها أول ما نزل الى ما لم يعلم فكان الامر بالقراءة أهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله أهم فى نفسه وبان باسم ربك متعلق باقرأ الثانى ومعنى اقرأ الاول أوجد القراءة من غير اعتبار تعديته الى مقروء كما فى فلان يعطى والجواب الاول للزمخشرى والثانى للسكاكى قال ابن عادل وفى الثانى نظر لان الظاهر على هذا الجواب ان يكون اقرأ الثانى توكيدا للاول فيكون قد فصل بمعمول المؤكد بينه وبين ما أكده مع الفصل بكلام طويل اهـ وأجيب عن ذلك بانه لا يمتنع الفصل بين المؤكد والمؤكد ولو بأجنبى ألا ترى ان قوله كلهن توكيد للنون فى قوله ولا يحزن مع الفصل بقوله ويرضين بما آتيتهن ويبحث فى هذا الجواب بان التأكيد هنا معنوى وما نحن فيه لفظى وربما يجوز فى الاول الفصل دون الثانى لانه لما كان التأكيد فى اللفظ موافقا للاول فى لفظه ومعناه فالفصل بينهما كالفصل بين أجزاء الكلمة ولا كذلك المعنوى وبان الثانى لا يصلح ان يكون توكيدا لان الاول عام والثانى خاص اذ الاول أمر بايجاد القراءة مطلقا والثانى بقراءة مقيدة ونظيره الذى خلق خلق الانسان من علق وكسرت الباء ومن حق الحروف المفردة أن تفتح قال البيضاوى لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر اهـ قال بعضهم مبينا للتعليل المذكور لاختصاصها من بين حروف الجر بمجموع أمرين كونها لازمة للحرفية وكونها لازمة للجر لا توجد بدونه وفى كل منهما مناسبة للكسر أما الجر فلموافقة حركتها اليها وأما الحرفية فلا قتضائها السكون الذى هو عدم الحركة وكون الكسر بمنزلة العدم لقلته حيث لا يوجد فى الافعال ولا فى غير المنصرف من الاسماء ولا فى الحروف الا نادرا بخير وانما جعلنا المقتضى للعدول الى الكسر اختصاصها بمجموع الامرين ولم يجعل كل واحد منهما مقتضيا على حدته لئلا ينتقض لزوم الحرفية بواو العطف وفائه فانهما لازمان للحرفية ولزوم الجر بكاف التشبيه اذ هى لازمة وان انفكت عن الحرفية فان قيل فكل من واو القسم وتائه لازم للحرفية والجر معا وليس مبنيا على الكسر فلينتقض بهما أجيب بأن هذه ليست عللا حقيقية وانما هى مناسبات وحكم لا يلزم اطرادها ولا انعكاسها وقال بعضهم ان عملها لم يكن

الذى لا نظير له وعدد حروف البسملة الرسمية تسعة عشر حرفا وعدد خزنة النار (٥) تسعة عشر خازنا كما قال الله تعالى عليها تسعة عشر (قال) ابن مسعود فمن أراد أن ينجيه الله تعالى من الزبانية فليقلها ليجعل الله له بكل حرف جنة أى وقاية من كل واحد منهم فبها قوتهم وبها استطالوا (وقال) أبو بكر الوراق رحمه الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم روضة من رياض الجنة لكل حرف منها تفسير على حدته (وروى) الطبرانى انه لا يدخل أحد الجنة الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله تعالى لفلان بن فلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية (وروى) أنه اذا دخل أهل الجنة الجنة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين واذا دخل أهل النار النار يقولون بسم الله الرحمن الرحيم وما ظلمنا ربنا ولكن ظلمنا أنفسنا (وفى الاخبار) عن النبى المختار انه صلى الله عليه وسلم قال ليلة أسرى بى الى السماء عرض على جميع الجنان فرأيت فيها أربعة أنهار نهر من ماء غير آسن ونهر من لبن لم يتغير طعمه ونهر من خمر لذة للشاربين ونهر من عسل مصفى كما قال الله تعالى فى القرآن فيها أنهار من ماء الآية فقلت لجبريل من أين تجىء والى أين تذهب قال تذهب الى حوض الكوثر ولا أدرى من أين تجىء فاسأل من الله أن يريك ذلك فدعا ربه فجاء ملك فسلم عليه ثم قال يا محمد غمض عينيك قال فغمضت عينى ثم قال لى افتح عينيك ففتحت عينى فاذا أنا عند شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء ولها باب من ذهب أحمر وقيل من زمرد أخضر لو أن جميع ما فى الدنيا من الجن

بطريق الاصالة بل بطريق النيابة عن الباء لحلهما عليها وحذفت الالف من بسم الله لكثرة الاستعمال ولذا لم تحذف من اقرأ باسم ربك وغيره وطولت الباء عوضا عنها ولانهم أرادوا ان لا يفتتح كلام الله تعالى الا بحرف معظم مطول والاسم عند البصريين أصله سمو بضم أوله أو بكسره فهو من الاسماء التى حذفت أواخرها لكثرة الاستعمال وبنيت أوائلها على السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم أن يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن واشتقاقه من السمو أى بضم السين وكسرها وهو العلو وأما عند الكوفيين فأصله وسم بفتح الواو وحذفت الواو وعوض عنها همزة الوصل واشتقاقه عندهم من السمة وهى العلامة وأيد مذهب البصريين بأن الحذف من الاواخر أولى قال أبو العباس بن عطاء الباء بره لارواح أنبيائه بالهام الرسالة والنبوة والسين سره مع أهل المعرفة بالهام القدرة والانس والميم منته على المؤمنين بدوام النظر اليهم بعين الشفقة والرحمة وقال أبو بكر بن طاهر الباء بره للعارفين والسين سلامه عليهم والميم محبته لهم وقال جعفر بن محمد الباء بقاؤه والسين سناؤه والميم ملكه واضافته للجلالة من اضافة العام للخاص والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وأصله عند البصريين اله فدخلت عليه أل فاجتمع همزتان بينهما ساكن غير حصين وهو اللام فصار كأنه اجتمع همزتان فحذفت الثانية ونقلت حركتها للام الساكنة قبلها فاجتمع لامان متحركان فاسكنت الاولى لانه حقها وأدغمت فى الثانية وفخم وانما لم تحذف الهمزة الاولى لانها مجتلبة لسكون اللام وعند الكوفيين لاه فأدخل عليها الالف واللام وأدغم وفخم واصل لاه لوه تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا وهو أعرف المعارف وحكى ابن جنى ان سيبويه رؤى بعد موته فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا وذكر كرامة عظيمة فقيل له بم فقال بقولى ان اسم الله تعالى أعرف المعارف وبه يقيد قول النحاة أعرف المعارف الضمير والمختار انه ليس بمشتق ورؤى الخليل بن أحمد بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى بقولى فى اسمه انه غير مشتق وقيل انه مشتق من أله يأله كعلم يعلم اذا تعبد وقيل اذا تحير لان العقول تتحير فى معرفته وفى عظمته وقيل غير ذلك قال بعضهم وحيث ذكر الاشتقاق فى أسماء الله فالمراد به ان المعنى ملحوظ فى ذلك الاسم والا فشرط المشتق ان يكون مسبوقا بالمشتق منه وأسماء الله تعالى قديمة لانها من كلامه على ان الاختلاف المذكور انما هو فى لفظة اله لا فى الجلالة والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان بنيتا للمبالغة وفعله رحم بالكسر كغضبان من غضب وهو متعد كرحمك الله والصفة المشبهة انما تبنى من اللازم كظريف وشريف من ظرف وشرف لتنزيل رحم المتعدى منزلة اللازم أو بجعله لازما بنقله الى فعل بالضم والفرق بين ما تنزل منزلة اللازم وما جعل لازما أن الاول متعد للمفعول لكن بقطع النظر عن مفعوله لفظا وتقديرا كما فى فلان يعطى ومنه قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما فرأيت الاول لازم أى أوجدت الرؤيا بخلاف ما جعل لازما فانه يعتبر غير متعد ولا مفعول له أصلا والرحمة فى اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضى التفضل والاحسان وهذا المعنى محال فى حقه تعالى فهى فى حقه بمعنى الانعام أو ارادته فهى صفة فعل على الاول وصفة ذات على الثانى والرحمن أبلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما فى قطع وقطع بتخفيف أحدهما وتشديد الآخر وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية أى الافراد وأخرى باعتبار الكيفية أى الصفات فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثانى قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها أجسام وأما

والانس وقفوا على تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس على جبل أو كورة ألقيت فى البحر فرأيت هذه الانهار الاربعة تجرى من تحت هذه القبة فلما أردت أن أرجع قال لى الملك ألم تدخل القبة فقلت كيف أدخلها وعلى بابها قفل من ذهب وكيف أفتحه قال لى فى يدك مفتاحه فقلت أين مفتاحه فقال مفتاحه بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت من القفل قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانفتح القفل فدخلت القبة فرأيت هذه الانهار تخرج من أربعة أركان القبة فلما أردت الخروج من القبة قال لى ذلك الملك هل رأيت يا محمد فقلت رأيت قال أنظر ثانيا فلما نظرت رأيت مكتوبا على أربعة أركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يجرى من ميم بسم الله ونهر اللبن يجرى من هاء الله ونهر الخمر يجرى من ميم الرحمن ونهر العسل يجرى من ميم الرحيم فعلمت أن أصل هذه الانهار الاربعة من البسملة فقال الله تعالى يا محمد من ذكرنى بهذه الاسماء من أمتك وقال بقلب خالص بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الانهار الاربعة • ومن فوائدها انها أربع كلمات والذنوب أربعة ذنوب بالليل وذنوب بالنهار وذنوب بالسر وذنوب بالعلانية فمن ذكرها على الاخلاص والصفاء غفر الله تعالى له الذنوب والجفاء وفضائلها كثيرة أفردتها بمجلس مستقل فى كتاب تحفة الاخوان وفى هذا القدر كفاية (قال بعضهم) مدار الاسلام على حديث انما الاعمال بالنيات وحديث الحلال بين والحرام بين وحديث من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وحديث من حسن اسلام المرء

النعم

النعم الدنيوية فجليلة ودقيقة ونقض كون زيادة البناء دالة على زيادة المعنى بحذر فانه أبلغ من حاذر وأجيب بأن ذلك أكثرى لا كلى وبأن ذلك عند اتحاد نوع المشتقات قال الزمخشرى ومما طن على أذنى انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس فيه ثقل محامل أهل العراق فقلت فى طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل أردت المحمل العراقى فقال أليس اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد فى بناء الاسم لزيادة المسمى وانما قدم الرحمن والقياس يقتضى الترقى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم فلا يوصف به غيره تعالى بل قيل انه علم وأما قول الشاعر

• وأنت غيث الورى لازلت رحمانا • فأجاب عنه الزمخشرى بأن ذلك من شدة تعنتهم فى كفرهم قال التاج السبكى وهو غير سديد لانه لا يفيد جوابا بل ذكر السبب الحامل لهم على الاطلاق والجواب السديد أن المختص به تعالى هو المعرف باللام دون غيره • تنبيهات • الاول قال أبو بكر بن عبد الله المزنى الرحمن بنعم الدنيا من المال والاهل والولد والرحيم بنعم الدين من المعرفة والايمان والشهادة وقال جعفر بن محمد الصادق الرحمن للمرادين والرحيم للمريدين وقيل الرحمن بنعمه الباطنة والرحيم بنعمه الظاهرة وقيل الرحمن بالدفع والرحيم بالنفع • الثانى نقل الدمامينى فى حاشية البخارى عن بعض المتأخرين انه قال صفات الله تعالى التى على صيغة المبالغة كرحيم وغفور كلها مجاز اذ هى موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لان المبالغة هى ان تثبت للشئ أكثر مما له وانما يكون ذلك فيما يقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك قال وهى فائدة حسنة اهـ ولاشك ان هذا انما يتأتى تفريعا على ان هذه الاسماء صفات فان قلنا انها أعلام فلا يرد ذلك لان العلم لا يقصد مدلوله الاصلى من مبالغة ولا غيرها • الثالث الرحمن الرحيم فيهما سبعة أوجه جائزة رفعهما ونصبهما وخفضهما ورفع الاول مع نصب الثانى وعكسه وخفض الاول مع رفع الثانى أو نصبه ووجهان ممتنعان رفع الاول أو نصبه مع خفض الثانى لامتناع الاتباع بعد القطع (فائدة) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لمن قال تعس الشيطان لا تقل ذلك فانه يتعاظم عنده ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر حتى يصير أقل من الذباب وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام مرض واشتد وجع بطنه فشكى الى الله تعالى فدله على عشب فى المغارة فأكله فعوفى باذن الله ثم عاوده ذلك المرض فى وقت آخر فأكل ذلك العشب فازداد مرضه فكلم ربه فقال يا رب أكلته أولا فانتفعت به وأكلته ثانيا فضرنى فقال له لانك فى المرة الاولى ذهبت منى الى الكلأ فحصل لك الشفاء وفى المرة الثانية ذهبت منك الى الكلأ أما علمت ان الدنيا سم قاتل وترياقها اسمى (الحمد لله) مصدر حمد وهو لغة الوصف بالجميل على الفعل الجميل الاختيارى على وجه التعظيم سواء كان فى مقابلة نعمة أولا وسواء تعلق بالفضائل أى الصفات التى لا يتعدى أثرها للغير كالحسن واللطافة أم بالفواضل أى الصفات المتعدى أثرها اليه كالانعام والتعظيم والشجاعة وعلم من قولنا الوصف انه لا يكون الا بالكلام لان الوصف قول الواصف ومورده أى محله خاص ومتعلقه أى السبب الباعث اليه عام ولا حاجة لزيادة على وجه التعظيم لان من أثنيت عليه بجميل صفاته فقد عظمته ولا حجة فى قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم لخروج ذلك بالجميل اذ لم تكن صفة الكافر اذ ذاك العز والكرم بل ضدهما وهو الذل والاهانة وأورد على قيد الاختيار وصفه تعالى بصفاته الذاتية كالعلم والقدرة والارادة لان تلك الصفات ليست بأفعال ولا يوصف ثبوتها بالاختيار وأجيب بانها لما كانت مبدأ لافعال اختيارية كان الحمد عليها باعتبار تلك

تركه مالا يعنيه فكل واحد منها ربع الاسلام (وقال بعضهم) لو صنفت مائة كتاب لبدأت فى أول كل كتاب بهذا الحديث أى انما الاعمال بالنيات وهو حديث عظيم كان السلف الصالح يحبون افتتاح مصنفاتهم به تنبيها للطالب على حسن النية واهتمامه بذلك ولانها من أجل أعمال القلوب والطاعة المتعلقة بها وعليها مدارها (وقال أبو عبيدة) ليس شئ من أخبار النبى صلى الله عليه وسلم أجمع وأغنى وأكثر فائدة وأبلغ من هذا الحديث • وقبل الكلام عليه نتكلم على نكتة تتعلق بترجمة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فانه سمع هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول ليس فى الصحابة من اسمه عمر بن الخطاب الا هو وهو أول من سمى بأمير المؤمنين على العموم سماه بذلك عدى بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا عليه من العراق وقيل سماه بذلك المغيرة بن شعبة وقيل انه رضى الله تعالى عنه قال للناس أنتم المؤمنون وأنا أميركم فسمى بأمير المؤمنين وكان قبل ذلك يقال له يا خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعدلوا عن تلك العبارة لطولها وكناه النبى صلى الله عليه وسلم بأبى حفص والحفص الاسد وكان سبب ذلك ما رآه فيه من الشدة كما رواه زيد بن أسلم عن أبيه انه قال رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يمسك أذن فرسه باحدى يديه ويمسك بالاخرى أذنه ثم يثب حتى يقعد عليه وكان مولده رضى الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة وعاش ثلاثا وستين سنة (قال) عبد الله بن مسعود ما كنا نقدر على ان نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى

الافعال وأما الحمد عرفا فهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما سواء كان ذلك الفعل قولا باللسان بأن يثنى عليه به أو اعتقادا بالقلب بأن يعتقد اتصافه بصفات الكمال أو عملا وخدمة بالاركان والجوارح بأن يجهد نفسه فى طاعته فمورده عام وهو اللسان وغيره ومتعلقه خاص وهو النعمة وهذا هو الشكر لغة وأما اصطلاحا فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما الى ما خلق لاجله من الطاعات كأن يصرف البصر الى الاطلاع على ما فى مصنوعاته من دقائق الصنع العجيب والحكمة الانيقة ويصرف القلب الى التفكر فيها والاستدلال بها على وجود الصانع وصفاته بأن يستدل بوجود الاثر على وجود المؤثر وباتقان الاثر واحكامه على علم المؤثر وقدرته وكأن يصرف السمع الى تلقى ما ينبئ عن مرضاته من الاوامر والنواهى وقس على ذلك سائر النعم الظاهرة والباطنة والمرتبة هذا المقام قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وأل فى الحمد للاستغراق وقيل للجنس • وحكى عن الشيخ أبى العباس المرسى نفعنا الله به انه قال قلت لابن النحاس النحوى ما تقول فى الالف واللام من الحمد لله أجنسية هى أم عهدية فقال يا سيدى قالوا انها جنسية فقلت له الذى أقوله انها عهدية وذلك ان الله تعالى لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه من الازل نيابة عن خلقه قبل ان يحمدوه ثم أمرهم أن يحمدوه بذلك الحمد فقال يا سيدى أشهد لك انها عهدية وهو معنى حسن وقدم الحمد على الجلالة لاقتضاء المقام مزيد اهتمام به وان كان ذكر الله أهم فى نفسه كما فى اقرأ باسم ربك واختار المصنف الجملة الاسمية لانها مفتتح الكتاب العزيز ولانها تدل على الدوام والثبوت فان قيل حمد العباد حادث والله تعالى قديم ولا يجوز قيام الحادث بالقديم فما معنى حمد العباد له تعالى فالجواب ان المراد به تعلق الحمد ولا يلزم من التعلق القيام كتعلق العلم بالمعلوم وجمع بين الابتداء بالبسملة والحمدلة عملا بالروايتين السابقتين واشارة الى انه لا تعارض بينهما اذ الابتداء حقيقى واضافى فالحقيقى حصل بالبسملة والاضافى بالحمدلة وقدم البسملة عملا بالكتاب والاجماع • تنبيهات • الاول اختلف فى الفاضل من الحمد فقيل الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم زاد بعضهم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم وقيل اللهم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقيل الحمد لله حمدا يوافى نعمه ويكافئ مزيده وفى رواية الحمد لله رب العالمين حمدا يوافى الخ وقيل ليس كمثله شئ وينبنى على ذلك فرع وهو ما اذا حلف المكلف ليحمدن الله بأفضل المحامد ومن أراد ان يخرج من الخلاف فليحمدن الله بجميعها وسيأتى فى الحديث الثالث والعشرين شئ من هذا أيضا ولو حلف ليثنين على الله عز وجل أحسن الثناء يقول لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وزاد بعضهم فلك الحمد حتى ترضى الثانى قال ابن ناجى الحمد لله ثمانية أحرف وأبواب الجنة ثمانية فمن قالها فتحت له أبواب الجنة الثمانية الثالث قال ابن عطية اختلف العلماء هل الافضل قول العبد الحمد لله رب العالمين أو قوله لا اله الا الله فذهبت طائفة الى الاول لان فى ضمنه التوحيد ففى قوله الحمد لله توحيد وحمد وفى قوله لا اله الا الله توحيد فقط واحتجوا بما روى من حديث أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة وحط عنه ثلاثون سيئة وذهبت طائفة الى الثانى لانها تنفى الكفر وعليها يقاتل الخلق واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة لا اله الا الله قال ابن عطية بعد ان اختار هذا والحاكم بذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلته أنا

عند الكعبة وصلينا معه وكان سبب اسلامه ان أخته بنت الخطاب رضى الله عنها زوجة سعيد بن زيد أحد العشرة كانت قد أسلمت هى وزوجها فسمع عمر بذلك فقصدهما ليعاقبهما فقرأت عليه القرآن فأوقع الله فى قلبه الاسلام فأسلم ثم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار عند الصفا فأظهر اسلامه فكبر المسلمون فرحا باسلامه ثم خرج الى مجامع قريش فنادى باسلامه (قال) عبد الله ابن مسعود كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وامارته رحمة للمسلمين ولقب بالفاروق أيضا لقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرق بين الحق والباطل وكان من أشرف قريش فى الجاهلية والاسلام وبه أعز الله الاسلام لقول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام يعنى أبا جهل وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان شديدا على الكافرين والمنافقين وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الخلفاء الراشدين وأحد أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد كبراء علماء الصحابة روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثا وأجمعوا على كثرة علمه ووفور عقله وفهمه وزهده وتواضعه ورفقه بالمسلمين وانصافه ووقوفه مع الحق وتعظيمه آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه ومتابعته له واهتمامه بمصالح المسلمين واكرامه أهل الفضل والخير ومناقبه كثيرة منها قصة سارية الجبل المشهورة • ومنها ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال أتت زلزلة عظيمة

والنبيون

والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له • (رب) • يحتمل معانى ثلاثة الاول كونه اسم فاعل وأصله رابب أدغمت احدى الباءين فى الاخرى وحذفت ألفه لكثرة الاستعمال ورد بانه خلاف الاصل الثانى صفة مشبهة وأصله ربب على وزن فعل الثالث كونه مصدرا بمعنى أصل التربية وهى تبليغ الشئ شيئا فشيئا الى الحد الذى أراده المربى ثم سمى به السيد المطاع ومنه قوله تعالى اذكرنى عند ربك أى عند سيدك والمعبود ومنه ربنا الله والمالك ومنه قوله تعالى رب السموات والارض وقوله صلى الله عليه وسلم لرجل أرب ابل أنت أم رب غنم فقال من كل آتانى الله فأكثر وأطيب وقول صفوان لابى سفيان لان يربينى رجل من قريش أحب الى من أن يربينى رجل من هوازن والمعبود ومنه قول الشاعر

أرب يبول الثعلبان برأسه • لقد ذل من بالت عليه الثعالب

والثابت ومنه قولهم رب بالمكان وأرب به أى أقام به والمربى ومنهم الربانيون سموا بذلك لتمسكهم بالرب أو لانهم يربون المتعلمين بصغار العلم قبل كباره أى بالتدريج ولما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية مات ربانى هذه الامة والمصلح ومنه الحديث ألك نعمة تربها أى تصلحها وقيل سمى الربانيون بذلك لقيامهم بالكتب واصلاحهم لها ويصح اطلاقه بالمعانى الخمسة على الله تعالى الا أنه بالثلاثة الاول من صفات الذات وبالباقى من صفات الفعل ويطلق على الصاحب ومنه قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف انه ربى أحسن مثواى وذكر الحسن بن الفضل ان فى الرب قولا شاذا وهو ان الرب بمعنى الثابت من قولهم رب المكان وأرب به وألب به وفى الحديث أنه كان يتعوذ بالله من فقر مرب أو ملب قال • رب بأرض ما تخطاها غنم • واعلم ان وجوه تربيته تعالى لخلقه لا يحيط بها غيره سبحانه وتعالى فمنها تربيته النطفة اذا وقعت فى الرحم حتى تصير علقة ثم تصير مضغة ثم يصير منها عظاما وغضافير ورباطات وأوتارا وأوردة وشرايين ثم يتصل بعضها ببعض ثم يصير فى كل قوة خاصة كالبصر والسمع والنطق كذا فى ابن حجر وقوله غضافير بالضاد المعجمة جمع غضفور وهو ألين من العظم وأصلب من غيره أى سائر الاعضاء ومنفعته ايصال العظام بالاعضاء اللينة لئلا يتأذى اللين بمجاورة الصلب بلا واسطة ويليه العصب وهو جسم أبيض لدن لين صعب الانفصال للدنه سهل الانعطاف للينه ومنفعته اتمام الحس والحركة للاعضاء والرباطات جمع رباط وهو جسم يشبه العصب لا حس له والاوتار جمع وتر وهو جسم ينبت من أطراف اللحم شبه المفصل وعبارة القانون شبه العصب يصل بين العظام اذ لا يمكن اتصالها بالعصب للطفه وصلابتها ولا به مع الرباط لعدم زيادة حجمه به زيادة تبلغ ذلك والاوردة جمع وريد وهى العروق غير الضوارب ونباتها من الكبد ومنفعتها توزيع الدم على الاعضاء والشرايين جمع شريان بكسر المعجمة وسكون الراء وتحتية ونباتها من القلب ومنفعتها ترويح القلب ونفض البخار عنه وهى العروق الضوارب اه ملخصا من شرح النقاية للجلال السيوطى ويختص المحلى بال دون المضاف بالله تعالى وقول الجاهلية للملك من الناس الرب من كفرهم قال القرطبى فى تفسير سورة الفاتحة متى دخلت الالف واللام على رب اختص بالله تعالى لانها للعهد وان حذفتا صار مشتركا بين الله تعالى وبين عباده اه وهو مخالف لقول البيضاوى ولا يطلق على غيره الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك فان قضية الاول ان الممنوع منه انما هو المعرف فقط وأما المنكر فلا منع منه وان لم يكن مقيدا وقضية الثانى منع المنكر أيضا حيث لم يقيد وهو الذى يصار اليه قال بعضهم وفى لفظ رب خصوصية لا توجد فى غيره من أسمائه تعالى وهى انك اذا قرأته طردا كان من أسماء الله

فى زمن عمر حتى كادت الجبال ان تقع على وجه الارض وذلك عقب الفصل الذى يسمونه فصل عمواس فضرب عمر الارض بدرته وقال لها اسكنى أنا عدل ان لم أكن أنا عدل فويل لعمر فسكنت ولم يأت بعدها مثلها • ومنها ما كتبه لنيل مصر لما كتب اليه عمرو بن العاص أن النيل لا يزيد زيادته المعتادة الا أن تأتى فيه امرأة بكر فأمره أن يأتى فيه كتابه بدل المرأة ومن جملة ما هو مكتوب فيه ان كنت تطلع من عند الله فاطلع وان كنت تطلع من عند نفسك فلا حاجة لنا بك فطلع ولم تلق فيه بعد ذلك امرأة • ومنها ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما أيضا كانت تأتى نار كل عام الى المدينة الشريفة فشكى المسلمون ذلك لسيدنا عمر فقال لغلامه خذ هذا الرداء فاذا جاءت النار فافرده فى وجهها وقل يا نار هذا رداء عمر ابن الخطاب فهى ترجع لوقتها فلما جاءت النار ضجت المسلمون فأخذ الغلام الرداء وخرج به الى ظاهر المدينة وفرده على وجهه كما أمره سيده وقال يا نار ارجعى هذا رداء عمر بن الخطاب فرجعت فى الحال ولم تعد ومناقبه لا تحصى وفضائله لا تستقصى رضى الله عنه (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول) أى سمعت كلامه لان الذات لا تسمع (انما الاعمال بالنيات) قال جماهير العلماء لفظة انما موضوعة للحصر تثبت المذكور وتنفى ما سواه فتقدير الحديث ان الاعمال انما تحسب اذا كانت بنية ولا تحسب اذا كانت بغير نية فلا عمل الا بالنية فقوله انما الاعمال أى الشرعية البدنية أقوالها وأفعالها الصادرة من المؤمنين بالنيات جمعت النية وان كانت مصدرا قصد التنويع

اذ المصدر لا يجمع الا باعتبار الانواع وهنا (١٠) لما قابلت الاعمال وكان كل عمل له نية جمعت باعتبار عمل العاملين ومقاصد

تعالى واذا قابلته كان من أسماء الله تعالى وهو بر بفتح البا بمعنى محسن * (العالمين) * جمع عالم بفتح اللام اسم لما يعلم به غيره وهو مشتق من العلم فيختص بذويه على ما يأتى أو العلامة لانه علامة على موجده وانه متصف بصفات الكمال وانما جمع لتحقق شموله لكل جنس مما سمى به واختلف فى العالمين فقال قتادة والحسن ومجاهد هم جميع المخلوقات وقال الفراء وأبو عبيدة هم عبارة عما يعقل وهم أربع أمم الانس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم وقال مقاتل هم ثمانون ألف عالم نصفها فى البر ونصفها فى البحر وقال الضحاك ثلثمائة وستون عالما يلبسون الثياب وقال ابن المسيب لله عز وجل ألف عالم ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر وقال وهب ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وما العمران فى الخراب الا كفسطاط ضرب فى الصحراء وقال أبو سعيد الخدرى ان لله تعالى أربعين ألف عالم الدنيا من شرقها الى غربها عالم واحد ونقل أيضا عن أبى أنه قال العالمين هم الملائكة وهم ثمانية عشر ألف ملك منهم أربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمشرق وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمغرب وأربعة آلاف وخمسمائة بالكنف الثالث من الدنيا وأربعة آلاف وخمسمائة بالكنف الرابع من الدنيا مع كل ملك من الاعوان ما لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومن ورائهم أرض بيضاء كالرخام عرضها مسيرة الشمس أربعين يوما طولها لا يعلمه الا الله تعالى مملوءة ملائكة يقال لهم الروحانيون لهم زجل بالتسبيح والتهليل لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الارض من هول صوته منتهاهم الى حملة العرش وقال معاذ النحوى هم بنو آدم فقط وقال أبو الهيثم خالد بن يزيد هم الجن والانس لقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا ورواه ابن جبير عن ابن عباس وقال أبو عمرو ابن العلاء هم الروحانيون وهو معنى قول ابن عباس كل ذى روح دب على وجه الارض لكن قال الشارح الهيثمى تخصيصه بذى الروح أو بالناس أو بالثقلين والملائكة أو بالثلاثة مع الشياطين أو ببنى آدم أو بأهل الجنة والنار أو بالروحانيين يحتاج لدليل وقال كعب الاحبار لا يحصى عدد العالمين أحد الا الله سبحانه وتعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وأل فى العالمين للاستغراق ومنع ابن مالك كون العالمين جمع العالم وقال بل هو اسم جمع له لئلا يلزم أن المفرد اعم من جمعه لاختصاص العالمين بالعقلاء وشمول العالم لهم ولغيرهم فهو نظير قول سيبويه ليس أعراب لكونه لا يطلق الا على البدو جمعا للعرب لشموله له وللحضرى وجوابه منع اختصاص العالمين بالعقلاء بل يشمل غيرهم كما صرح به الراغب وانما غلبوا فى جمعه بالواو والنون لشرفهم وعلى التنزيل وأن العالمين خاص فهو جمع لعالم مرادا به العاقل فلا محذور حينئذ * (قيوم) * وزنه فيعول من القيام وحينئذ فاصله قيووم بواوين قبلهما ياء ساكنة فابدلت الواو الاولى ياء وأدغمت فى الياء الساكنة فصار قيوم واختلفوا فى معناه فقال قتادة معناه القائم بتدبير خلقه وقال سعيد بن جبير معناه القائم على كل نفس بما كسبت وقال ابن عباس معناه الدائم الوجود الذى لا يحول ولا يزول وقيل العالم بالاشياء وقال القشيرى معناه الدائم القائم بتدبير خلقه وحفظهم وهو أحسن الاقوال وأجمعها قال تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وعليه فمعنى القيوم فى وصفه تعالى انه المدبر والمتولى لجميع الامور التى تجرى فى العالم والحافظ لها ومعنى قيوم السموات والارضين مقيمهما وموجدهما وحافظهما وقال عبد القاهر ان أخذنا القيوم من معنى القيام على النفوس بأرزاقها وآجالها والجزاء لها على اكتسابها كما قال عز وجل أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كان من أوصافه المشتقة من أفعاله ولم يكن من صفاته الازلية وان أخذناه من معنى الدائم لقوله عز وجل

الناوين ومعناها لغة القصد وشرعا قصد الشئ مقترنا بفعله فان تراخى عنه سمى عزما والكلام على أحكامها مبسوط فى كتب الفقه ثم اعلم أن الحصر فيما ذكر أكثرى لا كلى اذ قد يصح العمل بلا نية كالاذان والقراءة كما يصح ترك العمل بدونها كترك الزنا وان افتقر حصول الثواب فيه الى النية بان يقصد بترك الزنا امتثال الشرع وازالة النجاسة من قبيل الترك وللعلماء فى هذا المحل كلام طويل وانما غرضنا الفائدة والتقريب للافهام (قوله صلى الله عليه وسلم وانما لكل امرئ مانوى) أى جزاؤه ان خيرا فخير وان شرا فشر فنية المؤمن خير من عمله واخلاص النية لله تعالى لم يزل شرعا لمن قبلنا ثم لنا من بعدهم قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا قال أبو العالية وصاهم بالاخلاص لله تعالى وعبادته لا شريك له وينبغى لمن أراد فعل شئ من الطاعات أن يستحضر النية فينوى به وجه الله تعالى فالنية رأس الاعمال كلها وهى الاساس وعلى الاساس قواعد البنيان فمن فتح على نفسه باب حسنة فتح الله عليه سبعين بابا الى التوفيق ومن فتح على نفسه باب سيئة فتح الله عليه سبعين بابا الى الخذلان فباب الحسنة من حسن النية وباب السيئة من سوء النية فاذا نوى العبد خيرا أثيب عليه وان لم يفعله كما فى مسند أبى يعلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى للحفظة يوم القيامة اكتبوا العبدى كذا وكذا من الاجر فيقولون يا ربنا لم نحفظ ذلك

الا

ولا هو فى صحيفته فيقول الله تعالى انه نواه (وحكى) عن أخوين كان أحدهما عابدا (١١) والآخر مسرفا على نفسه وكان العابد

الامام دمت عليه قائما أى مواظبا ملازما للقيام كان من صفاته الذاتية لانه يكون من معنى الباقى وبقاؤه صفة أزلية اه وفيه أربع لغات قيوم بتشديد اليا وقيوم بالهمزة وقيم وقيام وبهما قرئ شاذا * (السموات) * جمع سماء وهى الجرم المعهود وتطلق على كل مرتفع وقدمها لشرفها وعلو مكانها وجمعها لتباين أجناسها قال الاستاذ القشيرى الاولى موج مكفوف والثانية من النحاس والثالثة من الفضة والرابعة من الذهب والخامسة من الياقوت والسادسة من الزمرد والسابعة من النور والعرش من جوهرة خضراء والكرسى من النور وقال الربيع بن أنس السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء وجاء عن سلمان الفارسى لكن بسند رواه السماء الدنيا من زمردة خضراء والثانية من فضة والثالثة من ياقوتة حمراء والرابعة من درة بيضاء والخامسة من ذهب والسادسة من ياقوتة خضراء والسابعة من نور * (والارضين) * بفتح الراء وقد تسكن جمع أرض مؤنثة وكان حق الواحد منها أرضة لكن لم يقولوه وجمعها بالياء والنون شاذ قيل وانما جمعت جمع العقلاء جبرا لنقصها بعدم ظهور علامة التأنيث فيها وهى مشتقة من أرضت القرحة اذا اتسعت فسميت أرضا لاتساعها ولا عبرة بقول من قال سميت أرضا لانها ترض بالاقدام لان الرض مكرر الضاد ولا همزة فيه وجمعها وان كان خلاف ما فى الآيات لرعاية الفواصل وللاشعار بان الاصح انهن سبع لقوله تعالى ومن الارض مثلهن أى فى العدد لا فى الهيئة والشكل فقط فهى سبع طباق بين كل طبقتين كما بين السماء والارض خلافا للضحاك الذى زعم أنه لا فتق فيها ويدل لكونها سبع طباق الحديث المتفق عليه من ظلم قيد بكسر القاف أى قدر شبر من أرض طوقه من سبع أرضين وزعم أن المراد من سبع أقاليم خروج عن الظاهر لغير دليل ولا وجه لتحمل شبر لم يأخذه ظلما بخلاف طباق الارض فانها تابعة ملكا وغصبا وفى حديث البيهقى اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن وانما أفردت فى القرآن لاتحاد جنسها وهو التراب وذكر بعضهم أن الحكمة فى افرادها فى القرآن ثقل جمعها لفظا وخص السموات والارضين بالذكر لان المقر والمنكر يعترف بهما لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فان قلت ما الحكمة فى خلق السماء بغير عمد وما الحكمة فى خلقها قبل الارض فالجواب كما قال النيسابورى خلقها قبل الارض ليعلم ان فعله خلاف أفعال الخلق لانه خلق اولا السقف ثم الاساس ورفعها على غير عمد ليدل على قدرته وجعل لها سبعة أبواب باب المطر وباب الرزق وباب التدبير وباب تنزل منه الملائكة والروح وباب صعود الاعمال وباب تنزل منه الملائكة بالبشارة كما قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة وباب الرحمة فان قيل لم جعلها خضراء ومن أى شئ خضرتها قيل انما جعلها خضراء لتكون أوفى للبصر لان الاطباء يأمرون بادمان النظر الى الخضرة ليكون قوة للبصر قال الغزالى رحمه الله تعالى وفى النظر الى السماء عشر فوائد منها انه يعرف ويذهب السواد ويقوى البصر وزينة للناظرين وعندك من الانشراح بقدر ما فى بيتك من السماء وأما خضرتها فقيل من جبل ق لانه من زمرد أخضر وهو خلف مغيب الشمس بسنة وخضرة السماء منه وقيل خضرتها من الصخرة التى تحت الارض السفلى تحت النون المشار له بقوله تعالى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله وجعل الله الشمس طباخة للثمار والفواكه ولولا الشمس ما نبت زرع ولا خرجت فواكه وجعلها تطبخ من

يتمنى ان يرى ابليس قال فظهر له ابليس يوما وقال له وا أسفاه عليك ضيعت من عمرك أربعين سنة فى حصر نفسك واتعاب بدنك وقد بقى من عمرك مثل ما مضى فاطلق نفسك فى شهواتها فقال العابد فى نفسه لعلى أنزل الى أخى فى أسفل الدار وأوافقه على الاكل والشرب واللذات عشرين سنة ثم أتوب وأعبد الله فى العشرين التى تبقى من عمرى فنزل على نية ذلك وأما أخوه المسرف فانه استيقظ من سكره فوجد نفسه فى حالة رديئة قد بال على ثيابه وهو مطروح على التراب وفى الظلام فقال فى نفسه قد أفنيت عمرى فى المعاصى وأخى يتلذذ بطاعة الله تعالى ومناجاته فيدخل الجنة بطاعة ربه وأنا بالمعاصى ادخل النار ثم عقد التوبة ونوى الخير والعبادة وطلع يوافق أخاه على عبادة الله تعالى وطلع على نية الطاعة ونزل أخوه على نية المعصية فزلت رجله فسقط على أخيه فوقعا ميتين فحشر العابد على نية المعصية وحشر العاصى على نية التوبة والطاعة فينبغى للعبد أن يحسن نيته (وقد حكى) أيضا أن العبد يؤتى به يوم القيامة ومعه حسنات كأمثال الجبال فينادى مناد من كان له عند فلان حق فليأت له وليأخذ حقه منه فيأتى الناس فيأخذون حسناته حتى لم يبق له حسنة فيصير حيران فيقول الله تعالى له عبدى ان لك عندى كنزا لم يطلع عليه أحد من خلقى فيقول يا رب وما هو فيقول نيتك التى كنت تنوى بها الخير كتبتها لك عندى سبعين ضعفا (وحكى) أيضا انه يؤتى بالعبد يوم القيامة

دوق والناس يطبخون بالنار من تحت وجعل القمر رطبا خالسائر أنواع الفواكه وجعل الله فى الشمس من الخواص انها تذبل الورد وتجفف القصب والورق وتجمد الملح وترطب بدن الانسان اذا نام فى الشمس وتجعل الماء حارا والبطيخ باردا وتبيض الثياب وتسود وجوه القصارين • (تنبيه) • الارض العليا أفضل مما تحتها لاستقرار ذرية آدم فيها ولانتفاعنا بها ودفن الانبياء بها وهى مهبط الوحى وغيره من الملائكة قاله فى كشف الاسرار ونقل عن بعضهم أن السماء الدنيا أفضل مما سواها لقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح قال الجلال السيوطى قلت ورد الاثر بخلافه أخرج عثمان بن سعيد الدارمى فى كتاب الرد على الجهمية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سيد السموات السماء التى فيها العرش وسيد الارضين التى نحن عليها وقد رفع للعلامة السيوطى رحمه الله تعالى سؤال صورته

يا عالم العصر لازالت أناملكم • تهمى وجودكم نام مدا الزمن
فقد سمعت خصاما بين طائفة • من الافاضل أهل العلم واللسن
فى الارض قد خلقت قبل السماء وهل • بالعكس جاء أثر يا زهرة الزمن
فمنهم قال ان الارض منشأة • بالخلق قبل السما قد جاء فى السنن
ومنهم من أتى بالعكس مستندا • الى كلام امام ماهر فطن
أوضح لنا ما خفى من مشكل وأبن • بجاك ربك من وزر ومن محن
ثم الصلاة على المختار من مضر • ماحى الضلالة هادى الخلق للسنن

فاجاب رحمه الله تعالى بما صورته

الحمد لله ذى الافضال والمنن • ثم الصلاة على المبعوث بالسنن
الارض قد خلقت قبل السماء كما • قد قصه الله فى حم فاستبن
ولا ينافيه ما فى النازعات أتى • فدحوها غير ذاك الخلق للفطن
فالحبر أعنى ابن عباس أجاب بذا • لما أتاه به قوم ذوو السنن
وابن السيوطى قد خط الجواب لكى • ينجو من النار والآثام والفتن

قال القاضى عياض وليس فى غلظ الارض وطبقاتها وما بينهما حديث ثابت ثم ان الارض وردت فى القرآن لمعان الاول أرض الجنة كقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض يعنى أرض الجنة والثانى الارض المقدسة بالشام كقوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها يعنى الارض المقدسة الثالث أرض المدينة خاصة كقوله تعالى فى العنكبوت يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون يعنى أرض المدينة الرابع أرض مكة خاصة كقوله تعالى فى الرعد أولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من أطرافها قال بعضهم يعنى ذهاب العلماء الخامس أرض مصر كقوله تعالى فى يوسف اجعلنى على خزائن الارض وكذا قوله وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعنى أرض مصر السادس أرض العرب كقوله تعالى فى المائدة أو ينفوا من الارض وكقوله تعالى فى الكهف ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض يعنى أرض العرب السابع جميع الارضين كلها كقوله تعالى فى هود وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها • (مدبر) • أمور • (الخلائق) • جمع خليقة بمعنى مخلوقة وترد بمعنى الخلق والطبيعة ومنه

• وان تك قد ساءتك منا خليقة • البيت وبمعنى الجديرة قال الشاعر
• خليقته بكل مدح خليقة • أى طبيعته بكل مدح جديرة والمراد الاول أى مصرف أمور الخلق بقدرته على وفق مشيئته من ايجاد واعدام واعطاء ومنع وغير ذلك على

فدفع له كتاب فيأخذه بيمينه فيجد فيه حجا وجهادا وصدقة مافعلها فيقول يارب ليس هذا كتابى فانى مافعلت شيأ من ذلك فيقول الله تعالى هذا كتابك لانك عشت عمرا طويلا وأنت تقول لو كان لى مال حججت منه لو كان لى مال تصدقت منه فعرفت ذلك من صدق نيتك وأعطيت ثواب ذلك كله فيا اخوانى من نوى شيأ حصل له فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله يقال انه ورد عن سبب وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم وعد بثواب على حفر بئر فنوى عثمان رضى الله عنه أن يحفرها فسبق اليها كافر فحفرها فقال النبى صلى الله عليه وسلم نية المؤمن يعنى عثمان خير من عمله يعنى الكافر ويقال ان النية المجردة من المؤمن خير من عمله المجرد عن النية (وذكر بعضهم) ان العمل بالنية تحته فردان عمل ونية فالقصد وقع لاحد الفردين لان فى كل منهما أجرا وأجر النية أكثر من أجر العمل الواقع بلا نية (وقال بعضهم) ان نية المؤمن تبلغ الى حيث لا يبلغ العمل لان نيته أن يعبد الله تعالى ولو عاش ألف سنة وعمله لا يبلغ ذلك وهذا الحديث رواه الطبرانى فى المعجم (قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله) أى نية وقصدا (فهجرته الى الله ورسوله) حكما وشرعا (قوله ومن كانت هجرته الى دنيا) بضم الدال وبالقصر بلا تنوين هى هذه الدار التى نحن فيها سميت بذلك لدناءتها وسبقها الآخرة وهى دار الهموم والاحزان والاكدار والتعب والنصب ترفع الجاهل وتضع العالم كما قال بعضهم

ما تقتضيه حكمته البالغة ولا يحسن ان يقال مدبر الخلائق على حسب ما تقتضيه المصلحة لان فى الخلق من عاقبتهم النار وهم الكفار الا ان يراد تدبير الخلائق فى الدنيا فيصح لان عموم رحمته تعالى اقتضت افاضة المصالح الدنيوية على المؤمن والكافر وأما حمل الخلائق على انه جمع خليقة بمعنى الخلق والطبيعة فهو خلاف الظاهر والتدبير فى صفات البشر التفكر فى عواقب الامور قال الله عز وجل أفلا يتدبرون القرآن ومعناه أفلا يتفكرون فى معانيه يقال تدبرت الامور اذا تفكرت فى عواقبها ولا يوصف الاله سبحانه وتعالى بالتفكر فى الامور فانه لم يزل عالما بها قبل وقوعها واختلفوا فى تأويل قوله عز وجل وفى صفة الملائكة فالمدبرات أمرا فمنهم من قال معناه أنها تأتى بالتدبير من عند الله عز وجل ومنهم من قال معناه أنهم يحدثون بالوحى عن الله عز وجل قال أبو عبيد يقال دبرت الحديث أى حدثت به عن غيرى فالمدبرات أمرا المحدثون عن الله عز وجل بأمره ونهيه وأخباره وفى الحديث أما سمعت عن معاذ بن جبل تدبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما جمع الخلائق ليعلم ان التدبير اليه فى العالم العلوى والسفلى من أعلى العرش الى ما تحت الثرى لا يشغله شأن عن شأن قال الله عز وجل يدبر الامر من السماء الى الارض فان قيل اذا كان تدبير الاله نافذا فى السماء والارض وما بينهما فلم انتهى التدبير الى الارض فى الذكر فالجواب ان الى بمعنى مع كما فى قوله تعالى الى المرافق وفى قوله من أنصارى الى الله فهو من باب دخول الحد فى المحدود فهو المدبر للارض والسماء وما بينهما • (أجمعين) • تأكيد ناص على شمول تدبيره سبحانه وتعالى لكل مخلوق أو أتى به للتجميع (باعث) أى مرسل لطفا منه وفضلا منه تعالى لا وجوبا خلافا للمعتزلة مشتق من البعث وهو الارسال كما فى قوله تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا وقوله ثم بعثنا من بعده رسلا ويطلق بمعنى النشر والاحياء بعد الموت ومنه قوله عز وجل فأماته الله مائة عام ثم بعثه وقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وكذلك البعث من النوم أى الايقاظ ومنه قوله عز وجل فى أصحاب الكهف وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ويطلق بمعنى الاثارة والانهاض يقال منه بعث فلان بعيره فانبعث أى أثاره فثار ونهض • (الرسل) • جمع رسول وهو من البشر انسان حر ذكر أكمل معاصريه غير الانبياء عقلا وفطنة وقوة رأى وخلقا بالفتح وعقدة موسى عليه الصلاة والسلام أزيلت بدعوته عند الارسال كما فى الآية معصوم ولو من صغيرة سهوا ولو قبل النبوة على الاصح سليم من دناءة أب وخناء أم وان عليا ومن منفر كعمى وبرص وجذام ولا يرد بلاء أيوب وعمى يعقوب بناء على انه حقيقى لطروه بعد الانباء والكلام فيما قارنه والفرق ان هذا منفر بخلافه فيمن استقرت نبوته ومن قلة مروأة كالأكل بطريق ومن دناءة صنعة كحجامة أوحى اليه بشرع وأمر بتبليغه وان لم يكن له كتاب ولا نسخ كيوشع فان لم يؤمر فنبى فقط فبينهما عموم وخصوص مطلق وهو أفضل من النبى اجماعا لتميزه بالرسالة التى على الاصح هى أفضل من النبوة خلافا لابن عبد السلام ووجه تفضيل الرسالة على النبوة كما قال القرافى ان الرسالة تثمر هداية الامة والنبوة قاصرة على النبى فنسبتها الى النبوة كنسبة العالم الى العابد ثم ان محل الخلاف فيهما مع اتحاد محلهما وقيامهما معا بشخص واحد أما مع تعدد المحل فلا خلاف فى أفضلية الرسالة على النبوة فقط ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة ولما كانت الصلاة على الانبياء مطلوبة اذا ذكروا لقوله صلى الله عليه وسلم صلوا على النبيين اذا ذكرتموهم فانهم بعثوا كما بعثت رواه ابن عساكر قال • (صلاته) • أى رحمته المقرونة بتعظيم وخص لفظها بهم تعظيما لهم وتمييزا لرتبتهم على غيرهم وتنظير

عثبت على الدنيا لرفعة جاهل • وخفض لذى علم فقالت خذ العذرا
• بنوا الجهل أبنائى لهذا رفعتهم • وأهل التقى أبناء ضرتى الاخرى
أأترك أولادى يموتون ضيعة • وارضع أولاد الضرتى الاخرى

وفى حقيقة الدنيا قولان للمتكلمين أحدهما ما على وجه الارض من الهواء والجو وثانيهما كل المخلوقات من الجواهر والاعراض الموجودة قبل الدار الآخرة (قوله يصيبها) أى يحصلها شبه تحصيل الدنيا باصابة الغرض بالسهم بجامع حصول المقصود وقوله (أو امرأة ينكحها) أى يتزوجها كما فى رواية وخصت بالذكر مع دخولها فى دنيا لانها فتنة عظيمة ففى الحديث ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء ولان سبب ورود هذا الحديث ان رجلا هاجر الى المدينة بنية أن يتزوج بامرأة يقال لها أم قيس فسمى مهاجر أم قيس وقد خرج فى الظاهر للهجرة وفى الباطن لاجل المرأة فلما أبطن خلاف ما أظهر استحق العتاب واللوم ويقاس به من فعل مثله وقوله (فهجرته الى ما هاجر اليه) جواب لقوله من والهجرة فعلة من الهجر وهو لغة الترك والمراد هنا ترك الوطن الى غيره لان المقصود الهجرة من مكة الى المدينة وبالجملة فحكم الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام مستمر على التفصيل المذكور فى كتب الفقه وقد تطلق الهجرة على هجرة ما نهى الله عنه فقد ثبت فى الحديث المجاهد من جاهد نفسه والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه فيهجر الانسان الارض التى يغلب على أهلها أكل الحرام ويهجر البلد التى يسب فيها العلماء والصلحاء وأما هجر المسلم أخاه فوق ثلاثة أيام فحرام الا من عذر وللزوج هجر زوجته فى

بعض الشراح فى تفسيرهم لها بالرحمة لانها عطفت عليها فى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ولانها مستحيلة فى حقه تعالى وتصويبه انها المغفرة غير سديد لانها أخص من مطلق الرحمة وعطف العام على الخاص صحيح مفيد ولان المراد بها كما هى فى حقه تعالى غايتها كسائر الصفات المستحيل ظاهرها عليه تعالى كذا فى شرح الهيثمى نعم يرد أن الرحمة فعلها متعد والصلاة فعلها قاصر ولا يحسن تفسير القاصر بالمتعدى كذا قيل وفيه بحث وفى بعض النسخ صلواته بالجمع • (وسلامه) • اسم مصدر بمعنى تسليمه أى تحيته أو تسليمه اياهم من كل آفة ونقيصة • (عليهم) • كلمة على هنا مجردة عن المضرة كما فى قوله تعالى فتوكل على الله فلا يرد ان الصلاة بمعنى الدعاء واذا استعمل الدعاء مع كلمة على يكون للمضرة مع انه يمكن الفرق بين صلى عليه ودعا عليه • (الى) • متعلق بباعث • (المكلفين) • جمع مكلف وهو البالغ العاقل من الانس وكذا من الجن بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ هو مرسل اليهم اجماعا خلافا لمن وهم فيه كما بينه السبكى فى فتاويه وأما بقية الرسل فلم يرسل أحد منهم اليهم كما قاله الكلبى وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وأما حكم سليمان فيهم واطاعتهم له فليس من جهة رسالته بل لكونه ولى عليهم فكان له عليهم تسلط بالملك وايمانهم بالتوراة كما دل عليه قوله تعالى يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى لا يدل على انهم كانوا مكلفين به لجواز ايمانهم به تبرعا منهم وليس منهم رسول عن الله تعالى عند جماهير العلماء وأما قوله تعالى ألم يأتكم رسل منكم فالمراد به من أحدكم وهو الاكثر على حد قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وجعل القمر فيهن نورا وكذا الملائكة بالنسبة لنبينا أيضا لانه مرسل اليهم على الاصح عند جمع من المحققين كما يدل عليه خبر مسلم وأرسلت الى الخلق كافة زاد السبكى انه مرسل الى جميع الانبياء والامم السابقة وان قوله بعثت الى الناس كافة شامل لهم من لدن آدم الى قيام الساعة بل أخذ بعض المحققين بعمومه حتى للجمادات واستدل له بشهادة الحجر والشجر له صلى الله عليه وسلم قال الحافظ السيوطى وأزيد من ذلك انه مرسل الى نفسه وقول الرازى فى تفسيره ليكون للعالمين نذيرا الشامل لهم أجمعنا على ان المراد الانس والجن دون الملائكة مردود أو مؤول بان مراده اجماع الخصمين اذ أجمعنا انما يقال لذلك غالبا لا اجماع كل الامة على ان هذا لا يؤخذ من مثل الرازى بل من مثل ابن المنذر وابن جرير وأما غير نبينا فغير مرسل اليهم قطعا ومعنى ارساله للملائكة وهم معصومون انهم كلفوا بتعظيمه والايمان به واشهار ذكره وللجمادات انه ركب فيها ادراكات لتؤمن به ولتخضع له وان من شئ الا يسبح بحمده أى حقيقة بلسان المقال كما قاله الحافظ ابن عبد البر والقاضى عياض والسهيلى فى الروض الأنق فى غزوة أحد وابن المنير والسيوطى فى حاشية الموطأ وغيرهم وهو المعول عليه لا بلسان الحال خلافا للبيضاوى فى سورة الاسراء اذا تقرر هذا فاطلاق المصنف بعث الرسل الى المكلفين ليس المراد به عمومه كما عرفت فان قلت تكليف الملائكة من أصله مختلف فيه فالجواب كما قال الشارح الهيثمى ان الحق تكليفهم بالطاعات العملية قال الله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون بخلاف نحو الايمان لانه ضرورى فيهم فالتكليف به تحصيل الحاصل وهو محال •

تنبيهات • الاول ذكر ابن جماعة ان المكلفين ثلاثة أقسام قسم مكلف من أول الفطرة قطعا وهم الملائكة وآدم وحواء وقسم لم يكلف من أول الفطرة قطعا وهم أولاد آدم وقسم فيه نزاع والظاهر انهم مكلفون من أول الفطرة وهم الجن الثانى قال فى شرح الترغيب والترهيب ما نصه سئل النووى هل يأجوج ومأجوج من ولد حواء عليها السلام وكم ثبت

مضجعها اذا تحقق نشوزها فانظر يا أخى (١٤) ما اشتمل عليه هذا الحديث من المحاسن وقد رواه اماما المحدثين أبو عبد الله محمد ابن اسمعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه بباء مفتوحة وراء ساكنة ودال مهملة مكسورة وزاى ساكنة وباء مفتوحة وهاء البخارى ومسلم رضى الله تعالى عنهما فى صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة مناقبهما كثيرة شهيرة لا نطيل بها ومن كلام البخارى شعر

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع
فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم
ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

(خاتمة المجلس) اخوانى من كان عاقلا ويعلم انه ميت وانه يرضى فى الدنيا بالقوت فيما يناسب ذلك ويشتغل بعمل الآخرة فان الآخرة هى دار القرار والدنيا دار الفناء قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه قد ارتحلت الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل (وروى) أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا فى المسجد اذ دخل عليه رجل أبيض اللون حسن الشعر عليه ثياب بيض فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم سأله عن الدنيا فقال الدنيا كحلم النائم وأهلها مجازون ومعاقبون فقال فما الآخرة فقرأ النبى صلى الله عليه وسلم الآية فريق فى الجنة وفريق فى السعير فقال يا رسول الله ما الجنة فقال أن تترك الدنيا لطالب نعيمها أبدا قال فما خير هذه الامة قال الذى يعمل بطاعة الله قال فكيف يكون فيها الرجل قال متحيرا كطالب القافلة قال فكم القرار فيها قال

انه

انه يعيش كل واحد منهم فاجاب هم ولد حواء وآدم عليهما السلام عند أكثر العلماء وقيل انهم من ولد آدم من غير حواء فيكونون اخواننا من الاب أى أنهم خلقوا من منى خرج من آدم فى غير حال الجماع ووقع فى الارض وخلقوا منه ولم يثبت فى قدر أعمارهم شئ ونقل ابن عبد البر الاجماع على انهم من ولد يافث ابن نوح وان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك يا رسول الله فقال جزت ليلة أسرى بى فدعوتهم فلم يجيبوا فهم من أهل النار وصرح بان الصحيح انه لم يرسل اليهم وانهم من ذرية آدم بدليل حديث ان الله تعالى يقول يوم القيمة يا آدم اخرج بعث النار الحديث وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال يأجوج لها أربعمائة أمير وكذلك مأجوج لا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف فارس من ولده انتهى المراد منه وانظر على هذا الصحيح من انه لم يبعث اليهم لم عذبوا وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ودعوى انه أرسل اليهم غيره خلاف ما يظهر من كلام الجماعة وكيف يدعوهم مع انه لم يرسل اليهم • (لهدايتهم) • مصدر مضاف للفاعل أو المفعول أى لاجل ارشادهم ودلالتهم اياهم على سلوك سبيل الهدى وتجنب طريق الردى قال المولى سعد الدين التفتازانى فى شرح العقائد المشهور ان الهداية عند المعتزلة هى الدلالة الموصلة الى المطلوب وعندنا الدلالة على طريق توصل الى المطلوب سواء حصل الوصول والاهتداء أو لم يحصل اه وكل من القولين منقوض أما الاول فمنقوض بقوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وأما الثانى فمنقوض بقوله تعالى انك لا تهدى من أحببت واحتمال التجوز مشترك والهادية من كل شئ أوله وما يتقدم منه ولهذا قيل أقبلت هوادى الخيل اذا امتدت أعناقها وأما الذى روى عنه انه عليه السلام خرج فى مرضه يهادى بين اثنين فمعناه انه يميل بينهما ويعتمد عليهما من ضعفه وكل من فعل ذلك باحد فهو يهاديه وتهادت المرأة فى مشيتها اذا تمايلت وفى أمثال العرب فى معنى الهداية قولهم أهدى من الانسان الى فيه واهدى من يد الى فم واهدى من قطاة واهدى من حمامة لان القطا والحمامة يسيران من وكريهما ومنهليهما مسافة أيام كثيرة ثم يهتديان اليهما واللام فى كلام المصنف لبيان حكمة الارسال وغايته لا للعلة الباعثة عليه لان أفعاله تعالى لا تعلل بالاغراض لما يلزم على ذلك الذى ذهب اليه المعتزلة قبحهم الله مما هو مقرر فى محله والهدى يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال هداه الطريق والى الطريق دله عليه • (وبيان) • البيان والتبيين عبارة عن الظهور بعد الخفاء وذلك لانهما مشتقان من البينونة والابانة وهى عبارة عن التفريق بين أمرين متصلين فاذا حصل فى القلب اشتباه صورة بصورة ثم انفصلت احداهما عن الاخرى فقد حصلت البينونة فلهذا سمى بيانا وتبيينا • (شرائع) • جمع شريعة فعيلة بمعنى مفعولة وهى لغة مشرعة الماء أى مورده الذى للشارب واصطلاحا ما شرعه الله لعباده من الاحكام من شرع بمعنى بين وبمعنى سن ومنه قوله تعالى شرع لكم من الدين أى سن • (الدين) • هو لغة يطلق على أمور منها الطاعة ومنه قول زهير

لئن حللت بواد فى بنى أسد • فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

أراد فى طاعة عمرو والجزاء ومنه قوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق أى جزاءهم الحق الذى وعدوا به وقوله تعالى ان الدين لواقع أى الجزاء لواقع يوم التلبية والحساب ومنه قوله تعالى ذلك الدين القيم أى الحساب الصحيح وقوله تعالى انا لمدينون أى لمجزيون وقال لبيد

حصادك يوما مازرعت وانما • يدان الفتى يوما بما هو دائن

ومن كلام العرب كما تدين تدان أى كما تجازى تجازى والتوحيد ومنه قوله تعالى ألا لله

كالمتخلف عن القافلة قال فكم بين الدنيا والآخرة قال غمضة ١٥ عين قال فذهب الرجل فلم يره أحد فقال الرسول صلى الله عليه وسلم هذا جبريل أتاكم يزهدكم فى الدنيا (قال ابن عباس) رضى الله عنهما يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بارزة لا يراها أحد الا كره رؤيتها فيقال لهم هل تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من هذه فيقال لهم هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها (وفى كتاب المنبهات) لا تحبوا الدنيا فانها ليست بدار المؤمنين ولا تصاحبوا الشيطان فانه ليس برفيق المؤمنين ولا تؤذوا أحدا أفليس ذلك بحرفة المؤمنين فيا من بين يديه أهوال الحساب والصراط يا قليل الوفاء يا كثير الغدر والانبساط يا متكاسلا فى طاعة مولاه وفى لذات هواه فى نشاط يا مبارزا مولاه بالمعاصى أسرفت فى الافراط يا ضعيفا عن حمل أثوابه كيف تقوى على حمل السياط فارفع يديك معى وقل الهى بحق كرمك استعملنا فى جميع الطاعات ووفقنا لما تحب وترضى فى جميع الاوقات واغفر لنا بجودك يا ذا الجود جميع الزلات وأيقظنا بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من سنة الغفلات وارزقنا التيقظ فيما بقى والتدارك لما قد فات وسلمنا فى الدارين من جميع الآفات آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين

•(المجلس الثانى
فى الحديث الثانى)•

الحمد لله الذى بعث نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للانام واختصه بشريعة سمحة مشتملة على الحكم والاحكام وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم

عبده ورسوله أفضل الانام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادة الكرام وسلم

تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين آمين • (عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا منه يسأله ويصدقه قال فأخبرنى عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأخبرنى عن الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فأخبرنى عن الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل قال فاخبرنى عن أماراتها قال أن تلد الامة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان ثم انطلق فلبث مليا ثم قال يا عمر أتدرى من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم رواه مسلم) • اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم رواه الامام مسلم بهذا اللفظ والبخارى عن أبى هريرة بمعناه وهو عظيم الموقع والجلالة وقد اشتمل على جميع وظائف

الدين الخالص أى التوحيد وبمعنى الملة ومنه قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا ويعبر به عن داء من أدواء القلب ومنه قول الشاعر • يا دين قلبك من سلمى وقد دينا • والعادة والعمل ومنه قوله

اذا أردت لها وضينى • فهذا دينه أبدا ودينى

والوضين الهودج بمنزلة البطان للقتب والحزام للسرج والسياسة ومنه قول ذى الاصبع • ولا أنت ديانى فتخزونى • والحال ومنه قول النضر بن شميل سألت أعرابيا عن شئ فقال لو لقيتنى على دين غير هذا لاخبرتك أى على حال غير هذا والقهر والخضوع ومنه قول العرب دنته فدان أى قهرته فخضع واصطلاحا وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات فخرج بقوله الهى الاوضاع الصناعية وبقوله سائق الوضع الالهى غير السائق كانبات الارض وامطار السماء وقوله لذوى العقول الحيوانات المختصة بالاختيار وبقوله باختيارهم الاوضاع السائقة لا بالاختيار كالوجدانيات وبقوله المحمود الكفر وقوله بالذات متعلق بسائق أى ان الوضع الالهى بذاته سائق لانه ما وضع الا كذلك ويمكن تعلقه بالخير ومعناه ان ذلك الخير وهو ما وضعه الكريم بذاته خير والاضافة فى شرائع الدين بيانية لان ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام هو الدين ويصح ان تكون على معنى اللام بان يراد بالشرائع الاحكام وبالدين الملة والاسلام وفى اثباته الشرائع للدين استعارة تخييلية ويصح ان تكون من اضافة المشبه به الى المشبه فيكون تشبيها مؤكدا أى وبيان الدين الذى هو لعذوبته كالشريعة كما قال الشاعر

والريح تلعب بالغصون وقد جرى • ذهب الاصيل على لجين الماء

• (بالدلائل) • متعلق ببيان جمع دلالة بتثليث الدال بمعنى الدليل قال ابن قاسم فى الآيات البينات الدليل بزنة فعيل وفعيل جمعه على فعائل غير مقيس وأجيب بانه يحتمل ان يراد بالدلائل جمع دلالة والدلالة تصدق على الدليل كما قال المحلى وجمعه على دلائل حينئذ مقيس والدليل فى اللغة المرشد الى المطلوب وفى اصطلاح أهل الميزان ما يلزم من العلم به العلم بشئ آخر وفى اصطلاح أهل الاصول ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى علم أو ظن فالاول كالنصوص المثبتة للبعث والحساب والثانى كخبر انما الاعمال بالنيات وذهب أكثر المتكلمين الى انه لا يستعمل الدليل الا فيما يؤدى الى العلم وأما ما يؤدى الى الظن فليس بدليل ثم هو كما قال الزركشى فى البحر ثلاثة أقسام سمعى وعقلى ووضعى فالسمعى كالكتاب والسنة والاجماع والعقلى ما دل بنفسه كدلالة الحدوث على المحدث والوضعى ما دل باسناده كالعبارة الدالة على المعانى ووصفها بقوله • (القطعية) • وهى الادلة المؤدية للعلم ليخرج الدلائل الظنية ووصفت المؤدية للعلم بالقطعية لانها تقطع معارضة الخصم أو للقطع بمقدماتها نحو كل انسان جسم وكل جسم مركب فكل انسان مركب قال الشارح الهيتمى فان قلت أكثر أدلة الشريعة ظنية لان مقدماتها كذلك نحو الطمأنينة ركن فى الصلاة وكل ركن واجب والوضوء عبادة وكل عبادة يشترط لها النية فكان ينبغى له حذف القطعية قلت انما صارت ظنية بالنسبة الينا بخلافها لمن سمعها من النبى صلى الله عليه وسلم فانها بالنسبة اليه قطعية والكلام انما هو فى بيان الرسل للشرائع وذلك جميعه قطعى ويصح أن يراد بدلائلهم معجزاتهم الدالة على صدقهم وكونها قطعية لاستفادتها من دليل مؤلف من مقدمتين قطعيتين نحو الرسل جاؤا بالمعجزات وكل من جاء بالمعجزات صادق فالرسل صادقون أما الصغرى فضرورية حسية والكبرى ضرورية عقلية اذ المعجزة خارقة للعادة وخرقها

لا يقدر

رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد) يستفاد من طلوعه على تلك الهيئة الحسنة استحباب التجمل لطلب العلم والقدوم على الغير وهو كذلك قال أبو العالية كان المسلمون اذا تزاوروا تجملوا وقال النبى صلى الله عليه وسلم أحسن ما زرتم به الله فى قبوركم ومساجدكم البياض وقال ابن عبد السلام لا بأس بلباس شعار العلماء ليعرفوا بذلك فيسئلوا فانى كنت محرما فأنكرت على جماعة محرمين لا يعرفوننى ما أخلوا به من آداب الطواف فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت عليهم ذلك سمعوا وأطاعوا فاذا لبسها لمثل ذلك كان فيه أجر لانه سبب لامتثال أمر الله والانتهاء عما نهى الله عنه قال العلماء ويكره لبس الثياب الخشنة لغير غرض شرعى قيل ان الحسن جذب فرقدا فأخذ بكسائه وقال له يا فرقد يا فريقد يا ابن أم فريقد ان البر ليس فى لبس هذا الكساء انما البر ما وقر فى الصدور وصدقه العمل (قوله حتى جلس) أى جاء حتى جلس قريبا منه وقوله (الى النبى صلى الله عليه وسلم) لم يقل بين يديه قيل لان حاله يدل على انه لم يجئ متعلما وانما جاء معلما وقوله (فأسند ركبتيه الى ركبتيه) ظاهره انه جلس بين يديه وهو كذلك اذ لو جلس الى جانبه لما أمكنه الا اسناد ركبة واحدة وهو غير جلوس المتعلم بين يدى شيخه للتعلم وانما فعل ذلك جبريل عليه السلام للتنبيه على ما ينبغى للسائل من قوة النفس وعدم الاستحياء عند السؤال وان كان المسؤل

لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى وهو لا يؤيد بذلك كاذبا وقد أيدهم بها فلم يكونوا كاذبين بل صادقين • (واضحات البراهين) • هو من اضافة الصفة للموصوف أى البراهين الواضحة التى لا اشكال فيها جمع برهان وهو لغة الحجة وايضاحها من البرهنة وهى البيضاء من الجوارى واصطلاحا ما تركب من تصديقين متى سلما لزمهما لذاتهما قول ثالث كالعالم متغير وكل متغير حادث ينتج العالم حادث وعطفه على ما قبله من عطف المغاير لان البرهان لا يكون الا مركبا والدليل بخلافه • (أحمده) • أى اصفه بجميع صفاته الجميلة وذكر الحمد مرتين للجمع بين نوعيه الواقع فى مقابلة صفاته تعالى والواقع فى مقابلة نعمه وخص الاول بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار والثانى بالجملة الفعلية الدالة على التجدد والتعاقب لقدم الصفات واستمرارها وتجدد النعم وتعاقبها • (على جميع نعمه) • جمع نعمة بكسر النون بمعنى المنعم به وأما بفتح النون فهى التنعم قال تعالى ونعمة كانوا فيها فاكهين وبضمها السرور وجعل بعض المحققين النعمة فى كلام المصنف بمعنى الانعام لا بمعنى المنعم ولان الاول وصف قائم بذاته تعالى دائم مستمر والثانى أثره والحمد على الانعام الذى هو من أوصاف المنعم أبلغ منه على أثره الواصل الينا وفى الحديث ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده واختلف الناس فى ذلك فمذهب الصوفية أثر النعمة فى الاعطاء للخلق وان عرى هو وجاع ومذهب الفقهاء حسن اللبس والنعمة هى المنفعة الخالية من الضرر ولذا اختلف هل لله نعمة على كافر فى الدنيا فقيل نعم وعليه القاضى الباقلانى وصوبه الرازى لقوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وذكر آيات كثيرة فيها دلالة لذلك وقيل لا وعزى للاشعرى لانه وان وصل اليه نعم لكنها قليلة حقيرة لا اعتداد بها بالنسبة الى الضرر الدائم فى الآخرة ومن ثم قال الله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما الآية قال بعض المحققين والخلاف لفظى اذ لا خلاف فى وصول نعم اليه وانما النزاع فى انها اذا حصل عقبها ذلك الضرر الابدى هل تسمى حينئذ فى العرف نعما أولا فهو نزاع فى مجرد التسمية واستبعده بعضهم وقد اختلف أيضا هل هو منعم عليه فى الآخرة أولا فذهب الى الاول المعتزلة رائين ان ما من عذاب الا وفى قدرة الله ما هو أشد منه لكن لا يقال انه فى نعمة وذهب غيرهم الى الثانى قال بعضهم وأول نعمة أنعم الله بها على العبد المؤمن من النعم الدنيوية الحياة التى توصل بها الى ادراك اللذة التى لا يعقبها ضرر لاجلها خلافا للمعتزلة فى ان أولها الحياة فى الجملة ويلزمهم ان أصحاب النار المقيمين فيها منعمون والاجماع على خلافه وأعظم النعم الدنيوية الايمان خلافا للمعتزلة فى انه ليس من النعم البتة لنا أنه سبب للخلود فى الجنة دون سائر الاعمال فوجب كونه أعظمها وأعظم النعم الاخروية مشاهدة الذات العلية فى جنة عالية قطوفها دانية • (وأسأله) • من السؤال وهو كما قال الراغب استدعاء معرفة أو ما يؤدى الى معرفة واستدعاء مال أو ما يؤدى الى مال فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان واليد خليفة له بالكتاب والاشارة واستدعاء المال جوابه على اليد واللسان خليفة لها اما بوعد او برد والسؤال اذا كان للتعريف تعدى للمفعول الثانى تارة بنفسه وتارة بالجار نحو سألته كذا وسألته عن كذا وبعن أكثر نحو ويسألونك عن الروح واذا كان السؤال لاستدعاء مال فانه يتعدى بنفسه أو بمن نحو واذا سألتموهن متاعا واسألوا الله من فضله اه والسؤال من الادنى للاعلى دعاء وعكسه أمر ومن المساوى التماس وقال بعضهم السؤال والدعاء مترادفان وليس بينهما وبين الامر والالتماس فرق من جهة الصيغة التى تدل على طلب الفعل دلالة وضعية وانما يحصل الفرق بالمقارن

وذلك لانها ان قارنت الاستعلاء فهى امر وان قارنت التساوى فهى التماس وان قارنت الخضوع فهى سؤال ودعاء فالسؤال مادل على طلب الفعل دلالة وضعية مقارنة للخضوع وهكذا •(المزيد)• اللام عوض عن المضاف اليه أى مزيد النعم •(من فضله)• هو لغة ضد النقص واصطلاحا العطاء عن اختيار لا عن ايجاب كما تقول الحكماء ولا عن وجوب كما تقول المعتزلة اه ومعنى لا عن ايجاب انه تعالى تصدر عنه أفعاله باختيار لا بغيره كما تقول الحكماء فانهم يجعلونه علة وطبيعة تحصل آثارها من غير اختيار كالعلة ومعلولها والطبيعة ومطبوعها ومعنى قوله ولا عن وجوب انه لا يجب عليه تعالى ذلك خلافا للمعتزلة القائلين بانه يجب عليه فعل الصلاح والاصلح ورد بانه لو وجب عليه لما وقعت محنة دنيا وأخرى ولا تكليف بامر أونهى وعلى هذا فمن للتعدية ويصح كونها للتعليل أى من أجل اتصافه بالفضل وسائر صفات الكمال اذ لا يسئل حقيقة الا من هو كذلك •(وكرمه)• فيه الوجهان المذكوران وهو بذل أى اعطاء الكثير لغير علة أى دنيوية أو أخروية وضده اللؤم ويطلق الكرم بمعنى ايثار الصفح عن الجانى ومن عجيب ما يقال كل عيب يغطيه الكرم الا عيب الدين وحكى اليافعى فى روض الرياحين أن شخصا أنشد ليحيى بن خالد هذين البيتين فاعطاه بكل حرف من الحروف ألف درهم وهما

سألت الندى هل أنت حر فقال لا • ولكننى عبد ليحيى بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة • توارثنى من والد بعد والد

•(وأشهد)• أى أعلم وأتحقق وأذعن فلا يكفى العلم من غير اذعان كما هو شأن كثير من أهل الكتاب الذين كانوا فى زمنه صلى الله عليه وسلم •(ان لا اله)• أى لا معبود بحق موجود أو فى الوجود •(الا الله)• بالرفع على البدلية من الضمير المستتر فى الخبر المقدر العائد على اسم لا على المختار عند أبى حيان وهو الاشهر وقيل على البدلية من لا اله لان محل لا مع اسمها رفع بالابتداء ويجوز نصبه على الاستثناء لا على البدل من اسمها لان لا انما تعمل فى نكرة منفية ولفظ الله معرفة مثبت وأتى بالشهادة لما رواه أبو داود وغيره عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء •(الواحد)• فى ذاته فلا يتبعض ولا يتجزأ وصفاته وأفعاله بمعنى عدم مشاركة غيره له فيهما فهو الغنى على الاطلاق الذى لا يحتاج الى غيره قال بعض المحققين فان قلت نطق القرآن بالواحد والاحد فقال تعالى والهكم اله واحد وقال تعالى قل هو الله أحد فهل بينهما فرق من جهة المعنى قلت من الناس من يفرق بينهما معنى وهو الحق ومنهم من قال الوحدة راجعة الى الذات والاحدية راجعة الى الصفات أى واحد فى ذاته وأحد فى صفاته ومنهم من عكس ومنهم من قال الوحدة راجعة الى نفى المثل والاحدية الى نفى الجزء ومنهم من عكس كذا فى شرح الرسالة القشيرية لشيخ الاسلام الانصارى •(القهار)• من القهر لانه ما من موجود الا وهو مقهور تحت قدرته ومسخر بقضائه أو الذى قهر الجبابرة فى الدنيا بالدمار وقهر جميع أعدائه فى الآخرة بالبوار •(الكريم)• المنعم المتفضل الذى يعطى من غير مسئلة ولا وسيلة أو المتجاوز الذى يقيل العثرات ويضاعف الاجر على الحسنات أو الذى يعطى ولا يكدر عطاءه بالمن والاذى أو السيد الذى يمتنع عن ان ينال بامتهان من قولهم أكرم نفسك عن الهوان وقد سمى الله عز وجل القرآن كريما لامتناعه عن أن يعارض بمثله والكريم يطلق على الله تعالى بخلاف السخى لعدم وروده ولاشعاره بجواز الشح •(الغفار)• من الغفر وهو ستر الشئ وتغطيته أى ستار القبائح والذنوب باسبال الستر عليها فى الدنيا وترك المؤاخذة بها فى العقبى ويقال لجبة الرأس مغفر

ممن يحترمه ويهابه وعلى ماينبغى للمسؤل من التواضع والصفح عن السائل وان تعدى ماينبغى من الاحترام للمسؤل والادب معه (قوله ووضع كفيه على فخذيه) أى وضع الرجل كفيه على فخذيه صلى الله عليه وسلم وفعل ذلك للاستئناس باعتبار ما بينهما من الانس فى الاصل حين يأتيه بالوحى وقد جاء مصرحا بهذا فى رواية النسائى من حديث أبى هريرة وأبى ذر حيث قال حتى وضع يديه على ركبتى النبى صلى الله عليه وسلم (قوله وقال يا محمد) ناداه باسمه كما تناديه الاعراب مع انه حرام لان حاله يدل على انه لم يجئ متعلما وانما جاء معلما كما قدمناه أو قبل العلم بتحريمه قال بعضهم ومما تقرر علم ان نداء غيره ممن يستحق التوقير باسمه غير حرام وانما هو خلاف الاولى الا أن يتأذى به فينبغى تحريمه (قوله أخبرنى عن الاسلام) أى عن حقيقته (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مجيبا له (الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله) أى تعلم أن لا اله معبود بحق فى الوجود الا الله الواجب الوجود (وأن محمدا رسول الله) أى وأن تشهد أن محمدا رسول الله وتصدق بذلك (قوله وتقيم الصلاة) أى بأن تأتى بها بأركانها وشروطها وتواظب عليها فى أوقاتها (وتؤتى الزكاة) أى تؤديها على وجهها الشرعى (وتصوم رمضان) سمى بذلك لاشتداد حر الرمضاء فيه حين وضع له هذا الاسم ويستفاد من قوله رمضان بدون شهر انه لا يكره ذكره بدون شهر كما يأتى أيضا زيادة على ماهنا (قوله وتحج البيت) أى تقصد بيت الله الحرام لنسك بافعال مخصوصة (ان استطعت اليه سبيلا) والمراد بالاستطاعة هنا وجود الزاد والراحلة

لانه يغفر الرأس أى يغطيه والعرب تقول اصبغ ثوبك فانه اغفر للوسخ واعلم ان الغفور أبلغ من الغافر لان فعولا موضوع للمبالغة والغفار أبلغ من غفور لانه للتكثير بغير حصر فاذا ستر الله على عبده مرة فهو غافر له وان ستر عليه مرارا فهو غفور وان أدام الستر عليه فهو الغفار له فاذا ستر على عبده فى الدنيا وعفا عن عقوبته فى الآخرة ولم يفضحه بذنبه فهو غفار له وقيل من غفر له بعض ذنوبه فى الآخرة وعاقبه على الباقى فهو غافر له وان غفر له أكثر ذنوبه وعاقبه على القليل فهو غفور له وان غفر له جميع ذنوبه فهو غفار له وبين الغفار والقهار طباق معنوى لاشعار الاول بالقهر واستحضاره يبعث على الخوف والثانى بالرحمة واستحضارها يبعث على الرجاء •(وأشهد أن محمدا)• علم منقول لامر تجل من اسم مفعول المضعف مشتق من الحمد الذى هو ضد الذم سماه به جده عبد المطلب بالهام من الله ليكون على وفق تسمية الله تعالى له به قبل الخلق بالفى عام على ما ورد عند أبى نعيم وليطابق اسمه صفته لكثرة خصاله المحمودة ورجاء أن يحمده أهل السموات والارض وقد حقق الله رجاءه ومحمد أبلغ من محمود باعتبار فعليهما وان تساوى الاسمان فى عدد الحروف اذ الاول من الثلاثى المضعف والثانى من الثلاثى المجرد وذكر المصنف هذا الاسم دون غيره لانه أشهر أسمائه ولذكره فى القرآن متكررا دون غيره واشرفه اذ هو مشتق من اسمه تعالى كما قال حسان رضى الله عنه

وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد

روى ابن عساكر عن كعب الاحبار أن آدم رآه مكتوبا على ساق العرش وفى السموات وعلى كل قصر وغرفة فى الجنة وعلى نحور الحور العين وعلى ورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى واطراف الحجب وبين أعين الملائكة ولم يسم به أحد قبله لكن لما قرب زمنه صلى الله عليه وسلم ونشر أهل الكتاب نعته وشاع قبل ظهوره للوجود الخارجى أن نبيا يبعث اسمه محمد سمى قليل من العرب أولادهم به رجاء النبوة لهم والله أعلم حيث يجعل رسالته ومنع الله كلا منهم أن يدعى النبوة أو يدعيها له أحد أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا فى أمره وعدتهم اما خمسة أو ستة أو أربعة عشر أو خمسة عشر أو سبعة عشر والذى اقتصر عليه الشارح الهيتمى انهم خمسة عشر كما بينه بعض المحققين قال شيخ الاسلام وأما احمد فلم يتسم به أحد قبله فيما أعلم •(عبده)• قدمه امتثالا لما فى الحديث الصحيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله وللرد على اليهود والنصارى حيث زعمت الاولى ان عزيرا ابن الله والثانية المسيح ابن الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانظر الى أول مقال المسيح لما طلبت منه أمه اجابة القوم عنها وهى انى عبد الله ولأن العبودية أشرف أوصافه عليه الصلاة والسلام ولذلك وصف بها فى أشرف المقامات فذكره فى انزال القرآن عليه فى مما نزلنا على عبدنا أنزل على عبده الكتاب نزل الفرقان على عبده وفى مقام الدعوة عليه وانه لما قام عبد الله يدعوه وفى مقام الاسراء والوحى فى اسرى بعبده فأوحى الى عبده ما أوحى فلو كان له وصف أشرف منه لذكره به فى تلك المقامات العلية وليس للمؤمن صفة أتم ولا أشرف من العبودية ولقد أحسن القاضى عياض حيث قال

ومما زادنى شرفا وتيها • وكدت باخمصى أطأ الثريا

دخولى تحت قولك ياعبادى • وأن صيرت أحمد لى نبيا

وعن أحمد أخى الغزالى ان القارئ قرئ عنده ياعبادى الذين أسرفوا على انفسهم فقال شرفهم بياء الاضافة الى نفسه بقوله ياعبادى ثم أنشد

وغيرهما وقيد الحج بالاستطاعة دون المذكورات قبله مع انها مشروطة فيها أيضا لوجود عظم المشقة فيه دونها •(تنبيه)• ظاهر الحديث انه لابد فى حصول الاسلام من مجموع الشهادتين حتى لو اقتصر على أحدهما لم يكف وهو كذلك وقدم الكلام على الشهادتين لان بهما حصول الايمان الذى هو ملاك الامر وأصله اذ الباقى مبنى عليه مشروط به وبه النجاة فى الدارين ثم الصلاة لانها عماد الدين وبين العبد والكفر ترك الصلاة ولشدة الحاجة اليها ولتكررها كل يوم خمس مرات ثم الزكاة لانها قرينة الصلاة فى أكثر المواضع ولوجوبها فى مال المكلف وغيره عند أكثر العلماء ثم صوم رمضان لتكرره فى كل سنة وكثرة افراد فاعليه بخلاف الحج ثم الحج للتغاليظ الواردة فيه من نحو قوله تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ونحو قوله صلى الله عليه وسلم فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وسنذكر ان شاء الله تعالى فى المجلس الآتى بعد هذا زيادات على ماهنا (قوله قال) يعنى السائل للنبى صلى الله عليه وسلم (صدقت) أى فيما أجبت به قال عمر رضى الله عنه (فعجبنا منه يسأله ويصدقه) أى لان تصديقه يقتضى ان له علما بهذه الاشياء وهو لا يعلم الا من قبله صلى الله عليه وسلم وليس هو بمعروف السماع منه أو من حيث ان سؤاله مؤذن بعدم علمه بما سأل عنه وتصديقه فيه مؤذن بأنه عالم به فظاهر حاله أنه عالم به غير عالم به ثم زال عجبهم بقوله بعد هذا جبريل جاء كم يعلمكم دينكم فظهر أنه كان عالما فى صورة متعلم تعليما لهم وتنبيها (قوله قال فأخبرنى عن الايمان قال ان تؤمن بالله) أى ان تؤمن بوجوده

وهان على اليوم فى جنب حبها • وقول الاعادى انه لخليع
اصم اذا نوديت باسمى واننى • اذا قيل لى يا عبدها لسميع

وقد خيره الله تعالى بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار الثانى ومن ثم لم يقل لشئ فعله خادمه أف قط ولا ضرب عبدا ولا أمة وهذا شئ لا يسعه الطوق البشرى الا بتأييد الهى (ورسوله) الواو فيه للعطف فعول بمعنى مفعول وهو لغة المرسل واصطلاحا مر تفسيره كالنبى وآثر ذكره اشارة الى رد ما عليه ابن عبد السلام من تفضيل النبوة على الرسالة وقد سلف رده اه والاضافة فيه وفيما قبله للتشريف • (وحبيبه) • فعيل بمعنى الفاعل وحبيب يأتى بمعنى محب كأليم بمعنى مؤلم قال الشاعر

انى تودكم نفسى وأمنحكم • حبى ورب حبيب غير محبوب

وقيل بمعنى المفعول أى محبوبه الاعظم مأخوذ من الحبة وهى خالص كل شئ وقيل من حبب الاسنان وهو صفاء بياضها ونضارتها فهى صفاء المودة وقيل من الحباب وعليه فهى غليان القلب وثورانه عند التعطش الى لقاء المحبوب • (وخليله الاعظم) • فعيل بمعنى مفاعل وهو الذى يخالك أى يوافقك فى خلالك أى خصالك أو يسايرك فى طريقك والخل الطريق فى الرمل أو يسد خللك أو يدخل خلال منزله أو الذى تخلل الحب شغاف قلبه من الخلة بالفتح وهى الحاجة لانقطاعه الى ربه وقصر حاجته عليه ولذا وصف بها ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما قصر حاجته على ربه حين جاءه جبريل عليهما الصلاة والسلام وهو فى المنجنيق بفتح الميم وكسرها ليرمى به فى النار فقال له ألك حاجة فقال أما اليك فلا أو من الخلة بالضم وهى صفاء المودة وتخللها فى القلب فلا تدع فيه محلا الا ملأته وهى توجب الاختصاص بالاسرار قال أبو العلاء المعرى

والخل كالماء يبدى لى ضمائره • مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

أو من الخلة بالكسر وهى نبت تستحليه الابل ومن أمثالهم الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها والثانى هو المختار كما قال الواحدى لان الله تعالى خليل محمد ومحمد خليل الله ولا يجوز أن يقال الله تعالى خليل محمد من الخلة بالفتح التى هى الحاجة واختلف هل درجة المحبة أرفع أو الخلة أقوال ثالثها هما سواء واحتج للاول بخبر البيهقى أنه تعالى قال ليلة الاسراء يا محمد سل تعط فقال يا رب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال له ألم أعطك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا أو ما فى معناه وبأن الحبيب وصل بلا واسطة بخلاف الخليل قال الله تعالى فى حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين أو أدنى وقال فى حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض والخليل قال ولا تخزنى والحبيب قيل له يوم لا يخزى الله النبى والخليل قال فى المحنة حسبى الله والحبيب قيل له يا أيها النبى حسبك الله والخليل قال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطى بلا سؤال والخليل قال واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ورجح الزركشى تبعا لابن القيم وغيره الثانى لان المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبر ان الله اتخذه خليلا ونفى أن يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة وأبيها وفاطمة وبنيها ولعمر ابن الخطاب وكثير من الصحابة وأهل بيته قال ابن القيم وظن أن المحبة أرفع وان ابراهيم خليل ومحمد حبيب غلط وجهل وأما ما احتج به الاولون مما مر فانه يقتضى تفضيل ذات محمد على ذات ابراهيم عليهما الصلاة والسلام مع قطع النظر عن وصف المحبة والخلة وهذا لا نزاع فيه انما النزاع فى الافضلية المستندة الى أحد الوصفين

وصفاته التى لا تتم الالوهية الا بها قال العلماء (٢٠) رضى الله تعالى عنهم الايمان بالله جل جلاله يتضمن معنيين الاول الايمان بذاته والثانى الايمان بوحدانيته فأما الايمان بذاته الكريمة فهو أن تعلم أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات كما أن صفاته لا تشبه الصفات وكل ما تصورته فى ذهنك أو توهمته فى وهمك فالله تعالى بخلافه لانك مخلوق وكل ما تصورته أو توهمته فهو مخلوق مثلك لان الله جل جلاله تقدس وتنزه عن أن يحل فى مخلوق أو يحل فيه مخلوق وأنت جسم وجوهر وعرض والله تعالى بخلاف ذلك ولك جنس ونوع والله تعالى لا جنس ولا نوع له • (فائدة) • قال أبو اسحق الاسفراينى جمع أهل الحق جميع ما قيل فى التوحيد فى كلمتين احداهما ان كل ما تصور فى الافهام فالله تعالى بخلافه الثانية اعتقاد أن ذاته ليست مشبهة بذات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك سبحانه وتعالى بقوله ولم يكن له كفوا أحد وهذا فى غاية الجودة والايجاز ويرحم الله القائل

كل ما ترتقى اليه بوهم
من جلال وقدرة وسناء
فالذى أبدع البرية أعلى
منه سبحان مبدع الاشياء

(وحكى) عن امامنا الشافعى رضى الله عنه أنه قال من انتهض لطلب مدبره فانتهى الى موجود ينتهى اليه فكره فهو مشبه وان اطمأن الى العدم الصرف فهو معطل أو الى موجود واعترف بالعجز عن ادراكه فهو موحد فالعجز عن درك الادراك ادراك كما قاله الصديق الاكبر رضى الله تبارك وتعالى عنه وقال بعض العارفين سبحان من رضى فى معرفته بالعجز عن معرفته وقال الجنيد والله ما عرف الله الا الله وأما الايمان بوحدانيته تبارك وتعالى والذى

والذى قامت عليه الادلة استنادها الى وصف الخلة الموجودة فى كل من الخليلين فخلة كل منهما أفضل من محبته واختصاصها التوفر معناها السابق فيهما اكثر من بقية الانبياء ولكون هذا التوفر فى نبينا اكثر منه فى ابراهيم كانت خلته أرفع من خلة ابراهيم صلى الله عليهما وسلم اه وفيه دلالة على ثبوت وصف الخلة والمحبة لكل منهما القوله فخلة كل منهما أفضل من محبته • (أفضل المخلوقين) • كلهم من الجن والانس والملائكة حتى أمين الوحى لخبر أنا اكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وفى رواية أنا اكرمكم على ربى وقوله أنا سيد الناس يوم القيامة وقوله أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى ومن آخرهذا وصريح الاولين علمت أفضليته على آدم وقوله أنا سيد ولد آدم اما للتأدب مع آدم أو انه علم فضل بعض بنيه عليه كابراهيم فاذا فضل نبينا الافضل من آدم فقد فضل ادم بالاولى ولفظ ولد فى الحديث يطلق على الواحد والجماعة فيعم كما قال التلمسانى فاندفع ما قيل انه لا يقتضى العموم الا لو قال أولاد وأما التفضيل بين باقى الانبياء والملائكة ففيه طرق سيأتى ذكرها ولا ينافى التفضيل بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم ولا قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى وفى رواية لا تخيرونى على الانبياء ولا قوله أيضا لا تفضلوا بين الانبياء ولا قوله لا تخيرونى على موسى ولا قوله ما ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى فقد كذب وذلك لان عدم التفرقة بينهم انما هو فى الايمان بهم وبما جاؤا به وأما النهى فانما هو عن تفضيل فى نفس النبوة أو الرسالة فان الانبياء كلهم مشتركون فى ذلك من غير تفاوت أو عن تفضيل يؤدى الى تنقيص المفضول أو يؤدى الى الخصومة والفتنة أو قاله صلى الله عليه وسلم تواضعا واحتراما لاخوانه الانبياء أو قاله قبل أن يعلمه الله تعالى بتفضيله عليهم وان استبعد بأنه رواه أبو هريرة وما أسلم الا سنة سبع فيبعد انه لم يعلمه الله بتفضيله عليهم الا بعد هذا وأجاب جمع كمالك وامام الحرمين عن خبر يونس بما حاصله نفى توهم التفاوت بينهما فى القرب لاختلاف محلهما الصورى برفع نبينا صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين ونزول يونس الى قعر البحر اى لا تتوهموا من هذا التفاوت تفاوتا فى القرب والبعد من الله تعالى بل نسبة كل اليه واحدة وان تفاوت مكانهما لتعاليه عن الجهة والمكان وحكى السهيلى عن شيخه القاضى أبى بكر ابن العربى عن شيخه أبى المعالى ان سائلا من العوام سأل أبا المعالى فى مجلسه عن الدليل على ان الله تعالى لا يوصف بالجهة ولا يحدودها فقال نعم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى فقال الرجل أنا أريد أن أعرف وجه الدليل فقال ضافنى الليلة ضيف له على ألف دينار وقد شغلت بالى فلو قضيت عنى قلته فقام رجلان من التجار فقالا فى ذمتنا فقال أبو المعالى لو كان رجل واحد ضمنها لكان أحب الى فقال أحد الرجلين أو غيرهما هى فى ذمتى فقال نعم ان الله سبحانه وتعالى أسرى بعبده الى فوق سبع سموات حتى سمع صرير الاقلام فلم يكن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى علو مكانه بأقرب الى الله من يونس فى بعد مكانه فان الله تعالى لا يتقرب اليه بالاجرام والاجسام وانما يتقرب اليه بأحسن الاعمال • (المكرم) • على غيره من سائر الرسل • (بالقرآن) • العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو الكلام المنزل عليه صلى الله عليه وسلم للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته مصدر قرأ اذا جمع لجمعه السور المختلفة وعلوم الاولين والآخرين والمقراة الحوض اذا جمع فيه الماء وسميت القرية قرية لجمعها أهلها وقيل مصدر قرأ اذا ألف لحسن نظمه وتأليفه • (العزيز) • من عز الشئ يعز بكسر العين فى المضارع اذا لم يكن له

فهو أن تعلم أنه منفرد بالملك والتدبير واحد فى ذاته واحد فى صفاته واحد (٢١) فى أفعاله واحد فى أقواله سبحانه وتعالى (قوله صلى الله عليه وسلم وملائكته) جمع ملك وهم أجسام علوية متشكلة بما شاؤا من الاشكال ومعنى الايمان بهم التصديق بوجودهم وبأنهم كما وصفهم الله تعالى بقوله عباد مكرمون • واعلموا أن ملائكة الرحمن عليهم السلام خلقهم الله جل جلاله وعز سلطانه من النور بقوله كن ولا يحصى عددهم الا الله سبحانه وتعالى وهم أنواع متفرقة ذكر أن من أعجب ما خلق الله فيهم ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يسبح الله تعالى ويقدسه ويمجده ويوحده ويقول فى كلامه اللهم يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين وهو أكثر الملائكة نصحا لاهل الارض (نكتة) قسم الله تعالى الخلائق ثلاثة أقسام قسم خلقوا بعقل بغير شهوة وهم الملائكة وقسم خلقوا بشهوة بغير عقل وهم الدواب وقسم خلقوا بعقل وشهوة وهم بنو آدم فمن غلب عقله على شهوته كان مع الملائكة ومن غلبت شهوته على عقله كان مع الدواب (قوله وكتبه) معنى الايمان بالكتب التصديق بأنها كلام الله المنزل على رسله عليهم الصلاة والسلام وكل ما تضمنته فهو حق • (فائدة) • عدد ما أنزل الله على رسله مائة صحيفة وأربعة كتب واختار من الجميع أربعة كتب واختار من الاربعة القرآن واختار من القرآن سورة الفاتحة فهى خيار من خيار من خيار وهى الفاتحة والشافية والكافية والراقية والواقية والكنز والاساس ولها ثلاثون اسما وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى (قوله ورسله) معنى الايمان

انظير فهو البالغ من العزة والعظمة الغاية التى لا ترتقى أو بمعنى الغالب من قولهم عزفلان يعز بضم العين اذا غلب ومنه قوله تعالى وعزنى فى الخطاب أى غلبنى وفى المثل من عزبز أى من غاب سلب لانه غلب فصحاء العرب و بلغاءهم وأعجزهم أو بمعنى المنيع والعزة المنعة ومنه قوله تعالى يبتغون عندهم العزة أى المنعة لامتناعه لرصافة مبانيه وصحة معانيه من الطعن فيه •(المعجزة)• اسم فاعل مأخوذ من العجز المقابل للقدرة وهى من حيث هى كما قال الرازى أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة قال السعد انما قال أمر ليتناول الفعل كانفجار الماء من بين الاصابع الشريفة وعدمه كعدم احراق النار ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن اقتصر على الفعل جعل المعجزة ههنا كون النار بردا وسلاما وبقاء الجسم على ما كان عليه من غير احتراق واحترز بقوله المقرون بالتحدى عن الخارق الواقع من غير تحد فيسمى كرامة والخارق المتقدم على التحدى كتسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم وكاظلال الغمام له فانه لم يقع له صلى الله عليه وسلم الاقبل النبوة خلافا لمن وهم فيه فيسمى ارهاصا أى تأسيسا للنبوة من أرهصت الحائط اذا أسسته والمتأخر عنه نحو ماروى بعد وفاته من نطق بعض الموتى بالشهادتين وشبهه مما تواتر به الاخبار فيسمى كرامة والتحدى دعوى الرسالة وقيل طلب المعارضة لشاهد الدعوى والراجح الاول ولا يشترط فى صدق الدعوى تعيين الخارق بل لو قال انا آتى بخارق لا يقدر عليه غيرى كفى والمتبادر من السياق ان ذلك الخارق موافق للدعوى فيخرج الخارق المكذب للمتحدى به كما وقع لمسيلمة اللعين انه تفل فى بئر ليكثر ماؤها فغار ودعا لشخص أعور فعميت عينه الصحيحة فيسمى استدراجا واذلالا واهانة و يخرج به أيضا ما اذا قال معجزتى نطق هذا الحجر فنطق بانه مفتر كذاب بخلاف ما اذا قال احياء هذا الميت فنطق بانه كاذب لان المعجزة فى احيائه وهو بعده مختار قدم الكفر على الايمان وقد يظهر الخارق على يد عامى تخليصا له من فتنة و يسمى معونة واحترز بقيد عدم المعارضة عن السحر والشعبذة فانه يمكن معارضتهما بتعلمهما ثم ان قيد التحدى لا بد منه لكن لا يشترط عند كل معجزة لان أكثر معجزاته صلى الله عليه وسلم صدر من غير تحد بل قيل لم يتحد بغير القرآن وتمنى الموت وانما الشرط وقوعها أى المعجزة ممن سبق منه دعوى التحدى فتأمل ذلك ليندفع به ما أطال به النقاش فى تفسيره من ابطال اشتراط ذلك وتزييفه ولا يرد ما سيقع على يد الدجال من الخوارق العجيبة لانه مدع للربوبية لا الرسالة وقد دلت القواطع على كذبه وان ظهور ذلك على يديه لمحض الفتنة لا غير وقد علم مما سبق اشتمال التعريف بالعناية على القيود السبعة التى اعتبرها المحققون فى المعجزة أولها أن تكون فعلا لله تعالى أو ما يقوم مقامه كالترك ليتصور كونه تصديقا منه تعالى للآتى به وثانيها أن تكون خارقا للعادة اذ الاعجاز دونه وثالثها أن يكون ظهوره على يد مدعى النبوة ليعلم انه تصديق له ورابعها أن يكون مقارنا للدعوى حقيقة أو حكما بان تراخى المتحدى عن زمان الخارق تراخيا يسيرا بحيث لا يعده العرف منفصلا منه وخامسها ان يكون موافقا للدعوى اذ المخالف لا يعد تصديقا كفلق الجبل عند دعوى مدعى الرسالة ان معجزته فلق البحر حيث عين الخارق وسادسها أن لا يكون مكذبا له ان كان ممن يعتبر تكذيبه كقوله معجزتى نطق هذا الجماد فنطق بانه مفتر كذاب فانه يدل على كذبه بخلاف ما اذا قال معجزتى نطق هذا الانسان الميت أو احياؤه فحيى وشهد أنه مفتر كذاب لانه لا يدل على كذبه لان المعجزة انما هى نطقه أو احياؤه و بعد ذلك هو مكلف مختار فربما اختار الكفر على الايمان كما سلف وسابعها ان تتعذر معارضته الا من نبى مثله فان هذا هو حقيقة

بالرسل عليهم الصلاة والسلام التصديق بما جاؤا به عن الله تعالى وقدمت الملائكة على الرسل اتباعا للترتيب الوجودى فان الملائكة مقدمة فى الخلق أو للترتيب الواقع فى تحقيق معنى الرسالة فان الله تعالى أرسل الملائكة الى الرسل • واعلموا ان أنبياء الله ورسله خير الخلق اصطفاهم واختارهم وعصمهم وارتضاهم وجعلهم أمناء على دينه وتوحيده وجعلهم بركة وأمناء لخلقه فى أرضه وجعلهم شفعاء مرضيين مقبولين الشفاعة وهم الرحمة وبهم ترحم أهل الارض صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعددهم مائة ألف نبى وأربعة وعشرون ألف نبى وورد غير ذلك أولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وأولو العزم منهم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقد نظم أسماءهم بعض الفضلاء على ترتيبهم فى الفضل فقال

محمد ابراهيم موسى كليمه
فعيسى فنوح هم أولوا العزم فاعلم

(قوله واليوم الآخر) هو يوم القيامة ومعنى الايمان به التصديق بوجوده وبجميع ما اشتمل عليه وسمى آخرا لانه آخر أيام الدنيا وآخر الازمنة المحدودة وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى فى الختام (قوله وتؤمن بالقدر خيره وشره) ومعنى الايمان به أن تعتقد أن الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وان جميع الكائنات بقضاء الله تعالى وقدره وهو مريد لها ويكفى اعتقاد جازم بذلك من غير نصب برهان (نكتة) كان السلف الصالح رضى الله عنهم يجيبون من سألهم عن القضاء والقدر بأن يقولوا أن تعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وقد سأل سائل الامام عليا رضى الله عنه عن

الاعجاز زاد بعضهم ثامنا وهو أن لا يكون الخارق واقعا فى زمان نقض العادات فما يقع عند قيام الساعة وفيها لا يعد معجزة ثم ان هذه الشروط جميعها موجودة فى القرآن فكان معجزة لانه صلى الله عليه وسلم دعاهم الى معارضته بالاتيان بمثله فعجزوا ثم بعشر سور فعجزوا ثم بالاتيان بمثل اقصر سورة منه فعجزوا ثم نادى بذلك على جميع البلغاء والفصحاء من العرب العرباء مع كثرتهم كثرة رمال الدهنا وحصى البطحاء وشهرتهم بانهم فرسان الفصاحة وشجعان البلاغة وافراطهم فى العصبية وحمية الجاهلية فعجزوا حتى انهم آثروا مقارعة السيوف على معارضة الالفاظ والحروف ووجه اعجازه كما قال الجمهور كونه فى الطبقة العليا من الفصاحة والدرجة القصوى من البلاغة على ما يعرفه فصحاء العرب بسليقتهم وعلماء العرب بمهارتهم فى فن البيان واحاطتهم بأساليب الكلام هذا مع اشتماله على الاخبار عن المغيبات الماضية والآتية وعلى دقائق العلوم الالهية وأحوال المبدا والمعاد ومكارم الاخلاق والارشاد الى فنون الحكمة العلمية والعملية والمصالح الدينية والدنيوية على ما يظهر للمتدبرين ويتجلى على قلوب المتفكرين ومما يدل على ان فصحاء العرب انما تقاعدوا عنه لخروجه فى فصاحته وبلاغته عن طاقتهم انهم كانوا اذا سمعوه تعجبوا من حسن نظمه وبلاغته وفصاحته وسلامته وجزالته ويرقصون رؤسهم عند سماعه حتى ان أعرابيا سجد عند سماع قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وقالت جارية خماسية أو سداسية من فصحاء العرب للاصمعى لما رأته تعجب من فصاحة حديثها أو يعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه الآية فقد جمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين وقال بعض بطارقة الروم بعد اسلامه لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان آية من القرآن جمعت كل ما أنزل على عيسى من أحوال الدنيا والآخرة وهى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية وستأتى هذه بأتم من هذا فى شرح قوله بجوامع الكلم •(المستمرة)• أى الدائمة وفى بعض النسخ المستمر وصفا له باعتبار لفظه •(على تعاقب)• أى توالى •(السنين)• تشهد بصدق دعواه فيما جاء به وترشد الى الايمان به فى كل زمان وأما من قبله من الانبياء فخصه الله تعالى من المعجزات بما ثبتت به دعواه بحسب زمانه فاذا انقضى زمانه انقضت معجزته كقلب العصا حية واخراج اليد بيضاء فى زمن موسى لان الغلبة فيه كانت بالسحر فأتاهم بما فوق ذلك وفى زمن سليمان بالملك فأتاهم بملك لم ينله غيره وفى زمن عيسى بالطب فأتاهم بما هو أبهر منه أعنى احياء الموتى وفى حديث البخارى ما من نبى الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله تعالى الى وفى معناه قولان غير متنافيين يرجع حاصلهما الى ان معجزات الانبياء انقرضت بانقراض أعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصى موسى وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيشاهدها كل من جاء بعد الاول وانما كانت أكثر معجزات الامم السابقة حسية لبلادتهم وأكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم •(والمكرم بالسنن)• جمع سنة فعلة بمعنى مفعولة وهى لغة الطريق القويمة يقال فلان على السنة أى على طريق الاستواء لا يميل الى شئ من الاهواء واصطلاحا أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله والمراد بها هنا ما سنه أو شرعه صلى الله عليه وسلم من الاحكام فرضا كان أو نفلا من سن الماء يسنه اذا والى صبه فكان اجراؤه على نهج واحد أو من سننت النصل اذا أحددته أو من سن الابل اذا أحسن رعيها وتطلق السنن أيضا على الامم قال بعضهم

القضاء والقدر فاعرض عنه ثم سأله فاعرض عنه الى أن سأله الرابعة فاقبل عليه فقال لما خلق الله تعالى خلقك كيف يشاء أم كيف تشاء فقال بل كيف يشاء قال فيميتك كيف يشاء أم كيف تشاء قال بل كيف يشاء قال فيميتك كيف يشاء أم كيف تشاء قال بل كيف يشاء قال فيبعثك يوم القيامة كيف يشاء أم كيف تشاء قال بل كيف يشاء قال فيحاسبك كيف يشاء أم كيف تشاء قال بل كيف يشاء قال اذهب فليس لك من الامر شئ ومعنى خير القدر وشره أن الايمان والطاعة وجميع الاعمال الصالحة من خير القدر وان الكفر والمعصية والمخالفة وجميع أفعال المعاصى من شر القدر وفى رواية حلوه ومره فحلو القدر ما لاءم الطبع ووافق النفس كالتنعم والتلذذ بجميع الملاذ كالعافية والمأكل والمشرب والمنكح ومر القدر جميع ما نفر الطبع وخالفه كالآلام والاسقام والامراض والاوجاع والجوع والعطش والخوف فكل ماذكر يجب الايمان به (تنبيه) جاء فى رواية الترمذى تقديم السؤال عن الايمان على السؤال عن الاسلام قال بعضهم وهو أولى مما هنا اذ السنة مبينة لكتاب الله عز وجل فالاولى بالتقديم الايمان لموافقته لكتاب الله عز وجل بدليل قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون قدم فيها الايمان على الاسلام وغير ذلك من الآيات كقوله عز وجل فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات اذ فيه تقديم التوحيد الذى هو من قبيل الايمان على الاستغفار الذى هو من قبيل الاسلام (قوله قال صدقت) تقدم الكلام عليها

ماعاين الناس من فضل كفضلهم • ولا رأوا مثلهم في سالف السنن

ونازع الزجاج في ذلك وقال في المعنى أهل السنن فحذف المضاف •(المستنيرة)• أي ذات النور المكنى به عما تضمنته واشتملت عليه من هداية العالمين وايقاظ الغافلين بخلاف غير المستنيرة كالبدع فانها تشبه بالظلمات لما يتخيل فيها من سواد وظلام أو هو للايضاح تشبيها لها بالوضوح واهتداء الناس بها وظهور أحكامها بذات النور لما يتخيل فيها من بياض واشراق ثم ان استنارتها وان ظهرت لكل أحد الا انها لا تتضح كمال الاتضاح الا •(للمسترشدين)• جمع مسترشد وهو طالب الرشاد ضد الغي •(المخصوص)• من الله تعالى عن سائر الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام •(بجوامع الكلم)• من اضافة الصفة للموصوف أي الكلم الجوامع كما في خبر مسلم أوتيت جوامع الكلم وفي خبر الصحيحين بعثت بجوامع الكلم وفي خبر أحمد أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه وتخصيص الهروي جوامع الكلم بالقرآن مردود وجوامع واحدها جامعة والمراد انه يجمع القليل من كلامه ما يغني عن الكثير من كلام غيره كقوله فيما سيأتي انما الاعمال بالنيات وقوله ان تعبد الله كأنك تراه وقوله لمن سأله الوصية لا تغضب وقوله اتق الله حيث ما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وقوله ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه وقوله الناس كأسنان المشط والمرء كثير بأخيه والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ما هلك امرؤ عرف قدره رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم جبلت القلوب على حب من أحسن اليها الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ليس الخبر كالمعاينة اليد العليا خير من اليد السفلى ما قل وكفى خير مما كثر وألهى البلاء موكل بالمنطق وزعم ابن الجوزي وضعه مردود جمال الرجل فصاحة لسانه الحياء خير كله الدال على الخير كفاعله كل معروف صدقة حبك للشيء يعمي ويصم وليس بموضوع بل حسن خلافا لمن وهم فيه ما جمع شيء الى شيء أحسن من حلم الى علم زر غبا تزدد حبا القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم النساء حبائل الشيطان الظلم ظلمات يوم القيامة وجوز ابن حبيب أن يكون المراد بجوامع الكلم ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يكلم كل قبيلة بلسانها وان لم يكن رآها قبل وجنح ابن العربي الى غير ذلك فقال اعلم أن آدم عليه الصلاة والسلام حامل للاسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم حامل لمعاني تلك الاسماء التي حملها آدم وهي المراد بحديث أوتيت جوامع الكلم ثم قال فعلم ان من حصل الذوات فالاسماء تحت حكمه وليس كل من حصل الاسماء يكون المسمى محصلا عنده ولذلك فضلت الصحابة علينا لانهم حصلوا الذات وحصلنا نحن الاسم ولما راعينا الاسم مراعاة الذات ضوعف لنا الاجر والمشهور الاول ومن القرآن قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي زاد الحسن لم تترك هذه الآية خيرا الا أمرت به ولا شرا الا نهت عنه وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما هو نائم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رجل من بطارقة الروم عند رأسه وهو يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال له عمر ما شأنك قال أسلمت لله قال هل لذلك سبب قال نعم اني قرأت التوراة والانجيل والزبور وكثيرا من كتب الانبياء فسمعت أسيرا يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما في الكتب المتقدمة فعلمت أنه من

(قوله قال فأخبرني عن الاحسان) يعني به الاخلاص لانه فسره بما معناه ذلك ويجوز ان يعني به اجادة العمل من أحسن في كذا اذا أجاد فعله وهذا التفسير أخص من الاول وهو السؤال عن الحقيقة كالذي قبله ليعلمه الحاضرون (قوله قال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لانه شمل مقام المشاهدة ومقام المراقبة بيان ذلك وايضاحه ان للعبد في عبادته ثلاث مقامات الاول ان يفعلها على الوجه الذي يسقط معه الطلب بأن تكون مستوفية للشروط والاركان الثاني ان يفعلها كذلك وقد استغرق في بحار المكاشفة حتى كأنه يرى الله تعالى وهذا مقامه صلى الله عليه وسلم كما قال وجعلت قرة عيني في الصلاة الثالث ان يفعلها كذلك وقد غلب عليه ان الله تعالى يشاهده وهذا هو مقام المراقبة فقوله فان لم تكن تراه نزول عن مقام المكاشفة الى مقام المراقبة أي ان لم تعبده وأنت من أهل الرؤية فاعبده وأنت بحيث تعتقد أنه يراك فكل من المقامات الثلاثة احسان لان الاحسان الذي هو شرط في صحة العبادة انما هو الاول لان الاحسان في الاخيرين من صفة الخواص ويتعذر من كثير • وهنا نكتة لطيفة (حكى) عن بعض أهل الطريق أنه ذكر هذا الحديث يوما فقال اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه ثم وقف وهي اشارة صوفية أي انك ان أفنيت نفسك ولم ترها شيئا شاهدت ربك لانها حجاب دونه فاذا ألقيت الحجاب شاهدت الجناب وهذا يشبه ما حكي عن بعضهم أنه قال رأيت رب العزة في المنام فقلت يا رب كيف الطريق اليك

عند الله فأسلمت قال ما هذه الآية قال قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية فقال عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم ولبعضهم • وجوامع الكلم التي فتحت له • سجدت لها البلغاء والاقلام • أي خضعت •(وسماحة الدين)• لقوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحاء أي السهلة لخلوها عن التكاليف الشاقة التي كانت على اليهود كتعين القصاص في القتل عمدا كان أو خطأ ولا تجزي الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وفقء العين في النظر الى ما لا يحل وقتل النفس في التوبة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وربع المال في الزكاة واسترقاق السارق للمسروق منه وتحريم الغنائم ومجالسة الحائض ومؤاكلتها ومضاجعتها والاشتغال يوم السبت واذا أذنب أحدهم حرم عليه أكل الطيب بتشديد المثناة التحتية من الطعام وأصبح ذنبه مكتوبا على بابه فبعدو خلوها عن التفريط المفرط المفوت لمحاسن الآداب الذي كان في النصرانية من نحو مخامرة النجاسة وجماع الحائض وتعيين العفو عن القود والمراد بالحنيفية الملة الابراهيمية مقتبسا من قوله تعالى ملة ابراهيم حنيفا والحنيف عند العرب من كان على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم سموا من اختتن وحج البيت حنيفا والحنيف المائل عن الباطل الى الحق سمي ابراهيم عليه السلام حنيفا لانه مال عن عبادة الاوثان والسمحاء في الحديث صفة الحنيفية ومعناها السهلة والملة السمحاء هي الملة التي لا حرج فيها ولا تضييق على الناس وهي ملة الاسلام وجمع كونها حنيفية وكونها سمحة فهي حنيفية في التوحيد سهلة في العمل ولما صلى وسلم على جميع الرسل عموما أعادهما عليه صلى الله عليه وسلم خصوصا ثم على الانبياء والرسل عموما فقال (صلوات الله وسلامه عليه) اظهارا لعظمته وأداء لبعض ما يجب له صلى الله عليه وسلم اذ هو الواسطة بين الله وبين العباد وجميع النعم الواصلة اليهم التي أعظمها الهداية للاسلام انما هي ببركته صلى الله عليه وسلم وعلى يديه وامتثالا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما واغتناما للثواب الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له وفي رواية تصلي عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب قال الشيخ أحمد زروق يحتمل أن يكون المراد كتب وهو أظهر أو قرأ الصلاة المكتوبة وهو أوسع وأرجى اه وذكر بعض شيوخنا ان صوره أربع وان الفضل المذكور يحصل لمن كتب ذلك أو قرأه ان كان مكتوبا وأما من صلى عليه باللفظ في كتاب ولم يكتبه ولم يكن مكتوبا فيه فانه لا يحصل له الفضل المذكور وهو ظاهر ويدل له قوله ما دام اسمي الخ اذ هو في هذه الحالة لم يدم اسمه في ذلك الكتاب فتأمله ويفهم مما ذكر انه لو جمع بين الكتابة والصلاة لفظا يحصل له الفضل المذكور بالاولى فان قيل لم أكد سلموا دون صلوا في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قيل لتأكيدها بان ولتقدم ذكر الصلاة من الله والملائكة أولا ولان الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار وذلك واقع منهم بلا تردد وأما البشر فلما صدر من بعضهم ما صدر من أذيته وتنقيصه أمروا مع الصلاة بالتسليم من النقائص والانقياد وأكد لوقوع الانكار والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة في العمر مرة كالشهادتين والذي يظهر ان حكم السلام في الوجوب في العمر مرة حكم الصلاة كما قاله أبو عبد الله محمد الرصاع •(تنبيه)• قال ابن الجوزي في مفتاح الحصن وأما الجمع بين الصلاة والسلام فهو الاولى والاكمل والافضل لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة فقد جرى عليه جمع منهم مسلم في صحيحه وهلم جرا حتى الامام الشاطبي في قصيدته اللامية والرائية قال وقول

قال خل نفسك وتعال • وقيل وأوحى الله تعالى الى بعض الصديقين عاد نفسك فليس في المملكة من ينازعني غيرها (قوله قال فأخبرني عن الساعة) أي عن وقت القيامة وسميت بذلك لسرعة قيامها أو لانها عند الله تعالى كساعة وليس السؤال عن وقت مجيئها ليعلمه الحاضرون كالمسؤول عنه في الاسئلة السابقة اذ هو مقطوع بأنه تعالى مخصوص به بل لينزجروا عن السؤال عنها فانهم أكثروا منه كما قال الله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها فلما وقع الجواب بأنه لا يعلمها الا الله تعالى كفوا عن ذلك (قوله قال ما المسؤول عنها) أي عن وقتها بأعلم من السائل أي أنت لا تعلمها وأنا لا أعلمها فالمراد التساوي في نفي العلم بوقتها لا التساوي في العلم بوقتها (قوله قال فأخبرني عن أماراتها) بفتح الهمزة أي علاماتها وربما روي أماراتها بالجمع وأما الامارة بالكسر فالولاية والمراد علاماتها السابقة عليها ومقدماتها لا المقارنة المضايقة لها كطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة فلذا قال (أن تلد الامة ربتها) وفي رواية ربها واختلف في معناه على أقوال أصحها انه اخبار عن كثرة السراري وأولادهن وان ولدها من سيدها بمنزلة سيدها لان مال الانسان صائر الى ولده وقد يتصرف فيه في الحال تصرف المالكين اما بالاذن أو بقرينة الحال أو عرف الاستعمال وعبر بعضهم بأن يستولي المسلمون على بلاد الكفار فتكثر السراري فيكون ولد الامة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه بأبيه ثانيها أن معناه أن الاماء تلد الملوك فتكون أمه من جملة رعيته اذ هو سيدها ثالثها أن معناه أن تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الاولاد

النووى وقد نص العلماء على كراهة الاقتصار على الصلاة عليه من غير تسليم اه لا أعلم أحدا نص على ذلك من العلماء ولا من غيرهم وذكر شيخنا أبو الفضل ابن الخطيب ان الشافعى اقتصر على الصلاة دون التسليم فى خطبة الرسالة وكذا الشيخ أبو اسحاق الشيرازى فى تنبيهه وكذا النووى فى خطبة عقيدته اه من أذكار الشامى وقال الحطاب فى شرح خطبة المختصر شاع فى كلام كثير من العلماء كراهة افراد الصلاة عن السلام وعكسه وممن صرح بالكراهة المؤلف قال السخاوى فى القول البديع وتوقف شيخنا يعنى الحافظ ابن حجر فى اطلاق الكراهة وقال فيه نظر نعم يكره ان يفرد الصلاة ولا يسلم أصلا أما لو صلى فى وقت وسلم فى وقت فانه ممتثل اه ويتأكد عما فى خطبة مسلم والتنبيه وغيرهما من مصنفات أئمة السنة من الاقتصار على الصلاة فقط وقال قبله استدل بحديث كعب وغيره على أن افراد الصلاة عن السلام لا يكره وكذا العكس لان تعليم السلام تقدم قبل تعليم الصلاة اه المراد منه وقال بعض شيوخنا وقع فى كتب أهل المذهب للمتقدمين وقوعا شائعا ذكر السلام دون الصلاة عليه حتى أخبرنى من يوثق به أنه رأى نسخة من المنتقى بخط الباجى لم يذكر فيها سوى السلام فى كل محل ذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدل على عدم كراهة افراد السلام عن الصلاة خطأ واذا كان لا يكره افراد السلام فافراد الصلاة أولى لان الصلاة واجبة قطعا وجرى خلاف فى وجوب السلام وتقدم فى كلام السخاوى ان اقتصار مسلم وصاحب التنبيه وغيرهما على كتابة الصلاة فقط يدل على قدم كراهة الافراد (وعلى سائر) بمعنى باقى كما قاله الازهرى والحريرى والقاضى عبد الوهاب والشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد وابن الصلاح من السؤر وهو بقية نحو الماء وهو المشهور فيها الذى عليه الاكثر واختلفوا هل هو الباقى مطلقا قل أو كثر أو الباقى الاقل والاول هو الصحيح وبمعنى الجميع كما قاله الجوهرى والجواليقى وابن برى من سور المدينة وهو حائط محيط بها وعليه قول القائل

ألزم العالمون حبك طرا ❊ فهو فرض فى سائر الاديان

(النبيين) جمع نبىء بالهمز من النبأ وهو الخبر لانه مخبر بفتح الباء عن الله بما يوحى اليه أو بنبوته وبكسرها على ما قاله بعضهم لانه يخبر عن نفسه بذلك ولقول بعضهم انه يجب عليه أن يخبر غيره بنبوته وان نظر فيه وبترك الهمز وهو الاكثر اما مخففا من المهموز بقلب همزته ياء واما من النبوة وهى الرفعة لان النبى مرفوع الرتبة على غيره من الخلق وبعضهم رجح هذا (والمرسلين) وأسماء الانبياء كلها أعجمية الا أربعة محمد وشعيب وهود وصالح قال التتائى فى شرح الرسالة القيروانية وزاد ابن ناجى اسمعيل وفيه نظر اذ لفظ اسمعيل أعجمى نعم الانبياء كلهم عجم الا خمسة محمد واسمعيل وهود وصالح وشعيب والحاصل أن محمدا وهودا وصالحا وشعيبا ذواتهم عربية وكذا أسماؤهم وأما اسمعيل فذاته عربية واسمه أعجمى (وآل) أصله أهل أبدلت الهاء همزة فتوالت همزتان فقلبت الثانية ألفا ويدل له تصغيره على أهيل كذا قيل وهو غير متجه اذ يجوز أن يكون أهيل تصغير أهل لا تصغير آل وقيل أصله أول بفتح الواو تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ولا يضاف الا لمن له شرف من العقلاء الذكور فلا يقال آل الاسكاف ولا آل مكة ولا آل فاطمة وأما قوله تعالى أدخلوا آل فرعون الآية فلشرفه الدنيوى كذا قيل والحق أن القيود كلها أغلبية لقولهم آل الله وآل البيت وقول عبد المطلب

وانصر على آل الصليب ❊ وعابديه اليوم آلك

والصحيح جواز اضافته للضمير ومنه حديث اللهم صل على محمد وعلى آله وقول عبد المطلب المتقدم (كل) أى كل واحد من النبيين بحذف المضاف اليه لدلالة السياق عليه والذى

فى آخر الزمان فيكثر ترددها فى أيد المشترين حتى (٣٦) يشتريها ابنها من غير علم أنها أمه ومن ذلك ان يكثر العقوق فى الاولاد فيعامل الولد أمه بما يعامل السيد أمته من الاهانة والسب ويشهد لذلك حديث أبى هريرة المرأة مكان الامة وحديث لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا وقيل هو كناية عن رفع الاسافل لان الامة اذا ولدت من سيدها ارتفعت منزلتها ويشهد لهذا المعنى حديث لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع وقيل غير ذلك (قوله وان ترى الحفاة) بالمهملة جمع حاف وهو من لا نعل فى رجله (قوله العراة) جمع عار وهو من لا شئ على جسده (قوله العالة) بفتح اللام المخففة جمع عائل وهو الفقير والعيلة الفقر (قوله رعاء الشاء) بكسر الراء والمد جمع راع وأصل الرعى الحفظ والشاء الغنم وخصهم بالذكر لانهم أهل البادية (قوله يتطاولون فى البنيان) أى يتباهون فى ارتفاعه والقصد من الحديث الاخبار عن تبدل الحال وتغيره بأن يستولى أهل البادية والفاقة الذين هذه صفاتهم على أهل الحاضرة ويتملكون بالقهر والغلبة فتكثر أموالهم ويتسع فى الحطام آمالهم فتنصرف هممهم الى تشييد البنيان وقد جاء فى الحديث لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع كما مر وجاء اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظروا الساعة وهذا مشاهد فى زماننا وفيه دلالة على كراهية ما لا تدعو الحاجة اليه من تطويل البناء وتشييده وجاء فى الحديث يؤجر ابن آدم على كل شئ الا ما يضعه فى هذا التراب ومات النبى صلى الله عليه وسلم ولم يضع حجرا على حجر ولا لبنة على لبنة

اختاره

اختاره الامام مالك والازهرى ورجحه النووى فى شرح مسلم ان آله صلى الله عليه وسلم أتباعه وهم أمة الاجابة وهو اللائق بمقام الدعاء لكن قيده القاضى حسين وغيره بالاتقياء منهم ويؤيده قوله تعالى ان أولياؤه الا المتقون قيل فيحمل كلام من أطلق عليه وقيل يبقى على اطلاقه بأن يراد بالصلاة الرحمة المطلقة وخبر آل محمد كل تقى سنده واه جدا وروى عن جابر من قوله بسند ضعيف وجرى فيه خلاف فى بابى الزكاة والفئ والمشهور من مذهبنا اختصاصهم فيهما بأقاربه المؤمنين من بنى هاشم وزاد الشافعية والمطلب (وسائر الصالحين) وهم القائمون بحقوق الله تعالى وحقوق العباد فدخل الصحابة كلهم لثبوت وصف الصلاح والعدالة لجميعهم ودخل غيرهم ممن اتصف بذلك جعلنا الله تعالى منهم آمين كذا فى الشارح الهيتمى وأيضا الصحابة داخلون فى آله سواء فسرناه بمطلق أتباعه أو بالاتقياء منهم ❊ تتمة ❊ فى منع الصلاة على غير الانبياء والملائكة استقلالا وكراهتها وكونها خلاف الاولى خلاف والاصح الكراهة وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبى أوفى فهو من خصائصه وأما تبعا كما هنا فجائزة اتفاقا (أما بعد) أى بعد البسملة والحمدلة والتشهد والصلاة والسلام على من تقدم وأتى بها تأسيا به صلى الله عليه وسلم لانه كان يأتى بها فى خطبه وكتبه وهى يؤتى بها للانتقال من اسلوب الى آخر وأصلها مهما يكن من شئ بعد البسملة والحمدلة وما معهما فأقول قدر وبنا الخ فوقعت كلمة أما موقع اسم هو المبتدأ وفعل هو الشرط وتضمنت معناهما فلتضمنها معنى الشرط لزمتها الفاء اللازمة للشرط غالبا ولتضمنها معنى الابتداء لزمها لصوق الاسم اللازم للمبتدا قضاء لحق ما كان وابقاء له بقدر الامكان قاله فى المطول وقوله غالبا قيد لقوله اللازمة للشرط لا لقوله لزمتها الفاء لان لزوم الفاء لأما كلى اذ لا تحذف من جزائها الا فى ضرورة الشعر كقوله

❊ فاما القتال لا قتال لديكم ❊ وقوله لزمها لصوق الاسم يرد عليه قوله تعالى فاما ان كان من المقربين الآية والجواب ان فى الكلام حذف مضاف أى فاما المتوفى ان كان الخ كما اختاره صاحب الكشاف وأما الجواب بأن الرضى وصاحب المغنى جوزا وقوع الشرطية بعدها فلا يتم وأما هذه حرف شرط وتوكيد دائما وتفصيل غالبا وبعد ظرف مبنى على الضم كغيره من الظروف المقطوعة عن الاضافة لمشابهة الحرف لاحتياجه الى معنى ذلك المحذوف وانما بنيت على حركة تنبيها على أن لها عرقا فى الاعراب وعلى الضم جبرا بأقوى الحركات لما لحقها من الوهن بحذف ما يحتاج اليه وليكمل لها جميع الحركات لانها فى الاعراب كانت اما مجرورة بمن أو منصوبة على الظرفية أو لتخالف حركة بنائها حركة اعرابها واختلف فى أول من تكلم بها فقيل داود عليه الصلاة والسلام وهو الاشهر وهى فصل الخطاب الذى أوتيه لانها تفصل بين المقدمات والمقاصد والخطب والمواعظ وقيل أول من تكلم بها يعقوب وقيل أيوب وقيل سليمان وقيل قس بن ساعدة الايادى وقيل كعب بن لؤى وقيل يعرب بن قحطان وقيل سحبان بن وائل وعليها فصل الخطاب الذى أوتيه داود البينة على المدعى واليمين على من أنكر لكن القول بان أول من تكلم بها سحبان فيه نظر لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقولها فى خطبه وهو قبل سحبان اجماعا اذ سحبان كان فى زمن معاوية وأجيب بأن المراد أول من قالها بعد النبى صلى الله عليه وسلم وصحة هذا الجواب تتوقف على أنها لم تصدر من أصحابه بعده ولا من غيرهم الى زمن سحبان والظن خلاف ذلك لما علم من كمال محافظتهم على الاقتداء به فى نحو ذلك والاولى فى الجواب انه أول من تكلم بها فى الشعر كقوله

(قوله ثم انطلق) أى الرجل السائل عما ذكر (فلبث النبى صلى الله عليه وسلم) (٣٧) اى استمر ساكتا عن الكلام فى هذه القضية (مليا) بتشديد الياء أى زمانا كثيرا وجاء فى رواية فلبثت بتاء مضمومة فيكون عمر هو المخبر عن ذلك بنفسه وكان ذلك الزمن بعد ثلاث كما جاء فى رواية أبى داود والترمذى وغيرهما (قوله ثم قال يا عمر أتدرى من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) أى قواعد دينكم ففيه اشارة الى أن الدين اسم للثلاثة الاسلام والايمان والاحسان وفهم منه أنه يستحب للمعلم تنبيه تلامذته وللرئيس تنبيه أتباعه على قواعد العلم وغرائب الوقائع طلبا لنفعهم وفائدتهم ❊ (تنبيه) ❊ ظاهر هذا الحديث مخالف لحديث أبى هريرة رضى الله عنه فأدبر الرجل فقال عليه الصلاة والسلام ردوه على فأخذوا يردونه فلم يروا شيأ فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا جبريل فيحمل على أن عمر رضى الله عنه لم يحضر قوله هذا بل كان قام عن المجلس فأخبر به بعد ثلاثة أيام ❊ (خاتمة المجلس) ❊ اعلم ان جبريل عليه السلام ملك متوسط بين الله ورسله وهذا الاسم سريانى ومعناه عبد الله والخبر دال على أن الله تعالى شكل الملائكة بما شاؤا من الصور كما مر وقد كان جبريل يتمثل لنبينا صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبى وفى رواية ما جاءنى جبريل فى صورة لم أعرفه فيها الا فى هذه المرة قال ابن عادل رحمه الله روى أن جبريل عليه السلام نزل على آدم عليه السلام اثنتى عشرة مرة وعلى ادريس أربع مرات وعلى نوح خمس مرات وعلى ابراهيم اثنين وأربعين مرة وعلى موسى أربعمائة مرة وعلى عيسى عشر مرات

وعلى محمد صلى الله عليه وسلم أربعا وعشرين (٣٨) ألف مرة وقد وصف الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام بالقوة فقال

لقد علم القوم اليمانون انني • اذا قلت أما بعد انى خطيبها

و بعد ظارف زمان باعتبار النطق ومكان باعتبار الرقم • (فقد روينا) • قد للتحقيق وأتى بنون العظمة لاظهار نعمة التلبس بالعلم المتأكد تعظيم أهله امتثالا لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث مع الامن من الاعجاب ونحوه والا كان مذموما وأيضا العرب تؤكد فعل الواحد فتجعله بلفظ الجمع ليكون أثبت وأوكد وقد يقال النون ليست للعظمة بل للمتكلم مع غيره اشارة الى أن هذا الحديث قد تداولته الرواة الذين هو منهم طبقة بعد طبقة وانه متعارف مشهور بينهم لا تختص روايته به والرواية الاخبار عن أمر عام لا ترافع فيه الى الحكام ورويناه بفتح أوله مع تخفيف الواو المفتوحة عند الاكثرين من روى يروى اذا نقل عن غيره وقال جمع الاجود ضم الراء وكسر الواو مشددة أي من صيرونا رواة عنهم باجازتهم لنا • (عن علي) • أول من أسلم من الصبيان وله سبع سنين أو ثمان أو تسع أو عشر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى تبوك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان قال اما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدي وعنه انه قال انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وسلم حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس وصعد على منكبي فذهبت لانهض به فرأى مني ضعفا فنزل وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال اصعد على منكبي قال وضعت على منكبيه قال فنهض بي فانه يخيل الي أني لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال من صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه حتى اذا استمكنت منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقذف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نستبق حتى توارينا بالبيوت من خشية ان يلقانا أحد وعن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يذكرون أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب فقيل له يا رسول الله انه يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل على ساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم وكان له من الولد أربعة عشر ذكرا وتسعة عشر أنثى وعن الارقم انه قال رأيت عليا وهو يبيع سيفا له في السوق ويقول من يشتري مني هذا السيف فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان عندي ثمن ازار ما بعته وجاء رجل من مراد اليه وهو يصلي في المسجد فقال احترس فان اناسا من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه فان الاجل جنة حصينة واستشهد غداة الجمعة سنة أربعين من ضربة عبد الرحمن بن ملجم المرادي لسبع بقين من رمضان وقيل فيه لثلاثة عشرة بقين منه وقيل ليلة احدى وعشرين وقيل يوم الاحد وله ثلاث وستون سنة وغسله ابناه وعبد الله بن جعفر وصلى عليه ابنه الحسن ودفن في الصحراء عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي أبواب كندة قال الصغاني أو في قصر الامارة عند المسجد الجامع وغيب قبره ومدة خلافته خمس سنين الا ثلاثة أشهر

ونقش

عليه شديد القوى وكان من قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وكان من قوته ان صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين خامدين وكان هبوطه من السماء على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وصعوده اليها في أسرع من طرفة عين ويقال له الناموس كما في البخاري ومسلم (ولقد حكى) بعض العلماء في تصنيف له ان الله تبارك وتعالى أوحى الى جبريل عليه السلام أن اهبط الى البلاد الفلانية فاقلب عاليها سافلها فانه قد اشتد غضبي عليهم في هذه الليلة فقال جبريل سبحانك يا رب وأي ذنب فعلوا قال انه قد ركب فيهم في هذه الليلة سبعون ألف ذكر سبعين ألف فرج زنا قال فذهب الى تلك القرى وكانت سبعة مدائن فرفعها على خافية من جناحه حتى وصل بها الى عنان السماء وأراد أن يقلبها وكان لامرأة منهم عجين فقامت اليه ولها طفل نائم في المهد فلما ان وضعت يدها في العجين استيقظ الطفل من مهده وصاح فحارت المرأة في أمرها وماذا تفعل ويدها في العجين وولدها يصيح فقالت من عظم حرقتها تخاطب ولدها يا ولدي ان ربي سبحانه وتعالى من كرمه حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه قال فلما تكلمت المرأة بذلك سكن غضب الله عز وجل وقال لجبريل ضع القرى مكانها فانه قد سكن غضبي بمناجاة هذه المرأة لولدها فاني حليم لا أعجل بالعقوبة على من عصاني فكان الطفل سببا للشفاعة فيمن استحقوا العذاب وهم لا يعلمون اللهم ارض عنا ولا تغضب

علينا آمين آمين يا أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا (٣٩) محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ونقش خاتمه الله الملك وكنيته أبو الحسن وأبو تراب كناه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما وجده نائما في المسجد وقد علق التراب بجسمه فايقظه وقال له قم أبا تراب ولقب أيضا بحيدرة ومروياته خمسمائة وستة وثمانون حديثا • (ابن أبي طالب) • واسمه عبد مناف ابن عبد المطلب • (وعبد الله بن مسعود) • الهذلي صاحب سواك رسول الله صلى الله عليه وسلم وطهوره ونعليه توفي بالمدينة سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين أو سبعين سنة ومروياته ثمانمائة وثمانية وأربعون وسيأتي عند ذكر شيء من مناقبه • (ومعاذ) • بضم الميم وفتح المهملة وبالمعجمة • (ابن جبل) • بالتحريك ضد السهل الانصاري شهد معاذ بدرا وما بعدها وبعث الى اليمن قاضيا ومعلما مات في طاعون عمواس بالاردن سنة ثمان عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ومروياته مائة وسبعة وخمسون وسيأتي عند ذكر شيء من مآثره • (وأبي الدرداء) • بفتح المهملتين وسكون الراء عويمر بن زيد وقيل ابن عامر الانصاري الخزرجي كان فقيها عابدا زاهدا شهد المشاهد كلها وهو حكيم هذه الامة باخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم وسكن الشام وولاه عمر بن الخطاب القضاء بدمشق وكان أبو الدرداء يقول اطلبوا العلم فان عجزتم فاحبوا أهله فان لم تحبوهم فلا تبغضوهم وعنه أيضا رضي الله عنه تفكر ساعة خير من قيام ليلة وكتب الى مسلمة بن مخلد الانصاري أما بعد فان العبد اذا عمل بطاعة الله أحبه الله واذا أحبه الله حببه الى خلقه واذا عمل بمعصية الله أبغضه الله فاذا أبغضه الله بغضه الى خلقه وعنه أيضا استعيذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال ان يرى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع وقيل له لم لا تقول الشعر فانه ليس رجل له بيت في الانصار الا وقد قال شعرا قال وأنا قد قلته فاسمعوا فقال رضي الله عنه

يريد المرء ان يعطى مناه • ويأبى الله الا ما أراد
يقول المرء فائدتي ومالي • وتقوى الله أفضل ما استفادا

وعنه أيضا أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان فقدتهم فقدوك وان تركتهم لا يتركوك قالوا فكيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك ولما اشتكى دخل عليه أصحابه فقالوا ما تشتكي فقال ذنوبي قالوا فما تشتهي قال الجنة قالوا أفلا ندعو لك طبيبا قال هو الذي أضجعني ومات بدمشق سنة اثنين وثلاثين وقيل سنة احدى وثلاثين في خلافة عثمان ومروياته مائة وتسعة وعشرون (و) عبد الله (بن عمر) بن الخطاب الرجل الصالح بشهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان ألزم الناس متابعة للنبي صلى الله عليه وسلم في أفعاله وآدابه توفي بمكة سنة ثلاث أو أربع وسبعين ومروياته ألفان وستمائة وثلاثون وسيأتي عند ذكر شيء من مآثره (و) عبد الله (بن عباس) حبر الامة وعالمها وترجمان القرآن ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ومات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين سنة ومروياته ألف وستمائة وستون وسيأتي عند ذكر شيء مما يتعلق به (و) أبو حمزة (انس بن مالك) الانصاري مازحه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله يا ذا الاذنين وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر وانما لم يعد في البدريين لانه لم يكن في سن من يقاتل مات بالبصرة بعد ان عمر أكثر من مائة سنة وهو آخر من مات من الصحابة بها ومات سنة احدى أو اثنين أو ثلاث وتسعين ومروياته ألفان ومائتان وستة وثمانون حديثا وسيأتي عند ذكره ايراد شيء مما يتعلق به (وأبي هريرة) عبد الرحمن بن صخر الدوسي على الاصح في اسمه واسم أبيه قال الشافعي احفظ من

• (المجلس الثالث في الحديث الثالث) •

الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تكون سبب النعيم المؤبد وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله النبي المفضل المشرف المؤيد فهو حامد ومحمود وأحمد ومحمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ما ركع راكع وسجد آمين (عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان رواه البخاري ومسلم) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم رواه الامام البخاري في الايمان والتفسير والامام مسلم في الايمان والحج وقد اشتمل على أركان الاسلام فهو من قواعد الدين العظيمة (قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام) أي أسس وأصل البناء أن يكون في المحسوسات دون المعاني فاستعماله في المعاني من باب المجاز وقد جاء في غاية الحسن والبلاغة اذ جعل للاسلام قواعد وأركانا محسوسة وجعل الاسلام مبنيا عليها (قوله على خمس) أي خمس دعائم أي قواعد هي حاصل ما سيذكر (قوله شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) هذا هو الركن الاول من أركان الاسلام ولما كان الايمان هو تصديق القلب بكل ما علم بالضرورة أنه من دين

محمد صلى الله عليه وسلم وكان تصديق (٣٠) القلب أمرا باطنا لا اطلاع لنا عليه جعله الشارع منوطا بالشهادتين قال تعالى

روى الحديث فى دهره أبو هريرة وكان صاحب قيام وصيام يسبح فى اليوم اثنى عشر ألف تسبيحة ولى امارة المدينة ومات بها سنة سبع أو تسع وخمسين وله ثمان وستون سنة وأحاديثه المرفوعة خمسة آلاف وثلثمائة وستون حديثا وسيأتى عند ذكره شئ من أموره (وأبى سعيد الخدرى) بالمهملة نسبة الى خدرة قبيلة من الانصار مات سنة أربع وسبعين وله اربع وتسعون سنة ودفن بالبقيع ومروياته ألف ومائة وسبعون وسيأتى عند ذكره التعرض لشئ مما يتعلق به (من طرق كثيرات) روايات متنوعات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من) اسم شرط جازم (حفظ) أى نقل وان لم يحفظ اللفظ ولا عرف المعنى اذ به يحصل الانتفاع للمسلمين بخلاف حفظ ما لم ينقل اليهم قاله المصنف واعترض تفسيره الحفظ بما ذكر بأن البعث فى زمرة الفقهاء والعلماء يستدعى معرفة المعانى اذ لا يسمى فقيها عالما الا به وأجيب بأن حفاظ الاربعين تختلف درجاتهم فمنهم مقتصر على الرواية دون الدراية فهذا يحشر فى زمرة الفقهاء والعلماء لقوله صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو منهم فمن تشبه بالعلماء يكرم كما يكرمون وان لم يكن منهم حقيقة ومنهم من ضم الى الرواية الدراية بأن نقل الاحاديث وفهم ظواهر معانيها وفهمها لغيره فهذا يكتب فى زمرة العلماء ويحشر مع الشهداء ومنهم من فيه أهلية التخريج واستنباط الاحكام كالبخارى ومسلم وشبههما فهذا فقيه عالم حقيقة فيبعث يوم القيامة على ما مات عليه وأما جواب الشارح الهيتمى بأن بعث الحافظ فى زمرتهم لا يستدعى أنه مساو لهم بل يكفى أنه منسوب لهم نسبة ما الخ فهو غير ظاهر لان قوله فى بعض طرق الحديث كتب فى زمرة العلماء يأباه اذ الكتابة فى قوم تقتضى أنه منهم ولا يعترض على المصنف بأنهم فسروا الاحصاء فى حديث ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها كلها دخل الجنة بمن حفظها مستظهرا وبينوا الاستظهار بأن المراد قراءتها كلمة كلمة على سبيل الترتيل أو علمها وتدبر معانيها أو القيام بحقها والعمل بمقتضاها وجعلوا الاول للعوام والثانى للعلماء والثالث للاولياء لان القصد ثم التعبد باللفظ وهنا النفع المتعدى وهو لا يحصل بمجرد اللفظ بل بالنقل وصرح جمع منهم العلامة نجم الدين الطوفى بعدم الاكتفاء بالكتابة ولو مرارا وحينئذ فمن حفظها بقلبه ولم ينقلها لم يشمله الوعد وان كتبها فى عشرين كتابا ونظر فيه الهيتمى بأن كتابتها نقل لها اهـ والحفظ ضبط الشئ ومنعه من الضياع والانصاف أنه لا يدخل فى الوعد الا من حدث بأربعين له بها رواية أو نقلها لهم عن أحد دواوين المسلمين المعروفة المعول عليها والمرجوع لها على (أمتى) الامة فى الاصل الجماعة قال الاخفش هى فى اللفظ واحد وفى المعنى جمع وكل جنس من الحيوان أمة وفى الخبر لولا أن الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها والمراد بها هنا أمة الاجابة (أربعين حديثا) نصبه على التمييز وخص هذا العدد دون غيره لانه أقل عدد له ربع عشر صحيح وفى الحديث أدوا ربع عشر أموالكم من كل أربعين درهما درهم أى بشرط بلوغ الدراهم مائتى درهم اذ لا وجوب فى أقل من ذلك فدل حديث الزكاة على تطهير ربع العشر للباقى فكذلك العمل بربع عشر الاربعين حديثا يخرج باقيها عن كونه غير معمول به ولذا قال بشر الحافى يا أهل الحديث اعملوا من كل أربعين حديثا بحديث •(من)• تبعيضية •(أمر)• أى شأن •(دينها)• احترز به عن المتعلق بأمر دنياها فلا يكون بهذه المثابة •(بعثه الله فى زمرة) الزمرة الجماعة من الناس (الفقهاء) العارفين بالفروع الفقهية من الفقه وهو لغة الفهم (والعلماء) هو أعم مما قبله لانه يشمل المفسرين والمحدثين والفقهاء من العلم وهو صفة توجب تمييزا بين المعانى لا يحتمل النقيض ومن ثم قال النسفى استفتيت أبا

قولوا آمنا بالله وقال عليه الصلاة والسلام أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله رواه الشيخان وسيأتى ان شاء الله تعالى الكلام على معنى ذلك وعلى شئ من فضل لا اله الا الله فى محله (تنبيه) هل النطق بالشهادتين شرط لاجراء أحكام المؤمنين فى الدنيا من الصلاة عليه والتوارث والمناكحة وغيرها غير داخل فى مسمى الايمان أو جزء داخل فى مسماه قولان ذهب جمهور المحققين الى أولهما وعليه من صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من الاقرار فهو مؤمن عند الله وهذا أوفق باللغة والعرف وذهب كثير من الفقهاء الى ثانيهما وألزمهم الاولون بأن من صدق بقلبه فاخترمته المنية قبل اتساع وقت الاقرار بلسانه يكون كافرا وهو خلاف الاجماع على ما نقله الامام الرازى وغيره لكن يعارض دعوى الاجماع قول الشفاء الصحيح انه مؤمن مستوجب الجنة حيث أثبت فيه خلافا (قوله وأقام الصلاة) هذا هو الركن الثانى من أركان الاسلام والصلاة لغة الدعاء بخير وشرعا أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة وهى خمس فى كل يوم وليلة معلومة من الدين بالضرورة والاصل فيها قبل الاجماع آيات كقوله تعالى وأقيموا الصلاة أى حافظوا عليها دائما بكمال واجباتها وسننها وقوله تعالى ان الصلاة كانت

على المؤمنين كتابا موقوتا أى محتمة مؤقتة وأخبار كقوله صلى الله عليه وسلم فرض الله على أمتى ليلة

الحسن

الاسراء خمسين صلاة فلم أزل أراجعه وأسأله التخفيف حتى جعلها خمسا فى كل يوم وليلة (٣١) وقوله للاعرابى حين قال هل على غيرها

الحسن البكا الطبرى فيمن أوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء هل يدخل فيهم كتبة الحديث فكتب نعم كيف لا تدخل وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما وأسند أبو الحسن القابسى الى على بن الجعد جاء رجل الى سفيان الثورى فقال حلفت بالطلاق انى عالم فقال ان كان مستندك علم فلان وأبى فلان فقد حنثت وان كان عندك أربعون حديثا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت لم تحنث ولما كان البعث فى زمرة الفقهاء والعلماء لا يستلزم أن يكون منهم بين المراد بذكر الرواية الثانية بقوله (وفى رواية) ذكرها أبو نعيم فى الحلية (بعثه الله فقيها عالما وفى رواية أبى الدرداء وكنت له يوم) اليوم الشرعى من طلوع الفجر الى الغروب وليس مرادا وانما المراد منه القطعة من الزمان ومنه قول الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا • ويوم نساء ويوم نسر

(القيامة) مصدر قام يقوم ودخلها التأنيث للمبالغة وسميت بذلك لقيام الخلق من قبورهم وقيل غير ذلك (شافعا) من الشفاعة وهو سؤال الخير للغير والمراد هنا سؤال التجاوز عن الذنوب والجرائم (وشهيدا وفى رواية ابن مسعود قيل له ادخل من أى أبواب الجنة شئت وفى رواية ابن عمرو كتب فى زمرة العلماء) هذه الرواية مغايرة للرواية السابقة وهى بعثه الله فى زمرة الفقهاء والعلماء (وحشر فى زمرة الشهداء) جمع شهيد وهو قتيل المعركة سمى شهيدا لان الله وملائكته يشهدون له بالجنة يوم القيامة أو لشهادة ملائكة الرحمة له أو لشهادة حاله بصدق نيته أو لشهادته الحساب ولا يحاسب أو لان معه شاهدا وهو الدم لانه يبعث وجرحه ينفث دما أو لسقوطه على الشاهدة وهى الارض أو لانه يستشهد به يوم القيامة على الكفار وهى غير متباينة فيمكن اجتماعها الا ان الشهادة لا تختص بالقتل فى المعترك (واتفق الحفاظ) أى أكثرهم (على انه) أى الحديث المذكور (حديث ضعيف) قال ابن حجر وجمعت طرقه فى جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة وأما ذكر ابن الجوزى له فى الموضوعات فهو تساهل منه والصواب انه ضعيف لا موضوع فان قلت سلمنا عدم وضعه لكنه شديد الضعف والحديث اذا اشتد ضعفه لا يعمل به ولا فى الفضائل كما قاله ابن السبكى وغيره وحينئذ فكيف عمل به جمع من الائمة أتعبوا أنفسهم فى تخريج الاربعينيات اعتمادا عليه قلت لا نسلم انه شديد الضعف لانه هو الذى لا يخلو طريق من طرقه من كذاب أو متهم بالكذب وهذا ليس كذلك كما دل عليه كلام الائمة ولئن سلمنا ذلك فهم لم يعتمدوا فى ذلك عليه بل على ما سيذكره المصنف من الاحاديث الصحيحة وأما خبر من حفظ على أمتى حديثا واحدا كان له كأجر أحد وسبعين نبيا صديقا فهو موضوع قاله الشارح الهيتمى (وقد صنف العلماء رضى الله تعالى عنهم فى هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات) أى ولى بهم أسوة (فأول من) علمته (صنف فيه) أبو عبد الرحمن (عبد الله ابن المبارك) ابن واضح الحنظلى التميمى من تابع التابعين أحد الائمة الاعلام قال ابن مهدى الائمة أربعة سفيان ومالك وحماد بن زيد وابن المبارك وقال أحمد لم يكن فى زمن ابن المبارك أطلب للعلم منه وكان صاحب حديث حافظا وقال ابن معين ما رأيت من يحدث لله الا ستة منهم ابن المبارك وكان ثقة عالما مستثبتا صحيح الحديث وكان كتبه التى حدث فيها عشرين ألفا ولد سنة تسع عشرة ومائة وقيل سنة ثمان وتوفى منصرفا من الجهاد سنة احدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة وكان أبوه مملوكا لرجل من همدان (ثم محمد بن أسلم) بن سالم ابن زيد (الطوسى) بضم الطاء نسبة الى قرية من قرى بخارى (العالم الربانى) وصفه بذلك

قال لا الا أن تطوع وقوله لمعاذ لما بعثه الى اليمن أخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة وأما وجوب قيام الليل فنسخ فى حقنا وهل نسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم أكثر الاصحاب لا والصحيح نعم واختلف فى اشتقاق اسم الصلاة فقيل من الدعاء كما مر وقيل سميت بذلك من الرحمة وقيل من الاستقامة لقولهم صليت العود على النار اذا قومته فالصلاة تقيم العبد على طاعة الله تعالى وخدمته وتنهاه عن خلافه وقيل لانها صلة بين العبد وبين ربه وقيل غير ذلك قال الرافعى فى شرح المسند ان الصبح كانت صلاة آدم والظهر كانت صلاة داود والعصر كانت صلاة سليمان والمغرب كانت صلاة يعقوب والعشاء كانت صلاة يونس وأورد فى ذلك خبرا فجمع الله سبحانه وتعالى جميع ذلك لنبينا عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ولامته تعظيما له ولكثرة الاجور له ولامته وقد قال عليه الصلاة والسلام خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن فلم يضيع منهن شيأ استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم علم الايمان الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون هل يبقى ذلك من درنه شيأ

قالوا لا قال فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال عليه الصلاة والسلام ألا أدلكم على ما يمحو الله به

الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذالكم الرباط وقال صلى الله عليه وسلم يا أباهريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وأنشد

ألا في الصلاة الخير والفضل أجمع
لان بها الارقاب لله تخضع
وأول فرض في شريعة ديننا
وآخر ما يبقى اذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة
وكان كعبد باب مولاه يقرع
وكان لرب العرش حين صلاته
نجيا فيا طوبى له حين يخشع

قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة قام كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه فيا أيها الطامع في ثواب الجنان الخاطب من ربه الحور الحسان حافظ على صلواتك وحفها بالنوافل تنل في غدك أعلى المراتب والمنازل فقد قال عليه الصلاة والسلام ما من مسلم يسجد لله تعالى سجدة الارفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة. وروى ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا ان العبد اذا قام يصلي أتي بذنوبه فوضعت على رأسه أو على عاتقه فكلما ركع أو سجد تساقطت حتى لا يبقى منها شئ ان شاء الله تعالى والاحاديث عنه في فضل الصلاة أكثر من أن تحصى وسيأتي ان شاء الله تعالى في المجالس الآتية زيادات على ما بيناه هنا. قيل كانت رابعة العدوية تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول ما أريد بها ثوابا ولكن ليسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول للانبياء انظروا الى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة (قوله وايتاء الزكاة) هذا هو الركن الثالث من أركان الاسلام والزكاة في اللغة

لقول ابن خزيمة هو رباني هذه الامة لم ترعيني مثله والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون للدلالة على كمال الصفة وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وعن المبرد انه منسوب الى رباني الذي يربي الناس بالتعليم واصلاحهم وقال الصوفية انه الكامل من كل الوجوه في جميع المعاني وفي البخاري هو الذي يربي بصغار العلم قبل كباره وقال الشارح الهيثمي هو من أفضيت عليه المعارف الالهية فعرف ربه وعرف الناس بعلمه اهـ صنف المسند وجوده وكان من الثقاة الحفاظ والاولياء الابدال وأقدم شيخ له النضر بن شميل وكان شبيها بأحمد ابن حنبل توفي في المحرم سنة اثنين وأربعين ومائتين (ثم) محدث خراسان (الحسن) رحل البلدان وسمع وصنف وكان له كرامات كثيرة وتوفي في سنة ثلاث وثلثمائة (ابن سفيان) بتثليث السين (النسائي) بفتح النون نسبة الى نساء مدينة بخراسان صاحب المسند (وأبو بكر) محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي صاحب كتاب الشريعة والاربعين وله تآليف كثيرة كان عالما ثقة دينا حدث ببغداد ثم انتقل الى مكة واستطابها وقال اللهم أحيني في هذه البلدة ولو سنة فسمع هاتفا يقول له لم سنة ولكن ثلاثين سنة فلما كملت قيل له وفينا بالعهد فمات بمكة في المحرم سنة ستين وثلاثمائة (الآجري) بهمزة مفتوحة ممدودة (وأبو بكر محمد بن ابراهيم) بن علي كان ثقة عليا من حفظه (الاصفهاني) بكسر الهمزة وفتحها وبالفاء لا بالباء كذا في الهيثمي وقال السعد بالباء والفاء مع كسر الهمزة وفتحها والفتح أفصح وقال ابن رسلان نسبة الى أصفهان بلدة من بلاد فارس توفي في صفر بأصفهان سنة ست وستين وأربعمائة (و) أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي صاحب السنن والعلل والافراد وغير ذلك (الدارقطني) بفتح الراء نسبة الى دار القطن محلة كبيرة ببغداد قال الحاكم كان أوحد عصره في الحفظ والفهم والورع امام القراء والمحدثين لم يخلق على أديم الارض مثله وقال الخطيب كان فريد عصره وامام وقته وانتهى اليه علم الاثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال مع الصدق والثقة وصحة الاعتقاد قال رجاء بن محمد المعدل قلت للدارقطني هل رأيت مثل نفسك فقال قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم فألححت عليه فقال لم أر أحدا جمع مثل ما جمعت وقال أبو ذر الحافظ قلت للحاكم هل رأيت مثل الدارقطني فقال هو لم ير مثل نفسه فكيف أنا وكان عبد الغني اذا رأى الدارقطني قال أستاذي وقال القاضي أبو الطيب الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث وقال البرقاني أملى علي كتاب العلل من حفظه ولد في ذي القعدة سنة خمس أو ست وثلثمائة ومات لثمان خلون من ذي القعدة سنة خمس وثمانين فسنه سبع وسبعون سنة (و) أبو عبد الله (الحاكم) محمد بن عبد الله بن محمد بن رويه بن نعيم الضبي النيسابوري صاحب المستدرك والتاريخ وعلوم الحديث والمدخل والاكليل ومناقب الشافعي وغير ذلك ولد سنة احدى وعشرين وثلثمائة في ربيع الاول وكان يعرف بابن البيع رحل وسمع من نحو ألفي شيخ قال عبد الرحمن السلمي سألت الدارقطني أيهما أحفظ ابن منده أو ابن البيع فقال ابن البيع أتقن حفظا وقال ابن طاهر قلت لسعد بن علي أربعة من الحفاظ تعاصروا أيهما أحفظ قال من قال الدارقطني ببغداد وعبد الغني بمصر وابن منده بأصبهان والحاكم بنيسابور فسكت فألححت عليه فقال أما الدارقطني فأعلمهم بالعلل وعبد الغني بالانساب وأما ابن منده فأكثرهم حديثا مع معرفة تامة وأما الحاكم فأحسنهم تصنيفا دخل الحاكم الحمام بنيسابور ثم خرج فقال آه وقبض وهو متزر ولم يلبس قميصه وذلك في صفر سنة خمس وأربعمائة (وأبو نعيم) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق بن موسى بن مهران الاصبهاني أجاز له مشايخ الدنيا وله ست سنين قال الخطيب لم أر أحدا أطلق عليه

اسم

هي النمو والبركة وزيادة الخير وفي الشرع اسم لقدر مخصوص من مال مخصوص يصرف لأصناف مخصوصة بشرائط مخصوصة وسميت بذلك لان المال ينمو ببركة اخراجها ودعاء الآخذ ولانها تطهر مخرجها من الاثم وتمدحه حتى تشهد له بصحة الايمان والاصل في وجوبها قبل الاجماع قوله تعالى وآتوا الزكاة وقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة وأخبار كثيرة منها هذا الخبر فيكفر جاحدها وان أتى بها في الزكاة المجمع عليها دون المختلف فيها كالركاز ويقاتل الممتنع من أدائها وتؤخذ منه قهرا عليه كما فعل الصديق رضي الله تعالى عنه وفرضت في السنة الثانية من الهجرة بعد زكاة الفطر وتجب في ثمانية أصناف من المال الابل والبقر والغنم والذهب والفضة والزروع والنخل والكرم ونصابها معروف في كتب الفقه ولهذا وجبت لثمانية أصناف من طبقات الناس وهم الذين ذكرهم الله تعالى بقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية وجاء في الزكاة أخبار وآثار كثيرة سيأتي بعضها في غير هذا المجلس (قوله وحج البيت) هذا هو الركن الرابع والحج في اللغة القصد وفي الشرع قصد الكعبة للنسك وهو فرض على المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية ولهذا الخبر ولقوله صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا قالوا كيف نحج قبل أن لا نحج قال أن تقعد العرب على بطون الاودية يمنعون الناس السبيل وهو معلوم من الدين بالضرورة يكفر جاحده الا أن يكون قريب عهد بالاسلام أو نشأ ببادية بعيدة عن العلماء وهو من الشرائع القديمة. روى أن آدم عليه السلام لما حج قال له جبريل ان الملائكة كانوا يطوفون بالبيت قبلك بسبعة آلاف عام وقال صاحب التعجيز ان أول من حج آدم عليه السلام وانه حج أربعين سنة من الهند ماشيا وقيل ما من نبي الا حجه وقال أبو اسحق لم يبعث الله نبيا بعد ابراهيم الا وقد حج البيت وادعى بعض من ألف في المناسك انه لم يجب الا على هذه الامة واختلف وامتى فرض فقيل قبل الهجرة حكاه في النهاية والمشهور انه بعدها وعليه قيل فرض في السنة الخامسة وقيل في

اسم الحافظ غير أبي نعيم وأبي حازم وقال ابن مردويه لم يكن في أفق من الآفاق أحفظ منه ولما اشتد صنف الحلية والمستدرك على البخاري والمستخرج على مسلم ودلائل النبوة ومعرفة الصحابة وتاريخ أصبهان وفضائل الصحابة وصنف في الطب وغيره ولد في رجب سنة ست أو سبع وثلاثين وثلاثمائة ومات بكرة يوم الاثنين لعشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة (وأبو عبد الرحمن) محمد بن الحسين صاحب الحقائق وطبقات الاولياء كان عدلا ثقة أستاذ أبي القاسم القشيري وشيخ أبي سعيد بن أبي الخير وأثنى عليه الشيخ عبد الله الانصاري كثيرا وقد طعن فيه ابن الجوزي كما هو دأبه في شأن الائمة (السلمي) بضم السين وفتح اللام نسبة الى سليم بن منصور وقبيلة مشهورة توفي يوم الاحد ثالث شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ودفن بنيسابور (وأبو سعيد) صوابه كما قال ابن الاثير السمعاني أبو سعد محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن حفص كان ثقة متقنا صنف وحدث ورحل الى مصر فمات بها في شوال سنة اثنتي عشرة وأربعمائة (الماليني) بفتح الميم وكسر اللام ثم تحتية ثم نون نسبة الى مالين قرى مجتمعة من أعمال هراة يقال لجميعها مالين وأهل هراة يقولون مالان (وأبو عثمان) اسمعيل (الصابوني) نسبة الى عمله (وعبد الله بن محمد الانصاري) الهروي منسوب الى الانصار وهم الاوس والخزرج ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وكان كثير السهر قويا في نصرة الدين حدث وصنف وتوفي بهراة يوم الجمعة من ذي الحجة سنة احدى وثمانين وأربعمائة (وأبو بكر) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (البيهقي) نسبة الى بيهق قرية من ناحية نيسابور على عشرين فرسخا منها قال امام الحرمين كل شافعي فللشافعي عليه المنة الا البيهقي فان له على الشافعي المنة ولد في شعبان سنة أربع وسبعين وقيل أربع وثمانين وثلاثمائة ألف شعب الايمان ومات في جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بنيسابور ونقل في تابوت الى بيهق مسيرة يومين وأورد المصنف لفظ ثم في الاولين لعلمه بالتأخر الزماني فيهما بخلاف الباقين ولما خص المشاهير بالذكر عمم فقال (وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين) ولو كانت الاستخارة مطلوبة في جميع الامور لقوله صلى الله عليه وسلم ما خاب من استخار أي الله ولا ندم من استشار أي من نصحه ولا عال من اقتصد أي ولا افتقر من استعمل القصد في نفقة عياله قدمها المصنف على هذا التأليف لتعود بركتها عليه فقال (وقد استخرت الله) لانه يطلب من كل قادم على أمر يجهل عاقبته ان يستخير الله تعالى في الاقدام والاحجام وقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم الناس دعاء الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن وكان يأمرهم بذلك وفي الحديث الذي رواه ابن السني عن أنس رضي الله عنه اذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الى الذي يسبق الى قلبك فان الخير فيه وصفتها أن يصلي ركعتين يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى وربك يخلق ما يشاء ويختار الى قوله يعلنون وقيل قل يا أيها الكافرون الى آخرها وفي الركعة الثانية وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الى قوله مبينا وقيل قل هو الله أحد الى آخرها ثم يدعو بعد السلام من الركعتين بأن يقول اللهم اني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن

السادسة وقيل في السابعة وقيل في الثامنة وقيل في التاسعة • (فائدة) • في السنة العاشرة من الهجرة كانت حجة الوداع وتسمى حجة الاسلام ولم يحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة سواها وقد حج قبل النبوة وبعدها حجات لا يعرف عددها واعتمر بعد أن هاجر أربعا ولا يجب الحج بأصل الشرع في العمر (٣٤) الامرة واحدة لانه صلى الله عليه وسلم لم يحج بعد فرض الحج الامرة واحدة وهي حجة الوداع كما ذكرناه والخبر مسلم أحجنا هذا لعامنا أم للابد قال لا بل للابد وأما حديث البيهقي الأمر بالحج في كل خمسة أعوام فمحمول على الندب لقوله صلى الله عليه وسلم من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار وقد يجب الحج أكثر من مرة لعارض كنذر وقضاء عن افساد التطوع والعمرة فرض في الاظهر لقوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله أي ائتوا بهما تامين • وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت يا رسول الله هل على النساء جهاد قال نعم جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة ولا يجب في العمر الامرة واحدة فيا اخواني من لم يمنعه من الحج مرض قاطع أو سلطان جائر ومات ولم يحج فلا يبالي مات يهوديا أو نصرانيا وقال عمر رضي الله تعالى عنه هممت أن أكتب الى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا • وعن سعيد بن ابراهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه وقد فعله بعض السلف في جاره له موسر مات فلم يصل عليه وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وكان يفسر قوله تعالى رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا وكان يقول هذه الآية من أشد شيء على أهل التوحيد • وقد جاء في فضل الحج والعمرة أخبار كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا أو معتمرا ومات أجرى الله له أجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة • ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا

هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به اه قال ويسمي حاجته قال الشيخ خليل في منسكه ثم لينهض بعد الاستخارة لما انشرحت له نفسه قال ابن حجر ينبغي التفطن لدقيقة يغفل عنها ولم أر من نبه عليها وهي ان الواو في المتعاطفات التي بعد خير على بابها والتي بعد شر على معنى أو لان المطلوب تيسيره لا بد أن يكون كل من أحواله المذكورة من الدين والدنيا والعاجل والآجل وغيرها خيرية والمطلوب صرفه يكفي فيه أن يكون بعض أحواله المذكورة شرا وفي ابقاء الواو على حالها ايهام لانه لا يطلب صرفه الا اذا كانت جميع أحواله لا بعضها شرا وليس مرادا كما هو ظاهر قال النووي والظاهر أن صلاة الاستخارة تحصل بركعتين من الرواتب وتحية المسجد وغيرها من النوافل واعترض طلب الاستخارة هنا اذ لا استخارة الا في الامور المبهمة وأما هذه طاعة لا شك فيها والجواب أنه انما استخار في هذه مخافة من عدم اخلاص النية فيها أو لان غيرها من الطاعات قد يكون أولى منها لكونه أهم واعلم أن الاستخارة لا تكون في واجب ولا محرم ولا مكروه ولا في فعل مندوب وتركه وانما تطلب في الجائز وفي تقديم بعض المندوبات على بعض (في جمع أربعين حديثا اقتداء بهؤلاء الائمة الاعلام) جمع علم بفتحتين وهو ما يهتدى به الى الطريق ويطلق العلم على الجبل لانه يهتدى به كما قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به • كأنه علم في رأسه نار

وفي قولها وان صخرا وهو اسم أخيها لطيفة اتفاقية لمناسبة الجبل وسمي العالم علما لانه يهتدي الناس بعلمه كما يقال فلان جبل في العلم أو لعلو قدره واشتهاره (وحفاظ الاسلام) فائدة قال السيوطي روينا عن البخاري في آداب طالب الحديث أثرا لطيفا أخبرني أبو الفضل الأزهري وغيره سماعا أن أبا القاسم المقدسي قال أخبرتنا عائشة بنت علي أن أبا عيسى بن علاق قال أخبرتنا فاطمة بنت سعد الخير أن أبا نصر اليونارتي سمع أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي يقول سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن محمد بن صالح بن خلف يقول سمعت أبا ذر عمار بن محمد بن مخلد التميمي يقول سمعت أبا المظفر محمد بن أحمد بن حامد البخاري قال لما عزل أبو العباس الوليد بن ابراهيم بن زيد الهمداني عن قضاء الري ورد بخارى فحملني معلمي أبو ابراهيم الختلي اليه وقال أسألك أن تحدث هذا الصبي بما سمعت من مشايخنا فقال مالي سماع فقال وكيف أنت فقيه قال لاني لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسي الى طلب الحديث فقصدت محمد بن اسمعيل البخاري وأعلمته مرادي فقال لي يا بني لا تدخل في أمر الا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره واعلم أن الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه الا بعد أن يكتب أربعا مع أربع كأربع مثل أربع في أربع عند أربع بأربع على أربع عن أربع لاربع وكل هذه الرباعيات لا تتم الا بأربع مع أربع فان تمت له كلها هان عليه أربع وابتلي بأربع فاذا صبر على ذلك أكرمه الله في الدنيا بأربع وأثابه في الآخرة بأربع قلت له فسر لي رحمك الله ما ذكر من احوال هذه الرباعيات قال نعم أما الاربع التي يحتاج الى كتبها هي اخبار

الوقوف بعرفة • ومنها قوله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له وهو أول يوم في الدنيا • ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وان الله يبعثه يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به ويشهد لمن استلمه بحق وصدق وقال مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على (٣٥) ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمير واعتنقوا المشاة اعتناقا وفي الخبر ان الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة الف فان نقصوا كملهم الله من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق بأستارها ويسعون خلفها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها • ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه • ومنها قوله صلى الله عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة • ومنها قوله صلى الله عليه وسلم عمرة في رمضان تعدل حجة (نكتة) حكي عن محمد ابن المنكدر انه حج ثلاثا وثلاثين حجة فلما كان في آخر حجة حجها قال وهو بعرفات اللهم انك تعلم اني وقفت بموقفي هذا ثلاثا وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضي والثانية عن أبي والثالثة عن أمي وأشهدك يا رب اني قد وهبت الثلاثين لمن وقف بموقفي هذا ولم تقبل منه فلما دفع من عرفات نودي يا ابن المنكدر أتتكرم على من خلق الكرم والجود وعزتي وجلالي اني لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألف عام (قوله وصوم رمضان) هذا هو الركن الخامس من أركان الاسلام وجاء في رواية تقديمه على الحج وهو رواية الاكثر ووجهه أن الصوم في كل عام ووجه ما هنا ما فيه من تنشيط النفس وارضائها بما فيه من المشقة وبذل المال والصوم في اللغة الامساك ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم اني نذرت للرحمن صوما أي امساكا وسكوتا عن الكلام وفي الشرع امساك عن المفطر على وجه مخصوص مع النية والاصل في وجوبه قبل الاجماع قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب

الرسول صلى الله عليه وسلم وشرائعه والصحابة ومقاديرهم والتابعين وأحوالهم وسائر العلماء وتواريخهم مع أسماء رجالهم وكناهم وأمكنتهم وأزمنتهم كالتحميد مع الخطبة والدعاء مع التوسل والبسملة مع السورة والتكبير مع الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات في صغره وفي ادراكه وفي شبابه وفي كهولته عند شغله وعند فراغه وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار والبلدان والبراري على الاحجار والاصداف والجلود والاكتاف الى الوقت الذي يمكنه نقلها الى الاوراق عمن هو فوقه وممن هو مثله وعمن هو دونه وعن كتاب أبيه الذي يتيقن أنه بخط أبيه دون غيره لوجه الله تعالى طالبا لمرضاته والعمل بما وافق كتاب الله منها ونشرها بين طالبيها والتأليف في احياء ذكره بعده ثم لا تتم هذه الاشياء الا بأربع هي من كسب العبد معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو مع أربع هي من اعطاء الله تعالى الصحة والقدرة والحرص والحفظ فان صحت له هذه الاشياء هان عليه أربع الاهل والولد والمال والوطن وابتلي بأربع شماتة الاعداء وملامة الاصدقاء وطعن الجهلة وحسد العلماء واذا صبر على هذه المحن أكرمه الله في الدنيا بأربع بعز القناعة وبهيبة اليقين وبلذة العلم وبحسن الادب وأثابه الله في الآخرة بأربع بالشفاعة لمن أراد من اخوانه وبظل العرش حيث لا ظل الا ظله ويسقي من أراد من حوض محمد صلى الله عليه وسلم وبجوار النبيين في أعلى عليين في الجنة فقد أعلمتك يا بني بمجملات جميع ما كنت سمعت من مشايخي متفرقا في هذا الباب فاقبل الآن على ما قصدتني له اودع (وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال) في ذكر الاتفاق نظر لان ابن العربي قال ان الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقا قال المؤلف في الاذكار ذكر الفقهاء والمحدثون انه يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا وأما الاحكام كالحلال والحرام والمعاملات فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح والحسن الا أن يكون في احتياط في شيء من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع أو الانكحة فان المستحب ان يتنزه عن ذلك ولكن لا يجب اه ومحل كونه لا يعمل بالضعيف في الاحكام ما لم يكن تلقته الناس بالقبول فان كان كذلك تعين وصار حجة يعمل به في الاحكام وغيرها كما قال الامام الشافعي ومن ذلك ما نقله الحافظ جلال الدين السيوطي في الخصائص الصغرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وطئ على صخر الا وأثر فيه وعزاه للحافظ رزين العبدري اه وقد اعتضد هذا الحديث بشواهد كثيرة قال السخاوي في كتابه القول البديع سمعت شيخنا ابن حجر رحمه الله مرارا يقول شرائط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة الاول متفق عليه وهو أن يكون الضعف غير شديد وشديد الضعف هو الذي لا يخلو طريق من طرقه من كذاب أو متهم بالكذب والثاني أن يكون مندرجا تحت أصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلا الثالث ان لا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله والاخيران عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد والاول نقل العلائي الاتفاق عليه وعن أحمد انه يعمل به اذا لم يوجد غيره وفي رواية عنه ضعف الحديث أحب الينا من رأي الرجال وذكر ابن حزم الاجماع على ان مذهب أبي حنيفة ان ضعيف الحديث أولى عنده من

على الذين من قبلكم أى من الامم الماضية قيل مامن أمة الا أوجب الله عليهم رمضان الا انهم ضلوا عنه وأخبار كهذا الخبر وهو قوله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس وفرض فى شعبان فى السنة الثانية من الهجرة ، وأركانه ثلاثة صائم ونية وامساك عن المفطرات ويجب صوم رمضان بأحد أمرين باكمال شعبان ثلاثين يوما أو رؤية الهلال ليلة (٣٦) الثلاثين من شعبان ووجوبه معلوم من الدين بالضرورة فمن جحد وجوبه فهو كافر الا أن يكون قريب عهد بالاسلام أو نشأ بعيدا عن العلماء ومن ترك صومه غير جاحد من غير عذر كمرض وسفر كان قال الصوم واجب على ولكن لا أصوم حبس ومنع الطعام والشراب نهارا ليحصل له صورة الصوم بذلك وقد قيل ان الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص فصوم العموم هو كف البطن والفرج عن قصد الشهوة وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام وصوم خصوص الخصوص هو صون القلب عن الهمم الدنيئة وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية • وقد جاء فى فضل رمضان أخبار كثيرة شهيرة قال صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس مافى رمضان من اليمن والبركة لتمنوا أن يكون حولا كاملا وقال صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وفى رواية وماتأخر وقال صلى الله عليه وسلم من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وفسروا قيامه بصلاة التراويح وقال صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان اذا أفطر فرح بفطره واذا لقى ربه فرح بصومه وقال الصائم لاترد دعوته وقال بعضهم فى المعنى

وربك لو أبصرت قوما تتابعت • عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا •
لأبصرت قوما حاربوا النوم وارتدوا • بأردية التسهاد والتزموا السهدا •
وصاموا نهارا دائما ثم أفطروا • على بلغ الاقوات واستعملوا الكدا •
أولئك قوم أحسن الله فعلهم • وأبدلهم من حسن فعلهم الخلدا

الرأى والقياس اذا لم يوجد فى الباب غيره وقد تحصل ان فى العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب الاول لا يعمل به مطلقا الثانى يعمل به مطلقا الثالث يعمل به فى الفضائل بشروطه (ومع هذا) الذى ذكرته من جواز العمل بالحديث الضعيف فى الفضائل (فليس اعتمادى على هذا الحديث) وحده (بل على قوله صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث الصحيحة ليبلغ الشاهد) السامع ما أقول (منكم الغائب) عنه بالنصب على المفعولية وهذا تحريض على التعليم والتعلم فانه لولاه لانقطع العلم بين الناس كذا فى بعض النسخ وفى بعضها تقديم حديث نضر الله امرأ على هذا الحديث (وقوله) صلى الله عليه وسلم (نضر الله) بفتح الضاد المعجمة روى مخففا ومشددا قال بعضهم أكثر الشيوخ يشددون وأهل الادب يخففون قال فى البحر وهو أفصح من النضارة وهو حسن الوجه وبريقه ومعناه ألبسه الله النضرة وخلوص اللون يعنى جمله الله وزينه أو معناه أوصله الى نضرة الجنة وهو نعيمها قال تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم وجوه يومئذ ناضرة ولقاهم نضرة وسرورا وقال جرير

طرب الحمام بذكركن فشاقنى • لازلت فى فنن وأيك ناضر

أى مورق غض ومن ثم قال سفيان بن عيينة انى لارى فى وجوه أهل الحديث نضرة وجمالا لهذا الحديث يعنى لانها دعوة أجيبت وخص حامل السنة بالدعاء لانه سعى فى نضرتها وتجديدها فجازاه الله فى دعائه له بما يناسب حاله وذكر سيدى محمد الشاذلى فى كتابه البيان مانصه اختص أهل الحديث من دون سائر العلماء بانهم لاتزال وجوههم نضرة لدعوة النبى صلى الله عليه وسلم لهم لقوله نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه رواه الترمذى وحسنه عن زيد بن ثابت والنضرة الحسن والرونق والمعنى خصه الله بالبهجة والسرور لانه سعى فى نضارة العلم وتجديد السنة فجازاه فى دعائه بما يناسب حاله فى المعاملة ومن نظم الحافظ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى فى فن الحديث

من كان من أهل الحديث فانه • ذو نضرة فى وجهه نور سطع
ان النبى دعا بنضرة وجه من • أدى الحديث كما تحمل واتبع

ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

أهل الحديث لهم مفاخر ظاهره • وهم نجوم فى البرية زاهره
فى أى مصر قد نووا تلقاهم • حقا لاعداء الشريعة قاهره
بالنور قد ملئت حشاشة صدرهم • فكذا وجوههم تراها ناضره

وقيل معنى الحديث حسن الله وجهه فى الناس أى جاهه وقدره فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه يعنى الوجوه من الناس وذوى الاقدار الا ان هذا بعيد لانه مخالف للظاهر من غير حامل عليه وليس نظير اطلبوا الحوائج الخ لذكر الوجوه فيه المحتمل لان يراد بها جمع وجه من الوجاهة وهى التقدم وعلو القدر وحكى ابن العربى عن ابن بشكوال أنه بالصاد المهملة وهو شاذ وقوله نضر الله يحتمل الخبر والدعاء وعلى كل حال فيحتمل كما قال الحافظ العراقى كونه فى الدنيا وكونه فى الآخرة وكونه فيهما (امرأ سمع مقالتى فوعاها

وقال صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وهى فى رمضان فى العشر الاخير منه • وعن ابن مسعود الغفارى انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول مامن عبد يصوم يوما من رمضان الا زوج زوجة من الحور العين فى خيمة من درة مجوفة مما نعت الله حور مقصورات فى الخيام على كل امرأة منهن سبعون حلة (٣٧) ليس منها حلة على لون الاخرى ويعطى سبعين لونا من الطيب ليس منهن ريح لون على ريح الآخر لكل امرأة منهن سبعون سريرا من ياقوتة حمراء موشحة بالدر على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش أريكة لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها سبعون ألف وصيف مع كل وصيف صحفة من ذهب فيها لون من طعام تجد لآخر لقمة منها لذة لم تجدها لاولها ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشح بياقوت لكل يوم صامه من شهر رمضان سوى ماعمل من الحسنات رواه الترمذى الحكيم • وقال وكيع فى تفسير قوله تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية انها أيام الصوم تركوا فيها الاكل والشرب وفى صحيح النسائى اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين • وروى الزهرى أن تسبيحة واحدة فى شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة فى غيره (نكتة عظيمة) عن ثابت رضى الله عنه أنه قال كان أبى من القوامين لله فى سواد الليل قال رأيت ذات ليلة فى منامى امرأة لاتشبه النساء فقلت لها من أنت فقالت حوراء أمة الله فقلت لها زوجينى نفسك فقالت اخطبنى من عند ربك وأمهرنى فقلت ومامهرك فقالت طول التهجد وأنشدوا فى المعنى

ياطالب الحوراء فى خدرها • وطالبا ذلك على قدرها •
انهض بجد لاتكن وانيا • وجاهد النفس على صبرها •
وجانب الناس وارفضهم • والتزم الوحدة فى وكرها •
وقم اذا الليل بدا وجهه • وصم نهارا فهو من مهرها •
فلو رأت عيناك اقبالها • وقد بدت رمانتا صدرها

ذو عاها فأداها كما سمعها) أى من غير زيادة ولا نقص فمن زاد أو نقص فهو مغير لا مؤد فيكون الدعاء مصروفا عنه وليس فى قوله كما سمعها منع لرواية الحديث بالمعنى خلافا لمن زعمه لان المراد أدى حكمها لا لفظها وقد رأى بعض العلماء المصطفى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له أنت قلت نضر الله امرأ الخ قال نعم ووجهه يتهلل بالسرور أنا قلته وكرره ثلاثا وفى الحديث من أدى الى أمتى حديثا واحدا يقيم به سنة أو يرد به بدعة فله الجنة رواه الحاكم فى الاربعين (فائدة) اختلفوا هل ثواب قارئ الحديث كثواب قارئ القرآن أم لا قال الجلال السيوطى فى ألفية الحديث له

وهل ثواب قارئ الاخبار • كقارئ القرآن خلف جارى

وانظر هل ثواب مستمعه كثواب مستمع القرآن وقد عد ممن يؤتى أجره مرتين ام لا (ثم من العلماء من جمع الاربعين فى أصول الدين) الاصول جمع اصل كفلوس جمع فلس وهو فى اللغة الاساس وفى الاصطلاح مايبنى عليه غيره وان شئت قلت ما يتفرع عليه غيره والمراد بها هنا الالهيات والنبوات والحشر والنشر (وبعضهم) جمعها (فى الفروع) أى المسائل الفقهية (وبعضهم فى) فضل (الجهاد وبعضهم فى) فضل (الزهد وبعضهم فى الآداب) بالمد جمع أدب كاسباب جمع سبب وهو استعمال مايحمد قولا وفعلا أى بحسن الاحوال والاخلاق واجتماع الخصال الحميدة من بسط الوجه وحسن اللقاء وحسن التناول والاخذ وبذل المجهود وترك السفه وقال ابن عطاء الله الادب الوقوف مع المستحسنات وقيل الاخذ بمكارم الاخلاق وقيل هو تعظيم من فوقه والرفق بمن دونه وقيل غير ذلك وينقسم كما قال بعضهم الى قسمين طبيعى كالكرم والشجاعة وكسبى كمعرفة النحو واللغة والشعر وأضاف بعضهم الى ذلك معرفة الكتاب والسنة وعلومهما وصوفى وهو ضبط الحواس ومراعاة الانفاس اه زاد بعضهم وشرعى وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ولبعضهم

وما كل وقت ترى مسعفا • فكن حافظا الطريق الادب
ترى الله يكشف ماقد خفى • فتحظى باجر ونيل الرتب

قال بعض المتقدمين كما أن قوة الاجساد بالاطعمة المصنوعة كذا قوة العقل بالآداب المسموعة (وبعضهم فى الخطب) جمع خطبة وهى كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة مشتق من الخطب لانهم كانوا اذا ألم بهم خطب خطبوا له ليجتمعوا ويحتالوا فى دفعه والمراد الخطب التى كان يخطب بها النبى صلى الله عليه وسلم فى نحو جمعة وعيد واستسقاء وكسوف وبعرفة وعند نزول الامور المهمة وقدوم الوفود عليه ونحو ذلك وقوله فى الخطب كالاربعين الودعانية وبعضهم فى التصوف (وكلها مقاصد) جمع مقصد بكسر الصاد (صالحة) لشمول الاحاديث السابقة لجميعها (رضى الله عن قاصديها وقد رأيت) من الرأى (جمع أربعين أهم من هذا كله وهى أربعون حديثا مشتملة على ذلك) أى على جميع أصول الشريعة وفروعها والجهاد فى سبيل الله والزهد فى الدنيا والتخلق بالآداب الحسنة وغير ذلك ولا يرد على قوله وقد رأيت جمع أربعين زيادته حديثين لان مفهوم العدد لا يفيد حصرا على الصحيح أو ان ذكر القليل لاينفى الكثير كما قيل به فى رواية صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بخمس وعشرين مع رواية سبع وعشرين أو انه هنا كان عزمه على الاقتصار

• وهى غانى بين أترابها • وعقدها يشرق فى نحرها • لهان فى نفسك هذا الذى • تراه فى دنياك من مهرها

واعلم ان وجه الحصر فى أركان الاسلام الخمسة المذكورة فى الحديث ان العبادة اماقولية وهى الشهادة أوغير قولية وهى اماترك وهو الصوم أوفعل وهو امابدنى (٣٨) وهو الصلاة أومالى وهو الزكاة أومركب منهما وهو الحج فان قيل لم لم يذكر مع الخمس الجهاد فالجواب انه لم يكن فرض أركان فرضه فرض كفاية بخلاف الخمس فانها فرائض أعيان فهذه أركان الاسلام

(خاتمة المجلس) جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أراد الله بعبده خيرا سلك فى قلبه اليقين والتصديق واذا أراد به شرا سلك فى قلبه الريبة قال الله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وقد اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على ان المؤمن الذى يحكم بانه من أهل القبلة ولا يخلد فى النار لا يكون الا من اعتقد بقلبه دين الاسلام اعتقادا جازما خاليا من الشك ونطق بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله

• وحكى عن عبد الواحد بن زيد قال مررت فى بعض الجبال بشيخ أعمى أصم مقطوع اليدين والرجلين ضربه الفالج يصرع فى كل وقت والزنابير تنهش من لحمه والدود يتناثر من جنبيه وهو يقول الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه قال فتقدمت اليه وقلت له يا أخى وأى شئ عافاك الله منه والله ما أجد جميع البلايا الا محيطة بك قال فرفع طرفه الى وقال لى يا بطال اليك عنى فانه عافانى اذ أطلق لى لسانا يوحده وقلبا يعرفه وفى كل لحظة تذكره وأنشد

حمدت الله ربى اذ هدانى • الى الاسلام والدين الحنيفى
فيذكره لسانى كل وقت • ويعرفه فؤادى باللطيف

اللهم اختم لنا منك بخير فى عافية بلا محنة آمين والحمد لله رب العالمين

•(المجلس الرابع فى الحديث الرابع)•

على الاربعين وعند فراغها عن له زيادة الحديثين الاخيرين لما فيهما من المناسبة لان أحدهما فيه الوعظ بمخالفة الهوى وثانيهما من باب الرجاء فكان ختم الكتاب بهما مناسبا (وكل حديث منها قاعدة من قواعد الدين) القاعدة من القعود بمعنى الثبات وهى لغة الاساس والعمد وخشبات يركب الهودج فيها واصطلاحا أمر كلى يتعرف منه أحكام جزئيات موضوعها كالامر للوجوب فانه دليل اجمالى ومن جزئياته أقيموا الصلاة والنهى للتحريم دليل اجمالى ومن جزئياته لا تقربوا الزنا وكيفية استفادة الحكم من ذلك أن يجعل الدليل التفصيلى مقدمة صغرى والدليل الاجمالى مقدمة كبرى فينشأ عنهما نتيجة هى الحكم كأن يقال أقيموا الصلاة أمر والامر للوجوب فينتج ان الصلاة واجبة وبهذا يعلم ان القاعدة بهذا المعنى ليست مرادة للمصنف لان تلك الاحاديث كلها من باب الاحكام التفصيلية دون القواعد الاجمالية وانما أراد بالقاعدة العمدة والاصل الذى ترجع اليه الاحكام أو كثير منها (قد وصفه العلماء بان مدار) غالب أحكام (الاسلام عليه) كحديث ان الحلال بين والدين النصيحة قال ابن رسلان كحديث من رأى منكم منكرا فليغيره بيده لان أعمال الشريعة امامعروف يجب الامر به أو منكر يجب النهى عنه فهو نصف بهذا الاعتبار (اوهو نصف الاسلام أوثلثه) كحديث انما الاعمال بالنيات فان أباداود قال انه نصف الاسلام والشافعى قال انه ثلثه قال ابن رسلان لان كسب العبد بقلبه وجوارحه ولسانه والنية أحد الثلاث (أونحو ذلك) كالربع كحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (ثم ألتزم فى هذه الاربعين ان تكون صحيحة) ليعمل بها فى الفضائل وغيرها والمراد بالصحيحة غير الضعيفة فتتناول الحسنة (ومعظمها) أى غالبها (فى صحيحى) شيخ الحديث وطبيب علله فى القديم والحديث • أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفى (البخارى) قال الشيخ تاج الدين السبكى فى طبقاته كان البخارى امام المسلمين وقدوة المؤمنين وشيخ الموحدين والمعول عليه فى أحاديث سيد المرسلين وقال ابن كثير كان امام الحديث فى زمانه والمقتدى به فى أوانه والمقدم على سائر أقرانه قال محمد بن عبد الرحمن كتب أهل بغداد الى محمد ابن اسمعيل كتابا فيه شعر

المسلمون بخير ما بقيت لهم • وليس بعدك خير حين تفتقد

قيل انه كان يحفظ وهو صبى سبعين ألف حديث سردا وكان اذا نظر فى الكتاب مرة واحدة حفظ مافيه وقال رضى الله عنه أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتى ألف حديث غير صحيح وكان يختم فى رمضان كل يوم ختمة ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة وكان يصلى وقت السحر ثلاث عشرة ركعة وقال دخلت بلخ فسألونى أن أملى لهم لكل من كتبت عنه فامليت ألف حديث عن ألف شيخ ومن أعجب العجب ما رواه البغدادى الخطيب انه قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر واسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوها الى عشرة أنفس فدفعوا لكل رجل عشرة أحاديث وأمروهم اذا حضروا المجلس ان يلقوا ذلك على البخارى وأخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان

الحمد لله الذى أتقن المصنوعات وفطر الموجودات وأمات الأحياء وأحيا الأموات ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له رب الارضين والسموات وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله سيد السادات ومعدن السعادات صاحب الآيات البينات والمعجزات (٣٩) الظاهرات الشفيع فيمن يصلى عليه يوم الحسرات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والكرامات (عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذى لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها رواه البخارى ومسلم) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم خرج من بين شفتى النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم قال ابن مسعود رضى الله عنهما (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى أنبأنا وأخبرنا حادثنا (وهو الصادق) فى خبره (المصدوق) أى المصدق فيه أو الذى يأتيه غيره بالصدق فهو صلى الله عليه وسلم صادق فى قوله وفيما يأتيه من الوحى مصدوق اذ الله صدقه فيما وعده به (قوله ان أحدكم) بمعنى واحدكم وقوله (يجمع) بالبناء للمفعول (خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة) أى يضم ويحفظ ما يخلقه وهو الماء الذى يخلق منه فى ذلك الزمن (ثم يكون) بعد ان كان نطفة (علقة) وهى قطعة دم جامد (ثم يكون مضغة) وهى قطعة لحم صغيرة بقدر ما يمضغ (مثل ذلك) المذكور وفيها يصورها الله تعالى ويجعل لها قلبا وسمعا وبصرا وأمعاء وغير

وغيرهم ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس باهله انتدب اليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الاحاديث فقال البخارى لا اعرفه فما زال يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول لا أعرفه فكان الفهماء يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون فهم الرجل ومن كان فهم منهم غير ذلك يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الفهم ثم انتدب اليه رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الاحاديث المقلوبة فقال البخارى لا أعرفه فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فلم يزل يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول لا أعرفه ثم انتدب اليه الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الاحاديث المقلوبة والبخارى يقول لا أعرفه فلما علم البخارى انهم قد فرغوا التفت الى الاول منهم فقال له أما حديثك الاول فهو كذا وصوابه كذا والثانى والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن الى أصله أى الى اسناده وكل اسناد الى متنه وفعل بالآخرين كذلك حتى رد متون الاحاديث كلها الى أسانيدها وأسانيدها الى متونها فاقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل وههنا تخضع للبخارى الرقاب فما العجب من رده الخطأ الى الصواب بل العجب من حفظه للخطأ القليل الفائدة على ترتيب ما ألقوه عليه ولا عجب لانه فى سرعة الحفظ طويل الباع وهو امام الحفاظ والنقاد بلا نزاع ولما خرج من بغداد لحصول المحنة فيها بمسئلة خلق القرآن واراد الذهاب الى سمرقند فلما بلغ خرتنك بفتح الخاء المعجمة وفتح المثناة وسكون النون وهى قرية على فرسخين من سمرقند بلغه أنه افتتن أهل سمرقند فى دخوله فقوم يريدون دخوله وقوم يكرهون ذلك فاقام بها حتى انجلى الامر فضجر ليلة فدعا وقد فرغ من صلاة الليل اللهم قد ضاقت على الارض بما رحبت فاقبضنى اليك فمات من ذلك الشهر فان قلت كيف انه دعا بالموت وقد خرج فى صحيحه لا يتمنين أحد كم الموت لضر ينزل به فالجواب ان المراد بالضر الضر الدنيوى وأما اذا نزل به ضر دينى فانه يجوز تمنيه خوفا من تطرق الخلل للدين وقال عبد الله بن حماد وهو شيخ البخارى وددت انى شعرة فى صدر محمد بن اسمعيل البخارى وقال أبو زيد المروزى وهو من كبار الشافعية وأجل من روى البخارى عن الفربرى كنت نائما بين الركن والمقام فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يا أبا زيد الى متى تدرس فى كتاب الشافعى ولا تدرس كتابى فقلت يا رسول الله وما كتابك قال جامع محمد بن اسمعيل البخارى يعنى هذا الصحيح وقال محمد بن يوسف الفربرى سمعت ابا جعفر محمد بن أبى حاتم الوراق يقول رأيت محمد بن اسمعيل البخارى فى النوم خلف النبى صلى الله عليه وسلم وكلما رفع النبى صلى الله عليه وسلم قدمه وضع البخارى قدمه موضعه وقال الفربرى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى أين تريد قلت أريد محمد بن اسمعيل البخارى فقال اقرئه منى السلام وحكى عنه انه كان يوما فى المسجد وحوله أصحابه للدرس فى العلم فرأى بعضهم على لحيته قشة فرماها عن لحيته فى المسجد فاخذها الامام البخارى رضى الله عنه وصرها فى خرقة وأخرجها ورماها خارج المسجد وقال للذى رماها عن لحيته أنت ما رضيت أن تكون هذه القشة على لحيتى وأنا عبد الله وابن آدم فكيف ارضى ان أرميها فى بيت ربى وفى مسجد رسول الله صلى الله عليه

وسلم وقال رضى الله عنه ماوضعت فى كتابى حديثا حتى استخرت الله تعالى وتيقنت صحته وقال ماكتبت فى كتابى الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين بين الروضة والمنبر وقرأته على النبى صلى الله عليه وسلم ثم اضطجعت فيأتينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقول له يارسول الله بلغنى عنك انك قلت كذا وكذا واقرأ عليه ذلك الحديث فيقول نعم صحيح ذلك قال وأرجوان يبارك الله فيه للمسلمين فحقق الله ظنه ورجاءه وكان اذا فرغ من التحديث أو التصنيف قام فركع وروى انه كان يحضر مجلسه أكثر من عشرين ألفا يأخذون عنه ومن كلامه رضى الله عنه

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع • فعسى ان يكون موتك بغته

كم صحيح رأيت من غير سقم • ذهبت نفسه الصحيحة فلته

قال المؤلف اتفقوا على ان البخارى ولد ببخارى بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة وتوفى رحمه الله ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة عيد الفطر وقيل بعد الظهر بخرتنك وهى قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها سنة ست وخمسين ومائتين وله من العمر اثنان وستون سنة الاثلاث عشرة يوما قاله فى تهذيب الاسماء واللغات وما أحسن قول الكمال بن أبى شريف ولد فى صدق ومات فى نور ولما مات فاح من تراب قبره رائحة الغالية أطيب من المسك واستمرت أياما كثيرة حتى تواترت عند جميع أهل البلاد وسيأتى أيضا شئ مما يتعلق به عند ذكره فى استخراج الحديث الاول (و) أبو الحسين (مسلم) بن الحجاج ابن مسلم القشيرى (وأذكرها محذوفة الاسانيد) جمع اسناد وهو حكاية طريق المتن والسند الطريق الموصلة الى المتن فقولك أخبرنا فلان الخ اسناد ونفس الرجال سند وقال البدر بن جماعة الاسناد هو الاخبار عن طريق المتن والسند هو رفع الحديث الى قائله قال والمحدثون يستعملونهما الشئ واحد وفيه نظر وأخذه امامن السند وهو ما ارتفع وعلا من سفح الجبل لان المسند يرفعه الى قائله أو من قولهم فلان سند أى معتمد سمى بذلك لاعتماد الحفاظ فى صحة الحديث وضعفه عليه ولذا قال النووى السند سلاح المؤمن فاذا لم يكن معه سلاح فبم يقاتل وقال بعضهم انه كالسيف للمقاتل وقال بعضهم مشيرا اليه انه كالسلم يصعد عليه وقال ابن عيينة حدث الزهرى بحديث فقلت له هاته بلا اسناد فقال ترقى السطح بلاسلم وفى أول صحيح مسلم عن عبد الله ابن المبارك الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ماشاء وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه الذى يطلب الحديث بلا اسناد كحاطب ليل يحمل الحطب وفيه افعاء وهو لايدرى قال أبو على الجيانى خص الله هذه الامة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها الاسناد والانساب والاعراب ومن أدلة ذلك مارواه الحاكم وغيره عن مطر الوراق فى قوله تعالى أو أثارة من علم فقال اسناد الحديث وأما المتن فهو ألفاظ الحديث الذى تقوم بها المعانى قاله الطيبى وقال ابن جماعة هو ماينتهى اليه غاية السند وأخذه امامن المتانة وهى المباعدة فى الغاية لان المتن غاية السند أو من متنت الكبش اذا شققت جلدة بيضته واستخرجتها فكان المسند استخرج المتن بسنده أو من المتن وهو ماصلب وارتفع من الارض لان المسند

ذلك من الاعضاء ثم اذا تمت وصار ابن مائة وعشرين يوما (يرسل الملك) بالبناء للمفعول أى الموكل بالرحم كماذكره فى حديث أنس (فائدة) أفتى ابن يونس وغيره انه لايحل للمرأة أن تستعمل دواء يمنع الحبل ذكره فى العجالة (قوله فينفخ فيه الروح) قال جمهور المتكلمين الروح جسم لطيف مشتبك (٤٠) بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال جمع منهم هى عرض وهى الحياة التى يصير البدن بوجودها حيا وهى باقية لاتفنى عند أهل السنة (قوله ويؤمر) بالبناء للمفعول (بأربع كلمات) أى بكتبها ولذلك بينها صلى الله عليه وسلم بقوله (بكتب) بالباء الموحدة (رزقه) وهو مايتناوله الانسان من مأكول وملبوس وغيرهما قليلا أو كثيرا حلالا أو حراما (وأجله) وهو الزمن الذى علم الله ان الشخص يموت فيه أو مدة حياته (وعمله) من خير أو شر (وشقى) بعصيانه الله (أوسعيد) بطاعته له وهما مرفوعان على الخبرية لمبتدا محذوف اذ التقدير وهو شقى أو سعيد (فائدة) الكاتب هو الله تعالى بمعنى انه يأمر بالكتابة الملك وقد جاء أيضا فرغ الله تعالى من أربع من الخلق والاجل والرزق والخلق بفتح الخاء اشارة الى الذكورة والانوثة وبضمها الى السعادة والشقاوة وظاهر ماتقدم من أمر الملك بالكتابة أنه من قبل سؤاله فيها فقد جاء فى الاحاديث الصحيحة المروية عن ابن مسعود وابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ان النطفة اذا استقرت فى الرحم أخذها الملك بكفه فقال أى رب ذكر أم أنثى شقى أم سعيد ما الاجل ما الاثر بأى أرض يموت فيقال له انطلق الى أم الكتاب فانك تجد قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها فى أم الكتاب فتأكل رزقها وتطأ أثرها فاذا جاء أجلها قبضت فدفنت فى المكان الذى قدر لها وفى رواية من حديث ابن مسعود ان الملك يقول يارب مخلقة أم غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها فى الارحام دما وان قال مخلقة قال أى رب ذكر أم أنثى الى آخر ماتقدم وجاء مرفوعا اذا مات الجسد دفن من حيث أخذ ذلك التراب وقال صلى الله عليه وسلم اذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له اليها حاجة أو قال بها حاجة وقيل فى معناه

يقويه

يقويه بالسند ويرفعه الى قائله أو من تمتين القوس أى شدها بالعصب لان المسند يقوى الحديث بسنده (ليسهل حفظها) لقلة ألفاظها واذا سهل حفظها كثرت حفاظها فيعم الانتفاع بها ولذا قال (ويعم الانتفاع بها ان شاء الله تعالى) لانه ولى كل شئ والقادر عليه وقد حقق الله ما أراده وأتى بالمشيئة للتبرك امتثالا لامره تعالى أشرف خلقه بالاتيان بها لذلك لقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ومن ثم سنت فى الامور المستقبلة دون الماضية كما استفيد من الآية فلا يقال فعلت كذا أمس ان شاء الله والاسناد لفعل الغير كهو لفعل النفس ومفعول شاء الله محذوف أى ان شاء الله تعالى ذلك وقد قيل فى تفسير قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم ليس لاهل الحديث منقبة أشرف من ذلك لانه لا امام لهم غيره صلى الله عليه وسلم لان سائر العلوم الشرعية محتاجة اليه أما الفقه فواضح وأما التفسير فلان أول مافسر به كلام الله تعالى ماثبت عن نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم (ثم أتبعها بباب فى ضبط خفى ألفاظها) من اضافة الصفة للموصوف أى ألفاظها الخفية (وينبغى لكل راغب فى) عمل أو ثواب (الآخرة أن يعرف هذه الاحاديث لما اشتملت عليه من المهمات واحتوت) من حوى اذا جمع (عليه من التنبيه) أى الايقاظ والتفهيم (على جميع الطاعات وذلك ظاهر لمن تدبره) التدبر التفكر وهو انتقال الذهن من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة (وعلى الله) لا على غيره كما أفاده تقديم المعمول (اعتمادى) فى هذا الجمع وغيره ولا يرد على الحصر الذى أفاده تقديم المعمول ان الاعتماد كثيرا ما يقع على غيره لان المراد الاعتماد عليه فى تحصيل الاسباب وتيسيرها والتحصيل والتيسير مختصان به تعالى وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ (واليه) لا الى غيره (تفويضى) التفويض الى الله هو رد الامر كله اليه (و) اليه (استنادى) أى التجائى فيما يتعلق بتأليف العلم وغيره (وله) دون غيره (الحمد) ملكا واستحقاقا واختصاصا (والنعمة) ايجادا وايصالا الى خلقه بسائر أنواعها كما مر وغيره وان وجد له حمد أو نعمة فانما هو باعتبار الصورة دون الحقيقة (وبه) لا بغيره وفى بعض النسخ وبيده أى قدرته (التوفيق) وهو لغة جعل الامر موافقا للآخر واصطلاحا قال الاشعرى خلق قدرة الطاعة فى العبد واعترضه امام الحرمين بأنه يشمل الكافر والفاسق اذ كل منهما خلق فيه قدرة الطاعة فلا بد من زيادة قيد فى التعريف وهو والداعية اليها ورده الدوانى لان القدرة عند الاشعرى هى العرض المقارن للفعل فلا توجد قدرة الايمان الامع وجوده ولا توجد قدرة الطاعة الامع فعلها (والعصمة) بالكسر وهى لغة المنع قال الله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله أى لامانع ويقال عصمه الطعام اذا منعه الجوع وأبو عاصم كنية السويق واصطلاحا قال الابى عدم خلق القدرة على المعصية وهو منقوض بالصبى والميت ومن معه من المعصية مانع والاحسن تعريفها بأنها ملكة نفسانية تمنع من الفجور والمخالفة ويجوز الدعاء بها مطلقة ومقيدة على المعتمد وأنكر بعضهم جواز الدعاء بها مطلقة لانها انما هى للانبياء والملائكة وأجيب بأنها فى حق الانبياء والملائكة واجبة وفى حق غيرهم جائزة وسؤال الجائز جائز وان الذى اختص به الانبياء والملائكة

اذا ما حمام المرء كان ببلدة • دعته اليها حاجة فيطير وروى الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف فتعرض نواحى المدينة فاذا بقبر يحفر فأقبل حتى وقف عليه فقال لمن هذا قيل لرجل من الحبشة فقال لا اله الا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن (٤١) فى الارض التى خلق منها •(نكتة)• يقال ان ملك الموت عليه السلام دخل يوما على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل يطيل نظره ويحد بصره الى رجل من ندمائه ثم خرج فقال ذلك النديم يانبى الله من كان ذلك الرجل قال انه ملك الموت فقال يانبى الله رأيته يطيل النظر الى وأخاف انه يريد قبض روحى فخلصنى من يده فقال وكيف أخلصك فقال تأمر الريح أن تحملنى الى بلاد الهند فلعله يضل عنى ولا يجدنى فأمر سليمان عليه السلام الريح ان تحمله فى الساعة الى أقصى بلاد الهند فحملته فى الوقت والحال فقبض روحه وعاد ملك الموت ودخل على سليمان عليه السلام فقال له سليمان لأى سبب كنت تطيل النظر الى ذلك الرجل قال كنت أتعجب منه لانى أمرت بقبض روحه بأرض الهند وهو بعيد عنها الى أن اتفق وحملته الريح الى هنالك كما قدر الله تعالى فقبضت روحه هنالك •(تنبيه)• ياهذا انظر الى قدرة مولاك كيف أنشأك وسواك وفى التوراة مكتوب يا ابن آدم جعلت لك قرارا فى بطن أمك وغشيت وجهك بغشاء لئلا تفزع من الرحم وجعلت وجهك الى ظهر أمك لئلا يؤذيك رائحة الطعام وجعلت لك متكأ عن يمينك ومتكأ عن شمالك فأما الذى عن يمينك فالكبد وأما الذى (٦ - شبرخيتى) عن شمالك فالطحال وعلمتك القيام والقعود فى بطن أمك فهل يقدر على ذلك أحد غيرى فلما ان تمت مدة حملك أوحيت الى الملك الموكل بالارحام ان يخرجك فأخرجك على ريشة من جناحه لا لك سن يقطع ولا يد تبطش ولا قدم تسعى بها وأنبعت لك عرقين رقيقين فى صدر أمك يجريان لبنا خالصا حارا فى الشتاء باردا فى الصيف وألقيت محبتك فى قلب أبويك فلا يشبعان

نفى تشبع ولا ترقدان حتى ترقد فلما قوى ظهرك واشتد أزرك بارزتنى بالمعاصى واعتمدت على المخلوقين ولم تعتمد على وتسترت ممن يراك وبارزتنى بالمعاصى فى خلواتك ولم تستح منى ومع هذا ان دعوتنى أجبتك وان سألتنى أعطيتك وان تبت الى قبلتك (قوله فو الذى لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة) أى بامتثال الاوامر واجتناب النواهى (حتى مايكون بينه وبينها الاذراع) هذا تمثيل لشدة القرب منها (فيسبق عليه الكتاب) أى حكمه الذى كتب له فى بطن أمه أو اللوح المحفوظ مستندا الى سابق علمه القديم فيه (فيعمل بعمل أهل النار) أى من المعاصى (فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) بحكم القدر الجارى عليه فمن سبقت له السعادة صرف الله قلبه الى الخير بحكم الكتاب له به ومن سبقت له الشقاوة والعياذ بالله تعالى كان بعكسه وفى بعض روايات هذا الحديث وانما الاعمال بالخواتيم وفى الحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فيسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فيسر لعمل أهل الشقاوة فقلوب الخلق بيد الله يصرفها كيف يشاء كما أشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله قلوب الخلق بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها كيف يشاء فالموفق من بدئ عمله بالسعادة وختم له بها والمخذول عكسه وكذا من بدئ عمله بالخير وختم له بالشر والعياذ بالله تعالى لا عكسه ● (نكتة) ● من لطف الله تعالى ان انقلاب الناس من الخير الى الشر نادر والكثير عكسه ● (تنبيه) ● ماذكر فى هذا الحديث جامع لجميع أحوال الشخص اذ فيه بيان حال المبدا وهى خلقه والمعاد وهى السعادة والشقاوة ومابينهما وهو الاجل ومايتصرف فيه وهو الرزق وفيه دلالة على أن التوبة هادمة لما سلف وأن جميع الامور بقضاء الله وقدره ● (مهمة) ● المكلفون على أربعة أقسام ● القسم الاول قوم خلقهم

ووقوعها لهم لا لطلبها (الحديث) ويرادفه الخبر على الصحيح هو لغة ضد القديم وقد استعمل فى قليل الخبر وكثيره لانه يحدث شيأ فشيأ واصطلاحا ما أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرا أو صفة حتى الحركات والسكنات يقظة أو مناما زاد بعضهم أوهما أو ايماء ويعبر عن هذا بعلم الحديث رواية ويحد بأنه علم يعرف به أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله وموضوعه ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث انه رسول الله وغايته الفوز بسعادة الدارين وأما علم الحديث دراية فهو علم يعرف به حال الراوى والمروى من حيث القبول والرد وموضوعه الراوى والمروى من حيث ذلك وغايته معرفة مايقبل وما يرد من ذلك وقال ابن حجر فى شرح النخبة الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف والمقطوع وقيل الحديث ماجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم والخبر ماجاء عن غيره ومن ثم قيل لمن يشتغل بالسنة محدث وبالتواريخ ونحوها اخبارى وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق فكل حديث خبر ولا عكس وقيل لا يطلق الحديث على غير المرفوع الا بشرط التقييد وقد ذكر المؤلف ان المحدثين يسمون المرفوع والموقوف بالاثر وان فقهاء خراسان يسمون الموقوف بالاثر والمرفوع بالخبر (الاول) المشهور ان أصله أو أل على وزن أفعل فقلبت الهمزة الثانية واوا وادغمت فيها الاولى وهو اسم اما بمعنى قبل فيكون منصرفا ومنه قولهم أولا وآخرا أو صفة أى أفعل تفضيل بمعنى أسبق فيكون غير منصرف للوزن والوصف وصدر المصنف بهذا الحديث كالبخارى لان السلف الصالح كانوا يستحبون تقديمه امام كل شئ يبتدأ من أمور الدين لعموم الحاجة اليه ولتنبيه الطالب على مزيد الاعتناء والاهتمام بحسن النية والاخلاص بالاعمال فانه روحها الذى به قوامها وبفقده تصير هباء منثورا وقد قال الحافظ عبد الرحمن بن مهدى من أراد أن يصنف كتابا فليبدأ بهذا الحديث وقال لو صنفت كتابا لبدأت فى كل باب منه بهذا الحديث (عن أمير المؤمنين) هو أول من لقب به على العموم أو من الخلفاء لاستثقالهم خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبه بذلك عدى بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا عليه من العراق وقيل لقبه المغيرة بن شعبة وقيل انه قال للناس أنتم المؤمنون وأنا أميركم لانه أول من لقب به مطلقا وقد لقب به عبد الله بن جحش حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى سرية اثنى عشر رجلا وقيل ثمانية فى أول مقدمه المدينة وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر اليه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ولا يستكره أحدا من أصحابه فلما سار يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا أخبارهم فقال عبد الله وأصحابه سمعا وطاعة وقالوا له ماندعوك فقال أنتم المؤمنون وأنا أميركم قالوا أنت اذا أمير المؤمنين ثم مضوا ولقوا عير القريش فقتلوا عمرو بن الحضرمى فى أول يوم من رجب كافرا وأسروا اثنين وغنموا ما كان معهم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام فأنزل الله قوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآيتين وانما وصفه بأمير المؤمنين لما نقله فى شرح مسلم عن المطرز وابن خالويه وغيرهما ان كل من ملك المسلمين يقال له أمير المؤمنين ومن ملك الروم قيصر ومن ملك الفرس كسرى ومن ملك الترك

خاقان

الله تعالى لخدمته ولجنته وهم الانبياء والاولياء والمؤمنون والصالحون والقسم الثانى قوم خلقهم الله تعالى لجنته دون خدمته وهم الذين عاشوا كفارا ثم ختم لهم بالايمان أو فرطوا مدة حياتهم وانهمكوا فى العصيان ثم تاب الله عليهم عند الخاتمة فماتوا على حسن الخاتمة والتوبة والاحسان كسحرة فرعون ● والقسم الثالث قوم خلقهم الله تعالى لا لخدمته ولا لجنته وهم الكفار الذين يموتون على الكفر حرموا فى الدنيا نعيم الايمان وفى الآخرة يعذبون بالعذاب والهوان ● والقسم الرابع قوم خلقهم الله تعالى لخدمته دون جنته وهم الذين كانوا عاملين بطاعة الله ثم مكر بهم فطردوا عن باب الله وماتوا على الكفر نسأل الله السلامة بمنه وكرمه واعلموا ان أشد مايهيج خوف القلوب خوف السابقة والخاتمة فان العبد لايدرى هل سبقت له فى علم الله السعادة أو الشقاوة والخاتمة تجرى على ماجرت عليه السابقة فمن سبقت له فى علم الله السعادة ختم له بخاتمة الايمان ومن سبقت له فى علم الله تعالى الشقاوة ختم له بخاتمة الكفر والخذلان والعياذ بالله وأكثر مايمكر عند الموت بأرباب البدع وأصحاب الآفات الباطنة والظلمة والمجاهرين بالمعاصى فمن كان فى ظاهره الصلاح ومكر به فلآفات باطنية ● ذكر أن فتى من أصحاب الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى مات فرآه الفضيل بن عياض فى المنام فسأله عن حاله فاخبره ان الله مكر به ومات يهوديا والعياذ بالله تعالى فقال له لم ذلك فقال انى كنت أظن انى أفضل من أصحابك فكنت أتكبر عليهم وكانت بى علة باطنية فوصف لى شرب الخمر فكنت أشرب قدحا فى كل سنة وقال سهل بن عبد الله خوف الصديقين خوف سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وكان سفيان الثورى كثير البكاء والجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أو على ذنوبى أبكى لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أبال بأمثال الجبال من الخطايا ● ومرض بعض العارفين فقال لبعض اخوانه اقعد عند رأسى حتى أموت

خاقان ومن ملك القبط فرعون ومن ملك مصر العزيز ومن ملك الحبشة النجاشى ومن ملك اليمن تبع ومن ملك حمير القيل بفتح القاف ثم ان حديث النية هذا فرد غريب باعتبار أوله مشهور باعتبار آخره وليس بمتواتر خلافا لما زعمه بعضهم لان شرطه أن توجد عدة التواتر فى جميع طبقاته فان الصحيح انه لم يروه عن النبى صلى الله عليه وسلم الا عمر ولم يروه عن عمر الا علقمة بن وقاص الليثى ولم يروه عن علقمة الا محمد بن ابراهيم التيمى ولم يروه عن محمد الا يحيى بن سعيد الانصارى ومنه اشتهر فرواه عن يحيى بن سعيد أكثر من ثلثمائة نفس وقيل سبعمائة الا أن يحمل على التواتر المعنوى فيصح اذ طلب النية فى العمل ثابت فى عدة أحاديث غيره منها خبر البيهقى لا عمل لمن لا نية له وخبر غيره ليس للمرء من عمله الا مانواه وخبر ابن ماجه انما تبعث الناس على نياتهم (أبى حفص) الحفص الاسد وكان سبب ذلك ما كان عليه من الشدة كما رواه يزيد بن أسلم عن أبيه انه قال رأيت عمر رضى الله عنه يمسك أذن فرسه باحدى يديه ويمسك بالاخرى أذنه ثم يثب حتى يركب (عمر بن الخطاب) بن نفيل ابن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وفتح الباء آخر الحروف ابن عبد الله بن قرط بضم القاف وبالطاء المهملة ابن رزاح بفتح الراء أوله ثم زاى مفتوحة أيضا ابن عدى بن كعب بن لؤى العدوى القرشى يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى كعب الاب الثامن وأمه حنتمة بالحاء المهملة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب وكونها بنت هاشم هو الصحيح وقيل بنت هشام وعلى الاول فهى بنت عم أبى جهل وعلى الثانى فهى أخته فيكون أبو جهل خاله أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس بعد أربعين رجلا وعشر نسوة كما قاله سعيد بن المسيب أو بعد خمسة وأربعين رجلا واحدى عشرة امرأة كما قاله عبد الله بن ثعلب أو بعد تسعة وثلاثين رجلا كما قاله غيرهما وكان ذلك بدعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم لما قال عليه أفضل الصلاة والسلام اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام فكان أحبهما اليه عمر بن الخطاب قال أنس بن مالك خرج عمر متقلدا سيفه فلقيه رجل من بنى زهرة فقال أين تعمد يا عمر فقال أريد أن أقتل محمدا فقال وكيف تأمن فى بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمدا فقال له عمر ما أراك الا قد صبأت وتركت دينك الذى أنت عليه قال أفلا أدلك على العجب يا عمر ان أختك وختنك أبا سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة قد أسلما فمشى مغضبا حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب فلما سمع خباب حس عمر توارى فى البيت فدخل عليهما فقال ماهذه الهينمة التى سمعتها عندكم قال وكانوا يقرؤن طه فقال ما عدا حديثا تحدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبوتما فقال له ختنه أرأيت يا عمر ان كان الحق فى غير دينك فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديدا فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فضرب رأسها فأدماه فقالت وهى غضبى كان ذلك على رغم أنفك أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما يئس عمر قال أعطونى هذا الكتاب الذى عندكم فأقرأه وكان عمر يقرأ الكتب فقالت له أخته انك رجس ولا يمسه الا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى الى قوله انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى فقال عمر

دلونى على محمد وفى رواية أخرى أنه وجد فى الكتاب سورة الحديد فقرأ حتى بلغ قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله فقال دلونى على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال أبشر يا عمر فانى أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام قال وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الدار التى أسفل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار قال وعلى الباب حمزة وطلحة وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر قال حمزة نعم هذا عمر فان يرد الله بعمر خيرا يسلم ويتبع النبى صلى الله عليه وسلم وان يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا قال والنبى صلى الله عليه وسلم داخل يوحى اليه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف وقال أما أنت منتهيا يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب فقال عمر أشهد أنك رسول الله ولابن عباس أنه قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد ثم قال يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذى نفسى بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم قال ففيم الاختفاء والذى بعثك بالحق لتخرجن فخرج فى صفين حمزة فى أحدهما وعمر فى الآخر حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش الى حمزة والى عمر فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فلقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالفاروق وفى رواية أنه لما أظهر اسلامه صاروا يضربونه ويضربهم حتى أجاره خاله قال فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الاسلام وصح أنه لما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد قد استبشر أهل السماء باسلام عمر وان المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله على المصطفى يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروى شريح بن عبيد عنه أنه قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال قلت كاهن فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الى آخر السورة فوقع الاسلام فى قلبى قال ابن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر وقال أيضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى الى البيت حتى أسلم فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا وقال صهيب لما أسلم عمر جلسنا حول البيت وتحلقنا وطفنا وانتصفنا ممن غلظ علينا وحكمه الله فى العناصر الاربعة الريح والتراب والماء والنار بدليل قصة سارية فانه وجه جيشا وأمر عليهم سارية فبينما هو يخطب نادى يا سارية الجبل الجبل من سرى الذئب ظلم فاستند الجيش الى الجبل فنصرهم الله وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال أتت زلزلة عظيمة فى زمن عمر كادت الجبال أن تقع من على وجه الارض وذلك عقب الفصل الذى يسمونه فصل عمواس فضرب عمر الارض بدرته وقال لها اسكنى أنا عدل فويل لعمر فسكنت ولم تأت بعدها مثلها وما كتبه لنيل مصر لما كتب له عمرو بن العاص ان النيل

لا يزيد

فاذا مت على الاسلام فاشتر بجميع ما أملكه لوزا وسكرا وفرقه على صبيان البلد وقل هذا عرس فلان وان لم يكن كذلك فاعلم الناس حتى لا يغتروا بجنازتى فقعد عند رأسه حتى مات على الايمان فاشترى لوزا وسكرا وفرقه على صبيان البلد هذا كان خائفا فسلم ومن لم يخف من سلب الايمان فهو على خطر وكان حبيب العجمى يقول من ختم له بلا اله الا الله دخل الجنة ثم يبكى ويقول من لى بأن يختم لى بلا اله الا الله وقال الحسن البصرى رحمه الله دخل بعض الفقراء الى بلاد الروم فرأى جارية فافتتن بها فخطبها فأبوا أن يزوجوه بها حتى يتنصر فأجابهم الى ذلك فأحضروا له القسيسين وتنصر فخرجت الجارية وبصقت فى وجهه وقالت ويحك تركت دين الحق لشهوة فكيف لا أترك أنا دين الباطل لنعيم الابد أنا أشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولنختم مجلسنا هذا بقصة برصيصا العابد ففيها أعظم عبرة (حكى) انه كان له ستون ألفا من التلامذة وكانوا يمشون فى الهواء ببركته فمات كافرا نعوذ بالله من ذلك وكان يعبد الله تعالى حتى تعجبت الملائكة من عبادته فقال الله تعالى لهم لماذا تعجبون منه انى أعلم مالا تعلمون فى علمى انه يكفر ويدخل النار أبد الآبدين فسمع ذلك ابليس وعلم ان هلاكه على يده فجاء الى صومعته على شبه عابد قد لبس المسح فناداه فقال له برصيصا من أنت وما تريد فقال أنا عابد أكون عونا لك على عبادة الله تعالى فقال له برصيصا من أراد عبادة الله تعالى فان الله يكفيه صاحبا فقام ابليس لعنه الله يعبد الله ثلاثة أيام لم ينم ولم يأكل ولم يشرب فقال برصيصا أنا أفطر وأنام وآكل وأشرب وأنت لا تأكل وانى عبدت الله تعالى مائتين وعشرين سنة ولا أقدر على ترك الاكل والشرب فما حيلتى حتى أصير مثلك قال اذهب فاعص الله تعالى ثم تب فانه رحيم حتى تجد حلاوة الطاعة قال كيف أعصيه بعد أن عبدته كذا وكذا سنة فقال ابليس الانسان اذا أذنب يحتاج الى المعذرة والمغفرة فقال فأى ذنب تشير على قال

لا يزيد بادته المعتادة الا ان ألقى فيه امرأة بكرفأمر أن يلقى فيه كتابه بدل المرأة ومما هو مكتوب فيه انك ان تطلع من عند الله فاطلع وان كنت تطلع من عند نفسك فلا حاجة لنا بك فلم يلق فيه بعد ذلك امرأة وما قاله ابن عباس أيضا كانت تأتى نار كل عام الى المدينة المشرفة فشكى المسلمون ذلك لعمر فقال لغلامه خذ هذا الرداء فاذا جاءت النار فافرده فى وجهك وقل يا نار هذا رداء عمر بن الخطاب فهى ترجع لوقتها فلما جاءت النار ضج المسلمون فأخذ الغلام الرداء وخرج به الى ظاهر المدينة وفرده على وجهه كما أمره سيده وقال يا نار ارجعى هذا رداء عمر بن الخطاب فرجعت فى الحال ولم تعد (رضى الله عنه) أى حفظه من سخطه اذ الرضى والرضا وان ضدا السخط (قال سمعت رسول الله) مفعول سمعت أى كلامه لان السمع لا يتعلق بالذوات والسمع فى الاصل مصدر يطلق على الواحد وعلى الجمع قال الله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم (صلى الله عليه وسلم يقول) جملة يقول من الفعل والفاعل محلها النصب على الحال من رسول الله أى قائلا وهى حال مبينة لا يجوز حذفها هذا ما عليه الجمهور واختار الفارسى أن ما بعد سمعت ان كان مما يسمع كسمعت القرآن تعدت الى مفعول واحد والا كما هنا تعدت الى مفعولين فجملة يقول على هذا مفعول ثان (انما) للحصر باتفاق المحققين وهو اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه وانما اختلفوا فى وجه الحصر فقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم بدليل انه يقال انما زيد قائم لا قاعد بخلاف ما زيد الا قائم لا قاعد لانه لو كان الحصر بالمنطوق لكان قوله لا قاعد تكرارا ودعوى ان ان للاثبات وما للنفى كما زعمه الرازى وان الاثبات للمذكور والنفى لما عداه غير ظاهر لان القاعدة أن ما يلى حرف النفى منفى ولانه لو كانت ما للنفى لصدرت مع كون ان لها الصدر فيلزم اجتماع المتصدرين على صدر واحد وأيضا فيه اجتماع حرفى الاثبات والنفى بلا فاصل فيلزم اجتماع الضدين وأيضا يلزم عليه جواز نصب زيد فى انما زيد قائم لانها اذا اقترنت بما يجوز اعمالها وان كان نادرا والاولى ان تجعل ما زائدة لتأكيد الاثبات وتضاعف الاثبات يفيد الحصر (الاعمال) جمع عمل وهو حركة البدن فيشمل القول لانه عمل اللسان كما قاله ابن دقيق العيد خلافا لمن أخرجه وأورد على من سمى القول عملا بأن من حلف لا يعمل عملا فقال قولا لا يحنث وأجيب بأن مرجع اليمين الى العرف والقول لا يسمى عملا فى العرف وقد يتجوز بالعمل عن حركة النفس فان قلت النية أيضا عمل لانها من أعمال القلب فاذا احتاج كل عمل الى نية فالنية أيضا تحتاج الى نية وهلم جرا فالجواب ان المراد بالعمل عمل الجوارح نحو الوضوء والصلاة واما النية فهى خارجة عنه بقرينة العقل دفعا للتسلسل أو لان العرف لا يطلق العامل على الناوى على ان صاحب القاموس ذكر انه حركة المهنة فلا يتناول توجه القلب وآثر ذكر الاعمال على ذكر الافعال لان لفظ العمل أخص من لفظ الفعل لان الفعل ينسب الى البهائم والجمادات كما ينسب الى ذوى العقول بخلاف العمل لانه يعتبر فيه القصد قال بعض الادباء قلب لفظ العمل من لفظ العلم تنبيها على انه من مقتضاه قال الراغب ولم ينسب عمل العمل فى الحيوان الا فى قولهم البقر والابل العوامل وأما الصنع فهو أخص من العمل لانه لا يقال الا لما كان من الانسان بقصد واختيار بعد فكر وتحر وأل فيها للجنس

الزنا قال لا أفعل قال تقتل مؤمنا قال لا أفعل قال تشرب مسكرا فانه أهون وخصمك الله وحده قال أين أجده قال اذهب الى قرية كذا فذهب فرأى امرأة جميلة فاشترى منها الخمر فشرب وسكر وزنى بها فدخل عليه زوجها فقتله ثم ان ابليس تمثل فى صورة انسان وسعى به الى السلطان فأخذه وجلده للخمر ثمانين جلدة وللزنا مائة جلدة وأمر بصلبه لاجل الدم فلما صلب جاء اليه ابليس فى تلك الصورة فقال كيف ترى حالك قال من أطاع قرين السوء فحاله كذا فقال ابليس كنت فى عبادتك مائتين وعشرين سنة حتى صلبتك فلو أردت أنزلتك قال أريد وأعطيك ما تريد قال اسجد لى سجدة قال كيف أسجد على الخشب قال بالايماء فأومأ برأسه ساجدا فكفر نعوذ بالله من ذلك فلما كفر قال الشيطان انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين ٭ اللهم اجعل الايمان لنا سراجا ولا تجعله استدراجا آمين آمين والحمد لله رب العالمين

(المجلس الخامس فى الحديث الخامس)

الحمد لله الذى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة بها النفوس مطمئنه وهى لقائلها من النار جنه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل من رفع الفرض والسنه وشرع المعروف وسنه وصرف فى طاعة ربه عمره وسنه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين أماتوا البدع وأحيوا السنه آمين ٭ (عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد رواه البخارى ومسلم وفى رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) ٭ اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الاسلام وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فانه صريح فى دفع البدع والمخترعات وهو مما ينبغى أن يعتنى بحفظه واستعماله فى ابطال المنكرات وهو من الاحاديث التى عليها مدار الاسلام وقبل الشروع فيه نتكلم على شئ من

فضائل عائشة رضى الله عنها تبركا بها فنقول هى الصديقة بنت الصديق رضى الله عنه وهى أم المؤمنين فى الاحترام والتعظيم لافى السفر والخلوة والنظر وما أشبهها وكذا يقال فى سائر أزواجه صلى الله عليه وسلم ويقال لها أم عبد الله كناها به النبى صلى الله عليه وسلم لما سألته أن يكنيها بابن أختها أسماء وهو عبد الله بن الزبير والاصح انها لم تلد قط وقيل ألقت سقطا ولم يثبت وهى زوج النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة روى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خطبها من أبى بكر قال له يارسول الله انها صغيرة لا تصلح لك ولكن أنا أرسلها اليك فان كانت تصلح لك فهى السعادة الكاملة فقال ان جبريل أتانى بصورتها على ورقة من الجنة وقال ان الله زوجك بهذه قال ثم ذهب أبو بكر الى منزله وملأ طبقا من تمر وغطاه وقال ياعائشة اذهبى بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولى له يارسول الله هذا الذى ذكرته لابى ان كان يصلح فبارك عليك وكان سن عائشة اذذاك ست سنين قال فمضت عائشة بالطبق وهى تظن ان أبا بكر يعنى عن التمر قالت عائشة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغته الرسالة فقال قبلنا ياعائشة قبلنا وجذب طرف ثوبى قالت فنظرت اليه مغضبة ودخلت على أبى بكر وأخبرته بما وقع فقال يابنيتى لا تظنى برسول الله ظن سوء ان الله قد زوجك به من فوق سبع سموات وزوجك اياه فى الارض قالت عائشة رضى الله عنها فما فرحت بشئ أشد من فرحى بقول أبى بكر زوجتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال ان أول حب وقع فى الاسلام حب النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها فكانت أحب الناس اليه وفضائلها كثيرة • منها ان الوحى لم يأت النبى صلى الله عليه وسلم حيث فى فراش امرأة من نسائه الا هى • ومنها ان جبريل أقرأها السلام عن الله دون غيرها من صواحباتها وهى أفضل نساء النبى صلى الله عليه وسلم روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف حديث ومائتى حديث وعشرة أحاديث وفى هذا كفاية • ولنرجع الى

أو العهد الذهنى أى غير العادية لعدم توقف صحتها على نية أو للاستغراق وهو ما حكى عن جمهور المتقدمين ولا يرد عليه نحو الاكل من العاديات لان من أراد الثواب عليه احتاج لنية كما يأتى لا مطلقا لحصول المقصود بوجود صورته (بالنيات) جمع نية بتشديد الياء من نوى بمعنى قصد والاصل نوية قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وتخفيفها لغة من ونى ينى اذا أبطأ لانه يحتاج فى تصحيحها الى نوع ابطاء والالف واللام بدل من الضمير أى بنياتها فيدل على اعتبار نية العمل من الصلاة وغيرها الفرضية والنفلية والتعيين من ظهر أو عصر وانما لم يجب تعيين العدد لان تعيين العبادة لا ينفك عنه والنية محلها القلب لا الدماغ وهى لغة القصد وشرعا توجه القلب نحو الفعل ابتغاء وجه الله تعالى وامتثالا لامره وجمعت للاشارة الى أنها تتنوع كما تتنوع الاعمال لان المصدر اذا اختلفت أنواعه جمع كالعلوم وفى معظم الروايات بالنية مفردا لانها مصدر ولان محلها القلب وهو متحد فناسب افرادها بخلاف الاعمال فانها متعلقة بالظواهر فناسب جمعها ولان النية ترجع الى الاخلاص وهو واحد للواحد الذى لا شريك له وأيضا هو مفرد محلى بالالف واللام فيعم وفى صحيح ابن حبان الاعمال بالنيات بحذف انما وعند البخارى فى النكاح العمل بالنية وكل من رواية ابن حبان والبخارى فى النكاح يفيد الحصر لعموم المبتدا او خصوص الخبر على حد صديقى زيد فان قلت النيات جمع قلة كالاعمال وهى العشرة فما دونها مع انه لابد لكل عمل من النية سواء كان قليلا أو كثيرا فالجواب ان القلة والكثرة انما يعتبران فى نكرات الجمع أما فى المعارف فلا فرق بينهما قال البيضاوى فالنية فى الحديث محمولة على المعنى اللغوى ليحسن تطبيقه على ما بعده وتقسيمه بقوله فمن كانت الخ فانه تفصيل لما أجمله اه وفيه شئ اذ لو حمل على الشرع لكان أنسب وأولى لانه مبين للشرع ويحسن التطبيق ثانيا اذ المعنى كل عمل شرعى فهو محسوب بالنية الشرعية وما ليس كذلك كالهجرة الى الدنيا لا يعتد به شرعا على ان قوله فمن كانت الخ تفصيل لقوله وانما لكل امرئ مانوى وهذا الحديث متروك الظاهر لان الذوات غير منتفية اذ تقدير انما الاعمال بالنيات لا عمل الا بالنية والغرض ان ذات العمل الخالى عن النية موجودة فالمراد نفى أحكامها المتعلقة بوجودها كالصحة والكمال والحمل على الصحة أولى لانها أكثر لزوما للحقيقة وما كان ألزم للشئ كان أقرب خطورا بالبال عند اطلاق اللفظ فلا يصح عمل كالوضوء عند الثلاثة خلافا لابى حنيفة رضى الله عنه ولا نسلم ان الماء مطهر بطبعه وكالتيمم خلافا للاوزاعى وصوم رمضان فى الحضر خلافا لعطاء الا بنية وخروج بعض الاعمال عن اعتبار النية فيه اما بدليل آخر كالعتق والوقف فهو من باب تخصيص العموم أو استحالة ونحوها كالنية ومعرفة الله تعالى أما النية فلما سبق وأما معرفة الله تعالى فلانها لو توقفت على النية مع ان النية قصد المنوى بالقلب ولا يقصد الا ما يعرف فيلزم ان يكون الانسان عارفا بالله تعالى قبل معرفته له فيكون عارفا به غير عارف به فى حالة واحدة وهذا يقتضى ان معرفة الله لا ثواب فيها لان الثواب يتبع النية وقد صرح بذلك القرافى وابن جماعة فى شرح بدء الامالى وهو خلاف ماذكره الغزالى وانما لم تشترط النية فى ازالة الخبث لانه من قبيل التروك كالزنا فتارك الزنا من حيث اسقاط العقاب لا يحتاجها ومن

الكلام على الحديث فنقول (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث) أى أتى بشئ لم يكن موجودا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهو المسمى بالبدعة (قوله فى أمرنا) أى فى ديننا وشرعنا ويطلق على الشأن ومنه وما أمر فرعون برشيد (قوله هذا) اشارة الى ماذكر من دين النبى صلى الله عليه وسلم وشأنه (قوله ماليس منه) أى بأن ينافيه أولا يستند الى شئ من أدلة الشرع (قوله فهو رد) أى مردود ومعناه انه باطل لا يعتد به (رواه البخارى ومسلم وفى رواية لمسلم من عمل عملا) أى أحدثه هو أو غيره (ليس عليه أمرنا) أى لا يرجع الى دليل شرعنا (فهو رد) أى مردود كما مر وفى هذه الرواية رد على من فعل سوأ قائلا انه لم يحدث ما فعله وان غيره سبقه به وفيه بيان أنه لا فرق بين أن يكون محدثا لما فعله أو مسبوقا به اذ كل فعل لم يكن على أمر الشرع ففاعله آثم لقوله صلى الله عليه وسلم من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله ودخل فيما تناوله الحديث العقود الفاسدة والحكم مع الجهل والجور ونحو ذلك مما لا يوافق الشرع (فائدة) قسم ابن عبد السلام الحوادث الى الاحكام الخمسة فقال البدعة فعل مالم يعهد فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة كتعلم النحو وغريب الكتاب والسنة ونحوهما مما يتوقف فهم الشريعة عليه ومحرمة كمذهب القدرية والجبرية والمجسمة ومندوبة كاحداث الربط والمدارس وبناء القناطر وكل احسان لم يعهد فى العصر الاول ومكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف ومباحة كالمصافحة عقب صلاة الصبح والعصر والتوسع فى المآكل والمشرب والملبس وغير ذلك • واعلم أن فى هذا الحديث الحث على الاتباع والتحذير من الابتداع • قيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لا تجالس أهل الهوى فيحدثوا فى قلبك مالم يكن وقال سهل بن عبد الله من داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن وقال الدقاق من استهان بأدب من آداب الاسلام عوقب بحرمان السنة ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة ومن استهان بالفرائض قيض الله له مبتدعا يذكر

حيث تحصيل الثواب على الترك يحتاجها وكذا ازالة الخبث لا يحتاج فيها اليها من حيث التطهير ويحتاجها من حيث الثواب على امتثال أمر الشارع وشرعت تمييزا للعبادة عن العادة كالغسل يكون تنظيفا وعبادة أو لرتب العبادة بعضها عن بعض كالتيمم يكون للجنابة والحدث وصورتهما واحدة والصلاة تكون فرضا ونفلا والغسل يكون فرضا وسنة ومستحبا وقد جمع بعضهم أحكامها وهى سبعة بقوله

سبع شرائط أتت فى نية • تكفى لمن حاولها بلا وسن
حقيقة حكم محل وزمن • كيفية شرط ومقصود حسن

حقيقتها لغة القصد وشرعا قصد الشئ مقترنا بفعله وحكمها الوجوب ومحلها القلب وزمنها أول العبادة وكيفيتها تختلف بحسب المنوى وشرطها اسلام الناوى وتمييزه وتحقق الوجوب أو ظنه وان يكون المنوى من مكتسبات الناوى أو يكون تابعا لمكتسبه كنية فرضية الظهر أو نفلية الضحى فان الفرضية والنفلية تابعان للافعال التى يأتى بها الشخص والمقصود من النية تمييز العبادة عن العادة كالغسل فانه يكون عبادة وعادة للتنظيف أو تمييز رتب العبادة بعضها عن بعض كالغسل فانه يكون واجبا كغسل الجنابة وسنة كغسل الجمعة ومستحبا كغسل العيدين والباء للمصاحبة أو للاستعانة وقال ابن فرحون للسببية أى انما الاعمال ثابت ثوابها بسبب النيات ثم ان هذا الحديث تواتر النقل عن الائمة بتعظيم موقعه وكثرة فوائده وانه أصل عظيم من أصول الدين ومن ثم خطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى رواية البخارى فقال ياأيها الناس انما الاعمال بالنيات وخطب به عمر رضى الله تعالى عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخرجه أيضا ولذلك قال أبو عبيد ليس فى الاحاديث أجمع وأغنى وأكثر فائدة منه ومن ثم قال بعضهم انه نصف العلم ووجهه انه أجل أعمال القلب والطاعة المتعلقة به وعليه مدارها فهو قاعدة الدين ومن ثم كان أصلا فى الاخلاص أيضا وأعمال القلب تقابل أعمال الجوارح بل تلك أجل وأفضل بل هى الاصل فكان نصفا بل أعظم النصفين كما تقرر وقيل لان النية عبودية القلب والعمل عبودية القالب بفتح اللام أو لان الدين اما ظاهر وهو العمل أو باطن وهو النية وقال كثيرون منهم الشافعى وأحمد رضى الله تعالى عنهما انه ثلث العلم لان الاحكام تدور عليه وعلى حديث من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد والحلال بين والحرام بين ووجه البيهقى كونه ثلثا بأن كسب العبد اما بقلبه أو بلسانه أو بجوارحه فالنية أحدها وأرجحها لانهما تابعان لها صحة وفسادا وثوابا وحرمانا ولا يتطرق اليها رياء ونحوه بخلافهما ومن ثم ورد نية المؤمن خير من عمله أى نية بلا عمل خير من عمل بلا نية وهذا على معنى الاتساع لان كل عمل بلا نية لا خير فيه أصلا وفى رواية أبلغ من عمله اذ هى قطب عمله ومداره لان بها يرتفع أو يتضع على قدر ماهى عليه من صحة أو سقم وهو ضعيف لا موضوع خلافا لمن زعمه وفى أخرى زيادة وان الله ليعطى للعبد على نيته مالا يعطيه عن عمله قال بعضهم وانما كانت خيرا من العمل لانها تحتمل التعدد والتكثر فى العمل الواحد فيتضاعف أجر العمل بقدر النيات فيه ولا يتأتى ذلك فى العمل كما اذا جلس فى المسجد بنية الاعتكاف وانتظار الصلاة والخلوة عن شواغل القلب والعزلة

عنده باطلا فيوقع فى قلبه شبهة وفى الحديث من أحب سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة وفى تفسير قوله تعالى ويعلمهم
الكتاب والحكمة ان الحكمة هى السنة (ويحكى) عن أحمد بن حنبل رضى الله عنه قال كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدخلون
الماء فاستعملت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر فلم

أتجرد فرأيت تلك الليلة فى المنام
قائلا يقول لى أبشر يا أحمد فان
الله قد غفر لك باستعمال السنة
فقلت من أنت فقال جبريل وقد
جعلك الله اماما يقتدى بك
(ويحكى) عن بعضهم أيضا أنه
قال رأيت النبى صلى الله عليه
وسلم فقلت له يارسول الله عسى
أن تشفع لى فقال لى قد شفعت لك
قلت متى قال من اليوم الذى
أحييت فيه سنتى وقد كانت
أميتت قال ابن عباس رضى الله
عنهما ما أتى على الناس عام الا
أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة
حتى تحيى البدعة وتموت السنة
وفى الحديث من مشى الى صاحب
بدعة فقد اعان على هدم الاسلام
فيجب على من من الله عليه
بالاتباع أن يجتنب سبيل ذوى
الابتداع وان يقف مع الكتاب
والسنة والاجماع (خاتمة المجلس)
حكى المالقى فى شرحه ان هرون
الرشيد وجه الى أبى عبد الله
محمد بن ادريس الشافعى رحمه الله
فاستعطفه ليرخص له فى نكاح
الجارية التى تركها أخوه موسى
الهادى وكان قد استحلفه انه متى
أفضت الخلافة اليه لا يقربها
فخلف له هرون أيمانا كثيرة منها
المشى الى بيت الله الحرام حافيا
على قدميه والقصة مشهورة عند
أهل التاريخ فلما مات أخوه
موسى الهادى طلب هرون

رخصة فى نكاحها فلم يسعفه الشافعى فتوعده وهدده فانصرف عنه وقد خامره بعض رعب فمازال يصلى حتى
غاب عليه النوم فى مصلاه فرأى كأنه قائم بين يدى الله تعالى فنودى يا محمد تثبت على دين محمد واياك اياك ان تحيد فتضل وتضل
ألست بامام القوم لا وجل عليك منه اقرأ انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم مقمحون قال فاستيقظت وأنا أقرؤها

والذكر وقراءة القرآن ونية حفظ السمع والبصر واللسان عما لا يعنيه وعمارة المسجد
بالذكر فانه لا يكون كمن جلس لاحدها فقط وقال بعضهم انما كانت خيرا من العمل لانه
لا يتعبد الا بطاقته ووسعه كما اذا نوى ان يعتق عبدا أو يتصدق بمال كثير وهو لا يملك شيئا
فى الحال وهذا على تقدير رجوع الضمير للمؤمن كما هو ظاهر وقد قيل ان النبى صلى الله عليه
وسلم وعد بثواب على حفر بئر فنوى عثمان أن يحفرها فسبق اليها كافر فحفرها فقال صلى
الله عليه وسلم نية المؤمن يعنى عثمان خير من عمله يعنى الكافر وفى رواية أخرى ان رجلا من
الصحابة نوى بناء قنطرة فى موضع مهم فسبقه يهودى لبنائها فأخبر بذلك بحضرة جماعة منهم
عمر فتأسف ذلك الرجل وافتعل فقال عمر تسلية له نية المؤمن خير من عمله أى من عمل ذلك
الكافر لكن يخدشه ما ذكره أبو زرعة فى البستان من أن هذا القول صادر عن صدر النبوة
ثم صار مثلا من الامثال السائرة وقال أبو داود مدار الدين على أربعة أحاديث وقد نظمها
طاهر بن معوذ رضى الله تعالى عنه فقال

عمدة الدين عندنا كلمات • أربع من كلام خير البريه
اتق الشبهات وازهد ودع ما • ليس يعنيك واعملن بنيه

لكن المعروف عن أبى داود عد ما نهيتكم عنه فاجتنبوه الحديث بدل ازهد فيما فى أيدى
الناس وذكر أبو بكر بن فراسة بدل حديث الزهد حديث لا يكون المؤمن مؤمنا حتى
يرضى لاخيه ما يرضى لنفسه (وانما لكل) اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر نحو كل
نفس ذائقة الموت ولاستغراق اجزاء المعرف نحو أكلت كل الرغيف وحينئذ يقال كل رمان
مأكول ولا يقال كل الرمان مأكول (امرئ) أى رجل وفيه لغتان امرئ نحو زبرج ومرء
بفتح الميم نحو فلس وحكى الضم ولا جمع له من لفظه وعينه تابعة للامه فى الحركات الثلاث
قال الله تعالى ان امرؤ هلك ما كان أبوك امرأ سوء لكل امرئ وفى مؤنثه أيضا لغات
امرأة ومرأة ومرة لكن فى الحديث أطلقه على كلا النوعين بدليل قوله بعد فمن الدال على
العموم الخ بل قال الحرالى انه يشترك فيه الرجل والمرأة على انه يمكن أن يقال على الاول
انما خصه بالذكر لشرفه واصالته وغلبة دوران الاحكام عليه (ما) اسم موصول بمعنى
الذى (نوى) صلته والعائد محذوف أى ما نواه من خير أو شر ويجوز أن تكون مصدرية أى
جزاء نيته فان قلت ما فائدة هذه الجملة بعد قوله انما الاعمال بالنيات فالجواب من وجوه
الاول ان هذه الجملة تأكيد للجملة الاولى فذكر الحكم بالاولى وأكده بالثانية تنبيها على
شرف الاخلاص وتحذيرا من الرياء المانع من الخلاص لكنه يرد عليه ان الافادة خير من
الاعادة الثانى قال المصنف فى شرح مسلم قال الخطابى ان الجملة الثانية أفادت اشتراط تعيين
المنوى فاذا كان على الانسان صلاة فائتة لا يكفيه أن ينوى الصلاة الفائتة بل يشترط أن
ينوى كونها ظهرا أو عصرا أو غيرهما محله ما لم تنحصر الفائتة ولولا هذه الجملة الثانية
لاقتضت الاولى الصحة بلا تعيين أو أوهمت ذلك وكأنه استنبطه من ما الموصولة لانها من
المعارف المفيدة للتعيين وفيه بحث لان اللام فى قوة الاضافة المفيدة للتعيين لانها موضوعة
للعهد كما اختاره صاحب المفتاح الثالث قال ابن عبد السلام ان الاولى لبيان ما يعتبر من

الاعمال

فلما كان وقت صلاة الصبح صليت الفريضة ثم وجدت فى نفسى كسلا فقيل لى هرون الرشيد توجه عنك فلا تخف ما دمت شيأ
واقرأ فى نفسك اذا مشيت اليه دعاء الخائف فانك لا ترى منه الا خيرا فانتبهت وجعلت أقول اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة
حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى عدو بعيد يتجهمنى أم الى

صديق قريب ملكته أمرى ان لم
يكن لك على غضب فما أبالى ولكن
عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك
الذى أشرقت به الظلمات وصلح
عليه أمر الدنيا والآخرة من
أن ينزل بى غضبك ويحل على
سخطك لك الحمد حتى ترضى ولا
حول ولا قوة الا بك قال فما أكملت
قراءته حتى سمعت قرع الباب
فخرجت فوجدته الربيع ابن
وزيره فقال ياسيدى الخليفة
يأمرك بالوصول اليه فمشيت معه
فلما وصلت لقربه قام الى فرحب
بى وتبسم وقال نعم المسلم أنت ونعم
الامام مثلك لا تأخذه فى الله لومة
لائم اعلم يا فقيه انى عوتبت الليلة
فى حقك فانصرف راشدا فأنت
الملحوظ والمحفوظ وأمر له بعشرة
آلاف دينار ففرقها بين يديه
وانصرف رضى الله عنه وهذا
كله ببركة التمسك بسنة سيد
المرسلين أماتنا الله عليها آمين
والحمد لله رب العالمين

• (المجلس السادس
فى الحديث السادس) •

الحمد لله الملك المتعال المنزه عن
الشركاء والامثال الذى بين لعباده
الحرام من الحلال وأشهد أن
لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة تصلح القلب واللسان
من فساد الافعال وأشهد أن
سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى
طهره الله ظاهرا وباطنا ووصفه

 فوق ما يقال فهو النبى المصطفى والحبيب المجتبى والهادى من الضلال صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه
بالغدو والآصال آمين (عن أبى عبد الله النعمان بن بشير رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الحلال بين وان الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى

الاعمال فى سقوط الطلب والثانية لبيان ما يترتب عليهما من الثواب والعقاب وهذا فى العبادة
التى لا تتميز بنفسها وأما ما يتميز بنفسه فانه ينصرف بقوله الى ما وضع له كالاذكار والاذان
والتلاوة الرابع ان الثانية أفادت منع الاستنابة فى النية اذ لو نوى واحد عن غيره لصدق
عليه انه عمل بنية أفادت الثانية منعه الا فى مسائل كنية الحاكم فى الزكاة اذا أخذها كرها
واحرام الولى عن الصبى فى الحج ونحو ذلك لمدرك يخصها الخامس قال السمعانى فى أماليه ان
هذه الجملة دلت على أن الاعمال العادية التى لا تتوقف على النية قد تفيد الثواب اذا نوى بها
فاعلها القربة كالاكل والشرب اذا نوى بهما التقوى على الطاعة والنوم اذا قصد به ترويح
البدن للعبادة والوطء اذا أريد به التعفف عن الفاحشة والتطيب اذا قصد به اقامة السنة
والتنظف اذا قصد به دفع الروائح المؤذية عن عباد الله لا استيفاء اللذات والتودد الى
النسوان السادس ان الجملة الثانية دلت على أن من نوى شيأ يحصل له ثوابه وان لم يعمله لمانع
شرعى كمريض تخلف عن الجماعة وقد ورد فى مسند أبى يعلى الموصلى مرفوعا يقول الله
سبحانه وتعالى للحفظة يوم القيامة اكتبوا العبدى كذا وكذا من الاجر فيقولون ربنا لم نحفظ
ذلك منه ولا هو فى صحفنا فيقول انه نواه وفى عقد الدرر واللآلئ انه حصل فى بنى اسرائيل قحط
وغلاء فخرج أحدهم من الصحراء فمر على كثيب رمل فقال وددت لو كان هذا ذهبا لتصدقت
به أو لو كان طعاما لقسمته بين الناس فأوحى الله تعالى الى نبى زمانه ان قل لفلان انى قبلت
صدقته ولم يتصدق بشئ ولكن صحت منه النية اه ومن الدقائق ما فى التحبير للقشيرى ان
بعضهم رؤى فى المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى ورفع درجاتى فقيل له بماذا
فقال ههنا يعاملون بالجود لا بالركوع والسجود ويعطون بالنية لا بالخدمة ويغفر لهم بالفضل
لا بالفعل وحكى عن بعض فضلاء الصوفية انه كان مريضا فدخل عليه بعض اخوانه يعوده
فقال لهم أنووا بنا حجا أنووا بنا رباطا وعدد لهم أنواعا من البر فقالوا له كيف وأنت على هذه
الحالة فقال ان عشنا وفينا وان متنا حصل لنا أجر النية وقيل لبعض النساك كيف الناس
عند مليكهم فقال على قدر نياتهم وحكى عن أخوين كان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على
نفسه وكان العابد يتمنى أن يرى ابليس قال فظهر له ابليس يوما وقال له وا أسفا عليك ضيعت
من عمرك أربعين سنة فى حصر نفسك واتعاب بدنك وقد بقى من عمرك مثل ما مضى فأطلق
نفسه فى شهواتها فقال العابد فى نفسه لعلى أنزل الى أخى فى أسفل الدار وأوافقه على الاكل
والشرب واللذات عشرين سنة ثم أتوب وأعبد الله فى العشرين التى تبقى من عمرى فنزل
على نية ذلك وأما أخوه المسرف فانه استيقظ من سكره فوجد نفسه فى حالة ردية قد بال على
ثيابه وهو مطروح على التراب وفى الظلام فقال فى نفسه قد أفنيت عمرى فى المعاصى وأخى
يتلذذ بطاعة الله تعالى ومناجاته فيدخل الجنة بطاعة ربه وأنا بالمعاصى أدخل النار ثم عقد
التوبة ونوى الخير والعبادة وطلع يوافق أخاه على عبادة الله تعالى فصعد على نية الطاعة
ونزل أخوه على نية المعصية فزلت رجله فسقط على أخيه فوقعا ميتين فحشر العابد على نية
المعصية وحشر العاصى على نية التوبة وصح عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال كانت
قريتان صالحة وظالمة فخرج رجل من الظالمة يريد الصالحة فأتاه الموت حيث شاء الله تعالى

الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وان لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب رواه البخارى ومسلم) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث (٥٠) عظيم وهو أحد الاحاديث التى عليها مدار الاسلام قال جماعة هو ثلث الاسلام اذ الاسلام يدور عليه وعلى حديث انما الاعمال بالنيات وحديث من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وقال أبو داود يدور على أربع ماذكر وقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحديث ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس وقد جمعها بعضهم بقوله

عمدة الدين عندنا كلمات
أربع من كلام خير البريه
اتق الشبهات وازهد ودع ما
ليس يعنيك واعملن بنيه

(قوله ان الحلال بين) أى ظاهر منكشف قد انتفت عن ذاته الصفات المحرمة وخلا عن شائبة ما يتطرق اليه من ذلك وهو عند امامنا الشافعى رحمه الله تعالى مالم يرد دليل بتحريمه فهو مالم يمنع منه شرعا سواء أورد بحله دليل او سكت عنه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم فيما يأتى فى الحديث الثلاثين وسكت أى الله عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها لانها لو كانت حراما لبينها ٭ وعن أبى حنيفة رحمه الله تعالى ما ورد دليل بحله فهو أخص من قول الشافعى لخروج المسكوت عنه وعلينا لو رأينا نباتا ولم نعلم أمضر هو أم لا أو حيوانا لم تعرفه العرب فالاشبه كما قال الامام الرافعى وغيره بمذهب الامام الشافعى الحل لسكوت الشارع عن تحريمه وبمذهب أبى حنيفة التحريم لعدم ورود نص بحله (قوله وان الحرام) أى وهو ما منع من تعاطيه دليل على مذهب الامام الشافعى وما لم يرد دليل بحله على مذهب الامام أبى حنيفة (قوله بين) أى يعرفه كل أحد لم ينتف عن ذاته صفة محرمة فهو ما منع منه شرعا اتفاقا اما الصفة فى ذاته

فاختصم فيه الملك والشيطان فقال الشيطان والله ما عصانى قط وقال الملك انه خرج يريد التوبة فقضى الله بينهما ان ينظر الى أيهما أقرب فوجده أقرب الى القرية الصالحة وأخرج الشيخان انه كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال له انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدلوه على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا وجاء فى الطبرانى ان اسم الارض نصرة فان بها ناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا بلغ نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه حكما بينهم وقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيهما أدنى كان له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة وفى رواية لهما فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها وفى أخرى لهما فأوحى الله تعالى الى هذه ان تباعدى والى هذه أن تقربى وقال قيسوا بينهما فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر الله تعالى له وللطبرانى انهم وجدوه أقرب الى دار التوابين بأنملة وحكى ان رجلا عبد الله سبحانه وتعالى سبعين سنة فبينما هو فى معبده ذات ليلة فوقفت امرأة جميلة فسألته ان يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت اليها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فأعجبته وملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها فقال الى أين فقالت الى حيث أريد فقال هيهات هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فادخلها مكانه فاقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تفكر فيما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام فبكى حتى غشى عليه فلما أفاق قالت له يا هذا أنت ما عصيت الله مع غيرى وأنا ما عصيت الله مع غيرك وانى أرى فى وجهك أثر الصلاح فبالله عليك اذا اصطلحت مولاك فاذكرنى فخرج هاربا على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث لهم فى كل ليلة عشرة أرغفة فجاء غلام الراهب بالخبز على عادته فمد ذلك الرجل العاصى يده فأخذ رغيفا فبقى رجل منهم لم يأخذ شيئا فقال أين رغيفى فقال قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا فبكى الرجل العاصى وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه انا أحق ان أبيت طاويا لانى عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فأمر الله ملك الموت بقبض روحه فاختلفت فيه ملائكة العذاب وملائكة الرحمة فقالت ملائكة الرحمة انه فر من ذنبه وجاء تائبا وقالت ملائكة العذاب بل ثم عاصيا فأوحى الله اليهم ان زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبعة أيام فوزنوها فرجحت المعصية على السبعين سنة فأوحى الله اليهم ان زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذى آثر به على نفسه فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل توبته وهو به الى ربه ونقل الاستاذ أبو القاسم ان زبيدة رؤيت فى المنام فقيل لها ما فعل الله بك فقالت غفر لى فقيل لها بكثرة عمارتك الآبار والبرك والمصانع فى طريق مكة وانفاقك فيها فقالت هيهات هيهات ذهب ذلك كله لاربابه وانما نفعنا منه

النيات

ظاهرة كالسم والبنج وغيرهما أو غير ظاهرة كتحريم بعض الحيوان واما الخلل فى تحصيله كالمغصوب وبيع الغرر والربا (قوله وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس) أى لخفاء حكمهن عليهم ويعلمهن العلماء بنص أو قياس أو استصحاب أو نحو ذلك (قوله فمن اتقى) أى ترك (الشبهات) جمع شبهة وهو ما يخيل للناظر انه حجة وليس (٥١) كذلك (قوله استبرأ) بالهمزة وقد تخفف أى طلب البراءة (لدينه) أى من ذم الشرع (وعرضه) بكسر العين أى صانه عن كلام الناس فيه والمراد به النفس اذ هى محل المدح والذم وقد جاء فى الاثر من وقف موقف تهمة فلا يلومن من أساء الظن به وقال صلى الله عليه وسلم لرجلين مرا عليه ومعه زوجته صفية أسرعا فى المشى على رسلكما انها صفية خوفا عليهما ان يهلكا فقالا سبحان الله فقال ان الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم وقد خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا (فائدة) اختلف العلماء فى معنى الشبهة المذكورة فى الحديث فمنهم من قال انها الحرام عملا بقوله فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومنهم من قال انها الحلال عملا بقوله كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه فانه دال على ان ذلك حلال وان تركه ورع وهو الصواب (قوله ومن وقع فى الشبهات) أى بأن لم يترك فعلها وقع فى الحرام المحض أو قارب ان يقع فيه معناه ان من كثر تعاطيه الشبهات صادف الحرام وان لم يتعمده وقد يأثم بذلك ان نسب الى تقصير ومعناه أن يعتاد التساهل ويجسر على شبهة ثم شبهة أغلظ منها ثم أخرى أغلظ وهكذا حتى يقع فى الحرام عمدا وقد دلت الاحاديث أن المعاصى تسوق الى الكفر والعياذ بالله تعالى ومن ذلك قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها فنهى عن المقاربة حذرا من المواقعة وقوله تعالى ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا أى تدرجوا بالمعاصى الى قتلهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده أى يتدرج بهما الى نصاب السرقة فتقطع يده ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم نظر لما ذكره بقوله (كالراعى يرعى

النيات فغفر لى بها وحكى أيضا انه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيدفع له كتاب فيأخذه بيمينه فيجد فيه حجا وجهادا وصدقة ما فعلها فيقول هذا ليس بكتابى فانى ما فعلت شيئا من ذلك فيقول الله تعالى هذا كتابك لانك عشت عمرا طويلا وأنت تقول لو كان لى مال حججت منه لو كان لى مال تصدقت منه فعرفت من ذلك من صدق نيتك وأعطيتك ثواب ذلك كله (فمن كانت هجرته) الفاء رابطة للجواب وهى واقعة فى جواب شرط مقدر أى واذا كان لكل امرئ ما نوى فمن الخ وهو من عطف المفصل على المجمل الآن هذا تفصيل لما سبق والهجرة بكسر الهاء فى اللغة الترك وفى الاصطلاح مفارقة دار الكفر الى دار الاسلام خوف الفتنة وطلب اقامة الدين وفى الحقيقة مفارقة ما يكرهه الله تعالى الى ما يحبه وقد وقعت فى الاسلام على وجهين الاول الانتقال من دار الخوف الى دار الامن كما فى هجرة الحبشة وابتداء الهجرة من مكة الى المدينة الثانى الهجرة من دار الكفر الى دار الايمان وذلك بعد ان استقر صلى الله عليه وسلم بالمدينة هاجر اليه من أمكنه ذلك من المسلمين فكانت الهجرة اليها واجبة اذ ذاك لتكثير عدد المسلمين والفرار بالدين من الفتن الى ان فتحت مكة لما رواه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية لكن روى أبو داود والنسائى من حديث معاوية عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ووفق الخطابى بينهما بان الهجرة كانت فى أول الاسلام فرضا ثم صارت بعد الفتح مندوبة على انه ورد فى الحديث الآخر ما يدل على ان المراد بالهجرة الباقية هجرة السيئات (الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله) فان قلت القاعدة تغاير الشرط والجزاء لان الشرط سبب للجزاء والسبب غير المسبب فلا يقال مثلا من أطاع أطاع ومن عصى عصى وانما يقال من أطاع نجا ومن عصى عوقب وقد اتحدا فى هذا الحديث فالجواب ان التغاير يقع تارة باللفظ وهو الاكثر وتارة بالمعنى كما هنا فالمعنى فمن كانت نيته فى الهجرة التقرب الى الله ورسوله فهجرته مقبولة عندهما فالجزاء كناية عن قبول الهجرة وقال بعضهم الجزاء محذوف تقديره فله ثواب الهجرة الى الله ورسوله والمذكور مستلزم له دال عليه فاقيم السبب مقام المسبب وقدر أبو الفتح القشيرى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله نية وقصدا فهجرته الى الله ورسوله حكما وشرعا وقدر غيره ثوابا وأجرا بدل قوله حكما وشرعا فان قلت فما فائدة الاتيان بهما بالاتحاد فالجواب أن الاتحاد هنا للمبالغة فى التعظيم على انه قد يقصد بجواب الشرط بيان الشهرة وعدم التغير فيتحد بفعله لفظا نحو من قصدنى فقد قصدنى أى فقد قصد من عرف بانجاح قاصده ويجرى مثل ذلك فى المبتدا والخبر كقول الشاعر

خليلى خليلى دون ريب وربما ٭ ألان امرؤ قولا فظن خليلا

وقوله ٭ انا أبو النجم وشعرى شعرى ٭ أى خليلى من لا أشك فى صحة خلته ولا يتغير فى حضوره وغيبته وشعرى على ما ثبت فى النفوس من جزالته والتوصل به من المراد الى غايته وقد يقصد به التحقير نحو قوله الآتى فهجرته الى ما هاجر اليه قال الصفوى وبالحقيقة الاشكال مدفوع من أصله لان الهجرة هى الانتقال وهو أمر يقتضى ما ينتقل اليه ويسمى مهاجرا اليه وما يبعث على الاستقبال هو المهاجر له والفقرتان لبيان أن العبرة

حول الحمى يوشك أن يقع فيه) أى كالراعى يرعى الماشية حول الحمى أى المحمى وهو المكان من الارض المباح المحمى الممنوع من الرعى فيه يوشك بكسر الشين أى يسرع ويقرب ان يرتع فيه معناه أكل الماشية من المرعى واقامتها به وكفى بهذا دليلا على درء المفاسد وجلب المصالح بالتباعد عما يخاف منه وان ظن السلامة فى مقاربته (٥٢) (قوله ألا وان لكل ملك حمى) وهو ما يحجزه لرعى خيله وغيره من مصالحه ويمنع غيره منه (قوله ألا وان حمى الله محارمه) أى أن تنتهك وهذا ضرب مثل محسوس لتكون النفس متفطنة أشد تفطن فتتأدب معه تعالى كما تتأدب مع الاكابر اذ كل ملك بكسر اللام له حمى يحميه عن الناس ويمنعهم من دخوله فمن خالفه ودخله عاقبه فالرب جل جلاله حمى محارمه التى حرمها وقد حرم ابراهيم عليه السلام مكة ونبينا صلى الله عليه وسلم المدينة فاحذر يا أخى أن تقع فى محارم الله تعالى فيعاقبك (قوله ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب) اعلم أرشدنى الله واياك ان القلب عضو باطن فى الجسد وعليه مدار حال الانسان وبه العقل وهو أشرف أعضائه وسمى قلبا لسرعة الخواطر فيه وترددها عليه وتقلبه كما قيل

وما سمى الانسان الا لانسه
ولا القلب الا أنه يتقلب

وقد يعبر عنه بنفس العقل لقوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل وانما كان صلاح البدن وفساده تابعا لصلاح القلب وفساده لانه مبدأ الحركات البدنية والارادات النفسانية فاذا صدرت عنه ارادة صالحة لسلامته من الامراض الباطنية كالحسد والشح والغل والكبر أو فاسدة لعدم سلامته مما ذكر تحرك البدن بتلك الحركة فهو كالملك والجسد وأعضائه كالرعية ولا شك ان الرعية تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده وأيضا فهو كالعين والجسد كالمزرعة ان عذب ماء العين عذب الزرع أو ملح ملح وأيضا فهو كالارض وحركات الجسد كالنبات قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه

بالباعث وذلك انما يظهر اذا كانت الى فى جملتى الشرط بمعنى اللام فاذا تركت فى الجزاء على معناها الوضعى الحقيقى فلا اتحاد والمعنى من هاجر لله ولرسوله أى لاتباع أمرهما وابتغاء مرضاتهما فقد هاجر اليهما حقيقة وان كان ظاهرا منتقلا الى الدنيا ونعيمها ومن هاجر لغيرهما فالمهاجر اليه ذلك وان انتقل الى النبى ظاهرا وقوله الى الله ورسوله اشارة لتعظيم الهجرة والمهاجر اليه ثم ان أصل الهجرة الانتقال من محل الى محل كما تقرر ولكن كثيرا ما يستعمل فى الاشخاص والاعيان والمعانى وذلك فى حقه تعالى اما على التشبيه البليغ أى كأنه هاجر اليه أو هو على حذف مضاف أى محل رضاه وثوابه ورحمته أو يقال الانتقال الى الشئ عبارة عن الانتقال الى محل يجده فيه ووجدان كل أحد على ما يليق به فالمراد الانتقال الى محل قربه المعنوى وما يليق به ألا ترى الى ما اشتهر على ألسنة القوم من السير الى الله تعالى ونحو ذلك أو يقال ان ذكر الله للتعظيم والتبرك ومثله غير عزيز الا ترى الى ما قرروه فى ان الذين يبايعونك الآية ان المعاملة مع حبيب الله كالمعاملة مع الله فيده يده وبيعته بيعته والهجرة اليه هجرة اليه وأمثال هذه المسامحات فى كلام الشارع كثيرة وأينما تولوا فثم وجه الله والحاصل انه أريد بالهجرة هنا مطلق الانتقال والتجاوز من شئ الى شئ صوريا أو معنويا وانما قال الى الله ورسوله ولم يقل اليهما مع أن المحل للاضمار تبركا وتلذذا بذكر الله ورسوله ولئلا يجمع بينهما فى ضمير واحد ولذا قال للخطيب حين قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله فان قيل قد ورد فى حديث ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم جمع بينهما فى الضمير حيث قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ فالجواب انه انما كان انكاره على الخطيب لانه لم يكن عنده من المعرفة بتعظيم الله وجلاله والوقوف على دقائق الكلام ما كان يعلمه عليه الصلاة والسلام من عظمته وجلاله (ومن كانت هجرته لدنيا) بضم الدال على الاشهر على وزن فعلى مقصورة غير منونة اذ هى غير منصرفة للوصفية ولزوم ألف التأنيث وحكى ابن قتيبة وغيره كسر الدال من الدنو وهو القرب لسبقها الآخرة أو لدنوها الى الزوال أو من الدناءة أى الخسة قال الشاعر

أعاف دنيا تسمى من دناءتها • دنيا والانف مكروهها الدانى

واللام فيها للتعليل أو بمعنى الى لمقابلته له بقوله فهجرته الى ما هاجر اليه قال بعضهم والاول أشبه وحقيقتها جميع المخلوقات الموجودة قبل الآخرة وقيل الارض مع الهواء والجو قال النووى والاول أظهر واستشكل استعمالها منكرة لانها فى الاصل مؤنث أدنى وأدنى أفعل تفضيل فحقها أن تستعمل باللام نحو الكبرى والحسنى وأجيب بأن دنيا خلعت عن الوصفية وأجريت مجرى ما لم يكن وصفا مما وزنه فعلى اسما كرجعى وبهمى ومن ورودها منكرة مؤنثة قول الفرزدق

لا تعجبنك دنيا أنت تاركها • كم نالها من أناس ثم قد ذهبوا

(يصيبها) حال مقدرة أى مقدرا اصابتها أى تحصيلها (فائدة) اكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هذا هو المقصود بالذات من بيان

الشرائع

والذى خبث لا يخرج الا نكدا (تنبيه) قد شق عن قلبه صلى الله عليه وسلم واستخرج منه علقة سوداء وقيل هذه حظ الشيطان منك ثم طهر فطاب قلبه فصار فردا قيل وصلاح القلب فى ستة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وأكل الحلال وهو رأسها وقد قيل اذا (٥٣) صمت فافطر على طعام من تنظر فان الرجل لياكل الاكلة فتشعل قلبه كالسم فلا ينتفع أبدا وقال بعضهم وأحسن وأجاد الطعام بذر الافعال ان دخل حلالا خرج حلالا وان دخل حراما خرج حراما وان دخل شبهة خرج شبهة (روى) عن بعضهم انه قال استسقيت جنديا فسقانى شربة فصارت قسوتها فى قلبى أربعين صباحا وانشدوا فى معنى ما قدمناه

دواء قلبك خمس عند قسوته
فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره
كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه
وأن تجالس أهل الخير والخبر

واعلم أن هذا الحديث أصل فى الورع أيضا وهو ترك الشبهة والعدول الى غيرها . قال الحسن البصرى أدركنا قوما كانوا يتركون سبعين بابا من الحلال خشية الوقوع فى الحرام وثبت عن الصديق رضى الله عنه انه أكل ما فيه شبهة غير عالم بها فلما علم بها أدخل يده فى فيه فتقايأها وقال أبو درغام التقوى أن يتقى الله العبد بترك بعض الحلال مخافة ان يكون حراما وقيل لابراهيم ابن أدهم ألا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لى دلو لشربت اشارة الى ان الدلو من مال السلطان فكان شبهة . وقال زيد بن ثابت لا شئ أسهل من الورع اذا رابك شئ فدعه وهذا أسهل على من سهله الله عليه صعب على كثير من الناس أثقل من الجبال . ومن محاسن الحديث أيضا الحث على فعل الحلال واجتناب الحرام والامساك عن الشبهات والاحتياط للدين والعرض وعدم تعاطى الامور الموجبة لسوء الظن والوقوع فى المحظور ومنها تعظيم القلب والسعى فيما يصلحه وأن الحواس مع العقل كالحجاب مع الملك

الشرائع كيف وهى عدوة الله لقطعها طريق الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها وعدوة لأوليائه لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها وعدوة لاعدائه لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها فخذلتهم أحوج ما كانوا اليها وروى جماعة فى قصة ثعلبة بن أبى حاطب الذى أنزل الله فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآيات أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بأن الله يرزقه مالا فقال له قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فأعاد السؤال فقال صلى الله عليه وسلم اما لك فى أسوة أما ترضى ان تكون مثل نبى الله والذى نفسى بيده لو شئت ان تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت لكن هذا غير صحيح كما قال أهل التفسير وقال الضحاك ان الآية نزلت فى رجال من المنافقين الا أن قوله فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم يدل على ان الذى عاهد لم يكن منافقا الا أن يكون المعنى زادهم نفاقا ثبتوا عليه الى الممات وهو قوله تعالى الى يوم يلقونه وصح انه صلى الله عليه وسلم رأى شاة ميتة فقال والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وفى الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه وعالم أو متعلم وصح ان أبا بكر رضى الله عنه دعا بشراب فأتى بماء وعسل فبكى حتى أبكى اصحابه ثم بكى ثم مسح عينه فسألوه فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذى تدفع عن نفسك فقال هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها اليك عنى ثم رجعت فقالت انك ان أفلت منى لم يفلت منى من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن اخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم

• (قال بعضهم نظما) •

أرى طالب الدنيا وان طال عمره • ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه • فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقال آخر

ان لله عبادا فطنا • طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا • انها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا • صالح الاعمال فيها سفنا

(أو امرأة) وفى رواية أو الى امرأة (ينكحها) أى يتزوجها كما جاء فى رواية البخارى فان قيل لم ذم الدنيا والتزوج وهما مباحان لا ذم فيهما فالجواب أنه لم يخرج فى الظاهر لطلب الدنيا ولا للتزوج بل خرج فى صورة طلب الهجرة فأبطن خلاف ما أظهر فلذلك ذم فان قيل فما فائدة التنصيص على المرأة مع كونها داخلة فى مسمى الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم انما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شئ أفضل من المرأة الصالحة فالجواب من وجوه الاول ان دنيا نكرة فى سياق الاثبات فلا تعم فلا يلزم دخولها فيها ورد ذلك بانها واقعة فى سياق الشرط فتعم الثانى أنه للتنبيه على زيادة التحذير فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام كما فى قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل

وكل عبد له وان العقوبة من حسن الجناية وفيه ضرب الامثال للمعانى الشرعية وأن الاعمال القلبية أفضل من البدنية وانها لا تصلح الا بالقلب (خاتمة المجلس) فى قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله الآية قال ابن مسعود رضى الله عنه عاتبنا الله بهذه الآية (٥٤) بعد اسلامنا بسبع سنين وروى أن بعض الناس أصابتهم فترة فى قلوبهم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال بعض أهل المعانى هذا كلام يشبه الاستبطاء ومعناه اما حان وقت الخشوع أما آن أوان الرجوع أما حق على المفرط اسبال الدموع أما هذا وقت التذلل والخضوع وفى ذكر الايمان فى أول الآية تعريف بالمنة واشارة الى استبطاء ثمرة هذا الايمان وثمرته أن تخشع قلوبكم بهذا الايمان وثمرته أن تبكوا على ما سلف من ذنوبكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله أوانى ألا وهى القلوب واقربها الى الله مارق وصفا وصلب قال أبو عبد الله الترمذى الرقة خشية الله تعالى والصفاء للاخوان فى الله والصلابة فى دين الله ويقال شبه القلوب بالآنية فقلب الكافر اناء مكسور مقلوب لا يدخله شئ من الخير وقلب المنافق اناء مكسور ما ألقى من من أعلاه نزل من أسفله وقلب المؤمن اناء صحيح معتدل يلقى فيه الخير فيصل ويقال قسوة القلب انما تكون لانحرافه عن مراقبة الرب وقيل انما تحصل القسوة من متابعة دواعى الشهوة فان الشهوة والصفوة لا يجتمعان وأول ما يقع فى القلب غفلة فان أيقظه الله والا صارت خطرة فان ردها الله والا صارت فكرة فان صرفها الله تعالى والا صارت عزمة فان حماه الله والا وقعت المعصية فان أنقذه الله بالتوبة والا صارت قسوة فان ألانها الله والا صارت طبعا ورينا قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال ابراهيم ابن أدهم قلب المؤمن نقى كالمرآة فلا يأتيه الشيطان بشئ الا أبصره فاذا أذنب ذنبا واحدا ألقى الله فى قلبه نكتة سوداء فاذ تاب الله عليه محيت فان عاد الى المعصية

ومنكال الآية لكن يعكر عليه قول ابن مالك فى شرح العمدة ان عطف الخاص على العام يختص بالواو ونحوه للشيخ خالد وأجيب بأن الدمامينى أشار الى جواز عطف الخاص على العام وعكسه بأو وذهب بعضهم الى أن الاجود جعل أو للتقسيم وجعلها قسما مقابلا للدنيا ايذانا بشدة فتنتها وكذلك روى أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما تركت فى الناس بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء وقال بعض العارفين ما أيس الشيطان من انسان قط الا أتاه من قبل النساء وقال سفيان قال ابليس سهمى الذى اذا رميت به لم أخطئ النساء وكذا فى خبر أحمد النظر الى محاسن المرأة من سهام ابليس ومن ثم جعلن فى القرآن عين الشهوات قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه أيها الناس لا تطيعوا للنساء أمرا ولا تدعوهن يدبرن أمر عيش فانهن ان تركن وما يردن أفسدن الملك وعصين المالك وجدناهن لا دين لهن فى خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة فاما صوالحهن ففاجرات وأما طوالحهن فعاهرات وأما المعصومات فهن المعدومات فيهن ثلاث من خصال اليهود يتظلمن وهن الظالمات ويتمنعن وهن الراغبات ويحلفن وهن الكاذبات فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن والسلام الثالث أن الحديث ورد على سبب وهو أنه لما أمر بالهجرة من مكة الى المدينة تخلف جماعة عنها فذمهم الله تعالى بقوله الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم الآية ولم يهاجر جماعة لفقد استطاعتهم فعذرهم واستثناهم بقوله الا المستضعفين من الرجال الآية وهاجر جماعة فمدحهم الله فى غير موضع من كتابه وكان فى المهاجرين رجل أراد أن يتزوج امرأة يقال لها أم قيس واسمها آمنة وقيل جذامة وقال ابن دحية قيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية فابت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر لاجلها فعرض به تنفيرا عن مثل قصده وذكر الدنيا معها من باب زيادة النص على السبب كما أنه لما سئل عن طهورية ماء البحر قال هو الطهور ماؤه الحل ميتته فزاد قوله الحل ميتته تمهيدا القاعدة أخرى ويحتمل أن يكون هاجر لما لها مع نكاحها ويحتمل أنه كان يطلب نكاحها وغيره من الناس هاجر لتحصيل دنيا من جهة ما فعرض بهما (فهجرته الى ما هاجر اليه) من الدنيا أو المرأة وان كانت صورته صورة الهجرة لله ورسوله وترك الاتيان بالظاهر فى هذه الجملة حثا على الاعراض عن الدنيا والنساء وعدم الاحتفال بشأنهما وتنبيها على أن العدول عن ذكرهما أبلغ فى الزجر عن قصدهما (رواه اماما المحدثين) علما واتقانا وتحريرا وورعا وزهدا واجتهادا واستنباطا (أبو عبد الله محمد بن اسمعيل) كان من خيار الناس وأخذ عن مالك وحماد بن زيد وصحب ابن المبارك وروى عنه جماعة منهم مسلم صاحب الصحيح (ابن ابراهيم بن المغيرة) بضم الميم ويجوز كسرها قاله المصنف فى شرحه على البخارى (ابن بردزبه) بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فدال مهملة مكسورة فزاى ساكنة فموحدة مفتوحة ومعناه بلسان أهل بخارى الزراع (البخارى) بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة وبالراء بعد الالف نسبة الى بخارى بلدة معروفة وراء النهر عمى فى صغره وهو ابن ستين وكانت له والدة عابدة وكانت تدعو الله كثيرا ان يرد اليه بصره فرأت

ابراهيم

ولم يتب تتابعت النكت حتى يسود القلب فما أقل ما تنفع فيه الموعظة وقال الحسن البصرى الذنب على الذنب يظلم على القلب حتى يسوده وقال الترمذى حياة القلوب الايمان وموتها الكفر وصحتها الطاعة ومرضها الاصرار على المعصية ويقظتها الذكر ونومها الغفلة وفى الخبر لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسى قلوبكم فيا اخواننا (٥٥) البدار البدار فالعمر طيار شعر

انما هذه الدنيا متاع
فالغرور الغرور من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب
ولك الساعة التى أنت فيها

كان بعض السلف الصالح يوقد المصباح ولا يزال يبكى الى الصباح كلما رأى الناس ذكر النار وكان بعضهم يوقد النار ويقرب يده منها كلما أحس بالحرارة يقول ياويلك لم فعلت كذا وكذا اللهم وفقنا كما وفقتهم آمين والحمد لله رب العالمين

(المجلس السابع فى الحديث السابع)

الحمد لله الذى سبقت رحمته غضبه وعنده بذلك كتاب كتبه كتب ربكم على نفسه الرحمه وأسبغ على خلقه النعمه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اله لا يخيب من توجه اليه وأمه وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله نبى الرحمه وسراج الظلمه الذى نصح الأمه صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه ومن تبعهم فانكشف عنه الغمه آمين (عن ابى رقية تميم بن اوس الدارى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث عظيم الشأن وعليه مدار الاسلام لا يجاوزه لكثرة معانيه بل قالوا ليس فى كلام العرب كلمة مفردة يستوفى بها العبارة غير النصيحة (قوله الدين) هو ما سبق فى حديث جبريل من انه الاسلام والايمان والاحسان وعبر عنه بعضهم بقوله ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام (قوله النصيحة) ماخوذة من نصح الرجل ثوبه اذا خاطه فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح بما يسده من خلل الثوب وقيل

ابراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فى المنام فقال لها ان الله قد رد بصر ابنك عليه بكثرة دعائك وبكائك فاصبح وقد رد الله عليه بصره قال أبو جعفر محمد ابن أبى حاتم الوراق قلت لابى عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى كيف كان بدء أمرك فى طلب الحديث فقال ألهمت حفظ الحديث وأنا فى الكتاب قلت وكم أتى عليك اذ ذاك فقال عشر سنين ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت اختلف الى الداخلى وغيره قال فلما طعنت فى ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء ثم خرجت مع أبى واخى أحمد الى مكة فلما حججنا رجع أخى وتخلفت بها فى طلب الحديث فلما طعنت فى ثمانى عشرة سنة جعلت أصنف فضائل الصحابة والتابعين وأقاويلهم وصنفت كتاب التاريخ اذ ذاك عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى الليالى المقمرة وقال قل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة الا أنى كرهت تطويل الكتاب وعن الحسن بن الحسن البزاز بزايين قال رأيت محمد بن اسمعيل البخارى نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير وروى عن البخارى أنه قال أخرجت هذا الكتاب يعنى الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث وزهاء الشئ بضم الزاى وبالمد قدره تقريبا لا تحقيقا من زهوته بكذا أى حزرته حكاه الصاغانى وصنفه فى ست عشرة سنة وقال محمد بن بشار بندار حفاظ الدنيا أربعة أبو زرعة بالرى ومسلم بنيسابور وعبد الله الدارمى بسمرقند والبخارى ببخارى اه وكتب عن زهاء أى قدر ألف عالم وكتب عنه المحدثون وما فى وجهه من شعرة وكان يحضر مجلسه زهاء عشرين ألفا وسمع منه الصحيح سبعون ألفا وروى عنه رجال كثير نحو مائة ألف أو يزيدون أو ينقصون وروى عنه مسلم خارج الصحيح وكان يقول له دعنى أقبل رجليك يا طبيب الحديث فى علله ويا أستاذ الاستاذين ويا سيد المحدثين ومناقبه كثيرة أفردت بالتأليف منها ان كتابه لم يقرأ فى كرب الا فرج ولا ركب به فى مركب فغرق والسبب فى تصنيفه له ما رواه عنه ابراهيم بن معقل النسفى قال كنا عند اسحق بن راهويه فقال لو جمعتم كتابا مختصرا الصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح وعنه أيضا قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وكانى واقف بين يديه وبيدى مروحة أذب بها عنه فسألت بعض المعبرين فقال لى أنت تذب عنه الكذب فهو الذى حملنى على اخراج الجامع الصحيح قال وألفته فى بضع عشرة سنة وكان فى سعة من الدنيا قد ورث مالا كثيرا من أبيه وكان يتصدق به وربما كان يمضى النهار ولا يأكل الا لوزتين أو ثلاثا دخل بغداد مرات وله معهم الحكاية المشهورة المتقدمة فى امتحانهم له بقلب الاسانيد والمتون فصححها كلها فى الساعة ولما رجع من بغداد الى بخارى تلقاه أهلها فى محفل عظيم وبقى مدة يحدثهم فى مسجده فارسل اليه أمير البلد خالد بن محمد الذهلى يتلطف به ويسأله ان يحمل له الصحيح ويحدثه فى قصره فامتنع البخارى من ذلك وقال لا أذل العلم ولا أحمله الى أبواب الناس فحصلت وحشة بينهما فأمره خالد بالخروج من البلد فيقال ان البخارى دعا عليه فلم يمض شهر حتى ورد أمر الخليفة بأن ينادى عليه فى البلد فنودى عليه وهو على أتان وحبس حتى مات ولما خرج من بخارى كتب اليه أهل سمرقند يطلبونه الى بلدهم فسار اليهم فلما

مأخوذة من نصحت العسل اذا صفيته من الشمع وهى كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له بما يقوم دينه وعماد النصيحة
فهى كقولهم الحج عرفة ولقائل ان يقول الدين محصور فيها فان من جملتها طاعة الله ورسوله والايمان والعمل بما قاله من كتاب
وسنة وليس وراء ذلك سوى الدين كما سلف (٥٦) فى حديث جبريل (قوله قلنا يا رسول الله لمن قال لله) يعنى الايمان به وطاعته
بالقلب والبدن ونحو ذلك وما ذكر
هو فى الحقيقة راجع الى العبد من
نصح نفسه اذ هو سبحانه وتعالى
غنى عن ذلك (قوله ولكتابه) يعنى
تعظيمه والايمان به والعمل بما
فيه وما أشبه ذلك (قوله ولرسوله)
يعنى تصديقه فيما جاء به واعانته
على أمر ربه قولا وعملا واعتقادا
(قوله ولائمة المسلمين) أى ولاة
أمورهم يعنى الوفاء لهم بعهدهم
وتنبيههم على ما فيه رشدهم وما
أشبهه والدعاء لهم بالتوفيق قال
بعضهم وقد يقال المراد بهم هنا
علماء الدين ومن نصحهم قبول
ما رووه وتقليدهم فى الاحكام
واحسان الظن بهم الى غير ذلك
(قوله وعامتهم) أى بان يحب لهم
ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره
لنفسه ونحو ذلك ولم يعد فيهم
اللام لانهم تبع لائمتهم (نكتة)
قال الاسنوى رحمه الله فى بعض
مؤلفاته فى الحديث اذا أراد الله
بالعبد خيرا ساق اليه من يذكره
اذا غفل واذا أراد به شرا ساق
اليه جليس سوء ينهاه عن الاخذ
بالموعظة ولما تولى هرون
الرشيد جلس للناس مجلسا عاما
فدخل عليه بهلول المجنون فقال
له يا أمير المؤمنين احذر جلساء
السوء واعتمد جليسا صالحا
يذكرك بمصالح خلقه اذا غفلت
والنظر فيهم اذا لهوت فان هذا
أنفع لك وللناس وأكثر فى الاجر
مما تأتى به من صوم وصلاة وقراءة وصح ان الرجل كان يلقى الكلمة عند ذى السلطان فيعمل بها
فيملأ الارض فسادا وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالا فيهوى بها فى النار سبعين خريفا ولا تكن
يا أمير المؤمنين كمن قال الله تعالى فى حقه واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد فقال له زدنى فقال يا أمير

كان بحرتندن بلغه انه وقع بينهم بسببه فتنة فقوم يريدون دخوله وقوم يكرهونه فاقام بها حتى
ينجلى الامر ودعا وقال اللهم قد ضاقت على الارض بما رحبت فاقبضنى اليك فمات فى ذلك
الشهر وتقدم فى الخطبة ما يتعلق بمولده وسنه ووفاته (الجعفى) نسبة الى اليمان بن أخنس
الجعفى لانه أسلم على يديه (وأبو الحسين مسلم ابن الحجاج بن مسلم القشيرى) بضم القاف
مصغرا نسبة الى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قبيلة كبيرة ينسب اليها جماعة
من الصحابة والتابعين وخلف من العلماء ومن نسبه من الشراح الى قشير بطن من أسلم منهم
سلمة ابن الاكوع فقد وهم (النيسابورى) بفتح النون وسكون المثناة التحتية نسبة الى
نيسابور احسن مدن خراسان واجمعها للخيرات سميت به لان سابور ذا الاكتاف لما رأى
موضعها وكان قصبا قال يصلح ان يكون هنا مدينة فقطع القصب وبناها فقيل نيسابور والنى
القصب صنف مسلم صحيحه من ثلثمائة ألف حديث كما فى تاريخ ابن عساكر ولد سنة أربع
ومائتين وتوفى عشية الاحد لخمس بقين من رجب ودفن يوم الاثنين سنة احدى وستين
ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل ستون وقيل قاربها ويؤيده أن المعروف ان
مولده سنة أربع ومائتين وذكر الحاكم أن سبب موته انه ذكر له حديث فلم يعرفه فأوقد له
السراج وقال لمن بداره لا يدخل منكم أحد فقالوا أهديت لنا سلة تمر وقدموها فكان
يطلب الحديث ويأخذ تمرة تمرة فأصبح وقد فنى التمر ووجد الحديث (فى صحيحيهما اللذين)
بلامين ليتميز عن الذين جمعا فانه بلام واحدة (هما أصح الكتب) والاول أرجح من الثانى
وقول الشافعى ما أعلم على الارض كتابا أكثر صوابا من كتاب مالك وفى لفظ عنه ما بعد كتاب
الله أصح من الموطأ كان قبل وجودهما واستشكل بعض الائمة اطلاق أصحية كتاب
البخارى على الموطأ مع اشتراكهما فى اشتراط الصحة والمبالغة فى التحرى والتثبت وكون
البخارى أكثر حديثا لا يلزم منه أفضلية الصحة والجواب عن ذلك انه محمول على أصل اشتراط
الصحة فالامام مالك لا يرى الانقطاع فى الاسناد قادحا فلذلك يخرج فى المراسيل والمنقطعات
والبلاغات فى أصل موضوع كتابه والبخارى يرى أن الانقطاع علة فلا يخرج ما هذا سبيله
الا فى غير أصل موضوع كتابه كالتعليقات والتراجم ولا شك أن المنقطع وان كان عند
قوم من قبيل ما يحتج به فالمتصل أقوى منه اذا اشترك كل من رواتهما فى العدالة والحفظ
(الحديث الثانى عن) أبى حفص (عمر أيضا رضى الله عنه) روى البخارى وغيره انه
استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى العمرة فقال له يا أخى أشركنا فى صالح دعائك ولا تنسنا
وأخى ضبط بضم الهمزة مصغرا وقال له صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما لقيك
الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه
وانه ما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال الا نزل القرآن على نحو ما قال وروى الشيخان انه صلى
الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم شربت لبنا حتى أنظر الى الرى يجرى فى اظفارى فناولته عمر
قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم وانه رآه وعليه قميص يجره قالوا فما أولته يا رسول الله قال
الدين وقال صلى الله عليه وسلم رأيت كأنى على بئر أسقى الناس فجاء أبو بكر فأخذ الدلو منى
ليريحنى فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ثم جاء عمر فأخذها من أبى بكر

فاستحالت

المؤمنين ان الله تعالى قد أفادك الناس وجعل أمرك فيهم مطاعا وكلمتك فيهم نافذة وأمرك فيهم ماضيا وما ذلك الا ليحملهم على
الاتيان بما أمر الله والانتهاء عما نهى الله عنه وتعطى من هذا المال الارملة واليتيم والشيخ الكبير وابن السبيل يا أمير المؤمنين
أخبرنى فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥٧) أنه قال اذا كان يوم القيامة وجمع الله الاولين
والآخرين فى صعيد واحد
أحضر الملوك وغيرهم من
ولاة أمور الناس فيقول لهم ألم
أمكنكم من بلادى وأطع لكم
عبادى لا لجمع الاموال وحشد
الرجال بل لتجمعوهم على طاعتى
وتنفذوا فيهم أمرى ونهيى وتعزوا
أوليائى وتذلوا أعدائى وتنصروا
المظلومين من الظالمين يا هرون
تفكر كيف يكون جوابك عما
تسئل عنه من أمور العباد فى
ذلك الموقف اذا حضرت ويداك
مغلولتان الى عنقك وجهنم بين
يديك والزبانية محيطة بك تنتظر
ما يؤمر بك قال فبكى هرون بكاء
شديدا فقال له بعض الحاضرين
كدرت على أمير المؤمنين مجلسه
فقال لهم هرون قاتلكم الله ان
المغرور من غررتموه والسعيد
من بعدتم عنه ثم خرج من عنده
فانظر يا أخى الى هذه النصيحة
ما أعظمها (فائدة) شاردة فى تفسير
قوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
سليمان وجنوده وهم لا يشعرون
قال ابن عطاء تكلمت النملة بكلام
جمعت فيه عشرة أجناس من
الكلام فنادت ونبهت وسمت
وأمرت ونصحت وحذرت وخصت
وعمت وأشارت وأعذرت فأما
النداء فيا وأما التنبيه فقولها
أيها وأما التسمية فقولها النمل
وأما أمرت فقولها ادخلوا وأما
نصحت فقولها مساكنكم وأما
حذرت فقولها لا يحطمنكم وأما خصت فقولها سليمان وأما عمت فقولها وجنوده وأما أشارت فقولها
وهم وأما أعذرت فقولها لا يشعرون قال ابن عطاء قضت النملة خمسة حقوق حقا لله وحقا لسليمان وحقا لها وحقا للنمل وحقا
لكم فأما الحق الذى لله عز وجل فانها كانت استرعيت على النمل فأفزعتهم وأما الحق الذى لسليمان فانها نبهت على حق النمل وأما

فاستحالت غربا أى دلوا كبيرة جدا فلم أر عبقريا يفرى فريه حتى ضرب الناس بعطن أى
ارتووا وقوله ذنوبا أو ذنوبين بفتح الذال فيهما والذنوب الدلو العظيم وقيل لا يسمى بذلك الا
اذا كان فيه ماء وقوله عبقريا قال أبو عبيدة العبقرى من الرجال الذى ليس فوقه شئ
ويطلق على السيد والكبير والقوى وقيل هو منسوب الى عبقر موضع بالبادية يسكنه الجن
فأطلقه العرب على كل من كان عظيما فى نفسه فائقا فى جنسه وقوله حتى ضرب الناس بعطن
أى رووا ورويت ابلهم فأقامت على الماء ومنه أعطان الابل أى مواضع اقامتها على الماء
وكان ذلك منزلا على حال أبى بكر فى الخلافة ثم عمر والضعف ليس من أبى بكر ولكن من الوقت
لاجل الفتن التى اتفقت فى زمانه من قتال أهل الردة وقتل مسيلمة وفى استخلاف عمر راقت
وصفت واتسعت الفتوح والاموال وكثر خير الله وطاب وركب رضى الله تعالى عنه فرسا فى
بعض الايام فانكشفت فخذه فرأى نصارى نجران على فخذه شامة سوداء فقالوا هذا الذى
نجد فى كتابنا أنه يخرجنا من أرضنا وكان كذلك فانه أجلاهم من بلدتهم بعد ذلك وكان أول
كلام تكلم به بعد خلافته حين صعد المنبر قال اللهم انى شديد فليننى وانى ضعيف فقونى وانى
بخيل فسخنى وعن الاوزاعى أن عمر بن الخطاب خرج فى سواد الليل فرآه طلحة فدخل بيتا
ثم دخل بيتا آخر فلما أصبح طلحة ذهب الى ذلك البيت فاذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها ما بال
هذا الرجل يأتيك فقالت انه يتعاهدنى منذ كذا وكذا بما يصلحنى ويخرج عنى الاذى فقال
طلحة ثكلتك أمك يا طلحة أعورات عمر تتبع وعنه أيضا انه قال قدمت رفقة من التجار فنزلوا
بالمصلى فقال عمر لعبد الرحمن هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق فباتا يحرسانهم ويصليان
ما كتب الله لهما فسمع عمر بكاء صبى فتوجه نحوه فقال لامه اتقى الله وأحسنى الى صبيك ثم
عاد الى مكانه فسمع بكاءه فعاد الى أمه فقال لها مثل ذلك ثم عاد الى مكانه فلما كان آخر الليل
سمع بكاءه فأتى أمه وقال ويحك انى لاراك أم سوء مالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة قالت
يا عبد الله قد أبرمتنى منذ الليلة انى أربعه لاجل الفطام فيأبى قال ولم قالت لان عمر لا يفرض
الا للفطم قال وكم له قالت كذا وكذا أشهرا قال لها ويحك لا تعجليه فصلى الفجر وما يستبين
الناس قراءته من غلبة بكائه فلما سلم قال يا بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر مناديا
فنادى أن لا تعجلوا على أولادكم بالفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام وكتب بذلك الى
الآفاق وكان لا يجمع فى سماطه بين ادامين وقدمت اليه حفصة مرقا باردا وصبت عليه
زيتا فقال أدمان فى اناء لا آكله حتى ألقى الله عز وجل وعن الحسن انه خطب للناس وعليه
ازار فيه ثنتا عشرة رقعة وعنه أيضا انه كان بين كتفى عمر ثلاث رقاع وقال الشعرانى فى
الطبقات وكان فى قميصه أربع رقاع بين كتفيه وكان ازاره مرقوعا بقطعة من جراب وعدوا
فى قميصه مرة أربعة عشر رقعة احداها من أدم أحمر وكان رضى الله عنه يشتهى الشهوة
وثمنها درهم فيؤخرها سنة كاملة اه وعن مصعب بن سعدان حفصة قالت له مريا أمير
المؤمنين لو لبست ثوبا هو ألين من ثوبك وأكلت طعاما هو أطيب من طعامك فقد وسع الله
عليك من الرزق وأكثر عليك من الخير فقال انى سأخاصمك الى نفسك أما تذكرين ما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من شدة العيش فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها أما

الحق الذى لها فانها أسقطت حق الله تعالى عنها بنصيحتها له وأما الحق الذى للنمل فقولها ادخلوا مساكنكم وهى النصيحة وأما الحق الذى لكم فأدت بفعلها حقا قضته وحقا الله أدته . قال ابن عطاء وذلك انه ما ضحك سليمان الا مرتين المرة التى ظفر بالضحاك فيها والمرة التى أشرف فيها على وادى النمل لما (٥٨) سمع النملة تقول ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون

فيا اخوانى كم فى القرآن العظيم من آية تدل على النصيحة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصى أصحابه وينصحهم بوصايا نفعتهم ونفعت من بعدهم فمن وصاياه صلى الله عليه وسلم ما ورد عن أنس رضى الله عنه قال أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى أسبغ الوضوء يزد فى عمرك وسلم على من لقيت تكثر حسناتك واذا دخلت على أهل بيتك فسلم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الأوابين قبلك وارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائى يوم القيامة ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم لأبى ذر أحكم السفينة فان البحر عميق واستكثر الزاد فان السفر طويل وخفف ظهرك فان العقبة كؤود وأخلص العمل فان الناقد بصير . ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم لبعض أهله لا تشرك بالله شيأ وان قطعت أو مزقت ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فانه من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله واياك والمعصية فان المعصية تحل سخط الله ووصاياه ونصائحه صلى الله عليه وسلم لا تحصى (خاتمة المجلس) عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال لبعض اخوانه أوصيك بستة أشياء ان أردت ان تقع فى أحد وتذمه فذم نفسك فانك لا تعلم أحدا أكثر عيوبا منها وان أردت ان تعادى أحدا فعاد البطن فليس لك عدو أعدى منها وان أردت أن تحمد أحدا فاحمد الله فليس أحدا أكثر منه منة عليك والطف بك منه وان أردت ان تترك شيأ فاترك الدنيا فانك ان تركتها فانك محمود والا تركتك وأنت مذموم وان أردت ان تستعد لشئ فاستعد للموت فانك ان لم تستعد له حل بك الخسران والندامة وان أردت

والله لاشاركنه فى مثل عيشه الشديد لعلى أدرك عيشه الرخى وعن ابن عباس انه كان للعباس ميزاب على طريق عمر فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان فلما وافى الميزاب صب ماء بدم الفرخين فاصاب عمر فامر عمر بقلعه ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابا غير ثيابه ثم جاء فصلى بالناس فاتاه العباس فقال والله انه للموضع الذى وضعه النبى صلى الله عليه وسلم فيه فقال عمر للعباس وأنا أعزم عليك الا صعدت على ظهرى حتى تضعه فى الموضع الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ففعل ذلك العباس وعن عبد الله بن عمر أنه قال رأيت والدى أخذ تبنة من الارض فقال ليتنى كنت هذه التبنة ليتنى لم أخلق ليت أمى لم تلدنى ليتنى لم أكن شيأ مذكورا ليتنى كنت نسيا منسيا وعن الاحنف انه قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه قتله أبو لؤلؤة المجوسى غلام المغيرة بن شعبة فى المدينة بعد رجوعه من الحج فى آخر ذى الحجة لاربع ليال بقين منه سنة ثلاث وعشرين وروى انه لما طعن ودخل بيته دعا بقدح من لبن فشربه فنزل من جراحته فعلم انه يموت لا محالة فدخل عليه عبد الرحمن فقال الصلاة يا أمير المؤمنين فقال نعم ولا حظ فى الاسلام لمن ترك الصلاة فقام وصلى وجرحه يثعب أى يقطر دما فلما توفى وجئ به وكان على الروضة قفل فبينما اعبد الله يريد أن يستأذن اوهو يستأذن اذ سمعوا انفتاح القفل من غير أن يفتحه أحد وقائلا يقول من الروضة أدخلوه فدفن وكانت عائشة رضى الله عنها رأت فى المنام كان ثلاثة أقمار سقطن فى حجرتها فقصتها على أبى بكر فقال لها خيرا رأيت وخيرا يكون سأخبرك بها وبكى فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن فى حجرتها قال لها أى بنية هذا أحد قمارك وهو خيرها فلما احتضر هو قال لها وهذا الثانى والذى بعد ثالثها فكان عمر رضى الله تعالى عنهم أجمعين ودفن يوم الاحد صبيحة هلال المحرم وعمره ثلاث وستون سنة على الصحيح وغسله ابنه عبد الله وصلى عليه صهيب ودفن عند النبى صلى الله عليه وسلم ولما غسل وكفن وحمل على سريره قال على رضى الله تعالى عنه والله ما على وجه الارض رجل أحب الى أن يلقى الله بصحيفة من هذا المسجى بالثوب وقال حذيفة لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا وكان العباس خليلا له فلما أصيب جعل يدعو ربه أن يريه اياه فرآه بعد حول وهو يمسح العرق عن وجهه فقال ما فعلت قال هذا أوان فرغت من الحساب ان كاد عرشى ليهد لولا انى لقيت رؤفا رحيما (قال) أى عمر (بينما) أصله بين فزيدت عليه ما لتكفها عن عملها وهو الخفض ويجوز أيضا بينا بلا ميم وهو ظرف زمان بمعنى المفاجأة فيه اشارة الى أن ذلك لم يكن عن ميعاد ولا استعداد (نحن) ضمير المتكلم مع غيره بدليل قوله فى آخره أتاكم يعلمكم دينكم فلا اتجاه لجعله ضمير المتكلم المعظم نفسه (جلوس) جمع جالس كشهود جمع شاهد أو مصدر بمعنى جالسين ونحن مبتدأ وجلوس خبره (عند) بتثليث العين ظرف مكان ومعناه القرب اما حسا كما هنا واما معنى كما فى قوله تعالى وعنده أم الكتاب ولا يدخل عليه حرف جر

غير

ان تطلب شيأ فاطلب الآخرة فلن تنالها الا بأن تطلبها وفى هذا المجلس كفاية ونسأل الله تعالى لنا العافية والعناية آمين والحمد لله رب العالمين (المجلس الثامن فى الحديث الثامن) الحمد لله الذى لا يعبد بحق فى الوجود الا اياه الكريم الذى من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن سأله أعطاه ما تمناه واشهد أن لا اله الا الله (٥٩) وحده لا شريك له ولا ضد لله ولا ولد لله ولا والد لله وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد خلقه وخاتم أنبيائه المخصوص بالمقام المحمود الذى لم يقم فيه سواه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم نلقاه آمين (عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى رواه البخارى ومسلم) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث عظيم قاعدة من قواعد الدين (قوله صلى الله عليه وسلم امرت) ببنائه للمفعول أى أمرنى ربى لانه لا آمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا هو (قوله ان أقاتل الناس) أى بان أقاتل الناس المراد بهم الانس فقط وان كان لفظ الناس قد يعم الجن بالحقيقة أو الغلبة اذ لم يرد أنه قاتل الجن وان أسلم على يده جن نصيبين وكانت رسالته صلى الله عليه وسلم عامة قيل والمراد من الانس عبدة الاوثان ونحوهم دون أهل الكتاب لسقوط القتال عنهم بقبول الجزية قال بعضهم ويحتمل أن يكون قبولها منهم كان بعد هذا الامر المتناول لقتالهم أيضا (قوله حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) وفى رواية حتى يقولوا لا اله الا الله اكتفاء بها عن أختها مع ارادتها أى حتى يؤمنوا بان الله واحد لا شريك له وأن محمدا رسوله (قوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) أى بشروطهما وأركانهما كما هى ولم يذكروا فى هذا الحديث الصوم والحج اما

غير من (رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم) جمعه أيام وأصله ايوام فادغمت وأورد عليه أن ذات مؤنثة لانها أنثى ذو بمعنى صاحب ويوم مذكر فكيف أضيف المؤنث الى المذكر وأجيب بان الكلام فيه حذف والتقدير فى ساعة ذات مدة من يوم فحذف ذلك لظهور المراد ولما كان بينما ظرفا متضمنا معنى الشرط وهو يحتاج الى جواب يتم به أشار له بقوله اذ طلع لم يقل دخل اشعارا بتعظيمه ورفعة قدره وفيه استعارة تبعية لانه شبه ظهوره فى نباهة القدر وارتفاع الشأن بطلوع الشمس ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة فى المصدر أصلية وفى الفعل تبعية أو شبهه بالشمس استعارة مكنية ثم أثبت له الطلوع تخييلا (علينا رجل) أى ملك فى صورة رجل والتنوين فيه للتعظيم وفى رواية للبخارى اذ أتاه رجل يمشى وأفاد مسلم فى رواية عمارة بن القعقاع سبب ورود هذا الحديث فعنده فى أوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلونى فهابوا ان يسألوه قال فجاء رجل الخ أى لانهم كانوا أولا أكثروا المسائل على النبى صلى الله عليه وسلم فزجرهم كراهية لما قد يقع من سؤال تعنت ونحوه فلما امتثلوا قال لهم سلونى فهابوه وأحجموا عن المسئلة فجاءهم من تعلموا سؤاله قال السبكى نقلا عن ابن العربى للملك أن يتصور فى أى صورة شاء ويجرى عليه أحكامها وحينئذ فلا يتكلم الا بما يليق بتلك الصورة ومثل ذلك الجنى فاذا قتلت تلك الصورة التى ظهر بها مات معها بخلاف الانسان فانه اذا تمثل بصورة لا تحكم عليه فاذا تكلم من تلك الصورة تكلم باى لغة شاء واذا قتل بها لا يموت اه وبما تقرر من أن للملك أن يتصور فى أى صورة شاء يندفع تردد امام الحرمين فى تمثل الملك هل معناه أن الله أفنى الزائد أو أزاله عنه ثم اعاده اليه وجزم ابن عبد السلام بالازالة دون الفناء وقول ابن جنى الظاهر أن الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى عن الرائى وقول البلقينى بالقبض والبسط وذلك انه يجوز ان يكون أتى بشكله الاصلى من غير فناء ولا ازالة الا انه انضم فصار على قدر هيئة الرجل واذا ترك ذلك عاد الى هيئته كالقطن اذا جمع بعد ان كان منتفشا (شديد بياض الثياب) فيه دليل على استحباب البياض من الثياب عند لقاء الرؤساء والجلوس فى المحافل لان مرجع جميع الالوان اليه وهذا فى غير العيد وأما فيه فالجديد ولو من غير البياض أفضل من غيره للقادر عليه لانه يوم زينة واظهار للنعمة وفيه دليل على أن السنة النظافة لخبر ان الله نظيف يحب النظافة وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب الثوب النظيف ويكره الثوب الوسخ (شديد سواد الشعر) فيه تنبيه على استحباب تحسين الشعر بالتسريح والدهن وغيرهما عند الدخول على الاكابر وقوله الشعر أى شعر اللحية كما وقع مصرحا به فى رواية ابن حبان وفيه اشارة الى ان زمان طلب العلم زمن الشباب فانه اذا صرف أول عمره فى طلب العلم يصرف باقيه فى العمل بما علم وقدم البياض على السواد لانه خير الالوان وفى رواية النسائى أحسن الناس وجها وأطيب الناس ريحا كأن ثيابه لا يمسها دنس وفيه استحباب تحسين الهيئة وتنظيف الثياب وتطييب الرائحة سيما للعالم والمتعلم لانه معلم بدليل أتاكم يعلمكم دينكم ومتعلم بمقاله وحاله وقد قال ابن عبد السلام لا بأس بلباس شعار العلماء ليعرفوا بذلك فيسئلوا فانى كنت محرما فانكرت على جماعة محرمين

لكونهما لم يفرضا اذ ذاك واما لكونهما لم يقاتل على تركهما من حيث ان تارك الصوم يحبس ويمنع الطعام والشراب كما قدمناه وان الحج على التراخي ولهذا لم يذكرهما لمعاذ حين بعثه الى اليمن (قوله فاذا فعلوا ذلك) أى ما تقدم (فقد عصموا) أى منعوا وحقنوا منى دماء هم وأموالهم) وهى الاعيان من (٦٠) المواشى والنقد وغيرهما (قوله الا بحق الاسلام) أى كالقتل بالقصاص والزنا لكن القاتل والزانى لا يباح مالهما بخلاف الكافر فكأنه جاء على طريق التغليب (قوله وحسابهم على الله تعالى) أى أمر سرائرهم اليه وأما نحن فنعاملهم بمقتضى ظاهر أقوالهم وأفعالهم فرب عاص فى الظاهر مطيع فى الباطن فيصادف عند الله خيرا وعكسه وقدمنا الكلام فى حكم التلفظ بالشهادتين فى غير هذا المجلس فليراجع (تنبيه) قال شيخ الاسلام العسقلانى وردت الاحاديث فى ذلك زائدا بعضها على بعض ففى حديث أبى هريرة الاقتصار على قوله لا اله الا الله وفى حديث من وجه آخر حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وفى حديث ابن عمر زيادة اقام الصلاة وايتاء الزكاة وفى حديث أنس فاذا صلوا واستقبلوا وأكلوا ذبيحتنا قال القرطبى وغيره أما الاول فقاله فى حالة قتاله لاهل الاوثان الذين لا يقرون بالتوحيد وأما الثانى فقاله فى حالة قتاله لاهل الكتاب الذين يقرون بالتوحيد ويجحدون نبوته عموما وخصوصا وأما الثالث ففيه اشارة الى أن من دخل فى الاسلام وشهد بالتوحيد والنبوة ولم يعمل بالطاعات حكمهم أن يقاتلوا حتى يذعنوا الى ذلك فاقتصر فى الاول على قوله لا اله الا الله ولم يذكر الرسالة وهى مرادة كما تقول قرأت الحمد لله وتريد السورة كلها وقيل غير ذلك (فصل فى الكلام على لا اله الا الله وبعض فضائلها)

اعلم أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده ان يعتقدوها ويقولوها فقال سبحانه فاعلم انه لا اله الا الله وذم مشركى العرب بقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال

لا يعرفون نهى ما أخلوا به من أدب الطواف فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت عليهم ذلك سمعوا وأطاعوا وفيه رد على من آثر رثاثة الهيئة والملابس (لا يرى) بضم المثناة تحت مبنى لما لم يسم فاعله وروى بالنون المفتوحة مبنيا للفاعل والرواية الاولى أبلغ من الثانية وعليه اقتصر النووى فى نكته (عليه أثر) أى علامة (السفر) من نحو غبرة وشعوثة ولسليمان التيمى ليس عليه سحنا سفر وليس من البلد والسحنا بفتح السين والحاء المهملتين الهيئة (ولا يعرفه منا) أى معشر الصحابة وقدمه للاهتمام (أحد) لا ينافى انه كان يأتى للنبى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبى رضى الله عنه لان ذلك كان غالبا لا دائما وأيضا زاد فى التعمية عليهم حيث جاء ماشيا فى هيئة مقيم وما وقع فى رواية النسائى من طريق أبى فروة فى آخر الحديث انه جبريل نزل فى صورة دحية وهم لان دحية معروف عندهم وانما لم يقل ولم يعرف لئلا يوهم انه صلى الله عليه وسلم لا يعرفه وليس كذلك وهذا صريح فى انهم رأوه وما وقع فى رواية أحمد عن غير عمر من أنهم سمعوا كلامه ولم يروه يحمل على ان بعض القوم كان جالسا عنده وبعضهم كان خارجا عن ذلك فسمعوه من وراء نحو جدار جمعا بين الحديثين الصحيحين كذا قرره بعضهم ولا حاجة اليه لان الملك اذا حضر بمجلس قد يراه بعض أهل المجلس دون بعض بحسب حال الرائى فى الصفاء والاستعداد وغير ذلك وقدم لفظ منا للاهتمام والجملتان صفة رجل أو حال منه لانه خصص بالوصفين فان قيل كيف عرف عمر انه لم يعرفه منهم أحد فالجواب انه يحتمل انه استند فيه الى ظنه أو الى صريح قول الحاضرين قال الحافظ أبو الفضل ابن حجر ويعين الثانى انه قد جاء كذلك فى رواية عثمان بن غياث فنظر القوم بعضهم الى بعض وقالوا ما نعرف هذا (حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم) قال الطيبى حتى جلس متعلق بمحذوف يدل عليه طلع أى استأذن ودنا حتى جلس اه الخ أى وبه يندفع ما قيل انه ليس فى الكلام ما هذا غاية له ثم ان هذا التعبير بالى يرد عليه انها لانتهاء الغاية وهو انما يكون فى ممتد كالسفر دون الجلوس اذ لا امتداد فيه فلتكن بمعنى عند أو مع (فاسند) أى ألصق (ركبتيه الى ركبتيه) لان الجلوس كذلك أقرب للتواضع والادب وأبلغ فى الاصغاء وحضور القلب والاستئناس وهو صريح فى أنه جلس بين يديه لانه لو جلس بجنبه لم يمكنه الاسناد ركبة واحدة وفيه اشارة الى انه ينبغى للمتعلم الجلوس بين يدى شيخه لا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه حيث كان الموضع واسعا لكن لا يبالغ فى القرب منه بحيث يسند ركبتيه اليه كما هنا لانه انما فعل ذلك هنا جريا على ما بينهما قبل من مزيد الود والانس حين يلقى عليه الوحى (ووضع كفيه) تثنية كف وهى الراحة مع الاصابع سميت به لانها تكف الاذى عن البدن (على فخذيه) بكسر الخاء أى فخذى النبى صلى الله عليه وسلم كما فى حديث ابن عباس وأبى عامر الاشعرى وأبى هريرة وأبى ذر حيث قال وضع يديه على ركبتى النبى صلى الله عليه وسلم خلافا لما جزم به النووى ووافقه عليه التوربشتى شارح المصابيح أن الضمير راجع الى الرجل قال القرطبى وأراد بذلك المبالغة فى تعمية أمره ليقوى الظن أنه من جفاة الاعراب فصنع صنيعهم لان الصحابة رضى الله عنهم استنكروا هيئته وجلوسه كما ذكر اه ورده بعضهم بأنه لا يكون صنعه المذكور كصنع جفاة

الاعراب

لولا أن تعيرنى قريش لاقررت بها عينك فلا اله الا الله كلمة التقوى كما فسرها صلى الله عليه وسلم وفى حديث عثمان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه الا حرمه الله تعالى على النار فقال عمر رضى الله عنه أنا أحدثكم ماهى هى كلمة الاخلاص (٦١) التى ألزمها محمد وأصحابه قال سهل التسترى ليس لقول لا اله الا الله ثواب الا النظر الى وجه الله عز وجل والجنة ثواب الاعمال وقيل ان كلمة التوحيد اذا قالها الكافر تنفى عنه ظلمة الكفر وتثبت فى قلبه نور التوحيد واذا قالها المؤمن فى كل يوم ألف مرة ففى كل مرة تنفى عنه شيأ لم تنفه المرة الاولى وهى أفضل الذكر كما قال النبى صلى الله عليه وسلم وهى دأب الناسكين وعمدة السالكين وعدة السائرين وتحفة السابقين ومفتاح الجنة ومفتاح العلوم والمعارف وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال يفتح الله تعالى أبواب الجنة وينادى مناد من تحت العرش أيتها الجنة وكل ما فيك من النعم لمن أنت فتنادى الجنة وكل ما فيها نحن لأهل لا اله الا الله ولا نطلب الا أهل لا اله الا الله ولا يدخل علينا الا أهل لا اله الا الله ونحن محرومون على من لم يقل لا اله الا الله وعند هذا تقول النار وما فيها من العذاب لا يدخلنى الا من أنكر لا اله الا الله ولا أطلب الا من كذب بلا اله الا الله وأنا حرام على من قال لا اله الا الله ولا أمتلئ الا ممن جحد لا اله الا الله وليس غيظى وزفيرى الا على من أنكر لا اله الا الله ثم قال فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول أنا لأهل لا اله الا الله وناصرة لمن قال لا اله الا الله ومحبة لمن قال لا اله الا الله والجنة مباحة لمن قال لا اله الا الله والنار محرمة على من قال لا اله الا الله والمغفرة من كل ذنب لاهل لا اله الا الله والرحمة والمغفرة غير محجوبة عن أهل لا اله الا الله وقال بعضهم الحكمة فى قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت ان يوم القيامة تتجلى نور كلمة لا اله الا الله فيضمحل فى ذلك نور الشمس والقمر لان أنوار تلك أنوار مجازية ونور لا اله الا الله نور حقيقى ذاتى واجب الوجود لذاته تعالى والمجاز

الاعراب الاول لم يفعله باذن وهو قد أذن له مرارا اه وفيه نظر فان قربه وان كان مأذونا له فيه لكن وضعه كفيه على فخذى النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن باذن فصح قول القرطبى انه صنع صنيع جفاة الاعراب وفى رواية أبى داود وغيره انه صلى الله عليه وسلم كان يجلس بين أصحابه فيجيء الغريب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل فبنيت له مصطبة من طين يجلس عليها فجاءه جبريل وهو عليها فقال السلام عليك يا محمد فرد عليه السلام فقال أدن يا محمد قال ادن فمازال يقول أدن مرارا وهو يقول ادن ادن واستنبط منه بعضهم استحباب ابتداء الداخل بالسلام واقباله على رأس القوم وجلوس العالم بمكان يختص به ويكون مرتفعا اذا احتاج الى ذلك لضرورة تعليم ونحوه والاستئذان فى القرب من الامام مرارا وان كان الامام فى موضع مأذون فى دخوله وترك الاكتفاء فى الاستئذان مرة أو مرتين على جهة التعظيم والاحترام ووقع للشارح الهيتمى أنه عزى لرواية النسائى انه خاطبه بقوله السلام عليكم يا محمد بلفظ الجمع ثم قال فيه ندب السلام على الواحد بصيغة الجمع وهو زلل فان رواية النسائى ليس فيها عليكم بلفظ الجمع وانما وقع ذلك فى رواية القرطبى ثم استنبط منه انه يسن للداخل ان يعمم بالسلام ثم يخصص من يريد تخصيصه وتعقبه خاتمة الحفاظ ابن حجر بان الذى وقف عليه من الروايات انما فيه الافراد وهو السلام عليك يا محمد (وقال يا محمد) علم منقول من اسم مفعول الفعل المضعف أى المكرر العين سمى به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالهام من الله تعالى تفاؤلا بان يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الجميلة ويأتى لذلك مزيد بيان وخاطبه به مع انه يحرم نداؤه صلى الله عليه وسلم باسمه لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اما لانه كان قبل التحريم واما لان الحرمة مختصة بالآدميين دون الملائكة لان الخطاب فى الآية للآدميين فلا يشمل الملائكة الا بدليل واما جريا على عادة العرب من النداء بالاسم غالبا قصد المزيد التعمية عليهم وفهم منه جواز نداء العالم والرئيس باسمه ولو من المتعلم ان لم تعلم كراهته لذلك ولا كان على سبيل الوضع من قدره لانه أقرب الى التواضع وأولى بالصدق والا فبلقبه أو كنيته توقيرا له وتعظيما وانما خاطبه بهذا الاسم دون غيره من بقية الاسماء لان هذا هو أشهرها (أخبرنى عن الاسلام) اللام فيه للحقيقة والماهية الشرعية وكذا فى نظائره ولذا وقع فى رواية أبى هريرة ما الاسلام هنا وما الايمان فيما يأتى وهى تدل على انه انما سئل عن شرح ماهيتهما لا عن شرح لفظهما لغة والا لم يجب بما يأتى ولا عن حكمهما لان ما فى أصلها انما يسئل بها عن الحقائق والماهيات وقد سأل رجل آخر عن الله فقال له ان تسأل عن اسمه فالعزيز الحكيم وان تسأل عن صفته فالرحمن الرحيم وان تسأل عن فعله فخالق المخلوقين وان تسأل عن ماهيته فلا ماهية له نعرفها ولما أقام موسى وهارون بباب فرعون سنة ولم يؤذن لهما فى الدخول عليه ثم دخل عليه البواب فقال ها هنا انسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك عليه فدخلا عليه وأديا الرسالة قال فرعون وما رب العالمين وما يستفهم بها عن الاجناس ولا جنس لله تعالى لان الاجناس محدثة فاجابه موسى بالصفات الدالة على مخلوقاته التى لا يشاركه فيها مخلوق بقوله رب السموات والارض وما

يبطل في مقابلة الحقيقة وجاء في الآثار ان العبد اذا قال لا اله الا الله أعطاه الله من الثواب بعدد كل كافر وكافرة قيل والسبب أنه لما قال هذه الكلمة فكأنه قد رد على كل كافر وكافرة فلا جرم يستحق الثواب بعددهم وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد فقال البئر المعطلة قلب الكافر معطل (٦٢) من قول لا اله الا الله والقصر المشيد قلب المؤمن معمور بشهادة أن لا اله الا الله وقيل في قوله تعالى اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يعني قولوا لا اله الا الله وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي في الطرق ويقول قولوا لا اله الا الله تفلحوا وقال سفيان بن عيينة ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من ان عرفهم لا اله الا الله وأن لا اله الا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا وقال سفيان الثوري رحمه الله ان لذاذة قول لا اله الا الله في الآخرة كلذة شرب الماء البارد في الدنيا وذكر مجاهد في تفسير قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة أنه لا اله الا الله وقيل ان كل كلمة يصعد الملك بها الا قول لا اله الا الله فانها تصعد بنفسها دليله قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب أي قول لا اله الا الله والعمل الصالح يرفعه أي الملك يرفعه الى الله تعالى حكاه الرازي وحكى أيضا انه اذا كان آخر الزمان فليس لشئ من الطاعات فضل كفضل لا اله الا الله لان صلاتهم وصيامهم يشوبهما الرياء والسمعة وصدقاتهم يشوبها الحرام ولا اخلاص في شئ منها أما كلمة لا اله الا الله فهي ذكر الله والمؤمن لا يذكرها الا عن صميم قلبه وفي الخبر يقول الله تعالى لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي ويقال لا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة أعضاء وللنار سبعة أبواب فكل كلمة من هذه على الكلمات السبع تغلق بابا من أبواب النار السبعة عن كل عضو من الاعضاء السبعة (حكى) الامام الرازي رحمه الله أن رجلا كان واقفا بعرفات وكان في يده سبعة أحجار فقال يا أيتها الاحجار اشهدوا لي اني أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله

بينهما ان كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله ألا تستمعون فزاد موسى بالبيان كقوله ربكم ورب آبائكم الاولين قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون واعلم أنه بدأه في رواية مسلم هذه بالسؤال عن الاسلام لانه الامر الظاهر واشعارا بان أول واجب على المكلف النطق بكلمة الشهادة عند القدرة كما حققه الدواني وثنى بالايمان لانه الامر الباطن ووجه عكسه الواقع في رواية البخاري ان الايمان هو الاصل فبدأ به وثنى بالاسلام لانه يظهر به مصداق الدعوى وثلث بالاحسان لانه متعلق بهما ورجح الطيبي الاول لما فيه من الترقي فبدأ بالظاهر وترقى الى الاعلى والعلو في الثاني لان السنة بيان للكتاب فاولاها بالتقديم أوفقها له وقد قدم فيه الايمان على الاسلام في آيات كثيرة هذا محصل ما وجه وابه الترتيب الواقع في الروايتين وبدأ في رواية مطر الوراق بالاسلام وثنى بالاحسان وثلث بالايمان وعكس توجيهها بأن الاحسان هو الاخلاص فكأن محله القلب ذكر ذلك في القلب أي الوسط والحق كما قال ابن حجر وغيره ان التقديم والتأخير من الرواة لان القصة واحدة اختلفت الرواة في تأديتها وفيه دليل على ان الاسم غير المسمى لان جبريل سأل ما الاسلام ما الايمان ما الاحسان فأتى بأسمائها وأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بمعانيها ولو كان الاسم هو المسمى لم يحتج الى السؤال عنه ولما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم به بل كان يقول له انك عالم بمسمى ما سألت عنه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مجيبا له عن ماهية الاسلام وحقيقته (الاسلام) هو لغة الدخول في السلم أي الانقياد والاذعان ومنه قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وشرعا الانقياد الى الاعمال الواجبة الظاهرة كما بين ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله (أن) مصدرية (تشهد) منصوب بها وباقي الافعال الآتية من قوله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج معطوف عليها والشهادة الاخبار عن أمر متيقن قطعا أي تعلم وتحقق (أن) بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف أي انه أي الشأن (لا اله) أي لا معبود بحق موجود أو في الوجود (الا الله) ولا نافية للجنس واله اسمها مبني على الفتح والخبر محذوف تقديره موجود أو في الوجود كما مر فان قلت نفي الوجود لا يستلزم نفي الامكان بخلاف العكس فالجواب من ثلاثة أوجه الاول انه انما قدر الوجود لانه الذي ادعاه المشركون فاثبتوا وجود آلهة متعددة وقوله تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله نفي لدعواهم الثاني ان لا لنفي الجنس وهي موضوعة لنفي الوجود لا لنفي الامكان الثالث ان نفي الوجود هو المحصل للتوحيد صريحا لانه لو قدر ممكن لزم ان المثبت في الا الله هو الامكان فلا يحصل التوحيد بالصراحة فلذلك اختير تقدير الوجود دون غيره والأداة استثناء والاسم المكرم الواقع بعدها مرفوع على انه بدل من الضمير المستتر في الخبر المقدر وهو الاصح وقيل انه بدل من محل لا مع اسمها لان محلهما الرفع على الابتداء وقيل غير ذلك (وان محمدا رسول الله) محمد علم منقول من اسم مفعول حمد بتشديد الميم سمي به نبينا صلى الله عليه وسلم لكثرة خصاله المحمودة أي سماه به جده عبد المطلب تفاؤلا بان يكثر حمد الخلق له كما روي في السير انه قيل لجده عبد المطلب وقد سماه في سابع ولادته لموت أبيه قبلها

فنام فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت وحوسب ذلك الرجل فوجبت له النار فلما ساقوا به الى باب من أبواب جهنم جاء حجر من تلك الاحجار السبعة وألقى نفسه على ذلك الباب فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعه فما قدروا ثم سيق به الى الباب الثاني فكان الامر كذلك وهكذا الابواب السبعة فسيق به الى (٦٣) العرش فقال الله سبحانه عبدي أشهدت الاحجار فلم تضيع حقك وأنا شاهد على شهادتك على توحيدي ادخل الجنة فلما قرب من أبواب الجنان فاذا أبوابها مغلقة فجاءت شهادة أن لا اله الا الله وفتحت الابواب ودخل الرجل وروى القرطبي بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حضر ملك الموت عليه السلام رجلا فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيأ ثم فك عن لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فقال وجبت لك الجنة بقول كلمة الاخلاص يعني لا اله الا الله وفي الحديث من كان آخر كلامه من الدنيا لا اله الا الله دخل الجنة * وفيه أيضا ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكأني بأهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن والاحاديث والآثار في فضلها كثيرة شهيرة وفي هذا القدر كفاية ولنختم مجلسنا هذا بما رواه البيهقي عن بكر بن عبد الله المزني رحمه الله أن ملكا من الملوك كان متمردا على ربه عز وجل فغزاه قومه فأخذوه سلما فقالوا بأي قتلة نقتله فأجمعوا أمرهم على أن يتخذوا قمقما من نحاس عظيما ويجعلوه فيه ويحشوا النار تحته ولا يقتلوه ليذيقوه طعم العذاب ففعلوا ذلك فجعلوا يحشون تحته النار وهو يدعو آلهته واحدا واحدا يا فلان ألم أكن أعبدك وأصلي لك وأمسح وجهك وأفعل بك كذا وكذا فانقذني مما أنا فيه فلما رآهم لا يغنون عنه شيأ رفع رأسه الى السماء فقال لا اله الا الله وابتهل الى الله وهو يقول لا اله الا الله ويكررها فصب الله عليه غيثا من السماء فأطفأ تلك النار وجاءت ريح فاحتملت القمقم فجعل يدور بين السماء والارض وهو يقول لا اله

على الصحيح لم سميت ابنك أي ابن ابنك محمدا وليس من أسماء آبائك ولا قومك قال رجوت ان يحمد في السماء والارض وقد حقق الله تعالى رجاءه قال حسان رضي الله عنه

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

ولو رآها ان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور وأهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فعبرت بمولود يتبعه أهلهما ويحمده أهل السماء والارض قال بعض أهل المعاني الميم الاولى محق الكفر بالايمان أو محو سيآت من اتبعه أو منة الله تعالى على المؤمنين به والحاء حكمه بين الخلق بحكمه تعالى والميم الثانية ملكه الذي أعطاه الله تعالى له ولم يعطه لاحد قبله وذلك انه قرن اسمه مع اسمه في المشرق والمغرب والدال دليل الخلق في الدنيا لانه الداعي الى الله تعالى ودليلهم في الآخرة الى الجنة ويقال ان مما أكرم به الآدمي أن كانت صورته على ترتيب اسمه عليه الصلاة والسلام فالميم الاولى بمنزلة رأس الانسان والحاء بمنزلة اليدين والميم الثانية بمنزلة السرة والدال بمنزلة الرجلين قيل ولا يدخل النار من يستحق دخولها أعاذنا الله منها الا ممسوخ الصورة اكراما لصورة اللفظ ولا يشترط مع الاتيان بالشهادتين البراءة من كل ما يخالف دين الاسلام على الاصح الا ان يكون منسوبا لاعتقادهم اختصاص رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم بالعرب (وتقيم الصلاة) اقامة الصلاة تعديل أركانها وحفظها من الزيغ من أقام العود وقومه أو الدوام والمحافظة من قامت السوق أي نفقت أو التشمر لادائها من قام في الامر أو أداؤها كذا في الكشاف ولا يخفى انه على الاول استعارة تبعية شبه تعديل أركانها بتقويم الرجل العود واستعير له الاقامة ثم اشتق منه افعل وعلى الثاني كناية عن الدوام وعلى الثالث مجاز في الاسناد بمعنى تجعلها قائمة فيفيد التشمر وعلى الرابع كذلك اذ المعنى توجد قيامها فيكون من باب اطلاق بعض الشئ على كله وانه لو حمل على الثاني فقط كان أولى لدلالته على جميع المعاني وأبعد من زعم ان المراد بالاقامة أخت الاذان وأصل الصلاة في اللغة الدعاء قال تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول أي دعواته وقال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم أي ادع لهم ان صلواتك سكن لهم أي دعواتك طمأنينة لهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الناس بصدقاتهم يدعو لهم وقال صلى الله عليه وسلم من كان صائما فليصل أي فليدع وقال الاعشى

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا * يارب جنب أبي الاوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي * نوما فان لجنب المرء مضطجعا

أي دعوت وادعى السهيلي انه لا يصح أن يكون معناها الدعاء لانه يستعمل في الخير والشر بل هي راجعة الى معنى الحنو والانعطاف وتستعمل بمعنى البركة ومنه عند بعضهم اللهم صل على آل بني أوفى وبمعنى الاستغفار قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاهل البقيع لأصلي عليهم وفي رواية لأستغفر لهم وفي الشرع قال ابن عرفة قربة فعلية ذات احرام وتسليم أو سجود فقط فيدخل سجود التلاوة وصلاة الجنازة اه واختلفوا في اشتقاقها فقال النووي

الا الله فقد دفعه الله تعالى الى قوم لا يعرفون الله وهو يقول لا اله الا الله فأخرجوه فقالوا ويحك مالك فقال أنا فلان كان من أمرى كذا وكان من أمرى كذا فآمنوا كلهم بالله وقالوا بأجمعهم لا اله الا الله والله أعلم

(المجلس التاسع فى الحديث التاسع)

الحمد لله الذى جعل لنا اليه طريقا وسبيلا وأقام لنا على معرفته برهانا واضحا ودليلا وبعث الينا محمد بن عبد الله معلما ورسولا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بكرة وأصيلا (عن أبى هريرة عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فانما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم رواه البخارى ومسلم) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم رواه البخارى وكذا مسلم مطولا وزاد فى أوله خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذرونى ما تركتكم فانما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فدعوه فقوله (ما نهيتكم) أى منعتكم عنه (فاجتنبوه) وفى رواية فدعوه يعنى جميعه اذ لا امتثال الا باجتناب الجميع (قوله وما أمرتكم به) يعنى ايجابا وندبا (فافعلوا منه) وفى رواية فأتوا منه ما استطعتم أى ما أطقتم اذ الاستطاعة الاطاقة * واعلم ان هذا الحديث من جوامع الكلم التى أوتيها صلى الله عليه وسلم وقاعدة عظيمة من قواعد الدين ولهذا الحديث دخل فى كثير من الاحكام كالصلاة بأنواعها فانه اذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أو عن غسل بعض أعضاء الوضوء أو وجد بعض ما يكفيه من الماء لطهارته أو لغسل نجاسة أو وجبت عليه ازالة منكرات أو فطرة جماعة وأمكنه البعض أو وجد بعض ما يستر

الاظهر الاشهر انها من الصلوين بفتح الصاد واللام وهما عرقان فى الردف عن يمين الذنب وشماله ينحنيان فى الركوع والسجود ولذلك كتب الصلاة فى المصحف بالواو وقيل انها مأخوذة من قولهم صليت العود اذا قومته لان الصلاة تحمل الانسان على الاستقامة وتنهاه عن المعصية قال الله عز وجل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وروى انه قال كان فتى من الانصار يصلى الصلوات مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيأ من الفواحش الا ارتكبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسنت توبته وقيل انها مأخوذة من الصلة لانها تصل بين العبد وخالقه يعنى أنها تدنيه من رحمته وتوصله الى كرامته وجنته وحكمة مشروعيتها التذلل والخضوع بين يدى الله تعالى ومناجاته بالقراءة والذكر والدعاء وتعميم القلب بذكره واستعمال الجوارح فى خدمته وفرضت فى السماء ليلة المعراج بخلاف غيرها من الشرائع قال بعضهم والحكمة فى وقوع فرض الصلاة ليلة المعراج أنه صلى الله عليه وسلم لما قدس ظاهرا وباطنا حين غسل بماء زمزم وملئ بالايمان والحكمة ومن شرط الصلاة ان يتقدمها الطهور ناسب ذلك ان تفرض الصلاة فى هذه الحالة والاصح انه لم يفرض عليه قبلها صلاة وقيل كان الواجب قبلها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى ما كان بمكة تسع سنين ثم فرضت الخمس ليلة الاسراء واختلفوا فى كيفية فرضها فروت عائشة رضى الله عنها انها فرضت ركعتين ركعتين ثم أكملت صلاة الحضر أربعا قال الحسن البصرى وجماعة وكان الاكمال بالمدينة وقال ابن عباس وغيره فرضت أربعا الا المغرب فثلاثا والا الصبح فاثنين وهو طريق الجمهور وأول صلاة صلاها جبريل عليه السلام بالنبى صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر وبذلك سميت لانها أول صلاة ظهرت ولذلك تسمى الاولى (وتؤتى الزكاة) أى تعطيها لمستحقيها أو للامام ليدفعها لهم فحذف المفعول الاول لان الايتاء يتعدى لمفعولين أولهما فاعل فى المعنى وأولاها للصلاة موافقة للقرآن وهى لغة النمو والزيادة يقال زكا المال اذا نما وطاب لانها تنمى المال بالبركة أو سبب فى نموه وزيادته ومنه قول النابغة

وما أخرت من دنياك نقص * وما قدمت عاد لك الزكاء

أى الزيادة والتطهير لانها تطهر المال من الخبائث الحسية والمعنوية ونفس المزكى من رذيلة البخل وغيره والمدح يقال زكى نفسه تزكية مدحها والتنعم يقال زكا الرجل يزكو اذا تنعم وكان فى خصب والتصدق يقال زكى اذا تصدق واللائق بالشئ يقال هذا الامر يزكو لفلان أى يليق به وشرعا جزء من المال شرط وجوبه لمستحقه بلوغ المال نصابا وتسمى صدقة لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة من التصديق الذى هو الايمان اذ دافعها يصدق بوجوبها وحكمة وجوبها مواساة الفقراء (وتصوم رمضان) الصوم فى اللغة الامساك والكف عن الشئ ومنه قوله تعالى انى نذرت للرحمن صوما أى صمتا وامساكا عن الكلام كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقولهم صام النهار اذا انتصف لبطئ مشى الشمس فى وسط النهار فكأنها غير متحركة وصام الفرس قام من غير اعتلاف وشرعا قال القرافى امساك عن شهوتى الفم والفرج أو ما يقوم مقامهما مخالفة الهوى فى طاعة المولى فى جميع أجزاء

النهار

بعض عورته أو حفظ بعض الفاتحة أتى بالممكن فى جميع ذلك وأشباهه لانه مستطاع وأشباه هذا غير منحصرة ومحله فى كتب الفقه والمقصود هنا التنبيه على أصل ذلك (تنبيه) مصداق ما ذكر فى هذا الحديث قول الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم المبين لقوله تعالى فى الآية الاخرى اتقوا الله حق تقاته اذ حق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه ولم يأمر سبحانه وتعالى الا بالمستطاع لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج (نكتة لطيفة) يرحم الله الابوصيرى حيث قال

صاح لا تأس ان ضعفت عن الطا
عات واستأثرت بها الاقوياء

ان لله رحمة وأحق الناس منه
بالرحمة الضعفاء

فابق فى العرج عند منقلب الذو
د ففى العود تسبق العرجاء

لا تقل حاسدا لغيرك هذا
أثمرت نخله ونخلى عفاء

وائت بالمستطاع من عمل البر
فقد يسقط الثمار الاتاء

قال بعض شراح قصيدته رحمه الله انه جرد من نفسه شخصا نهاه وأمره فقال لا تحزن ان ضعفت قواك عن كثرة الطاعة التى هى أعمال الخير ففاز بكثرتها ذو القوة فانه تعالى ذو رحمة واسعة تعم القوى والضعيف والدنئ والشريف لكن أحق الناس بالرحمة الضعفاء لانكسار خواطرهم بتخلفهم عن مرادهم بواسطة العجز الناشئ عن الضعف فقد يحصل لهم من فيض الرحمة ما لا يحصل للاقوياء لقوله تعالى أنا عند المنكسرة قلوبهم فلهذا أمر ببقائه فى العرج الذين هم الضعفاء لانهم أقوى نية وأصلح سريرة وأبعد عن الرياء قال ابن الفارض نفع الله من له يعارض ومرزمنا وانهض كسيرا فحظك البطالة ما أخرت عزما بصحة فربما بسبب ذلك سبقوا الاقوياء الى النعيم المقيم الى مقام كريم كما ان الشاة العرجاء من الذود المتخلفة عن السوابق منه اذا رجع الذود الى ربه تصير أمامهم فتسبقهم الى الوصول وتفوز قبل بقية الذود بالمطلوب والمأمول ثم نهاه عن مقارفة الحسد بأن يقول هذا القوى حصلت له بواسطة قوته

النهار بنية قبل الفجر أو فيه ان أمكن فيما عدا زمن الحيض والنفاس وأيام الاعياد اهـ وضمير التثنية فى قوله يقوم مقامهما يعود على الفم والفرج ويقوم مقام الفم الانف ونحوه فان الواصل منه للجوف أو للحلق مفطر ويقوم مقام الفرج اللمس الموجب للفطر وأخره عن الزكاة وان كان أنسب بالصلاة لكونه بدنيا لان اهتمام الشارع بالصلاة والزكاة أكثر ولهذا كررهما فى القرآن كثيرا أو لانهما اذا وجبا لا يسقطان عن المكلف أصلا والصوم يسقط بنحو الفدية ذكره الكرمانى ورمضان كما قال الخليل مأخوذ من الرمض أى بالتحريك وهو مطر يأتى أيام الخريف سمى هذا الشهر به لانه يغسل الابدان من الآثام ويطهر قلوبهم وقيل سمى به لانه يرمض الذنوب أى يحرقها وقيل من الارتماض لانه يأخذ فيه أى فى رمضان من حرارة الموعظة والفكر فى أمر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس وقيل لانهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التى وقعت فيها فوافق ابتداء الصوم زمنا حارا فسمى به قال السيوطى فى حاشيته على البخارى قال بعضهم لما تاب آدم من أكل الشجرة تأخر قبول توبته لما بقى فى جسده من تلك الاكلة ثلاثين يوما فلما صفا جسده منها تيب عليه ففرض على ذريته صيام ثلاثين وكان فرضه فى السنة الثانية من الهجرة اهـ قال القرطبى فيه جواز استعماله غير مضاف الى شهر وهو مذهب البخارى والمحققين لخبر اذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وقيل يكره استعماله بلا اضافة شهر ونقله عياض وغيره وقيل يجوز بقرينة كصمنا رمضان ويكره بدونها كجاء رمضان لما قيل انه من أسماء الله والمذهبان الاخيران فاسدان كما قاله النووى ولا يصح أن يكون من أسمائه تعالى فقد صنف جماعة لا يحصون فى أسماء الله تعالى فلم يثبتوه وما روى فيه من الحديث ضعيف وأول ما فرض من رمضان خير بينه وبين الاطعام لقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وكان يباح للمكلف الاكل والشرب والجماع بعد الغروب الى أن ينام أو يصلى العشاء فيحرم عليه ذلك حتى وقع لقيس بن صرمة بكسر الصاد المهملة وسكون الراء أنه طلب من امرأته ما يفطر عليه فذهبت لتأتى به ثم أتت فوجدته قد نام فأصبح صائما وكان يعمل فى حائطه فلم ينتصف النهار حتى غشى عليه وأراد عمر وطء زوجته فزعمت أنها نامت فكذبها ووطئها ثم خون نفسه وذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وذكره جماعة من الصحابة عن أنفسهم فنزل قوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم الآية وحكمة مشروعيته مخالفة النفس وكسرها وتصفية مرآة القلب والاتصاف بسما الملائكة والتنبيه على مواساة الجائع (وتحج البيت) الحج لغة القصد وقال الخطابى القصد مع التكرار ومنه قول الشاعر

* يحجون بيت الزبرقان المزعفرا *

يريد أنهم يقصدونه فى أمورهم ويختلفون اليه فى حوائجهم مرة بعد أخرى واصطلاحا قال ابن عرفة يمكن رسمه بأنه عبادة يلزمها وقوف بعرفة ليلة عاشر ذى الحجة وحده بزيارة وطواف ذى طهر أخص بالبيت عن يساره سبعا بعد فجر يوم النحر والسعى من الصفا للمروة ومنه اليها سبعا بعد طواف كذلك لا بقيد وقته باحرام فى الجميع اهـ والمراد بالطهر الاخص الطهر من الحدث الاصغر والاكبر كما فى شارحه أو من

الاعمال وبلغ منها الآمال وما حصل له فاتني مثله بسبب ضعفي فان الضعيف قد يحصل له بسبب ضعفه ما لا يحصل للقوي الناظر الى قوى نفسه كما انه يحصل من صغار النخل غرة لا تحصل من كبارها ان الله لا ينظر الى صوركم بل ينظر الى قلوبكم فتأمل هذا المعنى البديع (قوله وانما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم) أي التي لغير ضرورة (واختلافهم على أنبيائهم) اذ الاختلاف يؤدى الى التفريق ومقصود الشارع صلى الله عليه وسلم الاجتماع ومن ثم يروى ان أبي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهما من أفاضل الصحابة كان اذا سئل عن مسئلة يقول أوقعت هذه فان قيل نعم قال فيها بعلمه أو أحال على غيره وان قيل لا قال فدعها حتى تقع *(تنبيه)* الاختلاف المذكور في الحديث قال الامام النووي في نكته هو بضم الفاء لا بكسرها عطفا على كثرة لا على مسائلهم أي أهلكهم كثرة مسائلهم وأهلكهم اختلافهم فهو أبلغ لان الهلاك نشأ عن الاختلاف (تنبيه آخر) نذكره للمناسبة قال المفسرون في تفسير قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الآية لو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون أي من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها (ولنتكلم على قصتها تتميما للمجلس فنقول) القصة في ذلك على ما ذكره الامام البغوي وغيره انه كان في بني اسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى فألقاه بفنائهم ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى عليه السلام قال الكلبي وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه أمر القتيل فأمرهم بذبح بقرة فقال لهم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا أي أتستهزئ بنا نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح البقرة فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين أي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل

الحدث المذكور والخبث وقوله لا بقيد وقته اي انه لا يعتبر في الطواف الذي لا يتوقف عليه السعي حصوله بعد فجر يوم النحر كما في طواف الافاضة والبيت اسم جنس ثم غلب على الكعبة كغلبة النجم على الثريا (ان استطعت اليه) أي الحج أو البيت (سبيلا) مفعول له أو تمييز عن نسبة الاستطاعة الى البيت أي ان استطعت سبيل البيت فاخرا يكون أوقع وتقديم اليه عليه للاختصاص وسبيلا أي طريقا وتنكيره للعموم اذ النكرة في الاثبات قد تعم كما ذكره الزمخشري في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت والسبيل يذكر ويؤنث فمن التذكير قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ومثله ما هنا ومن التأنيث قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة والاستطاعة القدرة وهي امكان الوصول من غير مشقة عظيمة من الامن على النفس والمال ولو بلا زاد وراحلة لذي صنعة تقوم به وقدر على المشي فالاستطاعة ولو بالبدن وعند الشافعي بالمال لانه فسرها بالزاد والراحلة وعند أبي حنيفة بمجموع الامرين وانما قيد بالاستطاعة في الحج مع ان ما مر يقيد بها أيضا اتباعا للفظ القرآن وفائدة التقييد لبيان ان المشقة فيه ليست كغيره أو لان عدمها في فرض نحو الصلاة والصوم لا يسقط فرضهما بالكلية وانما يسقط وجوب الاداء حالا بخلاف الحج فان عدمها يسقط وجوبه رأسا ومقتضى كلام القرطبي ان الصحيح ان الحج واجب على التراخي وهو تحصيل مذهب مالك فيما ذكر ابن خويزمنداد وهو قول الشافعي وذهب بعض البغداديين الى انه على الفور فلا يجوز تأخيره مع القدرة عليه وذكر شيخنا الاجهوري في شرحه على المختصر انه المعتمد والدليل على الاول اجماع العلماء على ترك تفسيق القادر على الحج اذا أخره العام والعامين ونحوهما وانه اذا حج بعد أعوام من حين استطاعته فقد ادى الحج الواجب عليه في وقته وكل من قال بالتراخي لا يحد في ذلك حدا الا ما روي عن سحنون من تحديده الى الستين فان زاد على الستين فسق وردت شهادته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين وقل من يجاوزها وقوله معترك المنايا ما بين الستين والسبعين ولا حجة فيه لانه كلام خرج على الاغلب من أعمار أمته لو صح الحديث ولم يقطع بتفسيق من صحت عدالته وامانته بمثل هذا من التأويل الضعيف اه وقدم الاشق وأخر ما وجب في العمر مرة (تنبيه) السبيل ورد في القرآن على وجوه الاول البلاغ كما في قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا يعني بلاغا الثاني الطاعة كقوله تعالى في البقرة الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله يعني في طاعة الله الثالث المخرج كقوله تعالى في بني اسرائيل أنظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا يعني مخرجا من الحبس ومثله قوله في النساء حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا يعني مخرجا من الحبس الرابع المسلك كقوله تعالى في النساء ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا أي مسلكا الخامس العلل كقوله تعالى فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أي عللا السادس الدين كقوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين أي دين المؤمنين السابع الهدى كقوله تعالى في النساء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا أي من يضلل الله عن الهدى فلن تجد له سبيلا أي هدى الثامن الجنة كقوله تعالى

من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علم الناس ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه وكان تحته حكمة عظيمة وذلك انه كان في بني اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها الى غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة أعواما وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطي والدته ثلثه فقالت له أمه يوما ان أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق فادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها تخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك أهون عليك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة باله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقطع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأمك فسار الفتى بها الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بأمه وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتي فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمي فردها الى أمه فأخبرها بالثمن فقالت له ارجع

فاجعل الله لكم عليهم سبيلا أي حجة التاسع الطريق كقوله تعالى في النساء والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا أي طريقا الى المدينة العاشر العدوان كقوله تعالى في حمعسق ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل أي من عدوان انما السبيل على الذين يظلمون الناس الحادي عشر الطاعة كقوله تعالى في الفرقان الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا أي طاعة الثاني عشر الملة كقوله تعالى في يوسف قل هذه سبيلي أي ملتي (قال) السائل للمصطفى صلى الله عليه وسلم (صدقت) فيما أجبت به قال عمر (فعجبنا له) أي منه أو لاجله والتعجب حالة تعرض للقلب عند الجهل بسبب الشئ (يسأله) والسؤال قرينة عدم العلم (ويصدقه) لان هذا خلاف عادة السائل والتصديق قرينة العلم ثم زال تعجبهم باعلامهم انه جبريل عليه السلام لانه ظهر انه عالم في صورة متعلم (قال فأخبرني عن الايمان) هو لغة مطلق التصديق سواء كان مطابقا للواقع أم لا سواء تعلق بحكم شرعي أم لا واصطلاحا تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك تفصيلا في التفصيلي واجمالا في الاجمالي فمن علم اسمه كجبريل وجب الايمان به عينا ومن لم يعلم اسمه آمنا به اجمالا وكذلك الكتب والانبياء والرسل والمراد بالتصديق الاذعان والقبول لا مجرد نسبة الصدق له صلى الله عليه وسلم لئلا يلزم الحكم بايمان كثير من الكفار الذين كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يعرفون حقيقة نبوته صلى الله عليه وسلم الا أنهم لم يذعنوا ولم يقبلوا ما جاء به قال تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها يعلمون انه الحق من ربهم وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم وأورد على التعريف ان قوله بالضرورة متعلق بقوله علم وهو يقتضي ان جميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أمر ضروري لا يتوقف على نظر واستدلال وليس كذلك فان فيه النظري وأجيب بان المراد بقوله بالضرورة انه شاع واشتهر بين أهل الاسلام حتى صار العلم به يشابه العلم الحاصل بالضرورة (قال الايمان أن تؤمن) ان وصلتها في موضع رفع خبر مبتدا محذوف أي الايمان هو أن تؤمن بالله وظاهر الحديث تغاير الايمان والاسلام لان جبريل سأل عنهما سؤالين وأجيب عنهما بجوابين وفسر الاسلام بأعمال الجوارح كالصلاة ونحوها والايمان بأعمال القلب وقد يتوسع فيطلق الايمان على الاسلام كما في حديث وفد عبد القيس فانه أمرهم بالايمان ثم قال أتدرون ما الايمان قالوا الله ورسوله أعلم قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان قيل هذا تعريف للشئ بنفسه لان تؤمن مشتق من الايمان فالجواب كما قال الكرماني ان المراد من المحدود الايمان الشرعي ومن الحد الايمان اللغوي ويظهر انه انما أعاد لفظ الايمان للاعتناء بشأنه تفخيما لامره وهذا موافق لقول الطوفي هذا ليس من تعريف الشئ بنفسه بل هو من تعريف الشرعي باللغوي لانه لغة التصديق وشرعا تصديق خاص وهو الايمان بالله وما ذكره بعده فكأنه قال الايمان شرعا التصديق بهذه الاشياء كما يقال الصلاة شرعا هي الصلاة لغة وهي الدعاء وزيادة أمور أخر وهو كلام صحيح وقال الطيبي وقوله الايمان ان تؤمن يوهم التكرار وليس كذلك فان قوله ان تؤمن مضمن معنى ان تعترف

فبعها بستة دنانير على رضا منى فانطلق بها الى السوق وأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتى انها أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة دنانير على ان أستأمرها فقال الملك فانى أعطيك اثنى عشر دينارا فأبى الفتى ورجع الى أمه فأخبرها بذلك فقالت ان الذى يأتيك ملك يأتيك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها امسكى هذه البقرة فان موسى ابن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل من بنى اسرائيل فلا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير فأمسكوها وقدر الله تعالى على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى ادع لنا ربك يبين لنا ماهى الى آخر الآيات فطلبوها فلم يجدوها بكمال صفتها الا مع الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهبا فذبحوها وضربوا القتيل ببعض منها كما أمر الله تعالى فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث وفى الخبر ماورث قاتل بعد صاحب البقرة قال الله تعالى كذلك يحيى الله الموتى كما أحيا عاميل ويريكم آياته لعلكم تعقلون قيل تمنعون أنفسكم عن المعاصى فسبحان من فاوت بين الخلق قيل لابراهيم عليه السلام اذبح ولدك فتله للجبين وقيل لبنى اسرائيل اذبحوا بقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون وخرج أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عن جميع ماله وبخل ثعلبة بالزكاة وجاد حاتم فى حضره وأسفاره وبخل الحباحب بضوء ناره اللهم وفقنا أجمعين يارب العالمين

* (المجلس العاشر فى الحديث العاشر) الحمد لله الذى أنشأ العالم بعضها واخترعه وابتدأ أشكاله وابتدعه وأتقن كل شئ صنعه وأحكم متفرقه ومجتمعه أحمده على ما وهب من احسانه حمد معترف بالتقصير عن شكر امتنانه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة معلن بلسانه عما فى ضميره وجنانه وأشهد أن

ولذلك عداه بالباء كأنه قيل الايمان اعتراف بالله وثوق به وتعقبه الحافظ ابن حجر بان التصديق أيضا يتعدى بالباء فلا حاجة الى دعوى التضمن (بالله) أى بأنه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله موصوف بصفة الكمال منزه عن سمة الاجسام (وملائكته) جمع ملك على غير قياس أو جمع مألك بتقديم الهمزة اذ هو من الالوكة وهى الرسالة ثم أخرت الهمزة عن اللام وحذفت تخفيفا لكثرة الاستعمال ونقلت حركتها الى اللام وقال فى النهاية جمع ملائك فى الاصل ثم حذفت همزته لكثرة الاستعمال اه والتأنيث للجمع وقيل للمبالغة وقد ورد بغير تاء كما قال القائل * أبا خالد صلت عليك الملائك * وهى أجسام لطيفة نورانية أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة تقدر على أفعال شاقة لا يقدر عليها البشر وهم قسمان قسم شأنهم الاستغراق فى معرفة الحق والتنزه عن الشغل بغيره وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القدر لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وفى الحديث أتانى ملك لم ينزل الارض قبلها قط برسالة من ربى فوضع رجله فوق السماء الدنيا ورجله الاخرى ثابتة فى الارض لم يقلها وقد ورد ان لله ملكا لو ملئ ثلث الكون وملكا لو ملئ ثلثيه وملكا لو ملئ الكون كله وقد ورد فى عظم الملائكة ما هو فوق ذلك لا يقال اذا ملأ الكون كله فأين يكون الآخر لانا نقول الانوار لا تتزاحم ألا ترى ان لو وضع سراج فى بيت ملأه نورا ولو أتينا بعده بألف سراج وسع البيت أنوارهم ذكره العارف بالله ابن عطاء الله عن شيخه المرسى وقد جاء فى صفة الملائكة أحاديث منها ما أخرجه الترمذى وابن ماجه والبزار من حديث أبى ذر مرفوعا أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وعليه ملك ساجد الحديث ومنها ما أخرجه الطبرانى من حديث جابر مرفوعا ما فى السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف الا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد وللطبرانى نحوه من حديث عائشة وذكر فى ربيع الابرار عن سعيد بن المسيب قال الملائكة ليسوا ذكورا ولا اناثا ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون قلت وفى قصة الملائكة مع ابراهيم وسارة ما يؤيد انهم لا يأكلون واما ما وقع فى قصة الاكل من الشجرة انها شجرة الخلد التى يأكل منها الملائكة فليس بثابت وفى هذا وما ورد من القرآن الشريف رد على من أنكر وجود الملائكة من الملحدة اه قال الطيبى الاطيط صوت الاقتاب وأطيط الابل أصواتها وحنينها أى ان كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهو مثل وايذان بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم أطيط وانما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله والاشبه كما قال الحليمى ان لا يكتب لهم عمل اذ الملك هو الذى يكتب فكان يحتاج كل ملك الى آخر ولا يحاسبون أيضا اذ لا سيئات لهم وأما الاثابة فقد قيل يثابون برفع التكليف عنهم ويحتمل أن يكون وراء رفع التكليف عنهم نعمة أعدها الله لهم ولا تبلغها عقولنا فان الله تعالى يقول أعددت لعبادى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اه وذكر القرطبى فى تفسير سورة القدر ان الروح طائفة من الملائكة جعلوا حفظة على غيرهم وقيل ان الملائكة ليسوا بحيوان لعدم صدق تعريفه عليهم حيث قيل فيه نام وليس كذلك وانما خلقوا كذلك (وكتبه) جمع كتاب وهو لغة ضم الحروف الدالة على معنى

سيدنا محمدا عبده ورسوله بعثه بالبينات مرشدا لهدى الايمان مؤيدا بمعجزات القرآن وأظهر دينه على سائر الاديان صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه فى كل وقت وأوان آمين (عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك رواه مسلم) * اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث من الاحاديث التى عليها قواعد الاسلام ومبانى الاحكام وفيه فوائد سنذكرها (قوله ان الله طيب) أى منزه عن النقص والخبث ويكون بمعنى القدوس وقيل طيب الثناء وعلى هذا فهو من أسمائه الحسنى المأخوذة من الصفة كالجميل على القول بصحته (قوله لا يقبل الا طيبا) أى لا يقبل من الاعمال ولا من الاموال الا طيبا والطيب من الاموال فى الاصل ما يستلذ به ومنه فانكحوا ما طاب لكم من النساء ويطلق أيضا بمعنى الطاهر ومنه صعيدا طيبا والله تعالى طيب بهذا المعنى أى منزه كما مر فلا يقبل من الاعمال الا طاهرا من المفسدات كالرياء والعجب ونحوهما ولا يقبل من الاموال الا خالصا من شوائب الحرام اذ الطيب ما طيبه الشرع لا ما كان طيبا فى الذوق اذ هو من غير مباح وبال على متعاطيه وعذاب أليم وفى الخبر من عمل عملا صالحا أشرك فيه غيرى تركته وشركه وفى الخبر أيضا كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به وتكره الصدقة بالردئ كدرهم مغشوش وحب مسوس أو عتق ما فيه شبهة (قوله وان الله تعالى) أى لما خلق لعباده ما فى الارض جميعا وأباحه لهم سوى ما حرم عليهم (أمر المؤمنين) منهم (بما أمر به المرسلين) أى سوى بينهم فى الخطاب بامره اياهم بان يتحروا أكل الحلال وتماطى

بعضهم الى بعض مصدر كتب أى جمع والكتب اصطلاحا ما أنزل الله على الانبياء اما مكتوبا على الالواح أو مسموعا من وراء حجاب أو من ملك مشاهد وخص الايمان بها لانها الكلام الازلى القديم القائم بذاته المنزه عن الحرف والصوت أنزلها على بعض رسله بألفاظ حادثة فى الالواح أو على لسان ملك وعدة الكتب المنزلة من السماء الى الدنيا مائة وأربعة صحف شيث ستون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشرة والتوراة والانجيل والزبور والفرقان ومعانى الكتب مجموعة فى القرآن ومعانى القرآن مجموعة فى الفاتحة ومعانيها مجموعة فى البسملة ومعانى البسملة مجموعة فى بائها زاد بعضهم ومعانى الباء فى نقطتها أى فى ذلك اشارة الى الوحدة فهو الواحد الذى لا نظير له قاله الخطيب وذكر الشنائى فى شرح الرسالة خلافه ونصه * فائدة جملة الكتب المنزلة مائة كتاب وأربعة عشر كتابا خمسون على شيث وثلاثون على ادريس وعشرون على ابراهيم ولا خلاف فى هذا واختلفوا فى عشرة فقيل أنزلت على آدم وقيل على موسى قبل التوراة والتوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود والفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم اه وفى شرح الشاذلى ما يوافق الاول والحق عدم حصرهم فى عدد معين * (ورسله) * أى بانه تعالى أرسلهم الى الخلق لهدايتهم الى طريق الحق وتكميل معاشهم ومعادهم وانهم صادقون فى جميع ما أخبروا به عن الله وبلغوا عنه وانهم بينوا للمكلفين ما أمروا ببيانه وأنه يجب احترامهم وان لا نفرق بين أحد منهم وفى رواية للبخارى ورسله وقدم الملائكة على الرسل والكتب نظرا للترتيب لان الله تعالى أرسل الملك بالكتاب الى الرسول لا لانهم أفضل من الانبياء لان الاصح ان الانبياء أفضل منهم وفى الافضلية طرق الاولى طريقة ابن الحاجب وجماعة وقول جماعة من الاشاعرة وأهل الحديث والتصوف أنهم أفضل من الملائكة العلوية والسفلية لقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين والملائكة من جملة العالمين وان الملائكة ولو غير رسل أفضل من غير الانبياء من البشر ولو كان وليا كأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ويقابله قول من قال أهل السنة كالباقلانى والحليمى بأفضلية الملائكة العلوية والسفلية على الانبياء ما عدا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لانه أفضل من الملائكة اجماعا كما ذكره الفخر الرازى والمراد اجماع من يعتد باجماعه وما وقع فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى انه لقول رسول كريم الآية من أفضلية جبريل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو نزغة اعتزالية الثانية طريقة الآمدى والبيضاوى فى قصر الخلاف على الملائكة العلوية وأما السفلية فلا اختلاف ان الانبياء أفضل منهم لقوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض وقوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا الثالثة طريقة الماتريدية وهى الراجحة عندهم أن خواص البشر وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة كجبريل وميكائيل وخواص الملائكة أفضل من عامة البشر والمراد بهم الصلحاء كأبى بكر وعمر وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة وهم غير الرسل منهم كحملة العرش والكروبيين وأفضل الملائكة جبريل كما جزم به السيوطى وقال بعضهم أفضلهم اسرافيل قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام بعدما قرر ان خواص البشر أفضل من

الاعمال الصالحة لان الجميع عباده ومأمورون بعبادته الا ما قام الدليل على تخصيصهم به دون أممهم فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم أمر المؤمنين أن يتحروا أكل الحلال كما ذكر وأن يقوموا بحقوقه تعالى فقال (٧٠) واشكروا لله أى على ما أحل لكم ان كنتم اياه تعبدون أى ان صح أنكم تخصونه بالعبادة فان عبادتكم لا تتم الا بالشكر *(تنبيه)* الخطاب بالنداء لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا به دفعة واحدة اذهم كانوا فى أزمنة وخص الرسل بالذكر تعظيما لهم وفيه تنبيه على ان اباحة الطيبات لهم شرع قديم ورد للرهبانية فى رفض الطيبات وان الشخص يثاب اذا أكل طيبا قصد به القوة على الطاعة واحياء نفسه بخلاف ما اذا أكل تشهيا وتنعما (واعلم) ان أفضل ما أكلت منه كسبك من زراعة لانها أقرب الى التوكل ثم من صناعة لان الكسب فيها يحصل بكد اليمين ثم من تجارة لان الصحابة رضى الله عنهم كانوا يكتسبون بها ويحرم ما يضر بالبدن والعقل كالحجر والتراب والزجاج والسم كالافيون وهو ابن الخشخاش ويحرم أكل الحشيشة التى تأكلها الحرافيش ويسن ترك التبسط فى الطعام المباح لانه ليس من أخلاق السلف هذا اذا لم تدع اليه حاجة كقرى الضيف وأوقات التوسعة على العيال كيوم عاشوراء ويومى العيد ولم يقصد بذلك التفاخر والتكاثر بل تطييب خاطر الضيف والعيال وقضاء وطرهم مما يشتهونه قال علماؤنا وفى اعطاء النفس شهواتها المباحة مذاهب حكاها الماوردى منعها وقهرها كيلا تطغى اعطاؤها تحيلا على نشاطها وبعثا لروحانيتها قال والاشبه التوسط بين الامرين لان علما فى اعطائها الكل سلاطة عليه وفى منعها بلادة ويسن الحلو من الاطعمة وكثرة الايدى على الطعام وأن يحمد الله تعالى عقب الاكل والشرب روى أبو داود باسناد صحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل أو شرب قال الحمد لله الذى أطعم وأسقى وسوغه وجعل له

الملائكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الانبياء فقد ساد سادات الملائكة فصار افضل من الملائكة بدرجتين واعلى منهم بمرتبتين لا يعلم قدر تلك المرتبتين وشرف تلك الدرجتين الا من ختم النبيين وسيد المرسلين المفضل على جميع العالمين (واليوم الآخر) وهو من وقت الموت أو الحشر الى ما لا يتناهى أو الى ان يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وقال البيضاوى سمى بذلك لانه آخر الاوقات المعدودة وقال غيره لانه لا ليل بعده ولا يقال يوم يعنى من غير تقييد الا لما يعقبه ليل وقيل لانه آخر أيام الدنيا والمراد الايمان بما فيه من البعث والحساب وتطاير الصحف والميزان وادخال البعض الجنة بالفضل والبعض النار بالعدل الى غير ذلك مما ورد النص القاطع به وفى رواية والبعث الآخر ووصفه بالآخر اما تأكيد كامس الدابر أو احترازا عن غير الآخر لانه احياء بعد اماتة وقد كنا ميتين قبل نفخ الروح فاحيينا بنفخها ثم متنا ثم أحيينا لسؤال الملكين ثم متنا ثم أحيينا للحشر فهذا هو الآخر (وتؤمن بالقدر) اعاد العامل اما لبعد العهد واما للاهتمام بشأنه اذ لا يعلمه الا الحاذق بأمور الدين بخلاف الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر بتحريك الدال المهملة وقد تسكن من قدرت الشئ بفتح الدال مخففة اذا أحطت بمقداره وأل فيه عوض عن المضاف اليه أى بتقدير الله سبحانه الامور واحاطته بها علما ثم قدره بالابدال (خيره وشره) الخير الطاعة والشر المعصية أى بان الله تعالى قدر الخير والشر فى القدم وان ذلك سيقع فى أوقات معلومة عنده على صفات مخصوصة والاظهر انه بدل كل وأما قول ابن مالك انه بدل بعض فغير ظاهر الا أن يقال ان ذلك باعتبار كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه وفى رواية لمسلم وبالقدر كله وفى رواية عطاء عن ابن عمر زيادة حلوه ومره والحلو ما تستطيبه النفس وتميل اليه كالغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات والمر ما تكرهه النفس وتنفر منه كالجدب والقحط والمرض والبلاء ولما كان الايمان بالقدر مستلزما للايمان بالقضاء لم يتعرض له وقد خاض فيه قوم وأمسك عنه آخرون تمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا وبانه سر ليس لمن عرفه ان يفشيه ولذا لما سئل عنه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال طريق مظلم لا سبيل اليه فأعيد السؤال فقال بحر عميق لا تلجه فأعيد السؤال فقال سر الله قد خفى عليك فلا تفشه وأما من خاض فيه فقال القضاء ارادته الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هى عليه والقدر ايجاده اياها على ما يطابق العلم فالقضاء بمنزلة الاساس والقدر بمنزلة البناء والقضاء بمنزلة آلة الكيل والقدر بمنزلة المكيل والقضاء بمنزلة ما أعد للبس والقدر بمنزلة اللبس والقضاء بمنزلة تصوير النقاش الصورة فى ذهنه والقدر بمنزلة رسمها ونظم ذلك شيخنا الاجهورى فقال

ارادة الله مع التعلق * فى أزل قضاؤه فحقق
والقدر الايجاد للاشيا على * وجه معين اراده علا
وبعضهم قد قال معنى الاول * العلم مع تعلق فى الازل
والقدر الايجاد للامور * على وفاق علمه المذكور

وفى الحديث الرد على القدرية وهم قدريتان أولى وهى تنكر ما ذكرنا من سبق العلم بالاشياء قبل وجودها وتزعم أن الله لم يقدر الامور ازلا ولم يتقدم علمه بها وانما يأتنفها

مخرجا وآداب الاكل والشرب كثيرة شهيرة ثم ذكر أبو هريرة رضى الله عنه بعد ما تقدم ما بقى من الحديث فقال (الرجل يطيل السفر) أى لما هو طاعة كالسفر للحج والجهاد وغيرهما من أسفار الطاعة (قوله أشعث) أى مغبر الرأس (أغبر) أى البدن والثوب (يمد) أى عند الدعاء (يديه الى السماء) أى الى جهتها (٧١) يقول (يارب يارب) وفيما ذكره دلالة على أن ذلك من آداب الدعاء وهو كذلك لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم رفع يديه فى دعاء الاستسقاء حتى رؤى بياض ابطيه ولقوله صلى الله عليه وسلم ان الله حى كريم يستحى من عبده أن يرفع اليه كفيه ثم يردهما صفرا أى خائبتين ولان السماء قبلة الدعاء (قوله ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى) أى كيف يستجاب له أى يبعد لمن هذه صفته وهذا حاله أن يستجاب له وفى هذا الحديث فوائد منها بيان شرط الدعاء وموانعه وآدابه ومنها أن لا يدعو بمعصية ولا بمحال ومنها أن يكون حاضر القلب للنهى عن الدعاء مع الغفلة وأن يحسن ظنه بالاجابة ومنها أن لا يستعجل فيقول دعوت فلم يستجب لى اذ هو سوء أدب فيقطعه عن الدعاء فتفوته الاجابة فقد قال صلى الله عليه وسلم أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له ومنها أن لا يخرج عن العادة خروجا بعيدا لما فيه من سوء الادب ايضا لان الله تعالى قد أجرى الامور على العادة فالدعاء بخرقها تحكم على القدرة قال بعضهم الا أن يدعوه باسمه الاعظم فيجوز تأسيا بالذى عنده علم من الكتاب اذ دعا بحضور عرش بلقيس فأجيب وفى الحديث أيضا الحث على الانفاق من الحلال والنهى عن الانفاق من غيره وأن المأكول والمشروب والملبوس ونحوها ينبغى أن يكون حلالا لا شبهة فيه وأن مريد الدعاء أولى بالاعتناء بذلك من غيره قال وهب بن منبه بلغنى أن موسى عليه السلام مر برجل قائم يدعو ويتضرع طويلا وهو ينظر اليه فقال موسى يارب أما استجبت لعبدك فأوحى الله تعالى اليه ياموسى انه لو بكى حتى تلفت

علما حال وقوعها وهؤلاء انقرضوا وقبل ظهور الشافعى رحمه الله واياهم عنى بقوله ان سلم القدرية العلم خصموا اذ يقال لهم أتجوزون ان يقع فى الوجود خلاف ما تضمنه العلم فان منعوا وافقونا وان أجازوا لزمهم نسبة الجهل اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقدرية ثانية وهم مطبقون على ان الله تعالى عالم بافعال العباد قبل وقوعها وانما خالفوا السلف فى زعمهم أن افعال العباد مقدرة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال بواسطة الاقدار والتمكين وقد اتفق لشخص منهم انه رفع رجله بحضرة رجل من أهل السنة وقال له انى رفعت رجلى عن الارض بقدرتى فقال له السنى فاذن ارفع الاخرى فلم يرد له جوابا وفيه رد أيضا على المعتزلة فى زعمهم أنه تعالى لا يخلق الشر اذ لو كان العبد يخلق الشر والمخالفات وهى أكثر وقوعا من الطاعات لكان أكثر ما يجرى فى الوجود على خلاف ارادة رب الارض والسموات وذلك أمر لا يرضاه أمير بلد ولا زعيم قرية تعالى الله عما تقول المعتزلة علوا كبيرا وقد حكى انه دخل القاضى عبد الجبار المعتزلى على الصاحب بن عباد وكان وزيرا بالمغرب فرأى عنده الاستاذ أبا اسحق الاسفراينى امام أهل السنة فقال عبد الجبار سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ على الفور سبحان من لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء فالتفت اليه عبد الجبار وعلم انه فهم مراده فقال له أفيريد ربك أن يعصى فقال له الاستاذ أفيعصى ربنا قهرا فقال له عبد الجبار أرأيت ان منعنى الهدى وقضى على بالردى أحسن الى أم أسا فقال له الاستاذ ان كان منعك ما هو لك فقد أساء وان كان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء فانصرف الحاضرون وهم يقولون والله ليس عن هذا جواب وفى حياة الحيوان ان ملكا قال له منجموه انك تموت فى اليوم الفلانى فى الوقت الفلانى بلدغة عقرب فلما آن الوقت تجرد من ثيابه وركب فرسه بعد غسلها وتسريح شعرها ودخل به البحر حذرا فعطست فرسه فخرج من منخرها عقرب فدبها الماء حتى تعلقت به فلسعته فمات وما أغناه الحذر من القدر وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة أتلومنى على أمر قدره الله على قبل أن يخلقنى قال فحج آدم موسى وعن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما أرسلنى فى حاجة فلم تتهيأ الا قال لو قضى كان ولو قدر كان وعن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عما يرويه عن ربه عز وجل من لم يرض بقضائى وقدرى فليطلب ربا سواى وعن على رضى الله تعالى عنه فى تفسير قوله سبحانه وتعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك وعجبا لمن أيقن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا باهلها حالا بعد حال كيف يطمئن اليها وعن عثمان رضى الله تعالى عنه ان الكنز هو اللوح من ذهب فيه سبعة أسطر مكتوب فيها سبع كلمات عجبت لمن عرف الدنيا وهو يرغب فيها وعجبت لمن عرف الامور بالقدر كيف يغتم بالفوات وعجبت لمن عرف الحساب وهو يجمع المال وعجبت لمن عرف النار وهو يذنب وعجبت لمن عرف الجنة يقينا

نفسه ورفع يده حتى بلغ عنان السماء ما استجيب له قال يارب لم ذلك قال لان فى بطنه الحرام وعلى ظهره الحرام وفى بيته الحرام ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا له يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول عرفتم الله (٧٢) فلم تؤدوا حقه والثانى زعمتم انكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته والثالث قرأتم القرآن فلم تعملوا به والرابع أكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها والخامس قلتم ان الشيطان عدو لكم ووافقتموه ولم تخالفوه والسادس قلتم ان الجنة حق ولم تعملوا لها والسابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها والثامن قلتم ان الموت حق ولم تستعدوا له والتاسع انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم واعلموا اخوانى انه ورد فى السنة ان الدعاء مخ العبادة ووجهه ان الداعى انما يدعو عند انقطاع الآمال عما سوى الله فهو حقيقة التوحيد والاخلاص وورد أيضا أن الدعاء سلاح الانبياء ونعم السلاح والاحاديث فى فضل الدعاء كثيرة شهيرة *(تنبيه)* فى رسالة الامام أبى القاسم القشيرى رضى الله عنه قال اختلف فى ان الافضل الدعاء أو السكوت فمنهم من قال الدعاء عبادة لحديث الدعاء هو العبادة ولان الدعاء اظهار الافتقار الى الله تعالى وقالت طائفة السكوت والجمود تحت جريان الحكم أتم والرضا بما سبق به القدر أولى وقال قوم يكون صاحب دعاء بلسانه ورضا بقلبه ليأتى بالامرين جميعا قال القشيرى والاولى أن يقال الاوقات مختلفة ففى بعض الاحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الادب وفى بعض الاحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الادب وانما يعرف ذلك بالوقت فاذا وجد فى قلبه اشارة الى الدعاء فالدعاء أولى واذا وجد اشارة الى السكوت فالسكوت أتم قال ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو لله سبحانه وتعالى فيه حق فالدعاء أولى لكونه عبادة وان كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم

عن

وهو يستريح وعجبت لمن عرف الله يقينا وهو يذكر غيره (قال صدقت قال فاخبرنى عن الاحسان) أراد به الاخلاص قال فيه للعهد الذهنى المذكور فى الآيات الشريفة نحو للذين احسنوا الحسنى وزيادة وان الله يحب المحسنين وهل جزاء الاحسان الا الاحسان اذ احسان العبادة الاخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها و يتعدى بنفسه كأحسنت كذا اذا أتقنته وأكملته وأمكنته وبحرف الجر كأحسنت اليه اذا أوصلت اليه النفع وأصله من الحسن خلاف القبح وما هنا من الاول لان المقصود اتقان العبادة وقد يلحظ الثانى بان المخلص مثلا يحسن باخلاصه الى نفسه وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من الرياء كتمييز اللبن من فرث ودم سائغا سهل المرور فى الحلق وقيل ترك حب المدح على العمل وقيل سر بين العبد وربه لا يطلع عليه ملك مقرب فيكتبه ولا شيطان فيفسده جاء فى الحديث المسلسل الربانى الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى وانظر قوله لا يطلع عليه ملك مقرب فيكتبه هل هو مبنى على ان عمل القلب لا يكتب أو على انه يكتب ويستثنى منه الاخلاص (قال) صلى الله عليه وسلم (أن تعبد الله) من عبد أطاع والتعبد والتنسك والعبودية الخضوع والذل يقال طريق معبد اذا ذلل بالارجل وفى رواية أبى هريرة وعمارة بن القعقاع أن تخشى الله فعبر عن المسبب باسم السبب توسعا والعبادة ما تعبد به بشرط النية ومعرفة المعبود كالصلاة والقربة ما تقرب به بشرط معرفة المتقرب اليه كالعتق والوقف والطاعة امتثال الامر والنهى كالنظر المؤدى الى معرفة الله تعالى قاله شيخ الاسلام (كأنك تراه) هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لانا لو قدرنا أن احدا قام فى عبادة ربه وهو يعاينه سبحانه وتعالى لم يترك شيأ مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت بحفظ القلب والجوارح واجتماعه بظاهره وباطنه الا أتى به قال الكرمانى فان قلت كأنك تراه ما محله من الاعراب قلت هو حال من الفاعل أى تعبد الله مشبها بمن تراه اهـ أى شبيها بمن تنظر اليه خوفا منه وحياء والاولى أن ينزل على معنى التشبيه و يكون التقدير الاحسان عبادتك الله تعالى حال كونك فى عبادتك مثل حال كونك رائيا له وهذا التقدير أحسن وأقرب للمعنى من تقدير الكرمانى لان المفهوم من تقديره أن يكون هو فى حال العبادة مشبها بالرائى اياه وفرق بين عبادة الرائى بنفسه وعبادة المشبه بالرائى بنفسه (فان لم تكن تراه) فاستمر على احسانك العبادة (فانه يراك) اذ هو القائم على كل نفس بما كسبت المشاهد لكل أحد من خلقه فى حركته وسكونه وان للشرط وان لم تكن تراه جملة وقعت فعل الشرط فان قلت أين جزاء الشرط قلت محذوف تقديره فان لم تكن تراه فاحسن العبادة فانه يراك فان قلت لم لا يكون قوله فانه يراك جزاء للشرط قلت لا يصح لانه ليس مسببا عنه وينبغى أن يكون فعل الشرط سببا لوقوع الجزاء كما تقول فى ان جئتنى أكرمتك فان المجىء سبب للاكرام وعدمه سبب لعدمه وههنا عدم رؤية العبد ليست بسبب لرؤية الله تعالى فان الله سبحانه وتعالى يراه سواء وجدت من العبد رؤية ام لم توجد وحكى عن محمد بن سكران وهو من مشاهير مشايخ بغداد المتأخرين انه وقف على قوله فان لم تكن وهو اشارة الى مقام المحو والفناء وتقديره فان لم تكن أى لم تصر شيأ وفنيت

(فائدة) عن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا موكلا بمن يقول يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثا قال له الملك ان أرحم الراحمين قد أقبل عليك فاسأل *(تنبيه)* قال الغزالى رحمه الله تعالى فان قيل فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء (٧٣) فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما ان الترس سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض وكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء وقد قيل

سبحان من لا يخيب من قصده
من قصد الله صادقا وجده
قد شمل الخلق فضل نعمته
كل الى فضله بمد يده

قال محمد بن نزعة لما مات أحمد بن حنبل رحمه الله رأيته فى المنام وهو يتبختر فى الجنة فقلت أى مشية هذه فقال هذه مشية الخدام الى دار السلام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لى وتوجنى وألبسنى نعلين من ذهب وقال لى يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامى ثم قال يا أحمد ادعنى بتلك الدعوات التى بلغتك عن سفيان الثورى وكنت تدعو بها فى دار الدنيا فقلت يارب كل شئ بقدرتك على كل شئ اغفر لى كل شئ ولا تسألنى عن شئ والدعوات كثيرة (خاتمة المجلس) قال الجلال السيوطى رحمه الله فى طبقات النحاة الصغرى له رأيت بخط القاضى عز الدين بن جماعة وجد بخط الشيخ محيى الدين النووى ما نصه ما قرأ أحد هذه الابيات ودعا الله تعالى عقبها بشئ الا استجيب له وهى هذه

يامن يرى ما فى الضمير ويسمع
أنت المعد لكل ما يتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها
يامن اليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه فى قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة
فبالافتقار اليك فقرى أدفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة * فلئن رددت فأى باب أقرع
ومن الذى أدعو وأهتف باسمه
ان كان فضلك عن فقيرك يمنع * حاشا لجودك ان تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع
وهذه الابيات من كلام عبد

عن نفسك حتى كأنك ليس بموجود فانك حينئذ تراه فانما الحجاب بينك وبين شهوده فان من ألقى الحجاب رأى الجناب وهو شبيه بما حكى عن أبى يزيد فانه قال رأيت رب العزة فى المنام فقلت يارب كيف الطريق اليك فقال خل نفسك وتعال قال الصلاح الصفدى وغفل هذا القائل للجهل بالعربية على انه لو كان المراد ما زعم لكان قوله تراه محذوف الالف لانه يصير مجزوما لكونه على زعمه جواب الشرط وتعقبه الدمامينى بقوله انما تصح هذه الدعوى التى عارض بها الصفدى لو كان الجواب فى هذه الصورة مما يجب جزمه وهو ممنوع فقد نص الامام جمال الدين بن مالك فى التسهيل على ان الشرط اذا كان منفيا بلم جاز رفع الجواب بكثرة وكفانا به حجة على أن الشراح قبلوا هذا منه ولم يتعقبوه وعليه فيصح قولنا ان لم يقم زيد يقوم عمرو ويتخرج عليه الحديث فلا يكون رفع الفعل المضارع الذى هو تراه مانعا من دعوى كونه جوابا للشرط اهـ وقوله ان تعبد الله كأنك تراه اشارة الى حال المشاهدة وقوله فان لم تكن تراه فانه يراك اشارة الى حال المراقبة قال بعضهم من راقب الله فى خواطره عصمه الله فى جوارحه وسئل ابن عطاء ما أفضل الطاعات فقال مراقبة الحق على دوام الاوقات ورأى شخص مسافر غلاما يرعى غنما فقال له تبيع من هذه الغنم واحدة فقال انها ليست لى فقال قل لصاحبها ان الذئب أخذ منها واحدة فقال الغلام وأين الله وقال أبو عبد الله الرازى سمعت أبا عثمان يقول قال لى أبو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك ولنفسك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك (قال فاخبرنى عن الساعة) أى عن زمن وجودها ووقت قيامها الاعنها نفسها لانها مقطوع بها وهى لغة مقدار من الزمان غير معين ولا محدد لقوله تعالى ما لبثوا غير ساعة وفى عرف أهل الميقات جزء من أربعة وعشرين جزأ من أوقات الليل والنهار وفى عرف أهل الشرع عبارة عن القيامة وهو المراد هنا وأصلها سوعة بتحريك الواو وقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وسميت ساعة مع طول زمانها اما لوقوعها بغتة لانها تفجأ الناس فى ساعة فتموت الخلق كلهم بصيحة واحدة حتى أن من تناول لقمة لا يمهل حتى يبتلعها وحتى ان الرجلين يكون بينهما الثوب لا يتبايعانه ولا يطويانه ولذا قال المفسرون فى قوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون أى يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم فيموتون فى مكانهم واما لسرعة حسابها واما تسمية الكل باسم البعض والمراد أول ساعاتها واما لانها على طولها كساعة عند الله على الخلق واما لان طولها على الكفار واما المؤمنون فانها تكون عليهم كساعة لحديث أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقلت ما أطول هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا (قال ما المسؤل) ما نافية بمعنى ليس وفى رواية أبى فروة فنكس فلم يجبه ثم أعاد فلم يجبه ثلاثا ثم رفع رأسه فقال ما المسؤل (عنها) أى عن زمنها (باعلم) خبر ما وزيدت الباء لتأكيد معنى النفى (من السائل) أى كلانا سواء فى عدم العلم بزمن وقوعها ان الله عنده علم الساعة ان الساعة آتية أكاد أخفيها يسئلونك عن الساعة

الرحمن بن عبد الله بن أصبغ بن حبيش المالقي رحمه الله تعالى آمين ∗(المجلس الحادي عشر في الحديث الحادي عشر)∗ الحمد لله على جميع النعم والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث لخير الامم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ∗(عن) أبي محمد (الحسن ابن علي بن أبي طالب) سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته (رضي الله عنه قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك رواه الترمذي والنسائي قال الترمذي حديث حسن صحيح) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم ومعناه اترك ما في حله شك الى ما لا شك فيه طلبا لبراءة دينك وعرضك ومعناه أيضا راجع الى معنى حديث ان الحلال بين الخ فاذكرها الذي ذكرهنا ويتم به هذا المجلس فيصير مجلسا مستقلا معدودا وهذا لا يخفى على الحاذق وقوله (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) بفتح أولهما وضمه والفتح أشهر وأفصح والله أعلم

∗(المجلس الثاني عشر في الحديث الثاني عشر)∗

الحمد لله الذي أحيا قلوب المؤمنين باتساع رحمته وألهمهم من حسن التوسل ما يدفعون به عظيم أخذه وعقوبته ووهب لهم من مطايا الحزن والبكاء ما يتوصلون به الى منازل جنته ومغفرته ورحمته فسبحانه من الهشرفنا بكلمة التوحيد وأرسل الينا سيد الخلق والعبيد وجعل صلاتنا عليه شفيعا لنا بين يديه فمن أراد تكفير الخطايا والزلات وبذل العطايا والصلات والحلول في أعلى الدرجات فليكثر من الصلاة على سيدنا محمد سيد الاحياء والاموات طيبوا بالصلاة عليه مجالسكم أقوالكم وزينوا بها رسائل أعمالكم صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابته واحشرنا والحاضرين في زمرته آمين (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه حديث حسن رواه الترمذي وغيره) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم وهو من الاحاديث التي عليها مدار الاسلام كما علم مما مر (قوله صلى الله عليه وسلم من حسن

أيان مرساها قل انما علمها عند ربي الآيات وفي الصحيح مفتاح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله تعالى وتلا ان الله عنده علم الساعة الآية قال مقاتل نزلت هذه الآية في رجل من أهل البادية اسمه عبد الوارث بن عمرو بن حارثة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان امرأتي حبلى فأخبرني ماذا تلد وبلادنا جدبة فأخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت وقد علمت ما عملت اليوم فأخبرني ماذا أعمل غدا وأخبرني متى تقوم الساعة فأنزل الله هذه الآية فان قلت لم قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل والمقام يقتضي أن يقال لست بأعلم بها منك فالجواب انه أتى بذلك اشعارا بالتعميم تعريضا للسامعين بأن كل مسؤل وكل سائل كذلك ووقع هذا السؤال والجواب بين عيسى بن مريم وجبريل لكن كان عيسى سائلا وجبريل مسؤلا كما أخرجه الحميدي في افراده عن الشعبي قال سأل عيسى بن مريم جبريل عن الساعة فانتفض بأجنحته وقال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل اه فان قيل قوله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين يدل على ان عنده منها علما والآيات تقتضي ان الله تعالى منفرد بعلمها فالجواب كما قال الحليمي ان معناه أنا النبي الاخير فلا يليني نبي آخر وانما تليني القيامة والحق كما قال جمع أن الله سبحانه وتعالى لم يقبض نبينا عليه الصلاة والسلام حتى أطلعه على كل ما أبهمه عنه الا انه أمره بكتم بعض والاعلام ببعض فان قلت ما الحكمة في أنه قال له صدقت فيما سبق دون ما هنا وما يأتي فالجواب ان مسلما زاد في رواية عمارة بن القعقاع قول السائل صدقت عقب كل جواب فبعض الرواة اقتصر وبعضهم أتم وفي الحديث دلالة على انه يطلب من العالم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا أعلم ولا يكون ذلك منقصا لمرتبته بل يستدل به على ورعه وتقواه ومن ثم سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي بقاع الارض أفضل فقال لا أدري حتى أسأل جبريل فسأله فقال لا أدري حتى أسأل العالم ثم ذهب وأتاه فقال ان الله عز وجل أخبرك ان خير بقاع الارض المساجد وشر بقاعها الاسواق رواه البزار وقال علي كرم الله وجهه ما أبردها على كبدي اذا سئلت عما لا أعلم أن أقول لا أعلم وقال الهيثم بن جميل شهدت مالكا رضي الله تعالى عنه سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنين وثلاثين منها لا أدري وقيل سئل عن أربعين فأجاب عن أربع وقال في الباقي لا أدري وكان يقول ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري حتى يكون ذلك أصلا في أيديهم يفزعون اليه فاذا سئل أحدهم عما لا يدري قال لا أدري (قال فأخبرني عن اماراتها) بفتح الهمزة بالجمع اذ هي بكسرها الولاية اي علاماتها ومنه سمي الشرط لانهم يعلمون انفسهم بعلامات يعرفون بها وقيل مقدماتها وقيل صغار أمورها وقيل اوائلها وروي امارتها بالافراد والمراد اشراطها السابقة لا المقارنة والمضايقة كطلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة ومن ثم قال القرطبي أمارات الساعة قسمان ما يكون من نوع المعتاد وغيره والمذكور هنا الاول واما الغير المعتاد كطلوع الشمس من مغربها فتلك مقارنة لها أو مضايقة (قال ان تلد الامة) اي الجارية وفي رواية البخاري اذا ولدت الامة وهي كما قال الحافظ ابن حجر كالكرماني اولى لاشعارها بتحقيق الوقوع قال الكرماني ولهذا يصح ان يقال اذا قامت القيامة كان كذا الا ان قامت القيامة كان كذا بل يكفر قائله لاشعاره بالشك فيه اه ويتعين حمل كلامه على من عرف هذا المعنى واعتقده والا فكثيرا ما تستعمل ان موضع

اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) بفتح الياء معناه ما لا تتعلق عنايته به والذي يعني الانسان من الامور ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه وسلامته في معاده وذلك يسير بالنسبة الى ما لا يعنيه فان اقتصر الانسان على ما يعنيه من الامور سلم من شر عظيم والسلامة من الشر خير كثير ومن بعض كلام السلف من علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ومن سأل عما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه قال ابن العربي هذا الحديث فيه اشارة الى ترك الفضول لان المرء لا يقدر أن يستقل باللازم فكيف يتعداه الى الفاضل وقال ابن عبد البر كلامه صلى الله عليه وسلم هذا من الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة في الالفاظ القليلة وهو مما لم يقله أحد قبله صلى الله عليه وسلم الا انه روي في صحف شيث وابراهيم على نبينا وعليهما وعلى جميع الانبيا أفضل الصلاة والسلام من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه قال الفاكهاني رحمه الله هذا خاص بالكلام وأما الحديث فهو أعم من الكلام لان مما لا يعنيه التوسع في الدنيا وطلب المناصب والرياسة وحب المحمدة والثناء وغير ذلك وقال بعض العلماء في هذا الحديث ان المؤمن مع المؤمن كالنفس الواحدة فينبغي ان يحب له ما يحب لنفسه من حيث انها نفس واحدة ومصداقه الحديث المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر الجسد ∗ وقال بعضهم المراد بهذا الحديث كف الاذى والمكروه عن الناس ويشبه معناه قول الاحنف بن قيس حين سئل ممن تعلمت الحلم قال من نفسي قيل له وكيف ذلك قال كنت اذا كرهت شيأ من غيري لم أفعل بأحد مثله وذكر مالك في موطئه قيل للقمان ما بلغ بك ما نرى يريدون الفضل قال صدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنيني وروى أبو عبيدة عن الحسن قال من علامة اعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه (تنبيه) ينبغي للانسان أن يشتغل بما ينفعه من قراءة قرآن واستغفار وذكر ونحوه فان الشيطان يرضى منه بتضييع عمره من غير فائدة لعلمه بأن عمره جوهر نفيس كل نفس

موضع اذا وبالعكس لاغراض وقد ثبت في علم المعاني وأل في الامة لتعريف الماهية أو للمعهود عند المخاطب دون الاستغراق لعدم اطراد ذلك في كل أمة (ربتها) بتاء التأنيث أي سيدتها يقال فلانة ربة البيت أي سيدته وهن ربات الحجال وفي رواية أبي فروة ربها أي سيدها وفي رواية عثمان بن غياث أربابهن بلفظ الجمع وقد اختلف في معناه على أوجه الاول قال الخطابي وأكثر العلماء انه كناية عن كثرة السراري اللازمة لكثرة الفتوح والاستيلاء على بلاد الكفر وسبي ذراريهم حتى تلد السرية بنتا أو ابنا لسيدها فيكون ولدها سيدها كابيه أي لان قوة الاسلام وبلوغ أمره غايته منذر بالتراجع والانحطاط المؤذن بقرب القيامة وتعقبه الحافظ ابن حجر بان ايلاد الاماء كان موجودا حين المقالة والاستيلاء على بلاد الكفر وسبي ذراريهم واتخاذهم سراري كان أكثره في صدر الاسلام والسياق يقتضي الاشارة الى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة الثاني قال الحربي انه كناية عن كون الارقاء يلدن الملوك فتكون أم الملك من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته ويؤيده ان الرؤساء في الصدر الاول كانوا يستنكفون غالبا عن وطء الاماء ويتنافسون في الحرائر ثم انعكس الامر سيما في اثناء دولة بني العباس لكن رواية ربها بالتأنيث لا تساعده اند ور كون الانثى ملكة الثالث انه كناية عن كثرة بيع المستولدات لفساد الزمان حتى يشتري الولد أمه وهو عارف بها أو حيث لا يشعر فالعلاقة الاستهانة بالاحكام الشرعية أو غلبة الجهل الناشئ عنه بيع أم الولد قال المؤلف وهذا لا يختص بامهات الاولاد بل يتصور في غيرهن فان الامة قد تلد حرا بوطء غير سيدها بشبهة أو ولدا رقيقا بنكاح أو زنا ثم تباع بيعا صحيحا وتدور في الايدي حتى يشتريها ولدها الرابع ان ولد أم الولد لما كان سببا في عتقها بموت أبيه أطلق عليه ذلك مجازا الخامس انه كناية عن كثرة عقوق الاولاد لامهاتهم فيعاملونهم معاملة السيد أمته من الاهانة والسب وأطلق عليه ربها مجازا لذلك ويستأنس له برواية ان تلد المرأة وبخبر لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا السادس ان المراد بالرب المربي فيكون حقيقة قال الحافظ ابن حجر وهذا أوجه الاوجه عندي لعمومه ومحصله ان الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الامور بحيث يصير المربي مربيا والعالم متعلما والسافل عاليا وأيد بأنه المناسب لقوله في العلامة الاخرى وان تصير الحفاة العراة ملوك الارض وحينئذ فقول بعضهم في الرد عليه انه ليس بأوجه الاوجه بل أضعفها لان النبي صلى الله عليه وسلم انما عد هذا من أشراط الساعة لكونه على نمط خارج على وجه الاستغراب دال على فساد أحوال الناس والذي ذكره ليس من هذا القبيل غير ظاهر نعم الانصاف ان قوله ربتها بالتأنيث يبعده ووقع في بعض الروايات ان تلد الامة بعلها والصحيح ان البعل بمعنى السيد فيكون بمعنى ربها على ما سلف قال أهل اللغة بعل الشئ ربه ومالكه قال تعالى أتدعون بعلا أي ربا قاله ابن عباس وغيره وعن ابن عباس لم أدر معنى البعل حتى قلت لاعرابي لمن هذه الناقة قال أنا بعلها وضلت ناقة لبعض العرب فجعل ينادي من رأى ناقة أنا بعلها فجعل الصبيان يقولون له زوج الناقة وقيل المراد هنا الزوج ويكون معناه انه يكثر بيع السراري حتى يتزوج الانسان أمه وهو لا يدري

منه لاقيمة له فاذا صرف الانسان عمره فى طاعة سلم وغنم وقد ورد أن بكل تسبيحة صدقة وان من قرأ سورة الاخلاص عشر مرات بنى له قصر فى الجنة ومن قال سبحان الله والحمد لله الخ غرست له شجرة فى الجنة فأين هذا ممن لا يستفيد شيأ وأشر من ذلك أن يتكلم بكلمة يغضب بها مولاه أو يؤذى بها (٧٦) أخاه فقد ورد ان العبد ليتكلم بالكلمة من الشر لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم أبعد ما بين المشرق والمغرب وربما كانت تلك الكلمة سببا فى سنة سيئة يستمر العمل بها بعده فلا يزال يعذب فى قبره مادام يعمل بها فقد قيل ياويل من مات ولم تمت سيآته لان العبد اذا مات انقطعت أعماله الا من عمل عملا صالحا يعمل به من بعده كعلم أو وقف نسأل الله حسن العاقبة وفى الخبر مرفوعا ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يريد بها الا أن يضحك القوم يهوى بها أبعد ما بين السماء والارض وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم وان أبعد القلوب من الله القلب القاسى (مواعظ تتعلق بالامانة تتميما للمجالس) قال الله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها قيل المراد من الآية جميع الامانات وعن البراء بن عازب وابن مسعود وأبى بن كعب الامانة فى كل شئ الوضوء والصلاة والزكاة والصوم والكيل والوزن والودائع وقال ابن عمر خلق الله تعالى نوع الانسان وقال هذه الامانة خبأتها عندك فاحفظها الا بحقها * واعلموا أن فى كل عضو من أعضاء الانسان أمانة * فأمانة اللسان أن لا يستعمله فى كذب أو غيبة أو بدعة أو نحوها وأمانة العين أن لا ينظر بها الى محرم وأمانة الاذن أن لا يصغى بها الى استماع محرم وهكذا سائر الاعضاء فهذه كلها أمانات مع الله تعالى وأما مع الناس فرد الودائع وترك التطفيف فى كيل أو وزن أو ذرع وشر التجار من اذا اشترى أرخى الذراع واذا باع شد الذراع وأمانة الامراء العدل فى الرعية وأمانة العلماء فى العامة أن يحملوهم على الطاعات والاخلاق الحسنة وينهوهم عن المعاصى وسائر القبائح كالتعصبات الباطلة

وهذا أيضا معنى صحيح الا أن الاول أظهر لانه اذا أمكن حمل الروايتين فى القصة الواحدة على معنى واحد كان أولى فان قيل كيف أطلق الرب على غير الله وقد ورد النهى عنه بقوله لا يقل أحدكم ربى وليقل سيدى ومولاى فالجواب ان الممنوع اطلاقه على غير الله بدون الاضافة وأما بالاضافة فلا يمتنع يقال رب الدار ورب الناقة *(وان ترى الحفاة)* جمع حاف بالمهملة وهو من لا نعل برجله *(العراة)* من الثياب جمع عار وهو المتجرد من الثياب التى تلبس على جسده وفى رواية الحفدة أى الخدمة وال للمفهوم عند المخاطب او التعريف الماهية لا الاستغراقية لقضاء العادة بأن كلا منهم لا يحصل له ذلك *(العالة)* بتخفيف اللام أى الفقراء جمع عائل من عال افتقر ككاتب وكتبة والالف فى العالة منقلبة عن ياء والاصل عيلة والعيلة باسكان الياء الفقر قال الله تعالى وان خفتم عيلة *(رعاء)* بكسر أوله وبالمد جمع راع كجياع جمع جائع ويجمع أيضا على رعاة بضم أوله وهاء آخره مع القصر كقضاة جمع قاض وعلى رعيان كشاب وشبان والرعى حفظ الغير لمصلحة *(الشاء)* جمع شاة وهو من الجموع التى يفرق بينها وبين واحدها بالهاء كشجر وشجرة وتمر وتمرة زاد الاسمعيلى فى روايته الصم البكم أى لم يستعملوا أسماعهم ولا ألسنتهم فى علم ونحوه من أمر دينهم فلعدم حصول ثمرتى السمع واللسان صاروا كأنهم عدموهما ومن ثم قال الله تعالى فى حقهم أولئك كالانعام بل هم أضل وفى رواية لمسلم رعاء البهم بفتح الباء الموحدة جمع بهمة وهى صغار الضأن والمعز وقيل أولاد الضأن والمعز وقيل أولاد الضأن خاصة واقتصر عليه الجوهرى وفى رواية البخارى رعاء الابل البهم بضم الباء لا غير جمع أبهم وهو الذى لا شبه له قاله الكرمانى وقال القاضى جمع بهيم وهو الاسود الذى لا يخالطه لون غيره وعلى رواية البخارى فيه وجهان الرفع صفة لرعاء والجر صفة الابل والمعنى على الرفع انهم مجهولون الانساب وقيل سود الالوان وقيل الذين لا شبه لهم وعلى الجر الابل السود لانها شر الابل عندهم وخيرها الحمر التى يضرب بها المثل فيقال خير من حمر النعم قال فى الفتح ووقع فى رواية الاصيلى بفتحها ولا يتجه مع ذكر الابل وانما يتجه مع ذكر الضأن أو مع عدم الاضافة وخص مطلق الرعاء لانهم أضعف الناس ورعاء الشاء لانهم أضعف الرعاء ومن ثم قيل رعاء الشاء أنسب بالسياق من رواية رعاء الابل البهم فانهم أصحاب فخر وخيلاء وليسوا عالة ولا فقراء غالبا ويجاب بان فخرهم انما هو بالنسبة لرعاء الشاء لا لغير الرعاء فالقصد حاصل بذكر مطلق الرعاء ولكنه برعاء الشاء أبلغ فان قلت القصة غير متعددة فكيف الجمع بين الروايتين فالجواب كما قال الهيثمى انه يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم جمع بينهما فقال رعاء الابل والشاء فحفظ راو الاول وآخر الثانى (يتطاولون فى البنيان) أى يتفاخرون بطول البناء وكثرته وقد أخرج ابن أبى الدنيا عن عمار بن أبى عمار انه قال اذا رفع الرجل بناء فوق سبعة أذرع نودى يا أفسق الفاسقين الى أين ومثله لا يقال من قبل الرأى والتفاعل فيه بين أفراد العراة الموصوفين بما ذكر لا بينهم وبين غيرهم ممن كان عزيزا قبل خلافا لمن وهم فيه وهو مفعول ثان ان جعلت الرؤية قلبية وحال ان جعلت بصرية ومعناه ان أهل البادية وأشباههم تبسط لهم الدنيا ويصيرون أهل ثروة وشوكة فيملكون البلاد ويتوطنونها

فيبنون

وأمانة المرأة فى حق زوجها ان لا تخونه فى فراشه أو ماله ولا تخرج من بيته بغير اذنه وأمانة العبد فى حق سيده أن لا يقصر فى خدمته ولا يخونه فى ماله وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى ذلك كله بقوله كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وأما الامانة مع النفس فبأن يختار لها الانفع فى الدين والدنيا وأن يجتهد فى مخالفة شهواتها (٧٧) وارادتها فانها السم الناقع المهلك لمن أطاعها فى الدنيا والآخرة * قال أنس رضى الله عنه فما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقد عظم الله تعالى أمر الامانة فقال انا عرضنا الامانة أى التكاليف التى كلف الله بها عباده من امتثال الاوامر واجتناب النواهى على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان أى آدم عليه السلام انه كان ظلوما أى لنفسه بقبوله تلك التكليفات الشاقة جدا جهولا أى بمشاقها التى لا تتناهى وليتأمل قوله تعالى ان الله لا يهدى كيد الخائنين فانه شدد كيد من خان أمانته وقيل ان الله تعالى خلق الدنيا كالبستان وزينها بخمسة أشياء علم العلماء وعدل الامراء وعبادة الصلحاء ونصيحة المستشار وأداء الامانة فقرن ابليس مع العلم الكتمان ومع العدل الجور ومع العبادة الرياء ومع النصيحة الغش ومع الامانة الخيانة وفى الحديث أول ما يرفع من الناس الامانة وآخر ما يبقى الصلاة ورب مصل ولا خير فيه وفيه اذا حدث أحدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وفيه اضمنوا الى اشياء أضمن لكم الجنة أصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا وعدتم وأدوا الامانة اذا ائتمنتم وفيه اكفلوا الى أشياء أكفل لكم الجنة الصلاة والزكاة والامانة والفرج والبطن واللسان وفيه ثلاث متعلقات بالعرش الرحم تقول اللهم انى بك فلا اقطع والامانة تقول اللهم انى بك فلا أخان والنعمة تقول اللهم انى بك فلا أكفر وفيه يؤتى بالعبد يوم القيامة وان قتل فى سبيل الله فيقال له أد أمانتك فيقول أى رب كيف وقد ذهبت الدنيا فيقال انطلقوا به الى

فيبنون القصور المرتفعة ويتباهون بها فهو اشارة الى كون الاسافل يصيرون ملوكا أو كالملوك وتولى الرياسة من لا يستحقها وتعاطى السياسة من لا يحسنها وفى الحديث يؤجر ابن آدم فى كل شئ الا ما يضعه فى التراب ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشيد بنيانا ولا طوله وروى البيهقى فى شعب الايمان عن الاعمش بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى بناء أكثر مما يحتاج اليه كان عليه وبالا وفى رواية عبد الرحمن بن حميد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل ما أنفق العبد من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا فيه الا نفقة فى بنيان أو معصية وعن عمر بن عبد العزيز انه كان لا يبنى بيتا ويقول سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وعن ميسرة قال ما بنى عيسى عليه السلام بنيانا قط فقيل له ألا تبنى بيتا فقال لا أترك بعدى شيأ من الدنيا أذكر به وعن ابن مطيع انه نظر يوما الى داره فأعجبه حسنها فبكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى حتى ارتفع صوته ومن ثم صح لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع قال أهل اللغة اللكع اللئيم والمرأة لكاع أى لئيم بن لئيم وصح أيضا من أشراط الساعة ان توضع الاخيار وترفع الاشرار فان قيل الامارات جمع وأقله ثلاثة على الاصح ولم يتكلم الا على اثنين فالجواب ان هذا ورد على مذهب من يرى أن أقله اثنان أو حذف الثالث لحصول المقصود بما ذكر كما قيل فى قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم أو ان المذكور من الاشراط ثلاثة وانما بعض الرواة اقتصر على اثنين منها فذكر هنا الولادة والتطاول وذكر البخارى فى التفسير الولادة ورؤية الحفاة وذكر فى رواية أخرى الثلاثة وذكرها تين العلامتين تحذيرا للحاضرين وغيرهم منهما والا فالساعة لها علامات كثيرة كقبض العلم وكثرة الزلازل وكثرة الفتن وفيض المال حتى لا يجد الرجل من يدفع له زكاة ماله وكثرة الهرج يعنى القتل واضاعة الصلاة والامانة وأكل الربا وخروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة المشار اليها بقوله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قال الترمذى فتخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو وجوه المؤمنين بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل المائدة الواحدة يجتمعون للطعام فينادى بعضهم لبعض يا مؤمن ويا كافر لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى ان الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه وتقول يا فلان الآن تصلى قيل وهذه الدابة هى الفصيل الذى كان لناقة صالح عليه السلام فلما عقرت أمها هرب وانفتح له حجر فدخل فيه فانطبق عليه وهو فيه الى وقت خروجها ولقد أحسن من قال

واذكر خروج فصيل ناقة صالح * يسم الورى بالكفر والايمان

قال الشيخ محمد المصرى فى تفسيره وهى الجساسة روى أن طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان وتسير فى الارض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب وقيل هى فصيل ناقة صالح وروى انها على خلقة الآدميين وهى فى السحاب وقوائمها فى الارض وانها جمعت من خلق كل حيوان وأنها تخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو المؤمن

الهاوية وتمثل له الامانة كهيئتها يوم دفعت اليه فيراها فيعرفها فيهوى فى أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى اذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه فهو يهوى فى أثرها أبد الآبدين ثم قال الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وعد أشياء وأشد ذلك الودائع وقال (٧٨) صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أى لا تقابله بخيانته اللهم وفقنا أجمعين آمين والحمد لله وحده

(المجلس الثالث عشر فى الحديث الثالث عشر)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الاولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين * (عن) أبى حمزة (أنس بن مالك) خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه رواه البخارى ومسلم) * اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث قاعدة من قواعد الاسلام الموصى به فى قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ولا شك ان النفس الشريفة تحب الاحسان وتجتنب الاذى فاذا فعل ذلك حصلت الالفة وانتظم حال المعاش والمعاد ومشت أحوال العباد (قوله لا يؤمن أحدكم) أى الايمان الكامل (حتى يحب لاخيه) أى فى الايمان من غير أن يخص بمحبته أحدا دون أحد لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة ولانه مفرد مضاف فيعم قال ابن العماد رحمه الله الاولى أن يحمل على عموم الاخوة حتى يشمل الكافر والمسلم فيحب للكافر ما يحب لنفسه من دخوله فى الاسلام كما يحب لاخيه المسلم الدوام على الاسلام ولهذا كان الدعاء له بالهداية مستحبا (قوله ما يحب لنفسه) أى مثل ما يحب لنفسه والمراد ما يحب من الخير والمنفعة اذ الشخص لا يحب لنفسه الا الخير وفى رواية من النسائى حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه أى ويبغض له مثل ما يبغض لنفسه ولفظه عند مسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه أو قال لجاره ما يحب لنفسه واعلم ان الخير اسم جامع للطاعات والمباحات دنيوية وأخروية وقد جاء فى حديث

بالعصى وتختم أنف الكافر بالخاتم فيعلم الكافر من المؤمن وينقطع بخروجها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقيل انها تخرج من الصفا وروى انه عليه السلام سئل من مخرجها فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعنى المسجد الحرام وقيل تخرج من تهامة وقيل من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح وقيل غير ذلك ثم ان أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العامة من معظم الارض خروج الدجال ثم نزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج والآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوى طلوع الشمس من مغربها ولعل خروج الدابة فى ذلك الوقت أو قريب منه وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التى تحشر الناس (فانطلق) السائل أى ذهب (فلبثت) بضم التاء للمتكلم اخبارا عن نفسه أى مكثت وفى رواية فلبث أى النبى صلى الله عليه وسلم يعنى أمسك عن الكلام مليا بتشديد المثناة التحتية من غير همز ومنه واهجرنى مليا أى زمنا طويلا وجاء فى رواية أبى داود والترمذى انه لبث ثلاثا وظاهرها انها ثلاث ليال ولا ينافيها ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم ذكره فى المجلس لان عمر لم يحضر قول النبى صلى الله عليه وسلم بل كان قام امام الذين توجهوا فى طلب الرجل أو لشغل آخر ولم يرجع مع من رجع لعارض فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم الحاضرين فى الحال ولم يتفق الاخبار لعمر الا بعد ثلاثة ومليا من الملاوة وهى طول المدة يقال غبت عنه ملاوة من الدهر بالحركات الثلاث ومنه يقال الليل والنهار الملوان (ثم قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (يا عمر) تخصيصه من بين الصحابة بالذكر يدل على جلالة ورفعة مقامه ومنزلته عند النبى صلى الله عليه وسلم (أتدرى من السائل قلت الله ورسوله أعلم) قال زين العرب فى شرحه للمصابيح لم يقل أعلما لان من التفضيلية مقدرة أى الله ورسوله أعلم من غيرهما اه وفيه حسن ما كان عليه الصحابة من مزيد الادب معه لردهم العلم الى الله واليه وكذا ذكره الشارح الهيتمى ومن المعلوم أن ذلك انما يحسن عده من الادب لو كانوا يعلمون من السائل وردوا العلم اليه اجلالا له وهم كانوا غير عالمين قطعا الا أن يقال ان فيه حسن الادب من جهة تفويض العلم اليهما بخلاف لا نعلم (قال هذا جبريل) اسم سريانى غير منصرف للعلمية والعجمة وهو مركب من جبر وهو العبد وايل وهو الله أو الرحمن أو العزيز فمعناه عبد الله أو عبد الرحمن أو عبد العزيز وذهب ابن العربى الى أن هذا وما شابهه اضافته مقلوبة كما هى فى كلام العجم يقولون فى غلام زيد زيد غلام فيكون ايل عبارة عن العبد وأوله عبارة عن اسم من أسمائه والاكثرون على الاول وجبريل له ستمائة جناح ومن وراء ذلك جناحان أخضران لا ينشرهما الا فى ليلة القدر وله جناحان آخران لا ينشرهما الا عند هلاك القرى وقد ورد انه اقتلع مدائن قوم لوط ورفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم جعل عاليها سافلها وفيه لغات كسر الجيم والراء فمثناة تحتية ساكنة والثانية كذلك لكن الجيم مفتوحة والثالثة فتح الجيم والراء وبهمزة بعدها مثناة تحتية وبلا مثناة بعد الهمزة وفيه لغات أخر أوصلها بعضهم ثلاثة عشر لغة (أتاكم يعلمكم) بسبب سؤاله لان الموصول بعد الطالب أعز

انظر أحب ما تحب ان تأتيه الناس اليك فأته اليهم وفى كلام بعضهم ارض للناس ما لنفسك ترضى *(تنبيه)* لابد أن يكون المعنى فيما يباح والا فقد يكون غيره ممنوعا منه وهو مباح له كحب الشخص وطء زوجته أو أمته فلا يدخل فى هذا المعنى ولنتكلم على نكتة ظريفة تتعلق بالايثار مناسبة للمقام * اعلموا أن الايثار أمر (٧٩) عظيم مدح الله تعالى أهله فى كتابه الكريم فقال وبقوله يهتدى المهتدون ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون قال العلماء الايثار على أنواع ايثار فى الطعام وايثار فى الشراب وايثار فى النفس والروح وايثار فى الحياة * فاما الايثار فى الطعام فقد روى أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أهدى اليه رأس مشوى فقال أخى فلان وعياله أحوج الى هذا منا فبعثه اليه وبعثه ذاك الى آخر فلم يزل يبعث به من واحد الى واحد حتى تداولته سبع بيوت فرجع الى الاول وفى ذلك نزل قوله سبحانه ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل ان الآية نزلت فى ضيف أضافه النبى صلى الله عليه وسلم فبعث الى بيت نسائه فقلن ما عندنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم ضيفى هذه الليلة فله الجنة فقال رجل أنا فانطلق به الى امرأته فقال لها أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما عندنا الا قوت الصبيان فقال لها هيئى طعامك وأصلحى سراجك ونومى صبيانك اذا أرادوا عشاء ففعلت ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يريانه انهما يأكلان وناما طاويين فلما أصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله من صنيعكما أو من فعالكما فانزل الله تعالى الآية (وحكى) عن ابن الحسين الانطاكى انه اجتمع اليه نيف وثلاثون نفسا فى قرية تعرف بالرى وكان لهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع اذا الطعام على حاله ولم يأكل منهم أحد ايثارا له على نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرئ اشتهى شهوة فرد

من المساق بلا تعب ونسبة التعليم اليه مجاز والا فالمعلم حقيقة هو النبى صلى الله عليه وسلم وقوله يعلمكم جملة حالية لكنها حال مقدرة لانه لم يكن وقت الاتيان معلما (دينكم) أى قواعده وكلياته وما تفيده منه أن الدين مجموع الاسلام والايمان والاحسان ولا ينافيه أن الدين وحده يسمى اسلاما كما يصرح به ورضيت لكم الاسلام دينا لانه كما يطلق على الثلاثة يطلق على الاول منها وحده واطلاقه على هذين المعنيين اما بالاشتراك أو بالحقيقة والمجاز أو بالتواطئ ففى الحديث أطلق الدين على مجموع الثلاثة وهو أحد مدلوليه وفى الآية أطلقه على هذا الفرد وهو الآخر وأما الجواب بأن دينا لا عموم له لانه نكرة ونصبه على التمييز والتقدير رضيت لكم الاسلام من الدين وهو خصلة من الخصال الثلاثة فمنع بقوله ان الدين عند الله الاسلام فانه صريح فى أن الاسلام جميع الدين لا بعضه (رواه مسلم) فى كتاب الايمان

(الحديث الثالث)

(عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر) القرشى العدوى المكى وأمه زينب بنت مظعون ابن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحى أخت عثمان بن مظعون أسلم بمكة قديما مع أبيه وهو صغير وهاجر معه ولا يصح قول من قال انه أسلم قبل أبيه وهاجر قبله ولم يشهد بدرا وعرض على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو ابن أربع عشرة فرده ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فأجازه ثم لم يتخلف بعد عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو أحد العبادلة الاربعة وثانيهم ابن عباس وثالثهم عبد الله بن عمرو بن العاص ورابعهم عبد الله بن الزبير ووقع فى مبهمات النووى وغيرها أن الجوهرى أثبت أن ابن مسعود منهم وحذف ابن عمر وليس كذلك لانه مات قبل اشتهار الاربعة بالعبادلة وأحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية وثانيهم أبو هريرة وثالثهم ابن عباس ورابعهم عائشة وخامسهم جابر بن عبد الله وسادسهم أنس ابن مالك وزاد العراقى فى شرحه لالفيته سابعا وهو أبو سعيد الخدرى وذكر بعضهم انهم سبعة فزاد الصديق موضع أبى سعيد وذكر موضع جابر سعدا ونظمهم بقوله

سبع من الصحب فوق الالف قد نقلوا * من الحديث عن المختار خير مضر

أبو هريرة سعد عائش أنس * صديقه وابن عباس كذا ابن عمر

فيؤخذ من مجموع ذلك انهم تسعة ثقات وفى ذكر الصديق نظر لان جملة ما روى له مائة حديث واثنان وأربعون حديثا كما قاله المصنف فى تهذيبه والسبب فى قلة الرواية عنه مع تقدمه وسبقه وملازمته للنبى صلى الله عليه وسلم أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الحديث واعتناء الناس بسماعه وتحصيله وحفظه اه قال جابر ما منا الا من نال من الدنيا ونالت منه الا عمر وابنه وقال طاوس ما رأيت رجلا أورع من ابن عمر ولا أحدا أعلم من ابن عباس وقال سعيد ابن المسيب لو كنت شاهدا لاحد من أهل العلم أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر وجلس فى الحجر هو ومصعب وعروة وعبد الله بن الزبير فقال تمنوا فقال عبد الله بن الزبير أما أنا فأتمنى الخلافة وقال عروة أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عنى العلم وقال مصعب وأما أنا فأتمنى امارة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وقال عبد الله بن عمر وأما أنا فأتمنى المغفرة فنالوا ما تمنوا ولعل ابن عمر قد غفر له وروى عنه انه قال كان الرجل فى حياة رسول

شهوته وآثر على نفسه غفر له (حكي) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه كان مريضا فعوفي من مرضه فاشتهى على جماعة سمكة مشوية فاتي اليه بها فلما وضعت بين يديه اذا السائل واقف على الباب يسأل فقال لغلامه ادفع اليه هذه السمكة فقال له أنت أحببتها ولم تأكلها فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (وحكي) ان ابراهيم بن أدهم وشقيقا البلخي اجتمعا يوما فقال شقيق لابراهيم كيف تعملون اذا لم تجدوا شيأ فقال ان أعطينا شكرنا وان منعنا صبرنا فقال شقيق هكذا عندنا كلاب بلخ فقال ابراهيم كيف تعملون أنتم فقال ان أعطينا آثرنا وان منعنا شكرنا فقام ابراهيم وقبل رأس شقيق وقال أنت الاستاذ • وأما الايثار بالماء فما حكى ان جماعة استشهدوا باليرموك فأتى اليهم بماء وفيهم الروح فأتى الى واحد منهم بالماء فأشار اليهم ان اسقوا فلانا فأتوا اليه فاشار اليهم ان اسقوا فلانا وهكذا فماتوا كلهم ولم يشربوا من الماء ايثارا منهم لاصحابهم • وأما الايثار بالنفس والروح فما روى ان عليا رضي الله عنه بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله الى جبريل وميكائيل عليهما السلام أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فاوحى الله سبحانه اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب وربك يباهي بك الملائكة * وأما الايثار في باب الحياة فما ذكر عن ابن عطاء أنه قال سعى شاب بالصوفية الى بعض الخلفاء وطعن فيهم عنده فأخذوا النوري وأبا حمزة وجماعة منهم فادخلوهم على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فبادر النوري الى السياق

الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على النبي صلى الله عليه وسلم وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني كنت غلاما شابا أعزبا فرأيت في النوم كان ملكين أخذاني فذهبا بي الى النار فاذا هي مطوية كطي البئر وأرى فيها ناسا قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار فلقيهما ملك آخر فقال لي لن تراع فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل الا قليلا وفي رواية أخرى انه قال رأيت في المنام كان بيدي قطعة استبرق ولا أشير بها الى مكان من الجنة الا طارت بي اليه فقصصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أخاك رجل صالح أو ان عبد الله رجل صالح وعن عبد الله بن أبي عثمان قال كان عند عبد الله بن عمر جارية يقال لها رميثة فقال اني سمعت الله عز وجل يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون واني والله كنت لاحبك في الدنيا اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى ولولا اني لا أعود في شئ جعلته لله لنكحتها فانكحها نافعا وهي أم ولده وقال نافع كان ابن عمر اذا اشتد عجبه لشئ من ماله قربه لله عز وجل وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفا وحج ستين حجة واعتمر ألف عمرة وحمل على ألف فرس في سبيل الله وأعتق ألف رقبة وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر أحدهم فلزم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه فيقول له أصحابه يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم الا أن يخدعوك فقال ابن عمر من خدعنا بالله انخدعنا له وراح على نجيب له قد أخذه بمال فلما أعجبه سيره أناخه مكانه ثم نزل عنه فقال يا نافع انزعوا زمامه ورحله وجللوه وأشعروه وأدخلوه في البدن وعن أبي هلال ان عبد الله ابن عمر نزل الجحفة وهو شاك فقال اني لاشتهي حيتانا فالتمسوا له فلم يجدوا الا حوتا واحدا فأخذته امرأته صفية بنت أبي عبيد وصنعته ثم قربته اليه فأتى مسكين حتى وقف عليه فقال له ابن عمر خذه فقال أهله سبحان الله قد عنيت ومعنا زاد نعطيه فقال ان شهوتي ما أريده وعن نافع انه اشتكى فاشترى له عنقود عنب بدرهم فجاء المسكين فقال اعطوه اياه فخالف اليه انسان فاشتراه منه بدرهم ثم جاء به اليه فجاء المسكين يسأل فقال اعطوه اياه ثم خالف اليه انسان فاشتراه منه بدرهم فاراد أن يرجع فمنع ولو علم ابن عمر بذلك العنقود ما ذاقه وأعطاه ابن جعفر في رقيقه نافع عشرة آلاف دينار فقال له عاصم ابن محمد يا أبا عبد الرحمن فما تنتظران تبيع فقال فهلا ما هو خير من ذلك هو حر لوجه الله عز وجل وعن ميمون بن مهران قال أتى ابن عمر اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها وبعث اليه معاوية بمائة ألف فما حال الحول وعنده شئ منها وكان لا يسأل أحدا شيأ وكان يقول لا أسأل أحدا شيأ ولا أرد ما رزقني الله وعنه أيضا أن امرأة ابن عمر عوتبت فيه فقيل لها أما تلطفين هذا الشيخ قالت فكيف اصنع به ما أصنع طعاما الا دعا اليه من يأكله فأرسلت الى قوم من المساكين كانوا يجلسون بطريقه اذا خرج من المسجد فاطعمتهم وقالت لهم لا تجلسوا بطريقه ثم جاء الى بيته وقال أرسلوا الى فلان وفلان وكانت امرأته قد أرسلت اليهم بطعام

وقالت

ليضرب عنقه فقال له السياق مالك بادرت من بين أصحابك الى القتل فقال أحببت ان اوثر أصحابي بحياة هذه اللحظة فأعجب السياق وجميع من حضر فعله وأخبر الخليفة بذلك فرد أمرهم الى القاضي فتقدم اليه النوري فسأله عن الفرائض وسنن الشرائع فأجابه ثم قال وبعد هذا فان لله عبادا يأكلون بالله ويشربون بالله ويسمعون بالله ويلبسون بالله ويصدرون بالله ويردون بالله فلما سمع القاضي كلامه بكى بكاء شديدا ثم دخل على الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فمن الموحد ثم أطلقهم نفعنا الله بهم (سؤال) فان قيل كيف يحصل الايمان الكامل بالمحبة المذكورة في الحديث مع ان له أركانا أخر فالجواب ان ذكر المحبة مبالغة لانها الركن الاعظم نحو الحج عرفة أو هي مستلزمة لبقية الاركان

(ولنختم المجلس بحكاية ظريفة) تتعلق باصطناع المعروف وان المعروف لا يضيع ولو مع غير أهله (حكي) أن رجلا كان يعرف بابن حمير وكان له ورد وكان ذا ورع يصوم النهار ويقوم الليل وكان مبتلى بالقنص فخرج ذات يوم يصيد اذ عرضت له حية فقالت يا محمد بن حمير أجرني أجارك الله فقال لها ممن فقالت من عدو قد ظلمني قال لها وأين عدوك قالت ورائي قال لها ومن أي أمة أنت قالت من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ففتحت ردائي وقلت لها ادخلي فيه قالت يراني عدوي قلت لها فما الذي اصنع بك قالت ان أردت اصطناع المعروف فافتح لي فاك حتى أدخل فيه قال أخشى أن تقتليني قالت لا والله لا أقتلك الله شاهد علي بذلك وملائكته وأنبياؤه ورسله وحملة عرشه وسكان سمواته ان أنا قتلتك قال محمد ففتحت فمي فانسابت فيه ثم مضيت فعارضني رجل معه صمصامة يعني حربة فقال يا محمد قلت وما تشاء قال لقيت عدوي قلت ومن عدوك قال حية قلت لا واستغفرت ربي من قولي لا مائة مرة وقد علمت أين هي ثم مضيت قليلا فأخرجت رأسها من فمي وقالت انظر مضى هذا العدو فالتفت فلم أر أحدا فقلت لها لم أر أحدا ان

وقالت اذا دعا لكم فلا تأتوه فقال ابن عمر أردتم أن لا أتعشى الليلة فلم يتعش تلك الليلة وعن أبي بكر ابن حفص انه كان لا يأكل طعاما الا وعلى خوانه يتيم وعن يحيى الغساني انه جاءه سائل فقال لابنه اعطه دينارا فلما انصرف قال له ابنه تقبل الله منك يا أبتاه فقال لو علمت ان الله عز وجل تقبل مني سجدة واحدة أو صدقة واحدة بدرهم واحد لم يكن غائب أحب الي من الموت أتدري ممن يتقبل الله انما يتقبل الله من المتقين وشرب ماء مبردا فبكى واشتد بكاؤه فقيل له ما يبكيك فقال ذكرت آية في كتاب الله وحيل بينهم وبين ما يشتهون فعرفت ان أهل النار لا يشتهون شيأ شهوتهم الماء البارد وقد قال الله عز وجل أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وكان اذا قرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله بكى حتى يغلبه البكاء وكان يقول لا يصيب عبد شيأ من الدنيا الا انتقص من درجاته عند الله عز وجل وان كان على الله كريما توفي بمكة عن أربع وثمانين وقيل ست وثمانين سنة وذلك سنة أربع وسبعين وقيل سنة ثلاث وسبعين شهيدا فان الحجاج خطب يوما فأخر الصلاة فقال له ابن عمر ان الشمس لا تنتظرك فقال له الحجاج لقد هممت أن اضرب الذي فيه عيناك فقال له عبد الله انك سفيه مسلط فتغير من ذلك وأمر رجلا فسم زج رمحه أي الحديدة التي في أسفله فزحمه في الطواف ووضع الزج على قدمه فمرض أياما ولما دخل الحجاج ليعوده قال لو أعلم الذي أصابك لضربت عنقه فقال عبد الله أنت الذي أصبتني وأوصى أن يدفن في الحل فلم تنفذ وصيته وصلى عليه الحجاج ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وقيل بفخ بفتح الفاء وبالخاء المعجمة موضع بقرب مكة وقيل بالمحصب وقيل بسرف وكلها مواضع بقرب مكة بعضها أقرب الى مكة من بعض روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف حديث وستمائة وثلاثون حديثا اتفق الشيخان منها على مائة وسبعين وانفرد البخاري منها بثمانين ومسلم بأحد وثلاثين (رضي الله عنهما) أشار به الى أنه ينبغي لكل من ذكر صحابيا وله أب صحابي أن يترضى عنهما (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي كلامه وفي نسخة النبي صلى الله عليه وسلم (يقول) فالمسموع الصوت لا الشخص كما مر (بني) بالبناء للمفعول أي أسس (الاسلام) اذ اصل البناء يكون في المحسوسات لا في المعاني ففيه تشبيه معنوي بحسي فان المصطفى صلى الله عليه وسلم لبلاغته أراد أن يفيد أصحابه ما لا عهد لهم فصاغ لهم أمثلة من أساليب كلامهم ليفهموا انما يعرفون ما لا يعرفون ووجه الشبه أن البناء الحسي اذا انهدم بعض أركانه لا يتم فكذلك البناء المعنوي ولذا قال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وكذلك بقية المباني وفي قوله بني استعارة بالكناية وهي عند صاحب التلخيص أن يضمر التشبيه في النفس ولا يصرح بشئ من أركانه سوى المشبه والدلالة على ذلك التشبيه بذكر شئ من خواص المشبه به يسمى تخييلا لانه يخيل أن المشبه من جنس المشبه به فشبه الاسلام ببناء عظيم محكم له دعائم وأركانه الآتية بقواعد ثابتة محكمة حاملة لذلك البناء فذكر المشبه وطوى ذكر المشبه به وأسند اليه ما هو من خواص المشبه به وهو البناء وهو تخييل ويجوز أن تكون استعارة تبعية بان تقدر الاستعارة في بني والقرينة الاسلام شبه ثبات الاسلام واستقامته على هذه الاركان ببناء الخباء على

أردت أن تخرجي فأخرجي فما أرى انسانا فقالت الآن يا محمد اختر لك واحدا من اثنين اما ان افتت كبدك واما ان أثقب فؤادك وأدعك بلا روح فقلت يا سبحان الله أين العهد الذي عهدت الي واليمين الذي حلفتيه وما أسرع ما نسيته قالت يا محمد لم نسيت العداوة التي كانت بيني وبين أبيك آدم حيث أخرجته (٨٢) من الجنة على أي شئ فعلت المعروف مع غير أهله قلت لها ولابد من أن تقتليني قالت لابد من ذلك قلت لها فأمهليني حتى أصير تحت هذا الجبل فأمهد لنفسي موضعا قالت شأنك قال فمضيت أريد الجبل وقد أيست من الحياة فرفعت طرفي الى السماء وقلت يا لطيف يا لطيف الطف بي بلطفك الخفي يا لطيف بالقدرة التي استويت بها على العرش فلم يعلم العرش أين مستقرك منه الا ما كفيتني هذه الحية ثم مشيت فعارضني رجل صبيح الوجه طيب الرائحة نقي من الدرن فقال لي سلام عليك قلت وعليك السلام يا أخي قال مالي أراك قد تغير لونك قلت من عدو قد ظلمني قال وأين عدوك قلت في جوفي قال لي افتح فاك قال ففتحت فمي فوضع فيه مثل ورق الزيتون أخضر ثم قال امضغ وابلع فمضغت وبلعت قال فلم ألبث الا يسيرا حتى مغصني بطني ودارت في بطني فرميت بها من أسفل قطعة قطعة فتعلقت بالرجل وقلت يا أخي من أنت الذي من الله علي بك فضحك ثم قال ألا تعرفني قلت لا قال انه لما كان بينك وبين الحية ما كان ودعوت بذلك الدعاء ضجت ملائكة السموات السبع الى الله عز وجل فقال وعزتي وجلالي بعيني كل ما فعلت الحية بعبدي وأمرني سبحانه وتعالى بالمجيء اليك وأنا يقال لي المعروف مستقري في السماء الرابعة ان انطلق الى الجنة فخذ ورقة خضراء فالحق بها عبدي محمد بن حمير يا محمد عليك باصطناع المعروف فانه يقي مصارع السوء وان ضيعه المصطنع اليه لم يضع عند الله عز وجل

(المجلس الرابع عشر في الحديث الرابع عشر)

الحمد لله على ما خص به من نعمه وآلائه حمدا أستجير به من أليم عقابه وبلائه والصلاة والسلام على خير أحبابه وأوليائه محمد وآله وصحبه وأزواجه وجميع

الاعمدة الحسية ثم اشتق منه لفظ بني فوقعت أولا في المصدر ثم سرت في الفعل والأول أظهر (على) متعلق بقوله بني (خمس) أي دعائم كما صرح به عبد الرزاق في روايته وفي رواية لمسلم خمسة أي خمسة أشياء أو أركان وأصول قال الكرماني وهنا دقيقة جليلة وهي ان أسماء العدد انما يكون تذكيرها بالتاء وتأنيثها بسقوطها اذا كان المميز مذكورا والا جاز الامران كما صرح به النحاة وذكره النووي في شرح مسلم في حديث من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر كله فان قيل قوله بني الاسلام على خمس يلزم عليه بناء الشئ على نفسه لان الاسلام هو هذه الامور الخمسة والمبني لا بد أن يكون غير المبني عليه فالجواب أن المراد بالاسلام التذلل العام الذي هو اللغوي لا الشرعي الذي هو فعل الواجبات الثاني ان على بمعنى الباء أو بمعنى من كما في قوله تعالى الا على أزواجهم وقوله اذا اكتالوا على الناس يستوفون ولا حاجة الى جواب بعضهم بان الاسلام عبارة عن المجموع والمجموع غير كل واحد من أركانه ومثاله البيت من الشعر يجعل على خمسة أعمدة أحدها أوسط والبقية أركان فما دام الوسط قائما فمسمى البيت موجود ولو سقط مهما سقط من الاركان فاذا سقط الاوسط سقط مسمى البيت فالبيت بالنظر الى مجموعه شئ واحد وبالنظر الى أفراده أشياء اه فان قيل الاربعة الاخيرة مبنية على الشهادة اذ لا يصح شئ منها الا بعد وجودها فكيف يضم مبني الى مبني عليه ويدخلان في سلك واحد فالجواب أن يجوز أن يبنى أمر على أمر ويبنى على الامرين أمر آخر الثاني ان الاربعة ليست مبنية على الشهادة بل صحتها موقوفة عليها وذلك غير معنى بناء الاسلام على الخمس وقوله على الخمس وجه الحصر في الخمسة ان العبادة اما قولية أو غيرها الاولى الشهادتان والثانية اما تركية أو فعلية الاولى الصوم والثانية اما بدنية أو مالية أو مركبة منهما الاولى الصلاة والثانية الزكاة والثالثة الحج (شهادة) بجره مع ما بعده بدلا من خمس بدل كل من كل وهو الاحسن ويجوز رفعه بتقدير مبتدا أي هي أو احدها أو خبر أي منها وهو أولى لايثارهم حذفه على حذف المبتدا لان الخبر كالفضلة بالنسبة اليه ويجوز نصبه باضمار أعني (أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله) اضافة تشريف قال الحافظ ابن حجر ولم يذكر الايمان بالملائكة وغيرهم مما في خبر جبريل لانه أراد بالشهادة تصديق الرسول في كل ما جاء به فيستلزم ذلك (واقام) أصله اقوام فنقلت فتحة الواو الى الساكن قبلها فحذفت الواو لالتقاء الساكنين وعوض عنها التاء فيقال اقامة أو المضاف اليه كما صرح به هنا بقوله (الصلاة) واقامة الصلاة كناية عن الاتيان بها باركانها وشروطها (وايتاء) أي اعطاء (الزكاة) الى أهلها أو الامام ليدفعها لهم فحذف المفعول الاول للعلم به وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من فرق بين ثلاث فرق الله بينه وبين رحمته يوم القيامة من قال أطيع الله ولا أطيع الرسول والله تعالى يقول وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن قال أقيم الصلاة ولا آتي الزكاة والله تعالى يقول أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ومن فرق بين شكر الله وشكر والديه والله تعالى يقول أن اشكر لي ولوالديك وروى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه

أنبيائه اللهم سددنا في القول والعمل واعصمنا من الخطايا والزلل واغفر لنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة رواه البخاري ومسلم) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم (٨٣) لطاعته ان قتل الآدمي عمدا بغير حق من أكبر الكبائر بعد الكفر وقد سئل صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قيل ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك رواه الشيخان وقال صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات وقال صلى الله عليه وسلم من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة لقي الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله والاحاديث في ذلك كثيرة شهيرة (تنبيه) قبل الشروع في معنى الحديث تصح توبة القاتل عمدا لان الكافر تصح توبته فهذا أولى ولا يتحتم عذابه بل هو في خطر المشيئة ولا يخلد عذابه ان عذب وان أصر على ترك التوبة كسائر ذوي الكبائر غير الكفر وأما قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فالمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل تظاهرت على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم أو مخصوص بالمستحل كما ذكره عكرمة وغيره واذا اقتص منه الوارث أو عفا على مال أو مجانا فظواهر الشرع تقتضي

بلهزمتيه أي بكسر اللام والزاي بينهما هاء ساكنة يعني شدقيه أي بكسر الشين المعجمة وهي جانبا الفم ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون الآية والشجاع من الحيات هو الحية الذكر الذي يواثب الفارس والراجل ويقوم على ذنبه وربما بلغ الفارس وربما يكون في الصحارى وقيل كل حية شجاع والاقرع من الحيات الذي تمعط رأسه وابيض من السم والزبيبتان بزاي معجمة مفتوحة فوحدتين بينهما تحتية ساكنة نقطتان منفختان في جانب شدقيه من السم كالرغوتين ويكون ذلك في شدقي الانسان اذا غضب وأكثر من الكلام وقال ابن دريد نقطتان سوداوتان فوق عينيه ويقال بجانب فيه وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخبثه وفي تلاوة الرسول الآية عقب ذلك دلالة على أنها نزلت في مانع الزكاة وفي الحديث ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها وجهه وجنباه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وخصت هذه الثلاثة بالكي لبشاعته وشهرته في الوجه والجنب والظهر لانه أوجع وأشد ألما وقيل الوجه لتعبيسه في وجه السائل أولا والجنب لازوراره عن السائل ثانيا والظهر لانصرافه اذا الح ثالثا وقيل غير ذلك (وحج) بفتح الحاء لغة الحجاز وكسرها لغة نجد وكلاهما مصدران وقيل المكسور اسم والمفتوح مصدر (البيت وصوم رمضان) الاضافة فيهما من اضافة الحكم الى سببه لان سبب الحج البيت ولهذا لا يتكرر لعدم تكرر البيت والشهر يتكرر فيكرر الصوم ووقع في هذه الرواية تقديم الحج على الصوم وفي رواية لمسلم عن ابن عمر تقديم الصوم عليه وقدم الشهادتين لانهما ملاك الامر كله وأصله اذ الباقي مبني عليهما ومشروط بهما وبهما النجاة في الدارين ثم الصلاة لان الله تعالى جعلها في كتابه العزيز تالية للايمان بقوله الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ولانها عماد الدين ويقتل تاركها ولشدة الحاجة اليها لتكررها في كل يوم وليلة خمس مرات ثم الزكاة لانها قرينة الصلاة في أكثر المواضع ولانها قنطرة الاسلام ولاعتناء الشارع بها لذكرها أكثر من غيرها من الصوم والحج في الكتاب والسنة ولشمولها المكلف وغيره كما هو مذهب أكثر العلماء ثم الحج للتغليظات الواردة فيه من نحو ومن كفر فان الله غني عن العالمين ونحو قوله صلى الله عليه وسلم من لم تحبسه حاجة ولم يحج وله جدة فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فبالضرورة يقع الصوم آخرا وقوله من لم تحبسه حاجة أي من مرض أو ظالم وعلى الرواية الثانية قدم الصوم على الحج لتقدم زمن وجوب الصوم لان وجوبه كان في السنة الثانية وفرضية الحج في سنة ست وقيل تسع بالمثناة الفوقية ولانه أعم وجوبا لتكرره في كل عام ولوجوبه على الفور اجماعا بخلاف الحج ولان العبادة اما بدنية محضة أو مركبة منهما والمفرد مقدم على المركب طبعا فقدم عليه وضعا ليوافق الوضع الطبع وأفهم ظاهر الحديث أن المكلف لا يكون مسلما عند ترك شئ من الاربعة الاخيرة لكن صرفه عن ظاهره انعقاد الاجماع على ان العبد لا يكفر بترك شئ منها وأما قوله عليه الصلاة والسلام من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر فهو محمول على الزجر والوعيد أو مؤول بما اذا كان مستحلا أو محمول على كفران سقوط المطالبة في الدار الآخرة كما أفتى به النووي وذكره في شرح مسلم ومذهب أهل السنة ان المقتول لا يموت الا بأجله والقتل لا يقطع الاجل خلافا للمعتزلة فانهم قالوا القتل يقطعه (قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم) أي لا يحل اراقة دمه اذ الاصل في الدماء العصمة عقلا وشرعا أما العقل فلما في قتله من افساد صورته المخلوقة في أحسن تقويم والعقل يأباه وأما

الشرع فالنهى عنه فى الكتاب العزيز بقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ونحوه والسنة الغراء بقوله صلى الله عليه وسلم المتقدم وذكر المسلم هنا للتهويل والتعظيم فلا يفهم منه جواز قتل المعاهد والذمى ولا الصغير الكافر وان كان حربيا للنهى عن قتلهم (قوله صلى الله عليه وسلم (٨٤) الا باحدى ثلاث الثيب الزانى) أى المحصن ذكرا كان أو أنثى والمراد رجمه بالحجارة الى أن يموت كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بماعز والغامدية لما زنيا لان الثيب الزانى هتك عصمة الله تعالى فأبيح دمه وفيه مفسدة عظيمة فاقتضت الحكمة درأها بذلك * وليعلم أن الزنا أكبر الكبائر بعد القتل ومن ثم قرنه الله تعالى بالشرك والقتل بقوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وسبب نزولها ان ناسا مشركين أكثروا من القتل والزنا فقالوا يا محمد ما تدعوا اليه حسن لو تخبرنا ان تكون لما عملنا كفارة فنزلت ونزل قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة أما التى فى الدنيا فتذهب البهاء وتورث الفقر وتنقص العمر وأما التى فى الآخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار * وليعلم أيضا ان حد الزانى جلد مائة وتغريب عام ان كان غير محصن وأما المحصن وهو الحر المكلف الذى وطئ فى نكاح صحيح ولو مرة فى عمره فحده الرجم بالحجارة الى أن يموت كما قدمناه قال العلماء ومن مات من غير حد ولا توبة عذب فى النار بسياط من نار كما ورد أن فى الزبور مكتوبا ان الزناة يعلقون بفروجهم يضربون عليها بسياط من حديد فاذا استغاث أحدهم من الضرب نادته الزبانية أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحى منه وجاء فى السنة الشريفة تغليظ عظيم

النعمة * (فائدة) * اعلم أن الحج يكفر الصغائر اتفاقا وكذلك الكبائر على الاظهر كما قاله الابى وابن حجر وأما التبعات فقال القرافى لا يسقطها وظاهر كلام ابن حجر وغيره اسقاطه اياها للاحاديث الواردة فى ذلك أجمعوا على عدم سقوط قضاء ما ترتب عليه من الصلوات والكفارات وحقوق الآدميين من دين وغيره اه قاله شيخنا على الاجهورى فى شرحه على مختصر الشيخ خليل وقال الزواوى فى شرح المختصر انه يغفر الصغائر والكبائر حتى التبعات على المعتمد اذا مات فى الحج أو بعده ولم يمكنه اداؤها ولم يذكر فى الحديث الجهاد مع انه المظهر للدين ومع كونه ذروة سنام الامر كما يأتى لانه فرض كفاية يسقط باعذار كثيرة ولا يتعين الا فى بعض الاحيان بخلاف المذكورات فى الحديث فانها فرائض أعيان بل قد ذهب جماعة الى أن فرض الجهاد قد سقط بعد فتح مكة وذكر انه مذهب ابن عمر والثورى وابن سيرين ونحوه لسحنون من أصحابنا الا أن ينزل العدو بقوم أو يأمر الامام بالجهاد فيلزم عند ذلك (رواه البخارى) فى الايمان والتفسير رباعيا (ومسلم فى الايمان والحج خماسيا

* (الحديث الرابع) * (عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود) بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب بن شمخ بن فارس بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وأمه أم عبد بنت عبد ود بن سواء بن هذيل أيضا (رضى الله عنه) أسلم لما مر به النبى صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما لعقبة بن أبى معيط فقال له يا غلام هل عندك من لبن تسقينا قال نعم ولكنى مؤتمن قال هل عندك جذعة لم ينز عليها الفحل قال نعم فأتاه بها فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها ودعا فامتلأ ضرعها باللبن ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فحلب فيها فشرب منه وسقى أبا بكر رضى الله عنه ثم قال للضرع اقلص فقلص ويقال انه كان سادسا فى الاسلام وهاجر الى الحبشة الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها وكان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووساده ونعليه وطهوره فى السفر وكان يشبه النبى صلى الله عليه وسلم فى هديه وسمته وكان خفيف اللحم قصيرا جدا نحو ذراع شديد الادمة وكان من أجود الناس ثوبا وأطيب الناس ريحا وكان دقيق الساقين أخذ يجتنى سواكا من الاراك فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون فقالوا يا رسول الله من دقة ساقيه فقال والذى نفسى بيده لهما فى الميزان أثقل من أحد وفى رواية انه صعد شجرة فانكشف ساقه فضحك بعض القوم فقال عليه السلام لساق عبد الله فى الميزان أثقل من أحد وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم ويمشى معه وأمامه بالعصا ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس أدخلهما فى ذراعيه قال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أرى الا أن ابن مسعود من أهل بيته وعن علقمة قال جاء رجل الى عمر وهو بعرفة فقال جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة وتركت بها رجلا يملى المصاحف عن ظهر قلبه فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتى الرجل فقال من هو ويحك قال عبد الله بن مسعود فما زال يطفأ ويسرى عنه الغضب حتى عاد الى حالته التى كان عليها ثم قال ويحك والله ما أعلم أحدا بقى من الناس هو أحق

بذلك

الزانى لا سيما بحليلة الجار والتى غاب عنها زوجها وأعظم الزنا على الاطلاق الزنا بالمحارم وهو بأجنبية لا زوج لها عظيم وأعظم منه بأجنبية لها زوج وزنا الثيب أقبح من البكر وزنا الشيخ لكمال عقله أقبح من زنا الشاب والحر والعالم لكمالهما أقبح من القن والجاهل وفى ذلك أحاديث كثيرة وللزنا مغرات قبيحة منها انه يورد النار والعذاب (٨٥) الشديد ومنها انه يورث الفقر ومنها انه يؤخذ بمثله من ذرية الزانى ولما قيل لبعض الملوك ذلك أراد تجربته فى بنت له وكانت غاية فى الجمال أنزلها مع امرأة فقيرة وأمرها أن لا تمنع أحدا أراد التعرض لها بأى شئ شاء وأمرها بكشف وجهها وانها تطوف بها فى الاسواق فامتثلت فما مرت بها على أحد الا وأطرق رأسه منها حياء وخجلا ولم يمد أحد نظره اليها فلما قربت من دار الملك اتريد الدخول بها فأمسكها انسان وقبلها ثم ذهب عنها فأدخلتها على الملك فسألها عما وقع فذكرت له القصة فسجد شكرا لله تعالى وقال الحمد لله ما وقع منى فى عمرى قط الا قبلة واحدة لامرأة وقد قوصصت بها فيا اخوانى السعيد من حفظ فرجه وغض بصره وكف يده وقيل ان بعض العرب عشق امرأة وأنفق عليها أموالا كثيرة حتى مكنته من نفسها فلما جلس بين شعبها وأراد الفعل ألهمه الله التوفيق ففكر ثم أراد القيام عنها فقالت له ما شأنك فقال من يبيع جنة عرضها السموات والارض بقدر فتر قليل الخبرة بالمساحة ثم تركها وذهب * ووقع لبعض الصالحين أن نفسه حدثته بفاحشة وكان عنده فتيلة فقال لنفسه يا نفس انى أدخل أصبعى فى هذه الفتيلة فان صبرت على حرها مكنتك مما تريدين ثم أدخل أصبعه فى الفتيلة حتى أحست نفسه أن الروح كادت تزهق منه من شدة حرها فى قلبه وهو يتجلد على ذلك ويقول لنفسه هل تصبرين واذا لم تصبرى على حر هذه النار اليسيرة التى أطفئت بالماء سبعين مرة حتى قدر أهل الدنيا على مقابلتها فكيف تصبرين على حر نار جهنم المتضاعفة حرارتها على هذه سبعين ضعفا فرجعت نفسه عن ذلك الخاطر ولم يخطر

بذلك منه وسأحدثك عن ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يسمر عند أبى بكر الليلة كذلك فى الامر من أمور المسلمين وانه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجنا معه فاذا رجل قائم يصلى فى المسجد فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع قراءته فما كدنا نعرفه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد قال ثم جلس الرجل يدعو فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له سل تعطه قال عمر قلت والله لاغدون عليه ولأبشرنه قال فغدوت اليه لابشره فوجدت أبا بكر قد سبقنى اليه وبشره ولا والله ما سابقته الى خير الا سبقنى اليه وكان قليل الصوم كثير الصلاة فقيل له فى ذلك فقال لانى اذا صمت ضعفت عن الصلاة والصلاة عندى أولى وعن الشعبى قال ذكروا ان عمر بن الخطاب لقى ركبا فى سفر له فيهم عبد الله بن مسعود فأمر عمر رجلا يناديهم من أين القوم فأجابه عبد الله أقبلنا من الفج العميق فقال أين تريدون فقال عبد الله البيت العتيق فقال عمر ان فيهم عالما فأمر رجلا فناداهم أى القرآن أعظم فأجابه عبد الله لا اله الا هو الحى القيوم حتى ختم الآية فناداهم أى القرآن أحكم فقال ابن مسعود ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فقال عمر فنادهم أى القرآن أجمع فقال ابن مسعود فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال عمر فنادهم أى القرآن أخوف فقال ابن مسعود ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به الآية فقال عمر فنادهم أى القرآن أرجى فقال ابن مسعود قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فقال عمر فنادهم أفيكم ابن مسعود قالوا اللهم نعم وعن مسروق قال قال عبد الله والله الذى لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وأنا أعلم أين نزلت وفيم نزلت ولو أعلم ان أحدا أعلم بكتاب الله منى تناله المطية لاتيته وعن مسروق انه قال انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ستة عمر وعلى وعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وأبى الدرداء وزيد بن ثابت وجعل الشعبى أبا موسى الاشعرى بدل أبى الدرداء ثم انتهى علم هؤلاء الستة الى رجلين على وعبد الله وعن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى عبد الله بن مسعود سنة ما سمعته فيها يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقول فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر من جبهته ثم قال ان شاء الله اما فوق ذلك واما قريب من ذلك واما دون ذلك وكان يقول وددت أنى اذا مت لم أبعث وخرج ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم ألكم حاجة قالوا لا ولكن أردنا أن نمشى خلفك قال ارجعوا فانه مذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن أبى الاحوص انه قال دخلنا على ابن مسعود وعنده بنون له ثلاثة غلمان كأنهم الدنانير حسنا فجعلنا نتعجب من حسنهم فقال لنا كأنكم تغبطونى بهم قلنا أى والله بمثل هذا يغبط المرء المسلم فرفع رأسه الى سقف بيت له قد عشش فيه خطاف وباض فقال والذى نفسى بيده لان أكون نفضت يدى من تراب قبورهم أحب الى من أن يسقط عش هذا الخطاف وينكسر بيضه وعن الحسن انه قال قال عبد الله بن مسعود ما أبالى اذا رجعت الى

لها بعد فنسأل الله تعالى التوفيق ● واعلم ان اللواط من الكبائر وقد سماه الله تعالى فاحشة وخبيثة وأجمعت الصحابة على قتل فاعل ذلك وانما اختلفوا فى كيفية قتله فذهب قوم الى أن حد الفاعل حد الزنا ان كان محصنا يرجم وان لم يكن محصنا يجلد مائة وهو قول ابن المسيب وعطاء والحسن (٨٦) وقتادة والنخعى وبه قال الثورى والاوزاعى وهو أظهر قولى الشافعى رحمهم الله وذهب قوم الى غير ذلك والاحاديث فى ذم اللواط كثيرة عافانا الله تعالى من ذلك آمين (قوله والنفس بالنفس) أى يقتلها ظلما وعدوانا عمدا يقتل غالبا قال الله تعالى وكتبنا عليهم فيها يعنى التوراة أن النفس بالنفس والعين بالعين الآية والمراد النفوس المتكافئة فى الاسلام والحرية وشروط القصاص مذكورة فى كتب الفقه فلتراجع منها وسبب قتل النفس بالنفس أن القاتل لما هتك عصمة النفس وهى عظيمة أخذت فى مقابلتها نفسه المعصومة وهى مصلحة عظيمة ولكم فى القصاص حياة (قوله والتارك لدينه) أى المرتد عنه لغير الاسلام والعياذ بالله تعالى فيقتل مالم يعد الى الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه والردة أفحش أنواع الكفر (قوله المفارق للجماعة) وصف عام للتارك لدينه لانه اذا ارتد عن دين الاسلام فقد خرج عن دين جماعتهم ويدخل فى هذا الوصف كل من خرج عن جماعة المسلمين وان لم يكن مرتدا كالخوارج وأهل البدع وعلى هذا قال القابسى رحمه الله يقاتل المرتد حتى يرجع الى دينه ويقاتل الخارج عن الجماعة حتى يرجع اليها وليس بكافر ويمكن ان يكون خروجه كفرا أو ردة والحكمة فى قتل التارك لدينه انه لما حل نظام عقد الاسلام حل قتله بالسيف ونحوه ● واعلم أن المقصود بهذا الحديث بيان عصمة الدماء وما يباح منها وان الاصل فيها العصمة ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها الى غير ذلك من الاحاديث (خاتمة المجلس) قال الغزالى رحمه الله تعالى لو زعم زاعم أن بينه وبين قلبت

أهلى على أى حال أراهم بسراء أم بضراء وما أصبحت على حال فتمنيت أنى على سواها وجاءه رجل فقال له أوصنى يا أبا عبد الرحمن فقال ليسعك بيتك واكفف لسانك وابك على خطيئتك ولى قضاء الكوفة وبيت مالها لعمر وصدرا من خلافة عثمان ثم سار الى المدينة وعرض بها ودخل عليه عثمان بن عفان فى مرض موته فقال له ما تشتكى قال ذنوبى قال ما تشتهى قال رحمة ربى قال ألا آمر لك بطبيب قال الطبيب أمرضنى قال ما تركت لاولادك قال انى لا أخشى عليهم الفقر بعد ما علمتهم سورة الواقعة يقرؤنها كل ليلة ومات بالمدينة على الاصح وقيل مات بالكوفة سنة اثنين وثلاثين عن بضع وستين سنة وكفن فى حلة بمائتى درهم وصلى عليه عثمان وقيل عمار بن ياسر وقيل الزبير وهو الاشهر وكان صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما وصلى عليه ليلا ودفن بالبقيع بايصائه بذلك ولم يعلم به عثمان فعتبه على ذلك روى له ثمانمائة حديث وثمانية وأربعون حديثا اتفقا منها على أربعة وستين وانفرد البخارى بأحد وعشرين ومسلم بخمسة وثلاثين روى عنه الخلفاء الاربعة وكثيرون من الصحابة ومن بعدهم (قال حدثنا) أى انشأ لنا خبرا حادثا وهو بمعنى أخبرنا وانبأنا عند مالك والشافعى والجمهور ولمتأخرى المحدثين أن حدثنا لما سمع من الشيخ وأخبرنا لما قرئ عليه وانبأنا لما اجازه (رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق) فى جميع ما يقوله حتى قبل النبوة والصدق الخبر المطابق للواقع (المصدوق) أى المصدوق فيه أو الذى يأتيه جبريل بالصدق من عند الله تعالى أو الذى صدق الله وعده والجملة حالية واعتراضية وهو كما قال الطيبى أولى لتعم الاحوال كلها وتؤذن بأن ذلك من دأبه وعادته بخلاف الحالية لايهامها اختصاص ذلك ببعض الاحوال اه وعكس ذلك ابن صياد فانه كاذب ومكذوب ولذلك ورد أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من أصحابه قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان فى أطم بنى مغالة وقد قارب يومئذ الحلم فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ثم قال لابن صياد ماذا ترى قال يأتينى صادق وكاذب وأرى عرشا على الماء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خلط عليك الامر (ان) جزم ابن الجوزى بأن الرواية بالكسر فقط وقال أبو البقاء لا يجوز فى أن هنا الا الفتح لانها وما عملت فيه مفعول حدثنا فلو كسرت لكان منقطعا عن قوله حدثنا وجزم النووى فى شرح مسلم بأنه بالكسر على الحكاية ويجوز الفتح ووجه أبى البقاء أن الكسر على خلاف الظاهر ولا يجوز العدول عنه الا لمانع ولو جاز من غير أن يثبت به النقل لجاز فى مثل قوله أيعدكم انكم اذا متم وقد اتفق العلماء على انها بالفتح وتعقبه القاضى جمال الدين الجوينى بأن الرواية جاءت بالفتح والكسر فلا معنى للرد قال ولو لم تجئ به الرواية لما امتنع جوازا على طريق الرواية بالمعنى واجاب عن الآية بأن الوعد مضمون الجملة وليس مخصوص لفظها فلذلك اتفقوا وأما هنا فالتحديث يكون بلفظه ومعناه (أحدكم) أى معشر بنى آدم وخصهم بالذكر لان الانسان أشرف من البهائم لانه اجتمع فيه ما تفرق فى غيره قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وأحد هنا بمعنى واحد فلذلك استعملت فى الثبوت ويجوز استعمالها أيضا فى النفى بخلاف أحد التى للعموم فانها لا تستعمل الا فى النفى نحو لا أحد فى الدار أصله وحد

الله تعالى حالة أسقطت عنه الصلاة وأحلت له شرب الخمر وأكل مال السلطان كما زعمه بعض من ادعى التصوف فلا شك فى وجوب قتله وان كان فى خلوده فى النار نظر وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر لان ضرره أكثر اللهم ارزقنا التوفيق لاقوم طريق آمين يارب العالمين (المجلس الخامس عشر فى الحديث الخامس عشر) (٨٧) الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الكريم وعلى آله وأصحابه ذوى الطبع السليم اللهم هب لنا قولا صادقا وعملا صالحا وفرجا عاجلا يا أرحم الراحمين (عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه رواه البخارى ومسلم) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم وجميع آداب الخير تتفرع منه كما ذكره بعضهم رحمه الله (قوله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى يوم القيامة سمى بذلك لانه لا ليل بعده ولا يسمى يوما الا ما عقبه ليل والمراد بما ذكر كمال الايمان أو المبالغة فى ذلك (قوله فليقل خيرا) هو ما فيه ثواب من القول (قوله أو ليصمت) بفتح الياء وضم الميم وحقيقة الصمت السكوت مع القدرة على النطق فان توقف فيه فهو العى بكسر العين أو فسدت آلة النطق فهو الخرس ● قال الله تعالى وقولوا قولا سديدا وقال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ● وقال صلى الله عليه وسلم أمسك عليك لسانك وهل يكب الناس على وجوههم أو على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم ● وقال صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه الا ذكر الله أو أمرا بالمعروف أو نهيا عن المنكر والاحاديث فى ذلك كثيرة شهيرة فيا اخوانى ما أكثر آفات اللسان وقد عدت فوق العشرين آفة قال الامام الشافعى رحمه الله اذا أراد الشخص أن يتكلم فعليه أن يفكر قبل كلامه وفى صحيح

قلبت الواو المفتوحة همزة على غير قياس بخلاف المضمومة كوجوه وأجوه فانه مقيس والمكسورة كوسادة واسادة ووشاح واشاح فانه قيل سماعى وقيل قياسى (يجمع) بضم الياء وسكون الجيم وفتح الميم مبنيا للمفعول من الجمع وهو ضم ما شأنه الافتراق والتنافر وقيل تقريب الاشياء بضم بعضها الى بعض أى يضم بعضه الى بعض بعد انتشار النطفة فى سائر البدن تحت كل شعرة وظفر لان المنى يقع فى الرحم حين انزعاجه بالقوة الشهوانية الدافقة متفرقا فيجمعه الله فى محل الولادة من الرحم فى المدة المذكورة وقال ابن الاثير فى النهاية يجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة فى الرحم لتتخمر فيه حتى تتهيأ للتصوير (خلقه) كذا رواه مسلم ولفظ البخارى فى التوحيد وأبى داود فى السنة ان خلق أحدكم يجمع بفتح فسكون وهو على حذف مضاف أى مادة خلقه وهو المنى الذى يخلق منه أو انه عبر بالمصدر عن الجثة ومنه قوله تعالى يبدأ الخلق ثم يعيده وقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ويجوز أن يقول ان الله تعالى خلق الخلق خلافا للكرامية الزاعمين منع ذلك أو هو بمعنى المفعول كقولهم هذا ضرب الامير أى مضروبه وهذا شهوة العليل أى مشتهاه (فى بطن) أى رحم فهو من قبيل ذكر الكل وارادة الجزء والرحم جلدة مستديرة معلقة بعرق فيها الى أسفل تنقبض ولا تنحل الا عند شهوة الجماع وأصله من الرحمة لانه مما يتراحم به وذكر ابن القيم أنه داخل الرحم كالسفنج وجعل فيه قبول للمنى كطلب الارض المعطشة للماء فجعله الله طالبا مشتاقا اليه بالطبع فلذلك تمسكه وتشتمل عليه ولا تزلقه بل تنضم عليه لئلا يفسده الهواء قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ان للرحم أفواها وأبوابا فاذا دخل المنى الرحم من باب واحد خلق الله عز وجل جنينا واحدا واذا دخل من بابين خلق منه ولدين واذا دخل من ثلاثة أبواب خلق الله منه ثلاثة أولاد فيكون عدد الاجنة بعدد دخول المنى من أفواه الرحم (أمه أربعين يوما) زاد البخارى ليلة على الشك وفى رواية سلمة بن كهيل أربعين ليلة بغير شك وجمع بان المراد يوم بليلته أو ليلة بيومها (نطفة) أصلها الماء الصافى القليل يقال نطفت قربتك أى قطرت ونطف الماء قطر سمى المنى بذلك لقلته وقيل سمى بذلك لنطافته وسيلانه من قولهم ماء ناطف أى سائل وأصل ذلك أن ماء الرجل اذا لاقى ماء المرأة بالجماع وأراد الله أن يخلق منه جنينا هيأ أسباب ذلك لان فى رحم المرأة قوتين قوة انبساط عند ورود ماء الرجل حتى ينتشر فى جسدها وقوة انقباض بحيث لا يسيل من فرجها مع كونه منكوسا ومع كون المنى مقبولا بطبعه وفى منى الرجل قوة الفعل ومنى المرأة قوة الانفعال فعند الامتزاج يصير منى الرجل كالانفحة للبن وقيل فى كل منهما قوة فعل وانفعال لكن الاول فى الرجل أكثر والمرأة بالعكس وزعم كثير من أهل التشريح أن منى الرجل لا أثر له فى الولد الا فى عقده وأنه انما يتكون من دم الحيض وترده أحاديث الباب وحديث ان الله تعالى يخلق الولد وغضاريفه من منى الرجل وشحمه ولحمه من منى المرأة وما قيل من أن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام وأخذ الميثاق من ذريته جعل بعض الماء فى أصلاب الرجال وبعضه فى ارحام الامهات فاذا اجتمع الماآن صار ولدا وهو صريح قوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم انه فى الاربعين الاولى لا يختلط ماء الرجل بماء المرأة

البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالا يرفع الله تعالى بها درجاته وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم ● وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك (٨٨) قال الترمذى حديث حسن صحيح وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا أصبح ابن آدم فان الاعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فانا نحن بك فان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وعن الاستاذ أبى القاسم القشيرى رحمه الله فى رسالته قال الصمت سلامة وهو الاصل والسكوت فى وقته صفة الرجال كما أن النطق فى موضعه أشرف الخصال ومما أنشدوه

احفظ لسانك أيها الانسان
لا يلدغنك انه ثعبان

وقال الرقاش رحمه الله تعالى

كم فى المقابر من قتيل لسانه
كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال بعضهم

لعمرك ان فى ذنبى لشغلا
لنفسى عن ذنوب بنى أميه
على ربى حسابهم اليه
تناهى علم ذلك لا اليه
فليس بضائرى ماقد أتوه
اذا ما الله أصلح مالديه

(قوله ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى أى القريب منك فى الجوار والنسب والجار الجنب أى البعيد منك فى الجوار والنسب وقد وردت أخبار كثيرة فى اكرام الجار والوصية به منها هذا الحديث ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ماتقولون فى الزنا قالوا حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره ثم قال ماتقولون فى السرقة قالوا حرام حرمها الله ورسوله فهى حرام الى يوم القيامة فقال لان يسرق

بل يكونان متجاورين لا يغير أحدهما الآخر وذلك كجمعه فى البحرين الماء العذب والملح لا يغير أحدهما الآخر ولا يختلط به قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وفى الاربعين الثانية يختلط أحدهما بالآخر وفى الاربعين الثالثة يصور أعضاء الجنين وسيأتى بعد ذلك مايتعلق بالتصوير وقد ورد فى الحديث أن النطفة اذا استقرت فى الرحم أخذها الملك بكفه فقال يارب مخلقة أم غير مخلقة فان قيل غير مخلقة قذفها فى الارحام دما وان قيل مخلقة فقال أى رب ذكر أم انثى شقى ام سعيد ما الاجل ما الاثر بأى أرض يموت فقال انطلق الى ام الكتاب فانك تجد قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها فى ام الكتاب فتأكل رزقها وتطأ أثرها فاذا جاء أجلها قبضت فدفنت فى المكان الذى قدر لها (ثم) بعد تمامها (يكون) أى يصير (علقة) أى دما غليظا سمى بذلك لعلوقه أى ارتباطه ببعضه أو لرطوبته لانه يعلق بما مر عليه فاذا جف لم يكن علقة والتاء فيها للوحدة أى علقة واحدة فان قلت قال تعالى خلق الانسان من علق والعلق جمع علقة فالجواب أن الانسان فى معنى الجمع فلذا قال من علق وأيضا لتوافق رؤس الآى (مثل ذلك) الزمن الذى هو أربعون يوما يقرأ بالنصب صفة لعلقة (ثم) عقب الاربعين الثانية (يكون مضغة) أى قطعة لحم صغيرة قدر ما يمضغ كالغرفة أى مايغرف ومن ثم سميت مضغة (مثل ذلك) أى أربعون يوما وهى الاربعون الثالثة ● فائدتان ● ذكر الاطوار الثلاثة وكذا فى القرآن العظيم فذكر النطفة والعلقة والمضغة وذكر فى موضع آخر زيادة عليها فقال فى سورة المؤمنون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم تنفخ الروح فيه وكان ابن عباس يقول خلق ابن آدم من سبع ثم يتلو الآية وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آدم عليه السلام خلقه المولى من طين فأقام أربعين سنة ثم صار حمأ مسنونا فأقام أربعين سنة ثم صار صلصالا أى طينا يابسا يسمع له صلصلة أى صوت اذا انقرع فأقام أربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح اه قال الصوفية الاربعين لموافقة تخمير طين آدم وميقات موسى عليهما الصلاة والسلام لاختصاصهما بالكمال لتركبهما من عشرة وأربع ولكل خاصية فى الكمال أما الاول فانها غاية الآحاد من غير تكرار وأما الثانى فلانه استقر كل مستقيم البنيان على الاربعة أركان كالطبائع والفصول الاربعة والحيوان اه وحينئذ فتوافق العدد بين مدة خلق آدم وخلق الجنين وذلك بجعل الايام التى فى خلق الجنين فى مقابلة السنين التى فى خلق آدم فلكل سنة يوم ووافقه الاطوار فالنطفة فى مقابلة الطين والعلقة فى مقابلة الحمأ المسنون والمضغة فى مقابلة الصلصال فتبارك الله أحسن الخالقين قال مجاهد اذا حاضت المرأة فى حملها كان ذلك نقصانا فى ولدها فان زادت على التسعة كان تماما لما نقص منه (ثم) اذا تمت وصار ابن مائة وعشرين يوما يرسل بالبناء للمفعول اليه الملك وفى رواية البخارى يبعث الملك ولمسلم ثم يرسل الله الملك وال فيه للعهد والمراد ملك مخصوص وهو الملك الموكل بالرحم قال ابن القيم الملك وحده يرسل اليه ولم يقل يرسل الملك اليه بالروح فيدخلها فى بدنه لان الله تعالى

الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره رواه الامام أحمد ومنها قوله صلى الله عليه وسلم والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل يارسول الله لقد خاب وخسر من هو قال من لا يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه قال شره رواه البخارى ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من آذى جاره فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن حارب جاره فقد حاربنى ومن (٨٩) حاربنى فقد حارب الله عز وجل رواه أبو الشيخ ومنها ماجاء عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فقال لا يصحبنا من آذى جاره فقال رجل من القوم أنا بلت فى حائط جارى فقال لا تصحبنا اليوم رواه الطبرانى ومنها ماجاء عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رجل يارسول الله ان فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير انها تؤذى جيرانها بلسانها قال هى فى النار قال يارسول الله ان فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها غير انها تتصدق بالاثوار من الاقط ولا تؤذى جيرانها قال هى فى الجنة رواه الامام أحمد وغيره والاثوار بالثاء المثلثة جمع ثور وهى القطعة من الاقط بفتح الهمزة وكسر القاف شئ يتخذ من مخيض اللبن ومنها ماجاء عن معاذ بن جبل قال قلت يارسول الله ماحق الجار على قال ان مرض عدته وان مات شيعته وان استقرضك أقرضته وان أعوز سترته وان أصابه خير هنيته وان أصابته مصيبة عزيته ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ولا تؤذه بريح قدرك الا أن تغرف له منها رواه الطبرانى وفى رواية من طريق آخر لهذا الحديث فان اشتريت فاكهة فاهد له منها فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده رواه الخرائطى عن ابن عمر رضى الله عنهما وابن شعيب عن أبيه عن جده ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ما آمن بى من بات شبعانا وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم رواه الطبرانى ومنها قوله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه رواه البخارى ومسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عنى هذه الكلمات

أرسل اليه الروح التى كانت موجودة قبل ذلك بالزمن الطويل مع الملك فان قلت اذا كان المراد بالملك من جعل الله اليه أمر ملك الرحم فكيف يرسل أو يبعث فالجواب كما قال القاضى عياض ان المراد أنه يؤمر بذلك واختلف فى أول مايتشكل من الجنين فقيل قلبه لانه الاساس وقيل الدماغ لانه مجمع الحواس وجمع بينهما بان أول مايتشكل منه من الباطن القلب ومن الظاهر الدماغ وقيل أول مايتشكل منه السرة وقيل الكبد لان منه النمو المطلوب أولا ورجحه بعضهم وفى ايجاده على هذا الترتيب العجيب وانتقاله من طور الى طور مع قدرته تعالى على ايجاده كاملا كسائر المخلوقات فى طرفة عين ● (فوائد) ● الاولى انه لو خلقه دفعة واحدة لشق على الام لكونها لم تكن معتادة لذلك وربما لم تطقه فجعل أولا نطفة لتعتاد بها مدة ثم علقة مدة وهلم جرا الى الولادة ولذا قال الخطابى الحكمة فى تأخير كل أربعين يوما أن يعتاد الرحم اذ لو خلق دفعة لشق على الام وربما لا تقدر عليه الثانية اظهار قدرته تعالى وتعليمه لعباده التأنى فى أمورهم الثالثة اعلام الانسان بأن حصول الكمال المعنوى له تدريجى نظير حصول الكمال الظاهر له (فينفخ فيه الروح) التى بها يحيى الانسان وحقيقة النفخ اخراج ريح من النافخ يتصل بالمنفوخ وقد اختلف فى الروح على أكثر من ألف قول والمعتمد انها جسم لطيف سار فى البدن مشتبك به اشتباك الماء بالورد وعروق الشجر ولا يلتفت لقول من قال انها الدم لان من الحيوانات مالا دم له ولقول من قال انها النفس الداخل الخارج لان من الحيوانات مالا يتنفس الا عند الموت كالسمك واسناد النفخ الى الملك مجاز عقلى لان ذلك من أفعال الله كالخلق وقوله فينفخ فيه الروح أى ويتحرك فيما بين ذلك الى عشرة أيام وتحس أمه حينئذ بحركته ولذلك صارت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا وظاهر الحديث أن الملك ينفخ الروح فى المضغة وليس مرادا بل انما ينفخ فيها بعد أن تتشكل بشكل ابن آدم وتتصور بصورته كما قال تعالى فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر أى بنفخ الروح فيه ولكن نقول ليس ظاهره ذلك وانما ظاهره أن الارسال بعد الاربعين الثالثة المنقضى اسم المضغة بانقضائها وتلك البعدية لم تحدد فيحتمل أنه بعد الاربعين الثالثة تصور فى زمن يسير وبعد تصويره يرسل الملك فينفخ فيه الروح وقد صرح القرطبى فى المفهم أن التصوير انما هو فى الاربعين الرابعة لكن يرد على هذا انه جاء فى حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم اذا مر بالنطفة ثلاث وأربعون وفى رواية اثنتان وأربعون ليلة وفى رواية خمسة وأربعون بعث الله اليها ملكا فصورها وشق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال يارب ذكر أم أنثى فيقضى ربك ماشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقول ربك ماشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب رزقه فيقول ربك ماشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزاد ولا ينقص وأخرجه الفريانى عن الطفيل عن حذيفة أيضا بلفظ اذا وقعت النطفة فى الرحم ثم استقرت أربعين ليلة يجىء ملك الرحم فيدخل فيصور له عظمه ولحمه وشعره وبشره ثم سمعه وبصره ثم يقول أى رب ذكر أم أنثى الحديث قال عياض وحمله على ظاهره لا يصح لان التصوير بأثر النطفة وأول العلقة فى أول الاربعين الثانية غير موجود ولا معهود وانما يكون فى آخر الاربعين الثالثة فمعنى

فليعمل بهن او يعلم من يعمل بهن فقال أبو هريرة قلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا قال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب رواه الترمذي (٩٠) وغيره وقال صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره ولقد بالغ بعض المجتهدين فجعل الجار كالشريك في اثبات الشفعة وكانت الجاهلية تشدد أمر الجار ومراعاته وحفظ حقه والجار يقع على الساكن مع غيره في بيت وعلى الملاصق وعلى أربعين دارا من كل جانب وعلى من في البلد مع غيره لقوله تعالى ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ثم هو اما كافر فله حق الجوار فقط أو مسلم أجنبي فله حق الجوار والاسلام أو ذو قرابة فله حق الجوار والاسلام والقرابة قال صلى الله عليه وسلم والجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فاما الذي له حق واحد فالجار الذمي له حق الجوار والذي له حقان الجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام والذي له ثلاثة حقوق الجار القريب المسلم له حق الجوار وحق الاسلام وحق القرابة وذكر الزمخشري في ربيع الابرار انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله يدفع بالمؤمن الواحد عن مائة ألف بيت من جيرانه البلاء وفيه بشارة عظيمة وليعلم ان من كان أقرب مسكنا آكد من غيره لما روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى أيهما أهدي قال الى أقربهما منك بابا ومن اكرام الجار ما رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا ذر اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعهد جيرانك حث صلى الله عليه وسلم على مكارم الاخلاق لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة فان الجار قد يحصل له الاذى برائحة الطعام من بيت جاره وربما يكون له أطفال صغار واذا شموا رائحة الطعام حصل لهم بذلك تشويش ان لم يرسل لهم منها شيأ يكسر نهمتهم

الموت

قوله يصورها الخ انه يكتب ذلك ويفعله في وقت آخر بعد ذلك بدليل قوله أذكر أم أنثى وأورد على قول القاضي ان التصوير لا يكون الا في آخر الاربعين الثالثة انه شوهد التصوير في كثير من الاجنة في الاربعين الثالثة والاشبه في الجمع أن يقال ان رواية ابن مسعود باعتبار الغالب أو ان ذلك يختلف باختلاف الاشخاص فمنهم من يصور بعد الاربعين الاولى ومنهم من لا يصور الا في الاربعين الثالثة أو بعدها على ان حديث ابن مسعود القضية فيه مطلقة لا عموم فيها فتأدى بصورة وقد وقعت في صور كثيرة أو انه عقب الاربعين الاولى يرسل الملك لتصوير العلقة تصويرا خفيا ثم يرسل في مدة المضغة أو بعدها فيصورها تصويرا ظاهرا ولذا قال بعضهم يحتمل ان الملك عند انتهاء الاربعين الاولى يقسم النطفة اذا صارت علقة الى أجزاء بحسب الاعضاء أو يقسم بعضها الى جلد وبعضها الى لحم وبعضها الى عظم فيقدر ذلك كله قبل وجوده ثم يهيأ ذلك في آخر الاربعين الثانية ويتكامل في الاربعين الثالثة وأجاب بعضهم بأن الجنين يغلب عليه في الاربعين الاولى وصف المني وفي الاربعين الثانية وصف العلقة وفي الثالثة وصف المضغة وان كانت خلقته قد تمت وتم تصويره ثم ان نسبة التصوير الى الملك مجازية والمصور في الحقيقة هو الله تعالى لقوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم وقوله تعالى وصوركم فأحسن صوركم وذهب بعض الاطباء الى أن التصوير يكون يوم السابع لتصريحهم بأن المني اذا نزل في الرحم أزبد وأرغى لستة أيام أو سبعة وفيها يتصور من غير استمداد من الرحم ثم يستمد منه وتبتدأ خطوطه ونقطه بعد ثلاثة أيام من الاستمداد ثم في الخامس عشر ينفذ الدم الى الجميع فيصير علقة ثم تظهر الاعضاء ويتنحى بعضها عن مماسة بعض وتمتد رطوبة النخاع ثم بعد تسعة أيام من صيرورته علقة ينفصل الرأس عن المنكبين والاطراف عن الاصابع قالوا وأقل مدة تصوير الذكر فيها ثلاثون يوما والزمان المعتدل في تصوير الجنين خمسة وثلاثون يوما وقد يتصور في خمسة وأربعين وعليه فما ورد من أن التصوير يكون بعد أربعين يوما محمول على أن المراد وما قارب ذلك والثلاثون وما بعدها قريبة منها وقال المقري في قواعده الولد يتحرك لمثل ما يتخلق له ويوضع لمثل ما يتحرك فيه وهو يختلف في العادة تارة شهر فيتحرك لشهرين ويوضع لست وتارة لشهر وخمسة أيام فيتحرك لشهرين وثلث ويوضع لسبعة وتارة لشهر ونصف فيتحرك لثلاثة ويوضع لتسعة فلذلك لا يعيش ابن ثمانية ولا ينقص الحمل عن ستة اهـ وروى أن عبد الملك بن مروان ولد لستة أشهر وقال بعض الاطباء ان الولد عند استكمال سبعة أشهر يتحرك للخروج فان تهيأ له الخروج خرج وعاش وان لم يتهيأ يستريح في البطن عقب الحركة المتعبة المضعفة فلا يتحرك في الشهر الثامن للخروج ولهذا يقل تحركه في البطن أيضا وان اتفق تحركه في الشهر الثامن للخروج فيضعف الولد غاية الضعف وهو في نفسه غاية الضعف ولا يعيش وقال المنجمون سببه ان في كل شهر يتولى الجنين كوكب من الكواكب السبعة المجموعة في قول القائل

زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت لعطارد الاقمار

ففي الشهر الاول التدبير فيه لزحل وفي الثاني للمشتري الى السابع وفيه التدبير للقمر وهو رطب مناسب للحياة وفي الثامن يعود الى زحل وهو بارد يابس بطيء الحركة وهو على مزاج

التي أثارها طعام الجار ولانه يعظم على الذي هو قائم على الاطفال أن يشتري لهم مثله لا سيما ان كان فقيرا أو كانت امرأة أرملة ومعها أيتام ومثل هذه الواقعة هي التي فرقت بين يوسف وأبيه كما قيل ان الله عز وجل أوحى الى يعقوب أتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا الهي قال لانك شويت عناقا وقترت (٩١) عن جارك وأكلت ولم تطعمه هكذا نقل عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى والله أعلم وينبغي لك اذا أهدى اليك جارك أو صاحبك أو قريبك هدية أن تقبلها منه ولا تحتقرها لقوله صلى الله عليه وسلم يا نساء المؤمنين وفي رواية يا نساء الانصار لا تحقرن أحداكن لجارتها ولو كراع شاة (قوله صلى الله عليه وسلم ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) أي لانه من أخلاق الانبياء والصالحين وآداب الاسلام وكان الخليل عليه الصلاة والسلام يسمى أبا الضيفان وكان يمشي الميل والميلين في طلب من يتغدى معه وقد أوجب الضيافة ليلة واحدة الليث بن سعد رضي الله عنه عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ليلة الضيف حق واجب على كل مسلم وحمله عامة الفقهاء على الندب وأنها من مكارم الاخلاق ومحاسن الدين لقوله صلى الله عليه وسلم في الضيف وجائزته يوم وليلة والجائزة العطية والمنحة والصلة وذلك لا يكون الا مع الاختيار وقل استعمالها في الواجب ومما يدل على الندب اقتران الامر بها بالامر باكرام الجار وأول بعضهم الاحاديث على أنها كانت في أول الاسلام اذ كانت المواساة واجبة أو كان ذلك للمجاهدين في أول الاسلام لقلة الازواد أو على التأكيد كقوله غسل الجمعة واجب وقد وردت أحاديث كثيرة شهيرة في اكرام الضيف ومن فوائده أنه يدخل البيت بالرحمة ويخرج بذنوب أهل المنزل ولنختم مجلسنا هذا بشيء يرشد الى حب المساكين ومجالستهم والرأفة بهم قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين وروى الترمذي عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني

الموت فيموت في الثامن وفي التاسع يعود الى المشتري وهو نير سعيد فيكون خير أوقات الولد عند انتقاله للتاسع ثم انه رتب الاطوار في الآية الشريفة بالفاء لان المراد انه لا يتخلل بين الطور والطور وآخر ورتبها في الحديث بثم اشارة الى المدة التي تتخلل بين الطور ليتكامل فيها الطور وانما عبر بثم بين النطفة والعلقة لان النطفة قد لا تكون انسانا وأتى بثم في آخر الآية عند قوله ثم أنشأناه خلقا آخر ليدل على ما يتجدد له بعد الخروج من بطن أمه أما الاتيان بثم في أول القصة بين السلالة والنطفة فاشارة الى ما يتخلل بين خلق آدم وخلق ولده وقوله تعالى فكسونا العظام لحما وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له (تنبيهان) الاول اختلف في تقديم خلق الروح عن الجسم وتأخيرها عنه على قولين مشهورين الاول تقديم خلق الروح على الجسم وبه جزم ابن حزم واستدل له بحديث اسناده ضعيف جدا وهو ان خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والثاني ذهب اليه جماعة واستدلوا بقوله في هذا الحديث ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما الى أن قال ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح وأجيب بالفرق بين نفخ الروح وخلقه الثاني مقر الروح في حال الحياة القلب على ما جزم به الغزالي قال السيوطي وقد ظفرت بحديث يشهد له أخرجه ابن عساكر في تاريخه وانظر ما قاله الغزالي فانه لا يأتي على قول جمهور المتكلمين من انها جسم لطيف شفاف حي لذاته سار في البدن كماء الورد في الورد وأما مقرها فاستظهر بعض المتكلمين انها بقرب القلب ومقرها بعد الوفاة مختلف فيه فأرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الجنة لقوله أولئك المقربون في جنات النعيم وأرواح السعداء من المؤمنين قيل انها في أفنية القبور اهـ ابن العربي وهو أصح ما ذهب اليه المتكلمون قال ابن عبد البر وهي مع ذلك مأذون لها في التصرف وتأوي الى محلها في عليين أو سجين (ويؤمر الملك) وهو عطف على ينفخ (بأربع كلمات) وفي رواية بأربعة والمعدود اذا أبهم جاز تذكيره وتأنيثه والمراد بالكلمات القضايا المقدورة وكل قضية تسمى كلمة وظاهر هذا الحديث ان النفخ قبل الكتابة وظاهر رواية البخاري ان النفخ بعدها والاولى التعويل على رواية البخاري لانها أصح ويمكن رد هذا اليه بأن الواو بلا ترتيب أو ان ما هنا من ترتيب خبر على خبر لا من ترتيب الافعال المخبر عنها أو ان الكتابة تقع مرتين الاولى في السماء والثانية في بطن المرأة ويحتمل أن تكون احداهما في صحيفة والاخرى على الجنين أو ان ذلك يختلف باختلاف الاجنة فمنهم من يكتب له قبل النفخ ومنهم من يكتب له ذلك بعده والاول أولى وظاهر هذا الحديث انه يؤمر بهذه الاربعة ابتداء وليس كذلك بل انما يؤمر بها بعد ان يسأل عنها بقوله يا رب ما الرزق ما الاجل ما العمل وهذا شقي أو سعيد (يكتب) ضبط بوجهين أحدهما بموحدة مكسورة وكاف مفتوحة ومثناة ساكنة ثم موحدة بدل من أربع والاخرى بتحتانية مفتوحة بصيغة المضارع على الاستئناف وفي رواية البخاري فيكتب بزيادة الفاء وروى بفتح الياء فيهما مبني للفاعل أو للمفعول وهو أوجه لانه وقع في رواية آدم وأبي داود وغيرهما فيؤذن بأربع كلمات فيكتب وقوله يكتب أي على جبهته أو بطن كفه أو ورقة تعلق بعنقه قاله مجاهد وقال القسطلاني والظاهر ان الكتابة هي الكتابة المعهودة في صحيفته وقد جاء في رواية لمسلم في

في زمرة المساكين فقالت عائشة رضي الله عنها لم يارسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء بأربعين خريفا ياعائشة لا ترد المساكين ولو بشق تمرة ياعائشة أحبي المساكين وقربيهم يقربك الله تعالى يوم القيامة وفي الترمذي أيضا من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٩٣) يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وهو نصف يوم والجمع بين الحديثين أن الاربعين أرادبها تقدم الفقير الحريص على الغني وأراد بخمسمائة عام الفقير الزاهد على الغني الراغب فكان الفقير الحريص على درجتين من الفقير الزاهد وهذه نسبة الاربعين الى خمسمائة هكذا نقل عن بعضهم وقيل غير ذلك وعن وهب بن منبه رحمه الله قال أصابت بني اسرائيل شدة وعقوبة فقالوا النبي لهم وددنا أنا نعلم مايرضي ربنا فنتبعه فأوحى الله تعالى اليه ان أرادوا رضائي فايرضوا المساكين فانهم اذا أرضوهم رضيت واذا أسخطوهم سخطت عليهم ذكره الامام أحمد في كتاب الزهد له (ويحكى) أن سليمان بن داود عليهما السلام على ما آتاه الله من الملك كان اذا دخل الى المسجد فنظر الى مسكين جلس اليه ويقول مسكين جالس مسكينا فالسعيد من وفقه الله تعالى لحب المساكين اللهم وفقنا أجمعين والحمد لله رب العالمين

(المجلس السادس عشر في الحديث السادس عشر) الحمد لله الذي تنزه في كماله عن التشبيه والشبيه والمثال وتوحد في وحدانيته عن المؤانس والموازر والمشير وتغير الحال وتعالى في قدسه عن الصاحب والصاحبة فلا تدرك عظمته ولا تنال وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة أدخرها لهول السؤال وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي بصرنا من العمى وهدانا من الضلال وبعثه مولاه بمايؤيد به كلمة الدين على التفصيل والاجمال صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ماغرد قمري وناح حمام في الاطلال آمين (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تغضب فردد مرارا فقال لا تغضب رواه البخاري) اعلموا اخواني

حديث حذيفة بن رشيد ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص ووقع في حديث أبي ذر فيقضي الله ماهو قاض فيكتب ماهو لاق بين عينيه (رزقه) أي تقديره قليلا أو كثيرا وصفته حلالا أو حراما أو مكرر وهاوهو عند أهل السنة والجماعة ماساقه الله تعالى الى الحيوان فانتفع به بالفعل سواء كان مأكولا أو غيره فيتناول العلم ونحوه لان الرزق نوعان ظاهر للابدان كالقوت وباطن للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم وخرج به مالم ينتفع به وعند المعتزلة انه المملوك مطلقا انتفع به أم لا وهو فاسد الطرد لدخول ملك الله تعالى فيه ولا يسمى رزقا وفاقا والالكان مرزوقا وفاسد العكس لخروج رزق الدواب بل والعبيد والاماء عند بعض الائمة الذين يرون أن الرقيق لايملك وقد قال تعالى ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها وقال تعالى وكأي من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم وسبب نزول هذه الآية الثانية انه لما آذى المشركون المؤمنين بمكة قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فأنزلها الله تعالى (وأجله) طويلا أو قصيرا وله اطلاقان أحدهما مدة الحياة الثاني منتهاها وهو الوقت الذي كتب الله في الازل انتهاء الحياة فيه ومنه قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وظاهر هذه الآيات ان الاجل لا يزيد ولا ينقص واما قوله تعالى ومايعمر من معمر ولا ينقص من عمره الآية فالضمير في قوله من عمره ليس عائدا على قوله من معمر الاول بل هو على طريقة عندي درهم ونصفه أي نصف مثله وأما قوله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأله في عمره أي يزاد له فيه فليصل رحمه ففيه أجوبة أصحها كما قال النووي ان هذه الزيادة مؤولة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وصيانة أوقاته من الضياع وقيل ان الزيادة بالنسبة الى مايظهر للملائكة واللوح المحفوظ لان الحق جواز وقوع المحو والاثبات في اللوح المحفوظ كصحف الملائكة وقيل ان المراد بالزيادة ذكره الجميل فكأنه لم يمت فان قلت مافائدة تعلق الزيادة بصلة الرحم مع علم الله تعالى بوجودها فيحصل المعلق عليه أو بعدمها فلا يحصل والجواب ان ذلك للترغيب وقد ورد أيضا ان الصدقة تزيد في العمر وكذلك الدعاء وكذلك السلام على كل من لقيه وكذلك اسباغ الوضوء وكذلك حسن الخلق وكذلك المتابعة بين الحج والعمرة وكذلك حسن الجوار وكذلك تسريح الرأس مع اللحية ولذا قال ابن العماد في منظومته

ولازم الرأس بالتسريح مع ذقن * تكفى البلاء وتعطى فسحة الاجل

(وعمله) صالحا أو فاسدا *(وشقي)* في الآخرة خبر مبتدأ محذوف أي وهو شقي وقدمه ليعلم انه كالخبر من عند الله ردا على الثنوية المثبتين شريكا فاعلا للشر *(أوسعيد)* فيها وكان ظاهر السياق أن يقول وسعادته وشقاوته فعدل عنه حكاية لصورة مايكتب لانه يكتب شقي أوسعيد والمراد انه يكتب لكل واحد اما الشقاوة واما السعادة ولا يكتبان لواحد معا فلذلك اقتصر على أربع والاتقال خمس وقد قيل لما حضرت عبد الرحمن بن عوف الوفاة غشي عليه ثم أفاق فقال أتاني الساعة ملكان فقالا لي قم نحاكمك بين يدي العزيز الحكيم ففزعت منهما فاذا ملك ثالث قد نزل من السماء فقال خليا عنه فانه كتب في بطن أمه سعيدا اهـ

واختلف

وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم يتضمن دفع أكثر شرور الانسان لان الشخص في حال حياته بين لذة وألم فاللذة سببها ثوران الشهوة أكلا وشربا وجماعا ونحو ذلك والألم سببه ثوران الغضب فاذا اجتنبه يدفع عنه نصف الشر بل أكثره ولهذا لما تجردت الملائكة عن الغضب والشهوة سلموا من جميع الشرور (٩٣) والبشرية وقد اختلفوا في هذا الرجل الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو حارثة بن قدامة أو أبو الدرداء أو عبد الله بن عمر أو غيره ولما سأل الرجل قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تغضب فردد) أي كرر السؤال (مرارا) بقوله أوصني يارسول الله لانه لم يقنع بقوله لا تغضب فطلب وصية أبلغ منها أو أنفع (فقال لا تغضب) فلم يزده عليها لعلمه بعموم نفعها ونظير هذا ماوقع للعباس رضي الله عنه من قوله للنبي صلى الله عليه وسلم علمني دعاء أدعو به يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم سل الله العافية فعاوده العباس مرارا فقال له ياعباس ياعم رسول الله صلى الله عليه وسلم سل الله العافية في الدنيا والآخرة فانك اذا أعطيت العافية أعطيت كل خير أو كما قال والغضب في حق الآدمي ثوران دم القلب وغليانه عند توجه مكروه الى الشخص وفي الحديث الغضب جمرة تتوقد في قلب ابن آدم أما ترون الى انتفاخ أوداجه واحمرار عينيه وأما غضب الله تعالى فهو ارادة الانتقام ولا يخفى ان الغضب انما يذم حيث لم يكن لله تعالى أما اذا كان له تعالى فهو محمود ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يغضب اذا انتهكت حرمات الله عز وجل وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام أسألك كلمة الحق في الغضب والرضا (نكتة) من أقوى أسباب رفع الغضب ودفعه التوحيد الحقيقي وهو اعتقاد ان لا فاعل حقيقة في الوجود الا الله تعالى وان الخلق آلات ووسائط فمن توجه اليه مكروه من غيره وشهد ذلك التوحيد الحقيقي بقلبه اندفعت عنه آثار غضبه لان غضبه اما على الخالق وهو جراءة فاحشة تنافي العبودية واما على المخلوق وهو اشراك ينافي التوحيد المذكور ومن ثم خدم أنس رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم

واختلف الاشاعرة والماتريدية في الشقاوة والسعادة فقال الاشاعرة هما أزليتان مقدرتان في الازل لا يتغيران ولا يتبدلان فالسعادة الموت على الايمان لتعلق العلم الازلي بها كذلك والشقاوة الموت على الكفر لتعلق العلم الازلي بها كذلك والسعيد من علم الله في الازل موته على الايمان وان تقدم منه كفر والشقي من علم الله في الازل موته على الكفر وان تقدم منه ايمان وعلى هذا فلا يتصور في السعيد أن يشقى ولا في الشقي أن يسعد وقال الماتريدية السعيد هو المسلم والشقي هو الكافر والسعادة الاسلام والشقاوة الكفر وعليه فيتصور ان السعيد قد يشقى بأن يرتد بعد الايمان وأن الشقي قد يسعد بأن يؤمن بعد الكفر وان السعادة والشقاوة غير أزليتين بل يتغيران ويتبدلان ويتفرع على ذلك مسئلة الاستثناء في الايمان فعند الاشاعرة يجوز أن يقال أنا مؤمن ان شاء الله تعالى نظرا للمآل وهو مجهول الحصول في المستقبل ووافقهم الشافعي على ذلك وعند الماتريدية لايجوز ذلك نظرا للحال ووافقهم امامنا مالك والامام أبو حنيفة وأحمد لان الايمان يجب فيه الجزم ولا جزم مع التعليق وقال ابن عبدوس من اتباع مالك بوجوب التعليق لما في تركه من الجزم الذي فيه تزكية النفس وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم وقد نظم ذلك بعض شيوخنا مع زيادة فقال

من قال اني مؤمن يمنع من * مقاله ان شاء ربي يافطن

وذا المالك وبعض تابعيه * يوجب ان يقول هذا بانيه

ومثل ما لمالك للحنفي * والشافعي جوزه هذا فاعرف

وامنعه اجماعا اذا أريد به * الشك في ايمانه يامنتبه

كعدم المنع اذا به يراد * تبرك بذكر خالق العباد

فالحلف حيث لم يرد شكا ولا * تبركا فكن بذا محتفلا

فان قلت قد ورد في الحديث جفت الاقلام وطويت الصحف أي مضت المقادير بماسبق به علم الله في الازل واذا كانت السعادة والشقاوة أزليتين فمامعنى قوله في الحديث الآخر والشقي من شقي في بطن أمه فالجواب ان معناه من علم الملك شقاوته حين السؤال عنه وهو في بطن أمه والمراد ان هذا أول زمن اشتهار أمره بالشقاوة والسعادة للملائكة التخليق والا فلله تعالى أن يظهر سعادته وشقاوته لمن شاء من عباده قبل ذلك كما نقل عن بعض العارفين انه كان يقول لم أزل أعرف تلامذتي وأريبهم في الاصلاب من يوم ألست بربكم *(فوالذي لا اله غيره)* فيه الحلف من غير استحلاف ولا كراهة فيه لانه تعظيم لله تعالى وأما قول عيسى عليه السلام لبني اسرائيل كان موسى ينهاكم أن لا تحلفوا بالله الا وأنتم صادقون وأنا أنهاكم أن لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فهو خلاف شرعنا لانه صدر منه صلى الله عليه وسلم كثيرا وأمره الله به فلا وجه لكراهته ويحتمل أن يكون كراهة عيسى خوف الكثرة منه فيؤل الى حلف كذب أو تقصير في الكفارة وسر الحلف هنا والله أعلم التعجب من وقوع ذلك والعرب اذا تعجبت من شئ أقسمت عليه ومن ذلك قول عروة رضي الله عنه ان آدم أدخل الجنة يوم الجمعة بعد العصر والله ماغربت الشمس حتى أخرج منها *(ان أحدكم ليعمل)* بلام التأكيد *(بعمل)* الباء زائدة لان عمل اما مفعول مطلق أو مفعول به وكلاهما مستغن

عشر سنين فما قال لشئ فعله لم فعلته ولا لشئ تركه لم تفعله ولكن يقول قدر الله ماشاء وماشاء فعل ولو قدر الله لكان وماذاك الا لكمال معرفته عليه الصلاة والسلام بأنه لافاعل ولا معطى ولامانع الا الله تعالى ولا ينافى هذا ماصح من ضرب موسى عليه الصلاة والسلام الحجر الذى فر بثوبه حين اغتسل (٩٤) بعصاه حتى أثرت فيه لانه لم يغضب عليه غضب انتقام بل غضب تأديب وزجر لان الله تعالى خلق فى الحجر المذكور حياة مستقرة فصار كدابة نفرت من راكبها أو أنه غلب عليه الطبع البشرى فانتقم منه كما غلبه الطبع البشرى حين لف كمه على يده عند أخذ العصا حين صارت حية تسعى ومن طب الغضب المذموم الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والوضوء لقوله عليه الصلاة والسلام اذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار وانما تطفأ النار بالماء وفى رواية أن الغضب من الشيطان وأن الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ فان قيل الغضب من الامور الضرورية التى لايمكن دفعها بشئ فكيف أمر الشارع بالوضوء عنده فالجواب انه وان كان كما ذكر الا أن له آثارا مترتبة عليه يمكن دفعها ويعضده قول بعضهم الغضبان اما مغلوب للطبع الحيوانى وهذا لايمكن دفعه واما غالب للطبع بالرياضة فيمكن دفعه ولولا ذلك لكان قوله صلى الله عليه وسلم لاتغضب للرجل القائل له أوصنى تكليفا بما لايطاق ومن طب الغضب أيضا الانتقال من مكان الى مكان واستحضار ماجاء فى فضل كظم الغيظ فقد أثنى الله تعالى فى كتابه العزيز على كاظمين الغيظ فقال والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وغير ذلك من الآيات وقد قال صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله تعالى عنه عذابه ومن خزن لسانه ستر الله عورته ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وجاء ان الله تعالى يقول ابن آدم اذكرنى اذا غضبت أذكرك اذا غضبت فلا أهلك فيمن هلك وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على

امر

عن الحرف فزيادة الباء للتأكيد أو ضمن يعمل معنى يتلبس *(بعمل أهل الجنة)* يعنى من الطاعات الاعتقادية والقولية والفعلية والجنة دار النعيم وهى فى الاصل الحديقة ذات الشجر سميت جنة لكثرة شجرها ونباتها ويقال جنت الرياض جنونا اذا اغتم نبتها حتى ستر الارض ومنه الجنين لاستتاره عن العيون وتسمى بالبستان لمافيها من الاشجار المتكاثفة المظلة *(حتى مايكون)* بالرفع لان ما كفت حتى قاله الهيتمى وقلد فى ذلك قول الشارح الفاكهانى يتعين ان يكون بالرفع لان ما النافية قطعت عمل حتى عنه اه ومازعمه من التعيين ممنوع بل لايصح فقد قال الطيبى فى شرح المشكاة حتى هى الناصبة وما نافية ولم تكفه ماعن العمل وقال غيره لان معنى ماالنفى الحال فيتعين رفعه وشرط نصبه أن يكون مستقبلا ونازعه غيره من الاشياخ وقال الفعل هنا مستقبل قطعا وشرط وجوب الرفع أن يكون حالا حقيقة وأن يكون مسببا عما قبله وأن يكون فضلة فان كان مستقبلا حقيقة أولم يكن مسببا عما قبله وكان عمدة وجب النصب وان كان مستقبلا مؤولا بالحال جاز فيه الوجهان وماهنا اما مستقبل حقيقة وهو الظاهر فيجب نصبه أو مؤولا فيجوز نصبه ورفعه قال الاشمونى ولا يرتفع الفعل بعد حتى الا بثلاثة شروط الاول أن يكون حالا اما حقيقة نحو سرت حتى أدخلها اذا قلت ذلك وأنت فى حالة الدخول والرفع حينئذ واجب أو مؤولا نحو حتى يقول الرسول فى قراءة نافع والرفع حينئذ جائز والثانى أن يكون مسببا عما قبلها فيمتنع الرفع ويتعين النصب فى نحو لأسيرن حتى تطلع الشمس الثالث أن يكون فضلة فيجب النصب فى نحو سيرى حتى أدخلها وكذلك فى نحو كان سيرى أمس حتى أدخلها ان قدرت كان ناقصة ولم يقدر الظرف خبرا فتكون منصوبة بحتى ولعل لفظة ماالمجردة للنفى فتسلخه عن معنى الحالية اتجامع ان التى للاستقبال وأجاز غيره أن تكون حتى ابتدائية *(بينه وبينها)* أى وبين الجنة *(الاذراع)* زاد البخارى أو باع وهو تمثيل لشدة القرب *(فيسبق)* أى يغلب *(عليه الكتاب)* أى مضمون الكتاب فهو على حذف مضاف أو أراد بالكتاب المكتوب والمعنى انه يتعارض عمله فى اقتضاء السعادة والمكتوب فى اقتضاء الشقاوة فيتحقق مقتضى المكتوب فعبر عن ذلك بالسبق لان السابق يحصل مراده دون المسبوق ولانه لو تمثل العمل والكتاب شخصين ساعيين لظفر شخص الكتاب وغلب شخص العمل *(فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها)* ظاهر هذا الحديث ان هذا العامل كان عمله صحيحا وانه قرب من الجنة بسبب عمله حتى أشرف على دخولها وانما منعه من دخولها سابق القدر الذى يظهر عند الخاتمة وعلى هذا فالخوف على التحقيق انما هو مما سبق اذ لاتبديل له ولا تغيير فاذا الاعمال بالسوابق لكن لما كانت السابقة مستورة عنا والخاتمة ظاهرة لنا قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواتيم أى عندنا وبالنسبة الى اطلاعنا فى بعض الاشخاص وفى بعض الاحوال وفى رواية لمسلم ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وحينئذ فعمله لم يكن صحيحا فى نفسه وانما كان رياء وسمعة وقد ورد ان راهبا كان يقال له برصيصا قد تعبد فى صومعته سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين حتى أعيا ابليس فجمع ابليس مردة الشياطين فقال ألا أجد منكم من يكفينى

انفاذه ملأ الله أمنا وايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه وقال اذا كان يوم القيامة نادى المنادى أين العافون عن الناس هلموا الى ربكم وخذوا أجوركم وحق على كل امرئ مسلم اذا عفا أن يدخل الجنة والاحاديث الواردة فى معنى هذا (٩٥) كثيرة شهيرة (حكى) ان بعض الناس قدم له خادمه طعاما فى صحفة فعثر الخادم فى حاشية البساط فوقع مامعه فامتلأ وجه الرجل غيظا فقال الخادم يامولاى خذ بقول الله تعالى فقال الرجل وما قال الله تعالى فقال له الخادم قال الله تعالى والكاظمين الغيظ فقال الرجل كظمت غيظى فقال الخادم والعافين عن الناس فقال عفوت عنك فقال الخادم والله يحب المحسنين فقال أنت حر لوجه الله تعالى ولك هذه الالف دينار وقد كان الشعبى رحمه الله تعالى مولعا بقول القائل

ليست الاحلام فى حين الرضا
انما الاحلام فى حين الغضب

وقال سفيان الثورى والفضيل ابن عياض وغيرهما أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع رزقنا الله ذلك آمين وخوف الرب سبحانه وتعالى يدفع الغضب كما حكى عن بعض الملوك انه كتب فى ورقة يذكر فيها ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب ويل لسلطان الارض من سلطان السماء وويل لحاكم الارض من حاكم السماء ثم دفعها الى وزيره وقال اذا غضبت فادفعها الى فجعل الوزير كلما غضب الملك دفعها اليه فينظر فيها فيسكن غضبه وقد جمع صلى الله عليه وسلم فى قوله لاتغضب جوامع الدنيا والآخرة لان الغضب يؤدى الى التقاطع والتدابر والاذى ومنع الرزق *(خاتمة المجلس)* قال وهب بن منبه رحمه الله كان عابد فى بنى اسرائيل أراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فخرج العابد ذات يوم الى حاجة له وخرج الشيطان معه لكى يجد منه فرصة فأراده من جهة الشهوة والغضب فلم يستطع منه بشئ فأراده من قبل الخوف وجعل يدلى عليه الصخرة من الجبل فاذا بلغته ذكر الله تعالى ولم ينل منه شيئا ثم تمثل له بالجبل

أمر برصيصا فقال الابيض أنا أكفيكه وهو الذى قصد النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحى فدخل جبريل بينهما ثم دفعه بيده حتى وقع بأقصى الهند فانطلق فتزيا بزى الرهبان وحلق وسط رأسه حتى أتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لاينفتل من صلاته الا فى كل عشرة أيام يوما ولا يفطر الا فى كل عشرة أيام وكان يواصل العشرة الايام والعشرين والاكثر فلما رأى الابيض انه لايجيبه أقبل على العبادة فى أصل صومعته فلما انفتل من صلاته رأى الابيض قائما يصلى فى هيئة حسنة من هيئة الرهبان فندم على عدم اجابته وقال له ما حاجتك فقال أحب أن أكون معك فأتأدب بآدابك وأقتبس من علمك فقال انى فى شغل عنك ثم أقبل على صلاته وأقبل الابيض على الصلاة فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده وعبادته قال ماحاجتك قال أن تأذن لى فارتفع اليك فأذن له فأقام الابيض معه حولا لايفطر الا فى كل أربعين يوما يوما وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه ثم قال الابيض عندى دعوات يشفى بها السقيم والمبتلى والمجنون فعلمه اياها ثم جاء الى ابليس فقال قد والله أهلكت الرجل ثم تعرض لرجل فخنقه وقال لاهله وقد تصور فى صورة الآدميين ان بصاحبكم جنونا فاذهبوا به الى برصيصا فان عنده اسم الله الاعظم الذى اذا سئل به أعطى واذا دعى به أجاب فجاؤه فدعا بتلك الاسماء فذهب عنه الشيطان ثم جعل الابيض يفعل بالناس ذلك ويرشدهم الى برصيصا فيعافون فانطلق الى جارية من بنات الملوك بين ثلاثة اخوة فعذبها وخنقها ثم جاء اليهم فى صورة رجل متطبب ليعالجها فقال ان شيطانها مارد لايطاق ولكن اذهبوا بها الى برصيصا فدعوها عنده فاذا رأى شيطانها دعا لها فبرئت فقالوا لايجيبنا الى هذا قال فابنوا لها صومعة فى جانب صومعته ثم ضعوها فيها وقولوا هى أمانة عندك فاحتسب فيها فسألوه ذلك فأبى فبنوا صومعة ووضعوا فيها الجارية فلما انفتل من صلاته عاين الجارية ومابها من الجمال فأسقط فى يده فجاءها الشيطان فخنقها فانفتل من صلاته ودعا لها فذهب الشيطان ثم اقبل على صلاته فجاءها الشيطان وخنقها وكان يكشف عنها ويتعرض بها لبرصيصا ثم جاءه الشيطان فقال ويحك واقعها فما تجد مثلها ثم تتوب بعد ذلك فلم يزل به حتى واقعها فحملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك قد افتضحت فهل لك أن تقتلها ثم تتوب فلا تفتضح فان جاؤك فسألوك فقل جاءها شيطانها فذهب بها فقتلها ليلا ودفنها فأخذ الشيطان طرف ثوبها حتى بقى خارجا من التراب ورجع برصيصا الى صلاته ثم جاء الشيطان الى اخوتها فى المنام فقال ان برصيصا فعل باختكم كذا وكذا وقتلها ودفنها فاستعظموا ذلك فقالوا لبرصيصا مافعلت باختنا فقال ذهب بها شيطانها فصدقوه وانصرفوا ثم جاءهم الشيطان فى المنام فقال انها مدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف ردائها خارج من التراب فانطلقوا فوجدوها فهدموا صومعته وأنزلوه وخنقوه وحملوه الى الملك فأقر على نفسه فأمر بقتله فلما صلب قال له الشيطان أتعرفنى قال لا قال انا صاحبك الذى علمتك الدعوات اما اتقيت الله أما استحيت وأنت أعبد بنى اسرائيل ثم لم يكفك صنيعك حتى فضحت نفسك واقررت عليها وفضحت أشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح أحد من نظرائك

وهو يصلي ويحمل بالتوى بقدميه وجسده حتى بلغ رأسه فاذا أراد السجود التوى في موضع رأسه فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم
رأسه فجعل ينحيه حتى استمكن من الارض فسجد ولما فرغ من صلاته وذهب جاءه الشيطان وقال أنا فعلت بك كذا وكذا فلم أستطع
منك شيأ وقد بدا لي أن أصادقك فلا أريد (٩٦) ضلالك بعد اليوم فقال له العابد لا يوم خوفتني بحمد الله تعالى خفت منك ولا لي
اليوم حاجة في مصادقتك ثم قال
ألا تسألني اليوم عن أهلك
ما أصابهم بعدك فقال العابد ماتوا
قبلي قال أتسألني عما أضل به بني
آدم قال بلى فأخبرني ما الذي تصل
به الى اضلال بني آدم قال بثلاثة
أشياء الشح والحدة والسكر فان
الرجل اذا كان شحيحا قللنا ماله
في عينه فيمنعه من حقوقه ويرغب
في أموال الناس قال واذا كان
الرجل حديدا أدرناه بيننا كما تدير
الصبيان الكرة ولو كان يحيي
الموتى بدعوته لم نيأس منه فانه
يبني ويهدم في كلمة واحدة قال
واذا سكر قدناه الى كل سوء
كما تقاد العنز باذنها حيث نشاء
فقد أخبر الشيطان أن الذي
يغضب يكون في يد الشيطان
كالكرة في أيدي الصبيان
سلمنا الله تعالى من ذلك آمين
والحمد لله رب العالمين

•(المجلس السابع عشر
في الحديث السابع عشر)•

الحمد لله الذي سلك بأحبابه نهج
الصراط المستقيم واختص بالعناية
من أتى الى بابه بقلب سليم أمات
الله قلوبا بالمعاصي وأحيى قلوبا
بالطاعة فسبحان من يحيي العظام
وهي رميم وأشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة من به
يتوله وفيه يهيم وأشهد أن سيدنا
محمدا عبده ورسوله النبي الكريم
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه
ما طار طائر وهب نسيم آمين
•(عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب
الاحسان على كل شئ فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته رواه مسلم)* اعلموا
اخواني وفقني الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم جامع لقواعد الدين العامة كما سنبينه ان شاء الله تعالى (فقوله ان

بعدك قال فكيف أصنع قال تطيعني في خصلة واحدة وأنجيك منهم وآخذ بأبصارهم قال
وماذا لك قال تسجد لي سجدة واحدة فأطاعه وسجد له من دون الله وروت هذه القصة على
غير هذا الوجه (وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
فيغلب عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) ثم ان من لطف الله تعالى وسعة رحمته
ان انقلاب الناس من الشر الى الخير كثير وأما انقلابهم من الخير الى الشر ففي غاية الندور
ونهاية القلة ولا يكون الا لمن أصر على الكبائر وحكى ابن الجوزي في كتابه ذم الهوى انه
كان رجل مسلم يهوى امرأة نصرانية فمرض مرض الموت فقال في نفسه أنا أعشق هذه ولم
اجتمع بها في الدنيا وان مت على الاسلام لم اجتمع بها في الآخرة فتنصر ومات على النصرانية
وكانت المرأة مريضة فقالت ان فلانا كان يهواني ولم يجتمع بي في الدنيا واخشى ان مت على
دين النصرانية أن لا أجتمع به في الآخرة فأسلمت وماتت في مرضها *(فائدة)* قال صلى
الله عليه وسلم علامة الشقاوة جمود العين وقساوة القلب وحب الدنيا وطول الأمل وقال
ذو النون المصري علامة السعادة حب الصالحين والدنو منهم وتلاوة القرآن وسهر الليل
ومجالسة العلماء ورقة القلب اه وقال شيخنا الاجهوري في شرحه لمختصر العلامة الشيخ
خليل ما نصه من علامات البشرى للميت أن يصفر وجهه ويعرق جبينه وتذرف عيناه
دموعا ومن علامات السوء أن تحمر عيناه وتربد شفتاه ويغط كغطيط البكر اه وتربد
بالراء المهملة بعدها باء موحدة وفي آخره دال مهملة قال في القاموس الربدة بالضم لون الى
الغبرة (رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما)

(الحديث الخامس عن أم المؤمنين)

في الاحترام والتعظيم وحرمة النكاح دون الخلوة والنظر وتحريم البنات وكذا يقال في
سائر أزواجه صلى الله عليه وسلم وهل يقال لاخوتهن اخوالهم واخواتهن خالاتهم
ولبناتهن اخواتهم رجح جمع المنع ولا يقال لآبائهن وامهاتهن أجداد المؤمنين وجداتهن
ويقال لهن أمهات المؤمنات أيضا بناء على أن النساء يدخلن في خطاب الرجال تبعا وتغليبا
وهو صلى الله عليه وسلم أبو المؤمنين في الرأفة والرحمة ونفي أبوته في قوله تعالى ما كان محمد
أبا أحد من رجالكم أريد بها نفي أبوة النسب والتبني ولذلك لم يعش له ابن حتى يصير من الرجال
(أم عبد الله) كناها النبي صلى الله عليه وسلم بابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير لما سألته
في ذلك والصحيح انها لم تلد قط وذكر السهيلي في الروض انها ألقت سقطا ولم يثبت (عائشة)
وعوام المحدثين يبدلونه ياء بنت أبي بكر الصديق واسمه عبد الله بن أبي قحافة واسم أبي
قحافة عثمان وأمها أم رومان بضم الراء وسكون الواو على المشهور وقال ابن عبد البر في
الاستيعاب يقال بفتح الراء وضمها بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس (رضي الله عنها)
تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة في شوال قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث
وقيل بنحو ثمانية عشر شهرا وهي بنت ست سنين وبنى بها بالمدينة في شوال منصرفه من
بدر وهي بنت تسع وبقيت عنده تسع سنين وكانت أحب النساء اليه بعد خديجة وعاشت
بعده صلى الله عليه وسلم أربعين سنة وفي التفضيل بينها وبين خديجة أوجه ذكرها
المصنف

الله كتب الاحسان) أي أمر به وحض عليه والمراد به الاحكام والاكمال (قوله على كل شئ) أي اليه أو فيه ويحتمل ان تكون على على
بابها أي كتب الاحسان في الولاية على كل شئ حتى ما يذكر اذ التحسين في الاعمال المشروعة مطلوب فحق على من شرع في شئ منها
أن يأتي به على غاية كماله ويحافظ على آدابه المصححة والمكملة له فاذا فعل على (٩٧) الوجه المذكور قبل وكثر ثوابه (قوله فاذا قتلتم
فأحسنوا القتلة) بكسر القاف أي
أي الهيئة والحالة وبفتحها الفعلة
من ذلك (قوله واذا ذبحتم
فأحسنوا الذبحة) بكسر الذال
كالقتلة وجاء في رواية فأحسنوا الذبح
(قوله وليحد أحدكم شفرته) بضم
الشين وقد تفتح وهي السكين
العظيمة ومثلها كل ما يذبح به (قوله
وليرح ذبيحته) أي مذبوحته باحداد
السكين وتعجيل امرارها وترك
احدادها وذبح غيرها قبالتها وغير
ذلك فقد روى أن سبب ابتلاء
يعقوب بفرقة ولده يوسف عليهما
السلام انه ذبح عجلا بين يدي أمه
وهي تخور فلم يرحمها (ومن غريب)
ما وقع مما يتعلق بذلك ما حكي عن
بعضهم انه دخل على بعض الامراء
وقد أمر بذبح جملة من الغنم فذبح
بعضها ثم اشتغل الذابح عن الذبح
ثم عاد اليه في الحال فلم يجد المدية التي
يذبح بها فاتهم بها بعض الحاضرين
فأنكر أخذها وحصل بسبب ذلك
لغط فخاء رجل كان ينظر اليهم من
بعيد وقال السكين التي تتخاصمون
عليها أخذتها هذه الشاة بفمها
ومشت بها الى هذه البئر وألقتها
فأمر الامير شخصا بالنزول الى هذه
البئر ليتبين هذا الامر فنزل فوجد
الامر كما أخبر الرجل (قوله وليحد)
بضم الياء وكسر الحاء وتشديد
الدال وقوله (وليرح) بضم الياء وقد
ذكرنا أن هذا الحديث جامع
لقواعد الدين العامة وبيان ذلك
وايضاحه ان الاحسان في الفعل
هو ايقاعه على مقتضى الشرع أو العقل وهو ما يتعلق بمعاش الفاعل أو بمعاده فالأول سياسة نفسه وبدنه وأهله
واخوانه ومماليكه والناس والثاني الايمان وهو عمل القلب والاسلام وهو عمل الجوارح كما قدمناه في حديث جبريل عليه السلام
فان أحسن الانسان في هذا كله بأن فعله على وجهه فقد حصل كل خير وسلم من كل ضير وما ذكر من الاحسان عام في كل شئ وقد

المصنف في الروضة ثالثها الوقف واختار السبكي في الحلبيات تفضيل خديجة ثم عائشة ثم
حفصة ثم الباقيات سواء واختلف في التفضيل بين عائشة وفاطمة على ثلاثة أقوال ثالثها
الوقف والاصح تفضيل فاطمة لانها بضعة منه وقد صححه السبكي في الحلبيات وبالغ في
تصحيحه ولم يتزوج بكرا غيرها ولما خطبها من أبي بكر رضي الله عنه قال له يا رسول الله انها
صغيرة لا تصلح ولكن انا أرسلها اليك فان كانت تصلح فهي السعادة الكاملة فقال ان
جبريل أتاني بصورتها على ورقة من الجنة وقال ان الله تعالى زوجك بهذه ثم ذهب أبو بكر
الى منزله وملأ طبقا من تمر وغطاه وقال يا عائشة اذهبي بهذا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقولي له يا رسول الله هذا الذي ذكرته لابي بكر ان كان يصلح فبارك عليك فضت اليه
عائشة بالطبق وهي تظن ان أبا بكر يعني التمر قالت عائشة فدخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبلغته الرسالة فقال قبلنا يا عائشة قبلنا وجذب طرف ثوبي قالت فنظرت اليه
مغضبة ودخلت على أبي بكر فأخبرته بما وقع فقال يا بنية لا تظني برسول الله صلى الله عليه
وسلم ظن سوء ان الله تعالى قد زوجك به واني قد زوجتك منه قالت عائشة فما فرحت
بشئ أشد من فرحي بقول أبي بكر قد زوجتك منه وقد وردها قالت للنبي صلى الله عليه
وسلم أرأيت لو نزلت واديا فيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرة لم يؤكل منها في أيهما كنت
ترتع بعيرك قال في التي لم يؤكل منها يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى عربا اترابا فقال نساء الدنيا يدخلن
الجنة ابكارا فكلما اقتضها زوجها ترجع بكرا فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها واوجعاه
فقال عليه الصلاة والسلام لا وجع في الجنة يا عائشة وقال عليه الصلاة والسلام خذوا
شطر دينكم عن هذه الحميراء والحميراء تصغير حمراء وأتى عمرو بن العاص الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال أي النساء أحب اليك يا رسول الله قال عائشة قال ومن الرجال قال أبوها قال
ثم من قال عمر وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من
الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة
على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن هشام بن عروة عن أبيه قال كان الناس
يتحرون بهداياهم يوم عائشة فاجتمع صواحباتها الى أم سلمة فقالوا يا أم سلمة ان الناس
يتحرون بهداياهم يوم عائشة وانا نريد الخير كما تريد عائشة فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يأمر الناس أن يهدوا اليه حيث ما كان وحيث ما دار قالت فذكرت ذلك أم سلمة للنبي صلى
الله عليه وسلم فأعرض عنها فلما عاد اليها ذكرت له ذلك فاعرض عنها فلما كان في الثالث
ذكرت له ذلك فقال يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف
امرأة منكن غيرها ووهبتها سودة يومها وليلتها فكان لها يومان وليلتان دون بقية امهات
المؤمنين وعن أبي سلمة قالت عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا يده على
معرفة فرس دحية الكلبي وهو يكلمه فقلت يا رسول الله رأيتك واضعا يدك على معرفة
فرس دحية الكلبي وأنت تكلمه قال أو رأيتيه قلت نعم قال ذاك جبريل وهو يقرأ
السلام قالت وعليه السلام جزاه الله من صاحب ودخيل خيرا فنعم الصاحب الدخيل وقال

(١٣ ـ شبرخيتي)

فرد صلى الله عليه وسلم بالذكر الرفق فى القتل والذبح اما انه ضرب ذلك مثلا للاحسان اتفاقا الاعن مقتض خصه بالذكر وهو عمل الجوارح واما ان سبب الحديث الذى هو فعل الجاهلية اقتضاه فانهم كانوا يمثلون فى القتل بجدع الانف وقطع الايدى والارجل ونحو ذلك وكانوا يذبحون بالمدى الكالة والعظم والقصب ونحوه مما يعذب الحيوان أولان القتل والذبح غاية ما يفعل من الاذى

فأمر صلى الله عليه وسلم بالرفق فى كل شئ فيا اخوانا عليكم بالرفق فانه ما كان فى شئ الازانه ولانزع الرفق من شئ الاشانه *(نكتة)* أنظروا بعين البصيرة الى حكمة الله تعالى كيف لم يفرض الصلاة على العباد فى أول الاسلام بل فرضها ليلة المعراج وكذلك الصيام فرض فى السنة الثانية من الهجرة وكذلك تحريم الخمر بعد وقعة أحد كل ذلك تعليم لعباده الحلم والصبر وأخذ الامور على الاستدراج لئلا يعجلوا فى أمورهم فان العجلة ندامة *(نكتة أخرى)* يؤخذ من قول الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين الى قوله وما ملكت أيمانكم الرأفة بالحيوانات والوصية بها فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وأخرج النسائى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قتل عصفورا عبثا عج الى الله يوم القيامة ويقول يارب سل هذا لم قتلنى عبثا ولم يقتلنى لمنفعة وفى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله غفر لبغى بسقاية كلب وعذب امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت جوعا وعطشا (ويحكى) عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى قال ركبت مرة حمارا فضربته مرتين أو ثلاثا فرفع الحمار رأسه الى وقال لى يا أباسليمان انما القصاص يوم القيامة فان شئت فأقلل وان شئت فاكثر وهذا فيه زجر لمن يؤذى الدابة بالضرب أو الاحمال الثقيلة أو قلة العلف ونحو ذلك وأنه مسؤل عن ذلك يوم القيامة فليتق العبد ربه ويحسن كما أحسن الله اليه ويخاف من القصاص يوم القيامة بينه وبين البهائم اخوانى أطيعوا الله ولا تعصوه

سفيان الدخيل هو الصيف وروى سعيد بن المسيب وعلقمة بن أبى وقاص وجماعة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يسافر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فاقرع بينهن فى غزوة فخرج سهم عائشة فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما أنزل الحجاب وهى تحمل فى هودجها حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وقفل راجعا ودنا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقامت فمشت حتى جاوزت الجيش فلما قضت شأنها أقبلت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع أظفار كان معها لاختها اسماء قد انقطع فرجعت فى طلبه فحمل هودجها ظنا انها فيه وسار القوم فرجعت بعد ان وجدته فلم تر أحدا فيممت المكان الذى كانت فيه وقالت ان القوم سيفقدونى فيرجعون الى فبينما هى جالسة غلبتها عيناها فنامت وكان صفوان بن المعطل السلمى متأخرا وراء الجيش فمر بها فرأى سواد انسان نائم فأتاها فعرفها فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه ولم تسمع منه كلمة غير استرجاعه فأناخ راحلته ووطئ على يدها حتى ركبت وانطلق يقود بها الراحلة وهو موليها ظهره حتى أدرك بها الجيش بعد مانزلوا فرموها به وقال عبد الله بن أبى ابن سلول رئيس المنافقين والله مانجت منه وما نجا منها وشرع فى ذلك حسان بن ثابت ومسطح ابن أثاثة وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبد الله وغيرهم فلما قدمت المدينة اشتكت واقامت شهرا والناس يفيضون فى قول أهل الافك وهى لاتشعر بشئ من ذلك الا أنه كان يريبها فى وجعها أنها كانت لاتعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم التلطف الذى كانت تراه منه اذا اشتكت وانما كان يدخل عليها فيسلم ثم يقول كيف تيكم حتى خرجت مع أم مسطح قبل المناصع التى كن يتبرزن فيها اقربيا من البيوت وذلك قبل أن تتخذ الكنف فلما فرغا من شأنهما رجعا فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقالت لها عائشة بئسما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا قالت أى بنية ألم تسمعى ما قال قالت وماذاك فاخبرتها بقول أهل الافك فازدادت مرضا على مرضها فلما رجعت الى بيتها استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن تأتى أبويها وأرادت تيقن الخبر من قبلهما فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت اليهما وقالت لامها يا أماه وما الذى يتحدث الناس فقالت أى بنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها فقالت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا وبكت تلك الليلة حتى أصبحت وهى تبكى ودعا صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب واسامة بن زيد حين لبث شهرا لايوحى اليه فى شأنها يستشيرهما فى فراقها فاما اسامة فاشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يعلم من براءة أهله فقال يارسول الله هم أهلك ولا نعلم الاخيرا وأما على ابن أبى طالب فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسأل الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أى بريرة هل رأيت من شئ يريبك فقالت له والذى بعثك بالحق مارأيت عليها قط امرا أغمصه عليها أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتأتى الداجن فتأكله فانتهرها بعض أصحابه وقال لها أصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبحان الله والله ماعلمت عليها الا مايعلم الصائغ على تبر الذهب

فقام

* فعن وهب قال ان الرب عز وجل قال فى بعض ما يقول لبنى اسرائيل انى اذا أطعت رضيت واذا رضيت باركت وبركتى ليس لها نهاية واذا عصيت غضبت واذا غضبت لعنت ولعنتى تلحق السابع من الولد أى وذلك من شؤم المعصية *(نادرة)* حكى ان الخليفة هرون الرشيد رحمه الله حلف بالطلاق أنه من أهل الجنة فاجتمع اليه العلماء فما أفتاه أحد بذلك فدخل عليه ابن السماك

فقال يا أمير المؤمنين مالى أراك حزينا مهموما فقال من شأن كذا وكذا فقال ابن السماك أسألك عن شئ هل نويت معصية قط ثم تركتها خوفا من الله تعالى قال نعم قال يا أمير المؤمنين أنت من أهل الجنة فان الله تعالى يقول وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى *(حكاية)* تناسب ما تقدم قيل ان رجلا من بنى اسرائيل كان فاجرا مسرفا على نفسه لما ارتكب من الفواحش فأتى فى مسيره على بئر فاذا كلب يلهث من العطش فرق له ورثى له فنزل فى البئر ونزع خفه وسقى الكلب وأرواه فشكر الله عز وجل صنعه وغفر له وأوحى الله تعالى الى نبى ذلك الزمان بأن قل لذلك المسرف انى قد غفرت له جميع ما اقترف رحمته على خلق *(خاتمة المجلس)* روى ابن عساكر فى تاريخه عن بعض أصحاب الشبلى قال رأيت الشبلى فى النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك قال اوقفنى بين يديه الكريمتين وقال يا أبا بكر أتدرى بماذا غفرت لك فقلت بصالح عملى قال لا فقلت باخلاصى فى عبوديتى فقال لا فقلت بحجى وصومى وصلاتى فقال لم أغفر لك بذلك فقلت بهجرتى الى الصالحين وبادامة أسفارى وطلب العلوم فقال لا فقلت يارب هذه المنجيات التى كنت أعقد عليها حسن ظنى انك بها تعفو عنى قال كل هذه لم أغفر لك بها فقلت الهى فبماذا قال أتذكر حين تمشى على درب بغداد فوجدت هرة صغيرة قد أضعفها البرد وهى تنزوى الى جدار من شدة الثلج والبرد فأخذتها رحمة لها فأدخلتها فى فرو كان عليك وقاية لها من ألم البرد فقلت نعم قال برحمتك لتلك الهرة رحمتك اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين يارب العالمين *(المجلس الثامن عشر فى الحديث

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعد المنبر واستعذر من عبد الله بن أبى ابن سلول وقال يامعشر المسلمين من يعذرنى فى رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى فوالله ما علمت على أهل بيتى الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على أهلى الا معى فقام سعد بن معاذ الانصارى فقال انا اعذرك منه يارسول الله ان كان من الاوس قبيلتنا ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن أدركته الحمية فقال لسعد بن معاذ لعمرك لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ وقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت واشتد الامر على عائشة فاستأذنت عليها امرأة من الانصار فأذنت لها فجعلت تبكى معها فبينما هما على ذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يكن يجلس عندها منذ قيل فيها ما قيل فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد ياعائشة فانه قد بلغنى كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فقالت لابيها أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لامها أجيبى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة انى والله قد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم انى بريئة لا تصدقونى ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى بريئة صدقتمونى وانى والله لا أجد لى ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشها وما كانت تظن ان الله ينزل فى شأنها وحيا يتلى وانما كانت ترجو ان الله تعالى يرى نبيه فى المنام براءتها فما فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من البيت أحد حتى أنزل الله الوحى على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند نزول الوحى حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاتى من ثقل القول الذى أنزل عليه فلما سرى عنه صلى الله عليه وسلم اذا به يضحك فكان أول كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ابشرى ياعائشة فان الله قد برأك فقالت لها أمها قومى اليه فقالت والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله عز وجل الذى أنزل براءتى فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر آيات من سورة النور فقال ابو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا عدت أنفق عليه شيأ أبدا بعد أن قال فى عائشة ما قال فانزل الله عز وجل ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم فقال أبو بكر والله انى لاحب أن يغفر الله لى فاعاد الى مسطح النفقة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذين رموا عائشة فجلدوا الحدود جميعا ثمانين ثمانين *(تنبيه)* فى ضبط بعض ما تقدم قوله من جزع أظفار خرز ملون بفتح الجيم والزاى وقد تسكن وهو مضاف الى أظفار مدينة باليمن وقوله هودجها هو مركب من مراكب

الثامن عشر) ٭ الحمد لله الحليم الستار المتفضل بالعطاء المدرار النافذ قضاؤه بما تجرى به الاقدار يدنى ويبعد ويشقى ويسعد ويحط ويصعد وربك يخلق ما يشاء ويختار وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له مكور الليل على النهار وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار الشفيع (١٠٠) فيمن يصلى عليه من النار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما طلع فجر واستنار آمين (عن أبى ذر جندب بن جنادة الغفارى وأبى عبد الرحمن معاذ بن جبل رضى الله عنهما عن رسول صلى الله عليه وسلم أنه قال اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن رواه الترمذى وقال حديث حسن) وفى بعض النسخ حسن صحيح اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم اشتمل على ثلاثة أحكام حق الله وحق المكلف وحق العباد أما حق الله تعالى فحيثما كنت فاتقه فانه ناظر اليك ورقيب عليك وأما حق المكلف فهو محو الحسنة السيئة وأما حق العباد فهو معاشرتهم بخلق حسن كما سيأتى الكلام على ذلك كله (فائدة) جندب بفتح الدال وضمها وكسرها على قلة وجنادة بضم الجيم (موعظة) سئلت أم أبى ذر راوى هذا الحديث عن عبادته فقالت كان نهاره أجمع فى ناحية يتفكر ٭ وعن سفيان الثورى رضى الله عنه أنه قال قام أبو ذر رضى الله عنه فالتقاه الناس فقال أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه قالوا بلى قال فسفر القيامة أبعد مما تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وما يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور وصلوا ركعتين فى سواد الليل لوحشة القبور كلمة خير تقولها أو كلمة شر تسكت عنها الوقوف يوم عظيم تصدق بمالك لعلك تنجوا واجعل الدنيا مجلسين مجلسا فى طلب الحلال ومجلسا فى طلب الآخرة والثالث لا يضرك ولا ينفعك فلا ترده اجعل المال درهمين درهما تنفقه على عيالك فى حل ودرهما تقدمه لآخرتك والآخر لا يضرك ولا ينفعك فلا ترده فتأملوا هذه الموعظة العظيمة عن أبى ذر رضى الله عنه (موعظة

النساء يشبه القبة وقوله سواد انسان أى شخصه وقوله يفيضون أى يأخذون ويرفعون فى التحدث به ومنه حديث مستفاض وقوله الافك أى الكذب وقوله يريبها اى يشككها وقوله تيكم اشارة للمؤنث والخطاب للجماعة الحاضرين وقوله المناصع مواضع التبرز للحدث الواحد منصع وكانت المناصع خارج المدينة وهو صعيد فيح وقوله يتبرزن فيها المتبرز بفتح الراء موضع قضاء الحاجة وقوله وضيئة أى حسنة وقوله اغمصه أى أعيبها به والغمص العيب والطعن فى الناس وقوله الداجن وهو ما ألف البيوت من الحيوان كالشاة وقوله من يعذرنى أى من ينصرنى عليه والعاذر الناصر أى من يقوم بعذرى أن كافأته على سوء فعله وقوله ألممت بذنب أى قارفت ووقعت فيه وقوله من البرحاء أى شدة الحمى وقوله مثل الجمان هو بتخفيف الميم حبوب مدحرجة مثل اللؤلؤ تصنع من فضة وغيرها وقد سموا الدرجمانا وقوله فى اليوم الشاتى أى البارد اهـ وكانت عائشة رضى الله عنها صاحبة كرم وزهد قال عطاء بعث لها معاوية بطوق من ذهب فيه جوهر قيمته مائة ألف فقسمته بين أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وعن أم درة وكانت تغشى عائشة انه بعث اليها عبد الله بن الزبير بمال فى غرارتين قالت أراه ثمانين ومائة ألف فدعت بطبق وهى يومئذ صائمة فجلست تقسمه بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم فلما أمست قالت يا جارية هلمى بفطرى فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة ما استطعت مما قسمت اليوم ان تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لا تعنفينى لو كنت أذكرتنى لفعلت وعن عروة قال لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفا وهى ترقع درعها وعن عوف بن مالك أن عائشة أخبرت أن عبد الله بن الزبير قال فى بيع أو عطاء أعطته عائشة لتنتهين عائشة أو لاحجرن عليها فقالت أهو قال هذا قالوا نعم فنذرت أنها لا تكلمه أبدا فاشتاق ابن الزبير اليها حين طال تركها له فقالت والله لا أحنث فى نذرى فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الاسود وهما من بنى زهرة وقال أنشدكما الله الا ما أدخلتمانى على عائشة فانها لا يحل لها ان تنذر قطيعتى فأقبل به المسور بن مخرمة وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا عليها فقالا السلام عليك ورحمة الله وبركاته أندخل قالت عائشة ادخلوا قالوا كلنا قالت نعم ادخلوا كلكم ولا تعلم أن معهم ابن الزبير فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب وطفق يناشدها ويبكى وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها الا ما كلمته وقبلت منه ويقولان ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عما قد علمت من التهاجر وانه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال فلما أكثروا على عائشة من التذكرة طفقت تبكى وتقول انى نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت فى نذرها ذلك أربعين رقبة وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكى حتى تبل خمارها وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن عائشة كانت تصوم الدهر ولا تفطر الا يوم الاضحى ويوم الفطر وعن القاسم قال كنت اذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها فغدوت يوما فاذا هى قائمة تسبح وتقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتدعو وتبكى ترددها فقمت حتى مللت القيام فذهبت الى السوق لحاجتى ثم رجعت فاذا هى واقفة كما هى تصلى وتبكى وعن عامر أنها كتبت لمعاوية أما بعد فان العبد اذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاما

أخرى) روى عن أنس ابن مالك أن معاذ بن جبل رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف أصبحت قال أصبحت بالله مؤمنا قال ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول قال يا رسول الله ما أصبحت صباحا قط الا ظننت أنى لا أمسى وما أمسيت مساء قط الا ظننت أنى لا أصبح (١٠١) ولا خطوت خطوة الا ظننت انى لا أتبعها أخرى وكأنى أنظر الى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها ومعها نبيها وأوثانها التى كانت تعبدها من دون الله وكأنى أنظر الى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة قال قد عرفت فالزم ولنرجع الى الكلام على الحديث فنقول (قوله اتق الله حيثما كنت) سببه ان أبا ذر رضى الله عنه لما أسلم بمكة شرفها الله تعالى قال له النبى صلى الله عليه وسلم الحق بقومك رجاء أن ينفعهم الله بك فلما رأى حرصه على المقام معه بمكة وعلم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقدر على ذلك قال له اتق الله حيثما كنت الحديث فانه أولى لك من الاقامة بمكة وهو أمر لكل من يتأتى توجيه الامر اليه ليعم كل مأمور حتى لا يختص به مخاطب دون مخاطب ومعنى ذلك امتثل أيها المكلف أوامر الله واجتنب نواهيه فى كل مكان وأوان فانه معك أينما كنت وناظر اليك ومطلع عليك كما دلت عليه الآيات والاخبار واعلموا يا اخوانى ان التقوى كلمة وجيزة جامعة لكل خير جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أوصنى قال عليك بتقوى الله فانها جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله تعالى فانه نور لك فى الارض وذكر لك فى السماء واخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى الله عاش قويا وسار فى بلاده امنا وقال وهب رحمه الله الايمان عريان ولباسه التقوى وريشه الحياء ورأس ماله العفة وقال غيره من سره أن تدوم له العافية فليتق الله وقيل لبعض الصالحين عند موته أوصنا قال عليكم بآخر آية من سورة النحل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والآيات والاخبار فى التقوى كثيرة شهيرة

وعن أبى موسى أنه قال ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عنه عائشة الا وجدنا عندها منه علما وعن مسروق قال يحلف بالله لقد رأينا الاكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عائشة عن الفرائض وقال الزهرى لو جمع علم عائشة الى علم جميع أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وجميع النساء كان علم عائشة أكثر ولما مرضت جاءها ابن عباس يستأذن عليها فأخبرها بذلك ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقالت دعنى من ابن عباس فقال لها انه من صالحى بنيك جاء يسلم عليك ويودعك فقالت ائذن له ان شئت فلما جلس قال أبشرى فما بينك وبين أن تلقى محمدا صلى الله عليه وسلم والاحبة الا خروج الروح من الجسد كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ولم يكن يحب الا طيبا وسقطت قلادتك ليلة الابواء فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكانه والناس ليس معهم ماء فأنزل الله عز وجل فتيمموا صعيدا طيبا وكان ذلك بسببك وأنزل براءتك مع الروح الامين فأصبح ذلك يتلى فى مساجد الله فقالت دعنى منك يا ابن عباس والذى نفسى بيده لوددت انى كنت نسيا منسيا قال الواقدى توفيت عائشة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وهى ابنة ست وستين سنة وقال غيره توفيت سنة سبع وخمسين وأوصت أن تدفن بالبقيع مع صواحباتها وصلى عليها أبو هريرة وكان خليفة لمروان بن الحكم على المدينة حين خرج لحجه روى لها ألفا حديث وعشرة وقيل ألف وعشرة اتفقا منها على مائة وأربعة وسبعين وانفرد البخارى بأربعة وسبعين ومسلم بثمانية وستين (قالت) عائشة (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث) اى أنشأ واخترع من قبل نفسه أمرا احادثا وهو المسمى بالبدعة وهى لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق ومنه قوله تعالى بديع السموات والارض أى موجدها على غير مثال سبق وقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وتكون فى الخير والشر فمن الاول جمع القرآن فى المصاحف واخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ومن الثانى المكس ويقرب من ذلك قول من قال هى ما لم يقع فى زمنه صلى الله عليه وسلم سواء دل الشرع على حرمته كالمكوس والاشتغال بمذهب أهل البدع المخالفة لما عليه أهل السنة أو كراهته كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف والزيادة فى الذكر المحدود بعد الصلاة والاجتماع للدعاء يوم عرفة بغيرها وان استحبه جماعة أو وجوبه كالاشتغال بعلم العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة أو ندبه كصلاة التراويح جماعة واقامة صور الائمة والقضاة وولاة الامر بخلاف ما كان عليه الصحابة بسبب أن المصالح والمقاصد الشرعية لا تحصل الا بعظمة الولاة فى نفوس الناس وذلك فى زمان الصحابة انما كان بالدين وفيما بعدهم انما يعظمون بالصور فيطلب تفخيمها حتى تصلح المصالح وقد كان عمر رضى الله تعالى عنه يأكل خبز الشعير والملح ويفرض لعامله نصف الشاة فى كل يوم لعلمه بأن الحالة التى هو عليها لو عملها غيره لهان فى نفوس الناس ولم يحترموه وتجاسروا عليه بالمخالفة فاحتاج الى أن يضع غيره فى صورة تحفظ النظام ولذلك لما قدم الشام ووجد معاوية بن أبى سفيان قد اتخذ الحجاب والمراكب النفيسة والثياب الهائلة العلية وسلك مسالك الملوك فسأله رضى الله عنه عن ذلك فقال له انا بارض

نحن فيها محتاجون الى هذا فقال له لا آمرك ولا أنهاك ومعناه أنت اعلم بحالك هل أنت محتاج الى هذا فيكون حسنا أو غير محتاج أو اباحة كاتخاذ المناخل للدقيق ففي الآثار أول شئ أحدثه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاذ المناخل لان تليين العيش واصلاحه من المباحات فوسائله مباحة وكذا الأكل بالملاعق وقد حضر أبو يوسف صاحب الامام أبي حنيفة مائدة الخليفة هارون الرشيد فطلب الملاعق فقال له يا أمير المؤمنين قد قال جدك ابن عباس في قوله ولقد كرمنا بني آدم أي جعلنا لهم أصابع يأكلون بها ولم نجعلهم كالدواب تأكل بأفواهها فأبى أن يأكل الا بالملاعق هكذا ذكره بعضهم والذي في الكشاف عن نقل بعضهم أنه لما ذكر له أبو يوسف ما ذكره ابن عباس رد الملاعق وأكل بأصابعه وحينئذ فالبدعة تعتريها الاحكام الخمسة واليه ذهب ابن عبد السلام والقرافي وغيرهما وشرعا مالم يقع في زمنه صلى الله عليه وسلم ودل الشرع على حرمته وعليه فهي خاصة بالحادث المذموم ولما أراد علي رضي الله تعالى عنه لقاء الخوارج قال له مسافر بن عوف يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات تمضي من النهار فقال له علي رضي الله عنه ولم قال انك ان سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد وان سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت فقال علي رضي الله عنه ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده في كلام طويل يحتج فيه بآيات من التنزيل فمن صدقك في هذا القول لا آمن عليه أن يكون كمن اتخذ مع الله ندا أو ضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم قال له نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي نهيتنا عنها ثم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت ولأحرمنك العطاء ما كان لي من سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم وقتلهم وهي واقعة النهروان (في أمرنا) أي ديننا ويطلق الامر على القول كقوله تعالى في الكهف اذ يتنازعون بينهم أمرهم أي قولهم فيما بينهم وعلى العذاب كقوله تعالى في هود ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر يعني وجب عليهم العذاب وسوء الغرق وعلى فتح مكة كقوله في سورة براءة فتربصوا حتى يأتي الله بأمره يعني فتح مكة وعلى يوم القيامة كقوله تعالى أتى أمر الله يعني يوم القيامة وكقوله في الحديد حتى جاء أمر الله يعني يوم القيامة وعلى الوحي كقوله تعالى في الم تنزيل يدبر الامر من السماء الى الارض يعني ينزل الوحي من السماء الى الارض وعلى الخبر كقوله تعالى في سورة النساء واذا جاءهم أمر من الامن أي خبر ويطلق ويراد به الشأن كقوله تعالى وما أمر فرعون برشيد ويطلق ويراد به مصدر أمر وهذا يجمع على أوامر والذي بمعنى الشأن يجمع على أمور وعبر عن الدين بالامر لانه الامر المهتم بشأنه ومن ثم جاء في رواية ديننا وتفسيره لا للامر المقابل للنهي فانه اقتضاء فعل غير كف مدلول عليه أي على الكف بغير لفظ نحو كف فقوله اقتضاء أي طلب وهو يتناول الطلب الجازم وغيره اذا كان غير كف وكذا اذا كان كفا مدلولا عليه بكف ومرادفه كاترك وذر ودع

(نكتة) في بستان العارفين للنووي رحمه الله ان داود عليه السلام قال يارب كن لابني سليمان كما كنت لي فأوحى الله اليه قل لابنك يكون لي كما كنت لي أكون له كما كنت لك (نكتة أخرى) قال مجاهد رحمه الله رأيت الكعبة في النوم تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وتقول يا محمد لئن لم تنه (١٠٢) أمتك عن المعاصي لانتفضن حتى لا يبقى حجر على حجر ومعنى التقوى امتثال الاوامر واجتناب النواهي وقال بعضهم ان اردت ان تعصيه فاعصه حيث لا يراك أو اخرج من داره أو كل من غير رزقه قال العلماء رضي الله عنهم فاذا اتقى الشخص الله تعالى وفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه فقد أتى بجميع وظائف التكليف قال الله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر وقال الله تعالى الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون الآية فمن اتقى الله بما في الآية الاولى من الايمان والاسلام فهو متق والمتقي ولي الله ومن اتقى بما في الآية الثانية فهو ولي الله ولتقوى الله تعالى فوائد كثيرة منها الحفظ والحراسة من الاعداء لقوله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ ومنها التأييد والنصر لقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ومنها النجاة من الشدائد والرزق الحلال لقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومنها اصلاح العمل وغفران الذنوب لقوله تعالى اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومنها النور لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ومنها المحبة لقوله تعالى ان الله يحب المتقين ومنها الاكرام لقوله تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم ومنها البشارة عند الموت لقوله تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ومنها النجاة من النار لقوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ومنها الخلود في الجنة لقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم

بخلاف

بخلاف الكف المدلول عليه بغير ذلك كلا تفعل فانه نهي وعرفوه بأنه اقتضاء كف عن فعل لا بقول كف ونحوه (هذا) اشارة الى جلالته رمز يدر رفعته وعظمته على حد ذلك الكتاب وان اختلفا في اداة الاشارة اذ ذاك أدل على ذلك من هذا او الى احضاره في ذهن السامع كأنه يخبره مشاهدا له ليتميز عنده أكمل تمييز ولهذا أتى بما يشار به للقريب بيانا لحالة في القرب (ما ليس منه) أي ما ليس له فيه مستند من الكتاب والسنة سواء كان قوليا أو فعليا أو اعتقاديا (فهو رد) أي مردود على فاعله لبطلانه من اطلاق المصدر على اسم المفعول كخلق ومخلوق ونسج ومنسوج ومنه قول بعضهم أنت رجائي أي مرجوي وكأنه قال فهو غير معتد به ولا معول عليه وهو عام مخصوص بالحادث الذي دل الشرع على حرمته لكن يقيد بما اذا كانت حرمته لذاته كصلاة من غير ركوع أو لخارج عنه لازم كصلاة بلا طهارة وأما لو كانت الحرمة لخارج عنه غير لازم كصلاة في أرض مغصوبة فلا تكون باطلة وقوله فهو أي المحدث بالفتح ويصح الكسر ويكون راجعا لمن أي ناقص مطرود وانظر هل يجري هنا ما قيل في زيد عدل من كونه على حذف مضاف أو أنه على وجه المبالغة قال أبو العباس الابياني من علماء الاندلس ثلاث لو كتبن على الظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة اتبع ولا تبتدع اتضع ولا ترتفع من ورع لا يتسع وروى الديلمي عن ابن مسعود عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وروى ابن ماجه عن حذيفة مرفوعا لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوما ولا صدقة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الدين كما تخرج الشعرة من العجين وروى الخطيب والديلمي عن أنس اذا مات صاحب بدعة فقد فتح في الاسلام فتح وروى الطبراني عن عبد الله بن بشير من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام وقال أبو عثمان الحيري من صح ايمانه يهدي الله قلبه لاتباع السنة وقال سهل بن عبد الله من داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ويحكى عن أحمد بن حنبل أنه قال كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء فاستعملت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر فلم أتجرد فرأيت تلك الليلة في المنام قائلا يقول أبشر يا أحمد فان الله غفر لك باستعمال السنة فقلت من أنت فقال جبريل وقد جعلك الله اماما يقتدى بك (رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم) في صحيحه (من عمل عملا) أحدثه هو أو أحدثه غيره فعمل به فهو أعم من الاول وفي رواية للبخاري من فعل أمرا (ليس عليه أمرنا) أي حكمنا واذننا (فهو رد) أي مردود عليه وان لم يكن هو المحدث له وقيل اماتة بدعة خير من احياء سنة لان البدعة اذا استمرت صارت سنة وقال صلى الله عليه وسلم من أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن أحب صاحب بدعة لم يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر وكان الامام مالك رضي الله عنه كثيرا ما ينشد هذا البيت

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر الأمور المحدثات البدائع

(الحديث السادس عن أبي عبد الله النعمان بن بشير) بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام كما ضبطه ابن ماكولا

وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ورحم الله القائل

من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقي

(وقال آخر)

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أراده
يقول المرء فائدتي ومالي * وتقوى الله أفضل ما استفاده

(حكاية) ركب قوم (١٠٣) سفينة فظهر لهم شخص على وجه الماء وقال لهم معي كلمة أبيعها بألف دينار فقال أحدهم هذه ألف دينار فقال اطرحها في البحر فطرحها فقال قل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الآية فقال له احفظها حفظا جيدا فلما حفظها انكسر المركب وبقي الرجل على لوح يقرأ هذه الآية فرماه الموج في جزيرة فوجد فيها امرأة جميلة فسألها عن أمرها فقالت أنا من بلد كذا وكذا وكل يوم يطلع من البحر جني في وقت كذا فيراودني عن نفسي فيحفظني الله منه فقال اجعليني في مكان أراه ولا يراني ففعلت فلما طلع الجني من البحر ورآه قرأ الآية فالتهب نارا ففرحت المرأة بذلك ثم أخذت بيد الرجل الى كهف فيه من الجواهر واللؤلؤ شئ كثير فرت بهما سفينة فأشارا اليها فقصدهما أهلها وأخذ كل واحد من الجوهر واللؤلؤ ما لا يعلمه الا الله (قوله وأتبع السيئة الحسنة تمحها) المراد بالحسنة الصلوات الخمس قال الله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات نزلت في رجل قبل امرأة أجنبية وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شئ قالوا لا يبقى من درنه شئ قال كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا أخرجه الائمة وفي الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قال من توضأ وضوئي هذا ثم صلى الظهر غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة الصبح ثم صلى العصر غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة الظهر ثم صلى المغرب غفر له

ماتقدم بينها وبين صلاة العصر ثم صلى العشاء غفرله ماتقدم بينهاو بين صلاة المغرب ثم لعله أن يبيت ليلته يتمرغ ثم ان قام فتوضأ
وصلى الصبح غفرله مابينهاو بين صلاة العشاء وعن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه قال بينمارسول الله صلى الله عليه وسلم في
لمسجد ونحن قعود معه اذجاءه رجل (١٠٤) فقال يارسول الله انى أصبت حدّا فأقمه على فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم عاد فقال يارسول الله انى
أصبت حدّا فأقمه على فسكت
عنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم عاد الثالثة فسكت عنه
فأقيمت الصلاة فلما انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أبو أمامة تبع الرجل رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين
انصرف وتبعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنظر ماذا يرد
على الرجل فلحق الرجل برسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال
يارسول الله انى أصبت حدّا فأقمه
علىّ فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتوضأت فأحسنت
الوضوء قال بلى يارسول الله قال
ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم
يارسول الله فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى
قد غفرلك حدّك أوقال ذنبك
فتبين من هذه الاحاديث
الشريفة ان الحسنات هى
الصلوات الخمس والسيئات هى
الصغائر من الذنوب ويجوز أن
تكون الحسنة مطلقا والمحو على
حقيقته كما هو ظاهر الحديث
وفضل الله تعالى واسع وخبر أبى
أمامة المذكور يؤيد ذلك وقد
قيل ان الحسنات هى سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم قال الامام القشيري رحمه
الله ينبغى للعبد أن يستغرق
جميع الاوقات بالعبادات فان اخلاء لحظة من الزمان من فرض يؤديه المرء أو نفل يأتى به حسرة عظيمة وخسران
مبين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين وقال السلمى قال الواسطى أنوار الطاعات يذهبن ظلم المعاصى وقال أهل
الحقائق حسنات الندم تذهب سيئات الخدم وقال بعضهم انسكاب العبرة يذهب سيئات العثرة وقال بعضهم حسنات الاستغفار

وضبطه المقدسى وغيره بضم الجيم وتخفيف اللام ابن كعب بن الحرث بن الخزرج الانصارى
ولد على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة على الاصح وهو أول مولود ولد للانصار بعد
الهجرة كما أن عبد الله بن الزبير المولود معه فى عامه أول مولود للمهاجرين قبل مات النبي
صلى الله عليه وسلم وللنعمان ثمان سنين وسبعة أشهر وهذا يقتضى صحة تحمل الصبى المميز
وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة سكن الكوفة وكان واليا عليها زمن
معاوية بن أبى سفيان وكان استعمله على حمص قبلها ولما مات معاوية استعمله يزيد عليها
فلما مات يزيد غزون أهلها فدعا ابن الزبير فخالفوه وأرادوا قتله فخرج هاربا فاتبعه خالد
الكلاعى فقتله بقرية من قراها يقال لها حرب نيسان غيلة سنة خمس وستين وقيل أربع
وستين وقيل ست وستين وله أربع وستون وهو صحابى ابن صحابى ابن صحابية وأبو بشير هو
القائل يارسول الله علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك اذ نحن صلينا عليك فقال
قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى
ال ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد وليس فى الصحابة من اسمه النعمان بن بشير غير هذا وفيهم
النعمان جماعات فوق الثلاثين روى له مائة حديث وأربعة عشر حديثا اتفقا منها على
عشرة وانفرد البخارى بحديث ومسلم باربعة وروى عنه ابنه محمد وحميد بن عبد الرحمن
والشعبى وسالم بن أبى الجعد وسماك بن حرب وعمير ولم ينفرد برواية هذا الحديث بل رواه أيضا
سبعة من أكابر الصحابة رضى الله عنهم (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم) فيه رد
على من قال انه لم يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم وقد وقع فى رواية مسلم والاسماعيلى من
طريق زكريا وأهوى النعمان باصبعيه الى أذنيه وهو اشارة الى تأكيد التصريح بالسماع
(يقول ان الحلال) هو كالحل ما انحلت عنه التبعات ضد الحرام وهو من باب ضرب يضرب
وأما الحلل بالمكان فهو من باب نصر ينصر (بين) أى ظاهر متضح لا يخفى حله كأكل الخبز
والفواكه والكلام والمشى وغير ذلك واعلم ان أخذ المال اما أن يكون باختيار المكلف أو
بغير اختياره كالارث والذى باختياره اما أن يكون من غير مالك كالاشياء المباحة التى لم
يسبق عليها ملك أو يكون من مالك والذى يؤخذ من مالك اما أن يؤخذ كرها أو تراضيا
والمأخوذ كرها اما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم والاستحقاق للآخذ كالزكاة
من الممتنعين ومن المأخوذ كرها النفقات الواجبات والمأخوذ تراضيا اما بعوض كالبيع
والصداق واما بغير عوض كالهبة والصدقة وجميع هذه الاقسام حلال اذا روعيت شروط
الشرع فى تحصيلها ثم ان الحلال فسره الامام مالك والشافعى بما لم يرد بتحريمه دليل وأبو
حنيفة بما دل دليل على حله وثمرة الخلاف تظهر فى المسكوت الذى جهل أصله فعند مالك
والشافعى هو من الحلال اذ هو الاشبه بيسر الدين وعند الحنفى من الحرام ويعضد الاول
قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرما الآية وقوله فى رواية البخارى وسكت عن أشياء رحمة لكم
غير نسيان فلا تبحثوا عنها (وان الحرام) وفى رواية الطبرانى حلال بين وحرام بين بالتنكير
وسوغ الابتداء فيه بالنكرة أنه خبر لمبتدا محذوف تقديره الاشياء حلال بين وحرام (بين)
أى ظاهر منكشف وهو ما منع منه شرعا اما لصفة فى ذاته ظاهرة كالسم والخمر أو خفية
كالزنا

تذهب سيئات الاصرار وقيل غير ذلك (تنبيه) قال السلمى رحمه الله تعالى ما آخذ الله أحدا الا بذنوبه فمن لزم الصلاح والطاعة
وقاه الله تعالى الآفات ومكاره الدارين ولذلك قال الله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون والاصلاح هو الرجوع
الى الله والتضرع والابتهال اليه فى كل وقت ولحظة ونفس وقال شقيق الصلاح (١٠٥) ثلاثة أشياء أكل الحلال واتباع
السنن ومخالفة الهوى وقال
القشيرى ان الله سبحانه وتعالى
من كرمه لم يهلك من كان مصلحا
وانما أهلك من كان ظالما (قوله
وخالق الناس بخلق حسن) أى
عاشرهم بخلق حسن وهو أن
تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به
من كف الاذى وطلاقة الوجه
وما أشبه ذلك لتجلب القلوب
وتكمل المحبة وذلك جماع الخير
وملاك الامر وجاء فى حسن الخلق
اخبار وآثار كثيرة سنذكر منها
جملة فيما سيأتى ان شاء الله تعالى
وهو من شيم النبيين والمرسلين
وخواص المؤمنين ويكفى فى ذلك
مدح البارى سبحانه وتعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله
وانك لعلى خلق عظيم
(خاتمة المجلس) كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم شديد اللطف
بالنساء وقال أيما رجل صبر على
سوء خلق امرأته أعطاه الله من
الاجر مثل ما أعطى أيوب عليه
السلام فى بلائه وأيما امرأة صبرت
على سوء خلق زوجها أعطاها
الله من الاجر مثل ما أعطى آسية
بنت مزاحم امرأة فرعون (حكى)
أن رجلا جاء الى عمر رضى الله
عنه يشكو اليه خلق زوجته
فوقف بيابه ينتظر فسمع امرأته
تستطيل عليه بلسانها وهو
ساكت لا يرد عليها فانصرف
الرجل قائلا اذا كان هذا حال
أمير المؤمنين فكيف حالى فخرج عمر فرآه موليا فناداه ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين جئت
اشكو اليك خلق زوجتى واستطالتها على فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف
حالى فقال له عمر انى احتملتها لحقوق لها على انها طباخة لطعامى خبازة لخبزى غسالة لثيابى مرضعة لولدى وليس ذلك بواجب

كالزنا ومذكى المجوس واما الحلل فى تحصيله كالربا والغصب والسرقة (وبينهما أمور)
أى شؤن وأحوال (مشتبهات) جمع مشتبهة وهو ما ليس بواضح الحل ولا الحرمة وقد اختلف
فيها على أقوال الاول ما اختلف فيه العلماء كالخيل فانها محرمة عند مالك لان لام العلة فى
قوله لتركبوها وزينة تفيد الحصر عنده ومباحة عند غيره الثانى المكروه وبه قال
الماوردى لانه عقبة بين الحلال والحرام فالورع تركه الثالث معاملة الانسان من فى ماله
شبهة أو خالطه حرام وبه قال الخطابى ومثل ذلك من أراد شراء شئ فقال له صاحبه قبل
الشراء ذقه لان اذنه له بذلك لاجل الشراء وربما لا يقع بينهما بيع وكذا اذا وجد فى بيته
مالا لا يدرى أهو له أو لغيره قال فى حياة الحيوان قيل اختلط غنم البادية بغنم الكوفة فسأل
أبو حنيفة رحمه الله كم تعيش الشاه فقيل له سبع سنين فترك أكل لحم الغنم سبع سنين
الرابع ما لم يرد فيه نص من الشارع بتحليل ولا تحريم كنبات غير مألوف لم تعرف العرب هل
هو مضر أم لا قال فى مختصر احياء علوم الدين ومن جملة المتشابه ان يكون الشئ مما قد اشترى
فى الذمة ولكن قضى ثمنه من مال حرام الا ان يكون تسلم الطعام قبل دفع ثمنه بطيب قلب
وأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال بالاجماع ولا ينقلب باداء المال فى مقابلته من الحرام
حراما بل غايته انه لا تبرأ ذمته فكأنه لم يقض الثمن فلا يحرم ما أكل وان أبرأ ذمته مع العلم
بكون الثمن حراما فهو براءة الذمة والحل انتهى ومحصله ان الاقسام أربعة فان اشتراه فى
الذمة ودفع الثمن قبل أن يسلم اليه فهو من المتشابه لان الذمة لم تبرأ بدفع الثمن وان سلم له
الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلب وانشراح صدر وأكله قبل دفع الثمن أيضا فهو حلال
وان أبرأ ذمته فى القسمين مع العلم بكون الثمن حراما فهو يوجب براءة الذمة من الثمن
وحلية الشئ المشترى انتهى وأفضل كسب الرجل ما أكل من زراعته ثم صناعته ثم تجارته
وقد ورد ان آدم كان زراعا وان ادريس كان خياطا وان نوحا كان نجارا وان ابراهيم كان
بزازا وان من الانبياء من رعى الغنم بالاجرة الى غير ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما أكل أحد
طعاما خيرا من ان يأكل من عمل يده وكان داود لا يأكل الا من عمل يده وقوله مشتبهات
بضم الميم وسكون الشين المعجمة وفتح المثناة الفوقية وكسر الباء الموحدة على وزن مفتعلات
كذا عند مسلم والبخارى فى رواية الاصيلى وهو رواية ابن ماجه وفى رواية الطبرانى
متشبهات بفتح التاء والشين وتشديد الباء الموحدة المكسورة وفى رواية السمرقندى
مشبهات بفتح الشين وفتح الباء الموحدة المشددة وفى رواية بكسرها على صيغة اسم الفاعل
أى مشبهات أنفسها بالحلال واسناد ذلك اليها مجاز وفى رواية بضم الميم وسكون الشين
وكسر الباء الموحدة المخففة ومعناها كالثالثة الا أن هذه من باب الافعال وتلك من باب
التفعيل وعند الدارمى متشابهات وفى رواية للبخارى بالافراد وفى رواية لابى داود مشتبهة
بالافراد أيضا فهذه ثمان روايات قال العراقى والمشهورة الرواية الاولى قال الخطابى معنى
مشتبهات أى تشتبه على بعض الناس دون بعض لا انها فى نفسها مشتبهة على كل الناس
لا بيان لها بل العلماء يعرفونها لان الله تعالى جعل عليها دلائل يعرفها بها أهل العلم ولذا قال
(لا يعلمهن) لفظ ابن ماجه لا يعلمها وهو أرجح عند أهل العربية لان الاولى فى جمع ما لا يعقل

عليها ولم يسكن قلبى بها عن الحرام فأنا أحملها اذلك فقال الرجل يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتى فقال فاحملها يا أخى فانما هى مدة يسيرة فانظروا اخوانى الى حسن هذا الخلق اللهم حسن أخلاقنا ووسع علينا أرزاقنا يا كريم (المجلس التاسع عشر فى الحديث التاسع عشر) * الحمد لله غافر الذنب (١٠٦) وان تكاثرت الذنوب قابل التوبة لمن يتوب شديد العقاب عند قسوة القلوب

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له جابر الكسير وميسر العسير ومفرج الكروب وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أطلعه الله تعالى على أسرار الغيوب وملكه زمام الدنيا والآخرة فهو أعظم مخلوق وأشرف محبوب صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه من الشروق الى الغروب آمين (عن أبى العباس عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام انى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعت على أن يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رواه الترمذى وقال حديث حسن وفى رواية غير الترمذى احفظ الله تجده أمامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم الموقع وأصل كبير فى رعاية حقوق الله تعالى والتفويض لامره (قوله يعنى ابن عباس رضى الله عنهما كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم) أى على دابة كما فى رواية ففيه جواز الارداف على الدابة ان أطاقته (قوله يوما) أى فى يوم (قوله فقال لى يا غلام) هو الصبى من حين

سبحان

أن يعامل معاملة المؤنث (كثير من الناس) أى لا يعلم حكمهن من التحليل والتحريم والا فالذى يعلم الشبهة يعلمها من حيث انها مشكلة ووقع فى رواية البخارى لا يعلمها أى لا يعلم حكمها وجاء ذلك أى مفسرا فى رواية الترمذى ولفظه لا يدرى كثير من الناس أمن الحلال هى أم من الحرام وقوله لا يعلمهن كثير الخ أى ويعلمهن قليل (فمن اتقى) من التقوى وهى لغة قلة الكلام والحاجز بين الشيئين واصطلاحا التحرز بطاعة الله عن مخالفته وامتثال أمره واجتناب نهيه هذا غير منفك عما قبله كما ان ما قبله كذلك فالاقتصار على أحدهما كاف وأصل اتقى اوتقى لانه من وقى وقاية فقلبت الواو تاء وادغمت التاء فى التاء وعدل عن ترك الى اتقى ليفيد أن تركها انما يعتد به اذا خلا عن نحو رياء وسمعة (الشبهات) بدون الميم مع ضم الشين والباء كذا عند مسلم والبخارى جمع شبهة وهى ما يخيل للناظر انه حجة وليس كذلك والمراد بها هنا المشتبه وفى رواية غير الاسماعيلى المشتبهات بالميم والاختلاف فى لفظها من الرواة كالتى سلفت وهى من وضع الظاهر موضع المضمر تفخيما لشأن اجتنابها والحذر منها (فقد استبرأ) بالهمز وقد يخفف والسين للمبالغة أى بالغ فى البراءة كما فى قوله تعالى فمن كان غنيا فليستعفف أو للتأكيد كما فى قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم من قولهم استبرأ الجارية اذا علم براءة رحمها من الحمل فأطلق العلم بالحصول وأراد الحصول (لدينه) مما يشينه (وعرضه) من الطعن فيه وهو فى الاصل رائحة الجسد وغيره طيبة كانت أو منتنة يقال طيب العرض ومنتن العرض وسقى خبيث العرض اذا كان منتنا والعرض أيضا الجسد وفى صفة أهل الجنة انما هو عرق يسيل من أعراضهم أى من أجسادهم وأما فى الاصطلاح فهو كما فى النهاية موضع المدح والذم من الانسان سواء كان فى نفسه أو سلفه أو أهله ولما كان موضعه النفس حمل عليها اطلاقا للحال على المحل قال الشاعر

صن العرض وابذل كل مال ملكته * فان ابتذال المال للعرض أصون

ولا تطلقن منك اللسان بسوأة * فعندك عورات وللناس ألسن

وعينك ان أهدت اليك معائبا * لقوم فقل يا عين للناس أعين

وأشار فى الحديث بالاول الى ما يتعلق بالحق وبالثانى الى ما يتعلق بالخلق وقدم على عمر رضى الله تعالى عنه مسك وعنبر من البحرين فقال والله لوددت انى وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لى هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة أنا جيدة الوزن فأنا أزن لك قال لا فقالت لم قال لانى أخشى ان تأخذيه فتجعليه هكذا وأدخل أصابعه فى صدغيه وتمسحين به فى عنقك فأصيب فضلا من المسلمين وعن الفضيل انه كانت له شاة فأكلت شيأ يسيرا من علف لبعض الامراء فلم يشرب من لبنها من بعد ذلك حكاه فى الحدائق وقيل لابراهيم بن أدهم الا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لى دلو لشربت وهو اشارة الى ان الدلو من مال السلطان فهو من المشتبه وقال ابن المبارك لأن أرد درهما من شبهة خير من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف ومائة ألف وقد جاء فى الاثر من وقف موقف تهمة فلا يأمن من اساءة الظن به ولهذا الامام المصطفى صلى الله عليه وسلم ومعه امرأته صفية فرآه رجلان فأسرعا فقال لهما على رسلكما انها صفية بنت حيى خوفا عليهما أن يظنا به شيأ فيهلكا فقالا

يفطم الى تسع سنين وكان سنه اذ ذاك تسع سنين (قوله صلى الله عليه وسلم انى أعلمك كلمات) أى ينفعك الله بهن كما فى رواية أخرى أى تتعلمهن وتعلمهن وهى ان كانت قليلة فمعانيها كثيرة جليلة (قوله احفظ الله) أى احفظ الله بحفظ فرائضه وحدوده وملازمة تقواه واجتناب نواهيه وما لا يرضاه (يحفظك) فى نفسك (١٠٧) وأهلك ودنياك ودينك لاسيما عند الموت اذ

الجزاء من جنس العمل ومنه فاذكرونى أذكركم ان تنصروا الله ينصركم وقد مدح الله تعالى الحافظين لحدوده فقال تعالى هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ (قوله احفظ الله تجده تجاهك) أى احفظ الله وكن ممن خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب تجده تجاهك أى أمامك أى تجده معك بالحفظ والاحاطة والتأييد والاعانة حيثما كنت فتستأنس به وتستغنى به عن خلقه وخص الامام من بين الجهات الست اشعارا بشرف المقصد وبان الانسان مسافر الى الآخرة غير مقيم فى الدنيا والمسافر انما يطلب أمامه لا غير والمعنى تجده حيثما توجهت وتيممت وقصدت من أمر الدنيا والدين (قوله اذا سألت فاسأل الله) أى اذا أردت سؤال شئ فاسأل الله أن يعطيك اياه ولا تسأل غيره فان خزائن الجود بيده وأزمتها اليه اذ لا قادر ولا معطى ولا متفضل غيره فهو أحق أن يقصد سيما وقد قسم الرزق وقدره لكل أحد بحسب ما أراده له لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص بحسب علمه القديم الازلى وان كان يقع فى ذلك تبديل فى اللوح المحفوظ بحسب تعليق على شرط ومن ثم كان للسؤال فائدة لاحتمال أن يكون اعطاء المسؤول معلقا على سؤاله روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الروح الامين ألقى فى روعى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب أى طلب الحلال بجميل النظر لذلك لا فائدة فى سؤال الخلق مع التعويل عليهم فان قلوبهم كلها بيد الله يصرفها على حسب ارادته فوجب أن لا يعتمد فى أمر من الامور الا عليه فانه المعطى

سبحان الله فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وقد خشيت أن يقذف فى قلبكما شرا وكذا المار أى تمرة ملقاة قال لولا أخشى انها صدقة لاكلتها وفى عطف العرض على الدين دليل على ان طلب براءته مطلوب ممدوح كطلب براءة الدين ومن ثم ورد ما وقى به العرض صدقة وعلى طلب نزاهته مما يظنه الناس شبهة ولو ممن علم عدمها فى نفس الامر ومن ثم لما خرج أنس لصلاة الجمعة فرأى الناس راجعين منها فدخل محلا لا يرونه وقال من لا يستحى من الناس لا يستحى من الله ولو أمره أحد أبويه بأخذ أو أكل شبهة فقال أحمد لا يطيعهما وتوقف آخرون وقال بعض السلف يطيعهما وتوقف آخرون وقال شارح المشكاة الذى يتجه ان الشبهة ان خفت ولم يكن على الولد فى ذلك ضرر وكان ان لم يفعل ذلك تأذى الوالد أذى ليس بالهين جاز والا فلا ثم ان متعاطى الحلال الصرف الذى لم يخالطه شبهة من جملة الذين لم تسلط الارض على أجسامهم وقد ذكرناهم فى شرح المقدمة العشماوية فى أول باب الجنائز (ومن وقع فى الشبهات) فيه من اختلاف الرواة ما تقدم (وقع فى الحرام) المحض ويحتمل معنيين أحدهما من أكثر من تعاطى الشبهات صادف الحرام وهو لا يشعر به والثانى انه يعتاد التساهل ويتمرن عليه ويجسر على شبهة ثم أخرى أغلظ منها وهكذا حتى يقع فى الحرام عمدا ومن ثم قيل الصغيرة تجر الكبيرة وهى تجر للكفر ولذا قال تعالى وقتلهم الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا أى تدرجوا بالمعاصى الى قتلهم فيتدرج من درجة الى أخرى بالتساهل والتسمح ومنه تلك حدود الله فلا تقربوها نهى عن المقاربة حذرا من المواقعة وقليل الشرب يدعو الى كثيره والخلوة بالاجنبية تدعو الى الفجور والقبلة للصائم تدعو الى الوطء وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده أى يتدرج بذلك الى نصاب السرقة فتقطع يده وقال هشام كنت أمشى خلف العلاء فيتوقى الطين فدفعه انسان فوقعت رجله فى الطين فخاضه فلما وصل الى الباب قال لى رأيت يا هشام قلت نعم قال كذلك المرء المسلم يتوقى الذنوب فاذا وقع فيها خاضها وقوله وقع فى الحرام أى سقط فيه لان الوقوع فى الشئ السقوط فيه وكل سقوط شديد يعبر عنه بذلك وانما قال هنا وقع دون يوشك ان يقع على وزن قوله يوشك ان يرتع اما تحقيقا للوقوع واما لان حمى الاملاك حدوده محسوسة يدركها كل ذى بصر فيجوز أن يتحرز عنها الا ان تغلبه الدابة الجموح وأما حمى الله فهو معقول لا يدركه الا ذوو البصائر فربما يحسب الشخص انه يرتع حول الحمى فاذا هو فى وسط محارمه وما أورده المؤلف هنا من ثبوت جواب الشرط هو رواية مسلم وأما فى رواية البخارى فمحذوف حيث قال ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك ان يواقعه وحينئذ فمن فيها موصولة والتقدير والذى وقع فى الشبهات مثل راع يرعى (كالراعى) لفظ رواية البخارى كراع (يرعى) الماشية (حول الحمى) بكسر الحاء وفتح الميم المخففة أى المحمى فأطلق المصدر على اسم المفعول كذا قيل وفيه نظر لانه مصدر حمى يحمى حماية وحينئذ فهو اسم مصدر والحمى هو المكان المحظور على غير مالكه بان يمنع الامام أو نائبه من رعى مكان لاجل مواشى الصدقة أو خيل المجاهدين ووجه التشبيه ان الراعى اذا جره رعيه حول الحمى الى وقوعه فى الحمى استحق العقاب فكذلك من أكثر الشبهات حتى

المانع لامانع لما أعطى ولامعطى لما منع ألا له الخلق والامر وبيده النفع والضر وهو على كل شئ قدير وقد جاء فى الحديث من لم يسأل الله يغضب عليه فليسأل أحدكم ربه حاجته حتى شسع نعله اذا انقطع وأخرج المحاملى وغيره قال الله تعالى من ذا الذى دعانى فلم أجبه وسألنى فلم أعطه واستغفرنى فلم أغفرله وأنا أرحم الراحمين وفى الحديث ان الله يحب الملحين فى الدعاء أى والمخلوق يغضب وينفر عند تكرار السؤال وقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام ياموسى سلنى فى دعائك وحاء فى صلاتك حتى ملح عجينك وأنشدوا

لا تسألن بنى آدم حاجة
وسل الذى أبوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله
وبنى آدم حين يسئل يغضب

فشتان مابين هذين وسحقا لمن تعلق بالاثر وأعرض عن العين (موعظة) سأل رجل الامام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه أن يعظه فقال الامام ان كان الله تعالى تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان كان الخلف على الله فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل شئ بقضائه وقدره فالحزن لماذا (قوله واذا استعنت فاستعن بالله) أى اذا طلبت الاعانة على أمر من أمور الدنيا او الآخرة فاستعن بالله لانه القادر على كل شئ وغيره عاجز عن كل شئ حتى عن جلب مصالح نفسه ودفع مضارها كتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز لا تستعن بغير الله يكلك الله اليه وما أحسن قول الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لجبريل لما قال له ألك حاجة حين ألقى فى النار قال أما اليك فلا قال سل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فان قوله يتضمن ان المنجى من الشدائد والمعطى للسؤال هو الله تعالى دون غيره (قوله واعلم بأن الامة) أى سائر المخلوقين (لو اجتمعت) أى كلها (على أن ينفعوك بشئ) أى من خيرى الدنيا والآخرة (لم ينفعوك) أى بشئ من الاشياء

وقع فى الحرام فانه يستحق العقاب بسبب ذلك فالرب جل جلاله حمى محارمه كالجرائم على النفس والمال والعرض ومطلق المحارم وقد حرم ابراهيم مكة والشارع المدينة وحمى عمر السرف والربذة (يوشك) بضم الياء وكسر الشين المعجمة من أفعال المقاربة العشرة أى يقرب ويقال فى ماضيه أوشك ومن أنكر استعماله ماضيا فقد غلط ويستعمل منه اسم فاعل فيقال موشك الا انه نادر (أن يرتع) بفتح التاء فيه وفى ماضيه وأصله الاقامة والبسط فى الاكل والشرب ومنه قول اخوة يوسف نرتع ونلعب أى نتنعم ونلهو ومن قرأ نرتع بضم النون وكسر التاء معناه نرتع ابلنا (فيه) أى تأكل ماشيته منه (ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح ومثلها أما فان وقعت أن بعد ألا هذه كانت مكسورة لا غير نحو قوله تعالى ألا انهم هم المفسدون وان وقعت بعد أما كان فيها الكسر والفتح تقول أما ان زيدا قائم بكسر ان وفتحها وكذلك اذا وقعت بعد اذا على ما تقرر فى علم العربية وألا يدل على تحقيق مابعده وتدخل على الجملتين نحو ألا انهم هم السفهاء ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وافادتها للتحقيق من جهة تركيبها مع همزة الاستفهام ولا النافية وهمزة الاستفهام اذا دخلت على النفى أفادت التحقيق نحو أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى قال الزمخشرى ولكونها بهذا المنصب لا تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم نحو ألا ان أولياء الله (وان لكل ملك) من ملوك العرب (حمى) يحميه عن الناس ويمنعهم من دخوله فمن دخله أوقع به العقوبة ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفا من الوقوع فيه وقد كان كليب اذا امرعى وأعجبه حماه وعلامة ذلك أن يأخذ جروا فيقطع أذنه وذنبه ويتركه فى ذلك المكان ينبح فاذا سمعت العرب نباحه تجنبت ذلك المرعى وقيل انه كان يعمد الى الروضة فاذا أعجبته كتع قوائم كلبه وألقاه فى وسطها فحيث بلغ عواء الكلب كان حمى لا يرعى وفيه يقول الشاعر

أبحت حمى تهامة بعد نجد * وما شئ حميت بمستباح

(ألا) كررها للدلالة على فخامة شأن مدخولها وعظم موقعه (وان) باثبات الواو كما فى رواية أبى فروة للبخارى وبحذفها كما فى رواية غيره فان قلت ما وجه ذكر الواو هنا وتركها وما وجه ذكرها فى قوله ألا وان فى الجسد مضغة فالجواب أما وجه ذكرها فبالنظر الى وجود التناسب بين الجملتين من حيث ذكر الحمى فيهما وأما وجه حذفها فبالنظر الى بعد المناسبة بين حمى الملوك وبين حمى الله تعالى الذى هو الملك الحق لا ملك حقيقة الا له تعالى وتقدس وأما وجه ذكرها فى قوله ألا وان فى الجسد مضغة فبالنظر الى وجود المناسبة بين الجملتين نظرا الى أن الاصل فى الاتقاء والوقوع هو ما كان بالقلب لانه عماد الجسد وملاكه وبه قوامه (حمى الله محارمه) أى المعاصى التى حرمها كذا فى رواية الاسماعيلى وفى رواية غيره فى أرضه بعد الجلالة وفى رواية أبى فروة معاصيه ووقع فى رواية الطبرانى فان حمى الله فى الارض حلاله وحرامه فزاد الحلال ومعناه كما قال الحافظ العراقى أنه حد للحلال حدا وللحرام حدا فلا اشكال فيه كما توهمه (ألا وان فى الجسد) أى البدن اذ البدن هو الجسد ماسوى الاطراف أو ماسوى الرأس كما قاله الازهرى (مضغة) أى قطعة لحم قدر ما يمضغ فى الفم لكنها وان صغرت

(الا بشئ قد كتبه الله لك) أى فى علمه أو فى اللوح المحفوظ (وان اجتمعوا) أى كلهم (على أن يضروك بشئ) أى من ضرر الدنيا والآخرة (لم يضروك) أى بشئ من الاشياء (الا بشئ قد كتبه الله عليك) ويشهد له قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله والمعنى توجه الى الله فى الحوق الضرر والنفع فهو الضار النافع ليس لاحد معه شئ فى ذلك لان أزمة الموجودات بيده منعا وايجادا واطلاقا فاذا أراد أحد ضرك بما لم يكتبه عليك دفعه الله تعالى عنك وصرفه عن مراده بعارض من عوارض القدرة الباهرة مانع من الفعل من أصله أو من تأثيره وفى ذلك حث على التوكل والاعتماد على الله تعالى فى جميع الامور والاعراض عما سواه (نكتة) لا ينافى هذا قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام فأخاف أن يقتلون انا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى لان الانسان مأمور بالفرار من أسباب المؤذيات الى أسباب السلامة وان لم يسلم كقوله تعالى خذوا حذركم وقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقول عمر رضى الله عنه انما نفر من قدر الله الى قدر الله (قوله رفعت الاقلام) أى تركت الكتابة بها لفراغ الامر والمعنى انتهت الكتابة بها فى اللوح المحفوظ بما كان وبما يكون الى يوم القيامة (قوله وجفت) بالجيم (الصحف) التى فيها مقادير الكائنات كاللوح المحفوظ فلا تبديل بعد ذلك ولا نسخ لما كتب فيها وقد يوجد فيها نحو تبديل بحسب ما فى علم الله تعالى ومصادقه قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب أى أصله وهو العلم القديم الازلى الذى لا يتغير منه شئ كما قاله ابن عباس وغيره (تنبيه) من علم هذا هان عليه التوكل على خالقه والاعراض عما سواه وروى ابن العربى بسنده انه صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله تعالى القلم ثم خلق النون وهى الدواة وذلك قوله تعالى ن والقلم ثم قال له اكتب قال وما أكتب قال أكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة ثم ختم

صغرت فى الجرم والصورة عظمت فى القدر والرتبة ومن ثم كانت (اذا صلحت) بالايمان والعلم والعرفان وهو بفتح اللام وضمها والفتح أفصح وأشهر (صلح الجسد كله) بالاعمال والاخلاص والاحوال (واذا فسدت) بالجحود والكفران وهو بفتح السين وضمها أيضا والفتح أفصح وأشهر كذلك (فسد الجسد كله) بالفجور والعصيان ومن ثم قيل ان القلب كالملك والجسد والاعضاء كالرعية ولا شك أن الرعية تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده وأيضا هو كالارض وحركات الجسد كالنبات والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا وأيضا هو كالعين والجسد كالزرع ان عذب ماء العين عذب الزرع وان ملح ملح ولما سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من رعيته كيف حال أميركم فقال له يا أمير المؤمنين اذا طابت العين عذبت الانهار وقد شق صدره صلى الله عليه وسلم مرات وغسل قلبه واستخرج منه علقة سوداء وقيل هذا حظ الشيطان منك ثم طهر قلبه وجسده فصار فردا قال أحمد بن خضرويه القلوب أوعية فاذا امتلأت من الحق أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح واذا امتلأت من الباطل أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح وقال الغزالى فى الاحياء القلب مثل قبة لها أبواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثل هدف يرمى اليه بالسهام ومثل مرآة منصوبة يجتاز عليها الاشخاص فتتراءى فيها صورة بعد صورة ومثل حوض تنصب اليه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة اه وقال بعضهم صلاح القلب فى خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء الباطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين ونظمها بعضهم فقال

دواء قلبك خمس عند قسوته * فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره * كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه * وان تجالس أهل الخير والخبر

وزاد بعضهم العزلة والصمت وترك خوض الناس وزاد آخر أكل الحلال وهو رأسها فانه ينور القلب ويصلحه فتزكو بذلك الجوارح وتدرأ المفاسد وتكثر المصالح وأكل الحرام والشبهات تصديه وتظلمه وتقسيه وقد قيل اذا صمت فافطر على طعام ممن تنظر فان الرجل يأكل الاكل فيشتغل قلبه كالسم فلا يشبع به أبدا وقيل يخاف على آكل الحرام والشبهة أن لا يقبل له عمل ولا يرفع له دعاء ألا تسمع قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وآكل الحرام والمسترسل فى الشبهات ليس بمتق على الاطلاق ويعضده ما يأتى فى حديث ان الله طيب الخ ولما شرب أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه جرعة من لبن استقاءها فاجهده ذلك حتى تقاياها فقيل له أكل ذلك فى شربة فقال والله لو لم تخرج الا بنفسى لأخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به فخشيت أن ينبت شئ من جسدى من هذه الجرعة وروى أبو نعيم الاصفهانى فى حليته أن أبا بكر رضى الله عنه كان يسأل عن الطعام فجاء يوما وهو جائع فقال لغلامه هل عندك شئ فقال نعم قطعة لحم فقال له اشوها وهاتها فلما أكلها قال له الغلام مالك ما سألت عنها على عادتك فقال كنت جائعا فمن أين هى قال مررت على قوم من الجاهلية قد عملوا عرسا فأعطونى هذه القطعة فقام أبو بكر ولم يزل يتقايا حتى

القلم فلم يكتب ولم ينطلق ولا ينطلق الى يوم القيامة ثم خلق العقل فقال له الجبار ما خلقت خلقا أعجب الى منك وعزتى لا كملنك فيمن
أحببت ولا نقصنك فيمن أبغضت ثم قال صلى الله عليه وسلم أكمل الناس عقلا أطوعهم لله بطاعته وروى مسلم ان الله كتب
مقادير الخلق قبل أن يخلق السماء والارض (١١٠) بخمسين ألف سنة وفيه أيضا يارسول الله فيم العمل اليوم أفيما جفت به
الاقلام وجرت به المقادير أم فيما
يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام
وجرت به المقادير قالوا ففيم العمل
قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له
* (فائدة) * قيل أول من كتب
العربى وغيره آدم عليه السلام
وقيل اسمعيل أول من كتب العربى
وقيل أول من وضع الخط نفر عن
طى ولم يصح فى ذلك كله شئ والله
سبحانه وتعالى أعلم (وفى رواية غير
الترمذى احفظ الله تجده أمامك
تعرف الى الله فى الرخاء) أى تحبب
بالدأب فى الطاعات حتى تكون
عنده معروفا بذلك (يعرفك فى
الشدة) بتفريجها عنك وجعله
لك من كل ضيق فرجا ومن كل هم
مخرجا يقال ان العبد اذا تعرف
الى الله فى الرخاء ثم دعاه فى الشدة
يقول الله تعالى هذا الصوت
أعرفه وفى غيره لا أعرفه وقيل
المراد تعرف الى ملائكة الله تعالى
فى حال اليسر باظهار العبادة
واللزوم للطاعة تعرفك فى حال
الشدة فتشفع لك عند الله بطلب
الفرج والمعونة منه لك وذلك لما
روى ان العبد اذا كان له دعاء فى
الرخاء كدعائه فى الشدة قالت
الملائكة ربنا هذا صوت نعرفه
وان لم يكن له صوت دعاء فى الرخاء
فدعا فى الشدة قالت الملائكة ربنا
هذا صوت لا نعرفه (قوله واعلم
أن ما أخطأك) أى فلم يصل اليك
(لم يكن) مقدرا عليك (ليصيبك)
لكونه غير مقدر لك (وما أصابك)
أى من المقدرات عليك (لم يكن) مقدرا على غيرك (ليخطئك) اذ لا يصيب الانسان الا ما قدر له أو عليه وذلك ان
لان المقدرات سهام صائبة وجهت من الازل فلا بد أن تقع مواقعها روى الامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال ان لكل حق
حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ويؤيد ذلك قوله تعالى ما أصاب من

اخرجها وهى مصبغة بالدم فقيل له ياصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مقدار هذه
فقال والله لو لم تخرج الا بروحى لاخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل لحم
نشأ عن سحت فالنار أولى به وقال الاستاذ أبو نعيم القشيرى رحمه الله تعالى قال ابراهيم بن
أدهم الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعنيك وهو ترك الفضلات وقال أبو بكر الصديق رضى
الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام وقال صلى الله عليه وسلم
لابى هريرة كن ورعا تكن اعبد الناس وذكر بسنده عن السرى السقطى رضى الله عنه
أنه كان من أهل الورع فى أوقاتهم أربعة حذيفة المرعشى ويوسف بن اسباط وابراهيم بن
أدهم وسليمان الخواص فنظر وافى الورع فلما ضاقت عليهم الامور فزعوا الى التقليل
وقال السبكى الورع أن تتورع عما سوى الله تعالى وقال اسحق بن خلف الورع فى المنطق
أشد منه فى الذهب والفضة والزهد فى الرياسة أشد منه فى الذهب والفضة لانك تبذلهما فى
طلب الرياسة وقال أبو عبد الله بن الجلاء اعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء
زمزم الا ما استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر وقال يحيى بن معاذ من
لم ينظر فى دقيق من الورع لم يصل الى جليل من العطاء وقال سفيان الثورى ما رأيت أسهل
من الورع ما حاك فى نفسك تركته وقيل جاءت أخت بشر بن الحافى الى أحمد بن حنبل فقالت
انا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا أفيجوز لنا الغزل فى
شعاعها فقال لها من أنت عافاك الله قالت أخت بشر بن الحافى فبكى أحمد بن حنبل وقال من
بيتكم خرج الورع الصادق لا تغزلى فى شعاعها قال وسمعت أبا على الدقاق يقول كان الحارث
المحاسبى اذا مد يده الى طعام فيه شبهة ضرب على رأس أصبعه عرق فيعلم انه غير حلال وقال
بشر بن الحافى دعى الى دعوة فوضع بين يديه طعام فجهد ان يمد يده اليه فلم تمتد ففعل ذلك ثلاث
مرات فقال رجل يعرف ذلك منه ان يده لا تمتد الى طعام فيه شبهة ما كان أغنى صاحب هذه
الدعوة أن يدعو هذا الشيخ ودخل الحسن البصرى رحمه الله مكة فرأى غلاما من أولاد
على بن أبى طالب رضى الله عنه قد أسند ظهره الى الكعبة وهو يعظ الناس فوقف عليه
الحسن وقال ما ملاك الدين فقال الورع فقال فما آفة الدين فقال الطمع فتعجب الحسن
منه وقال الحسن مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال ذرة من الصوم والصلاة وأوحى
الله تعالى الى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام لا يتقرب الى المتقربون بمثل الورع
وقال أبو هريرة رضى الله عنه جلساء الله غدا أهل الورع والزهد وقال سهل بن عبد الله من
لم يصحبه الورع أكل رأس الفيل ولم يشبع وقيل حمل الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
مسك من الغنائم فقبض على مشامه وقال انما ينتفع من هذا بريحه وأنا أكره أن أجد ريحه
دون المسلمين وسئل عثمان الحيرى عن الورع فقال كان أبو صالح حمدون عند صديق له وهو
فى النزع فمات الرجل فنفث أبو صالح السراج فقيل له فى ذلك فقال كان الدهن الذى فى
المسرجة له ومن الآن صار للورثة اطلبوا دهنا غيره وقال كهمس أذنبت ذنبا فانا أبكى
عليه أربعين سنة وذلك أنه زارنى أخ لى فاشتريت بدانق سمكة مشوية فلما فرغ أخذت قطعة
من طين من جدار جارى حين غسل يده ولم أستحله وكان رجل يكتب رقعة فى بيت بكراء فاراد

مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها وأخرج الترمذى ان الله اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا
ومن سخط فله السخط (قوله واعلم أن النصر) أى من الله للعبد على أعدائه انما يكون (مع الصبر) على طاعة الله وعن معصيته
قال الله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة (١١١) باذن الله والله مع الصابرين أى
بالنصر والاثابة الى غير ذلك من
الآيات والاخبار ولهذا كان
الغالب على من انتصر لنفسه
الخذلان فمن صبر واحتسب نصره
الله وأيده (قوله وأن الفرج مع
الكرب) أى يوجد سريعا معه
فلا دوام للكرب وشواهده
كثيرة فى الكتاب والسنة وفيه
تسلية وتأنيس بأن الكرب نوع
من النعمة لما يترتب عليه ومنه
قول بعضهم
عسى الكرب الذى أمسيت فيه
يكون وراءه فرج قريب
ولعل الفوائد فى الشدائد قال
الامام الشافعى رحمه الله تعالى
ولرب حادثة يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكان يظنها لا تفرج
وقال غيره
توقع صنع ربك سوف يأتى
بما تهواه من فرج قريب
ولا تيأس اذا ما ناب خطب
فكم فى الغيب من عجب عجيب
وقال غيره
لا تجزعن اذا ما الامر ضقت به
ولا تبيتن الا خالى البال
ما بين طرفة عين وانتباهتها
يغير الله من حال الى حال
(قوله وان مع العسر يسرا) أى
كما نطق به القرآن العزيز ومن ثم
ورد عن جمع من الصحابة وعنه
صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر
يسرين وأخرج البزار وابن أبى حاتم واللفظ له لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فأنزل الله تعالى
هذه الآية * (خاتمة المجلس) * من الادعية المستجابة اذا حل للشخص أمر ضيق يطبق أصابع يده اليمنى ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا
قوة الا بالله العلى العظيم اللهم لك الحمد ومنك الفرج واليك المشتكى وبك المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وهى فائدة

ان يترب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله ان البيت بالكراء ثم خطر بباله انه لا خطر لهذا
فترب الكتاب فسمع هاتفا يقول سينظر المستخف بالتراب ما يلقاه غدا من طول الحساب
ورهن احمد بن حنبل سطلا له عند بقال بمكة فلما أراد فكاكه أخرج البقال اليه سطلين وقال
خذ أيهما لك فقال أحمد أشكل على سطلى هو لك والدراهم لك فقال البقال سطلك هذا وانما
أردت أن أجربك فقال لا آخذه ومضى وترك السطل والدراهم وقيل سيب ابن المبارك دابة
قيمتها كثيرة وصلى صلاة الظهر فرتعت فى قرية سلطانية فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها
وقيل رجع ابن المبارك من مرو الى الشام فى قلم استعاره ولم يرده على صاحبه واستأجر النخعى
دابة فسقط سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع فأخذ السوط فقيل له لو صوبت الدابة
الى الموضع الذى سقط السوط فيه فأخذته فقال انما استأجرتها لامضى بها هكذا لا هكذا وقال
أبو بكر الدقاق تهت فى تيه بنى اسرائيل خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق استقبلنى جندى
فسقانى شربة من ماء فعادت قسوتها على قلبى ثلاثين سنة وقيل خاطت رابعة شقاقى
قميصها فى ضوء شعلة سلطانية ففقدت قلبها زمانا حتى تفكرت فشقت قميصها فوجدت قلبها
ورؤى سفيان الثورى فى المنام وله جناحان يطير فى الجنة من شجرة الى شجرة فقيل له بم نلت
هذا قال بالورع * ومر عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بمقبرة فنادى رجلا منهم فاحياه
الله تعالى فقال من أنت فقال كنت حمالا أنقل للناس فنقلت يوما لانسان حطبا فكسرت
منه خلالا لا تخللت به فأنا مطالب به منذ مت اه كلام القشيرى ولبعضهم رحمه الله تعالى
المرء ان كان عاقلا ورعا * أشغله عن عيوبهم ورعه
كما العليل السقيم أشغله * عن وجع الناس كلهم وجعه
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا أذنب
ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فاذا تاب واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه
فذلك الران الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وعن الاعمش قال كنا عند مجاهد فقال القلب هكذا وبسط كفه فاذا أذنب العبد ذنبا
قال هكذا فعقد واحدا ثم اذا أذنب وعقد اثنين ثم ثلاثا ثم رد الابهام على الاصابع فى الذنب
الخامس يطبع الله على قلبه قال مجاهد فايكم يرى أنه لم يطبع على قلبه وقال يحيى بن معاذ
سقم الجسد بالاوجاع وسقم القلب بالذنوب فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه فكذلك
القلب لا يجد حلاوة العبادة مع الذنوب وقال خالد الربعى كان لقمان عبدا حبشيا فدفع
مولاه اليه شاة وقال اذبحها وائتنى باطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه
شاة أخرى وقال اذبحها وأتنى باخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله عن ذلك
فقال ما شئ أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا وقد قال زهير
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم
(ألا وهى القلب) وهو مضغة فى الفؤاد معلقة بالنياط فهو اخص من الفؤاد كما قاله
الواحدى وقال البدر الزركشى والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته
وسويداؤه ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم ألين قلوبا وأرق أفئدة وفى الصحاح انهما

حسنة * حكى عن بعضهم أنه كان اذا طلب منه شئ أدخل يده فى جيبه فأخرج منه ما طلب منه وكان أصحابه ينظرون الى جيبه ويعلمون أن ما فيه شئ فسئل عن ذلك فأخبر أن الخضر عليه السلام يأتيه بكل ما طلب منه فالعجب ممن يتوكل على الله تعالى فى نجاته من النار وفى جوازه على الصراط وفى (١١٣) شربه من الحوض وفى دخوله الجنة ولا يتوكل عليه فى كسيرات يقمن صلبه وفى ثوب يستر به عورته اللهم وفقنا أجمعين آمين

* (المجلس العشرون فى الحديث العشرين) *

الحمد لله الذى جعل قلوبنا بذكره مطمئنة وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اطلع على ضمائرنا ومكنون سرائرنا فلا يخفى عليه ما أضمره العبد وأكنه وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل المخلوقين من ملك وانس وجنه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين بينوا الفرض والسنه آمين (عن أبى مسعود عقبة بن عامر الانصارى البدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت رواه البخارى) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم (قوله ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى) أى مما اتفقت عليه الشرائع لانه جاء فى أولها وتتابعت بقيتها عليه اذ الحياء لم يزل فى شرائع الانبياء الاولين ممدوحا ومأمورا به ولم ينسخ فى شرع وفى حديث لم يدرك الناس من كلام النبوة الاولى الا هذا اذا لم تستح فاصنع ما شئت واختلف العلماء فى معناه فقال بعضهم معناه الخبر وان كان لفظه لفظ الامر فكأنه قال اذا لم يمنعك الحياء فعلت ما شئت فان من لم يكن له حياء يحجزه عن محارم الله فسواء عليه فعل الصغائر وارتكاب الكبائر وقال بعضهم

اذا لم تخش عاقبة الليالى * ولم تستحى فاصنع ما تشاء
فلا والله ما فى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

وقال بعضهم معناه الوعيد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم أى اصنع ما شئت

مترادفان فان القلب يعبر عنه بالفؤاد ومنه ان الكلام لفى الفؤاد ويعبر عنه بالصدر كما فى قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ويعبر عنه بالثياب كما فى قوله تعالى وثيابك فطهر أى قلبك فطهر على أحد التفاسير وقول الشاعر فشككت بالرمح الطويل ثيابه * أى قلبه وقد يطلق القلب على العقل مبالغة كما فى قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل فلقيامه به وعدم انفكاكه عنه صار كأنه هو وسمى القلب قلبا لفرط تقلبه ولذا ورد فى الحديث ان القلب كريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح بطنا لظهر وقال بعضهم

وما سمى القلب الا من تقلبه * فاحذر على القلب من قلب وتحويل

(وقال آخر)

كان لى قلب أعيش به * قد ضاع منى فى تقلبه
رب فاردده على فقد * عيل صبرى فى تطلبه
وأغث ما دام بى رمق * يا غياث المستغيث به

(وقال آخر)

وما سمى الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا انه يتقلب

أو لانه خالص ما فى البدن وخالص كل شئ قلبه أو لانه وضع فى الجسد مقلوبا والقلب لغة صرف الشئ الى عكسه ومنه القلب فان قلت هذا يقتضى أن القلب هو أصل الصلاح والفساد وقد نرى الانسان أولا ينظر ثم يتأثر القلب كما قيل

كل الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها * فى أعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها * فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ضر مهجته * لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

فهذا يدل على أن الجارحة تفسد القلب فالجواب أن الجوارح وان كانت تابعة للقلب فقد يتأثر القلب بأعمالها للارتباط الذى بين الظاهر والباطن فهو وان كان صغير الجرم كبير القدر ولذا سمى الاعظم لكونه عظيم القدر (رواه البخارى) فى كتاب الايمان والبيع ومسلم) فى البيع وهذا الحديث اصل فى القول بحماية الذرائع الذى ذهب اليه امامنا مالك رضى الله تعالى عنه

(الحديث السابع عن أبى رقية) بضم الراء وتشديد المثناة التحتية مصغرا بنته لم يولد له غيرها (تميم بن أوس) بفتح الهمزة وسكون الواو ابن حارثة وقيل خارجة بن سويد وقيل سواد بن خزيمة بن ذراع بن عدى بن الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم وهو مالك بن عدى بن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان (الدارى) نسبة الى جده الدار بن هانئ وقيل الى موضع يقال له دارين ويقال له أيضا الديرى نسبة الى دير كان يتعبد فيه (رضى الله عنه) كان نصرانيا فوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة من الداريين منصرفه من تبوك فأسلم وكان كثير التهجد يختم القرآن فى ركعة فنام ليلة لم يقم يتهجد فيها فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذى صنع صلى ليلة بأم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وجعل يرددها ويبكى حتى أصبح وعن صفوان ابن سليم أنه قال قام تميم الدارى فى المسجد بعد أن صلى العشاء فمر بهذه الآية وهم فيها

كالحون

فان الله مجازيك وقال بعضهم انظر ما تريد أن تفعل فان كان ذلك مما لا يستحى منه فافعل منه ما شئت فان ذلك الفعل يكون جاريا على نهج السداد وان كان مما يستحى منه فدعه ومعنى الحديث أن عدم الحياء يوجب الانهماك فى هتك الاستار وفيه معنى التحذير والوعيد على قلة الحياء وفيه أن الحياء من أشرف الخصال وأكمل الاحوال (١١٣) ولذا قال صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله الحياء لا يأتى الا بخير وثبت أن الحياء شعبة من الايمان وقد كان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من البكر فى خدرها وفى حديث اذا أراد بعبد هلاكا نزع منه الحياء فاذا نزع منه الحياء لم تلقه الا بغيضا مبغضا فاذا كان بغيضا مبغضا نزع منه الامانة فاذا نزع منه الامانة فلم تلقه الا خائنا مخونا فاذا كان خائنا مخونا نزع منه الرحمة فلم تلقه الا فظا غليظا فاذا كان فظا غليظا نزع منه ربقة الايمان من عنقه فاذا نزع منه ربقة الايمان من عنقه لم تلقه الا شيطانا لعينا ملعونا * وينبغى أن يراعى فى الحياء القانون الشرعى فان منه ما يذم شرعا كالحياء المانع من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع وجود شروطه وهذا فى الحقيقة جبن لا حياء وتسميته حياء مجاز لمشابهته له ومثله الحياء فى العلم المانع من سؤاله عن مهمات الدين اذا أشكلت عليه ولذا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء ان يسألن عن أمر دينهن وفى حديث أن ديننا هذا لا يصلح لمستحى أى حياء مذموما ولا لمتكبر * وجاء فى الصحيحين عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها جاءت أم سليم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان الله لا يستحى من الحق هل على المرأة من غسل اذا هى احتلمت قال نعم اذا رأت الماء فلم تستح من السؤال عن دينها * وجاء شر النساء الوزرة المذرة أى التى لا تستحى عند الجماع * وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن رآه يعاتب أخاه فى الحياء دعه فان الحياء من الايمان أى من أسباب أصل الايمان واخلاقه لمنعه من الفواحش وحمله على البر والخير كما يمنع الايمان صاحبه من ذلك وأولى الحياء من الله تعالى وهو أن لا يراك

كالحون فاخرج منها حتى سمع اذان الصبح واشترى حلة بألف كان يقوم فيها الليل وعن محمد بن أبى بكر عن أبيه قال زارتنا عمرة فباتت عندنا فقمت بالليل فلم ارفع صوتى بالقراءة فقالت يا أخى ما منعك أن ترفع صوتك بالقراءة فما كان يوقظنا الا صوت معاذ القارى وتميم الدارى ولقد قال عمر لبعض من قدم عليه اذهب وانزل على خير أهل المدينة فنزل على تميم قال فبينما نحن نتحدث اذ خرجت نار الحرة فجاء عمر الى تميم فقال يا تميم اخرج فصغر نفسه ثم قام فجاءها ثم ادخلها الباب الذى خرجت منه ثم اقتحم فى أثرها ثم خرج فلم تضره وهو أول من قص فى المسجد باذن عمر وذكر للنبى صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال اذ وجده هو وأصحابه فحدث النبى صلى الله عليه وسلم بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه ويدخل فى ذلك رواية الاكابر عن الاصاغر فقد قالت فاطمة بنت قيس سمعت منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى الصلاة جامعة فخرجت الى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال ليلزم كل انسان مصلاه ثم قال هل تدرون لم جمعتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال انى والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعتكم لان تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء وأسلم وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم به عن المسيخ الدجال حدثنى انه ركب البحر فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا فى البحر فأرسوا الى جزيرة أى قاربوها حين تغرب الشمس فجلسوا فى أقرب السفينة بضم الراء جمع قارب بكسرها سفينة صغيرة يقال لها سنبوك فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر وهو تفسير لما قبله لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر قالوا ويلك ما أنت قالت أنا الجساسة سميت بذلك لتجسسها الاخبار للدجال انطلقوا الى هذا الرجل فى الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم انسان ما رأيناه قط وأشده وثاقا مجموعة يده الى عنقه ما بين ركبتيه الى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما أنت قال قد قدرتم على خبرى ما أنتم قالوا نحن أناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهرا فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب فقالت أنا الجساسة اعمدوا الى هذا الدير فأقبلنا اليك سراعا فقال أخبرونى عن نخل بيسان هل تثمر قلنا نعم قال أما انها يوشك أن لا تثمر قال اخبرونى عن بحيرة طبرية هل فيها ماء قلنا هى كثيرة الماء قال ان ماءها يوشك أن يذهب قال اخبرونى عن عين زغر هل فى العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا نعم هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها قال اخبرونى عن النبى الامين ما فعل قلنا خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فاخبرناه انه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال أما ان ذلك خير لهم أن يطيعوه وانى مخبركم عنى انى أنا المسيخ وانى يوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير فى الارض فلا ادع قرية الا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمان على كلتاهما كلما أردت ان أدخل واحدة منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنهما وان على كل نقب منهما ملائكة يحرسونهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته فى المنبر هذه طيبة هذه طيبة يعنى المدينة

حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وكمال الحياء ينشأ عن معرفته تعالى ومراقبته وقد قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء . قالوا انا نستحى يانبى الله والحمد لله قال ليس كذلك ولكن من استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وماوعى وليحفظ البطن وماحوى وليذكر الموت والبلى ومن (١١٤) فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء . واعلم أن أهل الحياء يتفاوتون بحسب تفاوت أحوالهم وقد جمع الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كمال نوعى الحياء فكان فى الحياء الغريزى أشد من العذراء فى خدرها وفى الكسبى واصلا الى أعلى غاية (قوله اذا لم تستح فاصنع ماشئت) يتضمن الاحكام الخمسة لان فعل الانسان اما أن يستحى منه أولا فالاول الحرام والمكروه والثانى الواجب والمندوب والمباح ولذا قيل ان على هذا الحديث مدار الاسلام لما ذكرناه (مسئلة) يحرم كشف العورة بحضرة الناس وأما بغير حضرة الناس فقد قال الامام النووى رحمه الله فى شرح مسلم يجوز كشف العورة فى محل قضاء الحاجة فى الخلوة كحالة الاغتسال والبول ومعاشرة الزوجة وأما دخول الحمام فأيضا يطلب له الحياء فقد قال العلماء رضى الله عنهم يباح للرجال دخول الحمام ويجب عليهم غض البصر عما لا يحل لهم وصون عورتهم عن الكشف بحضرة من لا يحل له النظر اليها * وقد روى أن الرجل اذا دخل الحمام عاريا لعنه ملكاه رواه القرطبى فى تفسيره عند قوله تعالى كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون وروى الحاكم عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وأما النساء فيكره لهن بلا عذر لخبر ما من امرأة تخلع ثيابها فى غير بيتها الا هتكت ما بينها وبين الله تعالى رواه الترمذى وحسنه ولان أمرهن مبنى على المبالغة فى الستر ولما فى خروجهن واجتماعهن من الفتنة والشر * فعليكم يا اخوانى بالحياء والزموا الادب تبلغوا الارب * ولنختم مجلسنا هذا بشئ يتعلق بالادب قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال

الاهل كنت حدثتكم قالوا نعم اه والنقب الطريق بين الجبلين وسكن تميم رضى الله عنه بيت المقدس بعد قتل عثمان رضى الله عنه ومات ودفن ببيت جبرين من أرض فلسطين سنة أربعين وليس له فى صحيح البخارى رواية ولا فى مسلم الا فى هذا الحديث (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الدين) بكسر الدال أى دين الاسلام وهو ماشرعه الله لعباده من الاحكام وقد مرت معانيه فى الخطبة (النصيحة) هى كالنصح نقيض الغش والخديعة وهما لغة الاخلاص والتصفية من نصحت العسل اذا صفيته من الشمع شبه تخليص القول والفعل من الغش بتخليص العسل من الشمع أومن نصح الرجل ثوبه اذا خاطه بالمنصح بكسر الميم وهى الابرة التى يخاط بها والنصاح بكسر النون وتخفيف الصاد الخيط والناصح الخياط شبه فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح ولم شعثه بلم الخياط خلل الثوب ولصق بعضه ببعض ومنه التوبة النصوح كان الذنب يمزق الدين والتوبة تخيطه ونصح له أفصح من نصحته وشرعا اخلاص الرأى من الغش للمنصوح وايثار مصلحته وان شئت قلت بذل المودة والاجتهاد فى المشورة وقوله الدين النصيحة كرره صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهو اما على حذف مضاف أى عماد الدين وقوامه أى معظمه النصيحة على وزان الحج عرفة ويدل له رواية الطبرانى رأس الدين النصيحة واما على ظاهره اذا النصيحة لم تبق من الدين شيأ لان من جملتها الايمان بالله ورسوله وطاعتهما والعمل بما قالاه من كتاب وسنة وليس وراء ذلك من الدين شئ كيف وقد مر فى حديث جبريل ان الدين هو الاسلام والايمان والاحسان وجميع ذلك مندرج تحت ماذكر من النصيحة وهى تحرى الاخلاص قولا وفعلا واعتقادا وبذل الجهد فى اصلاح المنصوح سرا وجهرا وكل عمل لم يرد به عامله الاخلاص فليس من الدين أصلا ومن ثم لم يكن فى كلام العرب اجمع منها كما أن الفلاح ليس فى كلامهم اجمع لخيرى الدنيا والآخرة منه (قلنا معشر السامعين (لمن) فيه اشارة الى ان للعالم ان يكل فهم مايلقيه للسامع فلا يزيده فى البيان حتى يسأله لتشوف نفسه حينئذ اليه فيكون أوقع فى نفسه مما اذا فهمه من أول وهلة (قال) صلى الله عليه وسلم (لله) بالايمان به ونفى الشريك عنه والاخلاص الاعتقاد فى الوحدانية ووصفه بصفات الالوهية وتنزيهه عن النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه والاعتراف بنعمته وشكره عليها والاخلاص فى جميع الامور وفى حديث رواه أحمد قال الله عز وجل أحب ماتعبد به عبدى النصح لى * وروى الثورى عن على قال قال الحواريون لعيسى ياروح الله من الناصح لله قال الذى يقدم حق الله على حق الخلق وحقيقة هذه الاضافة راجعة الى العبد فى نصحه نفسه فانه سبحانه غنى عن نصح الناصحين وعن العالمين (ولكتابه) مفرد مضاف فيعم جميع كتبه المنزلة بان يؤمن بانها من عنده وتنزيله وبمييز القرآن بأنه لا يشبهه شئ من كلام الخلق ولا يقدر أحد منهم على الاتيان بمثل أقصر سورة منه وتلاوته بخشوع واقامة حروفه فى التلاوة والتصديق بما فيه وتفهم علومه واكرامه والاعتناء بمواعظه والتفكر فى عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن ناسخه ومنسوخه وعمومه وخصوصه وسائر وجوهه ونشر علومه والدعاء اليه (ولرسوله) بتصديق رسالته والايمان بجميع

على رضى الله عنه أى أدبوهم وعلموهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا أولادكم واحسنوا أدبهم رواه ابن ماجه وقال صلى الله عليه وسلم لان يؤدب أحدكم ابنه خير من ان يتصدق بصاع طعام فجعل تأديب الابن أعلى من الصدقة حكاه ابن أبى جمرة فى شرح البخارى * وقال أبو على الروذبارى العبد يصل بأدبه الى ربه (١١٥) وبطاعته الى الجنة وقال سرى السقطى رضى الله عنه صليت ليلة من الليالى فمددت رجلى فى المحراب فنوديت فى سرى هكذا تجالس الملوك فقلت لا وعزتك لا مددت رجلى أبدا وقال بعض العارفين مددت رجلى فى الحرم فقالت جارية لا تجالسه الا بالادب والا فيمحوك من ديوان المقربين وقال بعضهم ترك الادب موجب للطرد فمن أساء أدبه على البساط طرد الى الباب ومن أساء أدبه على الباب طرد الى سياسة الدواب وقال بعضهم من تأدب بأدب الصالحين صلح لبساط المحبة ومن تأدب بأدب الصديقين صلح لبساط المشاهدة وقال أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه وصف لى عابد فقصدت زيارته فرأيته قد بصق الى جهة القبلة فرجعت عن زيارته لانه غير مأمون على أدب من آداب الشريعة فكيف يكون مأمونا على الاسرار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفلته بين عينيه رواه أبو داود * وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا قام للصلاة فتحت له الجنة وكشفت له الحجب بينه وبين ربه واستقبله الحور العين مالم يتمخط أو يتنخع رواه الطبرانى رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم أكرم المجالس ما استقبل به القبلة وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ سيدا وان سيد المجالس قبالة القبلة وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ شرفا وزينة المجالس استقبال القبلة * وقال بعضهم مافتح الله على ولى الا وهو مستقبل القبلة * وحكى ان رجلاتسلم ولدين القرآن على السواء فكان أحدهما يقرأ وهو مستقبل القبلة فحفظ القرآن قبل صاحبه بسنة قال أهل التصوف نفعنا الله تعالى ببركاتهم اذا صحت المحبة سقط الادب واستشهد والذلك بما نقل ان

بجميع ماجاء به والتزام طاعته فى أمره ونهيه ونصرته حيا وميتا واعظام حقه فقد روى المسور بن مخرمة أن عروة بن مسعود الثقفى رمق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ماتنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ومايحدون النظر اليه تعظيما له قال فرجع عروة الى أصحابه فقال ياقوم لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ان رأيت ملكا قط تعظمه أصحابه ماتعظم أصحاب محمد محمدا والله ان يتنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده الحديث ومن النصيحة له احياء سنته والتفقه فيها والذب عنها واجلال أهلها لانتسابهم اليها والتخلق باخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة آل بيته وأصحابه وتجنب من تعرض لاحد من آله وأصحابه * (ولائمة) جمع امام وهو القائم بامور المسلمين والامامة أعم من الخلافة اذ كل خليفة امام ولا ينعكس قيل والامامة على أربعة أوجه امامة وحى وهى النبوة ووراثة وهى العلم وعبادة وهى الصلاة ومصلحة وهى الخلافة (المسلمين) الامراء بمعاونتهم على الحق وأمرهم به وتذكرهم بلطف ورفق واعلامهم بما غفلوا عنه من أمور المسلمين وحقوقهم والدعا باصلاح لهم وترك الخروج عليهم والجهاد معهم واداء الزكاة اليهم وامتثال أمرهم فى غير المعاصى فقد ورد أن عبد الله بن حذافة السهمى بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى سرية وأمره عليها وكان فيه دعابة فأمرهم أن يجمعوا حطبا ويوقدوه نارا فلما أوقدوها أمرهم بالتقحم فيها فأبوا فقال لهم ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعتى وقال من أطاع أميرى فقد أطاعنى فقالوا ما آمنا بالله واتبعنا الرسول الا لننجو من النار فصوب رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم وقال لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق اه والعلماء بقبول مارووه وتقليدهم فى الاحكام ونشر مناقبهم واحسان الظن بهم وليس المراد بهم من تزيا بزيهم وادعى العلم وأكل الدنيا بالدين فان نصحهم نصح عامة المسلمين ان لم يستحلوا قال سهل بن عبد الله لا يزال الناس بخير ماعظموا السلطان والعلماء فاذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم واذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم (وعامتهم) بارشادهم الى مايصلح أخراهم ودنياهم وكف الاذى عنهم وتعليمهم ماجهلوه وستر عورتهم وسد خلتهم ومحبته لهم مايحب لنفسه وعدم غشهم واذا رأى من يفسد وضوءه أو صلاته أو غير ذلك ولم يعلمه فقد غشه وعليه الاثم وقيل الا أن يعلم انه لا يسمع منه فانه يسقط عنه الاثم قاله الاقفهسى فى شرحه لرسالة ابن أبى زيد القيروانى وظاهره سواء كان هناك غيره يقوم بذلك أم لا وقد ذكر الحطاب فى شرحه عليها مايفيد حكم ذلك فقال الشاذلى اختلف اذا كان هناك من يشاركك فى النصيحة فهل تجب عليك النصيحة سواء طلبت منك أم لا كمن رأيته يفسد صلاته فقال الغزالى يجب عليك النصح وقال ابن العربى لا يجب قال بعض شيوخنا والذى أقول به ماقاله الغزالى ويكون ذلك برفق لانه أقرب للقبول ولذا قال الشافعى من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه ومن ثم قال الفضيل المؤمن

خطا فاراد خطافه فدخلت قصر سليمان عليه السلام فقال ان لم تخرجى قلبت قصر سليمان عليه فدعاه وقال ما حملك على ما فعلت قال يا نبى الله ان العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم وقالوا ان الادب أفضل من امتثال الامر واستشهد والذلك بان الصديق رضى الله عنه تأخر عن المحراب ولم يمتثل أمر النبى صلى الله عليه وسلم له باتمام الصلاة وأما الفقها. فقالوا امتثال الامر

أفضل من الادب وبنوا على ذلك قول المصلى فى التشهد اللهم صل على محمد من غير أن يقول على سيدنا امتثالا لقول النبى صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وقيل للعباس رضى الله عنه أنت أكبر أم النبى صلى الله عليه وسلم فقال هو أكبر منى وأنا ولدت قبله وذلك من أدبه رضى الله عنه (حكاية) دخل شقيق البلخى وأبو تراب النخشبى على أبى يزيد البسطامى رضى الله عنهم فأحضر خادمه الطعام فقالا للخادم كل فقال انى صائم فقال أبو تراب كل ولك أجر صيام شهر فقال انى صائم فقال شقيق كل ولك أجر سنة فقال انى صائم فقال أبو يزيد دعوا من سقط من عين الله فقطعت يده فى سرقة بعد سنة اللهم ارزقنا الادب بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين ويا أكرم الاكرمين ويا خير المسؤلين بجاه سيد المرسلين آمين

(المجلس الحادى والعشرون فى الحديث الحادى والعشرين) الحمد لله الذى أدار الافلاك على قطبى الشمال والجنوب وريح الصبا ورفع قبة السماء بغير عمد وملاها حرسا وشهبا وجعلها بهجة للناظرين فى تأمل قدرته رأى من آياته عجبا حكمة بالغة حارت فيها عقول العلماء والفقهاء والادبا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الذى خلق من الماء بشرا فجعله صهرا ونسبا وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى لم يزل بآداب ربه متأدبا صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الاخيار النجباء آمين *(عن أبى عمرو وقيل أبى عمرة سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك قال قل آمنت بالله ثم استقم رواه مسلم) اعلموا

يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير* وفى كلام الشيخ محيى الدين ان من شرط الناصح اذا أراد أن ينصح أحدا أن يمهد له بساطا قبل النصح وان يرى نفسه دون المنصوح وان يوطن نفسه على تحمل الاذى الحاصل من جهة النصح فى العادة وقد حكى أن الحسن والحسين رضى الله عنهما أقبلا على شيخ يفسد وضوءه فقال أحدهما للآخر تعال نرشد هذا الشيخ فقال له أحدهما يا شيخ انا نريد ان نتوضأ بين يديك حتى تنظر الينا وتعلم من يحسن منا الوضوء ومن لا يحسنه ففعلا ذلك فلما فرغا من وضوئهما قال أنا والله الذى لا أحسن الوضوء وأما أنتما فكل واحد منكما يحسن وضوءه فانتفع بذلك منهما من غير تعنيف ولا توبيخ* وقد اتفق أن رجلا وعظ المأمون وأغلظ عليه فقال له خير منك وعظ من هو شر منى فان موسى وهرون على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام لما أرسلهما الله تعالى الى فرعون قال فقولا له قولا لينا* وقد كان فى السلف من بلغت به النصيحة الى الاضرار بدنياه وقد ورد أن جريرا اشترى له فرسا بثلثمائة درهم فقال لصاحبه فرسك خير من ثلثمائة درهم أتبيعه باربعمائة درهم فقال هو لك يا أبا عبد الله فقال هو خير من أربعمائة درهم أتبيعه بخمسمائة فقال نعم فلا زال يزيد مائة بعد مائة حتى أوصله ثمانمائة درهم فكلم فى ذلك فقال عاهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وورد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لبعض اخوانه أوصيك بستة أشياء اذا أردت أن تقع فى أحد وتذمه قدم نفسك فانك لا تعلم أحدا أكثر عيوبا منها وان أردت أن تعادى أحدا فعاد البطن فليس لك عدو أعدى منها وان أردت ان تحمد أحدا فاحمد الله تعالى فليس أحد أكثر منه منة عليك وألطف بك منه وان أردت ان تترك شيأ فاترك الدنيا فانك ان تركتها فانك محمود والا تركتك وأنت مذموم وان أردت ان تستعد لشئ فاستعد للموت فانك ان لم تستعد له حل بك الخسران والندامة وان أردت ان تطلب شيأ فاطلب الآخرة فلست تنالها الا بأن تطلبها وبدأ فى الحديث بالله لان الدين له حقيقة وثنى بكتابه الصادع ببيان أحكامه المعجز ببديع نظامه وثلث بما يتلو كتابه فى الرتبة وهو رسوله الهادى الى دينه الموقف على أحكامه المفصل لجميع شرائعه وربع بأولى الامر الذين هم خلفاء الانبياء القائمون بسنتهم ثم خمس بالتعميم ولم يكرر اللام فى عامتهم لانهم كالاتباع للائمة لا اشتغال لهم وانما خص أهل الاسلام بالنصح لانهم أقرب الى الاجابة من أهل الذمة أو لان النصيحة الكاملة انما هى للمسلمين بخلاف أهل الذمة اذ لا يقال لهم صلوا ولا زكوا أو ان ذكر المسلمين من باب التغليب لشرفهم على أهل الذمة والا فنحن ننصح أهل الذمة بالارشاد للايمان* (رواه مسلم)* فى كتاب الايمان وهو من افراده* تنبيه* قال ثابت بلغنى ان ابليس ظهر لبعض العباد فرأى عليه معاليق من كل شئ فقال له العابد يا ابليس ما هذه المعاليق التى أرى عليك قال هذه الشهوات أصيب بهن ابن آدم قال فهل لى فيها من شئ قال ربما شبعت فثقلتك عن الصلاة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله على أن لا أملأ بطنى من طعام أبدا قال ابليس ولله على أن لا انصح أحدا أبدا

(الحديث الثامن) (عن) عبد الله (ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه

اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم (قوله قلت يا رسول الله قل لى فى الاسلام) أى فى شرائعه (قولا) أى جامعا لمعانى الدين واضحا فى نفسه بحيث لا يحتاج الى تفسير غيرك أعمل به واكتفى به بحيث (لا أسأل) أى لا يحوجنى لما اشتمل عليه من الاحاطة والشمول ونهاية الايضاح والظهور الى أن أسأل (عنه أحدا غيرك قال قل آمنت بالله) أى

جدد ايمانك بقلبك ولسانك لتستحضر جميع معانى الاسلام والايمان الشرعى (ثم استقم) على الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات اذ لا تتأتى الاستقامة مع شئ من الاعوجاج وغاية الاستقامة ونهايتها أن لا يلتفت العبد الى غير الله تعالى وهى الدرجة القصوى التى بها كمال المعارف والاحوال وصفاء القلوب فى الاعمال وتنزيه العقائد عن مفاسد البدع والضلال قال أبو القاسم القشيرى رحمه الله من لم يكن مستقيما فى حاله ضاع سعيه وخاب جده ولذا قيل لا يطيق الاستقامة الا الاكابر فانها لا تحصل الا بالخروج عن المألوفات ومفارقة العادات والقيام بين يدى الله تعالى على حقيقة الصدق ولعزتها أخبر صلى الله عليه وسلم ان الناس لا يطيقونها فيما أخرجه الامام أحمد استقيموا ولن تطيقوا وحاصله ان الاسلام توحيد وطاعة فالتوحيد حاصل بالجملة الاولى والطاعة بجميع أنواعها ضمن الجملة الثانية اذ الاستقامة مرجعها الى امتثال كل مأمور واجتناب كل منهى وزاد الترمذى فى هذا الحديث قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف على فأخذ بلسان نفسه وقال هذا ففيه ان أعظم ما يراعى استقامته بعد القلب اللسان فانه ترجمان القلب وقد أخرج الامام أحمد لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وليعلم ان اللسان فى بعض المواضع أضر من سيف قاطع وسنان مجرد قال سفيان لان ترمى انسانا بسهم أهون من أن ترميه بلسانك فان السهم قد يخطئه واللسان لا يخطئه وقيل

جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان

عليه وسلم قال أمرت) بالبناء للمفعول أى أمرنى الله تعالى فحذف الفاعل تعظيما وتفخيما وقال بعضهم طوى ذكره لشهرته وتعينه بذلك اذ لا آمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا هو سبحانه وتعالى ولذلك اذا قال الصحابى أمرنا بكذا يفهم منه ان الآمر هو الرسول صلى الله عليه وسلم لانه هو المشرع والمبين لهم وأما اذا قال التابعى أمرنا بكذا فهو محتمل وحقيقة الامر القول الطالب للفعل (ان أقاتل) أى بان أقاتل لان الاصل فى الامر ان يتعدى لمفعولين ثانيهما بحرف الجر ونحو أمرتك الخير نادر وأن مصدرية والتقدير بمقاتلة (الناس) من الانس فيختص ببنى آدم أو من ناس اذا تحرك فيعم الجن بالحقيقة أو الغلبة والمراد هنا الانس خاصة وان كان مرسلا الى الجن اجماعا اذ لم يرد انه قاتلهم وان أسلم منهم جمع على يديه كجن نصيبين والناس أصله الاناس حذفت الهمزة تخفيفا وتوهم أبو على ان أل عوض عن الهمزة اذ لا يجتمعان فى الاناس الا ضرورة وورد بكثرة استعمال ناس منكرا بغير أل والهمزة ولو كانت عوضا لم يجز ذلك اذ لا يجوز الخلو عن العوض والمعوض وقال صاحب القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع انس أصله اناس جمع عزيز أدخل عليه أل وفيما قاله نظر اذ جعله شاملا للجن مع كون مفرده انس غير متجه ولذا قال انه جمع عزيز ومخالف لما صرح به صاحب الكشاف فى البقرة والاعراف من انه اسم جمع غير تكسير بدليل عود الضمير اليه وتصغيره على لفظه ولم يسمع جمع جاء على فعال بالضم الا فى ثمانية ألفاظ كما قاله السعد لكن زاد عليه صاحب المزهر وغيره ألفاظا وقوله أمرت أن أقاتل الناس انما ذكر باب المفاعلة لان الدين ما ظهر الا بالجهاد والجهاد لا يكون الا بين اثنين ثم ان أمره صلى الله عليه وسلم بالقتال كان بعد الهجرة فانه صلى الله عليه وسلم لما بعث أمر بالانذار من غير قتال ثم بعد الهجرة اذن له فيه اذا ابتدأه الكفار به ثم أحل له ابتداء فى غير الاشهر الحرم ثم مطلقا من غير شرط *(فائدة)* قال ابن عباس وغيره لم يقتل نبى من الانبياء الا من لم يؤمر بقتال وكل من أمر بالقتال نصر اه والناس المراد بهم جميع الخلق من بنى آدم وقد يطلق الناس على الانسان الواحد كما فى قوله تعالى فى النساء أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله يعنى النبى وحده ويطلق على المؤمنين خاصة كقوله تعالى فى آل عمران والذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين يعنى لعنة المؤمنين خاصة ويطلق على أهل مكة خاصة كما فى قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس يعنى أهل مكة ويطلق على بنى اسرائيل كقوله تعالى فى المائدة أأنت قلت للناس يعنى بنى اسرائيل (حتى) غاية للقتال ويحتمل كونها غاية للامر به (يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) وفى رواية وأنى رسول الله وفى رواية حتى يقولوا لا اله الا الله وهذا الشرط مشعر بمجموع الجملتين فاستغنى بأحدهما عن الاخرى لارتباطهما كما يقال قرأت الم ذلك الكتاب والمراد كل السورة وقد استغنت العرب بحرف من الكلمة عن بقيتها فى نظمها ونثرها كقول القائل قلت لها قفى فقالت ق أراد قالت وقفت وقول الآخر جارية قد وعدتنى أن تأتى تدهن رأسى وتفلى أو تا أراد أن تأتى وتدهن رأسه وتفلى أو تمسح وكقول الآخر بالخير خ وان شرا فا ولا أريد الشر الا

والاستقامة خير من ألف كرامة وما أكرم الله تعالى عبدا بكرامة خير من الاستقامة ولهذا لم ينقل عن الصحابة رضى الله تعالى
عنهم الا القليل من الكرامات ونقل عن المتأخرين من المشايخ والصادقين والمريدين أكثر من ذلك رحمة الله عليهم أجمعين لان
الصحابة رضى الله عنهم ببركة النبى صلى الله (118) عليه وسلم وصحبتهم له ومشاهدة الوحى وتردد الملائكة وهبوطها بين يديه تنورت
قلوبهم وزكت نفوسهم فعاينوا
الآخرة واستغنوا بما أعطوا
عن رؤية الكرامة واشتغلوا
بالعبادة والاستقامة وزهدوا فى
الدنيا الدنيئة كما فى خبر حارثة
المشهور ويقال فى قول الله عز
وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا قالوها بألسنتهم ثم
استقاموا فصدقوا بقلوبهم
ويقال قالوا مصدقين بها ثم
استقاموا على التصديق حتى
ماتوا مسلمين ويقال قالوها
بالايمان ثم استقاموا بالطاعة
والاحسان * واعلموا يا اخوانى
ان من أطاع الله تعالى أطاعه
كل شئ ومن خاف الله تعالى خافه
كل شئ قال عوف بن أبى شداد
العبدى بلغنى ان الحجاج بن يوسف
لما ذكر له سعيد بن جبير أرسل
اليه قائدا يسمى المتلمس بن
الاخوص ومعه عشرون رجلا
من أهل الشام من خاصة أصحابه
فبينما هم يطلبونه اذا هم براهب
فى صومعة له فسألوه عنه فقال
الراهب صفوه لى فوصفوه له
فدلهم عليه فانطلقوا فوجدوه
ساجدا يناجى بأعلى صوته فدنوا
منه فسلموا عليه فرفع رأسه فأتم
بقية صلاته ثم رد عليهم السلام
فقالوا أرسل الحجاج اليك فأجبه
قال ولابد من الاجابة قالوا لابد
فحمد الله وأثنى عليه وصلى على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قام فمشى معهم حتى انتهى الى دير الراهب فقال الراهب يا معشر الفرسان
أصبتم صاحبكم قالوا نعم قال لهم اصعدوا الدير فان اللبوة والاسد يأويان حول الدير فعجلوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك وأبى
سعيد أن يدخل الدير فقالوا له ما نراك الا تريد الهرب منا قال لا ولكن لا أدخل منزل مشرك أبدا قالوا فانا لا ندعك فان السباع

ان تا أراد ان شرا فشر والا ان تشا واذا استغنت بحرف عن بقيتها فأولى أن تستغنى
باحدى الكلمتين أو الجملتين عن الاخرى اذا كان فيه دلالة على مالم يذكر واعلم أنه
لا يشترط فى صحة الايمان التلفظ بالشهادتين ولا النفى والاثبات بل يكفى أن يقول الله واحد
ومحمد رسول وانظر هل لابد فى كفاية ذلك من الاتيان بلفظ الله وبلفظ محمد فلو قال الرحمن
واحد وأحمد رسوله أو قال لا اله الا الرحمن وأحمد رسوله هل يكفى أم لا وظاهر كلام الابى
فى شرح جمع الجوامع والمنيطى الاكتفاء بذلك وظاهر كلام الجمهور أنه لا يشترط الترتيب
وذهب القاضى أبو الطيب من الشافعية وابن الطيب الشهير بالباقلانى من المالكية الى
اشتراطه قال الكمال بن أبى شريف ولم يتابعا مع أنه متجه عند التأمل وظاهر ما فى
الهداية للاخنائى المالكى أنه يشترط الفور قال ابن ناجى هل الافضل مد ألف لا النافية
أو القصر من لا اله الا الله فمنهم من اختار المد ليستشعر المتلفظ بها نفى الالوهية عن كل
موجود سوى الله تعالى ومنهم من اختار القصر لئلا تخترمه المنية قبل التلفظ بذكر الله
تعالى وفرق الفخر بين أن تكون أول كلامه فتقصر والا فتمد اه فان قلت قضية
الحديث قتال كل من امتنع من التوحيد اذ الذى يذاق من لفظ الناس العموم والاستغراق
كما فى قوله تعالى يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا فكيف ترك قتال مؤدى الجزية
فالجواب من وجوه الاول ان أخذ الجزية وسقوط القتال بها كان متأخرا عن هذا
الحديث الثانى أن المراد بما ذكر من الشهادتين وغيرهما التعبير عن اعلاء كلمة الله
تعالى واذلال المخالفين فيحصل فى بعض بالقتل وفى بعضها بأداء الجزية الثالث أن
المراد بالقتال هو أو ما يقوم مقامه كالجزية الرابع أن المراد اضطرارهم الى الاسلام
وسبب السبب سبب فكأنه قال حتى يسلموا أو يلتزموا ما يؤديهم الى الاسلام وهو اعطاء
الجزية فاكتفى بما هو المقصود الاصلى من الخلق فتكون المقاتلة سببا للقول والفعل
ونظيره قوله تعالى أنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج والمنزل هو المطر وهو سبب لانبات
العشب وهو سبب لتكثير الحيوان فغلب فى الحديث السبب الاول أعنى المقاتلة على السبب
الثانى أعنى أخذ الجزية (فائدة) قال ابن جماعة فى حاشية شرح العقائد (لطيفة) قال الرازى
فى أسرار التنزيل لا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات وأعضاء العبد سبعة وأبواب النار
سبعة فكل كلمة تغلق عن عضو بابا قلت ومن المعلوم أن الاعضاء أكثر من سبعة فلابد
لتحقيق كونها سبعة من الحمل على خصوص فى الاعضاء وهل هى الواردة فى حديث السجود
وهو أمرت أن أسجد على سبعة أعظم الحديث أو هى السبعة المتوصل بها الى المقاصد
والمفاسد غالبا وهى اليدان والرجلان والعينان واللسان أو غير ذلك محل بحث اه من
شرح شيخنا على خطبة مختصر الشيخ خليل قلت والظاهر أن المراد بها الاعضاء التى يطلب
من الانسان حراستها وهى الوجه والبطن والفرج واليدان والرجلان وقال السمرقندى
فى كتاب الاربعين ويقال من قال لا اله الا الله هدمت له أربعة آلاف سيئة كل كلمة تكفر
ألف سيئة وذكر ابن الفاكهانى ان ملازمة ذكرها عند دخول المنزل تنفى الفقر وقال
بعض العلماء اذا قال القائل لا اله الا الله اهتز لها العرش وفى الحديث عنه صلى الله عليه
وسلم

فقلت قال سعيد ان معى ربى يصرفها عنى ويجعلها حرسا حولى تحرسنى من كل سوء ان شاء الله تعالى قالوا أفأنت من الانبياء
قال ما أنا من الانبياء ولكنى عبد من عبيد الله خاطئ مذنب فقالوا احلف لنا انك لا تبرح فحلف لهم فقال لهم الراهب اصعدوا
الدير وأوتروا القسى لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح (119) فانه كره الدخول على فى الصومعة فدخلوا
وأوتروا القسى فاذا هم بلبوة قد
أقبلت فلما دنت من سعيد
تحككت به وتمسحت به ثم ربضت
قريبا منه وأقبل الاسد فصنع
مثل ذلك فلما رأى الراهب ذلك
وأصبحوا نزل فسأله عن شرائع
دينه وسنن رسوله صلى الله
عليه وسلم ففسر له سعيد ذلك
كله فأسلم الراهب وحسن
اسلامه وأقبل القوم الى سعيد
يعتذرون ويقبلون يديه
ورجليه ويأخذون التراب الذى
وطئه بالليل ويصلون عليه
ويقولون يا سعيد حلفنا الحجاج
بالطلاق والعتاق ان نحن رأيناك
لا ندعك حتى نشخصك اليه
فمرنا بما شئت فقال امضوا
لشأنكم فانى لائذ بخالقى ولا راد
لقضائه فساروا حتى وصلوا الى
واسط فلما انتهوا اليها قال لهم
سعيد يا معشر القوم قد تحرمت
بكم وصحبتكم ولست أشك ان
أجلى قد حضر وان المدة قد
انقضت فدعونى الليلة آخذ
أهبة الموت واستعد لمنكر
ونكير واذكر عذاب القبر
وما يحثى على من التراب فاذا
أصبحتم فالميعاد بينى وبينكم
المكان الذى تريدون فقال بعضهم
لا نريد أثرا بعد عين وقال بعضهم
قد بلغتم أملكم فلا تجزوا عنه
وقال بعضهم هو على أدفعه
اليكم ان شاء الله تعالى فنظروا
الى سعيد وقد دمعت عيناه وتغير لونه ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه وصحبوه فقالوا با جمعهم يا خير أهل الارض ليتنا لم نعرفك
ولم نرسل اليك الويل لنا كيف ابتلينا بك اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الاكبر فانه القاضى الاكبر والعدل الذى لا يجور فلما فرغوا
من البكاء قال كفيله أسألك بالله يا سعيد الا ما زودتنا من دعائك وكلامك فانا لن نلقى مثلك فدعا لهم سعيد فخلوا سبيله فغسل رأسه

وسلم لكل شئ مصقلة ومصقلة القلب الذكر وأفضل الذكر لا اله الا الله لجلاء القلب
وبياضه وتنويره بالذكر وروى ان من قرأ قل هو الله أحد فى بدايته نور الله قلبه وقوى
يقينه وجاء فى الاثر أن العبد اذا قال لا اله الا الله أعطاه من الثواب بعدد كل كافر وكافرة
قيل والسبب أنه لما قال هذه الكلمة فكأنه قد رد عليهم فلا جرم أنه يستحق الثواب بعددهم
وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد فقال البئر المعطلة قلب
الكافر معطل عن قول لا اله الا الله والقصر المشيد قلب المؤمن معمور بشهادة أن لا اله الا
الله وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خرج من فيه طائر أخضر له جناحان أبيضان
مكللان بالدر والياقوت يصعد الى السماء فيسمع له دوى تحت العرش كدوى النحل فيقال له
اسكن فيقول لا حتى تغفر لصاحبى فيغفر لقائلها ثم يجعل بعد ذلك للطائر سبعون لسانا
تستغفر لصاحبه الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة جاء ذلك الطائر يكون قائده ودليله الى
الجنة وعن عبد الواحد بن زيد أنه قال كنت فى مركب فطرحتنا الريح على جزيرة فخرجنا الى
الجزيرة فرأينا شخصا يعبد صنما فقلنا له تعبد هذا الصنم وفينا من يصنع مثله فقال أنتم من
تعبدون فقلنا نعبد الهنا فى السماء عرشه وفى الارض بطشه وفى البحر سبيله قال من أعلمكم به
قلنا أرسل الينا رسولا قال ما فعل الرسول قلنا قبضه الملك اليه قال فهل ترك عندكم من
علامة قلنا نعم كتاب الملك قال هل عندكم منه شئ فشرعنا نقرأ عليه سورة الرحمن فما زال
يبكى حتى ختمت ثم قال ما ينبغى أن يعصى صاحب هذا الكلام ثم عرضنا عليه الاسلام فأسلم
وحملناه معنا فى السفينة فلما جن الليل وصلينا العشاء أخذنا مضاجعنا للنوم فقال لنا هذا
الاله الذى دللتمونى عليه ينام قلنا بل هو حى قيوم لا ينام قال بئس العبيد أنتم تنامون
ومولاكم لا ينام فلما وصلنا البر وأردنا الانصراف جمعنا له شيأ من الدراهم فقال ما هذا قلنا
تستعين به على نفسك فقال دللتمونى على طريق ما أراكم سلكتموها أنا كنت أعبد غيره
فلم يضيعنى أفيضيعنى الآن بعدما عرفته فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لى انه فى النزع فجئت
اليه وقلت له هل من حاجة فقال قضى حوائجى الذى أخرجنى من الجزيرة ونمت عنده
فرأيت جارية فى روضة خضراء وهى تقول عجلوا به فقد طال شوقى اليه فاستيقظت وقد
مات فدفنته ونمت تلك الليلة فرأيته فى المنام وعلى رأسه تاج وبين يديه الحور العين وهو
يقرأ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال
الحسن البصرى رأيت مجوسيا يجود بنفسه فقلت له كيف أنت وكيف حالك فقال لى قلب
عليل ولا قوة لى وبدن سقيم ولا صحة لى وقبر موحش ولا أنيس لى وطريق بعيد ولا زاد لى
وصراط رقيق ولا جواز لى ونار حامية ولا بدن لى وجنة عالية ولا نصيب لى ورب عادل ولا
حجة لى قال فأقبلت عليه وقلت لم لا تسلم فقال يا شيخ المفتاح بيد الفتاح والقفل هاهنا
وأشار الى صدره وغشى عليه فقلت الهى وسيدى ان كان سبق لهذا المجوسى حسنة فعجل
بها فأفاق من غشيته ثم أقبل على فقال يا شيخ ان الفتاح أرسل المفتاح مد يدك فأنا أشهد
أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ومات رحمه الله تعالى وروى محمد بن آدم قال رأيت
بمكة أسقفا يطوف بالكعبة فقلت له ما الذى نزعك من دين آبائك قال تبدلت خيرا منه فقلت

ومدرعته وكساءه وهم مختفون الليل كله فلما انشق عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير يقرع الباب فقالوا من بالباب فقال صاحبكم ورب الكعبة فنزلوا اليه وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به الى الحجاج فدخل عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير فلما مثل بين يديه قال له ما اسمك قال سعيد بن جبير قال انت شقى بن كسير قال بلى أمى كانت أعلم باسمى منك قال شقيت أنت وشقيت امك قال الغيب يعلمه غيرك ثم قال له الحجاج لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى قال لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك الها قال فما قولك فى محمد قال نبى الرحمة قال فما قولك فى على هل هو فى الجنة أم فى النار قال لو دخلتهما وعرفت أهلهما عرفت من فيهما قال فما قولك فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فايهم أعجب اليك قال أرضاهم لخالقى قال فايهم أرضى للخالق قال علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لا تضحك قال أيضحك مخلوق خلق من الطين والطين تاكله النار قال فما بالنا نضحك قال لم تستو القلوب قال ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضع بين يدى سعيد فقال له سعيد ان كنت جمعت هذا لتفتدى به من فزع يوم القيامة فصالح والا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ولا خير فى شئ جمع من الدنيا الا ما طاب وزكا ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فبكى سعيد فقال الحجاج ويلك يا سعيد أى قتلة تريد ان أقتلك قال اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلنى قتلة الا قتلك الله مثلها فى الآخرة قال أفتريد ان أعفو عنك قال ان كان العفو فمن الله وأما أنت فلا قال اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فاخبر الحجاج بذلك فامر برده فقال ما أضحكك قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عليك فامر بالنطع فبسط بين يديه وقال اقتلوه فقال سعيد وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين قال وجهوه لغير القبلة قال سعيد فى فاينما تولوا فثم وجه الله فقال كبوه لوجهه فقال سعيد منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال الحجاج اذبحوه

وكيف ذلك قال ركبت البحر فلما توسطناه انكسر المركب فلم تزل الامواج تدافعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر عذب فحمدت الله على ذلك وقلت آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يقضى الله بأمره فلما ذهب النهار خفت على نفسى من الوحش فطلعت على شجرة ونمت على غصن من أغصانها فلما كان فى جوف الليل واذا بدابة على وجه الماء تسبح الله تعالى وتقول لا اله الا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبى المختار أبو بكر الصديق صاحبه فى الغار عمر الفاروق فاتح الامصار عثمان القتيل فى الدار على سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبار ومأواه النار وبئس القرار ولم تزل تكرر هذه الكلمات الى الفجر فلما طلع الفجر قالت لا اله الا الله الصادق الوعد والوعيد محمد رسول الله الهادى الرشيد وأبو بكر السديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان الفضيل الشهيد على ابن أبى طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الرب المجيد ثم أقبلت الى البر فاذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخشيت على نفسى الهلكة فهربت فنطقت بلسان فصيح فقالت يا هذا قف والا تهلك فوقفت فقالت ما دينك فقلت دين النصرانية فقالت ويلك ارجع الى دين الحنيفية فقد حللت بفناء قوم من مسلمى الجن لا ينجو منهم الا من كان مسلما فقلت وكيف الاسلام قالت تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلتها فقالت أتم اسلامك بالترحم على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم فقلت من أتاكم بذلك قالت قوم منا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوه يقول اذا كان يوم القيامة تأتى الجنة فتنادى بلسان فصيح الهى قد وعدتنى أن تشيد أركانى فيقول الجليل جل جلاله قد شيدت أركانك بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وزينتك بالحسن والحسين ثم قالت الدابة أتريد أن تقعد ههنا أم الرجوع الى أهلك فقلت الرجوع الى أهلى فقالت اصبر حتى تمر بك مركب فبينما نحن كذلك واذا بمركب أقبلت تجرى فأومأت لها فدفعوا الى زورقا فركبت فيه ثم جئت اليهم فوجدت المركب فيها اثنا عشر رجلا كلهم نصارى فقالوا ما الذى جاء بك الى ههنا فقصصت عليهم قصتى فتعجبوا من أمرى وأسلموا كلهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى العلم فى الورد الاعظم لابن النحاس عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل عمودا من نور بين يديه سبحانه وتعالى فاذا قال العبد لا اله الا الله اهتز العمود فيقول الله تبارك وتعالى للعمود اسكن فيقول العمود أى رب كيف اسكن ولم تغفر لقائلها فيقول الله تبارك وتعالى اسكن أيها العمود فانى قد غفرت له فيسكن العمود عند ذلك وذكر أبو محمد عبد الله اليافعى فى كتاب الارشاد عن الشيخ أبى عبد الله القرطبى أنه قال سمعت فى بعض الآثار أن من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة كانت فداء من النار فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد أعمالا ادخرتها لنفسى وعملت بها لاهلى وكان اذ ذاك يبيت معنا شاب كان يقال انه يكاشف فى بعض الاوقات بالجنة والنار وكان فى قلبى منه شئ فاتفق أنه استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول من الطعام والشاب معنا فصاح صيحة منكرة واجتمع

فقال سعيد أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ثم قال اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى فذبح على النطع رحمه الله تعالى ورضى عنه فكانت رأسه بعد قطعها تقول لا اله الا الله وعاش الحجاج بعد قتله خمسة عشر يوما وذلك فى سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد تسعا وأربعين سنة اللهم اكفنا ما أهمنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا آمين آمين والحمد لله رب العالمين

(المجلس الثانى والعشرون فى الحديث الثانى والعشرين)

الحمد لله الذى عز جلاله فلا تدركه الاوهام وسما كماله فلا تحيط به الافهام وشهدت أفعاله انه الواحد الحكيم العلام وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من قال ربى الله ثم استقام وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله وقد ارتفع من غبار الشرك قتام فجاهد فى الله بحد الحسام فأردى الكفرة اللئام وأرضى الملك العلام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام آمين (عن أبى عبد الله جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت ان صليت المكتوبات الخمس وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيأ أأدخل الجنة قال نعم رواه مسلم) ومعنى حرمت الحرام اجتنبته ومعنى أحللت الحلال فعلته معتقدا حله * اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان الرجل السائل اسمه النعمان بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة وآخره لام (قوله أرأيت) من الرأى أى ترى وتفتى بأنى (اذا صليت المكتوبات الخمس وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام) أى اجتنبته (ولم أزد على ذلك شيأ) من التطوعات (أأدخل الجنة) أى من غير عقاب وقد صح أن بعض الكبائر تمنع من دخول الجنة مع التأخير كقطع الرحم والكبر والدين حتى يقضى وصح أن المؤمنين اذا جازوا على الصراط حبسوا على قنطرة حتى يقتص منهم مظالم كانت بينهم فى الدنيا (قوله قال نعم) أى تدخلها ولم يذكر الزكاة والحج لعدم

فى نفسه وهو يقول يا عمى هذه أمى فى النار وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه من أمر عظيم فلما رأيت ما به قلت فى نفسى اليوم أجرب فقلت فى نفسى اللهم انى عملت السبعين ألفا وقد اشتريت بها أم هذا الشاب من النار فما استتم هذا الخاطر الا وتبسم الشاب وسر وقال يا عمى ها هى أمى قد أخرجت من النار فحصل لى فائدتان صدق الاثر وعلمى بصدق الشاب المذكور (ويقيموا الصلاة) أى يأتوا بها على الوجه المأمور به أو يداوموا عليها كما مر (ويؤتوا الزكاة) أى الى مستحقيها أو الى الامام ليدفعها لهم ولم يذكر الصوم والحج لكونهما لم يفرضا أو لكونهما لم يقاتل على تركهما (فاذا) عبر بها مع أنها للمحقق دون ان التى للمشكوك فيه مع أن فعلهم قد يكون وقد لا يكون لانه علم أمانة بعضهم ففعلهم لشرفهم أو تفاؤلا بوقوع الفعل منهم فأشبه الدعاء بالماضى نحو غفر الله لك (فعلوا ذلك) كله أى أتوا به قولا كان وهو الشهادتان أو فعلا وقولا وهو الصلاة أو فعلا محضا وهو الزكاة فان قلت المشار اليه بعضه قول فكيف أطلق الفعل عليه فالجواب اما باعتبار أنه فعل اللسان واما على سبيل التغليب للاثنين على الواحد (عصموا) حفظوا ومنعوا من العصمة وهى لغة المنع والعصام الخيط الذى يشد به فم القربة لمنع سيلان الماء واصطلاحا ملكة نفسانية تمنع من الفجور والمخالفة وقيل صفة توجب امتناع عصيان موصوفها والمراد بها هذا المعنى اللغوى (منى دماءهم وأموالهم) فلا يحل سفك دمائهم ولا أخذ أموالهم والمراد بالدماء الانفس ففيه التعبير بالبعض عن الكل فان قيل لم لم يكتف بذكر الشهادتين عن قوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فالجواب أنه ذكرهما لتعظيمهما والاهتمام بشأنهما دون غيرهما (الا بحق الاسلام) فلا يعصم حينئذ دمهم ولا مالهم وفسر هذا الحق فى حديث بأنه زنا بعد احصان أو كفر بعد ايمان أو قتل النفس التى حرم الله تعالى وقضيته أن الزانى والقاتل تباح أموالهما وليس مرادا فكأنه غلب الكافر عليهما ثم الحكم عليهم بعصمة الدماء والاموال انما هو باعتبار الظاهر (و) أما باعتبار الباطن فأمرهم ليس الى الخلق بل (حسابهم على الله) فيما يسرونه من كفر ومعصية وفى حديث أبى سعيد الخدرى ما أمرت أن أشق عن قلوب الناس ولا بطونهم وعلى بمعنى اللام أو بمعنى الى فما أفهمه لفظ العلاوة من الوجوب غير مراد اذ لا يجب على الله شئ هذا ما عليه أهل السنة وأما عند المعتزلة فهو ظاهر لان الحساب عندهم واجب عقلا (تتمة) قال الامام الرازى فى كلامه على هذا الحديث قد جعل الله تعالى العذاب عذابين أحدهما السيف من يد المسلمين والثانى عذاب الآخرة والسيف فى غلاف يرى والنار فى غلاف لا يرى فقال لرسوله من أخرج لسانه من الغلاف المرئى وهو الفم فقال لا اله الا الله محمد رسول الله ادخلنا السيف فى الغمد الذى يرى ومن أخرج القلب من الغلاف الذى لا يرى وهو الشرك أدخلنا سيف عذاب الآخرة فى غمد الرحمة (رواه البخارى ومسلم) فى كتاب الايمان الا أن مسلما لم يذكر فى حديثه عن ابن عمر الا بحق الاسلام لكنه قال فى رواية له عن أبى هريرة الا بحقها وفى رواية أخرى الا بحقه فنسبه المؤلف الى تخريجه بالنظر الى مجموع رواياته وذلك يقع للمحدثين كثيرا ولا ينكره الا من لم يمارس فنهم وبذلك زال العجب وبطل الشغب الذى صول به الشارح

فرضهما اداذاك أو لكونه لم يخاطب بهما وفي الحديث جواز ترك التطوعات رأسا وان غالا عليه أهل بلده فلا يقاتلون وان ترتب على تركها فوات ربح عظيم وثواب جسيم واسقاط للمروأة ورد للشهادة لان مداومة تركها تدل على تهاون في الدين الا أن يقصد بتركها الاستخفاف بها والرغبة عنها فيكفر الاشارة الاولى الحكمة في ان الصلوات خمسة أن الصلوات وجبت على العبد شكرا لنعمة البدن ونعمة البدن هي الحواس الخمس الذوق والشم والسمع والبصر واللمس ولكل حاسة من هذه الحواس أشياء يعلم منها ماوضعت له فنعمة اللمس اثنان اذا وضعت يدك مثلا على شئ لمسته عرفت ان كان خشنا أو ناعما فقابله ركعتان وهي صلاة الصبح وأما الثانية من الخمسة وهي الشم فانت تشم الرائحة من الجوانب الاربع فقابلها أربع ركعات وهي صلاة الظهر والثالثة من الحواس السمع فتسمع بها من الجوانب الاربع فقابلها أربع ركعات وهي صلاة العصر الرابعة البصر فاذا وقفت مثلا في مكان ترى عن يمينك ويسارك وأمامك ولا ترى من خلفك فهذه ثلاثة فقابل ذلك ثلاث ركعات وهي المغرب الخامسة الذوق فتعرف به الحرارة والبرودة والحلو والحامض وهي أربعة فيقابله أربع ركعات وهي العشاء (الاشارة الثانية) القبلة خمس العرش قبلة الحافين والكرسي قبلة الكروبيين والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المؤمنين وفأينما تولوا فثم وجه الله قبلة المتحيرين فالعرش خلقه الله من نور والكرسي من در والبيت المعمور من عقيق وقيل من ياقوت والكعبة من خمسة أجبل والحكمة في ذلك انك اذا صليت هذه الصلوات الخمس وكانت ذنوبك ثقل هذه الجبال غفرها الله ولا يبالي (الاشارة الثالثة) في شرح المسند للرافعي رحمه الله ان الصبح كانت لآدم والظهر كانت لداود والعصر كانت لسليمان والمغرب كانت ليعقوب والعشاء كانت ليونس عليهم الصلاة والسلام فجمع الله تعالى هذه

الهيتمي على المؤلف

* (الحديث التاسع عن أبي هريرة) * أخرج الترمذي بسند حسن عن عبد الله بن أبي رافع قال قلت لابي هريرة لم كنيت بأبي هريرة قال كنت أرعى غنم أهلي وكانت لي هرة صغيرة فكنت أجعلها بالليل في شجرة واذا كان بالنهار ذهبت بها معي فكنيت بها فكنوني أبا هريرة وروى ابن عبد البر عن أبي هريرة أنه قال كنت أحمل يوما هرة في كمي فرآني النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه فقلت هرة فقال يا أبا هريرة وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا أباهر وكان يكنى قبلها أبا الاسود فتحصل أنه كني بها لانه كان يحبها اما صغيرا يلعب بها أو كبيرا يحسن اليها لانه الذي روى ان امرأة عذبت في هرة فلعله أخذ بقياس العكس فرجا الثواب في الاحسان اليها (عبد الرحمن) ونقل ابن اسحق عن بعض أصحابه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال كان اسمي في الجاهلية عبد شمس فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن (ابن صخر) الدوسي قدم المدينة في سنة سبع ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فسار الى خيبر حتى قدم مع النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وعن قيس عنه أنه قال لما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت في الطريق

يا ليلة من طولها وعنائها * على أنها من دارة الكفر نجت

قال وأبق مني غلام لي في الطريق فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فبينما أنا عنده اذ طلع الغلام فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة هذا غلامك فقلت هو حر لوجه الله تعالى فاعتقته وعن سليم بن حيان قال سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة يقول نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجيرا لبسرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي وكنت أخدم اذا نزلوا وأحدو اذا ركبوا فزوجنيها الله والحمد لله الذي جعل الدين قواما وأبا هريرة اماما وعن ابن كثير قال حدثني أبو هريرة قال ماخلق الله مؤمنا يسمع بي ولا يراني الا أحبني قلت ومن أعلمك بهذا يا أبا هريرة قال ان أمي كانت مشركة واني كنت أدعوها الى الاسلام وكانت تأبى علي فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يارسول الله اني كنت أدعو أمي الى الاسلام وكانت تأبى علي واني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله ان يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد أم أبي هريرة فخرجت أعدو لابشرها بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتيت الباب اذ هو مجاف وسمعت خضخضة الماء وسمعت خشخشة رجل فقالت يا أبا هريرة كما أنت ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها فقالت اني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن فقلت يارسول الله ابشر فقد استجاب الله دعاءك وقد هدى أم أبي هريرة وقلت يارسول الله ادع الله أن يحببني وأمي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب عبيدك هؤلاء الى عبادك المؤمنين فما خلق الله من مؤمن يسمع بي ولا يراني أو يرى أمي الا وهو يحبني * وعن الاعرج انه قال قال أبو هريرة

الصلوات لمحمد وأمته تعظيما له ولامته (الاشارة الرابعة) قال بعض أهل المعاني أجناس الصلوات الخمس ثلاثي ورباعي وثنائي والحكمة فيه ان الله تعالى خلق جميع الملائكة على ثلاثة أجناس فمنهم ذو جناحين ومنهم ذو ثلاثة ومنهم ذو أربعة كما قال تعالى جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع فامر الله تعالى بصلوات هذه الخمس ليعطي المصلي ثواب تسبيح الملائكة كلهم بفضله ورحمته الاشارة الخامسة) قال بعض أهل المعاني أيضا الحكمة في هذه الصلوات الخمس في الاوقات الخمس ان الله سبحانه وتعالى فعل أفعالا لا يقدر على فعلها الا هو * منها أنه يذهب ظلمة الليل ويجيء بضوء النهار عند طلوع الفجر فوجب على عبده أن يصلي الفجر * ومنها ارتفاع الشمس عند الاستواء ولا يقدر على ذلك الا هو فوجب على عباده صلاة الظهر * ومنها انخفاضها بدخول وقت العصر ولا يقدر على ذلك الا هو فوجبت صلاة العصر * ومنها غروب الشمس بدخول وقت المغرب فوجبت صلاة المغرب * ومنها ذهاب النهار ببهائه واتيان الليل بظلمائه فوجب على عباده صلاة العشاء فهذه خمسة أفعال لا يقدر عليها الا هو فأمر عباده ان يصلوا فيها خمس صلوات ولا يستحقها الا هو (الاشارة السادسة) عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ملأ من المهاجرين اذ أقبل عليه نفر من اليهود فقالوا يا محمد جئنا نسألك عن أشياء لا يعلمها الا نبي مرسل أو ملك مقرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا فقالوا يا محمد أخبرنا عن هذه الصلوات التي افترضها الله على أمتك في الليل والنهار خمس صلوات في خمس مواقيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الظهر فان لله تعالى في سماء الدنيا حلقة تزول بها الشمس فاذا زالت الشمس سبح كل ملك فأمر الله تعالى بالصلاة في ذلك الوقت الذي تفتح فيه أبواب السماء فلا تغلق حتى يصلي الظهر ويستجاب فيه الدعاء وأما العصر فهي الساعة التي وسوس فيها الشيطان لآدم حتى أكل من الشجرة فأمرني الله تعالى وامتي بالصلاة في تلك الساعة وأما المغرب

هريرة انكم تقولون مابال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاحاديث ومابال الانصار لا يحدثون بهذه الاحاديث وان أصحابي من المهاجرين كانت شغلتهم صفقاتهم في الاسواق وان أصحابي من الانصار كانت شغلتهم أراضيهم والقيام عليها واني كنت امرأ معتكفا وكنت أكثر من مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم احضر اذا غابوا وأحفظ اذا نسوا وان النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا يوما فقال من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ثم يقبضه فانه ليس ينسى شيأ سمعه مني أبدا فبسطت ثوبي أو قال ردائي ثم حدثنا فقبضته الي فوالله مانسيت شيأ سمعته منه وايم الله لولا آية في كتاب الله عز وجل ماحدثتكم بشئ أبدا ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب الآية كلها * وعن مجاهد ان أبا هريرة كان يقول والله اني كنت لاعتمد بكبدي على الارض من الجوع واني كنت لاشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ماسألته الا ليستتبعني فلم يفعل ثم مر عمر فسألته عن آية من كتاب الله ماسألته الا ليستتبعني فلم يفعل فمر أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فعرف مافي وجهي ومافي نفسي فقال أباهر فقلت لبيك يارسول الله قال الحقني فتبعته فدخل واستأذنت فأذن لي فوجد لبنا في قدح فقال من أين لكم هذا اللبن فقالوا أهداه لنا فلان أو آل فلان قال أباهر قلت لبيك يارسول الله قال انطلق الى أهل الصفة فادعهم قال وأهل الصفة أضياف الاسلام لم يأووا الى أهل ولا مال فاذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية أصاب منها أو بعث اليهم واذا جاءت الصدقة أرسل بها اليهم ولم يصب قال فأحزنني ذلك وكنت أرجو ان أصيب من اللبن شربة أقوى بها بقية يومي وليلتي فقلت أنا الرسول فاذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم فلم يبق لي من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فانطلقت فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم فأخذوا مجالسهم من البيت ثم قال أباهر خذ فاعطهم فأخذت القدح فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح حتى أتيت على آخرهم ودفعته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ القدح فوضعه في يده وقد بقي فيه فضلة ثم رفع رأسه فنظر الي وتبسم فقال أباهر فقلت لبيك يارسول الله قال اقعد فاشرب فقعدت فشربت ثم قال لي اشرب فشربت ثم قال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب وأشرب حتى قلت والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال ناولني القدح فرددت اليه القدح فشرب من الفضلة * وعن عبد الرحمن بن عبيد عن أبي هريرة قال اني كنت لاتبع الرجل اسأله عن الآية من كتاب الله تعالى وأنا أعلم بها منه ومن عشيرته وما اتبعه الا ليطعمني القبضة من التمر أو السف من السويق أو الدقيق أسد بها جوعتي فأقبلت أمشي مع عمر بن الخطاب ذات ليلة أحدثه حتى بلغ بابه فاسند ظهره الى الباب واستقبلني بوجهه وكلما فرغت من حديث حدثته بآخر حتى اذا لم أر شيأ انطلقت فلما كان بعد ذلك لقيني فقال يا أباهر أما انه لو كان في البيت شئ لاطعمناك * وعن ثابت بن أبي رافع ان أبا هريرة قال ما أحد من الناس يهدي الي هدية الا قبلتها فاما السؤال فلم أكن لاسأل

فانها الساعة التى تاب الله تعالى فيها على آدم حين تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه فامر الله أمتى بالصلاة فى تلك الساعة توبة لما أذنبوا وأما العشاء فانها صلاة المرسلين قبلى وأما الصبح فان الشمس اذا طلعت تطلع بين قرنى الشيطان فيسجد لها كل كافر من دون الله عز وجل فامرنى الله تعالى وأمتى ركعتين قبل أن يسجد الكافر لغير الله تعالى فقالوا صدقت يا محمد نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله (الاشارة السابعة) قال ابن الملقن ما أحسن قول بعض الصالحين اذا قمت الى الصلاة فاعلم أن الله تعالى مقبل عليك فأقبل على من هو مقبل عليك وقريب منك وناظر اليك فاذا ركعت فلا تؤمل أن ترفع واذا رفعت فلا تؤمل أن تضع ومثل الجنة عن يمينك والنار عن يسارك والصراط تحت قدمك فحينئذ تكون مصليا (الاشارة الثامنة) قيل اذا وضع الميت فى قبره جاءته أربع نيران فتجئ الصلاة فتطفئ واحدة وتجئ الصيام فيطفئ واحدة وتجئ الصدقة فتطفئ واحدة وتجئ الصبر فيطفئ واحدة (الاشارة التاسعة) عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان العبد اذا قام الى الصلاة وقال الله أكبر خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه واذا قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم كتب الله له بكل شعرة على بدنه حسنة واذا اقرأ الفاتحة فكانما حج واعتمر واذا ركع فكانما تصدق بوزنه ذهبا واذا قال سبحان ربى العظيم فكانما قرأ كل كتاب نزل من السماء واذا قال سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة واذا سجد أعطاه الله تعالى بعدد الانس والجن حسنات واذا قال سبحان ربى الاعلى فكانما أعتق بكل سورة وآية رقبة واذا تشهد أعطاه الله ثواب الصابرين واذا سلم فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء * وقال بكر بن عبد الله من مثلك يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل له وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك * بعض وقال ابن عجلان وبخ أهل زماننا بينما الآدمى منهم فى الصلاة يذكر الله والدار الآخرة واذا أكله برغوث أو نحوه نسى الله تعالى

* وعن خالد بن عكرمة ان أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة ويقول اسبح بقدر ذنبى * وعن نعيم بن المحرر عن أبى هريرة أنه كان له خيط فيه الفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به * وعن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال لقد رأيتنى أصرع بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين حجرة عائشة فيقول الناس انه لمجنون ومابى جنون ومابى الا الجوع وعن أبى المتوكل ان أبا هريرة كانت له زنجية فرفع عليها السوط يوما فقال لولا القصاص لاغشيتك به ولكن سأبيعك ممن يوفينى ثمنك اذهبى فانت حرة لوجه الله عز وجل * وعن ابن عباس فروخ الحريرى قال سمعت أبا عثمان النضرى يقول تضيفت أبا هريرة فكان هو وامرأته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثا يصلى هذا ثم يوقظ هذا فيصلى ثم هذا يوقظ هذا فيصلى وأخرج البيهقى وغيره عن أبى هريرة قال أصبت ثلاث مصايب فى الاسلام موت النبى صلى الله عليه وسلم وقتل عثمان والمزود قالوا وما المزود قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فقال معك شئ فقلت تمر فى مزود قال جئ به فاخرجت منه تمرا وفى رواية عشرين تمرة فسمى الله ودعا وجعل يضع كل تمرة ويسمى حتى أتى الى آخرهن ثم قال ادع عشرة فدعوتهم حتى أكل الجيش كله وبقى فى المزود فقال اذا أردت أن تأخذ منه شيئا فخذ ولا تكبه فاكلت منه حياة أبى بكر وعمر وعثمان فلما قتل انتهب بيتى وانتهب المزود الا أخبركم أكلت منه أكثر من مائتى وسق * وعن ثعلبة بن أبى مالك القرظى ان أبا هريرة أقبل فى السوق يحمل حزمة من الحطب وهو يومئذ خليفة لمروان قال أوسعوا الطريق للامير قال ابن أبى مالك قلت أصلحك الله تكفى هذا فقال أوسع الطريق للامير والحزمة عليه قال البخارى روى عنه أكثر من ثمانمائة ما بين صحابى وتابعى استعمله عمر على البحرين ثم عزله ثم راوده على العمل فأبى ولم يزل يسكن المدينة وبها توفى ويقال توفى بالعقيق سنة سبع وقيل ثمان وقيل تسع وخمسين فى آخر خلافة معاوية وله ثمان وسبعون سنة روى عنه خمسة آلاف وثلثمائة حديث وأربعة وسبعون حديثا اتفقا منها على ثلثمائة وخمسة وعشرين وانفرد البخارى بثلاثة وتسعين ومسلم بمائة وسبعين (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما نهيتكم) هذا الخطاب ونحوه يختص لغة بالموجودين عند وروده فلا يتناول من حدث بعدهم الا بدليل وهو اما مساواتهم فى الحكم الشرعى لانتفاء اختصاصه بمكلف دون مكلف واما الاجماع (عنه فاجتنبوه) كله حتى يوجد ما يبيحه كاكل الميتة عند الضرورة وشرب الخمر عند الاكراه ولاساغة الغصة لان المكلف ليس منهيا فى الحال على الصحيح وأما فى التداوى فغير جائز ولو طلاء لحديث ان الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها ومثل ذلك شربه للعطش اذ لا ينقطع به العطش وقوله فاجتنبوه حتما فى الحرام وندبا فى المكروه قال الفاكهانى لا يتصور امتثال اجتناب المنهى عنه حتى يترك جميعه فلو اجتنب بعضه لم يعد ممتثلا بخلاف الامر يعنى المطلق فان من أتى باقل ما يصدق عليه الاسم كان ممتثلا (وما أمرتكم به فأتوا) وفى رواية فافعلوا (منه ما استطعتم) أى ما أطقتم وجوبا فى الواجب وندبا فى المندوب كالصلاة قائما مستندا فيما عدا المضطر فيه تاقيا فموميا ولو عجز عن صاع الفطر أتى بما قدر عليه واما من قدر على صيام بعض النهار فلا يفعل لان صوم

والدار الآخرة وأقبل بجملته على ما أصابه من جسده فقد روى عن مسلم بن يسار كان ذات يوم فى صلاة فوقعت ناحية من المسجد ففزع أهل المسجد منها فما شعر ولا التفت وقيل كان الحسن اذا توضأ تغير لونه وارتعدت فرائصه فقيل له فى ذلك فقال حق لمن وقف بين يدى الله تعالى أن يصفر لونه وترتعد فرائصه وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه اذا حضر وقت الصلاة تغير لونه فقيل له مالك يا أمير المؤمنين فقال قد جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان فلا أدرى هل أحسن أن أؤدى ما حملت أم لا وأنشد مكحول

ألا فى الصلاة الخير والفضل أجمع
لان بها الارقاب لله تخضع
وأول فرض كان من فرض ديننا
واخر ما يبقى اذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة
وكان كعبد باب مولاه يقرع
وصار لرب العرش حين صلاته
قريبا فيا طوباه لو كان يخشع

وتقدمت هذه الابيات أيضا فى المجلس الثالث وذكر أن التحيات اسم طير فى الجنة على شجرة يقال لها الطيبات بجانب نهر يقال له الصلوات فاذا قال العبد التحيات لله الصلوات الطيبات نزل ذلك الطير عن تلك الشجرة وانغمس فى ذلك النهر ثم طلع ونفض ريشه على جانب ذلك النهر فكل قطرة وقعت منه خلق الله تعالى منها ملكا يستغفر للمصلى الى يوم القيامة ويقال رفع اليدين فى الصلاة اشارة الى رفع الحجب بين العبد وبين الله عز وجل * وقال ابن عطاء الله فى لطائف المنن اذا صلى المؤمن صلاة وتقبلها الله منه خلق الله من صلاته صورة فى الملكوت تركع وتسجد الى يوم القيامة ويكون ثواب ذلك لمن صلى * ويروى أن الله تعالى خلق ملكا تحت العرش له أربعة أوجه بين الوجه والوجه ألف عام الاول ينظر به الى الجنة ويقول طوبى لمن دخلك والثانى ينظر به الى النار ويقول ويل لمن دخلك والثالث ينظر به الى العرش ويقول سبحان الله ما أعظمك والرابع يخر به ساجدا ويقول سبحان ربى الاعلى وله خمس حركات فى اليوم والليلة عند أوقات

بعض اليوم ليس يقربه واذا عجز عن بعض الفاتحة فى الصلاة أو قدر على غسل أو مسح بعض الاعضاء فى الوضوء أتى بالممكن وصحت عبادته وهذا موافق لقوله فاتقوا الله ما استطعتم واما اتقوا الله حق تقاته فقال قتادة والسدى وابن زيد والربيع بن أنس انها منسوخة بالاولى فالاصح بل الصواب وبه جزم المحققون انها ليست منسوخة بل قوله تعالى ما استطعتم مفسرة لها ومبينة للمراد منها قالوا وحق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه ولم يأمر سبحانه وتعالى الا بالمستطاع قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقال بعضهم ان المبالغة فى التقوى تكون بأمرين أحدهما استصحاب التقوى الى الوفاة والامر الآخر استيفاء جميع الطاعات وحفظ جميع الحدود والحرمات فتعرضت آية آل عمران للمبالغة فى استغراق العمر كله الى الوفاة بالتقوى ويدل على ذلك قوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون وتعرضت آية التغابن الى الامر الآخر فان قلت الاستطاعة معتبرة فى النهى أيضا اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها فلم قيد الامر دون النهى فالجواب ان المأمور به متوقف على فعل بخلاف المنهى عنه فانه كف محض فلهذا قال فى الاول فاجتنبوه وقال فى الثانى فاتوا منه ما استطعتم فترك المنهى عنه عبارة عن استصحاب حال عدمه أو الاستمرار على عدمه فكل مكلف قادر على الترك ولا داعية للشهوة فلا يتصور عدم الاستطاعة فى الكف بخلاف فعل المأمور به فانه عبارة عن اخراجه من العدم الى الوجود وذلك يتوقف على شروط واسباب فلذلك قيد بالاستطاعة دون النهى ونوزع بان القدرة على استصحاب عدم النهى عنه قد يتخلف واستدل له بجواز أكل المضطر الميتة وشرب المكره الخمر ورد بأنه لا نهى حينئذ وانما قدم فى الحديث النهى على المأمور به لان الاول أشد من الثانى لانه لم يرخص فى شئ والامر مقيد بالاستطاعة ولذا قال بعضهم اعمال البر يعملها البار والفاجر والمعاصى لا يتركها الا صديق ومن ثم تسومح فى ترك الواجب كالقيام فى الصلاة بحصول المشقة ولم يسامح فى الاقدام على بعض المنهيات الا بالاضطرار كاكل الميتة واساغة الغصة بالخمر أو لان المقام مقام نهى الاقرع بن حابس عن مسألته كما يأتى (وانما أهلك الذين من قبلكم) من أمم الانبياء (كثرة مسائلهم) من غير ضرورة عما لا يعنيهم مما اقترحوه كقولهم لعيسى هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ولموسى فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض أرنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم آلهة ادع لنا ربك يبين لنا ما هى فان بنى اسرائيل لما أمروا بذبح بقرة تعنتوا ولم يبادروا الى مقتضى اللفظ من ذبح أى بقرة كانت بل شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن حال البقرة وصفتها فشدد الله عليهم بزيادة الاوصاف حتى لم يجدوا متصفا بها الا بقرة واحدة فاشتروها بملء جلدها ذهبا وقال السدى اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا وكانت تحته حكمة عظيمة وذلك انه كان فى بنى اسرائيل رجل صالح وكان له ابن طفل وكان له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر وكان بارا بوالديه حتى بلغ من بره ان رجلا أتاه يساومه بخمسين ألفا وكان فيها فضل فاشتراها منه وقال له ان أبى نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأمهلنى حتى يستيقظ فقال له أيقظ أباك واعطنى الثمن فقال له ما كنت لافعل ولكن

أزيدك عشرة وأنظرني حتى يقبه فقال له البائع انا أحط عنك عشرة آلاف ان أيقظت
أباك وعجلت النقد فقال وأنا أزيدك عشرين ألفا ان انتظرت انتباهه فأبى ولم يوقظ الرجل
اباه ومات الاب بعد ذلك ومكثت العجلة في الغيضة حتى صارت عوانا وكانت من أحسن
البقر وأسمنه حتى كانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وكانت تهرب من كل من رآها فلما
كبر الابن كان يقسم الليل ثلاثة أقسام يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا
أصبح انطلق واحتطب على ظهره فأتى به السوق ويبيعه بما شاء الله تعالى ثم يتصدق بثلثه
ويأكل ثلثه ويعطي أمه ثلثه فقالت له أمه يوما ان أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة
كذا فانطلق فادع اله ابراهيم واسمعيل واسحاق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت
اليها يخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها فأتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال
أعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض
على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني
فان ذلك أهون عليك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت
البقرة باله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقطع
من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بوالدتك فسار الفتى بها فاستقبله عدو الله ابليس في صورة
راع فقال أيها الفتى اني رجل راع من رعاة البقر اشتقت الى أهلي فأخذت ثورا من ثيراني
فحملت عليه زادي ومتاعي حتى اذا بلغت شطر الطريق ذهبت لاقضي حاجتي فعدا وصعد
الجبل فما قدرت عليه واني أخشى على نفسي الهلكة فان رأيت أن تحملني على بقرتك
وتنجيني من الموت وأعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال اذهب وتوكل
على الله فلو علم الله منك اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحلة فقال ابليس ان شئت بعنيها بحكمك
وان شئت فاحملني عليها وانا أعطيك عشرة مثلها فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك فبينما هم
كذلك اذ طار طائر بين يدي الفتى ونفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعا الفتى
اله ابراهيم فرجعت اليه وقالت أيها الفتى البار بوالدته الم تر الى الطائر الذي طار انه ابليس
عدو الله اختلسني اما انه لو ركبني ما قدرت علي ابدا فلما دعوت اله ابراهيم جاء ملك فانتزعني
من يده وردني اليك ابرك بامك فجاء بها الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك
الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبعها وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير
ولا تبع بغير رضائي ومشورتي وكان ثمنها ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله اليه
ملكا فقال له بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا والدتي فقال له الملك لك
ستة دنانير ولا تشاور والدتك فقال الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمي فردها
الى أمه واخبرها بذلك فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضا مني فانطلق بها الى السوق
فأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتى انها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على ان
استأمرها فقال الملك اني أعطيك اثني عشر دينارا ولا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه
فأخبرها بذلك فقالت ان الذي يأتيك ملك في صورة بني آدم ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا
ان نبيع هذه البقرة أم لا نفعل فقال الملك اذهب الى أمك فقل لها أمسكي هذه البقرة فان

الصلوات فيقال له اسكن فيقول كيف أسكن وقد جاوقت فرضك على أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقال اسكن قد غفرت لمن
توضأ وصلى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (نكتة) لو استأجر رجل دابة لحمل مائة رطل مثلا فجاء آخر ووضع عليها زيادة
فالضمان عليه كذلك يقول الله تعالى يوم القيامة يا محمد أنا وضعت على عبادي الفرائض وأنت وضعت
النوافل فالضمان علي وعليك
فمنك الشفاعة ومني الرحمة ذكره
النسفي في كتابه زهة الرياض وفي
الحديث ما من مسلم قرب وضوءه
وتمضمض واستنشق وغسل وجهه
كما أمر الله وغسل يديه الى مرفقيه
ومسح برأسه وغسل قدميه الى
كعبيه ثم صلى فحمد الله وأثنى
عليه ومجده بالذي هو له أهل
وفرغ قلبه لله تعالى انصرف من
خطيئته كيوم ولدته أمه فتأملوا
يا اخواننا هذه الاشارات العجيبة
والفوائد الغريبة وعليكم
بالصلوات الخمس في أوقاتها تغنموا
هذه الفوائد وقد استفدنا من
قوله في الحديث وصمت رمضان
انه لا يكره ذكره بدون شهر وما
نقل من كراهته فضعيف وهو
أفضل الاشهر وفي الحديث
رمضان سيد الشهور وقال صلى
الله عليه وسلم من صام رمضان
ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم
من ذنبه وفي رواية وما تأخر
وأنزل الله تعالى فيه القرآن وفي
فضله أخبار كثيرة ذكرت منها
كثيرا في كتابي تحفة الاخوان
واختلف في تسميته بذلك فقيل انه
اسم من أسماء الله تعالى قال
البغوي والصحيح انه اسم للشهر
سمي به من الرمضاء وهي الحجارة
المحماة لانهم كانوا يصومونه في
الحر الشديد ولان العرب لما
أرادت أن تضع أسماء الشهور
وافق أن الشهر المذكور كان في
شدة الحر فسمي بذلك وقيل سمي به لانه يرمض الذنوب أي يحرقها (خاتمة المجلس) قال صاحب كتاب ذخيرة
العابدين رأيت جماعة أنكروا هذه الاحاديث الواردة في الصلوات والفضائل من حيث ما فيها من كثرة الثواب والاجور العظيمة
وقالوا ان ذلك كثير على عمل قليل ولعمري هؤلاء من أي وجه انكروها أقصرت قدرة الله عنها أم ضاقت رحمته الواسعة بها فاذا

موسى

موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل من بني اسرائيل بملء جلدها ذهبا فامسكوها
حتى وجد في بني اسرائيل قتيل اسمه عاميل لم يدروا من قتله وكان سبب قتله كما قال عطاء
والسدي انه كان كثير المال وله ابن عم مسكين لا وارث له غيره فلما طال عليه موته قتله ليرثه
وقال بعضهم كان تحت عاميل بنت عم له تضرب مثلا في بني اسرائيل في الحسن والجمال
فقتل ابن عمها لينكحها قاتله وقال بعضهم قتله ابن أخيه لينكح أمته فلما قتله حمله من
قرية الى قرية أخرى فالقاه هناك وقيل القاه بين قريتين وقال عكرمة كان لبني اسرائيل
مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط وجر الى باب سبط آخر
فاختصم السبطان فيه وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله فوضعه على باب رجل منهم ثم
اصبح يطلب ثاره ودمه ويدعيه عليه فلما اشتبه على الناس جاؤا الى موسى وسألوه أن
يدعو الله لهم يبين لهم بدعائه فأمرهم بذبح بقرة فقال لهم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة
قالوا أتتخذنا هزوا أي نستهزئ بنا نحن نسئلك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح بقرة فقال
موسى أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين أي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين
بالجواب على وفق السؤال فمازالوا يسئلون ويصفون حتى وصف لهم تلك البقرة فأخذوها
وذبحوها قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون أي من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها
وضربوا القتيل ببعض منها فقام القتيل حيا وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط
ومات مكانه فحرم قاتله الميراث (واختلافهم) بضم الفاء لانه ابلغ في ذم الاختلاف اذ لا يتقيد
حينئذ بكثرة بخلاف كسرها وقد نهى عن الاغلوطات في العلم (على أنبيائهم) اختلافا
يؤدي الى كفر او بدعة واما اختلاف استنباط فروع الدين ومناظرة أهل العلم فيه على
سبيل الفائدة واظهار الحق فغير منهي عنه بل مأمور به وفضيلته ظاهرة وقد اجمع
المسلمون من عهد الصحابة الى الآن على ذلك ولا شك ان الاختلاف المذموم سبب لتفرق
القلب ووهن الدين كما جرى للخوارج حين تبرأ بعضهم من بعض ووهن أمرهم واندحضوا
وكثرة السؤال من غير ضرورة تشعر بالتعنت وتفضي اليه وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن
قيل وقال وكثرة السؤال ومن ثم لما أكثروا السؤال عليه صلى الله عليه وسلم غضب ثم
صعد المنبر وهو غضبان قال أنس ونحن نرى ان معه جبريل فما رأيت يوما كان أكثر بكاء
منه فقال رجل يا رسول الله من أبي قال أبوك حذافة وكان الناس يسبونه وينسبونه لغيره
وقال آخر من أبي قال أبوك سالم مولى شيبة وقام آخر فقال ابن أبي فقال في النار ثم قال يا أيها
الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقام اليه الاقرع بن حابس فقال يا رسول
الله أكل عام فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجب ولما
استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على
أنبيائهم فاذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم فجثا عمر على
ركبتيه وقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا لا تفضحنا
بسرائرنا واعف عنا عفا الله عنك قال فسري عنه ثم التفت الى الحائط فقال لم أر كاليوم
في الخير والشر أريت الجنة والنار وراء هذا الحائط اه (فوائد) الاولى جاء قوم الى سعدون

كانت قدرة الله شاملة لكل مقدور ورحمته أوسع من مداد البحور والطاعات أمارات الاجور فمن الجائز وعد درجات ومثوبات
على قليل من الخيرات اتعلم قدرته وعظمته وكرمه كيف وفي صحاح الاخبار وحسانها ما لا يعد ولا يحصى قال الله تعالى ورحمتي
وسعت كل شئ وفي الحديث الشريف ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة ثم تلا ان الله
لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا
عظيما فاذا قال الله سبحانه وتعالى
أجرا عظيما فمن يعرف قدر هذا
الاجر العظيم الذي يعطيه الله
تعالى وفي الحديث الشريف
ان أدنى أهل الجنة لمن ينظر الى
أزواجه وقصوره وسرره ونعمه
مسيرة ألف عام وان أكرمهم على
الله لمن ينظر الى وجه الله تعالى
كل يوم مرتين بكرة وعشيا ثم قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
فيا عباد الله لا تنكروا قدرة الله
فقدرته أعظم من ذلك لا أحرمنا
الله تعالى من ذلك آمين والحمد
لله رب العالمين

(المجلس الثالث والعشرون في
الحديث الثالث والعشرين)

الحمد لله القائم على كل نفس بما
كسبت الدائم ومكتوب الفناء
منسوب الى البرية كيفما
انتسبت القادر على تنفيذ مراده
فيها رضيت بذلك أم غضبت
وأشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له شهادة حلت في القلوب
وعلى الالسنة حلت وأشهد أن
سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي
ثبتت سيادته قبل ايجاد البشر
ووجبت صلى الله عليه وسلم وعلى
آله وأصحابه ما طلعت شمس وغربت
آمين (عن أبي مالك الحرث بن عاصم
الاشعري رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور
شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر
ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها أخرجه مسلم) اعلموا اخواني وفقني الله
قوله عن الاغلوطات أي صعاب المسائل ورد سيكون قوم من أمتي يغلطون فقهاءهم بعضل المسائل أولئك شرار أمتي اه

واياكم لطاعته ان هذا الحديث اشتمل على مهمات قواعد الدين ويتفرع منه المجالس (قوله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان) أى نصف الايمان الكامل المركب من تصديق القلب واقرار اللسان وعمل الاركان وهو وان كثرت خصاله لكنها منحصرة فيما ينبغى التنزه والتطهر عنه وهو كل منهى عنه وما ينبغى (١٢٨) التلبس به وهو كل مأمور به فهو شطران والطهارة

بالمعنى اللغوى شاملة لجميع الشطر الاول وقد روى ابن ماجه وابن حبان اسباغ الوضوء شطر الايمان وروى الترمذى الوضوء شطر الايمان ومعناه انه تمام الشطر لا كل الشطر والطهور فى الحديث بالفتح للمبالغة كضروب الابلغ من ضارب أو اسم آلة لما يتطهر به كسحور وبالضم الفعل وهو المراد هنا ۞ قال الائمة رضى الله عنهم الطهارة تنقسم الى واجب كالطهارة عن حدث ومستحب كتجديد الوضوء والاغسال المسنونة ثم الواجب ينقسم الى بدنى وقلبى فالقلبى كالحسد والعجب والرياء والكبر قال الغزالى معرفة حدودها وأسبابها وطبها وعلاجها فرض عين يجب تعلمه والبدنى اما بالماء أو التراب أو بهما كما فى ولوغ الكلب أو بغيرهما كالحريف فى الدباغ أو بنفسه كانقلاب الخمر خلا وكل ذلك مقرر فى كتب الفقه (فوائد فى الوضوء) ذكر ان الملائكة لما قالت أتجعل فيها من يفسد فيها غضب الله عليهم فاهلك بعضا وتاب على بعض منهم منكر ونكير وأمرهم بالوضوء من عين تحت العرش فصلى بهم جبريل ركعتين فهذا أصل الوضوء وصلاة الجماعة وقال عثمان رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسبغ عبد الوضوء الا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر رواه البزار باسناد حسن ۞ وقال النبى صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يمضمض فاه الا غفر الله له كل خطيئة أصابها بلسانه ذلك اليوم ولا يغسل يديه الا غفر الله له ما قدمت يداه ذلك اليوم ولا يمسح برأسه الا كان كيوم ولدته أمه رواه الطبرانى وقال صلى الله عليه وسلم اذا توضأ المسلم خرجت ذنوبه من

الخولانى فحكوا ان كانة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقى ابيض اللون فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت أن من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية فقد داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ذكره القاضى عياض فى الشفاء ۞ الثانية حكى عن محمد بن المنكدر انه حج ثلاثا وثلاثين حجة فلما كان فى آخر حجة حجها قال وهو فى عرفات اللهم انك تعلم انى وقفت فى موقفى هذا ثلاثا وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضى والثانية عن أبى والثالثة عن أمى واشهدك يارب انى وهبت الثلاثين لمن وقف موقفى هذا ولم تتقبل منه فلما دفع من عرفات نودى يا ابن المنكدر أتتكرم على من خلق الكرم والجود وعزتى وجلالى لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل ان أخلق عرفات بألف عام وعن على بن الموفق أنه حج ثمانين فوهب منها سبعين للنبى صلى الله عليه وسلم وأربعة للخلفاء الراشدين وثلاثة لامه واثنتين لابيه ووهب الواحدة الباقية لكل من نوى الحج ولم يقدر عليه فهتف به هاتف من زاوية البيت يا ابن الموفق أتسخى علينا ونحن خلقنا السخاء وعزتى وجلالى كل من وهبته حجة وهبناله سبعين حجة وعنه أيضا أنه قال حججت سنة فلما ذهبت الى عرفة بت بمنى فرأيت فى المنام كان ملكين قد نزلا من السماء فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال لبيك فقال أتدرى كم حج بيت ربنا هذه السنة قال لا أدرى قال حج بيت ربنا هذه السنة ستمائة ألف فقبل منها حج ستة ثم ارتفعا فغابا فى السماء فانتبهت فزعا وغمنى ذلك وقلت فى نفسى اذا قبل حج ستة فأين أكون أنا فلما أفضت من عرفات وصرت عند المشعر الحرام جعلت أتفكر فى كثرة الخلائق وقلة من قبل منهم فغلبنى النوم فاذا الشخصان قد نزلا بعينهما وقال أحدهما لصاحبه المقالة الاولى ثم قال أتدرى ما حكم ربنا عز وجل فى هذه السنة قال لا قال وهب لكل واحد من هذه الستة مائة ألف فانتبهت وقد داخلنى السرور وعن سفيان الثورى رحمه الله تعالى قال حججت سنة ونويت أن أنصرف من عرفات ولم أحج بعد فنظرت فى النوم فاذا بشيخ متكئ على عصا وهو ينظر الى مليا فقلت السلام عليك يا شيخ فقال وعليك السلام يا سفيان ارجع عما نويت فقلت سبحان الله من أين علمت نيتى قال الهمنى ربى فوالله لقد حججت خمسا وثلاثين حجة وكنت واقفا بعرفات ههنا فى الحجة الخامسة والثلاثين أنظر الى هذه الزحمة وبقيت منتظرا حتى غابت الشمس وأفاض الناس من عرفات الى المزدلفة وجن الليل ولم يبق معى أحد فنمت تلك الليلة فرأيت فى النوم كان القيامة قد قامت وحشر الناس وتطايرت الكتب ونصب الميزان والصراط وفتحت أبواب الجنان والنيران فسمعت النار تنادى وتقول اللهم ق الحاج من حرى وبردى فنوديت يا نار سلى غيرهم فانهم ذاقوا عطش حر البادية ورزقوا الشفاعة قال فانتبهت وصليت ركعتين ثم نمت فرأيت ذلك فقلت فى نومى هذا من الرحمن أم من الشيطان فقيل لى من الله قد تعبنك فحدت فاذا على كتفى مكتوب من وقف بعرفات وزار البيت شفعته فى سبعين من أهل بيته قال سفيان وأرانى المكتوب حتى قرأته ثم قال الشيخ فلم تمر سنة الا وأنا أحج حتى تم لى ثلاثة وسبعون حجة وعن عبد الله بن المبارك قال كان بعض المتقدمين قد حبب اليه الحج فحدثت عنه أنه قال ورد الحاج فى بعض السنين الى بغداد فعزمت على الخروج معهم على

الحج

سمعه وبصره ويديه ورجليه فان قعد قعد مغفورا له رواه الامام أحمد والطبرانى فقد سن المحافظة على الوضوء لما ورد فى الخبر يقول الله تعالى من أحدث ولم يتوضأ فقد جفانى ومن أحدث وتوضأ ولم يصل فقد جفانى ومن صلى ولم يدعنى فقد جفانى ومن أحدث وتوضأ وصلى ودعانى ولم أستجب له فقد جفوته ولست برب جاف ۞ وحكى أن (١٢٩) عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل رسولا الى الشام فمر على دير راهب فطرق بابه ففتح بابه بعد ساعة فسأله عن ذلك فقال أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذا خفت سلطانا فتوضأ وأمر أهلك به فان من توضأ كان فى أمان مما يخاف فلم أفتح لك حتى توضأنا جميعا ۞ وفى طبقات ابن السبكى قال الله تعالى يا موسى توضأ فان أصابك شئ وأنت على غير وضوء فلا تلومن الا نفسك ۞ وقال صلى الله عليه وسلم يا أنس ان استطعت أن تكون أبدا على وضوء فافعل فان ملك الموت اذا قبض روح عبد وهو على وضوء كتبت له شهادة ۞ وحكى أنه كان فى زمن عيسى عليه السلام امرأة صالحة فجعلت العجين فى التنور وأحرمت بالصلاة فجاءها ابليس فى صورة امرأة وقال احترق العجين فلم تلتفت اليه فأخذ ولدها وجعله فى التنور فلم تلتفت اليه فدخل زوجها فوجد الولد فى التنور يلعب بالجمر وقد جعله الله عقيقا أحمر فاخبر عيسى بذلك فقال ادعها الى فدعاها فسألها عن عملها فقالت يا روح الله ما أحدثت الا وتوضأت ولا طلب أحد منى حاجة الا قضيتها واحتمل الاذى من الاحياء كما يحتمله الاموات منهم ۞ وجاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم على سرير من ذهب قوائمه من فضة مفصص بالياقوت

(١٧ - شبرخيتى) واللؤلؤ والزبرجد مفروش بالسندس والاستبرق فاستقر على الارض ببطحاء مكة فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وأقعده معه على السرير ولجبريل أربعة أجنحة جناح من لؤلؤ وجناح من ياقوت وجناح من زمرد وجناح من نور رب العالمين بين كل جناح خمسمائة عام على رأسه ذؤابتان واحدة على لون الشمس والاخرى على لون القمر مرصعتان بالجوهر والياقوت

الحج فأخذت فى كمى خمسمائة دينار الى السوق أشترى آلة الحج فبينما أنا فى بعض الطريق عارضتنى امرأة فقالت رحمك الله أنا امرأة شريفة ولى بنات عراة واليوم الرابع ما أكلنا شيأ فوقع كلامها فى قلبى فطرحت الخمسمائة دينار فى طرف ازارها وقلت عودى الى بيتك فاستعينى بهذه الدنانير على وقتك فحمدت الله تعالى وانصرفت ونزع الله من قلبى حلاوة الخروج تلك السنة وخرج الناس وحجوا وعادوا فقلت اخرج للقاء الاصدقاء والسلام عليهم فخرجت وجعلت كلما لقيت صديقا وسلمت عليه وقلت له قبل الله حجك وشكر سعيك رد على مثل ذلك فلما كانت الليلة الثانية رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا فلان لا تعجب من تهنئة الناس لك بالحج أغثت ملهوفا وأعنت ضعيفا فسألت الله عز وجل فخلق فى صورتك ملكا فهو يحج عنك فى كل عام فان شئت فحج وان شئت لا تحج وروى نحو هذه الحكايات أبو سعيد عبد الملك بن أبى عثمان عن ابن المبارك أن عبد الله بن المبارك دخل الكوفة وهو يريد الحج فاذا بامرأة جالسة على مزبلة تنتف بطة فوقع فى نفسه أنها ميتة فوقف وقال يا هذه هذه ميتة أم مذبوحة قالت ميتة وأنا أريد أن آكلها وعيالى فقال ان الله حرم الميتة وأنت فى هذا البلد فقالت يا هذا انصرف عنى فلم يزل يراجعها الكلام الى أن تعرف منزلها ثم انصرف فحمل على بغل نفقة وكسوة وزادا وجاء وطرق الباب ففتحت ونزل عن البغل وضربه داخل البيت ثم قال للمرأة هذا البغل وما عليه من النفقة والكسوة والزاد لك ثم أقام حتى رجع الحاج فجاء قوم ليهنوه بالحج فقال ما حججت السنة فقال له بعضهم يا سبحان الله ألم أودعك نفقتى ونحن ذاهبون الى عرفات وقال له آخر ألم تسقنى بموضع كذا وقال آخر ألم تشتر لى كذا فقال لا أدرى ما تقولونه أما أنا لم أحج العام فلما كان الليلة أتى اليه فى منامه فقيل له يا عبد الله بن المبارك ان الله تعالى جل جلاله قد قبل صدقتك وانه بعث ملكا على صورتك يحج عنك ذكرهما ابن الجوزى ۞ وذكر ابن جماعة ان بعض السلف نوى الحج ومعه ثمانمائة درهم فعرضت له ذات يوم حاجة فبعث ولده الى بعض جيرانه فرجع الولد يبكى فقال مالك يا بنى قال دخلت على جارنا وعندهم طبيخ فاشتهيته فلم يطعمونى فذهب الرجل الى جاره يعاتبه على ما فعل فبكى الجار وقال ألجأتنى الى كشف حالى انا منذ خمسة أيام لم نطعم فطبخت ميتة رأكلناها وعلمت ان ولدك يجد مالا فلا يحل له أكل الميتة فتعجب الرجل وقال لنفسه كيف النجاة وفى جوارك مثل هذا وأنت تذهب للحج الى بيته وأعطاه الثمانمائة درهم فلما كانت عشية عرفة رأى ذو النون المصرى فى منامه وهو بعرفات كأن قائلا يقول يا ذا النون ترى هذا الزحام على الموقف قال نعم قال ما حج منهم الا رجل تخلف عن الوقوف فحج بهمته فوهب الله له أهل الموقف قال ذو النون من هو قيل رجل يسكن دمشق فبحث عنه حتى عرفه وسلم عليه وبشره بذلك اهـ ذكره فى مثير شوق الانام الى حج بيت الله الحرام ۞ الثالثة أخرج ابن عدى فى الكامل والدارقطنى فى الافراد والعقيلى وابن عساكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقى الخضر مع الياس فى كل عام فى الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله

محشوتان بالمسك والكافور ومعه سبعون ألف ملك فضرب بجناحه الارض فنبعث عين ماء فتوضأ جبريل وغسل أعضاءه ثلاثا وتمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنك رسول الله بعثك بالحق نبيا يا محمد قم وافعل كما فعلت ففعل النبي صلى الله عليه وسلم (١٣٠) مثله فقال يا محمد قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر يغفر الله لمن يصنع مثل صنيعك ذنوبه حديثها وقديمها وسرها وعلانيتها وعمدها وخطأها وحرم لحمه ودمه على النار * ولنرجع الى الكلام على بقية الحديث (قوله صلى الله عليه وسلم الحمد لله) أى هذا اللفظ وحده أو هذه الكلمة وحدها وقيل المراد الفاتحة (تملأ) بالتحتية والفوقية (الميزان) أى ثواب التلفظ بها مع استحضار معناها والاذعان لمدلولها تملأ كفة الحسنات التى هى مثل طباق السموات والارض وسيأتى الكلام على صفة الميزان وما يتعلق بها فى الختام ان شاء الله تعالى (قوله وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ) شك من الراوى (ما بين السماء والارض) وذلك لان العبد اذا حمد مستحضرا معنى الحمد وما اشتمل عليه من التفويض الى الله تعالى امتلأت ميزانه من الحسنات فاذا أضاف الى ذلك سبحان الله الذى هو تنزيه الله عما لا يليق به ملأت حسناته زيادة على ذلك ما بين السموات والارض اذ الميزان مملوءة بثواب التحميد فهذه الزيادة هى ثواب التسبيح وثواب الحمد من ملئه للميزان باق بحاله على كل من اللفظين المشكوك فيهما وذكر السموات والارض على عادة العرب فى ارادة الاكثار والمراد ان الثواب على ذلك كثير جدا بحيث لو جسم لملأ ما بين السموات والارض * وروى أن التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملؤها ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل اليه أى ليس لقبولها حجاب يحجبها * وروى الامام أحمد أن الله اصطفى من الكلام أربعا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وان فى كل من الثلاثة عشرين حسنة وحط عشرين سيئة وفى الحمد لله ثلاثين * وحكى واجرى

ماشاء الله لا حول ولا قوة الا بالله وفى بعض الروايات زيادة العلى العظيم واسناد هذا الحديث ضعيف لان فيه الحسن بن رزين وهو ضعيف وأخرجه ابن الجوزى من طريق أحمد ابن عمار عن محمد بن مهدى بن هلال وزاد قال ابن عباس ما من عبد قالها فى كل يوم ثلاث مرات الا أمن الحرق والغرق والسرق والشيطان والسلطان والحية والعقرب حتى يمسى وكذلك حتى يصبح * الرابعة عن ابن عباس ان آدم عليه السلام حج أربعين حجة من الهند ماشيا على رجليه قيل لمجاهد أفلا كان يركب قال وأى شئ كان يحمله أخرجه ابن الجوزى وقال سعيد بن سالم حج سبعين حجة ماشيا (رواه البخارى ومسلم) وهو حديث عظيم من قواعد الدين

(الحديث العاشر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب) أى منزه عن النقائص ومقدس عن الآفات والعيوب وعن كل وصف خلا عن الكمال المطلق كما قاله القاضى عياض أو طيب الثناء مستلذ الاسماء عند العارفين بها كما قاله غيره ثم الطيب له اطلاقات فيطلق ويراد به الحلال كما فى قوله تعالى قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث وقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء ويطلق ويراد به الجيد من الحلال وهو المستلذ منه كما فى قوله تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وقوله تعالى كلوا مما فى الارض حلالا طيبا على انه من باب التأسيس الذى هو الاصل لا للتأكيد وقيل انه بمعنى الطاهر ومن وروده بمعنى الطاهر قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا ويطلق ويراد به المنبت كما فى قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ويطلق ويراد به الحسن كما فى قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب أى الحسن وهى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة أى حسنة وهى الشهادة ويطلق ويراد به المؤمن كما فى قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ويطلق ويراد به ما لا أذى فيه كقوله هذا يوم طيب وليلة طيبة أى ليس فيها حر يؤذى ولا برد يؤذى ويطلق ويراد به المدرك كقولهم طاب ثمرها أى أدرك قال الشارح الهيتمى وهو أى طيب من أسمائه الحسنى لصحة الحديث به كالجميل ومثلهما النظيف ورد بأن حديثه لم يصح اه وبحث فيه بعضهم بأنه ان أراد بعدم صحة الثالث عدم وروده فممنوع بل فى حديث رواه ابن عدى وغيره عن ابن عمر مرفوعا ان الله جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة وان أراد بالصحة ونفيها الصحيح المصطلح عليه فممنوع أيضا لان الخبرين المذكورين ضعيفان كما بينه جمع من الحفاظ فتدبر (لا يقبل الا طيبا) أى لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا من المفسدات كالرياء والعجب ولا من الاموال الا ما كان حلالا لان لفظ طيب يتضمن المدح والتشريف فلا يتقرب اليه سبحانه وتعالى الا بما يناسبه فى ذلك المعنى وهو الاخلاص فى الاعمال وخيار الاموال كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وقال تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وعن ابن عباس من أكل لقمة من حرام لم يقبل الله عمله أربعين صباحا ومن اكتسب مالا حراما فان تصدق به لم يقبل منه ومن خلفه بعده كان دليله الى النار ومن أكل الحلال أربعين صباحا نور الله قلبه

ابن عبد البر خلافا فى أن الحمد لله أكثر ثوابا أو لا اله الا الله قال النخعى وكانوا يرون أن الحمد أكثر الكلام تضعيفا وقال الثورى ليس يضاعف من الكلام مثل الحمد لله وروى الحديث المتقدم واحتج آخرون بما فى حديث البطاقة * وروى الامام أحمد لو أن السموات السبع وعامرهن والارضين السبع فى كفة ولا اله الا الله فى كفة (١٣١) لمالت بهن (فوائد) قال النبى صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل كيف يكسب أحدنا ألف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد لله ولا حول ولا قوة الا بالله ويروى أن فى الجنة ملائكة يغرسون الاشجار للذاكرين فاذا فتر الذاكر فتر الملك ويقول فتر صاحبى وروى الحاكم أن طلحة بن عبيد الله سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى سبحان الله فقال تنزيه الله من كل سوء * وروى ابن أبى حاتم عن على رضى الله عنه قال سبحان الله كلمة أحبها الله لنفسه ورضيها وأحب أن تقال وعن كعب بن عجرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال معقبات لا يخيب قائلهن دبر كل صلاة مكتوبة

وأجرى ينابيع الحكمة على لسانه ومن سعى على عياله من حله كان كالمجاهد فى سبيل الله قال القرطبى فى شرح مسلم ما ملخصه الاخلاص شرط فى جميع العبادات وذلك بأن يكون الباعث على عملها التقرب الى الله تعالى وابتغاء ما عنده فان كان الباعث عليها شيأ من اعراض الدنيا فلا تكون عبادة بل معصية اما كفرا واما رياء وهذا اذا كان الباعث على تلك العبادة الغرض الدنيوى وحده ولو فقد لترك العمل فلو أوقع العبادة بمجموع الباعثين فان كان باعث الدنيا أقوى أو مساويا ألحق بالقسم الاول فى الحكم أو بابطال العمل عند أئمة هذا الشأن لحديث من عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه فلو كان باعث الدين أقوى فحكم المحاسبى بابطال ذلك العمل متمسكا بالحديث المتقدم وما فى معناه وخالفه الجمهور وقالوا بصحة العمل واما لو انفرد باعث الدين بالعمل ثم عرض باعث الدنيا فى أثناء العمل فهو أولى بالصحة اه وفى الحديث من حج بمال حرام فقال لبيك قال الله تعالى لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك * وأخرج أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيها درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه ثم أدخل أصبعيه فى أذنيه ثم قال صمتا ان لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله * وأخرج الحاكم وابن خزيمة وابن حبان من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان اصراره عليه * وأخرج الطبرانى من كسب مالا من حرام فانفق منه ووصل رحمه كان ذلك اصرارا عليه وانما لم تقبل الصدقة بالحرام لانه ممنوع من التصرف فيه لكونه ملك الغير فلو قبل لزم كونه مأمورا به منهيا عنه من جهة واحدة وهو محال وهذه الجملة توطئة وتأسيس لما هو المقصود بالذات من سياق هذا الحديث وهو طيب المطعم المستلزم لاجابة الدعاء غالبا (وان الله تعالى) لما خلق لعباده ما فى الارض جميعا وأباحه لهم سوى ما حرم عليهم (أمر المؤمنين) أى والمؤمنات فهو من باب التغليب والامر للوجوب (بما أمر به المرسلين) فسوى بينهم فى الخطاب بوجوب اكل الحلال ففيه اشعار بان الاصل استواؤهم مع أممهم فى الاحكام الا ما قام الدليل على اختصاصهم به (فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) فيه تنبيه على ان اباحة الطيبات لهم شرع قديم ورد للرهبانية فى رفض الطيبات (واعملوا صالحا) وقدم أكل الحلال على صالح الاعمال تنبيها على انه لا يتوصل للعمل الا بعد الانتفاع بالرزق (وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) أى نفعنا لكم وهو جمع طيب بمعنى الحلال الخالص من الشبهة لان الشرع طيبه لآكله وان لم يستلذه ولذيذ الطعم من غيره وبال على آكله وندامة وحسرة فقول الشافعى الطيب المستلذ أراد به المستلذ شرعا فهو بمعنى ما قبله وقد خفى هذا على بعضهم فظن تغايرهما فاعترضه بان الخنزير ألذ اللحم على الاطلاق وهو حرام اجماعا والصبر لا لذة فيه وهو حلال اجماعا * وأخرج ابن سعد عن عمر بن عبد العزيز انه قال يوما انى أكلت الليلة حمصا وعدسا فنفخنى فقال له بعض القوم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول فى كتابه كلوا من طيبات ما رزقناكم فقال عمر هيهات هيهات ذهبت به الى غير مذهبه انما يريد طيب الكسب ولا يريد طيب الطعام واسند الرزق الى نفسه تحريضا لهم والامر فى هذه الآية للاباحة أو للوجوب

ثلاثة وثلاثين تسبيحة وثلاثة وثلاثين تحميدة وأربعا وثلاثين تكبيرة وفي رواية من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله
ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت
خطاياه وان كانت مثل زبد البحر قال النووي (١٣٢) رحمه الله والاولى الجمع بين الروايتين فيكبر أربعا وثلاثين ويقول لا اله الا

الله الى آخره وروى من قال دبر كل صلاة مكتوبة وهو ثان رجله قبل أن يتكلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير عشر مرات كتب له عشر حسنات ومحي عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك في حرز من الشيطان رواه الترمذي وقال حسن صحيح (قوله صلى الله عليه وسلم والصلاة نور) أي ذات نور أو منورة أو ذاتها نور وهي تنور وجه صاحبها كما هو مشاهد في الدنيا وجاء من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار وقال أبو الدرداء صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلم القبر وتشرق في القلب أنوار المعارف ومكاشفات الحقائق لتفرغ فيها من كل شاغل ويتعرض عن كل زائل ويقبل على الله بكليته حتى يمن عليه بشهوده وقربه ومحبته ولذا قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة وروى ان الجيعان يشبع والظمآن يروى وأنا لا أشبع من حب الصلاة والصلاة تريح القلب وتريح همومه وغمومه ولذا قال صلى الله عليه وسلم يا بلال أقم الصلاة وأرحنا بها وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع

فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف رواه الامام أحمد وانما خص هؤلاء الاربعة بالذكر لانهم رؤس
الكفر فمن ترك الصلاة لتجارته فهو مع أبي بن خلف ومن تركها لملكه فهو مع فرعون ومن تركها لماله فهو مع قارون ومن شغله
عنها رياسته فهو مع هامان وقال أبو الليث السمرقندي قال رجل في الزمن الاول لابليس أحب أن أكون مثلك فقال اترك الصلاة ولا

كالوا أشرف على الهلاك مجاعة أو لانه بموافقة الضيف قال أبو هريرة (ثم) ان النبي صلى الله عليه وسلم استطرد الكلام حتى (ذكر الرجل) خصه بالذكر لانه الذي يسافر السفر البعيد الطويل غالبا والا فالمرأة كذلك (يطيل السفر) في وجوه الطاعات من حج وجهاد وزيارة مستحبة وصلة رحم وغير ذلك من وجوه البر وذكر بعضهم ان قوله أشعث أغبر يفيد انه سفر الحج اذ الصفتان المذكورتان لا يكونان الا فيه والاولى التعميم الاول وقوله يطيل السفر محله نصب صفة لرجل لان أل فيه جنسية والجنس المعرف بمنزلة النكرة على حد قوله رحمه الله * ولقد أمر على اللئيم يسبني * قال الطيبي ولقد حكى لفظ رسول الله رفع الرجل بالابتداء والخبر يطيل الخ (أشعث) أي متلبد الشعر لبعد عهده بالغسل والتسريح والدهن وشعث الرجل شعثا من باب تعب (أغبر) أي غير الغبار وجهه وبقية جسده (يمد يديه) فيه اشارة الى أن رفع اليدين مشروع في الدعاء لما فيه من اظهار شعار الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار ولان العرب ترفع أيديها اذا استعظمت الامر فالداعي جدير بذلك لتوجهه بين يدي أعظم العظماء ولان العادة في سؤال المخلوق ذلك فيضع في يده ما يسأل فيه فكان الداعي شبه المعقول بالمحسوس (الى جهة (السماء) لانها مخزن الارزاق ومصعد اسرار الخلائق ومصعد الاعمال والاشارة الى ما هو من وصف المدعو من الجلال والكبرياء وانه فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء ولانها قبلة الدعاء ومن ثم كانت أفضل من الارض على قول الاكثر وهو الاصح لانه لم يعص الله فيها وقيل الارض أفضل لان الانبياء خلقوا منها وهي مدفنهم ومستقرهم وعدم العصيان في السماء مزية وهي لا تقتضي الافضلية على انه قد يكون في المفضول مزايا وقد ينتقض بما وقع لآدم وحواء وابليس وادعاء أنهم لم يكونوا في السماء يحتاج لدليل (يارب) اعطني كذا (يارب) جنبني كذا (ومطعمه) هو مصدر بمعنى المفعول وكذا يقال فيما بعده (حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي) بضم الغين وكسر الذال المعجمة المخففة وفي المصابيح وردت مشددة (بالحرام) ذكر قوله وغذي بالحرام بعد قوله مطعمه حرام اما للتأكيد واما للتنبيه على استواء حاليه صغرا وكبرا فأشار بقوله ومطعمه حرام الى حال كبره وبقوله وغذي بالحرام الى حال صغره وهذا دال على ان لا ترتيب في الواو (فاني يستجاب له) أي فكيف ومن أين يستجاب لمن هذه صفته فهو استبعاد لاجابة دعائه مع قبح ما هو متلبس به مع ما هو عليه من اطالة السفر في أنواع الطاعة فكيف بمن هو منهمك في ملاذ الدنيا ومظالم العباد أولئك كالانعام بل هم أضل لكن يجوز ان يستجيب له الله لطفا منه وتفضلا وقد علم من هذا ان تناول الحرام مانع من اجابة الدعاء غالبا وبقي للدعاء شروط منها أن لا يدعو بحرام كان يدعو بالشر على غير مستحقه ولو بهيمة ولا بمحال ولو عادة فانه تعالى أجرى الامور على العادة فالدعاء بخرقها تحكم على القدرة القاضية بدوامها وذلك سوء أدب على الله قيل الا بالاسم الاعظم فيجوز تأسيا بالذي عنده علم الكتاب دعا بحضور عرش بلقيس فاجيب وهو مبني على ان شرع من قبلنا شرع لنا وان لا يكون فيما سئل غرض فاسد كمال وطول عمر للتفاخر وان لا يكون على وجه الاختبار وان لا يشتغل به
عن

تحلف صادقا * وفي الحديث تقول الملائكة لتارك صلاة الفجر يا فاجر ولتارك صلاة الظهر يا خاسر ولتارك صلاة العصر يا عاصي
ولتارك صلاة المغرب يا كافر ولتارك صلاة العشاء يا مضيع ضيعك الله * ويحكى ان عيسى عليه السلام مر على قرية كثيرة الانهار
والاشجار فأكرمه اهلها فتعجب من حسن طاعتهم ثم مر عليها بعد ثلاث (١٣٣) سنين فرأى الاشجار يابسة والانهار ناشفة

وهي خاوية على عروشها فتعجب من ذلك فأوحى الله تعالى اليه قدم على القرية رجل تارك الصلاة فغسل وجهه في عينها فنشفت الانهار ويبست الاشجار فخربت القرية يا عيسى لما كان ترك الصلاة سببا لهدم الدين كان سببا لخراب الدنيا * ويحكى أن بعض الاكابر ركب البحر فرأى السمك يأكل بعضه بعضا فتوهم ان القحط وقع في البحر فهتف به هاتف انه قد شرب من البحر رجل تارك الصلاة فلما علم ملوحة الماء قذفه من فيه فوقع القحط في البحر من نجاسة فيه * وأنزل الله في بعض كتبه تارك الصلاة ملعون وجاره ان رضي به ملعون ولولا أني حكم عدل لقلت كل من يخرج من ظهره ملعون الى يوم القيامة وفي الحديث ان جبريل وميكائيل عليهما السلام قالا قال الله تعالى من ترك الصلاة فهو ملعون في التوراة والانجيل والزبور والفرقان وفي الحديث من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان * (مسئلة) * حلف رجل بالطلاق أنه لا يدخل على زوجته الا في يوم مشؤم فسأل جماعة عن ذلك فأجابوه بان الايام كلها مباركة ثم سأل الشيخ عبد العزيز الديريني رضي الله عنه عن ذلك فقال هل صليت اليوم صلاة قال لا قال

فادخل فانه يوم مشؤم عليك فالصلاة يا اخواننا نور وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلوات الخمس في جماعة
جاز على الصراط كالبرق اللامع في أول زمرة السابقين وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر والصلاة تمنع من المعاصي وتنهى
عن الفحشاء والمنكر كما في قوله تعالى وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وذكر الثعلبي في هذه الآية عن أنس

عن فرض وان لا يستعظم حاجته وان تكون الاجابة عنده اغلب من الرد للخبر الآتي ولخبر يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وان لا يضجر من تأخر الاجابة فيقول دعوت فلم يستجب لي لانه سوء أدب وان لا يدعو بدعاء ألفه غيره ولم يرد به أثر مع الجهل بمعناه أو انصراف الهمة الى لفظه لانه حاك لكلام غيره لا سائل وان يحترز عما يعد اساءة في المخاطبات فلا يصرح بجماع ونحوه وأن يدعو بأسمائه الحسنى دون غيرها وان كان حقا كيا خالق الخنازير وأن لا يعلقه بما هو شأنه تعالى كاللهم افعل بي ما أنت أهله في الدنيا والآخرة وأن يكون حاضر القلب موقنا بالاجابة لخبر ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة فان الله لا يسمع دعاء من قلب غافل لاه وقد ورد أن موسى عليه الصلاة والسلام مر على رجل يتضرع الى الله تعالى فقال يارب لو كانت حاجته بيدي لقضيتها فقال الله له أنا ارحم به منك لكنه يدعوني وله غنم وقلبه عند غنمه ولا أستجيب لمن يدعوني وقلبه عند غيري فذكر موسى ذلك للرجل فانقطع الى الله تعالى فقضيت حاجته وان يتجنب اللحن فلا يدعو بالجر فيما الصواب فيه الرفع أو النصب لانه يتضمن عدم مؤاخذة الحق بالخطأ وسمع الاصمعي رجلا عند الملتزم يقول ياذي الجلال والاكرام فقال له منذ كم تدعوه فقال منذ سبع سنين فلم أر الاجابة فقال لانك تلحن في الدعاء فاني يستجاب لك قل ياذا الجلال والاكرام ففعل فاستجيب له لكن ذكر ابن الصلاح أن الدعاء الملحون ممن لا يستطيع غيره لا يقدح فيه ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس عليه وقالوا له يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول عرفتم الله فلم تؤدوا حقه والثاني زعمتم أنكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته والثالث قرأتم القرآن فلم تعملوا به والرابع أكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها والخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ولم تخالفوه والسادس قلتم ان الجنة حق ولم تعملوا لها والسابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها والثامن قلتم ان الموت حق ولم تستعدوا له والتاسع انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء شروطا وأركانا وأجنحة ومواقيت وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه قوي وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق أسبابه أنجح وان وافق أوقاته استقر فأركانه حضور القلب والخشوع وقطعه عن الاسباب وأجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الحمد لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وأوقاته بعد الصلاة ومواضع اجابة الدعوات اه من الشيرازي وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس دعوات لا ترد دعوة الحاج حتى يصدر ودعوة الغازي حتى يرجع ودعوة المظلوم حتى ينتصر ودعوة المريض حتى يشفى ودعوة الاخ لاخيه بظهر الغيب وأسرع هؤلاء الدعوات دعوة الاخ لاخيه بالغيب أخرجه الحافظ أبو منصور عبد الله بن محمد بن الوليد وصححه المحب الطبري في كتابه المسمى بالقرى لقاصد أم القرى ثم ان الاجابة ليست منحصرة في الاسعاف بالمطلوب بل هي حصول واحد من الثلاث المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو الا كان بين ثلاث اما أن يستجاب له واما أن يدخر له يعني أفضل منه واما أن يكفر عنه من

رضى الله عنه أن رجلا كان يصلى الخمس مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم لايدع شيأ من الفواحش الا ارتكبه فاخبروا النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث أن تاب وحسن حاله فقال ألم أقل لكم ان صلاته تنهاه يوما • وفى النزهة للنيسابورى رحمه الله تعالى أن رجلا (١٣٤) راود امرأة عن نفسها فاخبرت زوجها بذلك فقال قولى له صل خلف زوجى أربعين صباحا ففعل ثم دعته الى نفسها فقال انى تبت الى الله عز وجل فأخبرت زوجها بذلك فقال صدق الله قوله الحق ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال صلى الله عليه وسلم لاصلاة لمن لم يطع الصلاة ومن انتهى عن الفحشاء والمنكر فقد أطاع الصلاة وفى الترغيب والترهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصرا على معصيتى وقطع نهاره فى ذكرى ورحم الارملة والمسكين وابن السبيل والمصاب ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتى واستحفظه ملائكتى واجعل له فى الظلمة نورا وفى الجهالة حلما ومثله فى خلقه كمثل الفردوس والصلاة تهدى الى الصواب ويكون أجرها نورا وتشفع لصاحبها يوم القيامة وروى الطبرانى اذا حافظ العبد على صلاته فاتم وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتنى فيصعد بها الى السماء ولها نور حتى تنتهى الى الله عز وجل أى الى محل قربه ورضاه فتشفع لصاحبها وقيل فى قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات يعنى الصلوات الخمس وقال العلائى فى تفسير سورة العنكبوت الصلاة عرس الموحدين فانه يجتمع فيها ألوان العبادات كما ان العرس يجتمع فيه ألوان الاطعمة فاذا صلى العبد ركعتين يقول الله تعالى مع ضعفك اتيت بالوان العبادة قياما وركوعا وسجودا وقراءة وتهليلا وتحميدا وتكبيرا وسلاما فانا مع جلالى وعظمتى لا يحتمل منى أن أمنعك جنة فيها ألوان النعيم أوجبت لك الجنة بنعيمها كما عبدتنى بالوان العبادة وأكرمك برزقى كما عرفتنى بالوحدانية فانى لطيف أقبل عذرك وأقبل منك الخير برحمتى فانى أجد من

ذنبه وفى لفظ أو يدفع عنه من السوء مثله (رواه مسلم) وهو أحد الاحاديث التى عليها قواعد الاسلام ومبانى الاحكام

•(الحديث الحادى عشر)•

(عن أبى محمد الحسن) كناه وسماه بذلك النبى صلى الله عليه وسلم ولقبه بالتقى والسيد ولد بالمدينة فى النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أذنه وكان له من الولد خمسة عشر ذكرا وثمان بنات وعن البراء أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا الحسن على عاتقه وهو يقول اللهم انى أحبه فأحبه وصح من أحبنى فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب اللهم انى أحبه وأحب من يحبه فأحب من يحبه ثلاث مرات وفى رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه فى فمه ويقول ذلك وعن عقبة بن الحارث أنه قال خرجت مع أبى بكر من صلاة الفجر بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بليال وعلى يمشى الى جنبه فمر بالحسن بن على يلعب مع الغلمان فاحتمله على رقبته وهو يقول

بأبى شبيه بالنبى • ليس شبيها بعلى

وعلى يضحك وعن سعيد بن عبد العزيز أن الحسن سمع رجلا يسأل الله عز وجل أن يرزقه عشرة آلاف فانصرف الحسن فبعث بها اليه وعن الحسن رضى الله عنه أنه قال انى لاستحيى من ربى أن ألقاه ولم أمش الى بيته فمشى خمسا وعشرين مرة من المدينة الى مكة على قدميه وكانت الجنائب تقاد بين يديه وخرج عن ماله مرتين وقاسم الله فى ماله ثلاث مرات وكان ليعطى نعلا تارة ويمسك أخرى وعن أبى العباس المرسى قدس سره أول الاقطاب مطلقا الحسن بن على ومن تواضعه أنه مر بصبيان معهم كسر خبز فاستضافوه أدبا معه فنزل وأكل معهم وتزوج بسبعمائة امرأة فى حياة أبيه فأمر مناديا ينادى فى الناس لاتزوجوا الحسن فانه مطلاق فما من أحد الا قال نزوجه فان رضى أمسك وما كره طلق وما طلق امرأة الا وهى تحبه ومتع امرأتين بعشرين ألفا ونيفا فقالت احداهما متاع قليل من حبيب مفارق ولم يكن يعرف اسم الحسن فى الجاهلية وكذا اسم الحسين وأما اللذان كانا باليمن فهما حسن باسكان السين وحسين بفتح الحاء وكسر السين وفى طبقات ابن سعد عن عمران بن سليمان الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ولم يكونا فى الجاهلية لكن فى الكشاف ما يخالفه وحينئذ فاول من سمى بهما من أهل الدنيا من ذكر والمراد أول من سمى بلفظهما فلا يرد أن هرون سمى ابنيه شبر بفتحات وشبير بضم الشين المعجمة ومعنى شبر حسن وشبير حسين لان هذا تسمية بمعناهما واللفظ قد ادخر لهما (ابن على) بن أبى طالب القائل فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ويكنى أبا الحسن وأبا تراب كناه بذلك النبى صلى الله عليه وسلم لما وجده نائما وقد علاه التراب (رضى الله تعالى عنهما سبط) بكسر فسكون أى ولد بنته (رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته) شبهه لسروره وفرحه به واقباله عليه بريحان طيب الريح يرتاح لرؤيته وشمه أولانه كان له رائحة طيبة كرائحة الريحان وهو نبت معروف طيب الرائحة وقد قال صلى الله عليه وسلم فيه وفى أخيه الحسين هما ريحانتاى من الدنيا وفى الصحيح أن

الحسن

أعذبه من الكفار وأنت لاتجد الها غيرى يغفر سيآتك عبدى ان بكل ركعة قصرا فى الجنة وحوراء وبكل سجدة نظرة الى وجهى وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة مرضاة للرب وحب الملائكة وسنة الانبياء ونور المعرفة وأصل الايمان واجابة الدعاء وقبول (١٣٥) الاعمال وبركة فى الرزق وسلاح على الاعداء وكراهية للشيطان وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج فى قبره الى يوم القيامة فاذا كانت القيامة كانت الصلاة ظلا فوقه وتاجا على رأسه ولباسا على بدنه ونورا يسعى بين يديه وسترا بينه وبين النار وحجة للمؤمنين بين يدى رب العالمين وثقلا فى الميزان وجوازا على الصراط ومفتاحا للجنة لان الصلاة تسبيح وتحميد وتقديس وتمجيد وقراءة ودعاء ولان أفضل الاعمال كلها الصلاة فى وقتها ومر عيسى عليه السلام على شاطئ البحر فرأى طيرا من نور انغمس فى الطين ثم خرج فاغتسل فعاد الى حسنه وهكذا خمس مرات فتعجب من ذلك فقال جبريل ياعيسى ان الطير جعله الله مثلا لمن صلى الصلوات الخمس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالطين كالذنوب والاغتسال كفضل الصلاة (قوله صلى الله عليه وسلم والصدقة برهان) أى الزكاة كما فى رواية ابن حبان ويصح بقاؤها على عمومها حتى يشمل سائر القرب المالية واجبها ومندوبها وهى لغة الشعاع الذى يلى وجه الشمس واصطلاحا الدليل والمرشد فهى يفزع اليها كما يفزع الى البراهين لانه اذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله فاجاب بتصدقت كانت صدقاته براهين على صدقه فى جوابه وهى دليل على ايمان المتصدق وصحة محبته لمولاه (اشارات فى الزكاة) عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا بعث اليه ملكا من خزان الجنة فيمسح ظهره فتسخو نفسه بالزكاة وقال صلى الله عليه وسلم الزكاة قنطرة الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم ماتلف مال فى بر ولا بحر الا بحبس الزكاة وقال مانع الزكاة فى النار

الحسن رقا المنبر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فأمسكه وجعل يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ثم قال ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك فانه لما توفى أبوه رضى الله عنه بايعه أكثر من أربعين ألفا وفيهم كثير ممن تخلف عن أبيه وممن نكث بيعته فبقى خليفة حق نحو ستة أشهر تكملة الثلاثين سنة التى أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنها مدة الخلافة وبعدها يكون ملكا عضوضا أى يعض الناس بجور أهله وعدم استقامتهم فلما تمت تلك المدة سار الى معاوية فى أهل الحجاز والعراق لينتزع منه الشام وسار اليه معاوية فلما تراأى الجيشان وتقارب الجمعان بموضع من أرض الكوفة وقيل نزل الحسن بالمراشى ومعاوية بمسكن من ناحية الانبار نظر الحسن الى العسكرين وفكر فيما يكون بينهما من القتل فعلم أنه لن تغلب احدى الفئتين حتى يذهب أكثر الاخرى فرأى أن المصلحة فى جمع الكلمة وترك القتال وطلب صلاح الامة وحقن دماء المسلمين فأرسل الى معاوية يخبره أن يسلم الامر له وينزل له على شرط أن لا يطلب أحدا من أهل الحجاز والمدينة والعراق بشئ مما كان فى أيام أبيه وأن يكون ولى الامر من بعده وأن يمكنه من بيت المال يأخذ منه حاجته ففرح معاوية وأجاب الى ذلك الا أنه قال الا عشرة لا أؤمنهم فراجعه الحسن فيهم فكتب اليه معاوية انى قد آليت على نفسى أنى متى ظفرت بقيس بن سعد بن عبادة أن أقطع لسانه ويده فراجعه الحسن وقال انى لا أبايعك أبدا وأنت تطالب قيسا وغيره بتبعة قلت أو كثرت فبعث اليه معاوية برق أبيض وقال اكتب ماشئت فيه وأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلك فكتب الحسن كلما اشترطه عليه من الامور المذكورة والتزم ذلك كله معاوية فخلع الحسن نفسه وسلم الامر اليه تورعا وقطعا للشر واطفاء لثائرة الفتنة وسمى ذلك العام عام الجماعة لاجتماعهم على خليفة واحد وكان ذلك فى سنة احدى وأربعين فى شهر ربيع الاول وقيل جمادى ثم ان يزيد بن معاوية دس الى زوجة الحسن جعدة بنت الاشعث الكندية أن تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف ففعلت فلما مات الحسن بعثت الى يزيد تسأله فيما وعدها فأبى وقال انا لم نرضك للحسن نرضاك لانفسنا وعن عمير بن اسحق أنه قال دخلت أنا ورجل على الحسن بن على نعوده فقال يافلان سلنى قال لا والله لا أسألك حتى يعافيك الله قال ثم دخل وخرج الينا فقال سلنى قبل أن لا تسألنى قال لا بل حتى يعافيك الله عز وجل قال قد ألقيت طائفة من كبدى وانى سقيت السم مرارا فلم أسق مثل هذه المرة ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه وأخوه الحسين عند رأسه فقال ياأخى من تتهم فقال لتقتله قال نعم فقال ان يكن الذى أظن فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا وان لا يكن ذلك فلا أحب أن يقتل بى برئ ومن جملة كلامه لاخيه لما احتضر ان أباك أشرف لهذا الامر المرة بعد المرة فصرفه الله عنه الى الثلاثة قبله ثم ولى فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له وانى والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة وربما يستخفك سفهاء الكوفة فيخرجونك ولما نزل به الموت قال أخرجوا فراشى الى صحن الدار فأخرج فقال اللهم انى أحتسب نفسى عندك فانى لم أصب بمثلها وكان مرضه أربعين يوما وتوفى لخمس ليال خلون من ربيع الاول وفى سنة موته أقوال والاكثرون أنها سنة خمسين ودفن بالبقيع وكان من

ويقال الكافر يحرم دمه وماله بأخذ الجزية كذلك المؤمن يحرم لحمه ودمه على النار فى الآخرة اذا أخرج الزكاة بطيب نفس وفى الحديث ويل للاغنياء من الفقراء يقولون ربنا ظلمونا حقنا الذى فرضته لنا فيقول وعزتى وجلالى لادنينكم ولابعدنهم (حكاية) كان فى زمن ابن عباس رضى الله عنهما رجل كثير المال فلما مات حفروا قبره فوجدوا فيه ثعبانا عظيما فأخبروا ابن عباس بذلك فقال احفروا غيره فحفروا غيره فوجدوا الثعبان فيه حتى حفروا سبع قبور فسأل ابن عباس أهله عن حاله فقالوا انه كان يمنع الزكاة فأمرهم بدفنه معه * (وحكى) * أن رجلا أودع رجلا مائتى دينار ثم مات فجاء ولده وطلب الوديعة فدفعها اليه فادعى الولد الزيادة على ذلك فترافعا الى حاكم فقال احفروا قبر الميت فحفروه فوجدوا فى الميت مائتى كية بالنار فقال الحاكم ان الكيات على قدر الوديعة ولو كانت أكثر كانت الكيات على قدرها * وأما صدقة التطوع فقد ورد فيها أخبار كثيرة منها ما جاء أن سائلا أتى امرأة وفى فمها لقمة فأخرجت اللقمة فناولتها السائل فلم تلبث أن رزقت غلاما فلما ترعرع جاء ذئب فاحتمله فخرجت تعدو فى أثر الذئب وهى تقول ابنى ابنى فأمر الله ملكا الحق الذئب فخذ الصبى من فيه وقل لامه الله يقرئك السلام ويقول لك هذه لقمة بلقمة ومنها استعينوا على الرزق بالصدقة ومنها أعظم الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا ومنها ان الله ليصرف العذاب عن الامة بصدقة رجل منهم ومنها ان الله ليضحك للرجل اذا مد يديه بالصدقة واذا ضحك الله لعبد غفر له ومنها ان الله عز وجل ليدخل بلقمة الخبز وقبضة التمر ومثله مما ينفع المسكين ثلاثة الجنة صاحب البيت الآمر به والزوجة المصلحة والخادم ومنها ان الله تعالى ليربى لاحدكم التمرة واللقمة كما يربى لاحدكم فلوه وفصيله حتى يكون مثل أحد ومنها ان العبد ليتصدق بالكسرة تربو عند الله حتى تكون

الحكماء الكرماء روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر حديثا (قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع) أى اترك وهو أمر لا ماضى له ومضارعه يدع قال الصرفيون وأماتوا ماضى يدع ويذر ولكن جاء عن عروة ومقاتل وابن أبى عبلة أنهم قرأوا ما ودعك ربك بتخفيف الدال وجاء ذلك فى ضرورة الشعر ومنه قول أنس بن زنيم

ليت شعرى عن خليلى ما الذى * غاله فى الشعر حتى ودعه

والامر للندب لان الاصح أن توقى الشبهات مندوب بل جاء عن عمر رضى الله عنه مكسبة فيها بعض الريبة خير من المسئلة ومعناه كسب فيه بعض الشك أحلال هو أم حرام خير من سؤال الناس وقد تكون للوجوب كالورمى صيدا فسقط فى ماء فمات أو اجتمع على قتله كلب مسلم وكافر أنه يجب تركه لعدم تحقق المبيح (ما يريبك) بفتح أوله وضمه والاول أفصح وأكثر رواية والثانى لغة هذيل يقال راب يريب ثلاثيا وأراب يريب رباعيا اذا شك وتردد فى الشئ وقيل رابه لما تيقن فيه الريبة وأراب لما توهم فيه فاذا وجدت نفسك ترتاب من شئ فاتركه فان نفس المؤمن الكامل تطمئن الى ما فيه النجاح والفلاح وترتاب من ضده فقد قال أحمد بن نصر الزقاق تهت مرة فى تيه بنى اسرائيل فعطشت مقدار خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق لقينى جندى فسقانى شربة ماء فعادت قساوتها على قلبى أربعين صباحا وفى رواية ثلاثين سنة كما تقدم وفى رواية فمكثت قساوتها فى قلبى ثلاثين سنة وعن أبى سليمان الدارانى أنه قال قدم الى أهلى مرة خبزا وملحا فكان فى الملح سمسمة فأكلتها فوجدت رانها على قلبى بعد سنة وحكى أنه كان رجل من الاولياء قصد شخص زيارته فلما وصل الى بيته خرج شاب عليه سيما المتكبرين فسلم على الشاب فلم يرد عليه فتعجب وسأل عنه فقيل له انه ابن الشيخ فلما جاء الشيخ رآه الزائر بسيما المتواضعين كامل حسن الخلق فتعجب أشد من ذلك وقال فى نفسه يا عجبا كيف يكون لمثل هذا الشيخ مثل هذا الولد فسأله الزائر عن سوء خلق ابنه فقال الشيخ لا تعجب فانى جعت مدة من الايام فأخبر بذلك جارى وكان من خواص السلطان فجاءنى بطعام من بيت السلطان فلما أكلت ذلك الطعام غلبت على شهوة الجماع فهذا الولد من نطفة ذلك الطعام (الى ما لا يريبك) أى دع ما تشك فيه من الشبهات الى ما لا تشك فيه من الحلال المحض فى الحديث السادس ان من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وهذا أصل فى الورع حتى قال بعضهم الورع كله فى ترك ما يريب الى ما لا يريب وقد ورد لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس وقال حسان بن أبى سنان ما شئ أهون من الورع اذا رابك شئ فدعه وهذا انما يسهل على من سهله الله عليه ومن ثم تنزه يزيد بن زريع عن خمسمائة ألف من ميراث أبيه فلم يأخذها وكان أبوه يلى الاعمال للسلاطين وكان يزيد يعمل الخوص ويتقوت منه الى أن مات وسئلت عائشة رضى الله عنها عن أكل الصيد للمحرم فقالت انما هى أيام قلائل فما رابك فدعه يعنى ما اشتبه عليك هل هو حلال أو حرام فاتركه فان العلماء اختلفوا فى اباحة الصيد للمحرم اذا لم يصده أو يصد لاجله (رواه) الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بفتح السين والراء وسكون الواو ابن الضحاك وقيل ابن شداد بدل الضحاك السلمى البوغى بضم الباء الموحدة وسكون الواو وغين

مثل أحد ومنها ان صدقة السر تطفئ غضب الرب ومنها تعبد عابد من بنى اسرائيل فى صومعته ستين عاما فأمطرت الارض فاخضرت فأشرف الراهب من صومعته فقال لو نزلت فذكرت الله لازددت خيرا فنزل ومعه رغيف أو رغيفان فبينما هو فى الارض اذ لقيته امرأة فلم يزل تكلمه ويكلمها حتى غشيها ثم اغمى عليه فنزل الغدير يستحم فجاءه سائل فأومى اليه ان يأخذ الرغيف أو الرغيفين ثم مات فوزنت عبادة الستين سنة بتلك الزنية فرجحت الزنية بحسناته فوضع الرغيف أو الرغيفان مع حسناته فرجحت حسناته فغفر له ومنها يا معشر النساء تصدقن فان أكثركن حطب جهنم انكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير وكل هذه الاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وجاء يصيح صائح يوم القيامة أين الذين أكرموا الفقراء والمساكين فى الدنيا ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون (حكى) أن رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو فى معبده ذات ليلة اذ وقفت به امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت الى كلامها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فأمسكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها فقال الى أين فقالت الى حيث أريد فقال هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فأدخلها الى مكانه فأقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تفكر فيما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبع ليال فبكى حتى غشى عليه فلما أفاق قالت له يا هذا والله ما عصيت الله مع غيرى وأنا ما عصيت الله مع غيرك وانى أرى فى وجهك أثر الصلاح فبالله عليك اذا صالحك مولاك فاذكرنى قال فخرج هائما على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث اليهم فى كل ليلة غلاما بعشرة أرغفة فجاء غلام الراهب بالخبز على عادته فعد ذلك الرجل العاصى يديه وأخذ رغيفا فبقى رجل منهم لم يأخذ شيأ فقال رغيفى فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا فبكى الرجل العاصى وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه انا أحق أن أبيت طاويا

معجمة قرية من قرى ترمذ على ستة فراسخ منها فلذلك قال (الترمذى) بتثليث الفوقية وكسر الميم أو ضمها مع اعجام الذال نسبة لمدينة قديمة على طرف جيحون وهو نهر بلخ على شاطئه الشرقى قال أبو عبيد الادريسى كان الترمذى أحد الائمة الذين يقتدى بهم فى علم الحديث صنف كتاب الجامع والعلل والتواريخ تصنيف رجل عالم متقن وكان يضرب به المثل فى الحفظ وكان مكفوفا قيل ولد أكمه ونوزع بقول الكشاف لم يكن فى هذه الامة أكمه غير قتادة بن دعامة وقد يقال هذا نفى ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ولا يرد على كلامه الشاطبى لان صاحب الكشاف متقدم عليه ولد سنة تسع ومائتين ومات ببلده ليلة الاثنين الثالثة عشر من رجب سنة تسع وسبعين وقيل تسع وثمانين ومائتين (و) الامام الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (النسائى) نسبة الى نساء مدينة بخراسان ولد سنة أربع أو خمس عشرة ومائتين رحل واجتهد وأتقن الى أن انفرد فقها وحديثا وحفظا واتقانا حتى قال الذهبى انه أحفظ من مسلم وكان منبسطا فى المأكل كثير النساء مع كثرة التعبد دخل دمشق فذكر فضل على رضى الله عنه فقيل له فمعاوية فقال ما كفاه ان يذهب رأسا برأس حتى تذكر له فضائل فدفع فى حصتيه بالحاء المهملة أى جنبيه حتى أشرف على الموت فأخرج فمات بالرملة أو فلسطين سنة ثلاث وثلاثمائة وحمل للمقدس أو مكة فدفن بين الصفا والمروة (وقال الترمذى حديث حسن صحيح) استشكل الجمع بينهما مع ما بينهما من التضاد فان راوى الصحيح يشترط فيه أن يكون موصوفا بالضبط الكامل وراوى الحسن لا يشترط فيه أن يبلغ تلك الدرجة وان كان ليس عاريا عن الضبط فى الجملة وأجيب بان ما قيل فيه ذلك ان كان له اسنادان كان وصفه بالحسن من جهة أحدهما وبصحته من جهة الآخر وحينئذ فما قيل فيه انه حسن صحيح أقوى مما قيل فيه صحيح لان كثرة الطرق تقويه وان كان له اسناد واحد كان وصفه بهما من حيث تردد أئمة الحديث فى حال ناقله لان ذلك يحمل المجتهد على انه لا يصفه بأحد الوصفين بل يقول حسن أى باعتبار وصف ناقله عند قوم صحيح باعتبار وصفه عند آخرين وغاية ما فيه انه حذف منه حرف التردد لان حقه أن يقول حسن أو صحيح وعلى هذا فما قيل فيه حسن صحيح دون ما قيل فيه صحيح لان الجزم أقوى من التردد

* (الحديث الثانى عشر) *

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن) انما أتى بلفظ حسن ولم يقل من اسلام الخ للاشارة الى انه لا عبرة بصور الاعمال فعلا وتركا الا اذا اتصفت بالحسن بأن توفرت شروط مكملاتها فضلا عن مصححاتها وقيل ان ترك ما لا يعنى ليس هو الاسلام ولا جزأه بل صفته وحسنه وصفة الشئ ليس ذاته ولا جزأه لان الاسلام لغة الانقياد وشرعا الاركان الخمسة فهو كالجسم وترك ما لا يعنى كالشكل واللون له ذكره بعض الشارحين فان قيل لم قال من حسن على التبعيض ولم يقل حسن فالجواب ان ترك ما لا يعنى ليس هو كل حسن الاسلام بل بعضه وانما جميع حسن الاسلام ترك ما لا يعنى وفعل ما يعنى فاذا فعل ما يعنيه وترك ما لا يعنيه فقد كمل حسن اسلامه وعلى هذا فمن للتبعيض وقال بعضهم يجوز كونها للبيان (اسلام المرء) أثره على الايمان لان الاسلام هو الذى

ظاهر اذ هو الاعمال الظاهرة التى يتأتى فيها الترك والفعل اختيارا (تركه) مصدر مضاف لفاعله (ما) أى شيأ أعم من أن يكون قولا أو فعلا (لا يعنيه) بفتح أوله قال ابن عبد البر وهذا من جوامع الكلم الذى لم يقله أحد قبله والله أعلم وأما ماروى فى صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه فهذا على تقدير صحته خاص الكلام وأما تركه مالا يعنيه فهو أعم من الكلام مع أن لفظه أبلغ وأوجز ومالا يعنيه هو مالا تدعو الحاجة اليه وهو الفضول كله على اختلاف أنواعه من اللعب والهزل وكل مايخل بالمروءة والتوسع فى الدنيا وطلب المناصب والرياسة وحب المحمدة ونحو ذلك مما لا يعود عليه منه نفع أخروى فانه ضياع للوقت النفيس الذى لا يمكن أن يعوض فائته فيما لم يخلق لاجله والذى يعنيه من الامور ما يتعلق بضرورة حياته فى معاشه مما يشبعه من جوع ويرويه من عطش ويستر عورته ويعف فرجه ونحو ذلك مما يدفع الضرورة دون مافيه تلذذ وتنعم وسلامته فى معاده من الاخلاص وقال الشيخ يوسف بن عمر مالا يعنيه هو ما يخاف فيه فوات الاجر والذى يعنيه هو الذى لا يخاف فيه فوات ذلك وقيل ما يعنيه ما يعود عليه منه منفعة لدينه أو لدنياه الموصلة لآخرته ومالا يعنيه عكسه وهو مالا يعود عليه منه منفعة لدينه أو لدنياه الموصلة لآخرته ولعله احترز بذلك عن دنيا تقطعه وتفسد آخرته وفى الحديث اشارة الى ان الشئ اما أن يعنى أولا وعلى كل اما أن يتركه أو يفعله فالاقسام أربعة فعل مايعنى وترك مالا يعنى وهما احسنان وترك مايعنى وفعل مالا يعنى وهما قبيحان فان قلت اسناد الاعتناء الى المرء يقتضى ان كل مالا يعتنى به مطلوب بتركه ولو كان موافقا للشرع فالجواب انه لما كان المرء الكامل لا يعتنى الا بما يعتنى به الشارع أسند الاعتناء اليه نظرا لكماله أو ان المراد بقوله مالا يعنيه مالا يطلب الشارع الاعتناء به وقد قال مالك بن دينار اذا رأيت قساوة فى قلبك ووهنا فى بدنك وحرمانا فى رزقك فاعلم بأنك تكلمت بما لا يعنيك فكلام الشخص فيما لا يعنيه يقسى القلب ويوهن البدن ويعسر أسباب الرزق * ووعظ عمر بن الخطاب رجلا فقال له لا تتكلم فيما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا أمين الا من يخشى الله ولا تمش مع الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تطلعه على سرك ولا تشاور فى أمورك الا الذين يخشون الله عز وجل وقال رجل للاحنف بن قيس بم سدت قومك وأراد تنقيصه وعيبه فقال الاحنف بتركى من أمرك مالا يعنينى كما عناك من أمرى مالا يعنيك وروى أبو عبيدة عن الحسن انه قال من علامة اعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه وسئل لقمان الحكيم أى عملك أوثق فى نفسك قال ترك مالا يعنينى وروى أن رجلا وقف عليه وهو يتكلم بالحكمة فقال ألست عبد بنى فلان وفى رواية ألست عبد فلان الراعى قال بلى لانه كان عبدا حبشيا وما قيل انه بلا لا نوبيان لم يثبت وكان يرعى الغنم قال فما الذى بلغ بك الى ما أرى قال قدر الله وصدق الحديث وترك مالا يعنينى وفى الموطأ بلغنى انه قيل له ما بلغ بك ما نرى يريدون الفضل قال صدق الحديث وأداء الامانة وترك مالا يعنينى وقيل له كيف أصبحت قال كيف أصبح من كانت نفسه بيد غيره ولبعضهم

لعمرك ماشئ علمت مكانه * أحق بسجن من لسان مذلل

لانى عاص وهذا مطيع فنام فاشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فأمر الله ملك الموت فقبض روحه فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجاء طائعا وقالت ملائكة العذاب بل هو عاص فأوحى الله اليهما ان زنوا عبادة سبعين سنة بمعصية السبع ليال فوزنوهما فرجحت المعصية على عبادة السبعين فأوحى الله تعالى اليهم أن زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذى آثر به على نفسه فوزنوا ذلك فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل الله توبته (قوله صلى الله عليه وسلم والصبر ضياء) أى حبس النفس على العبادات ومشاقها والمصائب وحرارتها وعن المنهيات والشهوات ولذاتها وأفضل أنواعه الاخير فالاول لخبر ابن أبى الدنيا ان الصبر على المصيبة يكتب للعبد به ثلثمائة درجة وان الصبر على الطاعة يكتب للعبد به ستمائة درجة وان الصبر على المعاصى يكتب له به تسعمائة درجة وقوله ضياء أى ان صاحبه لا يزال مستضيأ بنور الحق على سلوك سبل الهداية والتوفيق مستمرا فى مضايق اضطراب الآراء على تحرى الصواب لما عنده من ضياء المعارف والتحقيق * قال موسى عليه السلام الهى أى منازل الجنة أحب اليك قال حظيرة القدس قال من يسكنها قال أصحاب المصائب قال يارب من هم قال الذين اذا ابتليتهم صبروا واذا أنعمت عليهم شكروا واذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون (قوله صلى الله عليه وسلم والقرآن) وهو الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز بأقصر سورة منه (حجة لك) أى فى تلك المواقف التى تسئل فيها عنه كالقبر والميزان وعقبات الصراط ان امتثلت جميع أوامره واهتديت بانواره وتحليت بما فيه من معالى الاخلاق وشرائف الاحوال (أو حجة عليك) فى تلك المواقف ان أعرضت عن القيام بماله من واجب الحقوق قال بعض السلف ما جالس أحد القرآن فقام سالما اما ان يربح واما ان يخسر ثم تلا قوله

على فيك مما ليس ينفعك قوله * بقفل شديد حيثما كنت أقفل

وقال أنس استشهد منا غلام يوم أحد فوجد على بطنه صخرة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت هنيأ لك الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يضره ومن كلام بعض السلف من سأل عما لا يعنيه سمع مالا يرضيه ومر حسان بن أبى سنان بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم أقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لأعاقبنك بصوم سنة فصامها وعن يوسف بن عبيد ترك كلمة فيما لا يعنى أفضل من الصوم يوما وقال بعضهم مر ابراهيم الخليل فرأى عبدا فى الهواء متعبدا فقال له بم نلت هذه المنزلة من الله تعالى قال بأمر يسير فطمت نفسى عن الدنيا ولم أتكلم فيما لا يعنينى ونظرت فيما أمرنى فعملت به وفيما نهانى عنه فانتهيت فأنا ان سألته أعطانى وان دعوته أجابنى وان أقسمت عليه أبر قسمى سألته أن يسكننى الهواء فأسكننى وعن وهب بن منبه قال كان فى بنى اسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما الى ان مشيا على الماء فبينما هما يمشيان على البحر اذ هما برجل يمشى فى الهواء فقالا له يا عبد الله بأى شئ أدركت هذه المنزلة قال بيسير من الدنيا فطمت نفسى عن الشهوات وكففت لسانى عما لا يعنينى ورغبت فيما دعانى اليه ولزمت الصمت فان أقسمت على الله أبر قسمى وان سألته أعطانى وقوله من حسن اسلام المرء خبر واجب التقديم لما فى المبتدا من ضمير يعود على متعلق الخبر من باب على التمرة مثلها زبدا وقوله تركه مالا يعنيه مبتدأ (حديث حسن) من طريق وصحيح من أخرى (رواه الترمذى) فى جامعه (وغيره) كابن ماجه (هكذا) أى موصولا ورواه غير همامرسلا والاتصال يقدم على الارسال وهو أصل كبير فى تأديب النفس وتهذيبها عن الرذائل والنقائص وترك مالا جدوى فيه ولا نفع وهو من جوامع كلمه المختصة به صلى الله عليه وسلم

(الحديث الثالث عشر)

(عن أبى حمزة) بمهملة فزاى كناه بذلك النبى صلى الله عليه وسلم لما روى عنه انه قال كنانى النبى صلى الله عليه وسلم ببقلة كنت اجتنيها قال الازهرى البقلة التى كنى بها أنس كان فى طعمها لذع فسميت حمزة بفعلها يقال رمانة حامزة أى فيها حموضة ومنه حديث عمر انه شرب شرابا فيه حمازة أى لذع وحدة أو حموضة (أنس بن مالك) ابن النضر بالنون والضاد المعجمة الساكنة ابن ضمضم بفتح المعجمتين ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بفتح الغين المعجمة وسكون النون ابن عدى بن النجار الانصارى الخزرجى وأمه أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام واختلفوا فى اسمها فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل رميثة وقيل أنيفة تزوجها مالك بن النضر فولدت له أنس بن مالك ثم قتل فخطبها أبو طلحة قبل أن يسلم فقالت أما انى فيك لراغبة وما مثلك يرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة فان تسلم فذلك مهرى لا أسألك غيره فأسلم أبو طلحة وتزوجها قال ثابت فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم وهو الاسلام (خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم) لان أمه ذهبت به الى النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وقالت له خذه غلاما يخدمك فقبله وكان له حينئذ تسع سنين ويقال ثمان ويقال عشر قال أنس خدمته عشر سنين ويروى تسع سنين فما قال لى لشئ

تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال يمثل القرآن يوم القيامة رجلا فيؤتى بالرجل قد حمله فخالف أمره فيمثل له خصما فيقول يارب قد حملته اياى فبئس حامل تعدى حدودى وضيع فرائضى وركب معصيتى وترك طاعتى فما زال يقذف عليه بالحجج حتى يقال شأنك به فيأخذ بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره فى النار قال ويؤتى بالرجل الصالح قد كان حمله فيمثل له خصما دونه فيقول يارب حملته اياى فخير حامل لم يتعد حدودى وعمل فرائضى واجتنب معصيتى واتبع طاعتى فما زال يقذف له بالحجج حتى يقال شأنك به فيأخذ بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كأس الخمر (قوله صلى الله عليه وسلم كل الناس يغدو) أى يصبح ساعيا فى تحصيل أغراضه مسرعا فى طلب نيل مقاصده (فبائع نفسه) من الله تعالى ببذلها فيما يخلصها من سخطه وأليم عقابه متوجها بقلبه وقالبه الى الآخرة وأعمالها معرضا عن زخارف الدنيا متعبدا بآداب الشرع قولا وفعلا امتثالا واجتنابا (فمعتقها) من رق الخطايا والمخالفات ومن سخط الله وأليم عقابه (أو موبقها) أى أو بائع نفسه من البطالة ببذلها فيما يرديها فهو حينئذ موبقها أى مهلكها فيما أوقعها فيه من العذاب * ولنختم مجلسنا هذا بثلاث فوائد *(الفائدة الاولى) روى الطبرانى والخرائطى من قال اذا أصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان من آخر يومه عتيقا من النار *(الفائدة الثانية)* عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح اللهم انى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك بأنك أنت الله الذى لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك أربع مرات أعتقه الله ذلك اليوم من النار والحكمة فى ترتيب العتق على قول ذلك أربع مرات قبل لانه أشهد الله وحملة عرشه وملائكته وجميع خلقه

فأعتق الله بشهادة كل شاهد ربعه وهذا كما أن الانسان يهدر دمه اذا شهد أربعة فى الزنا كذلك يعصم دمه من النار اذا شهد أربعة على ايمانه وقال بعضهم تكرير هذه الكلمات أربع مرات تبلغ حروفها ثلثمائة وستين حرفا وابن آدم مركب من ثلثمائة وستين عضوا فأعتق الله بكل حرف منها عضوا من (١٤٠) أعضائه * (الفائدة الثالثة) * ذكر السادة الصوفية أن من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة أعتق الله بها رقبته أو رقبة من قالها له من النار قال الشيخ نجم الدين الغيطى رحمه الله تعالى فى معراجه فى تفسير التسبيح أخرج الطبرانى فى الاوسط والخرائطى وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله قال وهذه فائدة عظيمة ينبغى أن يحافظ عليها وغنيمة جسيمة يبادر الى الاعتناء بها والمداومة عليها قال ويشبهها ما يتداوله السادة الصوفية من قول لا اله الا الله سبعين ألف مرة ويذكرون ان الله تعالى يعتق بها رقبة من يقولها ويشترى بها نفسه من النار ويحافظون على فعلها لانفسهم ولمن مات من أهاليهم واخوانهم وقد ذكرها الامام اليافعى والعارف الكبير المحيوى ابن عربى وأوصى بالمحافظة عليها وذكروا انه قد ورد فيها خبر نبوى وحكوا أن شابا صالحا كان من أهل الكشف ماتت أمه فصاح وبكى وخر مغشيا عليه ثم سئل عن سبب ذلك فذكر انه رأى أمه فى النار وكان بعض المشايخ من السادة حاضرا وكان قد قال هذه السبعين ألفا وأراد أن يعدها لنفسه فقال فى نفسه عندما سمع قول الشاب المذكور اللهم انك تعلم انى هللت هذه السبعين ألف تهليلة وأريد أن أدخرها لنفسى وأشهدك انى قد اشتريت بها أم هذا الشاب من النار فما استتم الوارد الا وتبسم الشاب وسر سرورا عظيما وقال الحمد لله الذى أرانى أمى قد خرجت من النار وأمر بها الى الجنة قال الشيخ المذكور فحصل لى فائدتان صدق الخبر المذكور وصحته وصدق

فعلته لم فعلته ولا لشئ تركته لم تركته وكنت واقفا أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها فقلت بلى بأبى وأمى أنت يا رسول الله فقال متى لقيت من أمتى أحدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالت أمه يوما يا رسول الله خويدمك ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وأطل عمره واغفر ذنبه وروى بدل الاخيرة وأدخله الجنة قال أنس فلقد رزقت من صلبى سوى ولد ولدى مائة وخمسة وعشرين أى ذكورا ولم يرزق الا ابنتين على ما قيل وان بستانى لتثمر فى السنة مرتين وفيه ريحان يجئ منه ريح المسك ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وأنا أرجو الرابعة وكان يصلى فيطيل القيام حتى تقطر قدماه دما وشكى له قيمه عطش أرضه فتوضأ وخرج الى البرية وصلى ركعتين ودعا فثارت سحابة حتى غشيت أرضه ومطرت حتى ملأتها فأرسل غلامه وقال انظر أين بلغت هذه فنظر فاذا هى لم تعد أرضه وفى رواية لم تعدها الا يسيرا وذلك فى الصيف وكان اذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته ودعا لهم وكان أبو غالب يقول لم أر أحدا كان أضن بكلامه من أنس بن مالك وخرج مع النبى صلى الله عليه وسلم الى بدر وانما لم يعد من البدريين لانه لم يكن فى سن من يقاتل وغزا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثمان غزوات واستمر فى خدمة النبى صلى الله عليه وسلم الى ان توفى وهو عنه راض فأقام بالمدينة وشهد الفتوح ثم قطن بالبصرة ومات بها سنة تسع أو احدى أو اثنتين أو ثلاث وتسعين ورجحه المؤلف زمن الحجاج وهو ابن تسع وتسعين أو مائة وستة أو وثلاث سنين أو وعشر سنين أو وسبع سنين أو وعشرين سنة وأوصى ثابتا البنانى ان يجعل تحت لسانه شعرة كانت عنده من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل وغسله محمد بن سيرين ودفن فى قصره على فرسخين وقيل فرسخ ونصف من البصرة وهو آخر من مات من الصحابة بها وأما آخر الصحابة موتا مطلقا فهو عامر بن واثلة الليثى روى لانس الفان ومائتا حديث وستة وثمانون اتفقا منها على مائة وثمانية وستين وانفرد البخارى بثلاثة وثمانين ومسلم بأحد وسبعين * (أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) * وفى رواية الاصيلى لا يؤمن أحد وفى رواية ابن عساكر لا يؤمن عبد وفى رواية لمسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لاخيه أو لجاره على الشك وفى رواية أبى نعيم لا يؤمن عبد حتى يحب لاخيه ولجاره بلا شك وذكر الجار مع دخوله فيما قبله لشدة الاعتناء به لخبر ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وعلى كل لا يؤمن ايمانا كاملا والا فاصل الايمان حاصل بدون ذلك لان من لم يتصف بهذه الصفة لا يكون كافرا وفى رواية للامام أحمد وابن حبان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغ عبد حقيقة الايمان أى كماله وقدم فى حديث جبريل أن الايمان هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ولم يذكر حب الانسان لاخيه ما يحب لنفسه فدل على انه من كمال الايمان لا من أجزائه بحيث تختل ذاته بعدمه ونفى اسم الشئ على معنى نفى الكمال عنه شائع مستفيض فى كلامهم كقولهم فلان ليس بانسان فان قلت اذا كان المراد نفى كمال الايمان يلزم ان يكون من حصلت له هذه الخصلة

مؤمنا

كشف هذا الشاب قال الشيخ نجم الدين رحمه الله تعالى لكن الحديث المذكور قال بعض المشايخ لم يرد به سند فيما أعلم قال وقد وقفت على صورة سؤال للحافظ ابن حجر رحمه الله عن هذا الحديث وهو من قال لا اله الا الله سبعين ألفا فقد اشترى نفسه من الله هل هو حديث صحيح أو حسن أو ضعيف وصورة جوابه (١٤١) أما الحديث المذكور فليس بصحيح ولا حسن ولا ضعيف بل هو باطل موضوع لا تحل روايته الا مقرونا ببيان حاله اهـ قال الشيخ نجم الدين رحمه الله لكن ينبغى للشخص ان يفعلها اقتداء بالسادة الصوفية واقتداء بقول من أوصى بها وتبركا بأفعالهم وقد ذكرها الشيخ الولى العارف سيدى محمد بن عراق نفعنا الله ببركاته فى بعض سفيناته المؤلفة قال وكان شيخنا يأمر بها وذكر ان بعض اخوانه ذكر له عن بعض الصلحاء انه كانت له سبحة عددها ألف وكان يديرها سبعين مرة من بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس قال وهذه كرامة له من الله تعالى فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بذلك وان يلحقنا بعباده الصالحين فاغتنموا هذه الفوائد

هنيأ لاصحاب خير الورى … ولا تنس أصحاب أخياره
أولئك فازوا بتذكيره … ونحن سعدنا بتذكاره
وهم سبقونا الى نصره … وها نحن أتباع أنصاره
ولما حرمنا اللقا عينه … عكفنا على حفظ آثاره
عسى الله يجمعنا كلنا … برحمته معه فى داره

(المجلس الرابع والعشرون فى الحديث الرابع والعشرين)

الحمد لله الذى نطقت بوحدانيته عجائب مصنوعاته واطبقت على حمد انيته غرائب مبتدعاته وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه وعلى آله وصحبه أجمعين آمين (عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى

مؤمنا كاملا وان لم يأت ببقية الاركان فالجواب ان هذا ورد مورد المبالغة فى تحصيل هذه الخصلة المحمودة حتى كان تلك المحبة ركنه الاعظم نحو لا صلاة الا بطهور وهو مستلزم لها اذ يستفاد من قوله لاخيه المسلم ملاحظة بقية صفات المسلم وأضاف أحد المنفى للعموم لضمير المذكور نظرا للغالب والا فالاناث كذلك والضمير راجع لامة الاجابة (حتى يحب) بالنصب لان حتى هنا جارة لا عاطفة ولا ابتدائية وأن بعدها مضمرة والرفع يجعلها عاطفة يفسد المعنى اذ عدم الايمان ليس سببا للمحبة وقوله يحب المحبة الميل الى ما يوافق المحب ثم الميل قد يكون بما يستلذ بحواسه كحسن الصورة وبما يستلذ بفعله اما لذاته كالفضل والكمال واما لاحسانه كجلب نفع أو دفع ضر (لاخيه) أى كل أخ فى الاسلام من غير أن يخص بمحبته أحدا دون أحد بشهادة انما المؤمنون اخوة والاضافة فان اضافة المفرد تفيد العموم ووقع فى رواية الاسماعيلى حتى يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير والظاهر أن التعبير بالاخ المسلم جرى على الغالب لانه ينبغى لكل مسلم أن يحب للكافر الاسلام وما يتفرع عليه من الكمالات وقال ابن العماد الاولى أن يحمل على عموم الاخوة حتى يشمل الكافر والمسلم فيحب لاخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله فى الاسلام كما يحب لاخيه المسلم الدوام عليه ولذلك ندب الدعاء له بالهداية اهـ (ما يحب لنفسه) من الطاعات والمباحات الدنيوية وسواء كان ذلك فى الامور الحسية كالغنى أو المعنوية كالعلم فيكون معه كالنفس الواحدة كما حث صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله فى الحديث الصحيح أيضا المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وقال ابن عباس رضى الله عنهما انى لامر على الآية من كتاب الله تعالى فأود أن الناس علموا منها ما أعلم وكان عتبة الغلام اذا أراد أن يفطر قال لبعض اخوانه المطلعين على عمله أخرج لى تمرة فيكون لك مثل أجرى قال ابن بطال وغيره المحبة على ثلاثة أقسام محبة اجلال وتعظيم كمحبة الوالد ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس اهـ واللام تدل على أن المراد الخير والمنفعة اذ هى للاختصاص بالمنافع وكذا محبته لنفسه تدل عليه اذ لا يحب لنفسه الا الخير وقد تقدم التصريح به فى رواية الاسماعيلى فاندفع قول بعضهم هذا عام مخصوص فان الانسان يحب لنفسه وطء حليلته ولا يجوز أن يحبه لاخيه حال كونها فى عصمته لانه محرم عليه وليس له ان يحب لاخيه فعل محرم عليه وقوله لنفسه أى مثل ما يحب لنفسه لا عينه مع سلبه عنه ولا مع قيامه بمحله اذ قيام الجوهر أو العرض بمحلين محال وهو مساو ولقول بعضهم من جهة لا يزاحمه فيها قال البيضاوى المراد المحبة من جهة العقل وان كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر منه ويميل اليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله لما يعلم أن صلاحه فيه وقال عياض كبعضهم ظاهر الحديث طلب المساواة وحقيقته تستلزم التفضيل لان كل واحد يحب أن يكون أفضل الناس فاذا أحب لاخيه مثله دخل هو فى جملة المفضولين وتعقبه الحافظ ابن حجر بان المراد الزجر عن هذه الارادة والحث على التواضع فلا يحب أن يكون أفضل من غيره ليرى عليه مزية ويستفاد ذلك من قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا

أهدكم ياعبادى كلكم جائع الامن أطعمته فاستطعمونى أطعمكم ياعبادى كلكم عار الامن كسوته فاستكسونى اكسكم ياعبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ياعبادى لوان أولكم (١٤٢) وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيأ ياعبادى لوأن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك فى ملكى شيأ ياعبادى لوأن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل واحد مسئلته مانقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر ياعبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه رواه مسلم) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث من الاحاديث القدسية وهو حديث عظيم ربانى مشتمل على فوائد عظيمة فى أصول الدين وفروعه وآدابه ولطائف القلوب قال الامام النووى فى أذكاره ان أبا ادريس راويه عن أبى ذر كان اذا حدث به جثا على ركبتيه تعظيما له واجلالا (قوله ياعبادى) جمع لعبد يتناول الاحرار والارقاء من الذكور والاناث اجماعا قال أبو على الدقاق ليس للمؤمن صفة أشرف ولا أتم من العبودية وقيل

ياقوم قلبى عند اسمائى * يعرفه السامع والرائى

لاتدعنى الا بياعبدها * فانه أشرف أسمائى

واقوال العلماء فى العبد والعبودية كثيرة وكل واحد تكلم بلسان قاله على قدر مقامه فقال ابن عطاء العبد الذى لاملك له وقال رويم يتحقق العبد بالعبودية اذا اسلم القياد من نفسه الى ربه وتبرأ من حوله وقوته وعلم ان الكل له وما أحسن ماقيل فى هذا المحل * وكنت قديما أطلب الوصل منهم * فلما أتانى العلم وارتفع الجهل * تيقنت ان العبد لاطلب له * فان قربوا فضل وان أبعدوا عدل وان أظهروا لم يظهروا غير وصفهم

فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين فهو مستلزم للمساواة قال الكرمانى ومن الايمان أن يبغض لاخيه مايبغض لنفسه من الشر ولم يذكره لان حب الشئ مستلزم لبغض نقيضه فترك النص عليه اه ومن ثم قيل للاحنف ممن تعلمت الحلم قال من نفسى قيل له وكيف ذلك قال كنت اذا كرهت شيأ من غيرى لا أفعل بأحد مثله وقال السرى وقع ببغداد حريق فاستقبلنى رجل وقال لى نجا حانوتك فقلت الحمد لله فمذ قلتها وأنا نادم حيث أردت لنفسى دفع الضر دون المسلمين ولى ثلاثون عاما أستغفر الله من ذلك * (رواه البخارى ومسلم) وفى مسند الامام أحمد عن يزيد بن أسد القرشى قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحب الجنة قلت نعم قال فأحب لاخيك ماتحب لنفسك وأتى بهذا عقب السابق لان ماقبله وصف للاسلام وهذا وصف للايمان وذكر فيما قبله المطلوب تركه وذكر فى هذا المطلوب فعله وأما الايثار وهو تقديم الغير على النفس فهو أمر عظيم مدح الله أهله فى كتابه العزيز بقوله ويؤثرون على أنفسهم وسبب نزولها ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال جاء ثابت بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى مجهود فأرسل الى بعض نسائه فقالت والذى بعثك بالحق ماعندنا الا ماء ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك ثم قلن كلهن مثل ذلك ماعندنا الا ماء فقال من يضيف هذا الليلة فقام رجل من الانصار يقال له أبو المتوكل وقيل أبو طلحة فقال أنا يارسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ فقالت لا الاقوت صبيانى قال فعلليهم بشئ فاذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج ونومى الاطفال وقدمى للضيف ماعندك ففعلت وأظهرا أنهما يأكلان معه فنزل قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الى قوله فأولئك هم المفلحون فلما أصبح غدا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد عجب الله من صنيعكما الليلة بضيفكما فان قلت اذا لم يكن ثم عندها الاقوت الصبيان وهو يدل على أن الصبيان كانوا جياعا فكيف ساغ تنويمهم طاوين فالجواب أن الصبيان لم تشتد حاجتهم للاكل وانما خشيا أن الطعام لو جىء به للضيف وهم مستيقظون لايتركون الاكل منه ولو كانوا شباعا على عادة الصبيان فيشوشون على الضيف وروى الحسن أن رجلا أصبح صائما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أمسى لم يجد مايفطر عليه الا الماء فشرب ثم أصبح صائما فلما كان اليوم الثالث أجهده الجوع ففطن به رجل من الانصار فلما أمسى أتى به الى منزله وقال لاهله هل عندكم من طعام فقال أهله عندنا من الطعام مايشبع الواحد وكنا صائمين ولهما صبية فقال لزوجته اذا دخل الضيف فنومى الصبية قبل العشاء وأطفئ السراج ونظهر للضيف انا نأكل معه حتى يشبع فجاءت بثريد ووضعته ودنت من السراج كأنها تريد أن تصلحه فأطفأته فلما أصبح الضيف غدا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقال ابن عمر أهدى لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخى فلانا وعياله أحوج الى هذه منا فبعثه اليهم فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداولها سبع أبيات حتى رجعت الى الاول وتقدم ذكر قصة ابن عمر لما اشتهى عنقودا من العنب وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها فى صرة ثم قال للغلام اذهب بها الى أبى

عبيدة

وان ستر وافالستر من أجلهم يحلوا (قوله انى حرمت الظلم) هو وضع الشئ فى غير محله (على نفسى) وذلك لاستحالته عليه تعالى اذ هو التصرف فى حق الغير بغير حق أو مجاوزة الحد وكلاهما محال عليه اذ لاملك ولاحق لاحد معه بل هو الذى خلق المالكين واملاكهم وتفضل عليهم بها وحد لهم الحدود وحرم وأحل فلاحاكم (١٤٣) يتعقبه ولاحق يترتب عليه قال تعالى ان الله لايظلم مثقال ذرة (قوله وجعلته بينكم محرما) أى حكمت عليكم بتحريمه وهذا مجمع عليه فى كل ملة لاتفاق سائر الملل على مراعاة حفظ النفس والانساب والاعراض والعقول والاموال والظلم قد يقع فى هذه كلها أو بعضها وأعلاه الشرك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وهو المراد بالظلم فى أكثر الآيات قال تعالى والكافرون هم الظالمون ثم تليه المعاصى على اختلاف أنواعها وروى الشيخان الظلم ظلمات يوم القيامة ورويا أيضا ان الله تعالى ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد ورويا أيضا من كانت فيه مظلمة لاخيه فليتحلله منها فانه ليس ثم دينار ولادرهم من قبل أن يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم تكن له حسنات أخذ من سيآت أخيه وطرحت عليه وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا دعوة المظلوم فانها مستجابة * (حكاية) * غار بعض الملوك على قرية فنهبها وأخذ أموال أهلها ومواشيهم ودوابهم وقتل فيهم فخرجت عجوز من بعض الدور فنظرت اليه وقالت ياويلك من ديان يوم الدين اذا انشقت سماء عن سماء وبرز الرب لفصل القضاء فقال لها ياعجوز أما سمعت فى القرآن ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة فقالت له ياهذا أنسيت الآية الاخرى التى بعدها فى السورة فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا فقال الملك ردوا عليهم جميع مالهم فردوه ثم قال ياعجوز كيف الخلاص قالت لاتقنط وهو الذى يقبل التوبة عن عباده * (مهمة) * اعلم أن الايمان والعبادة لايتم المقصود منهما الا بسلامة الانفس والعقول والاموال التى هى القوام فحرم الله

عبيدة بن الجراح ثم تلكا ساعة فى البيت حتى تنظر مايصنع بها فذهب بها الغلام اليه فقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال تعالى ياجارية اذهبى بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أنفدها فرجع الغلام الى عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل وقال اذهب بها الى معاذ بن جبل وتلكأ فى البيت ساعة حتى تنظر مايصنع بها فذهب بها اليه فقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجتك فقال رحمه الله ووصله وقال ياجارية اذهبى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا فاطلعت امرأة معاذ وقالت ونحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق فى الخرقة الا ديناران فدحا بهما اليها فرجع الغلام الى عمر فأخبره بذلك فسر بذلك عمر وقال انهم اخوة بعضهم من بعض ونحوه عن عائشة فى اعطاء معاوية اياها كما مر فى مناقبها وقال أبو يزيد البسطامى ماغلبنى أحد ماغلبنى شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لى ياأبا يزيد ماحد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا فقلت له ماحد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وحكى عن الحسن الانطاكى انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا لقرى الرى ومعهم أرغفة معدودة لاتشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا هو بحاله لم يأكل أحد منهم شيأ ايثارا لصاحبه على نفسه والايثار بالنفس فوق الايثار بالمال فقد قال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شئ من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به فقلت أسقيك فأشار برأسه أن نعم فاذا برجل يقول آه آه فأشار الى ابن عمى أن انطلق اليه فانطلقت اليه فاذا هو هشام بن العاصى فقلت أسقيك فأشار أن نعم فسمع آخر يقول آه آه فأشار هشام أن انطلق فجئته فاذا هو قدمات فرجعت الى هشام فاذا هو قدمات ورجعت الى ابن عمى فاذا هو قدمات

(الحديث الرابع عشر)

(عن) عبد الله (بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحل) أى لايجوز فلا ينافى وجوب القتل باحدى الثلاثة الآتية لان الجائز يصدق بالواجب وفى رواية مسلم زيادة على هذا فى أوله ولفظه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذى لااله غيره لايحل (دم) قال سيبويه أصله دمى على فعل بالتسكين لانه يجمع على دماء ودمى أى بكسر الدال فى الاول وضمها فى الثانى مثل ظبى وظباء ودلو ودلاء ودلى ولا يجمع على ذلك الافعل بالتسكين وقيل أصله فعل بالتحريك وعليه فهل الذاهب منه الياء ويدل عليه قولهم فى تثنيته دميان وان جاء جمعه مخالفا لنظائره وهو ماقاله المبرد أو الواو لان بعض العرب يقولون فى تثنيته دموان وهو ماقاله غيره وعلى كل فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (امرئ) يقال فيه مرء أيضا قال الله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ومؤنثه امرأة ومرأة وحكى بعضهم انه يجوز زمرة بفتح الراء من غير همز وخص الذكر هنا بالذكر لشرفه وأصالته وغلبة دوران الاحكام عليه والافالانثى والخنثى كذلك جريا على طريقة الاكتفاء بأحد الضدين كما فى سرابيل تقيكم الحر أى والبرد أولانه كما

تعالى قتل المؤمن والمعاهد بغير حق فان القتل ابطال المقصود بقطع الوجود ثم يليه الضرب والجرح وقطع الاطراف فانه يفضى الى القتل وشرع قتل الكافر المحارب لان فى قتله رفع ضرر عن المؤمنين وشرع قتل الزانى المحصن زجرا عن هذه المفسدة وشرع قتل القاتل عمدا بالقصاص زجرا عن القتل فكان فى القتل قصاصا تقليل القتل وهو معنى قوله عز وجل ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون وحرم اللواط لئلا يقع الاكتفاء به فينقطع النسل فيكون به رفع الوجود وهو قريب من قطع الموجود وحرم الزنا لئلا تختلط الانساب فينقطع التعارف والتناصر والوصلة والميراث وتكثر الغيرة بين الرجال فيقع القتل والهرج وأما الاموال فحرم الله تناولها بغير حق مصلحة للناس لكن بعض الصور فيها أعظم من بعض فان ما ظهر منها أمكن تداركه واقتضاؤه بالسلطان أو باليد وربما أمكن التحرز منه بأن يحفظ الانسان ماله فأما ما كان باختفاء أو تسلط فهو أعظم كالسرقة فانه يعسر التحرز منها ولا تعرف فلا يمكن استيفاؤها وأكل مال اليتيم اذا أكله من يلى عليه كذلك واتلاف المال بشهادة الزور وأكل المال باليمين الكاذبة عند الحاكم وأكل الربا والقمار قريب من هذا فانه أكل مال مسلم بحجة باطلة لا يمكن معها الاستيفاء ثم يليه الغصب والخيانة فى الوديعة ونحو ذلك وأما الاعراض فحرم الخوض فيها لئلا يؤدى الى التقاطع والتدابر وربما أدى الى القتل وحرم شرب كل مسكر فان فيه افساد العقل وهو شرط للتكاليف فصار كقطع الوجود فى وقت السكر فهذه مراتب الكبائر وكلها ظلم ولهذا قال فلا تظالموا بالتشديد والاشهر التخفيف أى لا يظلم بعضكم بعضا فانه لا بد من اقتصاصه تعالى للمظلوم من ظالمه (قوله يا عبادى كلكم ضال) أى غافل عن الشرائع قبل ارسال الرسل (الا من هديته) أى وفقته للايمان بما جاءت به الرسل (فاستهدونى) أى اطلبوا منى الهداية بمعنى الدلالة على طريق الحق والايصال اليها معتقدين أنها لا تكون الا من فضلى

قال الحرانى يشترك فيه الذكر والانثى وقوله دم امرئ كناية عن ازهاق روحه ولو لم يرق دمه كما لو خنقه أو سمه أو بالنظر للغالب لان الغالب فى القتل اراقة الدم (مسلم) خرج به الكافر وسقط من كلام المصنف هنا ما رواه الشيخان فى روايتهما بعده يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله وهو صفة كاشفة واعلم أن الاصل فى الدماء العصمة عقلا ونقلا أما عقلا فلان فى القتل افساد الصورة الانسانية المخلوقة فى أحسن تقويم والعقل يأباه وأما نقلا فلقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وقول المصطفى عليه السلام ليحذر أحدكم أن يحول بينه وبين الجنة مل‌ء كف من دم يهرقه بغير حق وقوله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وقوله من أعان على مسلم بشطر كلمة لقى الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وقوله من هدم بنيان ربه فهو ملعون أى من قتل نفسا بغير حق لان الجسم خلقه الله وركبه ثم استثنى من عدم الجواز قوله (الا باحدى) خصال (ثلاث) فيجب القتل بها لما فيه من المصلحة العامة وهى حفظ الانساب والنفوس والاديان الا أن يعفو مستحق القصاص أو يرجع المرتد الى الاسلام وأنث احدى ثلاث لان المراد الخصال كما تقرر وفى رواية للبخارى الا ثلاثة نفر (الثيب) اسم جنس يشمل الذكر والانثى والمراد به المحصن وهو المسلم البالغ العاقل الواطئ أو الموطوأة وطئا مباحا فى عقد نكاح لازم بانتشار وعدم مناكرة وخرج بالثيب البكر فحده جلد مائة جلدة ان كان حرا ونصفها ان كان رقيقا او يغرب الذكر الحر عاما والاصح ان الحدود بمجردها كفارة وقيل لا بد من التوبة وجمع بحمل الاول على ذات الذنب والتوبة على جراءته وقوله الثيب بالجر بدل مما قبله ولا بد فيه وفيما بعده من مضاف محذوف تقديره خصلة الثيب الزانى وقصاص النفس بالنفس وترك التارك لدينه وبدون هذا التقدير يتعذر الابدال لان الثيب وما بعده ليسوا نفس الخصال ويجوز رفعه على انه خبر لمبتدا محذوف أو مبتدأ والخبر محذوف أى وهى أو منها الثيب الخ والثانى أولى ويجوز نصبه على انه مفعول لفعل محذوف (الزانى) باثبات الياء وحذفها من باب الكبير المتعال واثباتها كما قال المصنف أشهر وعن عبد الله بن عمر انه قال أول ما خلق الله عز وجل من الانسان فرجه فقال هذا أمانتى عندك فلا تضعها الا فى حقها والمراد بحل دم المحصن الزانى انه يجب رجمه بالحجارة حتى يموت ولا يجوز قتله بغير ذلك اجماعا والنفس المكافئة (بالنفس) أى بقتلها عمدا عدوانا لقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها أى التوراة ان النفس بالنفس ولما فى الصحيح انه عليه الصلاة والسلام رضخ رأس اليهودى الذى رضخ رأس المرأة وخرج بالمكافئة ما اذا كان القاتل زائدا بالاسلام أو الحرية فان كان زائدا بالاسلام لا يقتل لخبر البخارى لا يقتل مسلم بكافر وكذا لو كان زائدا بالحرية لمفهوم قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد ولان الرقيق مال متقوم فالتحق بسائر الاموال وخبر من قتل عبده قتلناه منقطع ويقتل الادنى بالاعلى ككتابى بعبد مسلم لان زيادة الاسلام أعلى من الحرية بخلاف العكس فلا يقتل رقيق مسلم بحر كافر وخرج بالعمد الخطأ وبالعدوان قتل البغاة ويقتص من الفرع للاصل لا عكسه لانه سبب فى ايجاد فرعه فلا يكون فرعه سببا لاعدامه

وبأمرى (اهدكم) أى أنصب لكم أدلة ذلك الواضحة والحكمة فى انه سبحانه وتعالى طلب منا سؤال الهداية اظهار للافتقار والاذعان والاعلام بانه لو هداه قبل أن يسأله لربما قال انما أوتيته على علم عندى فيضل بذلك فاذا سأل ربه فقد اعترف على نفسه بالعبودية ولمولاه بالربوبية وهذا مقام شريف وشهود منيف لا يتفطن له الا الموفقون ولا يعرف قدر عظمته الا العارفون * (تنبيه) * الهداية الدلالة بلطف ولذلك تستعمل فى الخير وأما قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم فوارد على التهكم وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا لا يحصيها عد كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكنها تنحصر فى أجناس مترتبة الاول افاضة القوى التى بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة الثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه الاشارة بقوله تعالى وهديناه النجدين أى طريق الخير والشر الثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقوله ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم الرابع أن يكشف لقلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هى بالوحى والالهام والمنامات الصادقة وهذا القسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (قوله يا عبادى كلكم جائع الا من أطعمته) وذلك لان الناس كلهم عبيد لا ملك لهم فى الحقيقة وخزائن الرزق بيده تعالى فمن لا يطعمه بفضله بقى جائعا بعدله اذ ليس عليه اطعام أحد وأما قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فالتزام منه تفضلا لا انه واجب عليه ولا يمنع نسبة الاطعام اليه تعالى ما يشاهد من ترتب الارزاق على أسبابها الظاهرة كالحرف والصنائع وأنواع الاكتساب لانه تعالى المقدر لتلك الاسباب الظاهرة بقدرته وحكمته الباطنة فالجاهل محجوب بالظاهر عن الباطن والعارف الكامل لا يحجبه ظاهر

لاعدامه الا أن يضجعه ويذبحه أو يبقر بطنه فيقتص منه حينئذ والنفس تذكر وتؤنث والغالب عليها التأنيث (والتارك لدينه) أى المرتد لان فى اقراره على الردة خللا لنظام عقد الاسلام ولا فرق بين الرجل والمرأة عند الجمهور وقال أبو حنيفة لا تقتل المرأة اذا ارتدت كما لا تقتل نساء أهل الحرب فى الحرب واستثناء القاتل والزانى من المسلم ظاهر لان الزنا والقتل لا يخرجهما عن الاسلام وأما استثناء المرتد فهو باعتبار ما كان قبل ردته سيما وعلاقة الاسلام مرتبطة به بدليل انه لا يقتل حتى يستتاب ثلاثا ويقتل الزانى والقاتل ولو تابا بخلاف المرتد لان التوبة فى الاخير تزيل عنه وصف الكفر بخلافها فى الاولين فانها لا تزيل الوصف بالزنا والقتل (المفارق للجماعة) تفسير للتارك لدينه فهو صفة مؤكدة لان المراد بالجماعة جماعة المسلمين وفراقهم هو الردة عن الدين فالمراد المفارقة بالقلب والاعتقاد أو الفعل المكفر كالسجود للصنم لا المفارقة بالبدن الا أن ينضم له المفارقة باللسان والظاهر أن اللام فى قوله لدينه وفى قوله للجماعة زائدة كما زيدت فى قوله تعالى قل عسى أن يكون ردف لكم وقوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ونحو ذلك فان ترك وفارق يتعديان بنفسهما واسم الفاعل من الفعل المتعدى متعد كفعله كما ان القاصر كذلك زيدت فى الفعل والا فالاصل التارك دينه المفارق الجماعة كما تقول الضارب زيدا ولا تقول الضارب لزيد وكان زيادتها لتوكيد المعنى قال الطوفى عموم قوله التارك لدينه يقتضى انه اذا تهود نصرانى أو تنصر يهودى انه يقتل لانه تارك لدينه ولقائل أن يقول ان التارك لدينه مستثنى من المسلم كالزانى والقاتل وحينئذ لا يدل على ما ذكر (رواه البخارى) فى الديات (ومسلم) فى الحدود

(الحديث الخامس عشر)

(عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله) أى ايمانا كاملا منجيا من عذابه لان المتوقف على هذه الافعال كمال الايمان لا حقيقته او هو على المبالغة فى الاستجلاب الى هذه الافعال كما يقول القائل لولده ان كنت ابنى فأطعنى ونحوه تحريضا وتهييجا له على الطاعة لا على انه بانتفاء طاعته ينتفى انه ابنه وعدل الى المضارع هنا وفيما بعده قصد الاستمرار الايمان وتجدده بتجدد أمثاله وقتا وقتا (واليوم الآخر) وهو يوم القيامة سمى به لانه لا ليل بعده ولتأخره عن الدنيا وخصه بالذكر هنا دون نحو الملائكة مما ذكر معه فى الحديث السابق لانه محل الجزاء على الاعمال حسنها وقبيحها (فليقل) اللام لام الامر ويجوز سكونها وكسرها حيث دخلت عليها الفاء أو الواو وسكونها أكثر ومنه قوله تعالى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى (خيرا) أى كلاما يثاب عليه (أو ليصمت) ضبطه النووى بفتح الياء وضم الميم وقال الطوفى قد سمعناه بكسرها وهو القياس لان قياس فعل بفتح العين ماضيا يفعل بكسرها مضارعا نحو ضرب يضرب ويفعل بضم العين فيه دخيل كما فى الخصائص لابن جنى اه والصمت مجرد السكوت عن الكلام أى يسكت عما لا خير فيه وهو شامل للصمت عن الشر وعن المكروه وعن المباح لان المباح ربما جر الى مكروه أو محرم وعلى تقدير انه لا يجر اليهما ففيه ضياع للوقت فيما لا يعنى وقدم من حسن

عن باطن ولا باطن عن ظاهر بل يعطى كل مقام حقه وكل حال وفقه (قوله فاستطعمونى) أطعمكم أى سلونى واطلبوا منى الطعام ولا يغرنك ذا الكثرة مافى يده فانه ليس بحوله وقوته بل هو المتفضل عليه به فينبغى له مع ذلك أن لا يغفل عن سؤال الله تعالى ادامة نعمته عليه لئلا تنفر عنه فلا تعود اليه كما قال (١٤٦) صلى الله عليه وسلم ما نفرت النعمة عن قوم فعادت اليهم وقوله أطعمكم أى أيسر لكم أسباب تحصيله لان العالم جماده وحيوانه مطيع لله تعالى طاعة العبد لسيده فيسخر السحاب لبعض الاماكن ويحرك قلب فلان لاعطاء فلان ويخرج فلانا لفلان بوجه من الوجوه لينال منه نفعا فتصرفاته تعالى فى هذا العالم عجيبة لمن تدبرها ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وفيه اشارة الى تأدب الفقراء وكأنه قال لهم لا تطلبوا الطعمة من غيرى فان من تطلبونها منهم انا الذى أطعمهم فاستطعمونى أطعمكم فالعاقل من توكل على ربه فاذا استغنى العبد بربه فكلما سأله أعطاه قال عروة بن الزبير رضى الله عنه انى لادعو الله تعالى فى صلاتى فى حوائجى كلها حتى ملح عجينى (حكى) عن الاصمعى انه قال بينما أنا أطوف بالكعبة واذا باعرابى جاء حتى وقف على باب الكعبة وقال يارب يارب يارب انى جائع كما ترى وناقتى جائعة كما ترى وابنتى عريانة كما ترى وزوجتى محتاجة كما ترى فما ترى فيما ترى يامن يرى ولا يرى قال فمددت يدى الى دنانير كانت معى فقلت ياسيدى خذ هذه فاستعن بها على فقرك قال فرماها وقال ان الذى سألناه أبسط منك يدا قال فما استتم كلامه الا ومناد ينادى يافلان ادرك عمك فقد مات وخلف أربعمائة ناقة وأربعمائة ثور وأربعمائة مثقال ذهب فامض اليه فخذها فانك وارثه (وحكى) عن بعضهم أنه أصابه جوع شديد فتضرع الى الله سبحانه وتعالى فسمع هاتفا يقول له تريد طعاما أو فضة فقال بل فضة واذا بصرة بين يديه فيها أربعة آلاف درهم فضة (فائدة) ينبغى للداعى أن يترقب الاوقات التى يستجاب فيها الدعاء لقوله صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله ومن جملة ذلك

اسلام المرء تركه مالا يعنيه وآثر بصمت على يسكت لانه أخص اذ هو السكوت مع القدرة وهذا هو المأمور به أما السكوت مع العجز لفساد آلة النطق فهو الخرس أو لتوقفها فهو العى والصمت قفل الفم كما قال عمر رضى الله عنه ولذا قيل

وكم فاتح أبواب شر لنفسه ✲ اذا لم يكن قفل على فيه مقفل

وقيل الصمت منام اللسان والتكلم يقظته والمرء مخبوء تحت طى لسانه لا تحت طيلسانه وفى الحديث من صمت نجا ✲ واعلم ان الانسان اما ان يتكلم أو يسكت فان تكلم فاما بخير فهو ربح أو بشر فهو خسران وان سكت فاما عن شر فربح واما عن خير فخسران فله فى كلامه وسكوته ربحان ينبغى تحصيلهما وخسرانان ينبغى التخلص منهما ✲ وذكر بعضهم ان الكلام أربعة أقسام ضرر محض ونفع محض وضرر ومنفعة ولا ضرر ولا منفعة فالضرر المحض لا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة ولا تفى المنفعة بالضرر وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فيسقط ثلاثة أرباع الكلام وفيه خطر اذا كان يجر ما فيه اثم من الرياء والتصنع ونحوهما وقال فى الحديث ألا أنبئكم بأمرين خفيفين لم يلق الله بمثلهما الصمت وحسن الخلق وقال لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب وقيل من قول سليمان ومعناه كما قال ابن المبارك لو كان الكلام فى طاعة الله من فضة كان السكوت عن معصية الله من ذهب وما أحسن قول بعضهم

اذا ما اضطررت الى كلمة ✲ فدعها وباب السكوت اقصد

فلو كان نطقك من فضة ✲ لكان سكوتك من عسجد

✲(ولابراهيم العتكى)✲

قالوا سكونك حرمان فقلت لهم ✲ ما قدر الله يأتينى بلا نصب

ولو يكون كلامى حين أنشره ✲ من اللجين لكان الصمت من ذهب

وهو صريح فى ان الكف عن المعصية أفضل من عمل الطاعة وفى ان الصمت أفضل من الكلام لكن ذهب جماعة من السلف الى تفضيل الكلام لان نفعه متعد وعليه فقول الخير خير من الصمت والصمت خير من قول الشر وتكلم قبيصة بن ذؤيب عند عمر بن الخطاب فقال يا قبيصة انك فتق اللسان فسيح الصدر فاحذر عثرات اللسان ✲ وكان يقال أدنى نفع الصمت السلامة وأدنى ضرر النطق الندامة وقال الاصمعى سمعت أعرابيا يقول دع من الكلام ما تعتذر منه وتكلم بما شئت وقال سفيان الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ النطق وسلامة من فضول القول وهيبة لصاحبه ✲ وقال بعض الحكماء دبر كلامك كما تدبر سهمك وارفق لا تكسره واعلم ان اللسان متهم يخطئ ويصيب واغتنم السكوت فان أدنى نفعه السلامة وان أشقى الناس من ابتلى بلسان مطلق وقلب مطبق فهو لا يحسن ان ينطق ولا يقدر ان يسكت وقال آخر من أطلق لسانه بكل ما يعلم كان أكثر منامه حيث لا يحب ✲ وسئل ابن المقفع أى شئ أنفع للانسان قال عقل يولد به قيل فان فاته ذلك قال أدب يقومه قيل فان فاته ذلك قال مال يستره قيل فان فاته ذلك قال صمت يلزمه قيل فان فاته

الدعاء عند الاذان والاقامة والثلث الاخير من الليل وليلة الجمعة ووقت السحر وليلتى العيدين وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب وعند نظر البيت وعند نزول المطر (قوله يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم) واسألوا الله من فضله فما وعد بالمسئلة الا ليعطى وفى هذا جميعه تنبيه على افتقار سائر الخلق اليه وعجزهم (١٤٧) عن طلب منافعهم ودفع مضارهم الا أن ييسر لهم ما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ومما نقل عن حكم عيسى عليه الصلاة والسلام ابن آدم أنت أسوأ بربك ظنا حيث كنت أكمل عقلا لانك تركت الحرص جنينا محمولا ورضيعا مكفولا ثم ادرعته عاقلا قد أصبت رشدك وبلغت أشدك (قوله يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا) أى ما عدا الشرك وما لا يشاء مغفرته قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (قوله فاستغفرونى أغفر لكم) قال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم (فائدة) فى هذا من التوبيخ ما يستحى منه كل مؤمن لانه اذا لمح انه تعالى خلق الليل ليطاع فيه سرا ويسلم منه من الرياء استحى انه ينفق أوقاته الا فى ذلك وان يصرف ذرة منها للمعصية كما انه يستحى بالجبلة والطبع أن يصرف شيأ من النهار حيث يراه الناس للمعصية ✲ ولنذكر طرفا من صحيح الاخبار الواردة عن النبى المختار فى فضل الاستغفار عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة حديث صحيح حسن أخرجه الترمذى وابن السنى واستغفاره صلى الله عليه وسلم لا عن ذنب بل طلبا لزيادة الترقى لان العبد كلما عد نفسه مقصرا رفعه الله اذ من تواضع لله رفعه وعن أبى هريرة أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الران الذى ذكر الله

ذلك قال قبر يحبسه ✲ وكان أبو بكر الصديق يجعل فى فمه حجرا ليقل كلامه وكذلك عمر بن الخطاب وروى ان رجلا سئل فى مرض موته فقيل له أوصنى فقال ان شئت جمعت لك علم العلماء وحكم الحكماء وطب الاطباء فى ثلاث كلمات أما علم العلماء فاذا سئلت عما لا تعلم فقل لا أعلم وأما حكم الحكماء فاذا كنت جليس قوم فكن أسكتهم فان أصابوا كنت من جملتهم وان أخطؤا سلمت من خطئهم وأما طب الاطباء فاذا أكلت طعاما فلا تقم الا ونفسك تشتهيه فانه لا يلم بجسدك غير مرض الموت وسئل ابراهيم ابن الحسن عن سلامة القلب فقال بالعزلة والصمت وترك استماع خوض الناس وروى عن أبى بكر بن عباس أنه قال أربعة من الملوك تكلم كل واحد منهم بكلمة كأنها رمية من قوس واحدة قال كسرى لا أندم على ما لم أقل وقد ندمت على ما قلت وقال ملك الصين ما لم أتكلم بكلمة فانا أملكها فاذا تكلمت بها ملكتنى وقال قيصر ملك الروم انا على رد ما لم أقل أقدر منى على رد ما قلت وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرته وان لم ترتفع لا تنفعه وعن لقمان الحكيم انه قال لابنه يا بنى من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم ✲ وقال أكثم بن صيفى رحمه الله

من لا يدع لسانه يرسله ✲ فبين فكيه يكون مقتله

وقال بعض الحكماء لسان المرء شفرة يمرها على أوداجه ✲ وقال الحسن البصرى من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر ماله كثر اغه ومن ساء خلقه عذب نفسه ✲ وعن ثابت البنانى رحمه الله انه قال بلغنى ان العافية فى عشرة تسعة منها فى السكوت وواحدة فى الفرار من الناس ✲ قال مالك ابن دينار وكان الابرار يتواصون بثلاث بسجن اللسان وكثرة الاستغفار والعزلة ومن وصايا بعض الكبار اياك وكثرة الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن وقال يحيى القطان انما ساد ابن عوف الناس بحفظ لسانه ✲ وقال خارجة بن مصعب صحبت ابن عوف ما يزيد على عشرين سنة فلم أعلم ان الملائكة كتبت عليه خطيئة ✲ وقال مخلد بن الحسين ما تكلمت بكلمة أريد أن اعتذر منها منذ خمسين سنة وكان وهب بن منبه يعد كلامه كل يوم ويحفظه ✲ وقال الفضيل بن عياض كان بعض أصحابنا يعد كلامه من الجمعة الى الجمعة ✲ وقيل فى الحكمة انما جعل لك لسان واحد وأذنان ليكون ما تسمع أكثر مما تقول وعن الاصمعى انه قال بلغنى ان رجلا قال لآخر والله لئن قلت لى واحدة لتسمعن عشرا قال لكنك لو قلت عشرا لم تسمع واحدة وأنشد أبو بكر بن خلف

اذا نطق السفيه فلا تجبه ✲ فخير من اجابته السكوت

سكت عن السفيه فظن انى ✲ عييت عن الجواب وما عييت

ولكنى اكتسيت بثوب حلم ✲ وجنبت السفاهة ما بقيت

وشتم رجل الاحنف بن قيس فسكت عنه فأعاد عليه وألح والاحنف ساكت فقال الرجل والهفاه ما يمنعه من جوابى الا هوانى عليه ✲ ونقل البيهقى عن ذى النون المصرى انه قال العز الذى لا ذل فيه سكوتك عن السفيه عطب السفيه بيده وفيه وفيه أنشد الاصمعى

كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون حديث حسن صحيح أخرجه الحاكم وعنه أيضا رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان عبدا أصاب ذنبا فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره فقال له ربه سبحانه وتعالى علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب
ويأخذ به غفرت لعبدى ثم مكث ماشاء الله (١٤٨) ثم أصاب ذنبا فقال يارب أذنبت آخر فاغفرلى قال علم عبدى ان له ربا
يغفر الذنب ويؤاخذ به قد غفرت
لعبدى فليعمل ماشاء حديث صحيح
أخرجه البخارى ومسلم والامام
أحمد وابن حبان ومعنى فليعمل
ماشاء أى فانه مادام يتوب
ويستغفرفانى أغفرله فعلم ان
نقض التوبة بالعود لا يمنع قبولها
ثانيا وهكذا ولو بلانهاية * وعن
عائشة رضى الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم
اجعلنى من الذين اذا أحسنو
استبشروا واذا اساؤا استغفروا
حديث حسن والاساءة لا تتصور
منه صلى الله عليه وسلم لكن هذا
على سبيل الفرض وقد يفرض
غير الواقع بل هو كثير وقصده
صلى الله عليه وسلم ارشادنا
للدعاء بذلك لنعلم ان هذا الوصف
حسن من هذا الحديث الحسن
* وعن ابن عباس رضى الله
عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من أكثر من
الاستغفار جعل الله عز وجل له
من كل هم فرجا ومن كل ضيق
مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب
والمعنى انه يرزق من جهة
لا يظن مجيء الرزق منها ويشهد
لذلك قوله تعالى فقلت استغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل
السماء عليكم مدرارا ويمددكم
بأموال وبنين ويجعل لكم
جنات ويجعل لكم أنهارا والاحاديث
فى فضل الاستغفار كثيرة وفى
هذا كفاية واياك أيها الواقف
على هذه الاحاديث أن تتخذها ذريعة للزلات وسببا لاكثار الخطيات فان ذلك مدحضة موقعة فى البليات *(وقال
واحش من الرين فهو من أعظم النكبات (قوله ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى)
وذلك لانه قد قام الاجماع والبرهان على انه تعالى منزه مقدس غنى بذاته لا يمكن ان يلحقه ضرر ولا نفع تعالى الله عن ذلك (قوله

وماشئ أحب الى لئيم * اذا شتم الكريم من الجواب
متاركة اللئيم بلا جواب * أشد على اللئيم من السباب

ومن ثم قال الاعمش جواب الاحمق السكوت والتغافل يطفئ شر الشرير ورضا المتجنى غاية لا تدرك والاستعطاف عون للظفر وقيل أوحى الله الى عيسى عليه السلام اذا كنت وحدك فاحفظ قلبك واذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك واذا كنت على المائدة فاحفظ بطنك واذا كنت على الطريق فاحفظ عينك فهذه تورث السلامة والصحة وقال الغزالى لا تبسطن لسانك فيفسدن عليك شانك * وعن على بن أبى طالب فى وصية لابنه الحسين رضى الله عنهما يابنى أمسك عليك لسانك فان اتلاف المرء فى منطقه * وعن بعضهم عفة اللسان صمته فان اللسان سبع ضار فان لم توثقه عدا عليك وأنشد بعضهم

اغتنم ركعتين فى ظلمة الليـ * ـل اذا كنت فارغا تستريحا
واذا هممت فى الخوض بالبا * طل فاجعل مكانه تسبيحا
واغتنام السكوت أفضل من خو * ض وان كنت بالحديث فصيحا

واستثنى العلماء من الصمت أربعة أنواع العلم وجميع القربات والكلام مع الضيف والعروس والمسافر واما ماندعو الحاجة اليه من قوله قم وكل ونحو ذلك فانه خارج عن هذا * وقال سهل ابن عبد الله التسترى ان بالصمت والعزلة وقلة الطعام صار الابدال أبدالا ومعنى الابدال انهم ابدلوا من الاقوال والاخلاق الذميمة أفعالا حميدة كالجهل بالعلم والشح بالجود والشره بالعفة والطيش بالتؤدة * وعن ذى النون المصرى أحسن الناس انفسه أملكهم للسانه * وعنه أيضا أنه قال بينا انا أسير فى نواحى الشام اذ وقفت الى روضة خضراء وفى وسطها شاب قائم يصلى تحت شجرة تفاح فتقدمت اليه وسلمت عليه فلم يرد على السلام فسلمت عليه ثانيا فأوجز فى صلاته ثم كتب فى الارض بأصبعه

منع اللسان من الكلام لانه * هدف البلاء وجالب الآفات
فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا * لا تنسه واحمده فى الحالات

قال ذو النون فبكيت طويلا وكتبت باصبعى فى الارض

ومامن كاتب الاسيبلى * ويفنى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شئ * يسرك فى القيامة أن تراه

قال فصاح الشاب صيحة فارق الدنيا فيها فقمت لآخذ فى غسله وكفنه واذا بقائل يقول خل عنه فان الله عز وجل وعد أن لا يتولى أمره الا الملائكة قال ذو النون فملت الى شجرة فركعت عندها ركعتين ثم أتيت الموضع الذى مات فيه فلم أجد له أثرا ولا عرفت له خبرا * وقال الفضيل ابن عياض من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه * وعن ذى النون اصون الناس لنفسه أملكهم للسانه وفى صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وأنشد بعضهم

وسمعك صن من سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيأ) فيه اشارة الى أن
ملكه تعالى فى غاية الكمال لا يزيد بطاعة جميع الخلق ولا ينقص بمعصيتهم لانه تعالى الغنى المطلق فى ذاته وأفعاله وصفاته فملكه كامل
لا نقص فيه بوجه بل لا يتصور أكمل منه كما أشار اليه حجة الاسلام الغزالى بقوله (١٤٩) ليس فى الامكان أبدع مما كان أى
أتم مما جرى فى الكون فهو على
أتم نظام (قوله ياعبادى لو أن
أولكم وآخركم وانسكم وجنكم
قاموا فى صعيد واحد) أى أرض
واحدة ومقام واحد (فسألونى
فأعطيت كل واحد مسئلته مانقص
ذلك مما عندى الا كما ينقص
المخيط) بكسر الميم وسكون الخاء
وفتح الياء الابرة (اذا دخل البحر)
أى وهو فى رأى العين لا ينقص
من البحر شيأ فكذلك الاعطاء
من الخزائن لا ينقصها شيأ البتة
اذ لا نهاية لها والنقص مما لا
يتناهى محال بخلافه مما يتناهى
كالبحر وان جل وعظم فكان أكبر
المرئيات فى الارض بل قد يوجد
العطاء الكثير من المتناهى ولا
ينقص كالنار والعلم يقتبس
منهما ماشاء الله ولا ينقص منهما
شئ فعلم ان قوله هنا الا كما ينقص
المخيط اذا دخل البحر وقول
الخضر لموسى عليه السلام
مانقص علمى وعلمك وعلم الخلائق
من علم الله الا كما ينقص هذا
العصفور من هذا البحر ليس
المراد بهما حقيقتهما وانما كل
منهما مثل تقريبى للافهام ليعلم
منه انه لا نقص فى تلك الخزائن
ولا فى علم الله البتة لما قررناه
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
يمين الله أى اعطاؤه وافاضته على
عباده من تلك الخزائن كالليل
والنهار أى وانه لا ينقص منهما
شئ أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض لم ينقص مما فى يمينه شيأ مما فى خزائن قدرته لان عطاءه بين الكاف والنون انما أمرنا
لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون وحكمة ضرب المثل هنا بالابرة أنها أصغر ما يعاين مع كونها صقيلة لا يتعلق بها الا ما لا يمكن
ادراكه وفى الحديث تنبيه على ادامة السؤال فلا يختصر سائل ولا يقتصر طالب (قوله ياعبادى انما هى أعمالكم أحصيها) أى

(وقال ابن المبارك)

احفظ لسانك ان اللسان * سريع الى المرء فى قتله
وان اللسان دليل الفؤاد * يدل الرجال على عقله

(وقال بعضهم)

احفظ لسانك واستعذ من شره * ان اللسان هو العدو الذائع
وزن الكلام اذا نطقت بمجلس * وزنا يلوح به الصواب اللائح
فالصمت من سعد السعود بمطلع * يحمى الفتى والنطق سبع ذابح

واختلف العلماء هل يكتب كل ما يتكلم به المرء حتى المباح وهو ظاهر قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد أولا يكتب الا ما فيه ثواب أو عقاب واليه ذهب ابن عباس وغيره وعليه فتكون الآية مخصوصة أو ما يلفظ من قول يترتب عليه جزاء وعلى أنه يكتب المباح فالذى يكتبه كاتب السيئات (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) ولفظ رواية مسلم فليحسن الى جاره بالبشر وطلاقة الوجه وكف الاذى وبذل الندى وتحمل الجفا وغير ذلك لخبر الجار أمين على جاره فعليه أن يبذل جهده عليه ويكف أذاه عنه اذا رأى عورة سترها وان رأى سيئة غفرها وان رأى حسنة أفشاها ولخبر من أراد أن يحبه الله فعليه بصدق الحديث واداء الامانة وأن لا يؤذى جاره وقال بعضهم حسن الجوار فى أربعة أشياء أن يواسيه بما عنده وان لا يطمع فيما لجاره وأن يمنع أذاه عنه وأن يصبر على أذيته وقال الحسن ليس حسن الجوار كف الاذى ولكن حسن الجوار احتمال الاذى ومن اكرامه أن لا يمنعه من غرز خشبة فى جداره لخبر الموطأ والصحيحين لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة فى جداره يقول أبو هريرة مالى أراكم عنها معرضين والله لارمين بها بين أكتافكم بالتاء وروى بالنون يونس بن عبد الاعلى عن أبى وهب سمعته من جماعة خشبة بلفظ الواحد الباجى قال عبد المغنى كل الناس يقولون خشبة على الجمع غير الطحاوى قال على التوحيد وعن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ومازال يوصينى بالنساء حتى ظننت انه سيحرم طلاقهن ومازال يوصينى بالمماليك حتى ظننت أنه سيجعل لهم مدة اذا انتهوا اليها عتقوا ومازال يوصينى بالسواك حتى حسبت أن يحفى فمى وروى كاد ومازال يوصينى بقيام الليل حتى ظننت أن خيار أمتى لا ينامون ليلا وقد كان لمالك بن دينار جار يهودى فحول اليهودى مستحمه الى جدار البيت الذى فيه مالك وكان الجدار منهدما فكانت تدخل منه النجاسة وكان مالك ينظف البيت فى كل يوم ولم يقل شيأ واقام على ذلك مدة وهو صابر على الاذى فضاق صدر اليهودى من كثرة صبره على هذه المشقة فقال له يامالك آذيتك وأنت صابر ولم تخبرنى فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه فندم اليهودى وأسلم وحسن اسلامه وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كم من جار يتعلق بجاره يوم القيامة يقول يارب هذا اغلق بابه دونى

أضبطها لكم بعلمى وملائكتى الحفظة واحتج لهم معه لا لنقصه عن الاحصاء بل ليكونوا شهداء بين الخلق والخالق وقد تضم اليهم شهادة الاعضا زيادة فى العدل كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والحصر هنا بالنسبة لجزاء الاعمال (قوله فمن وجد خيرا) أى ثوابا ونعيما (فليحمد الله على توفيقه) لما ترتب عليه (١٥٠) ذلك الجزاء والثواب أخرج الترمذى ما من ميت يموت الا ندم فان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم أن لا يكون استعتب ولا يجب على الله شئ لاحد من خلقه (قوله ومن وجد غير ذلك) أى شرا ولم يذكره بلفظه تعليما لنا كيفية الادب فى النطق بالكناية عما يؤذى أو يستقبح أو يستحى من ذكره واشارة الى انه اذا اجتنب لفظه فكيف الوقوع فيه والى انه تعالى حى كريم يحب الستر ويغفر الذنب ولا يعاجل بالعقوبة ولا يهتك الستر (قوله فلا يلومن الا نفسه) أى فانها آثرت شهواتها ومستلذاتها على رضا خالقها ورازقها فكفرت بنعمه ولم تذعن لاحكامه وحكمه فاستحقت أن يعاملها بظهور عدله وان يحرمها مزايا جوده وفضله (خاتمة المجلس) ورد هذا الحديث بزيادة على ماهنا وهو ما أخرجه الترمذى عن أبى ذر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاسألونى الهدى أهدكم وكلكم فقير الا من أغنيته فاسألونى أرزقكم وكلكم مذنب الا من عافيته فمن علم منكم انى ذو قدرة على المغفرة فاستغفرنى غفرت له ولا أبالى ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على اتقى قلب عبد من عبادى ما زاد ذلك فى ملكى جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادى ما نقص ذلك من ملكى جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فى صعيد واحد فسأل كل واحد منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كل سائل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيأ الا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه

فنعنى معروفه وعن أبى شريح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا لقد خاب وخسر من هو يا رسول الله قال من لا يأمن جاره بوائقه أى غوائله وشروره وفى البيهقى عنه صلى الله عليه وسلم من أحب أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث وليؤد الامانة ولا يؤذ جاره وروى أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال النبى صلى الله عليه وسلم كف أذاك عنه واصبر على أذاه فكفى بالموت مفرقا وروى عن سفيان الثورى انه قال عشرة أشياء من الجفاء أولها رجل أو امرأة يدعو لنفسه ولا يدعو لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات والثانى رجل يتعلم القرآن ولا يقرأ منه فى كل يوم مائة آية والثالث رجل دخل المسجد وخرج ولم يصل ركعتين والرابع شخص يمر على المقابر ولم يسلم على أهلها ولم يدع لهم والخامس رجل دخل المدينة فى يوم جمعة ثم خرج ولم يصل الجمعة والسادس رجل أو امرأة نزل فى محلتهم رجل عالم ولم يذهب ليتعلم منه شيأ من العلم والسابع رجلان ترافقا ولم يسأل كل واحد منهما عن اسم صاحبه والثامن رجل دعاه رجل الى ضيافة فأجابه ثم لم يذهب الى الضيافة والتاسع شاب يضيع شبابه ولم يطلب العلم والادب والعاشر رجل شبعان وجاره جائع ولا يعطيه من طعامه شيأ وكان من دعاء داود عليه السلام اللهم انى أسألك أربعة وأعوذ بك من أربعة فأما اللواتى اسألك فانى اسألك لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وبدنا صابرا وزوجة تعيننى فى دنياى وآخرتى وأما اللواتى أعوذ بك منهن فانى أعوذ بك من ولد يكون على سيدا ومن امرأة تشيبنى قبل وقت المشيب ومن مال يكون عذابا لى ووبالا على ومن جار ان رأى منى حسنة كتمها وان رأى سيئة افشاها وكانت الجاهلية تشدد أمر الجار ومراعاته وحفظ حقه وهو راجع الى قوله تعالى والجار ذى القربى والجار الجنب قال ابن عباس وغيره الجار القريب النسيب والجنب الذى لا قرابة بينك وبينه وقيل القربى المسلم والجنب الذمى وقيل القربى القريب المسكن منك والجنب بعيده وروى البزار عن جابر مرفوعا الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو أدنى الجيران وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران فأما الذى له حق واحد فجار مشرك له حق الجوار وأما الذى له حقان فجار مسلم له حق الاسلام وحق الجوار وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الاسلام وحق الجوار وحق الرحم ثم الجار يقع على الساكن مع غيره لقول الاعشى لزوجته * اجارتنا بينى فانك طالقه * وعلى الملاصق وعلى أربعين دارا من كل جانب ففى البخارى فى الادب المفرد من قول الحسن البصرى وقد سئل عن الجار فقال أربعون دارا أمامه وأربعون دارا خلفه وأربعون عن يمينه وأربعون عن يساره ومثله للاوزاعى انتهى ويطلق الجار على من بالبلد مع غيره قال تعالى ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا وهنا تنبيه وهو أنه اذا أمر باكرام الجار مع الحائل بين الانسان وبينه فينبغى له أن يراعى حق الحافظين اللذين ليس بينه وبينهما جدار ولا حائل فلا يؤذيهما بايقاع المخالفات فى مرور الساعات فقد ورد أنهما يسران بوقوع الحسنات ويحزنان بوقوع السيئات فينبغى اكرامهما ورعاية جانبهما بالاكثار من عمل الطاعات والمواظبة على تجنب المعاصى فهم أولى بالاكرام من كثير من الجيران (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)

الغنى

ابرة ثم رفعها اليه وذلك لانى جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائى كلام وعذابى كلام انما أمرى لشئ اذا أردته أن أقول له كن فيكون والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده *(المجلس الخامس والعشرون فى الحديث الخامس والعشرين)* الحمد لله ولا يحمد سوى الله ولا اله الا الله وسبحان الله ولا ينبغى التسبيح الا لله (١٥١) ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأستغفر الله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه السادة الثقاة آمين *(عن أبى ذر رضى الله عنه قال ان ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ان لكم بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة وفى بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر فكذا اذا وضعها فى الحلال كان له أجر رواه مسلم)* اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم مشتمل على قواعد الدين (قوله ذهب أهل الدثور) أى المال الكثير (بالاجور) الكثيرة وذلك لانهم (يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم) أى بأموالهم الفاضلة عن كفايتهم قيدوا بذلك بيانا لافضل الصدقة فانها بغير الفاضل عن الكفاية مكروهة أو محرمة وهذا ليس حسدا بل غبطة طلبا للمنافسة فيما يتنافس به المتنافسون لشدة حرصهم على الاعمال الصالحة ولما فهم منهم النبى صلى الله عليه وسلم ذلك (قال) لهم جوابا وتطمينا لخاطرهم (أوليس) أى أتقولون ذلك أى لا تقولوه فانه (قد جعل الله) تعالى (لكم ما تصدقون) أى تتصدقون (به ان لكم بكل تسبيحة) أى قول سبحان الله (صدقة وكل تكبيرة) أى قول الله أكبر (صدقة وكل تهليلة) أى قول لا اله الا الله

الغنى والفقير بالبشر فى وجهه وبسط شئ تحته واجلاسه فى صدر المجلس وطيب الحديث معه والمبادرة الى احضار ما تيسر عنده من الطعام من غير كلفة ولا اضرار بأهله وفى كتاب المنتخب من الفردوس عن أبى الدرداء مرفوعا اذا أكل أحدكم مع الضيف فليلقمه بيده فاذا فعل ذلك كتب له به عمل سنة صيام نهارها وقيام ليلها وفى حديث قيس بن سعد من اكرام الضيف أنه يضع له ماء يغسل به حين يدخل المنزل ومن اكرامه أن يركبه اذا انقلب الى منزله ان كان بعيدا والضيف يطلق على الواحد والاثنين والجمع لانه مصدر قال الله تعالى ان هؤلاء ضيفى ولابن الجوزى

مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا * ومات من بعدهم تلك الكرامات
وخلفونى فى قوم ذوى بخل * لو أبصروا طيف ضيف فى الكرى ماتوا

وروى أن ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام كان يكنى أبا الضيفان وكان يمشى الميل والميلين فى طلب الضيف وكان لقصره أربعة أبواب واتفق له قضيتان متعارضتان شكر فى واحدة وأدب فى أخرى أما الاولى فهى أنه عليه السلام نزل به رجل من عبدة الاوثان فأكرمه فضجت الملائكة فى السموات وقالوا يا ربنا خليلك يكرم عدوك فقال لهم أنا أعلم بخليلى منكم ثم أمر جبريل فنزل وعرض عليه قول الملائكة فبكى وقال يا جبريل تعلمت من مولاى لانى رأيته يحسن الى من يسئ وأما الاخرى فانه نزل به رجل من عبدة الاوثان فاستضافه فأبى عليه الا أن يترك دينه فانصرف فأمر الله جبريل أن ينزل اليه فنزل اليه وقال له يقول لك ربك استضافك عبدى فأبيت الا ان يترك دينه وأنا أرزقه ثمانين سنة على شركه فبكى ابراهيم وقام يقفو أثر الوثنى الى أن لحق به فعرض عليه الرجوع فأبى أو يخبره بسبب ذلك فقال له ابراهيم ان الله عاتبنى فيك وأخبره فبكى الوثنى وقال يا ابراهيم أسلمت لله رب العالمين ثم ان الامر بالاكرام انما هو منوط بثلاثة أيام كما جاء مصرحا به فى عدة أخبار وظاهرها وجوب الضيافة وبه قال أحمد وحملها الجمهور على أنه كان فى صدر الاسلام ثم نسخ فانها كانت واجبة حين كانت المواساة واجبة فلما ارتفع وجوب المواساة ارتفع وجوب الضيافة أو على أهل الذمة المشروط عليهم ضيافة المارة الا أنها تسقط عليهم بالظلم أو فى المضطرين أو مخصوص بالعمال المبعوثين لقبض الزكاة ثم ان الامر الندبى انما هو لمن عنده فاضل عن قوته وقوت عياله أما غيره فلا ضيافة عليه بل ليس له ذلك وأما خبر الانصارى الذى قد سلف فى الحديث المتقدم فقد سبق الجواب عنه (رواه البخارى) فى الادب (ومسلم) فى باب الحث على اكرام الجار والضيف من كتاب الايمان

(الحديث السادس عشر)

(عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا) ابهمه وقد جزم القسطلانى فى شرح البخارى بأن اسمه جارية بالجيم ابن قدامة كما عند أحمد وابن حبان اه ونازع فيه يحيى القطان والعجلى وغيرهما بأنهم يقولون ان جارية تابعى لا صحابى وفى حديث الطبرانى أنه سفيان بن عبد الله الثقفى قال قلت يا رسول الله قل لى قولا أنتفع به وأقلل قال لا تغضب وفى حديث له آخر انه أبو الدرداء قال قلت يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال لا تغضب ولك الجنة

(صدقة وأمر بالمعروف) عرفه اشارة الى تقرره وثبوته وانه مألوف معهود (صدقة ونهى عن منكر) نكره اشارة الى انه فى حيز المعدوم أو المجهول الذى لا الفة للنفس فيه (صدقة) بشروط منها أن يكون مجمعا على وجوبه أو تحريمه و يعلم من الفاعل اعتقاد ذلك حال ارتكابه وان يقدر على ازالته اما بيده أو بلسانه بأن لم يخش ترتب مفسدة عليه قال علماؤنا ولا يشترط أن يكون ممتثلا ما أمر به مجتنبا ما ينهى عنه بل عليه أن يأمر و ينهى نفسه فان اختل أحدهما لم يسقط الآخر ولا يشترط فى الآمر بالمعروف العدالة بل قال الامام وعلى متعاطى الكاس أن ينكر على الجلاس وقال الغزالى يجب على من غصب امرأة للزنا أمرها بستر وجهها عنه وفى هذا الحديث فضل هذه الاذكار والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد ورد فى فضل التسبيح ما رواه مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أخبركم بأحب الكلام الى الله ان أحب الكلام الى الله سبحان الله وبحمده وفى رواية الترمذى سبحان ربى وبحمده وفى رواية لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى الكلام أفضل قال ما اصطفى الله لملائكته ولعباده سبحان الله وبحمده وهذا محمول على كلام الآدميين والا فالقرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق وأما المأثور فى وقت أو حال فالاشتغال به أفضل وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر قال الطيبى يوم مطلق لم يعلم فى أى وقت من أوقاته وقال غيره ظاهر الاطلاق يشعر بأنه يحصل هذا الاجر المذكور لمن قال ذلك مائة مرة سواء قالها متوالية أو متفرقة فى مجالس أو بعضها أول النهار أو آخره وقوله غفرت ذنوبه أى الصغائر من حقوق الله خاصة لان حقوق الناس لا تغفر الا باسترضاء الناس الخصوم وروى البزار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله

وفى حديث أبى يعلى أن ابن عمر قال قلت يا رسول الله قل لى قولا وأقلل لعلى أعقله وفى حديث أحمد عن ابن عمر دلنى على ما يباعدنى من غضب الله زاد أبو كريب عن ابن عباس عن الترمذى ولا تكثر على لعلى أعيه والظاهر كما قال الولى العراقى ان السائل عن ذلك تعدد (قال للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى قال لا تغضب) يحتمل أن المراد لا تفعل الاسباب المقتضية للغضب وافعل الاسباب التى تنفيه كالحلم والسخاء والحياء و يحتمل أن المراد لا تعمل بمقتضى الغضب اذا حصل بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه وليس النهى راجعا الى نفس الغضب لانه مطبوع فى الانسان (فردد) أى كرر السائل السؤال (مرارا) وقع فى رواية عثمان بن أبى شيبة قال لا تغضب ثلاث مرات فافصح فيها ببيان عدد المرار وكأنه لم يقنع بقوله لا تغضب فطلب وصية أبلغ منها وأنفع فلم يزده صلى الله عليه وسلم عليها واعادها له حيث (قال) له ثانيا وثالثا (لا تغضب) تنبيها له بتكرارها على عموم نفعها لما فيها من جلب المصالح ودرء المفاسد فهو كما قال له العباس علمنى دعاء أدعو به يا رسول الله فقال سل الله العافية فعاوده مرارا فقال له يا عباس يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم سل الله العافية فى الدنيا والآخرة فانك اذا أعطيت العافية فى الدنيا والآخرة أعطيت كل خير وكذلك لما قال لاصحابه اجتمعوا فانى أتلو عليكم ثلث القرآن فاجتمعوا فقرأ عليهم سورة الاخلاص ثم دخل منزله فأقاموا ينتظرونه ليكمل لهم ثلث القرآن فخرج عليهم فقال ما تنتظرون أما انها تعدل ثلث القرآن يعنى سورة الاخلاص قيل يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم من هذا الرجل كثرة الغضب فخصه بهذه الوصية لانه عليه الصلاة والسلام كان يأمر كل أحد بما هو أولى به وروى أنس أن رجلا قال يا رسول الله فما أشد من كل شئ قال غضب الله قال فما ينجى من غضب الله قال لا تغضب والغضب فوران دم القلب وغليانه وقيل تغير يتبعه غليان دم القلب لارادة الانتقام والغيظ أصل الغضب وكثيرا ما يتلازمان وقيل بالفرق بينهما وهو أن الغيظ لا يظهر على الجوارح بخلاف الغضب فانه يظهر على الجوارح مع فعل ما ولا بد وقد خلق الله الغضب من النار وعجنه بطينة الانسان فمهما نوزع فى غرض من أغراضه اشتعلت نار الغضب فيه وفارت فورانا يغلى منه دم القلب و ينتشر فى العروق و يرتفع الى أعلى البدن ارتفاع الماء فى القدر ثم ينصب فى الوجه والعينين حتى يحمرا منه اذ البشرة لصفائها كالزجاجة تحكى ما وراءها من لون الدم هذا اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان كان على من فوقه وأيس من الانتقام منه انقبض الدم الى جوف القلب وكمن فيه وصار حزنا فاصفر اللون فان كان على من يساويه لذى يشك فى القدرة عليه تردد الدم بين انبساط وانقباض فيحمر لونه تارة و يصفر أخرى والغضب يتحرك من داخل الجسد الى خارجه والحزن يتحرك من خارجه الى داخله ولذلك يقتل الحزن ولا يقتل الغضب لبروز الغضب وكمون الحزن فصار الحادث عن الغضب السطوة والانتقام والحادث عن الحزن المرض والاسقام و يترتب على الغضب تغير الظاهر والباطن والرعدة فى الاطراف وخروج الافعال من غير ترتيب وقبح الصورة حتى لو رآى الغضبان نفسه لسكن غضبه حياء من قبح صورته وعن ابن عباس فى قوله عز وجل فاصفح الصفح الجميل قال الرضى بغير عتاب وقد روى عنه صلى

صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة وعن شريح العابد قال بلغنى انه لو قسم ثواب تسبيحة على جميع هذا الخلق لاصاب كل واحد منهم خير وفضل التكبير أيضا كثير وسيأتى بعضه وأما ما ورد فى فضل لا اله الا الله فشئ كثير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال عبد لا اله الا الله خالصا مخلصا من قلبه الا صعدت لا يردها حجاب فاذا وصلت الى الله تعالى نظر الله الى قائلها ولا ينظر الله تعالى الى موحد الا رحمه وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال العبد لا اله الا الله ساعة من ليل أو نهار طاش ما فى صحيفته من الذنوب والخطايا حتى تسكن لا اله الا الله الى مثلها من الحسنات وقال صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة لا اله الا الله وقد ذكرت فى فضلها شيأ كثيرا فى كتابى تحفة الاخوان وأما ما ورد فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فاخبار كثيرة أيضا عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم رواه الترمذى وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يدفع رزقا ولا يقرب أجلا وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء رواه الاصبهانى وعن أبى ذر رضى الله عنه قال أوصانى خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير أوصانى أن لا أخاف فى الله لومة لائم وأوصانى أن أقول الحق ولو كان مرا رواه ابن حبان وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه

الله عليه وسلم أنه قال أشدكم من غلب على نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة وفى البخارى أن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى قوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن هو الصبر عند الغضب والعفو عند الاساءة وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من دفع غيظه دفع الله عنه عذابه ومن حفظ لسانه ستر الله عورته وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان أجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذى اجره على الله فيقوم العافون عن الناس يدخلون الجنة بغير حساب وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب والصرعة بضم الصاد وفتح الراء المهملتين الذى يكثر صرع الناس وقال عمر رضى الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله تعالى لم يفعل ما يريد وقال لقمان لابنه يا بنى لا تذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال أبو حاتم حلم ساعة يدفع شرا كثيرا وقد ورد أن أوس ابن الصامت ظاهر من زوجته خولة بنت ثعلبة فى حال غضبه واجتمع سفيان الثورى وأبو خيثمة اليربوعى والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فاجمعوا على ان أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال ابن المبارك كنت عند المنصور جالسا فأمر بقتل رجل فقلت يا أمير المؤمنين اذا كان يوم القيامة نادى مناد بين يدى الله تعالى من كانت له عند الله يد فليتقدم فلا يتقدم اليه الا من عفا عن ذنب فأمر باطلاقه وقال الاصمعى سمعت اعرابيا يقول لا يوجد العجول محمودا ولا الغضوب مسرورا وعن أبى الحسن المدائنى انه قال لقى رجل حليما فضرب به على قدمه ضربة موجعة فلم ير للغضب فيه أثر فقيل له فى ذلك فقال أقمت ضربته مقام حجر اعثر به وعن سهل بن عبد الله لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يكون لعباد الله كالارض أذاهم عليها ومنافعهم منها وعن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بصحفة فيها مرق حار وعنده أضياف فعثرت فصبت المرق على رأسه فأراد ميمون أن يضربها فقالت له الجارية يا مولاى اعمل بقول الله تعالى والكاظمين الغيظ قال لها قد فعلت فقالت اعمل بما بعده والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت الجارية والله يحب المحسنين قال ميمون قد احسنت اليك فأنت حرة لوجه الله تعالى ولك ألف درهم وعن عبد الرزاق قال صبت جارية لعلى بن الحسين الماء ليتهيأ للصلاة فسقط الابريق من يد الجارية على وجهه فشجه فرفع على ابن الحسين رأسه اليها فقالت الجارية ان الله عز وجل يقول والكاظمين الغيظ فقال لها قد كظمت غيظى قالت والعافين عن الناس قال لها قد عفا الله عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى وحكى عن بعض الملوك أنه كتب فى ورقة ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء ويل لحاكم الارض من حاكم السماء اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب ثم دفعها الى وزيره وقال اذا غضبت فادفعها الى فكان كلما غضب دفعها اليه فينظر فيها فيسكن غضبه وحكى عن بعض الصلحاء أنه رأى رجلا جالسا ذا قوة شديدة محمرا وجهه مزبدا اشداقه معربدا فقال الصالح ما لهذا فقيل انه شتمه شخص فقال

عن المنكر رواه الامام أحمد وقال صلى الله عليه وسلم تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة رواه الترمذي وغيره وسيأتي ماذكر مع زيادة في مجالسه (قوله في الحديث وفي بضع) بضم فسكون أي فرج أو جماع (أحدكم صدقة) اذا قارنته نية صالحة كاعفاف نفسه أو زوجته عن نحو نظر أو فكر أو هم بمحرم أو قضاء حقها من معاشرتها بالمعروف المأمور به أو طلب ولد يوحد الله أو يستكثر به المسلمين أو يكون له فرطا اذا مات لصبره على مصيبته فعلم ان المباح يصير طاعة بالنية الصالحة وليعلم ان شهوة النكاح شهوة محبوبة أحبها الانبياء لانها ترقق القلب بخلاف تعاطي سائر الشهوات فانها تقسي القلب والنكاح من مرغوبات الآخرة ولما كان الانسان قليلا بنفسه كثيرا بأخيه وكان يستوحش في خلواته في المكان الذي هو فيه وكان منهيا أن ينام في البيت وحده لحديث وردفيه ومنهيا أيضا ان يسافر وحده لحديث في البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده وكان في النكاح دفع هذه المفاسد مع ما فيه من تحصين الفرج وغض البصر عن المحرمات وتحصيل القربات واكتساب الاصدقاء والاصهار والاختان والاحماء وتكثير العشائر واقامة الشعائر ندب الله تعالى اليه في كتابه العزيز وقال النبي صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء أي قاطع للشهوات عن المحرمات وجنة أي وقاية من عذاب جهنم وقال في حق من أعرض عنه واختار لنفسه التزكية والانقطاع من رغب عن سنتي فليس مني فالراغب عن النكاح رسول الشرعي ربما دعته نفسه الى الوقوع في الزنا وقد نهى الله تعالى عن الوقوع في الزنا قال تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله أي وليطلب العفة عن الزنا والحرام من لا يجد ما ينكح به من صداق ونفقة وقال تعالى قل للمؤمنين

الصالح واعجبا هذا الشخص يقدر أن يحمل أحمالا ثقيلة ولا يطيق أن يحمل كلمة وكان الشعبي مولعا بهذا البيت

ليست الاحلام في حين الرضا * انما الاحلام في حين الغضب

وكان معاوية رضي الله عنه من أحلم العرب ومن ثم كان يقول ماغضبي على من أقدر عليه ومن لا أقدر عليه أي ان الغضب تعب محض لا فائدة فيه لان المؤذي لي ان قدرت عليه عاقبته ان شئت بلا غضب والا كان مجرد الغضب محض تعب لانه وحده لا يشفي فلا فائدة فيه على كل تقدير والمراد ما تعاطيت أسبابه ولا دفعته لانه جبلي وحكي عن موسى صلوات الله وسلامه عليه أنه لما قيل له خذها ولا تخف لف كمه على يده وتناولها فقيل له لو أذن الله عز وجل فيما تحذر هل كان ينفعك ذلك فقال لا ولكني عبد ضعيف ومن ضعف خاف وكان معروف الكرخي يقول ما تكلمت في غضبي بما أندم عليه اذا رضيت وهذا كله في الغضب الدنيوي لا الديني ولهذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم اذا انتهكت حرمات الله لا يقوم لغضبه شئ حتى ينتصر للحق وكان بين عينيه عرق يدره أي يظهره الغضب وقد كان موسى عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتغلب في كل شئ شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون العجل بعد ما رأوا من الآيات العظام فأخذ برأس أخيه ولحيته يجره اليه ويحكى أن الخضر لما خرق السفينة غضب موسى وأخذ بحل الخضر ليلقيه في البحر حتى ذكره يوشع عهده مع الخضر فخلاه ومن ثم ضرب الحجر الذي فر بثوبه حياء من أن يرى عريانا لانه كان كثير الحياء ستيرا فآذاه جماعة من بني اسرائيل وقالوا ما يستتر هذا التستر الا لعيب في جسده اما برص أو أدرة وهي كبر الانثيين فانطلق ذات يوم يغتسل في عين جبار من الشام وجعل ثيابه على صخرة ففر الحجر بثوبه فتبعه موسى يقول ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وكانت بنو اسرائيل تغتسل عراة يرى بعضهم سوأة بعض وقام على الحجر فطفق به ضربا بعصاه فوالله ان الحجر لندبي من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا الا ان الله خلق فيه حياة فصار كدابة نفرت من راكبها ويحتمل ان غضبه على الحجر من باب غلبة الطباع كما غلب عليه الطبع البشري حتى لف كمه على يده حين أخذ العصا وحجر منادى مفرد محذوف منه ياء النداء وثوبي منصوب بفعل مضمر التقدير أعطني ثوبي أو اترك ثوبي فحذف الفعل لدلالة الحال عليه فان قيل كيف نادى موسى عليه السلام الحجر نداء من يعقل أجيب لانه صدر عنه فعل من يعقل وأما ما ورد من أنه لما جاءه ملك الموت وقال له أجب ربك لطمه ففقأ عينه فلانه دخل عليه في صورة لا يعرفها وقيل المراد بفقء العين هنا المجاز يعني أنه ناظره وحاجه فغلبه موسى بالحجة وضعف قوله فرد الله عليه عينه لانه وقع في الرواية أن الملك رجع الى الله وقال انك أرسلتني الى عبد لك لا يريد الموت وفقأ عيني فرد الله عليه عينه ثم قال ارجع الى عبدي فقل له الحياة تريد فان كنت تريدها فضع يدك على متن أي ظهر ثور فما وارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة فرجع وأخبره فقال ثم ماذا قال الموت قال فالآن من قريب قال رب ادنني من الارض المقدسة رمية حجر قال

يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم وقال تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة الآية وعن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللواتي في الدنيا فانه يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللواتي في الآخرة فانه يورث سخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان سربال سربله الله تعالى من شاء فان زنا العبد نزع منه سربال الايمان فان تاب رده الله عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لعبيده تزوجوا فان العبد اذا زنا نزع منه نور الايمان فان تاب رده الله عليه بعد أو أمسكه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياشباب قريش احفظوا فروجكم لا تزنوا ألا من حفظ لي فرجه دخل الجنة وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من حفظ لي ما بين لحييه وما بين رجليه دخل الجنة وفي حديث من توكل لي ما بين لحييه وما بين رجليه توكلت له بالجنة وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت النساء وعن مالك ابن دينار قال مكتوب في التوراة مثل امرأة لا تحصن فرجها مثل خنزيرة على رأسها تاج وفي عنقها طوق من ذهب فيقول القائل ما أحسن هذا الحلي وأقبح هذه الدابة (نكتة) قال ابن العماد في منظومته رضي الله عنه

شراركم عزابكم جاء الخبر * أراذل الأموات عزاب البشر

قال بعض الشراح انما كان من لا يتزوج أو يتسرى مع القدرة عليه من شرار الأمة في الأحياء وأراذلها في الأموات لمخالفته ما أمر الله به ورسوله وحث عليه وسمي من شرار الخلق لعدم غض بصره وتحصين فرجه ولعدم ستر شطر دينه للأخبار الواردة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم

رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أني عنده لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر قال وهب خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيأ قط أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم ياملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر قالوا العبد كريم على ربه فقال ان لهذا العبد عند الله لمنزلة ما رأيت كاليوم مضجعا فقالت الملائكة ياصفي الله أتحب أن يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه ففعل وتوجه الى ربه ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت عليه الملائكة وقيل ان ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه وكان عمره مائة وعشرين سنة * بعث هارون الرشيد ليلا الربيع الى الشافعي ليهجم عليه من غير اذن وقال له أجب فقال الشافعي في مثل هذا الوقت وبغير اذن فقال بذلك أمرت فخرجت معه فلما صرت بباب الدار قال لي اجلس ودخل فقال له الرشيد ما فعل محمد بن ادريس قال أحضرته قال أدخله فأدخلني فتأملني ثم قال يامحمد أرعبناك فانصرف راشدا يا ربيع احمل معه بدرة دراهم فلما خرجت قلت للشافعي بالذي سخر لك هذا الرجل ما الذي قلت فاني أحضرتك وأنا أرى موضع السيف من قفاك فقلت سمعت مالك بن أنس يقول سمعت نافعا يقول سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء يوم الاحزاب فكفي وهو اللهم اني أعوذ بك بنور قدسك وبركة طهارتك وعظيم جلالك من كل طارق الا طارقا يطرق بخير اللهم أنت غياثي فبك أغوث وأنت عياذي فبك أعوذ وأنت ملاذي فبك ألوذ يامن ذلت اليه رقاب الجبابرة وخضعت له مقاليد الفراعنة أجرني من خزيك وعقوبتك واحفظني في ليلي ونهاري ونومي وقراري لا اله الا أنت تعظيما لوجهك وتكريما وتشريفا لسبحات عرشك فاصرف عني شر عبادك واجعلني في حفظ عنايتك وسرادقات حفظك وعد علي بخير يا أرحم الراحمين وفي رواية عن الفضيل بن الربيع صاحب هارون أن الشافعي قال له قلت شهد الله أنه لا اله الا هو اللهم اني أعوذ بنور قدسك وبركة طهارتك وبعظمة جلالك من كل عاهة وآفة وطارق الانس والجن الا طارقا يطرق بخير يا أرحم الراحمين اللهم بك ملاذي قبل أن ألوذ وبك غياثي قبل أن أغوث يامن ذلت له رقاب الفراعنة وخضعت له مقاليد الجبابرة اللهم ذكرك شعاري ودثاري ونومي وقراري أشهد أن لا اله الا أنت اضرب علي سرادقات حفظك وقني وحفني برحمتك يارحمن قال الفضيل فكتبتها وجعلتها في ردائي وكان الرشيد كثير الغضب علي وكان كلما هم أن يغضب حركتها في وجهه فيرضى واعلم ان الغضب له دواء مانع ودواء رافع فالمانع تذكر فضيلة الحلم وما جاء في كظم الغيظ من الفضل وما ورد في عاقبة ثمرة الغضب من الوعيد والرافع بأن يستعيذ من الشيطان ويتوضأ ويغتسل بالماء البارد لانه من الشيطان والشيطان من النار والنار يطفئها الماء وان غضب وهو قائم قعد أو اضطجع وأقوى الاشياء في منعه ورفعه التوحيد الحقيقي وهو اعتقاد أنه لا فاعل حقيقة في الوجود الا الله تعالى فان الخلق آلات ووسائط كبرى وهي من له عقل واختيار كالانسان وصغرى وهي ما انتفيا عنه كالعصي المضروب بها ووسطى وهي من فيها الثاني فقط كالدواب ومن ثم قال أنس خدمت المصطفى صلى الله

بقوله من تزوج فقد ستر شطر دينه فليتق الله فى الشطر الآخر وأيضا فان مثل هذا لا يؤمن غالبا على النساء ولا على المجاورة فى السكنى وغيرها فربما تسلط الشيطان فيقع الفساد وفى الحديث دخل رجل على النبى صلى الله عليه وسلم يقال له عكاف فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عكاف ألك زوجة قال لا قال ولا جارية قال ولا جارية قال وأنت بخير موسر قال وأنا بخير

مومسر قال أنت من اخوان الشياطين لو كنت من النصارى كنت من رهبانهم ان من سنتى النكاح شراركم عزابكم أراذل أمواتكم عزابكم رواه الامام أحمد فى مسنده وقال صلى الله عليه وسلم مسكين مسكين مسكين رجل ليس له امرأة قيل يارسول الله وان كان غنيا من المال قال وان كان غنيا من المال وقال مسكينة مسكينة مسكينة امرأة ليس لها زوج قيل يارسول الله وان كانت غنية من المال قال وان كانت غنية من المال (ولنرجع الى الكلام على بقية الحديث فنقول لما قال لهم صلى الله عليه وسلم وفى بضع أحدكم صدقة) استبعدوا حصولها بفعل مستلذ نظرا الى انها انما تحصل غالبا فى عبادة شاقة على النفس مخالفة لهواها (قالوا يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم) أى اخبرونى عما (لو وضعها فى حرام كان عليه وزر) أى اثم (فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له أجر) وظاهر اطلاقه ان الانسان يؤجر فى نكاح زوجته مطلقا وبه قال بعضهم وفيه دليل لجواز القياس وفيه انه ينبغى قرن النية الصالحة بالمباح لتقلبه طاعة وظاهر سياقه ان الغنى الشاكر وهو من لا يبقى مما دخل عليه من ماله الا ما يحتاج اليه حالا أو ما يرصده لا حوج منه أفضل من الفقير الصابر وفيه خلاف بين العلماء قيل وهذا أصح وقاعدة ان العمل المتعدى أفضل من القاصر غالبا تشهد له ورجح الغزالى ان الفقير الصابر أفضل وقيل ان الذى أعطى الكفاف أفضل وقال الغزالى فى موضع آخر رب غنى شاكر أفضل من فقير صابر وهو الغنى الذى نفسه كنفس الفقير ولا يصرف لنفسه من المال الا قدر الضرورة

عليه وسلم عشر سنين فما قال لى لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ تركته لم تركته ولكن يقول قدر الله وما شاء فعل ولو قدر لكان وماذاك الا لكمال معرفته بانه لا فاعل ولا معطى ولا مانع ولا نافع ولا ضار الا الله تعالى (رواه البخارى) فى الادب وهو من جوامع كلمه التى خص بها ولهذا قال ابن السنى جمع فى هذه اللفظة خير الدنيا والآخرة

(الحديث السابع عشر عن أبى يعلى) وقيل أبى عبد الرحمن (شداد) بالتشديد (ابن أوس) بفتح فسكون فهملة ابن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجارى الانصارى وهو ابن أخى حسان بن ثابت قيل انه شهد بدرا وهو غلط وانما البدرى والده وكان شداد اذا دخل الفرش يتقلب عليه ولا يأتيه النوم فيقول اللهم ان النار قد أسهرتنى وأذهبت عنى النوم ثم يقوم يصلى حتى يصبح وكان يقول انكم لم تروا من الخير الا أسبابه ولم تروا من الشر الا أسبابه الخير كله بحذافيره فى الجنة والشر كله بحذافيره فى النار وان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البار والفاجر والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر ولكل بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا وروى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات اللهم انى أسألك الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم انك أنت علام الغيوب وعن أبى الدرداء أنه كان يقول ان لكل أمة فقيها وان فقيه هذه الامة شداد بن أوس وان من الناس من يؤتى علما ولا يؤتى حلما وان أبا يعلى قد أوتى علما وحلما قال ابن سعد نزل شداد فلسطين ومات بها سنة ثمان وخمسين وقيل سنة احدى وأربعين وقيل سنة أربع وستين وهو ابن خمس وسبعين سنة ولما حضرته الوفاة قال ان أخوف ما أخاف على هذه الامة الرياء والشهوة الخفية (رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله كتب) أى أوجب وفرض نحو كتب عليكم الصيام أو طلب والاول هو موضوع كتب عند أكثر الفقهاء والاصوليين والثانى أولى لان الاحسان تارة يكون واجبا كقطع الحلقوم والودجين فى الذبح وتارة يكون مندوبا كاحداد الشفرة (الاحسان) مصدر أحسن اذا أتى بالشئ حسنا وهو ما حسنه الشرع لا العقل خلافا للمعتزلة والمراد به هنا تحسين الاعمال المشروعة بأن يأتى بها على الوجه المرضى بأن يوقع الفعل على سنن الشرع لا مجرد الانعام على الغير لان الاول أعم نفعا وأكثر فائدة لان الاحسان فى الفعل يعود منه نفع عليه وعلى غيره (على) فعل (كل شئ) الاولى كما قال القرطبى وغيره ان على هنا بمعنى فى كما فى قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اى فى ملكه ويقال كان كذا على عهد فلان أى فى عهده ويحتمل أن تكون بمعنى الى والاظهر ان كل شئ هو المكتوب عليه الاحسان ويحتمل أنها على بابها والتقدير كتب الاحسان فى الولاية على كل شئ أو ان المراد بالشئ المكلف أى كتب الاحسان على كل مكلف وقوله على كل شئ قضية كلية مسورة بكل شاملة لجميع جزئيات الدين فالاحسان الى نفسه أن لا يوردها موارد السوء ولا يظلمها بمعصية ولا يطيعها فى كل ما تريد ولا يهنها بشفاء غيظ ولذلك ألهم

سبحانه

ويصرف الباقى فى وجوه الخير أو يمسكه معتقدا أن يمسكه خازنا للمحتاجين (خاتمة) ورد ما يقتضى تفضيل الذكر على الصدقة بالمال كحديث أحمد والترمذى الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والفضة وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله عز وجل وحديث أحمد والترمذى أى العباد أفضل عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قلت يارسول الله ومن الغازى فى سبيل الله قال لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة وحديث الطبرانى لو ان رجلا فى حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر الله أفضل وحديثه أيضا من كبر مائة وسبح مائة وهلل مائة كانت له خيرا من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها وأخذ بقضية هذه الاحاديث جماعة من الصحابة والتابعين فقالوا ان الذكر أفضل من الصدقة بعدده من المال ويدل له أيضا حديث أحمد والنسائى انه صلى الله عليه وسلم قال لام هانئ سبحى الله مائة تسبيحة فانها تعدل مائة رقبة من ولد اسمعيل واحمدى الله مائة تحميدة فانها تعدل مائة فرس ملجمة مسرجة تحملين عليها فى سبيل الله وكبرى الله مائة تكبيرة فانها تعدل مائة بدنة مقلدة متقبلة وهللى الله مائة تهليلة ولا أحسبه الا قال تملأ ما بين السموات والارض ولا يرفع يومئذ لاحد مثل عملك الا أن يأتى بمثل ما أتيت والاحاديث فى فضل الذكر كثيرة اللهم وفقنا لذكرك أجمعين والحمد لله رب العالمين

(المجلس السادس والعشرون فى الحديث السادس والعشرين)

الحمد لله مسخر السحب السائره ومجرى الكواكب الزاهره ومحيى العظام الناخره والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد بالمعجزات الباهره وعلى آله وأصحابه ذوى المناقب الفاخرة (عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس فيعدل بين اثنين صدقة ويعين الرجل فى دابته فيحمل عليها أو يرفع

سبحانه مخلوقاته بالاستغفار للعلماء فان لهم عمل فعلهم لقوله عليه السلام ان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء وما فى التنزيل والملائكة يسبحون بحمد ربهم والى أهله أن يحسن عشرتهم ولا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يضيعهم قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما أن يضيع من يعول والى خدمه بأن لا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون ولا يضيعهم والى اخوانه أن لا يغشهم بل ينصح لهم ويحسن صحبتهم ويحمل أذاهم ويكرم مثواهم والى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ان يؤمن بهم وبما جاؤا به عن ربهم وأن يعتقد كمالهم وعصمتهم من الكبائر والصغائر وأنهم صفوة الله وخلص عباده والى سائر الناس وأن يعلمهم ما ينفعهم فى معاشهم ومعادهم وارشاد سبيل الخيرات واجتناب المنكرات والدعاء لعداتهم بالتوفيق ولكفارهم بالهداية والى الملائكة أن يؤمن بهم وانهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأن يحسن عشرة الحفظة منهم بأن لا يفعل بحضرتهم ما يكرهون والى الجن ان اتفق ظهورهم بأن يدعوهم الى الخير وترك الشر والى شياطينهم بالدعاء لهم ككفار الانس بالاسلام وقد أكرمهم الشارع وأقراهم بأن جعل العظم زادهم والروث لدوابهم ولنا فيه اسوة حسنة والى الحيوان بان لا يجيعه وأن لا يعطشه ولا يضربه بغير موجب ولا يكلفه من العمل ما لا يطيقه ولا يستمر راكبا على الدابة وهى واقفة الا لحاجة وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم رأى فى النار امرأة حميرية سوداء طويلة تعذب بسبب هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض حتى ماتت وان تلك الهرة تنهشها فى قبلها ودبرها اذا أقبلت تنهشها واذا أدبرت تنهشها وخشاش الارض بمعجمات حشراتها وقال أبو سليمان الدارانى ركبت مرة حمارا فضربته مرتين أو ثلاثا فرفع رأسه ونظر الى وقال يا أبا سليمان القصاص يوم القيامة فان شئت فأقلل وان شئت فأكثر قال فقلت لا أضرب شيأ بعده فمن أحسن من ذلك كله فقد أوتى خيرا كثيرا ووقى شرا كبيرا وقوله على كل شئ قاعدة الحديث الكلية ثم ذكر من جزئياته التخفيف فى القتل والذبح اما لان سبب الحديث الذى هو فعل الجاهلية اقتضاه فانهم كانوا يمثلون فى القتل بجدع الانف وصلم الاذن وقطع اليد والرجل وبقر البطن وشق الكبد وكانوا يذبحون بالمدى الكالة والعظم والقصب مما يعذب الحيوان واما لان القتل والذبح غاية ما يفعل من الاذى فاذا طلب الاحسان فيهما ففى غيرهما أولى فقال (فاذا قتلتم) قصاصا أو حدا اذ لا قتل فى الشرع غير ذلك (فاحسنوا) يستثنى منه قتل قاطع الطريق بالصبر والزانى المحصن بالرجم لورود النص بذلك قيل ونحو حشرات وسباع والفواسق الخمس لانها مؤذية وقد خرجت بالنص فلا حظ لها فى الاحسان وفيه نظر اذ جواز قتلها أو وجوبه لا ينافى احسان كيفيته (القتلة) بكسر القاف هيئة القتل مثل الجلسة والركبة بكسر الجيم والراء هيئة الجلوس والركوب وبالفتح المصدر واحسان القتلة اختيار أسهل الطرق واخفها ايلاما وأسرعها ازهاقا وأسهل وجوه قتل الآدمى ضربه بالسيف فى العنق ولذا يكره قتل القمل والبق والبراغيث وسائر الحشرات بالنار لانه من التعذيب وفى الحديث لا يعذب بالنار الا رب النار قال الجزولى وابن ناجى وهذا ما لم يضطر لكثرتها فيجوز حرق ذلك

عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها الى الصلاة صدقة ويميط الاذى عن الطريق صدقة رواه البخارى) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم (قوله كل سلامى) بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم مفرد سلاميات بفتح الميم وتخفيف (١٥٨) الياء قيل جميع عظام الجسد ومفاصله وفى خبر مسلم خلق الانسان على ستين وثلثمائة مفصل ففى كل مفصل صدقة (قوله من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس) أى فى مقابلة ما أنعم الله به على الانسان فى خلق تلك السلاميات وفى حديث الصحيحين فان لم يفعل فليمسك عن الشر فانه له صدقة ويلزم من ذلك القيام بجميع الطاعات وترك جميع المحرمات (قوله فيعدل) أى فيصلح (بين الاثنين) أى المتخاصمين (صدقة) عليهما ويجوز الكذب فى الصلح الجائز وهو ما لا يحل حراما ولا يحرم حلالا مبالغة فى وقوع الالفة بين المسلمين قيل تمنى جبريل عليه السلام أن يكون فى الارض يسقى الماء ويصلح بين المسلمين (قوله ويعين الرجل فى دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة) أى عليه (قوله والكلمة الطيبة) وهى كل ذكر ودعاء للنفس والغير وسلام عليه ورده وثناء عليه بحق ونحو ذلك مما فيه سرور واجتماع القلوب وتألفها ويدخل فيه معاملة الناس بمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق (قوله وبكل خطوة يمشيها الى الصلاة صدقة) فيه مزيد الحث والتأكيد على حضور الجماعات وعمارة المساجد اذ لو صلى فى بيته فاته ذلك (بشارة) اذا كان يوم القيامة يأتى قوم فيقفون على الصراط يبكون فيقال لهم جوزوا على الصراط فيقولون نخاف من النار فيقول جبريل عليه السلام كيف كنتم تمرون على البحر فيقولون بالسفن فيؤتى بالمساجد التى كانوا يصلون فيها كالسفن فيركبونها ويمرون على الصراط * وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تحشر مساجد الدنيا كأنها بخت بيض قوائمها من العنبر

بالنار لان فى تتبعها بغير النار حرجا ومشقة ويجوز نشرها للشمس قال الافقهسى وقتلها بغير النار بالعفص والعرك جائز لقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن حشرات الارض تؤذى أحدا فقال ما يؤذيك فلك أذيته قبل أن يؤذيك وما خلق للاذاية فابتداؤه للاذاية جائز (واذا ذبحتم) ما يحل ذبحه من البهائم (فأحسنوا الذبحة) بالكسر أى هيئة الذبح وجاء فى بعض الروايات فأحسنوا الذبح بفتح الذال وبكسرها وهو المصدر وهى التى فى أكثر نسخ صحيح مسلم فلا تؤكل المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما ذكر معها واحسان الذبح فى البهائم الرفق بها فلا يصرعها بعنف وايضاح المحل بأن يأخذ بيده اليسرى جلد حلقها من لحيها الاسفل بالصوف أو غيره حتى يظهر من البشرة موضع الشفرة وضجع ما يراد ذبحه على شقه الايسر لانه أمكن للذابح حيث كان يفعل باليمين أكثر وكان أضبط وهو الذى يفعل بيديه جميعا وأما الاعسر فيضجعها على الايمن والنية والتسمية مع الذكر وقطع الحلقوم والودجين ويكون ذلك من المقدم لا من القفا (وليحد) بسكون اللام للامر وبضم الياء من أحد وبفتحها من حد (أحدكم شفرته) بفتح الشين المعجمة وقد تضم وهى السكينة العريضة وأصل الشفرة حد السكين وشفرة السيف حده وشفير جهنم حرفها وشفير الوادى طرفه وشفير العين منبت شعر الجفن وحينئذ فتسمية السكين بالشفرة من باب تسمية الشئ باسم جزئه والاحداد واجب فى الكالة ومندوب فى غيره ولا ينبغى مواراتها عنها فى حال احدادها فقد روى الجلال والطبرانى انه صلى الله عليه وسلم مر برجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهى تلحظ اليه ببصرها قال أفلا قبل هذا تريد أن تميتها موتتين هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها وعن مالك أن عمر رأى رجلا يحد شفرته وقد أخذ شاة ليذبحها فضربه بالدرة وقال أتعذب الروح ألا فعلت هذا قبل أن تأخذها وقد نهى عليه السلام عن صبر البهائم ولعن من اتخذ شيأ فيه الروح غرضا (وليرح) بضم المثناة تحت (ذبيحته) بسقيها عند الذبح واضجاعها بمكان سهل غير وعر وتعجيل امرار السكين عليها بقوة ليسرع موتها وبالامهال بسلخها حتى تبرد وأن لا يحد السكين بحضرتها كما مر ولا يجرها من موضع لآخر فقد روى ابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل وهو يجر شاة بأذنها فقال دع أذنها وخذ بسالفتها أى وهو مقدم العنق * وروى عبد الرزاق عن الوضين بن عطاء ان جزارا فتح بابا على شاة ليذبحها فانفلتت منه حتى جاءت النبى صلى الله عليه وسلم فاتبعها فأخذ يسحبها برجلها فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم اصبرى لامر الله وأنت يا جزار فسقها الى الموت سوقا رفيقا * وروى عن عمر انه رأى رجلا يجر شاة برجلها ليذبحها فضربه بالدرة وقال قدها للموت قودا جميلا * وعن الامام مالك جواز جرها الى مذبحها * وعن أبى الحسن انه يكره ذبح شاة وأخرى تنظر سيما بنتها أو أمها فعن نوف البكالى ان صيدا يقا ذبح عجلا بين يدى أمه فخبل وفى رواية فيبست يده فبينما هو تحت شجرة وفيها وكر فيه فرخ فوقع الفرخ منه للارض ففتح فاه وجعل يصى فرحمه وأخذه وأعاده لو كره فرد الله اليه عقله أو يده كما كانت * ومن الاحسان اليها أن لا تحمل فوق طاقتها ولا تركب واقفة الا لحاجة ولا يحلب منها ما يضر بولدها ولا يشوى السمك والجراد حتى يموت

والذبيحة

وأعناقها من الزعفران ورؤسها من المسك وأزمتها من الزبرجد والمؤذنون يقودونها والائمة يسوقونها والمحافظون يتبعونها فيعبرون فى عرصات القيامة فيقول أهلها هؤلاء ملائكة مقربون أم أنبياء مرسلون فيقال هؤلاء الذين حافظوا على صلاة الجماعة من أمة محمد عليه الصلاة والسلام * وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (١٥٩) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المشاؤن الى المساجد فى الظلم أولئك الخواضون فى رحمة الله (نكتة) اذا كان يوم القيامة أمر بطبقات المصلين الى الجنة فتأتى أول زمرة كالشمس فتقول لهم الملائكة من أنتم قالوا نحن المحافظون على الصلاة قالوا كيف كانت محافظتكم قالوا كنا نسمع الاذان ونحن فى المساجد ثم تأتى زمرة أخرى كالقمر ليلة البدر فتقول الملائكة من أنتم قالوا نحن المحافظون على الصلاة قالوا كيف كانت محافظتكم قالوا كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تأتى زمرة أخرى كالكواكب فتقول لهم الملائكة من أنتم قالوا نحن المحافظون على الصلاة قالوا كيف كانت محافظتكم قالوا كنا نتوضأ قبل الاذان وقيل فى قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه هو الذى يدخل المسجد بعد قيام الصلاة والمقتصد من يدخله بعد الاذان والسابق من يدخله قبل الاذان وقال عمر بن عبد العزيز فى قوله تعالى أضاعوا الصلاة أى أضاعوا مواقيتها وفى الحديث لا تسلموا على يهود أمتى قيل من هم يا رسول الله قال من يسمع الاذان ولا يحضر صلاة الجماعة وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال من قال ذلك فقال الشيطان عصم منى سائر اليوم وقال صلى الله عليه وسلم ان أحدكم اذا أراد أن يخرج من المسجد تداعت جنود ابليس واجتمعت كما تجتمع النحل على يعسوبها فاذا قام أحدكم على باب المسجد فليقل اللهم انى أعوذ بك من ابليس وجنوده فانه اذا قالها لم يضره قاله فى الاذكار وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا اللهم عبدك وزائرك وعلى كل مزور

والذبيحة فعيلة بمعنى مفعولة أى مذبوحة باعتبار ما يؤل اليه وتاؤها للنقل من الوصفية الى الاسمية لان العرب اذا وصفوا بفعيل مؤنثا وذكروا الموصوف حذفوا التاء من فعيل اكتفاء بتأنيث الموصوف فقالوا امرأة قتيل وعين كحيل وشاة ذبيح فاذا حذفوا الموصوف أثبتوا التاء فقالوا قتيلة بنى فلان وذبيحتهم لعدم دال على التأنيث حينئذ ويعرب حينئذ اسما لا صفة فاتضح أن التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية فهو من عطف الخاص على العام لان احداد الشفرة واراحة الذبيحة من جملة الاحسان اليها الا انه خصه بالذكر لبيان فائدته اذ الذبح بآلة كالة يعذب الذبيحة وربما أدى ذلك لتحريمها لعدم حصول الذكاة الشرعية (رواه مسلم) وكذا الامام أحمد وأصحاب السنن الاربعة وهو من قواعد الدين العامة

(الحديث الثامن عشر)

(عن أبى ذر) بالذال المعجمة المفتوحة وتشديد الراء (جندب ابن جنادة) بضم الجيم فيهما وتثليث دال الاول وقيل اسمه برير بضم الباء الموحدة وراء مكررة ابن جندب وقيل جندب ابن عبد الله وقيل جندب بن السكن والمشهور جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن الوقيعة بن حرام بن غفار بن مليل بن حمزة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قاله ابن الكلبى ويقال جندب بن جنادة بن قيس بن عمر بن مليل بن صغير بن حرام بن غفار وتواضعه وزهده مشبهان فى الحديث بتواضع عيسى عليه السلام وزهده وكان يتعبد قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قديما ويتوجه أينما وجهه الله فانطلق هو وأخوه أنيس حتى نزلا بحضرة مكة فذهب أخوه وأبطأ عليه ثم جاء فقال له ما حبسك قال لقيت رجلا يزعم أنه أرسله الله على دينك فقال له ما تقول الناس فيه قال يقولون انه شاعر وساحر وكاهن ولكن سمعت قول الكهان فما هو بقولهم وقد وضعت قوله على اقراء الشعر فوالله ما يلتئم والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقال له أبو ذر هل أنت كافى حتى أنطلق فانظر قال نعم وكن من أهل مكة على حذر فانطلق أبو ذر حتى قدم مكة فلقى رجلا فقال له أين هذا الرجل الذى تدعونه الصابئ فاغرى عليه من عنده فعالوا عليه بكل مدرة وعظم حتى أدموه وخر مغشيا عليه فلما أفاق أتى زمزم فشرب من مائها وغسل عنه الدم ودخل بين الكعبة وأستارها ولبث ثلاثين بين يوم وليلة ماله طعام الا ماء زمزم وسمن حتى تكسرت عكن بطنه وما وجد جوعا فى تلك المدة فبينما أهل مكة فى ليلة قمراء وما يطوف بالبيت غير امرأتين فأتيا عليه وهما يدعوان اسافا ونائلة فقال أنكحا أحدهما الآخر فانطلقا يولولان ويقولان لو كان ههنا أحد من أنفارنا فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقالا ما لكما قالتا الصابئ بين الكعبة وأستارها قال ما قال لكما قالتا قال لنا كلمة تملأ الفم قال فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ثم صلى فأتاه وأسلم على يديه وهو أول من حياه بتحية الاسلام فقال وعليك السلام ورحمة الله فمن أنت فقال ابن غفار وأخبره بمقامه بين الكعبة وأستارها تلك المدة فقال له فمن كان يطعمك فقال له ما كان لى طعام الا ماء زمزم فقال أبو بكر ائذن لى يا رسول الله فى طعامه الليلة فأذن له وانطلق النبى صلى الله عليه

حق وأنت خير من ورفأسالك برحمتك أن تفك رقبتي من النار واذا خرج قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب على الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني ولا تجعل معيشتي كدا حكاه القرطبي في سورة الجن * وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا ذر ان الله تعالى يعطيك مادمت جالسا (١٦٠) في المسجد بكل نفس تتنفس فيه درجة في الجنة وتصلي عليك الملائكة ويكتب لك بكل نفس تتنفس فيه عشر حسنات ويمحى عنك عشر سيآت وقال البغوي في المصابيح قال جبريل اني دنوت من الله دنوا مادنوت مثله قط قال كيف كان يا جبريل قال كان بيني وبينه سبعون ألف حجاب من نور فقال شر البقاع أسواقها وخير البقاع مساجدها وكان صلى الله عليه وسلم يخرج الى السوق ويشتري لعياله حاجتهم فسئل عن ذلك فقال اخبرني جبريل ان من يسعى على عياله ليكفهم عن الناس فهو في سبيل الله فاذا أراد رجل أن يحمل معه قال صلى الله عليه وسلم صاحب الشيء أحق بحمله لانه وقال صلى الله عليه وسلم الاسواق موائد الله تعالى وقال في الاحياء لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منه وقال صلى الله عليه وسلم السوق دار سهو وغفلة فمن سبح الله فيها تسبيحة كتب الله له بها ألف حسنة وقال صلى الله عليه وسلم لرجل اذا دخلت السوق فقل اللهم اني أسألك خير هذه السوق وخير مافيها وأعوذ بك من شرها وشر مافيها اللهم اني أعوذ بك أن أصيب بها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة وفي حديث من أخرج من المسجد أذى بنى الله له بيتا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من أسرج في المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يصلون عليه مادام ذلك الضوء فيه وان مهر الحور العين كنس غبار المسجد وقال صلى الله عليه وسلم لتميم الداري لما علق القناديل في المسجد نورت الاسلام نور الله عليك في الدنيا والآخرة لو كان لي بنت لزوجتكها فقال رجل يا رسول الله أنا أزوجه ابنتي فزوجه اياها * (فائدة) * قال ابن بطال في شرح البخاري الحديث في المسجد خطيئة يحرم بها المحدث استغفار الملائكة ودعاءهم المرجو بركته وهو عقاب له بما آذاهم من

وسلم وأبو بكر وهو معهما حتى فتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لهما من زبيب الطائف فكان ذلك أول طعام أكله بمكة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني وجهت الى أرض ذات نخل فلا أحسبها الا يثرب فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله عز وجل أن ينفعهم بك فيأجرك فيهم فانطلق حتى أتى أخاه أنيسا فقال له ماصنعت فأخبره بأنه اسلم وصدق فأسلم أخوه انيس وصدق ثم أتيا أمهما فأسلمت وصدقت ثم أتوا قومهم غفارا فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال بقيتهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلمنا فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم بقيتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله ولما أمره صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى قومه قال والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد ونادى بأعلى صوته أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقام القوم وضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس فأكب عليه وقال ويلكم ألستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجارتكم الى الشام عليها فأنقذه منهم ثم عاد من الغد الى مثلها وثاروا اليه فضربوه فأكب عليه العباس فأنقذه وروى عنه أنه قال أنا رابع أربعة في الاسلام ويقال كان خامس خمسة ولما رجع الى بلاد قومه أقام فيها حتى مضت بدر وأحد والخندق ثم هاجر الى المدينة ووصفه النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث بأنه أصدق الناس لهجة وفي رواية ما أظلت الخضراء أي السماء ولا أقلت الغبراء أي حملت الارض أصدق لهجة من أبي ذر وقال علي في حقه وعاء ملئ علما ثم أوكى عليه فلم يخرج منه شئ حتى قبض وروى أن رجلا من أهل البصرة ركب الى زوجة أبي ذر بعد موته فسألها عن عبادته فقالت كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر وقام يوما عند الكعبة فقال يا أيها الناس أنا جندب الغفاري هلموا الى الاخ الناصح الشفوق فاكتنفه الناس فقال أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه قالوا بلى قال فسفر طريق القيامة أبعد ماتريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وماذا يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور وكلمة خير تقولونها أو كلمة سوء تسكتون عنها لوقوف يوم عظيم تصدق بمالك لعلك تنجوا جعل الدنيا مجلسين مجلسا في طلب الحلال ومجلسا في طلب الآخرة والثالث يضرك ولا ينفعك لا ترده اجعل المال درهمين درهما تنفقه على عيالك من حله ودرهما تقدمه لآخرتك والآخر يضرك ولا ينفعك لا ترده ثم نادى بأعلى صوته يا أيها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه أبدا ولما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أبطأ جمله لما فيه من الاعياء والتعب فتخلف عن الجيش فأخذ متاعه وحمله على ظهره وسار حتى أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا بالجيش وكانوا قبل وصوله قالوا يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره فقال دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه فلما أشرف على القوم قالوا يا رسول الله ان هذا الرجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا ذر

يمشي

الرائحة الخبيثة بخلاف النخامة فانها وان كانت حراما فلها كفارة وهي دفنها فمن أراد الفضيلة التامة فليمكث في المسجد متطهرا وان جوز العلماء رضي الله عنهم اعتكاف المحدث وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش (قوله وتميط الاذى) أي تنحي ما يؤذي المارة من حجر أو شوك (١٦١) أو نجس عن الطريق (صدقة) على المسلمين وأخرت هذه لانها أدون مما قبلها كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق قيل وتسن كلمة التوحيد عند اماطة الاذى ليجمع بين أعلى الايمان وأدناه وشرط الثواب على هذه الاعمال خلوص النية فيها وفعلها لله وحده كما دلت عليه الاخبار * (تنبيه) * في بعض طرق مسلم يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما في الضحى أي يكفي عن هذه الصدقات عن هذه الاعضاء كلها ركعتان من الضحى لان الصلاة عمل بجميع الاعضاء فاذا صلى العبد فقد قام كل عضو منه بوظيفة وادى شكر نفسه قال العلائي في تفسير سورة العنكبوت الصلاة عرس الموحدين فانه يجتمع فيها ألوان العبادات كما أن العرس يجتمع فيه ألوان الطعامات فاذا صلى العبد ركعتين يقول الله تعالى مع ضعفك أتيت بألوان العبادة قياما وقعودا وركوعا وسجودا وقراءة وتهليلا وتحميدا وتكبيرا وسلاما فأنا مع جلالي وعظمتي لا يجمل مني أن أمنعك جنة فيها ألوان النعيم أوجبت لك الجنة بنعمها كما عبدتني بألوان العبادة وأكرمك برزقي كما عرفتني بالوحدانية فاني لطيف أقبل عذرك وأقبل منك الخير برحمتي فاني أجد من أعذبه من الكفار وأنت لا تجد الها غيري يغفر سيآتك عبدي لك بكل ركعة قصر في الجنة وحورا و بكل ركعة نظرة الى وجهي * وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى الضحى يقرأ في الركعة الاولى

يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وكان في صدر الاسلام يجب على الشخص انفاق مافضل عن الحاجة في اليوم والليلة ثم نسخ ذلك وكان أبو ذر يرى بقاء الوجوب وأن مازاد عن حاجة اليوم والليلة لا يجوز ادخاره وانه من الكنز الذي ذمه الله بقوله والذين يكنزون الذهب والفضة الآية وكان ينادي به في الاسواق في الشام لانه خرج اليها بعد موت أبي بكر فنهاه معاوية فلم يمتثل فشكاه الى عثمان ودس عليه معاوية رجلا بألف دينار وقال له الامير أي معاوية أرسل لك هذه ففرقها جميعا ولم يبت عنده منها شيء ثم حضر له ذلك الرجل بأمر معاوية وقال اني غلطت في اعطائي لك الالف دينار وانما أرسلني لغيرك وأنا أخشى أن يعاقبني معاوية على ذلك فقال له يا هذا والله ما أمسى عندنا من دراهمك شيء ولكن اصبر حتى يصير عطاؤنا ندفع ذلك اليك ثم ان عثمان كتب له أن يقدم عليه فقدم فقال له ان شئت تنحيت فكنت قريبا فأجابه ونزل بالربذة ولما حضرته الوفاة بكت زوجته فقال لها ما يبكيك قالت ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الارض ولا يدان لي بنعشك وليس معنا ثوب يسعك كفنا ولا لك فقال لا تبكي وأبشري فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد الا وقد مات في قرية وجماعة واني أنا الذي أموت بفلاة من الارض والله ما كذبت ولا كذبت فابصري الطريق قالت فقلت أنى وقد ذهب الحاج وانقطعت الطريق فقال انظري فكنت اسند الى الكثيب فاقوم عليه ثم أرجع اليه فأمرضه قالت فبينا أنا كذلك اذا أنا برجال على رواحلهم كأنهم الرخم فألحت بثوبي فأسرعوا الي ووضعوا السياط في نحورها يستبقون الي فقالوا مالك يا أمة الله فقلت امرأ من المسلمين تكفنونه فانه يموت قالوا ومن هو قلت أبو ذر قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قالت ففدوه بآبائهم وامهاتهم وأسرعوا اليه حتى دخلوا عليه فسلموا عليه فرحب بهم وقال ابشروا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا وسمعته يقول لنفر كنت فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد الا وقد هلك في قرية وجماعة وأنا الذي أموت بفلاة من الارض والله ما كذبت ولا كذبت وانه لو كان عندي ثوب يسعني كفنا أو لامرأتي ثوب يسعني كفنا لم أكفن الا في ثوب هو لي أو لها واني أنشدكم الله لا يكفنني منكم رجل كان أميرا أو عريفا أو وصيا أو نقيبا قالوا وليس من القوم أحد الا وقد قارف من ذلك شيأ الا فتى من الانصار قال أنا أكفنك في ردائي هذا وفي ثوبين من عيبتي من غزل أمي قال فكفني أنت فكفنه الانصاري ودفنه هو والنفر الذين كانوا معه وفي رواية أخرى انه أوصى زوجته وغلامه في مرضه أن يغسلاه ويكفناه ويجعلاه على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكما فقولا له هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه فلما مات فعلا ذلك وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل الكوفة فوجدوا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الابل تطؤها فقام اليهم الغلام وقال هذا

فاتحة الكتاب وآية الكرسى عشر مرات وفى الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات استوجب رضوان الله الاكبر وفى كتاب النورين وفى اصلاح الدارين عنه صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى تجلب الرزق وتنفى الفقر وقال صلى الله عليه وسلم لا يحافظ على صلاة الضحى الا أواب وقال صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة بابا يقال له باب الضحى فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يصلون الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله رواه الطبرانى وأقل الضحى ركعتان وأكثرها ثمان ركعات وقيل اثنا عشر ووقتها من ارتفاع الشمس الى الاستواء (خاتمة) أخرج أبو داود والنسائى من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر ذلك اليوم ومن قالها حين يمسى فقد أدى شكر ليلته اللهم اجعلنا لآلائك ذاكرين ولنعمائك شاكرين آمين والحمد لله رب العالمين

(المجلس السابع والعشرون فى الحديث السابع والعشرين)

الحمد لله عالم السر والنجوى وكاشف الضر والبلوى الذى خلق فسوى وأخرج المرعى والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه مصابيح الهدى (عن النواس بن سمعان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس رواه مسلم وعن وابصة بن معبد رضى الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر قلت نعم فقال استفت قلبك البر ما اطمأنت عليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك حديث حسن رويناه فى مسندى الامامين أحمد بن حنبل والدارمى باسناد جيد) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث من جوامع الكلم التى أوتيها صلى الله عليه وسلم وهو فى الحقيقة حديثان لكنهما لما تواردا على أمر واحد كانا كالحديث الواحد فجعل الثانى كالشاهد للاول (قوله

أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بن مسعود يبكى ويقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو وأصحابه وصلوا عليه وواروه روى له مائتا حديث وأحد وثمانون حديثا اتفقا منها على اثنى عشر وانفرد البخارى بحديثين ومسلم بسبعة عشر (وأبى عبد الرحمن معاذ بن جبل) بن عمرو بن أوس بن عامر بن عائذ بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى الانصارى المدنى أسلم وعمره ثمان عشرة سنة وشهد العقبة مع السبعين وبدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه وبعثه الى اليمن بعد غزوة تبوك وخرج معه يشيعه ويوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى أن تلقانى بعد عامى هذا ولعلك تمر بمسجدى هذا وقبرى فبكى معاذ وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل وعن أبى مسلم الخولانى انه قال أتيت مسجد دمشق واذا حلقة فيها كهول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا شاب فيهم أكحل العين براق الثنايا كلما اختلفوا فى شئ ردوه الى الفتى قال فقلت لجليس لى من هذا قال معاذ بن جبل وعن شهر بن حوشب ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا اذا تحدثوا وفيهم معاذ نظروا اليه هيبة له وقد تقدم فى الحديث الثالث عشر ذكر زهده وفعله فى الدنانير التى أرسل بها سيدنا عمر اليه وروى أن رجلا جاء الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين انى غبت عن امرأتى سنتين فجئت وهى حبلى فشاور عمر الناس فى رجمها فقال معاذ بن جبل يا أمير المؤمنين ان كان لك عليها سبيل فليس لك على ما فى بطنها سبيل فاتركها حتى تضع فتركها فولدت غلاما قد خرجت ثنيته فعرف الرجل الشبه فقال ابنى ورب الكعبة فقال عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ لولا معاذ هلك عمر وكان تحته امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يشرب الماء من بيت الاخرى ثم توفيتا فى السقم الذى أصابهم بالشام والناس فى شغل فدفنتا فى حفرة فاسهم بينهما أيهما تقدم فى القبر وكان اذا تهجد من الليل قال اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وأنت حى قيوم اللهم طلبى للجنة بطئ وهربى من النار ضعيف اللهم اجعل لى عندك عهدا ترده الى يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد وقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا معاذ انى لاحبك فقال وأنا أحبك والله يا رسول الله قال فلا تدع أن تقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقال يأتى معاذ يوم القيامة بين يدى العلماء برتوة أى برمية سهم وقيل حجر وقيل ميل وقيل مد البصر وروى ابن مسعود قال ان معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا فقال له فروة بن نوفل يا أبا عبد الرحمن ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا فقال ما نسيته هل تدرى ما الامة وما القانت قال الله أعلم قال الامة الذى يعلم الناس الخير والقانت المطيع لله عز وجل والرسول وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير وكان مطيعا لله ورسوله وجاءه رجل وقال علمنى فقال وهل أنت مطيعى قال انى على طاعتك لحريص قال صم وأفطر وصل ونم واكتسب ولا تأثم ولا تموتن الا وأنت مسلم واياك ودعوة المظلوم وقال لابنه يا بنى اذا صليت فصل صلاة مودع لا تظن أنك تعود اليها أبدا واعلم

يابنى

البر) أى معظمه وضده الفجور والاثم فلذلك قابله به وهو بهذا المعنى عبارة عما اقتضاه الشرع وجوبا أو ندبا أن كما الاثم عبارة عما نهى الشرع عنه وقد يقابل البر بالعقوق فيكون عبارة عن الاحسان كما أن العقوق عبارة عن الاساءة (قوله حسن الخلق) يدخل فيه طلاقة الوجه وكف الاذى وبذل القرى وان يحب للناس ما يحب لنفسه والانصاف فى المعاملة والرفق فى المجادلة والعدل فى الاحكام والاحسان فى اليسر والايثار فى العسر وحسن الصحبة ولين الجانب واحتمال الاذى وفعل الواجبات واجتناب المحرمات وفى الحديث ان الله كريم يحب مكارم الاخلاق وأنشدوا

بمكارم الاخلاق كن متخلقا ... ليفوح مسك ثنائك العطر الشذى
وانفع صديقك ان أردت صداقة ... وادفع عدوك بالتى فاذا الذى

بريد بقية الآية *(تنبيه)* أفضل البر بر الوالدين قال الله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وقد قرن الله تعالى ذكرهما بذكره فى غير موضع من كتابه ولهذا قال العلماء أحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والاحسان والتزام البر والطاعة له والاذعان من قرن الله سبحانه وتعالى الاحسان اليه بعبادته وشكره بشكره وهما الوالدان كما قال تعالى أن اشكر لى ولوالديك الى المصير وفى الحديث رضا الرب فى رضا الوالدين وسخطه فى سخط الوالدين * وعن أبى أمامة أن رجلا قال يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك ونارك رواه الدارقطنى وغيره وقد قيل انما صرف الله تعالى سليمان عن ذبح الهدهد لانه كان بارا بوالديه ينقل الطعام اليهما فيزقهما * وقال سفيان بن عيينة قدم رجل من سفره فصادف أمه قائمة تصلى فكره أن يقعد وهى قائمة فعلمت ما أراد فطولت ليؤجر وصفة البر أن تكفيهما ما يحتاجان اليه وتكف عنهما الاذى وتداريهما مداراة الطفل الصغير ولا تضجر من حوائجهما وتستغفر لهما عقب صلواتك ولا تحوجهما الى التعب وتحمل أذاهما ولا تعل صوتك على صوتهما ولا تخالفهما فيما لا يكون فيه خرق للشرع فاذا

يابنى أن المؤمن من يموت بين حسنتين حسنة قدمها وحسنة أخرها ولما أصيب أبو عبيدة فى طاعون عمواس استخلف معاذ ابن جبل واشتد الوجع فقال الناس لمعاذ ادع الله أن يرفع عنا هذا الرجز قال انه ليس برجز ولكنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وشهادة يخص الله بها من يشاء من عباده أيها الناس خافوا ما هو أشد من ذلك ان يغدو الرجل منكم من منزله لا يدرى أمؤمن هو أو منافق وخافوا امارة الصبيان اللهم آت آل معاذ نصيبهم الاوفى من هذه الرحمة فطعن ابناه فقال كيف تجدانكما قالا يا أبانا الحق من ربك فلا تكونن من الممترين قال وأنا ستجدانى ان شاء الله من الصابرين ثم طعنت امرأتاه فهلكتا وطعن هو فى ابهامه فجعل يمسها بفيه ويقول اللهم انها صغيرة فبارك فيها فانك تبارك فى الصغير حتى هلك وانما نسب الطاعون الى عمواس وهى قرية بين الرملة وبيت المقدس لانه أول ما بدا منها (رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتق الله) الامر لراويه أو لكل من يتأتى توجيه الامر اليه ليعم كل مأمور حتى لا يختص به مخاطب دون آخر (حيثما كنت) حيث ظرف مكان يضاف للجمل والمراد بها هنا التعميم أى فى أى مكان وأى حال كنت فيه وقيل انها ظرف زمان أى بناء على مجيئها للزمان لان التقوى فى جميع الازمنة أعم منها فى جميع الامكنة لان الثانى يصدق على ما اذا حصل منه تقوى ومعصية فى المجلس الواحد بخلاف الاول وما زائدة بشهادة رواية حذفها وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فان التقوى وان قل لفظها كلمة جامعة بان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر بقدر الامكان ومن ثم سمات خير الدارين اذ هى تجنب كل منهى عنه وفعل كل مأمور به * وسئل على بن أبى طالب رضى الله عنه عن التقوى فقال هى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل * وقال عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترضه الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير * وقيل تقوى الله أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ولهذا قال بعضهم لشخص اذا أردت أن تعصى الله فاعصه حيث لا يراك أو اخرج من داره أو كل غير رزقه وقال بعضهم من علامة التحقق بالتقوى أن يأتى المتقى رزقه من حيث لا يحتسب واذا أتاه من حيث يحتسب فما تحقق بالتقوى فانه قيل فى تفسير قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب أى فمن يتق الله فى الرزق بقطع العلائق يجعل له مخرجا بالكفاية وقيل من يتق الله فيقف عند حدوده ويجتنب معاصيه يجعل له مخرجا بخروجه من الحرام الى الحلال ومن الضيق الى السعة ومن النار الى الجنة ويرزقه من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجو * وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله باتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة أهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقيل ومن يتق الله بالصبر يجعل له مخرجا من الشدائد * وقال ابن عباس مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة * وقال أكثر المفسرين انها نزلت فى عوف بن مالك الاشجعى أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى الفاقة اليه وقال ان العدو أسر ابنى وجزعت الام فما تأمرنا فقال عليه الصلاة والسلام اتق الله واصبر وآمرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا

أمر الله بما فيه خرق للشرع كترك الفرائض وحجة الاسلام وترك الصلوات الخمس وترك أداء الزكاة وأخذ المال بغير حق وشهادة الزور وما أشبه ذلك فلا تطعهما لقوله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم لا طاعة لمخلوق في معصية الله ومن البر أن تغضب لهما كما تغضب لنفسك في الموت والحياة وإذا ثار طبعك بالغضب عليهما فاذكر تربيتهما وسهرهما وتعبهما ولا تسافر سفرا غير واجب عليك الا باذنهما وان ظفرت بطعام أو شراب فعليك بايثارهما بأطيبه فطالما آثراك وجاعا ونوماك وسهرا والأم مقدمة على الأب في البر للأحاديث الواردة في ذلك (قوله والاثم) أى الذنب (ماحاك) أى رسخ وأثر (فى النفس) اضطرابا وقلقا ونفورا وكراهة بعدم طمأنينتها (قوله وكرهت أن يطلع عليه الناس) أى وجوههم وأماثلهم الذين يستحى منهم وذلك أن النفس لها شعور من أصل الفطرة بما تحمد عاقبته وما تذم عاقبته ولكن غلبت عليها الشهوة حتى أوجبت لها الاقدام على ما يضرها كما غلبت على السارق والزانى مثلا فأوجبت لهما الحد ووجه كون كراهة اطلاع الناس على الشئ يدل على انه اثم أن النفس بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها وبرها وتكره ضد ذلك ومن ثم أهلك الرياء أكثر الناس فبكراهتها اطلاع الناس على فعلها يعلم أنه شر واثم وقضية عموم الحديث أن مجرد خطور المعصية والهم بها اثم لوجود العلامتين فيه لكنه مخصوص بخبر ان الله تجاوز لامتى عما وسوست به نفوسها ما لم تعمل به أو تتكلم بل ربما يثاب كما قيل له صلى الله عليه وسلم انا نجد فى نفوسنا ما يتعاظم أحدنا أن ينطق به فقال ذلك صريح الايمان ومثل ذلك من هم بزنا مثلا وحاك فى نفسه فنفرت منه اضرب من التقوى فانه يثاب على ذلك ولانه حينئذ يصير من باب قوله تعالى فى الحديث القدسى اكتبوه له حسنة انما تركها من أجلى أما العزم فهو اثم لوجود العلامتين فيه ولا مخصص يخرجه عن عموم الحديث بل خبر اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل هذا

قوة الا بالله العلى العظيم فعاد لبيته وقال لامرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى واياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فقالت نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى أبيه وهى أربعة آلاف شاة فنزلت الآية وفى رواية أنه اصاب ابلا من القوم خمسين بعيرا وفى أخرى فأفلت ابنه من الاسر وركب ناقة للقوم ومر فى طريقه ليسرح لهم فاستاقه وقال مقاتل انه أصاب غنما ومتاعا * وكتب عمر لابنه أما بعد فانى أوصيك بتقوى الله عز وجل فانه من اتقاه وقاه ومن أقرضه جازاه ومن شكره زاده فاجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك * ولما ولى على رضى الله عنه بعث رجلا على سرية فقال أوصيك بتقوى الله الذى لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك من دونه وهو يملك الدنيا والآخرة الا بالتقوى * وقال رجل ليونس بن عبيد أوصنى فقال أوصيك بتقوى الله والاحسان فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون * وقال له رجل يريد الحج أوصنى قال اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشة عليه * وفى منهاج العارفين ان بعض الصالحين قال لبعض أشياخه أوصنى بوصية قال أوصيك بوصية رب العالمين للاولين والآخرين وهى قوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله * وفى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من أحب ان يكون أكرم الناس فليتق الله ولبعضهم رضى الله عنه

من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقى

ما يصنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقى

وجاءت فى القرآن لمعان الايمان نحو قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى أى التوحيد والتوبة نحو قوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا أى تابوا والطاعة نحو قوله تعالى أن انذروا انه لا اله الا أنا فاتقون وأنا ربكم فاتقون وترك المعصية نحو قوله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله أى لا تعصوه والاخلاص نحو قوله تعالى فانها من تقوى القلوب والخشية نحو قوله تعالى اعبدوا الله واتقوه أى اخشوه * ولبعضهم

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تقلب عريانا ولو كان كاسيا

وخير لباس المرء طاعة ربه * ولا خير فيمن كان لله عاصيا

(ولابى الدرداء رضى الله عنه)

يود المرء لو يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا

يقول المرء فائدتى ومالى * وتقوى الله أفضل ما استفادا

ودخل شخص غيضة كثيرة الاشجار وقال لو خلوت هنا بمعصية من كان يرانى فسمع هاتفا بصوت ملأ الغيضة ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وراود شخص أعرابية وقال لا يرانى الا الكواكب فقالت له أين مكوكبها (وأتبع) بفتح الهمزة وسكون المثناة فوق وكسر الموحدة ألحق (السيئة) الصادرة منك صغيرة وكذا كبيرة كما اقتضاه ظاهر الخبر والحسنة بالنسبة اليها التوبة منها فلا ملجأ لقصره على الصغيرة كما فعل الشارح الهيتمى الا انه فر من اعتقاد المرجئة من أن كل حسنة تكفر السيئة كبيرة أو صغيرة وأصل سيئة

سيوئة

القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه ظاهر فى ذلك (قوله فى الحديث الثانى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر قلت نعم) فيه معجزة كبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أخبره بما فى نفسه قبل أن يتكلم به وفى رواية أحمد أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أريد أن لا أدع شيأ من البر والاثم الا سألت عنه فقال لى ادن يا وابصة فدنوت حتى مست ركبتى ركبته فقال يا وابصة أخبرك عما جئت تسأل عنه أو تسألنى عنه قلت يا رسول الله اخبرنى قال جئت تسأل عن البر والاثم قلت نعم قال فجمع أصابعه الثلاث فجعل يشبك أصبعته فى صدرى ويقول يا وابصة استفت نفسك الحديث (قوله استفت قلبك) وفى رواية نفسك (البر ما اطمأنت اليه النفس) أى سكنت اليه وفى رواية اليه النفس واطمأن اليه القلب (والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر) أى القلب والجمع بينهما تأكيد (قوله وان افتاك الناس) اى علماؤهم كما فى رواية وان افتاك المفتون بخلافه لانهم انما يعولون على ظواهر الامور دون بواطنها والمراد قد أعطيتك علامة الاثم فاعتبرها فى اجتنابه ولا تقبل ممن أفتاك بمفارقتها

(خاتمة المجلس فى حسن الخلق) قال الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم وقال عليه الصلاة والسلام حسن الخلق يمن وسعادة وسوء الخلق شؤم وندامة * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا فقيل ما أكثر ما يدخل يا رسول الله الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق * وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاث من لم تكن فيه لم ينفعه الايمان أو قال لم يجد طعم الايمان حلم يرد به جهل الجاهل وورع يحجزه عن المحارم وخلق يدارى به الناس * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخلق الحسن زمام من رحمة الله تعالى والزمام بيد ملك والملك يجره الى الخير والخير يجره الى الجنة وان الخلق السيئ زمام من عذاب الله تعالى فى أنف صاحبه

سيوئة فقلبت الواو ياء وأدغمت فى الاخرى (الحسنة) صلاة أو صوما أو صدقة وان قلت أو تسبيحا أو تهليلا أو استغفارا أو غير ذلك (تمحها) أى السيئة المثبتة فى صحف الكاتبين وذلك لان المرض والشئ يعالج بضده كالبياض يزال بالسواد وهو مجزوم بحذف الواو جوابا للامر والمراد باتباعها اياها فعلها بعدها وجعلها تابعة لها أى واقعة بعدها بحيث تقرب منها وهذا مقيد بغير حقوق العباد كالغيبة فانه لا يمحوها الا الاستحلال اذا بلغت من قيلت فيه بعد ثبات وجه المطلوب به ان أمكن والا فقال ينبغى ان يكثر من الاستغفار والدعاء له لحديث اذا اغتاب أحدكم أخاه فليستغفر له فان ذلك كفارة واعلم ان الصغيرة تكفرها التوبة وحدها واجتناب الكبائر امتثالا وان لم تحصل توبة والعبادات وان لم تحصل توبة أيضا وقد ورد ان رجلا يسمى نبهان التمار وكنيته أبو مقبل كان له حانوت يبيع فيه تمرا فجاءته امرأة أجنبية حسناء تشترى منه تمرا فقال لها ان داخل الحانوت ما هو خير من هذا فلما دخلت أصاب منها ما يصيب الرجل من امرأته من الضم والتقبيل غير انه لم يجامعها ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انى أصبت حدا فأقمه على فأعرض عنه فقال له عمر لقد سترك لو سترت نفسك ثم كرر ذلك نبهان مرارا وهو يعرض عنه حتى ذكر له القصة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وضوأ حسنا فتوضأ وصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين * وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يتطهر فيحسن الطهر ثم يعمد الى مسجد من هذه المساجد الا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها خطيئة وروى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله عز وجل أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل ألى هذا قال لجميع أمتى كلهم عظة لمن اتعظ فقال معاذ يا رسول الله هذا له خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى ألممت بذنب عظيم فماذا يكفر عنى فقال ذنبك أعظم أم السموات فقال ذنبى أعظم فقال ذنبك أعظم أم الكرسى فقال ذنبى أعظم فقال ذنبك أعظم أم العرش فقال ذنبى أعظم فقال ذنبك أعظم أم الله أى عفوه قال بل عفو الله أعظم فقال عليه الصلاة والسلام عليك بالجهاد فى سبيل الله تعالى فقال يا رسول الله انى لمن أجبن الناس ولولا أن أهلى تؤنسنى اذا خرجت ليلا ما كنت أفعله قط فقال عليك بالصيام فقال والله يا رسول الله ما أشبع من خبز قط فقال له عليك بالصلاة فى جوف الليل فقال يا رسول الله لولا ان أهلى يوقظونى لصلاة الصبح ما قمت لها فتبسم صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال عليك بكلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين فى الميزان حبيبتين الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ففعل فلا تعجز أيها المسكين اذا أتيت سيئة بقلبك أو لسانك أو جوارحك أن تتبعها حسنة من صلاة أو صدقة وان قلت أو ذكر ولو بالباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فانها أحب الكلام الى الله وحبيب الى

والزمام بيد شيطان والشيطان يجره الى الشر والشر يجره الى النار ❊ وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال من كان فيه أربع خصال بدل الله سيا ـتـه حسنات يوم القيامة الصدق والحياء والشكر وحسن الخلق (وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا (١٦٦) أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله (وحكى) عن شقيق البلخى رحمه الله تعالى انه

كانت له امرأة سيئة الخلق فقيل له لم لا تفارقها وهى تؤذيك بسوء خلقها فقال ان كانت سيئة الخلق فانا حسن الخلق لو فارقتها صرت مثلها ومع ذلك أخاف أن لا يمسكها أحد غيرى لسوء خلقها ومن حسن خلق النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يمزح مع الحسن والحسين رضى الله عنهما فى بيته وكانا يركبان عليه ويقولان له الى هنا الى هنا فاحملنا يا مركبنا فيقول لهما نعم الجمل جملكما ونعم الحمل أنتما وسئل صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل فقال حسن الخلق وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد وان الخلق السئ ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل ❊ وقال وهب بن منبه مثل سئ الخلق كمثل الفخار المكسور لا يرقع ولا يعاد طينا ❊ وقال الحسن رضى الله عنه من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن كثر كلامه كثر سقطه ❊ وقال أنس بن مالك رضى الله عنه ان العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة فى الجنة وهو غير عابد وان العابد ليبلغ أسفل دركة فى جهنم بسوء خلقه ❊ وفى الحديث ان أفضل ما يوضع فى الميزان الخلق الحسن وقيل حسن الاخلاق كنوز الارزاق وقيل جمع الله حسن الخلق فى ثلاث كلمات خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين وقيل سبعة من أخلاق المؤمنين مجالسة الفقراء ومسائلة العلماء ومخالطة الحكماء ومؤانسة الابرار ومجانبة الاشرار ومواظبة العبادات ومكارم الاخلاق ❊ وجاء فى حسن خلقه وتواضعه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم عن أبى سلمة رضى الله عنه أنه قال قلت لابى سعيد الخدرى رضى الله عنه

نام

الرحمن وخفيف على اللسان وثقيل فى الميزان روى عن منصور بن عمار أنه قال كان فتى من الانصار يقال له ثعلبة وكان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه ذات يوم مر بباب رجل من الانصار فاطلع عليه فوجد امرأة تغتسل فكرر النظر اليها بعينيه ثم خاف أن ينزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح خرج هاربا من المدينة استحياء من النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا أتى جبلا بين مكة والمدينة فنزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ان الهارب من أمتك بين الجبال يتعوذ من النار فبعث النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وسلمان الفارسى رضى الله عنهما وأتيا بثعلبة بن عبد الرحمن فخرجا فوجدا راعيا من رعاة المدينة فقال يا عمر لعلك تريد الهارب من جهنم فقال عمر وما علمك بانه هارب من جهنم قال لانه اذا كان نصف الليل خرج علينا من هذا الشعب واضعا يده على أم رأسه وهو يبكى وينادى ليتك قبضت روحى مع الارواح وجسمى مع الاجسام فقال عمر اياه أريد فانطلق بهما حتى اذا كان فى بعض الليل خرج عليهما وهو ينادى بالشكر قبضت روحى مع الارواح وجسمى مع الاجسام فعدا عمر اليه فلما سمع حسه قال الامان الامان متى الخلاص من النار فقال له عمر أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لماذا فقال لا الهم الا انه ذكرك بالامس فبكى وأرسلنى اليك فقال يا عمر لا تدخلنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو يصلى أو بلال يقول قد قامت الصلاة قال أفعل فلما أتى عمر الى المدينة وأتى به المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فلما سمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وأتم صلاته قال يا عمر ويا سلمان ما فعل ثعلبة ابن عبد الرحمن قالا هو ذا يا رسول الله فقال ما الذى غيبك عنى قال ذنبى يا رسول الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم أفلا أعلمك كلمات ان الله يغفر الذنوب بهن والخطايا قال بلى يا رسول الله قال قل اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال ذنبى أعظم يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم بل كلام الله أعظم ثم أمره بالانصراف الى منزله فانصرف فلما ان انصرف مرض ثلاثة أيام وأتى سلمان الفارسى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ثعلبة يجود بنفسه فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ رأسه ووضعه فى حجره فأزاله عن حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجد قال مثل دبيب النمل بين جلدى وعظمى فنزل جبريل فقال يا رسول الله يقول الله لو لقينى بقراب الارض ذنوبا للقيته بقرابها مغفرة فأعلمه النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فصاح صيحة ثم غشى عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسله وكفنه وصلى عليه ثم احتمل الى قبره فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى على أطراف أنامله فقالوا يا رسول الله رأيناك تمشى على أطراف أناملك فقال لم أستطع أن أمشى على الارض من كثرة أجنحة الملائكة وظاهر قوله تمحها أنها تزال حقيقة من الصحيفة وهو المتبادر الى الفهم لان الاصل الحقيقة وجوز بعضهم كونه عبارة عن ترك المؤاخذة مع بقائها فى الصحيفة وهو تجوز يحتاج لدليل وظاهره أيضا أن الحسنة وان كانت بعشر أمثالها لا تمحو الا سيئة واحدة والتضعيف لا يمحو شيأ وليس مرادا بل هى تمحو عشر سيا ـت لما أخرجه الطبرانى عن أبى مالك الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا

ما ترى فيما أحدث الناس من هذا المطعم والمشرب والملبس والمركب قال يا ابن الاخ كل لله واشرب لله والبس لله واركب لله وعالج فى بيتك من الخدمة ما كان يعالج النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته كان يعلف الناضح والبعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع الخادم ويطحن مع الخادمة اذا أعيت (١٦٧) ويشترى الشئ من السوق ولا يمنعه من ذلك الحياء

أن يعلقه بيده وأن يجعله فى ثوبه وينقله الى أهله وكان يصافح الفقير والغنى ويسلم مبتدئا على من استقبله من صغير أو كبير من أسود وأبيض وحر وعبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وأخرى لمخرجه لا يستحى أن يجيب اذا دعى وان كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعى اليه ولو لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء يصبح تسع أهل أبياته ما بهن كسرة خبز ولا شربة سويق هين المؤنة لين الخليقة كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس متواضع من غير ذلة جواد من غير سرف رحيم بكل مسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يتجش قط من شبع ولم يمد يده الى طمع قال أبو سلمة رضى الله عنه فدخلت على عائشة رضى الله عنها فحدثتها بهذا الحديث عن أبى سعيد رضى الله عنه فقالت ما أخطأ حرفا واحدا ولكن قصر فيما أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يملأ قط شبعا ولم يبث شكواه وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى واليسار وكان يصلى جائعا ويتلو له جميع القرآن حتى يصبح ولا يمنعه ذلك عن قيام يومه وصيامه ولو شاء أن يسأل الله تعالى كنوز الارض وثمارها غدوا وعشيا من شرقها الى غربها لفعل وربما أبكى له رحمة لما أرى به من الجوع وأمسح بطنه بيدى وأقول يا حبيبى لو تبلغت من الدنيا ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول لى يا عائشة ان اخوانى من أولى العزم من المرسلين قد صبروا على ما هو أشد من هذا فصبروا بحالهم وقدموا على ربهم فأكرم مثواهم وأجزل ثوابهم فأستحى ان ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب الى من ان ينقص وما

نام ابن آدم قال الملك للشيطان اعطنى صحيفتك فيعطيه اياها فما وجد فى صحيفته من حسنة محا بها عشر سيا ـت من صحيفة الشيطان وكتبهن حسنات وروى وكيع عن ابن مسعود أنه قال وددت انى صولحت أن أعمل كل يوم تسع خطيا ـت وحسنة فأشار الى أن الحسنة تمحو تسع خطيا ـت ويفضل له واحدة من ضعف ثواب الحسنة ثم ان الحسنة والسيئة لهما اطلاقات فتطلق ويراد بها التوحيد والسيئة يراد بها الشرك كما فى قوله تعالى فى النمل من جاء بالحسنة يعنى التوحيد فله خير منها ومن جاء بالسيئة يعنى الشرك فكبت وجوههم فى النار نظير ما فى القصص والانعام وتطلق الحسنة على كثرة المطر والخصب والخير والسيئة على قحط المطر وقلة الخير كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يعنى قحط المطر وقلة النبات يطيروا بموسى ومن معه وقال تعالى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة يعنى المطر وقلة الخير والحسنة كثرة المطر والخصب وقال تعالى وبلوناهم بالحسنات يعنى كثرة المطر والخصب والسيا ـت يعنى قلة المطر والجدب وقال فى الروم وان تصبهم سيئة يعنى قحط المطر بما قدمت أيديهم وتطلق الحسنة على العافية والسيئة على العذاب فى الدنيا كقوله فى الرعد ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة والسيئة العذاب فى الدنيا والحسنة العافية وتطلق الحسنة على العفو وقول المعروف والسيئة على القول القبيح والاذى كقوله تعالى فى القصص ويدرأون بالحسنة السيئة أى يدفعون بالقول المعروف والعفو القول السئ والاذى وتطلق الحسنة على النصر والغنيمة والسيئة على القتل والهزيمة كقوله تعالى فى آل عمران ان تمسسكم حسنة تسؤهم يعنى النصر والغنيمة يوم بدر وان تصبكم سيئة يعنى القتل والهزيمة يوم أحد ❊ (وخالق الناس) ❊ أى عامل الناس ❊ (بخلق) ❊ بضمتين ويسكن ثانيه تخفيفا وهو السجية التى طبع عليها وقد عرفوه بأنه ملكة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير فكر وروية تخرج بالملكة كل عارض غير قار من الاحوال وبصدوره عن النفس ما يصدر عن الجوارح كالكتابة وغيرها من الصنائع وبقيد السهولة ما كان بصعوبة كالصبر على بعض النوائب وكذا ما صدر بفكر فكله لا يسمى خلقا ❊ (حسن) ❊ والخلق الحسن ملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل وفى المفهم الخلق أى من حيث هو أوصاف الانسان التى يعامل بها غيره وهى محمودة ومذمومة فالمحمودة اجمالا أن تكون مع غيرك على نفسك فتنتصف منها ولا تنتصف لها وتفصيلا العفو والحلم والجود والصبر والرحمة ولين الجانب وتحمل الاذى وقول الهيتمى فى شرح الشمائل فى تعريفه ملكة نفسانية ينشأ عنها جميل الافعال وكمال الاحوال تعريف للخلق الحسن فقط وقد قال مجاهد فى تفسير قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما انهم اذا أوذوا صفحوا ووصف عبد الله بن المبارك الخلق الحسن بقوله هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى وسئل سلام بن مطيع عن حسن الخلق فانشأ يقول

تراه اذا ما جئته متهللا ❊ كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وعن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافح رجلا لم ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذى ينزع ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو

من شيء أحب الي اللحوق باخواني يا عائشة قال فما استكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا الا جمعتين حتى قبضه الله سبحانه وتعالى اليه اللهم أمتنا على سنته برحمتك يا أرحم الراحمين آمين * (المجلس الثامن والعشرون في الحديث الثامن والعشرين) * الحمد لله الذي تفرد بالعز والجلال وتوحد بالكبرياء (١٦٨) والكمال وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا نفاد لحكمه ولا زوال وأشهد ان سيدنا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله الذي أكرمه الله بأشرف الخصال صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بالغدو والآصال آمين (عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد فأطيعوه وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم (قوله وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي بعد صلاة الصبح وكان صلى الله عليه وسلم يقع ذلك منه أحيانا لا دائما كما في الصحيحين مخافة سآمتهم وملالهم ولهذا كان ابن مسعود رضي الله عنه يذكر في كل يوم خميس (قوله موعظة) وهي النصح والتذكير بالعواقب (قوله وجلت منها القلوب) أي خافت منها أي من أجلها (قوله وذرفت) بفتح الراء أي سالت (منها العيون) أي دموعها فيه انه ينبغي للعالم أن يعظ أصحابه ويذكرهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم ولا يقتصر لهم على مجرد الاحكام والحدود والرسوم وأنه ينبغي المبالغة في الموعظة لترتعش منها القلوب فيكون أسرع الى الاجابة ولذا كان صلى الله عليه وسلم اذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته واحمرت عيناه وانتفخت أوداجه ولذا قال الله تعالى وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وفي الخبر اذا اشتبكت الأصوات

الذي يصرف ولم ير مقدما ركبتيه بين جليس قط والاحاديث في مدح الخلق الحسن كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وان صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصلاة والصوم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج ومنها قوله عليه الصلاة والسلام خياركم أحسنكم أخلاقا ومنها قوله أفضل ما أعطى المرء الخلق الحسن وعن الحسن أنه قال من أعطى حسن صورة وخلقا حسنا وزوجة صالحة فقد أعطى خيري الدنيا والآخرة وفي الحديث خصلتان لا يكونان في مؤمن سوء الخلق والبخل وعن ابن عباس قال موسى عليه السلام يارب أمهلت فرعون أربعمائة سنة وهو يقول أنا ربكم الاعلى ويكذب آياتك ورسلك فقال الله انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأحببت أن أكافئه وقيل لذي النون المصري من أكثر الناس هما قال أسوأهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وأن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة القائم الصائم وحسن الخلق وان كان جبليا لكن في الحديث رمز الى أنه يمكن اكتسابه والا لم يكن للامر به فائدة كما ورد يا معاذ حسن خلقك مع الناس أي عاملهم بطلاقة وجه وجبر الخواطر وكف الاذى فان ذلك مؤد لاجتماع القلوب وانتظام الاحوال وهو جماع الخير وملاك الامر ثم ان الامر به عام خصصه مستحقه فخرج الكفار والظلمة فأغلظ عليهم (رواه الترمذي) في السير (وقال حديث حسن) فقط (وفي بعض النسخ حسن صحيح) وهو حديث عظيم وقاعدة من قواعد الدين

(الحديث التاسع عشر)

(عن أبي العباس عبد الله بن عباس) بن عبد المطلب ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن خمس عشرة سنة وصححه أحمد وقيل ابن عشر ويؤيد الاول ما صح عنه من قوله في حجة الوداع وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام كان حبر الامة ويسمى البحر لغزارة علمه وصح أنه صلى الله عليه وسلم دعا له بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين وكان عمر وعثمان يدعوانه فيشير عليهما مع أهل بدر حتى قال بعضهم لعمر أتدعو هذا الفتى وفي أبنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم فدعاه يوما ودعاه معهم فسألهم عن هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فقالوا أمر الله نبيه اذا فتح الله عليه أن يستغفر وأن يتوب اليه فقال له ما تقول يا ابن عباس فقال ليس كذلك ولكنه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بحضور أجله فقال اذا جاء نصر الله والفتح أي فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا أي فذلك علامة موتك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال كيف تلومونني عليه بعد ما ترونه وقال له عمر والله انك لأصبح الفتيان وجها وأحسنهم عقلا وأفقههم في كتاب الله عز وجل وقال الحسن كان ابن عباس يقوم على

منبرنا

واختلفت اللغات وأشار الخلق بالاكف الى رب السموات واشتد البكاء وعلا النداء وظهر الحنين واشتد الانين وانهملت العيون بأبلغ العبرات وأخلصوا التوبة من سوء الموبقات اطلع الله جل جلاله فيقول ملائكتي اني أشوق الى دعائهم من الظمآن الى الماء البارد * وقد اتفق لبعض السلف في وعظهم انه كان يموت في مجلسه الواحد (١٦٩) والاثنان كما حكى عن كثير منهم رضي الله عنهم قال بعضهم حضرت مجلس ذي النون المصري رضي الله عنه في فلاة مصر فحسبت من حضر فكان عددهم سبعين ألفا فتكلم في محبة الله تعالى وما يتعلق بالمحبين وصفاتهم فمات في مجلسه أحد عشر نفسا وماج الناس بالصراخ والبكاء ووقع الى الارض خلق كثير مغشيا عليهم ولم يفيقوا ذلك النهار فناداه بعض مريديه يا أبا الفيض أحرقت القلوب بذكر المحبة فتأوه ذو النون تأوها شديدا وشق قميصه نصفين وقال آه آه غلقت رهونهم واستعبرت عيونهم وخالفوا السهاد ففارقوا الرقاد فليلهم طويل ونومهم قليل أحوالهم لا تنفد وهمومهم لا تنفد أمورهم عسيرة ودموعهم غزيرة باكية عيونهم قريحة جفونهم قد عاداهم الزمان وجفاهم الاهل والجيران قد أحرقت المحبة قلوبهم وصفا من الكدر مشربهم لا جرم انهم شربوا بالهنا وبلغوا المنى * وقد حكى أن واعظا كان يعظ الناس فكان يموت في مجلسه الواحد والاثنان والثلاثة وكان بجواره امرأة صالحة من أرباب الاحوال ولها ولد وأخ وكانت تخاف عليهما من الحضور خوفا عليهما وكل يوم تغلق الباب وتخرج ففي بعض الايام خرجت وتركت الباب مفتوحا فخرجا وحضرا مجلسه فماتا مع من مات فلما عادت وجدتهما ميتين في المسجد فقالت وعزة ربي لا يخرج الا كما خرجا فلما فرغ الشيخ وأراد الخروج من المسجد تعرضت له وقالت له هذين البيتين

أصبحت أي ولا تنتهي متى تلحق القوم يا أكوع * ويا حجر السن متى تنقضي تسن الحديد ولا تقطع

فوقعا في قلبه كالسهمان فخر ميتا رحمه الله

منبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران فيفسرهما آية آية وكان عمر اذا ذكره يقول ذاكم فتى الكهول له لسان سؤول وقلب عقول وقال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد وقال مسروق أدركت خمسمائة من الصحابة اذا خالفوا ابن عباس لم يزل يقررهم حتى يرجعون الى قوله قال وكنت اذا رأيته قلت أجمل الناس واذا تكلم قلت أفصح الناس واذا حدث قلت أعلم الناس وقال عمرو بن دينار ما رأيت مجلسا أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس وثبت أنه رأى جبريل مرتين وهذا سبب عماه في آخر عمره فانه ورد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن رآه معه ولم يعرفه فقال له ذاك جبريل أما انك ستفقد بصرك وفي ذلك يقول

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وعنه أنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الانصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم اليوم كثير فقال واعجبا لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون اليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم قال فتركت ذاك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث فانه كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد التراب فيخرج فيراني فيقول يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك هلا أرسلت الي فآتيك فأقول لا أنا أحق أن آتيك فأسألك عن الحديث فعاش ذلك الرجل الانصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول هذا الفتى كان أعقل مني وعن أبي صالح قال لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا يذهب قال فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه فقال ضع لي وضوءا قال فتوضأ وجلس وقال اخرج وقل لهم من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل قال فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء الا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ثم قال اخوانكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن أو تأويله فليدخل قال فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء الا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه أو أكثر ثم قال اخوانكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل فخرجت فقلت لهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء الا أخبرهم به وزادهم مثله ثم قال اخوانكم فخرجوا وقال اخرج وقل من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل قال فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء الا أخبرهم به وزادهم مثله ثم قال اخوانكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء الا أخبرهم به وزادهم عليه قال أبو صالح فما رأيت مثل هذا لاحد من الناس وعن ابن عمر أن رجلا أتاه يسأله عن قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما فقال اذهب الى

عليهم أجمعين (قوله فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع) وذلك لمزيد مبالغته صلى الله عليه وسلم في تخويفهم وتحذيرهم عما
كانوا يألفونه قبل فظنوا ان ذلك لقرب وفاته ومفارقته لهم فان المودع يستقصي مالا يستقصي غيره في القول والفعل كما جاء عنه
صلى الله عليه وسلم انه كان يبالغ في وعظ أصحابه عند موته ويوصيهم (قوله فأوصنا) أي وصية جامعة كافية
لمن تمسك بها فيه استدعاء الوصية
والموعظة من أهلها واغتنام
أوقات أهل الدين والخير قبل وفاتهم
فان أعمار الخيار قصار (قوله قال
أوصيكم بتقوى الله) جمع في
ذلك كل ما يحتاج اليه من أمور
الآخرة اذ التقوى امتثال
الاوامر واجتناب النواهي
وتكاليف الشرع لاتخرج عن
ذلك وقد جعل الله سعادة الدنيا
فانية وسعادة الآخرة باقية
وسعادة الآخرة انما تحصل
بتقوى الله وهي وصية الله تعالى
لجميع الامم كما قال تعالى ولقد
وصينا الذين أوتوا الكتاب من
قبلكم واياكم ان اتقوا الله وللتقوى
ثلاث مراتب * الاولى التوقي
من العذاب المخلد بالتبري من
الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم
كلمة التقوى * والثانية التجنب
عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك
حتى الصغائر عند قوم وهذا التجنب
هو المتعارف بالتقوى في الشرع
وهو المراد بقوله تعالى ولو أن
أهل القرى آمنوا واتقوا وعلى
هذه قول عمر بن عبد العزيز
التقوى ترك ما حرم الله وأداء
ما افترض الله فما رزق الله بعد
ذلك فهو خير الى خير * والثالثة
أن يتنزه عما يشغل سره عن
الحق تعالى وهذه هي التقوى
الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق
تقاته وقال ابن عمر التقوى أن لاترى نفسك خيرا من أحد وقد بين الله تعالى ان التقوى خير لباس فقال ولباس
التقوى ذلك خير وقيل

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تجرد عريانا ولو كان كاسيا
فخير خصال المرء طاعة ربه * ولا خير فيمن كان لله عاصيا

وقيل لبعض الصالحين عند موته أوصنا قال عليكم بآخر آية من سورة النحل ان الله مع الذين اتقوا

ذلك الشيخ فاسأله ثم تعال فاخبرني ما قال فذهب الى ابن عباس فسأله فقال ابن عباس كانت
السموات رتقا لاتمطر وكانت الارض رتقا لاتنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات فرجع
الرجل الى ابن عمر فاخبره فقال ان ابن عباس قد أوتي علما صدق هكذا كانت ثم قال ابن عمر
قد كنت أقول ما تعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن قد علمت أنه أوتي علما
وشتمه رجل فقال له انك لتشتمني وفي ثلاث خصال اني لآتي على الآية من كتاب الله تعالى
فأود أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم واني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه
فافرح به ولعلي لا أقاضي اليه أبدا واني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فافرح
به ومالي به سائمة وكان يقول ما بلغني عن أخ لي مكروه قط الا أنزلته أحد ثلاث منازل ان
كان فوقي عرفت له ذلك من قدره وان كان نظيري تفضلت عليه وان كان دوني لم أحتفل به
هذه سيرتي في نفسي فمن رغب عنها فأرض الله واسعة وعن طاوس أنه قال ما رأيت أحدا
كان أشد تعظيما لحرمات الله تعالى من ابن عباس والله لو أشاء اذ ذكرته أن أبكي لبكيت
وكان ابن عباس يقول لان أعول أهل بيت من المسلمين شهرا أو جمعة أو ما شاء الله أحب
الي من حجة بعد حجة ولطبق بدانق أهديه الى أخ لي في الله أحب الي من دينار أنفقه في سبيل
الله عز وجل وكان يقول أيضا خذ الحكمة ممن سمعت فان الرجل ليتكلم بالحكمة وليس
بحكيم فتكون كالرمية خرجت من غير رام توفي رضي الله عنه بالطائف سنة ثمان وستين في
خلافة ابن الزبير وقيل سنة تسع وقيل سنة سبعين وهو ابن احدى وسبعين سنة وصلى عليه
محمد بن الحنفية وقال اليوم مات رباني هذه الامة ولما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى
دخل في أكفانه فالتمس فلم يوجد فلما سوي عليه سمع قائلا يقول يا أيتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي * ولما بلغ جابر بن عبد الله
وفاته صفق باحدى يديه على الاخرى وقال مات أعلم الناس وأحلم الناس ولقد أصيبت به
هذه الامة مصيبة لاترتق * (قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم) * أي على
بغلة لما نقله الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أهدى كسرى للنبي صلى الله
عليه وسلم بغلة فركبها بحبل من شعر ثم أردفني خلفه وسار بي مليا ثم التفت فقال يا غلام الخ
وفيه جواز الارداف على الدابة ان أطاقته (يوما) أي في النهار دون الليل (فقال يا غلام)
بضم الميم لانه نكرة مقصودة وخاطبه بذلك لان سنه اذ ذاك كان نحو عشر سنين وأصله
من الاغتلام وهو شدة الشبق ويطلق الغلام على الرجل مجازا باسم ما كان عليه كما يقال
للصغير شيخ مجازا ولفظ رواية أحمد يا غلام أو يا غليم على الشك (اني أعلمك كلمات) ذكر له
ذلك قبل ذكر الكلمات ليكون ذلك أوقع في نفسه اذ حصول الشيء بشوق وتنشيط ألذ من
الماء البارد على الظمآن الموصول بعد الطلب أعز من المساق بلا تعب والتعليم تنبيه
النفس بتصور المعاني وربما استعمل في معنى الاعلام لكن الاعلام اختص بما اذا كان
باخبار سريع والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم
وفي رواية مسلم ينفعك الله بهن أو بعلمهن أو بالعمل بمقتضاهن أو بهما وجاء بها بصيغة القلة
ليؤذنه بأنها قليلة اللفظ فيسهل حفظها وأعلمه بعظم خطرها ورفعة محلها بتنوينها تنوين

التعظيم

والذين هم محسنون وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أوصني قال عليك بتقوى الله فانها جماع كل خير وعليك بالجهاد
فانه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله فانه نور لك في الارض وذكر لك في السماء واخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان
وقد ذكرت هذا في غير هذا المجلس ومرادي الفائدة ولو مع التكرار لان الشيء كلما كرر حلا وقد اتفقت الامة
على فضيلة التقوى وطلبها حتى
قال قائلهم

ولاتغش الامع رجال قلوبهم
تحن الى التقوى وترتاح للذكرى

لان العيش الطيب انما يكون
مع الحياة والحياة بزوال الغفلة
وزوالها بدوام اليقظة لما خلق
له (قوله والسمع والطاعة) جمع
بينهما تأكيدا للاعتناء بهذا
المقام وهو من عطف الخاص على
العام (قوله وان تأمر عليكم عبد)
أي على سبيل الفرض والتقدير
اذ العبد لايكون واليا ولكن
الشارع صلى الله عليه وسلم ضرب
المثل تقديرا وان لم يمكن كقوله
من بنى لله مسجدا ولو مفحص قطاة
بنى الله له بيتا في الجنة ولم يمكن ان
يكون مفحص القطاة مسجدا
ولكن الامثال يأتي فيها مثل
هذا ويجوز ان يكون أخبر عن
فساد الزمان حتى يوضع الامر في
غير أهله كالعبد واذا كان فاسمعوا
وأطيعوا تغليبا لاهون الضررين
وهو الصبر على ولاية من لاتجوز
ولايته لئلا يؤدي عدم الطاعة
الى فتنة عمياء صماء لادواء لها
ولاخلاص منها هذا ومن المعلوم
أن السمع والطاعة انما هما في
طاعة الله تعالى كما دلت عليه
الاخبار الكثيرة (قوله وانه من
يعش منكم فسيرى اختلافا
كثيرا) هذا من معجزاته صلى الله
عليه وسلم اذ كان عالما بما يقع
بعده جملة وتفصيلا لما صح أنه كشف له عما يكون الى ان يدخل اهل الجنة والنار منازلهم (قوله فعليكم) أي الزموا حينئذ التمسك
(بسنتي) أي طريقتي القويمة التي أنا عليها من الاحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة (وسنة الخلفاء الراشدين)
المهديين وهم أبو بكر فعمر فعثمان فعلي فالحسن رضي الله عنهم ومن هنا قال بعض العلماء يقدم ما أجمع عليه الاربعة ثم

التعظيم وتأهيله لهذه الوصايا الخطيرة القدر الجامعة من الاحكام والحكم والمعارف ما يفوق
الحصر دليل على أن المصطفى علم ما يؤول اليه أمر ابن عباس من العلم والمعرفة بكمال
الاخلاق والاحوال الباطنة والظاهرة (احفظ الله) أي احفظ دين الله من التضييع
والتبديل بان تحفظ أوامره التي أوجبها ونواهيه التي حرمها فتقف عند أوامره بالامتثال
وعند نواهيه بالاجتناب فلا يراك حيث نهاك فاذا أطعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه
أحاطك بمعقبات له من بين يديك ومن خلفك يحفظونك من أمر الله وحقيقة الحفظ صيانة
المحفوظ من الضياع أو أن يصل اليه أذى (يحفظك) في نفسك وأهلك ومالك ومصداق ذلك
قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة وما يصيب
الانسان من نواكب ونوائب فانما هو بتضييع أوامر الله وتعديه حدوده بشهادة قوله
تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وعبر بقوله يحفظك دون غيره لان الجزاء
من جنس العمل ألا ترى الى قوله تعالى وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وقوله اذكروني أذكركم
وقوله ان تنصروا الله ينصركم فمن حفظ الله بأمره حفظه الله من بين يديه ومن خلفه وعن
يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته وقد رأى ابراهيم ابن أدهم رجلا نائما وعنده حية في
فمها طاقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى استيقظ ومن حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله
في كبره ومنعه بحوله وقوته * وجاوز بعض العلماء كالقاضي الحسن البصري والبغوي
والجويني مائة سنة وهو ممتع بعقله وقوته ووثب الجويني يوما وثبة شديدة فكلم بسببها فقال
هذه جوارح حفظناها من المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر * ونقل عن القاضي
أبي الطيب أنه عاش مائة وستين سنة ولم يختل عضو من أعضائه فقيل له في ذلك فقال
لم أعص الله بعضو منها وقد يتعدى الحفظ الى ذريته كما في قوله تعالى وكان أبوهما صالحا
وكان سعيد بن المسيب يقول لابنه اني لأزيد في صلاتي من أجلك رجاء أن تحفظ ثم يتلو وكان
أبوهما صالحا * وكان عمر بن عبد العزيز يقول ما من مؤمن صالح يموت الا حفظه الله
عز وجل في عقبه وعقب عقبه * وقد يتعدى الحفظ الى جيرانه وأهل ناحيته لقول ابن
المبارك ان الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله وعكس هذا ان
بعض السلف رأى شيخا يسأل الله فقال هذا ضيع الله في صغره فضيعه الله في كبره (احفظ
الله) بمامر (تجده تجاهك) بضم التاء وفتح الهاء أصله وجاهك بضم واوه وكسرها ثم قلبت
تاء وهو في الاصل بمعنى أمامك بفتح الهمزة المصرح به في الرواية الآتية لكنه لاستحالة
الجهة عليه تعالى بمعنى معك حفظا واحاطة وتأييدا واعانة فالمعية معنوية لاظرفية وأنشد
بعضهم

اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا بذكرك هاديا

وهو توكيد لما قبله ومن ثم أورده بلا عاطف لكمال الاتصال بينهما وخص الامام من بين
بقية الجهات الست اشعارا بشرف المقصد وبأن الانسان مسافر الى الآخرة غير قار في
الدنيا والمسافر انما يطلب أمامه لاغير فكأن المعنى تجده حيثما توجهت وقصدت من أمر
الدنيا والدين وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل سفينة مولاه في أمر فنزل في
سفينة فانكسرت بهم السفينة فخرج الى البر فجاءه الاسد فقال أنا مولى رسول الله صلى الله

ما أجمع عليه أبو بكر فعمر وهذا في حق المقلد الصرف في تلك الازمنة القريبة من زمن الصحابة أما في زماننا فقال بعض أئمتنا
لا يجوز تقليد غير الائمة الاربعة الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين (قوله عضوا عليها بالنواجذ) بالمعجمة
جمع ناجذ وهو آخر الاضراس الذي يدل (١٧٣) نباته على الحلم من فوق وأسفل من كل من الجانبين فللانسان أربع
وهذا كناية عن شدة التمسك بالسنة (قوله واياكم ومحدثات الامور) أي باعدوا واحذروا الاخذ بالامور المحدثة في الدين واتباع غير سنن الخلفاء الراشدين (فان ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة) وهي لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق وشرعا ما أحدث على خلاف أمر الشارع ودليله الخاص أو العام فان الحق فيما جاء به الشرع وليس بعد الحق الا الضلال وتنقسم البدعة الى أحكام خمسة * واجبة كالاشتغال بالنحو والصرف ونحوهما * ومحرمة كمذاهب سائر أهل البدعة المخالفة لاهل السنة ومندوبة كاحداث الربط والمدارس * ومكروهة كزخرفة المساجد وتزيين المصاحف * ومباحة كالتوسعة في لذائذ المآكل والمشارب والملابس وتوسيع الاكمام والمصافحة عقب العصر والصبح وقد قدمنا ذلك * وليعلم أن الترمذي روى مرفوعا تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة وروى هو أيضا ليأتين على أمتي كما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين
وسبعين ملة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال هذا
ما أنا عليه وأصحابي وروى مالك في الموطأ مرسلا انه صلى الله عليه وسلم قال تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله
وسنة رسوله فعليكم أيها الاخوان بصحبة أهل السنة والجماعة ولزوم طريقتهم فان ملتم عنها تشتت شملكم وملتم عن طريق الله

عليه وسلم فجعل الاسد يمشي معه حتى دله على الطريق فلما وقفه عليها جعل يهمهم كأنه يودعه * وروى ان ابن عمر كان في سفر فلقي جماعة قد وقفوا على الطريق خوفا من السبع فقال انما يسلط على ابن آدم بما يخاف ولو أنه لم يخف غير الله لم يسلط عليه شيء * وقال المزني قصدت السلام على أبي الخير النيسابوري فلما صلينا المغرب خرجت لا تطهر فقصدني السبع فعدت اليه وأخبرته فخرج وصاح على الاسد وقال له ألم أقل لك لا تتعرض لاضيافي فتنحى عني وتطهرت فلما رجعت قال لي الشيخ اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا الاسد (اذا سألت) أي أردت أن تسأل شيأ (فسأل الله) دون غيره أن يعطيك اياه من فضله فانه الغني على التحقيق والمولى لكل خير وتوفيق وخزائن الجود بيده وأمرها اليه لا معطي ولا مانع سواه وأنشد بعضهم

سلم الامر الى مالكه * فله العلم المحيط الواسع
واطلب المعروف منه دائما * فهو معطي ذاك وهو المانع

وقال طاوس لعطاء اياك أن تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك وعليك بمن بابه مفتوح الى يوم القيامة أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك وقال عامر بن قيس قرأت آيات في كتاب الله فاستغنيت بالله عن الناس قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو فلم أسأل غيره كشف ضري وقوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله فلم أرد الخير والفضل الا منه وقوله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فلم أطلب الرزق من غيره فأغناني الله عن الناس بهذه الآيات وقال الفضيل بن عياض احب الناس الى الناس من استغنى عن الناس وأبغض الناس الى الناس من احتاج الى الناس وسألهم واحب الناس الى الله عز وجل من سأله واستغنى به عن غيره وابغض الناس اليه من استغنى عنه وسأل غيره وقال ابن السماك ان في طلب الرجل الحاجة من أخيه فتنة ان هو أعطاه حمد غير الذي اعطاه وان منعه ذم غير الذي منعه أي لانه لا معطي ولا مانع في الحقيقة الا الله تعالى وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال من استغنى بالله عز وجل أحوج الناس اليه ومن دعاء الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن مسئلة غيرك وكان بعضهم يقع سوطه فلا يسأل احدا يناوله اياه لان السؤال فيه ذل وافتقار وكان بعضهم يقول من احتجت اليه هنت عليه وقال بعض العارفين قيل لي في نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم لا تبدين فاقة لغيري فاضاعفها عليك مكافأة بسوء أدبك انما ابتليتك بالفاقة وحكمت لنفسي بالغنى لتفزع منها الي وتتضرع منها لدي فان وصلتها بي وصلتها بالغنى وان وصلتها بغيري قطعت عنك مواد معونتي وسأل رجل الامام أحمد أن يعظه فقال الامام ان كان الله تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان كان الخلف على الله فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كل شيء بقضاء الله وقدره فالحزن لماذا وقال حاتم الاصم لزوجته لما أراد أن يخرج للغزو كم أعطيك انفقتك فقالت على قدر حياتي قال حاتم ليس

تعالى كما قال تعالى ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله أي طريقه أي فتميل بكم وتفرقكم طريق البدع عن طريق الحق والمراد
بالسنة طريقه صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن تبعهم على طريقهم في العقائد والاعمال والاقوال * وقد روى النسائي والدارمي
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٧٣) خطا ثم قال هذه سبيل الله ثم خط خطوطا عن
يمينه وشماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية * وقال سهل التستري رحمه الله عليكم بالاقتداء بالاثر والسنة فاني أخاف انه سيأتي عن قليل زمان اذا ذكر انسان النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرؤا منه وأذلوه وأهانوه * وقال سهل أيضا انما ظهرت البدعة على يدي أهل السنة لانهم ظاهروهم وقاولوهم فظهرت أقاويلهم وفشت في العامة فسمعها من لم يكن يسمعها ولو تركوهم ولم يكلموهم لمات كل واحد منهم على ما في صدره ولم يظهر منه شيأ وحمله الى قبره فجانبوا يا اخواننا أهل البدعة وفروا منهم فراركم من الاسد واحذروا من مجالسة الغافلين المبتدعين التاركين للسنة ولهم علامات كثيرة من أعظمها عدم الاستواء في الصلاة فصلاتهم معوجة لعدم التساوي في الصف وكثيرة الفرج والخلل وتقدم الرجل وتأخرها وكذا الصدر * ومنها الاستهزاء بعباد الله الصالحين والذاكرين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ومن بدعهم اهمال الذكر والقرآن والاشتغال بالجدال والغيبة والهذيان * وقال سفيان الثوري البدعة أحب
الى ابليس من المعصية لان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها * وقال الفضيل رحمه الله من أحب صاحب بدعة أحبط الله
عمله وأخرج نور الاسلام من قلبه * وفي السنن مرفوعا الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن
أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه وقال سيدي عبد القادر الجيلاني

هذا بيدي قالت أمر الرزق أيضا ليس بيدك ثم بعد ما خرج سألتها عجوز وقالت لها غاب حاتم عنك كم أبقى من النفقة لك فقالت لها حاتم كان مرزوقا والرزاق ما غاب عني (واذ استعنت) أي طلبت الاعانة على أمر من أمور الدنيا والدين ولذا حذف المعمول المؤذن بالعموم (فاستعن بالله) لانه القادر على كل شيء وغيره عاجز عن كل شيء والاستعانة انما تكون بقادر على الاعانة وأما من هو كل عن مولاه لا قدرة له على انفاذ ما يهواه لنفسه فضلا عن غيره فكيف يؤهل للاستعانة به أو يتمسك بسببه ومن كان عاجزا عن النفع والدفع عن نفسه فهو عن غيره أعجز ليت الفعل يهضم نفسه فاستعانة مخلوق بمخلوق كاستعانة مسجون بمسجون فلا تستعن الا بمولاك فهو وليك في أخراك وأولاك كيف تستعين بعبد مع علمك بعجزه فمن لا يستطيع دفع نازلة عن نفسه كيف يدفعها عن غيره من أبناء جنسه فلا تنتصر الا به فهو الولي الناصر ولا تعتصم الا بحبله فانه العزيز القادر وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز لا تستعن بغير الله يكلك الله اليه وما أحسن قول الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لجبريل لما قال له ألك حاجة حين وضع في المنجنيق أما اليك فلا قال سل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وقال بعض العارفين لا تطلب معونة المخلوق فتتوجه عليك الحقوق وقد لا تفي بها وعليك بالافتقار والانكسار والذلة والاضطرار أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال بعضهم لا تكن عبدا الا لمن يقوم بمصالحك يعينك في مآربك وما يقوم بأمورك الا الله فلا تستعن الا به ولا يستعبدك سواه فهو المسخر لك عباده ثم أكد صلى الله عليه وسلم ما تقدم وحث على التوكل والاعتماد على الله تعالى بقوله (واعلم أن الامة) خطاب لابن عباس والمراد العموم وانما أكد الامر بان حث على تيقن أنه لا نفع ولا ضر الا من الله والمراد بالامة هنا جميع الخلق كما صرح به في رواية أحمد وامامدلولها وضعا فالجماعة كقوله تعالى أمة من الناس يسقون وأتباع الانبياء كما تقول نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم والرجل الجامع للخير كقوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا قال الشاعر

وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

والدين والملة كقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على أمة وقول بعضهم * وهل يستوي ذو أمة وكفور * وقال الآخر

كنا على أمة آبائنا * ويقتدي الآخر بالاول

والزمان كقوله تعالى الى أمة معدودة وقوله تعالى وادكر بعد أمة أي بعد حين والقامة كقولك فلان حسن الامة أي القامة والرجل المنفرد بدينه الذي لم يشركه فيه أحد كقوله صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة واحدة والام كهذه أمة زيد أي أم زيد وأما الامة بالكسر فهي النعمة كما قال الجوهري واما الامة بالفتح فهي شجة في الرأس أفضت للدماغ (لو اجتمعت) أنثه باعتبار اللفظ وذكر ما بعده باعتبار المعنى ولفظ لو بمعنى ان اذ المعنى على الاستقبال كما في قوله تعالى لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ونكتة العدول هو أن اجتماعهم على الامداد من المستحيلات بخلاف اتفاقهم

قدس الله سره فى كتاب الغنية فعلى المؤمن اتباع السنة والجماعة فالسنة ماسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والجماعة ما اتفق عليه أصحابه رضى الله عنهم أجمعين فى خلافة الائمة الاربعة الخلفاء الراشدين المهديين رضى الله عنهم أجمعين وان لا يكاثر أهل البدع ولا يدانيهم ولا يسلم عليهم لان (١٧٤) الامام أحمد قال من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام بينكم تحابوا ولا يجالسهم ولا يعزيهم ولا يهنئهم فى الاعياد وأوقات السرور ولا يصلى عليهم اذا ماتوا ولا يترحم عليهم اذا ذكروا بل يباينهم ويعاديهم فى الله عز وجل معتقدا محتسبا بذلك الثواب الجزيل والاجر الكثير * وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من نظر الى صاحب بدعة بغضا له فى الله ملأ قلبه أمنا وايمانا ومن انتهر صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن استحقر صاحب بدعة رفعه الله فى الجنة مائة درجة ومن لقيه بالبشر أو بما يسره فقد استخف بما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أشياء * وقال راويا عن الفضيل واذا علم الله من رجل انه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر له وان قل عمله واذا رأيت مبتدعا فى الطريق فخذ طريقا آخر * وقال صلى الله عليه وسلم من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا يعنى بالصرف الفريضة وبالعدل النافلة وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من اقتدى بى فهو منى ومن رغب عن سنتى فليس منى (خاتمة المجلس) من أعظم سنته صلى الله عليه وسلم طهارة القلوب من الغش والحسد وسائر العيوب وهى من أعظم العبادات والقربات وبها ينال أرفع الدرجات والدليل عليه ما رواه الترمذى انه قال صلى الله عليه وسلم لانس رضى الله عنه يابنى ان قدرت ان تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يابنى وذلك من سنتى ومن أحب سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى يوم القيامة فى الجنة أماتنا الله واياكم على سنته آمين * (المجلس التاسع والعشرون فى الحديث التاسع والعشرين) *

على الايذاء فانه ممكن من غير المعصومين ولذا قيل

الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعله لا يظلم

(على ان ينفعوك بشئ) من خير الدنيا والآخرة (لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله) تعالى (لك) فى الازل (وان اجتمعوا على أن يضروك بشئ) زاد أحمد لم يكتبه الله عليك (لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله) تعالى (عليك) كما يشهد بذلك قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقوله تعالى ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب وبيانه ان أزمة الموجودات بيده منعا واطلاقا فاذا أراد أحد ان يضرك بما لم يكتب عليك دفعه الله تعالى عنك بصرف ذلك الغير عن مراده بعارض من عوارض القدرة الباهرة مانع من الفعل من أصله كمرض أو شغل أو نسيان أو صرف قلب او من تأثيره ككسر قوس ومعارضة سهم وفساد رمى ومن تيقن ذلك لم يشهد نفعه وضره الا منه وما أحسن ما قيل

أفوض الامر الى خالقى * فحسبى الهى ونعم الوكيل
ولا أرجعن الى غيره * فان الاله لكل كفيل

ولا ينافى هذا قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام فاخاف أن يقتلون اننا نخاف أن يفرط لان الانسان مأمور بالفرار من أسباب العطب الى اسباب السلامة وان لم يسلم بدليل خذوا حذركم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقول عمر انما نفر من قدر الله الى قدر الله ولهذا قيل فى المعنى

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

(رفعت الاقلام) أى تركت الكتابة بها لفراغ الامر وانبرامه وتمت كتابة ما كان وما يكون الى يوم القيامة كما جاء فى جامع الترمذى ان أول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال ما أكتب قال اكتب القدر ما كان وما يكون فان قلت فما التوفيق بينه وبين ما اشبهه من قوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله جوهرة أو درة فنظر اليها فذابت وأول ما خلق الله تعالى نورى أو روحى وأول ما خلق الله تعالى اللوح وأول ما خلق الله تعالى العقل وما نقل عن السلف أول ما خلق الله تعالى ملك الموت كروبى فالجواب ما أفاده بعض العارفين من أن الاسماء مختلفة والمسمى واحد وهو الروح المحمدى لانه باعتبار كونه درة صدف الوجود تسمى جوهرة ودرة وباعتبار نورانيته تسمى نورا وباعتبار وفور علمه تسمى عقلا اذ قال له اقبل على الدنيا رحمة للعالمين فأقبل ثم قال له ارجع الى ربك فرجع الى المعراج ثم قال وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أحب الى منك بك اعرف وبك آخذ يعنى عباده من أخذ منك الشريعة وبك أى بشفاعتك أعطى الدرجات العالية وبك أعاقب الكافرين وبك أثيب المؤمنين وباعتبار جريان الامور وفق متابعته والاقتداء به يسمى علما وباعتبار مظهريته للعلوم يسمى لوحا وباعتبار غلبات الصفات الملكية ملكا كروبيا (وجفت) بالجيم أى يبست (الصحف) جمع صحيفة وفيه حذف أى كتابة الصحف أى فرغ من الامر وجفت كتابته لان الصحيفة حين كتابتها لا بد أن تكون رطبة المداد أو بعضه بخلاف ما اذا فرغ منها وهذا من

الحمد لله الذى أحيانا بعد مماتنا وتكفل بارزاقنا وأقواتنا وأمرنا بتوحيده فى جميع أوقاتنا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اله يعلم ما نحن عليه من أسرارنا ونياتنا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه موالينا وسادتنا آمين (عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قلت يارسول الله اخبرنى (١٧٥) بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار قال قد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يارسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يارسول الله فأخذ بلسانه قال كف عليك هذا قلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث أصل عظيم وفى الجامع زيادة على ما ذكره هنا ولفظه عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة وذكر الحديث (قوله أخبرنى الخ) فيه عظيم فصاحته فانه اوجز وأبلغ ومن ثم حمد النبى صلى الله عليه وسلم مسئلته وعجب من فصاحته حيث قال له (لقد سألت عن عظيم) أى عن عمل عظيم (وانه ليسير على من يسره الله عليه) أى بتوفيقه الى القيام بالطاعات وشرح صدره الى السعى فيما يكلفه الله به فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ثم فسر ذلك العمل العظيم بقوله (تعبد الله) أى توحده (لا تشرك به شيأ) أى

أحسن الكنايات وأرشق العبارات فهو كناية عن قدم المقادير فلا تبديل ولا تغيير ولا ينافى هذا قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت لان المحو والاثبات مما جفت به الصحف أيضا كما فى تفسير القاضى لان القضاء قسمان مبرم ومعلق وحكى أن عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضيل وقال له أشكل على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو فى شأن وقد صح أن الصحف جفت بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وأن ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة اذ ذاك وان كان توبة لنا لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم تشاركها فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله كل يوم هو فى شأن فانها شؤن يبديها ولا يبتديها وأما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا وله أن يجازيه على الواحدة ألفا فضلا فقام عبد الله وقبل رأسه ووسع خراجه اه وقال ابن عباس قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى منسوخ بقوله تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم الآية وقيل هى خاصة بقوم موسى وابراهيم لانه وقع حكاية فى صحفهما عليهما الصلاة والسلام بقوله أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى وقيل أريد بالانسان الكافر فله ما سعى اخوه وقيل اللام فى الانسان بمعنى على كقوله تعالى وان أسأتم فلها أى عليها وقوله تعالى ولهم اللعنة أى عليهم وقام رجل الى بعض العلماء وهو على كرسيه للوعظ يقرر تفسير كل يوم هو فى شأن فقال يا هذا ما يفعل ربك الآن فأفحم وبات مهموما فرأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فقال له انه الخضر وانه سيعود فقل له شؤن يبديها ولا يبتديها يخفض أقواما ويرفع آخرين فأصبح مسرورا فأتاه فأعاد السؤال فأجابه بذلك فقال له الخضر صل على من علمك وانصرف مسرعا قيل وأول من كتب العربى وغيره آدم وقيل اسمعيل هو أول من كتب العربى وقيل غيرهما ولم يصح فى ذلك شئ وقول الكلبى أول من وضع الخط نفر من طى فساروا الى مكة فتعلمه منهم جماعة ثم أتوا الى الانبار فتعلمه نفر منهم ثم أتوا الحيرة وعلموه جماعة مردود بأنه لا يوثق بنقله نعم يمكن أن يقال انهم أول من تعلم الخط لا انهم أول من وضعوه (رواه الترمذى) فى جامعه (وقال حسن صحيح) وهو حديث عظيم وأصل كبير فى رعاية حقوق الله والتفويض لامره والتوكل عليه (وفى رواية غير الترمذى) وهو عبد بن حميد فى مسنده والامام أحمد (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك) بفتح الهمزة بالمعنى المقرر فيما قبله فان قيل لم خص الامام دون باقى الجهات الست فالجواب أن الانسان سائر ومسافر الى الآخرة والمسافر انما يطلب أمامه لا غير (تعرف) بتشديد الراء المفتوحة أى تحبب وتقرب (الى الله) بلزوم الطاعات والانفاق فى القربات والشكر على ما أولاك (فى الرخاء) أى سعة الرزق وصحة البدن (يعرفك فى الشدة) بتفريج الهموم والغموم ويجعل لك من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا بما سلف من ذلك التعرف كما وقع للثلاثة الذين خرجوا يرتادون لاهلهم فبينما هم يمشون اذ أصابهم المطر فأووا الى غار فى جبل فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم فقالوا انظروا ماذا عملتم من الاعمال الصالحة فاسألوا الله بها فانه

تأتى بجميع أنواع العبادة على وجه الاخلاص (قوله وتقيم الصلاة الى قوله وتحج البيت) أى تأتى بجميع ذلك ان وجدت أسبابه
وانتفت موانعه بسائر واجباته ثم قال له صلى الله عليه وسلم ألا أدلك على أبواب الخير وفى رواية ابن ماجه الا أدلك على أبواب الجنة
(قوله الصوم جنة) أى الاكثار من نفله (١٧٦) لان فرضه قدمه والجنة بضم الجيم من جن استتر أى هو ستر ووقاية من النار
ومن استيلاء الشهوات والغفلات
وذلك باب ووسيلة الى صفاء
الاحوال ووقوع أفضل الاعمال
على نهاية الكمال لما فى الصوم
من الصبر على ملاذ الشهوات
والمألوفات وقد قال صلى الله عليه
وسلم من صام يوما فى سبيل الله جعل
الله بينه وبين النار خندقا كما بين
السماء والارض وفى روض
الافكار أن رجلا سأل ابن عباس
رضى الله عنهما عن الصيام فقال
ألا أحدثك بحديث كان عندى
من التحف المخزونة ان كنت
تريد صيام داود فانه كان يصوم
يوما ويفطر يوما وان كنت تريد
صيام ولده سليمان فانه كان يصوم
ثلاثة أيام أول الشهر وثلاثة أيام
من وسطه وثلاثة أيام من آخره
وان كنت تريد صيام عيسى
فانه كان يصوم الدهر ويلبس
الشعر وحيثما أدركه الليل صف
قدميه وصلى حتى تطلع الشمس
وان كنت تريد صيام أمه فانها
كانت تصوم يومين وتفطر
يوما وان كنت تريد صيام خير
البرية فانه كان يصوم ايام البيض
من كل شهر ثالث عشره ورابع
عشره وخامس عشره حضرا
وسفرا وسميت بأيام البيض
لان آدم عليه الصلاة والسلام
لما هبط من الجنة الى الارض
اسود جسده من حر الشمس فجاءه
جبريل عليه الصلاة والسلام
وأمره بصوم أيام البيض فابيض
فى اليوم الاول ثلث بدنه وفى الثانى ثلثاه وفى الثالث جميعه قال أبو هريرة رضى الله عنه أوصانى خليلى صلى الله
عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وقال صلى الله عليه وسلم لو ان رجلا صام يوما تطوعا ثم أعطى ملء الارض ذهبا لم يستوف
ثوابه يوم القيامة (نكتة) قال الشبلى رضى الله عنه كنت فى قافلة فطلع علينا العرب فأخذوا القافلة ثم مررت عليهم وهم يأكلون

ينجيكم فقال أحدهم اللهم انك تعلم انه كان لى والدان شيخان كبيران ولى صبية صغار وكنت
أرعى غنما لى فاذا رحت عليهم حلبت بدأت بوالدى فاسقيتهما قبل ولدى وانه نأى بى الشجر
وفى رواية فأصابنى غيث فحبسنى فما أتيت حتى أمسيت فحلبت كما كنت أحلب وجئت
بالحلاب فوجدتهما قد ناما فقمت عند رأسهما أكره ان أوقظهما من نومهما وأكره أن
أبدأ بالصبية وهم يتضاغون أى يصيحون عند قدمى ومحلبى على يدى فلم يزل ذلك دأبى
ودأبهما حتى طلع الفجر فانتبها فسقيتهما فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج
عنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله عنهم فرجة حتى رأوا السماء وقال الثانى اللهم انه كان
لى ابنة عم أحبها أشد ما يحب الرجال النساء فراودتها عن نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار
فسعيت حتى جمعت مائة دينار فأعطيتها لها فلما قعدت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله
تعالى ولا تفتح الخاتم الا بحقه فقمت عنها وهى أحب النساء الى وفى رواية أخرى انه قال
فراودتها عن نفسها فأبت فأصابتها حاجة شديدة فأتتنى فقلت لها حتى تمكنينى من نفسك
فأبت وذهبت ثم رجعت وقد أصابتها شدة وفى رواية أخرى أن زوجها كان مريضا وكان
بينهما أولاد صغار قد أصابهم القحط فأتت له وهو يأبى عليها حتى تمكنه من نفسها فذكرت
ذلك لزوجها فقال مكنيه من نفسك واغنى عيالك فأتته المرة الرابعة فقالت له دونك فلما
قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت من تحته فتركها ودفع لها ما احتاجت اليه
ثم قال فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فانفرج منها فرجة أخرى
وقال الثالث اللهم انك تعلم انى استأجرت عمالا يعملون كل رجل منهم بمدين من طعام الارز
فعملوا فوفيتهم أجورهم فقال رجل كان عملى أفضل منهم فأبيت أن أزيده فغضب
وفى رواية أخرى انه جاء أحد الاجراء فى نصف النهار فعمل فى بقية نهاره مثل ما عمل
غيره فى يومه كله فرأيت أن لا أنقص من أجره شيأ فقال رجل منهم انه جاء
فى نصف النهار وأنا جئت فى أوله فساويت بيننا فى الاجرة فقلت له هل نقصتك من
شرطك فغضب وترك أجره وذهب فوضعت حقه فى جانب من البيت ما شاء الله ولم أزل أنميه له
حتى جمعت له من ذلك ابلا وبقرا وغنما فمر بى بعد حين شيخ ضعيف لا أعرفه فقال ان لى
عندك حقا فذكره حتى عرفته فقلت له اياك أبغى وهذا حقك فعرضته عليه فقال يا عبد الله
لا تسخر بى ان لم تتصدق على فأعطنى حقى قلت والله ما أسخر انه لحقك مالى فيه شئ فدفعت
ذلك اليه جميعا فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما بقى ففرج الله عنهم انتهى
وقوله فافرج بالوصل وضم الراء من الثلاثى وضبطه بعضهم بهمزة وكسر الراء من الرباعى
وعن بكر بن عبد الله المزنى أن قصابا ولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها الى حاجة لهم
فى قرية أخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل وأنا أشد حبا لك منك لى ولكن
أخاف الله فقال أنت تخافيه وأنا لا أخافه فرجع تائبا فأصابه العطش حتى كاد أن يقع عنقه
فاذا هو برسول لبعض أنبياء بنى اسرائيل فأخبره بما حصل له من العطش فقال تعال حتى
ندعو فقال مالى من عمل قال فانا أدعو وأمن أنت قال فدعا الرسول وأمن هو فاظلتهما سحابة
حتى انتهيا الى القرية فأخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة عليه فرجع اليه الرسول وقال

شيأ من طعام القافلة ورأيت كبيرهم صائما فقلت تصوم وتقطع الطريق فقال أجعل للصلح موضعا ثم بعد مدة رأيته فى
الطواف فقال يا شبلى انظر الى الصيام كيف اصلح بينى وبينه وعن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال كنت فى مركب فالريح
طيبة فهتف بنا هاتف سبع مرات يا أهل السفينة قفوا حتى (١٧٧) أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه انه من عطش نفسه لله
فى يوم حار كان حقا على الله ان
يرويه يوم القيامة (قوله والصدقة)
أى فعلها (تطفئ) أى تمحو
(الخطيئة كما يطفئ الماء النار)
وخصت الصدقة بذلك لتعدى
نفعها ولان الخلق عيال الله وهى
احسان اليهم والعادة ان
الاحسان الى عيال شخص
يطفئ غضبه وسبب اطفاء الماء
النار ان بينهما غاية التضاد اذ
هى حارة يابسة وهو بارد رطب
فقد ضادها والضد يقمع الضد
ويعدمه وباطفاء الخطايا ينور
القلب وتصفو الاعمال فلذلك
كانت الصدقة بابا عظيما لغيرها
من الاعمال وقد قدمنا شيأ من
بعض فضائل الصدقة (وهنا
فوائد) قيل كان رجل من قوم
صالح قد آذاهم فقالوا يا نبى الله ادع
الله عليه فقال اذهبوا فقد كفيتموه
وكان يخرج كل يوم يحتطب قال
فخرج يومئذ ومعه رغيفان فأكل
أحدهما وتصدق بالآخر قال
فاحتطب ثم جاء بحطبه سالما فلم
يصبه شئ قال فدعاه صالح وقال
أى شئ صنعت اليوم قال خرجت
ومعى قرصان فتصدقت بأحدهما
وأكلت الآخر فقال صالح عليه
السلام حل حطبك فحله فاذا فيه
ثعبان أسود مثل الجذع عاض على
جذر من الحطب فقال بهذا دفع
عنك يعنى بالصدقة وعن أبى هريرة
رضى الله عنه ان نفرا مروا على
عيسى عليه السلام فقال يموت أحد
(٢٣ - شبرخيتى) هؤلاء اليوم ان شاء الله تعالى فمضوا ثم رجعوا عليه سالمين بالعشى ومعهم حزم حطب فقال ضعوا وقال
للذى قال انه يموت اليوم حل حطبك فحله فاذا فيه حية سوداء فقال ما عملت اليوم قال ما عملت شيأ الا أنه كان معى فى يدى فلقة من
خبز فمر بى مسكين فسألنى فأعطيته بعضها فقال بها دفع عنك وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كان

زعمت أن ليس لك عمل وأنا الذى دعوت وأنت أمنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرنى
ما أمرك فاخبره فقال التائب من الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه وعن أبى ادريس
الاودى أنه قال كان رجلان فى بنى اسرائيل عابدان وكانت جارية يقال لها سوسن عابدة
وكانوا يأتون بستانا فيتقربون فيه فاشتغف بها العابدان وكتم كل واحد ذلك عن صاحبه
واختبأ كل واحد منهما تحت شجرة ينظران اليها فنظر كل واحد منهما صاحبه وهو مختبئ
فسأل كل منهما الآخر عن سبب اختبائه فاظهر كل واحد منهما ما عنده من حب سوسن
واتفقا على أن يراوداها فلما جاءت لتتقرب قالا لها قد عرفت طوع بنى اسرائيل لنا وان لم
تطيعينا قلنا اذا أصبحنا انا أصبنا معها رجلا وان الرجل أفلت فقالت لهما ما كنت لاطيعكما
فاخذاها وأخرجاها وذكرا انهما أصابا معها رجلا فجاء دانيال وهو ابن ثلاثة عشر سنة
فوضعوا له كرسيا فجلس عليه وقال قدموهما الى فجاآ كالمتهزئين وقال اقض بيننا ففرق
بينهما وقال لاحدهما خلف أى شجرة رأيتها قال وراء تفاحة وأحضر الآخر فقال وراء
غيرها واختلفا فنزلت نار من السماء فاحرقتهما ونجت سوسن وعن أبى عبد الله البلخى أن
شابا كان فى بنى اسرائيل لم ير أحسن منه وكان يبيع القفاف فبينما هو ذات يوم يطوف
بقفافه خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بنى اسرائيل فلما رأته رجعت مبادرة فقالت
لابنة الملك يا فلانة انى رأيت شابا بالباب يبيع القفاف لم أر شابا قط أحسن منه قالت لها
ادخليه فخرجت اليه فقالت يا فتى ادخل نشترى منك فدخل فاغلقت دونه الابواب ثم
استقبلته ابنة الملك كاشفة عن وجهها ونحرها فقال لها استترى عافاك الله فراودته عن
نفسه فأبى وقال لها اتقى الله فقالت له ان لم تطأنى والا أخبرت الملك انك دخلت لتراودنى عن
نفسى فأبى ووعظها ثم قال ضعوا الى وضوأ بفتح الواو أى ماء فوضعوه له فى مكان لا يستطيع
أن يفر منه بينه وبين الارض أربعون ذراعا فلما صار فيه ألقى نفسه منه فأهبط الله له ملكا
حتى أخذ بضبعه ووقع قائما على رجليه وكان فى بنى اسرائيل رجل يقال له جريج يصلى جاءته
أمه فدعته فقال أجيبها أو أصلى وتمادى فى صلاته ولم يجبها فقالت اللهم لا تمته حتى تريه
وجوه المومسات أى الزانيات وكان جريج فى صومعته فتعرضت له امرأة فراودته فأبى فأتت
راعيا ومكنته من نفسها فولدت غلاما وقالت من جريج فأتوه فهدموا صومعته وأنزلوه
وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى بالغلام فقال له من أبوك يا غلام وفى رواية يا بابوس بباءين
موحدتين بينهما ألف وهو ولد الزانية فقال الراعى فقالوا دعنا نبنى صومعتك من ذهب فقال
لا الا من طين وعن وهب بن منبه أنه قال بينما امرأة من بنى اسرائيل على ساحل البحر تغسل
ثيابا وصبى لها يدب بين يديها اذ جاء سائل فاعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان أسرع
من أن جاء ذئب فالتقم الصبى فجعلت تعدو خلفه وهى تقول يا ذئب ابنى فبعث الله
اليها ملكا انتزع الصبى من فم الذئب ورمى به اليها وقال لقمة بلقمة وتقدم ذكر قصة عوف
ابن مالك الاشجعى عند قوله فى الحديث السابق اتق الله حيث ما كنت بخلاف فرعون فانه
لما تنكر الى ربه فى حال رخائه لم ينفعه اللجأ عند بلائه بل قال له آلآن وقد عصيت قبل وقيل
يجوز ان يكون على حذف مضاف أى تعرف الى ملائكة الله فى الرخاء بالتزام الطاعات

فمن كان قبلكم رجل يأتى وكر طائر كلما أفرخ يأخذ فرخيه فشكا ذلك الطير الى الله تعالى ما يفعل به فأوحى الله تعالى اليه ان عاد فسأ هلكه فلما أفرخ الطائر خرج ذلك الرجل الى وكره على العادة ليأخذ أولاده فلما كان فى طرف القرية لقيه سائل فأعطاه رغيفا كان معه يتغذاه ثم مضى حتى أتى (١٧٨) الوكر ثم وضع سلمه فأخذ الفرخين وأبواهما ينظران اليه فقالا ربنا انك لا تخلف الميعاد وقد وعدتنا انك تهلك هذا اذا عاد فقد أخذ فرخينا ولم تهلكه فأوحى الله اليهما ألم تعلما انى لا أهلك أحدا تصدق فى يومه بميتة سوء وعن وهب بن منبه قال بينما امرأة من بنى اسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابا وصبى لها يدب بين يديها اذ جاء سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان باسرع من ان جاء ذئب فالتقم الصبى فجعلت تعدو خلفه وهى تقول يا ذئب ابنى فبعث الله ملكا انتزع الصبى من فم الذئب ورمى به اليها وقال لقمة بلقمة وقيل ان قصارا كان فى زمن عيسى عليه السلام يهوش على الناس أقمشتهم فسألوا عيسى عليه السلام ان يدعو عليه فدعا عليه بالهلاك فبينما هم عند غروب الشمس واذا القصار قد دخل ورزمته على رأسه فعجبوا من ذلك وأتوا عيسى عليه السلام فطلبه فحضر برزمته فقال افتح رزمتك ففتحها فاذا فيها ثعبان عظيم مطوق قد الجم بلجام من حديد فقال له عيسى ما صنعت اليوم من الخير قال ما صنعت شيأ الا ان رجلا نزل الى من صومعته فشكا الى جوعا فدفعت له رغيفا كان معى فقال له عيسى عليه السلام ان الله بعث اليك هذا العدو فلما تصدقت أمر الله ملكا فألجمه بهذا اللجام (قوله صلى الله عليه وسلم وصلاة الرجل) انما خصه بالذكر لان السائل كان رجلا أو لان الخير غالبا فى الرجال اذ أكثر أهل النار النساء فالمرأة مثل الرجل فى ذلك (قوله من جوف الليل) أى فى جوف الليل اذ هى فيه مطلقا أفضل منها فى النهار لان الخشوع والتضرع فيه أسهل وأكمل ومن ثم كانت بابا عظيما من أبواب الخير لانه يتوصل بها الى صفاء السر ودوام الشهود

واظهار العبادات يعرفك فى الشدة بواسطة شفاعتهم عنده فى تفريج غمك وكربك والاول أولى لاستغنائه عن التقدير ويؤيد الثانى ماروى أن العبد اذا كان له دعاء فى الرخاء ودعا حال الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت نعرفه واذا لم يكن له دعاء فى حال الرخاء ودعا فى حال الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت لا نعرفه ولذا ورد فى الحديث أن يونس عليه السلام لما دعا فى بطن الحوت قالت الملائكة يارب هذا صوت معروف من بلاد غريبة فقال الله عز وجل أما تعرفون ذلك قالوا ومن هو قال عبدى يونس قالوا عبدك الذى لم يزل يرفع له عمل يتقبل ودعوة مستجابة قال نعم قالوا يا ربنا أفلا ترحم من كان يصنع فى حالة الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الله عز وجل الحوت فطرحه بالعراء (واعلم أن ما أخطأك) أى جاوزك فلم يصل اليك (لم يكن ليصيبك) لانه بان بكونه أخطأك أنه غير مقدر عليك واستعمال الخطأ فيه مجاز لان حقيقته العدول عن الجهة أو الوقوع على خلاف المراد وفيه مبالغة من حيث دخول اللام المؤكدة للنفى على الخبر وتسليط النفى على الكونية وسرايته للخبر (وما أصابك لم يكن) قدر (ليخطئك) اذ لا يصيب الانسان الا ما قدر عليه وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شئ حقيقة وما يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وفيه الحث على التوكل والرضا ونفى الحول والقوة عنه قيل علامة التوكل ثلاث لا يسأل ولا يرد ولا يحبس قيل أول مقام فى التوكل ان يكون العبد بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف أراد اذ لا يكون له حركة ولا تدبير واعلم أن التوكل محله القلب والحركة بالظاهر لا تنافى توكلا وقيل التوكل هو التعلق بالله تعالى فى كل حال وقيل التوكل هو الاستسلام لجريان القضاء والاحكام وقيل هو الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه (واعلم) تنبيه على ان الانسان فى هذه الدار معرض للمحن والبلاء سيما الصلحاء قال الله تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآيات فينبغى للانسان أن يصبر ويحتسب ويرضى بالقضاء والقدر (أن النصر) من الله للعبد أى اعانته له يقال نصر الغيث البلد اذا أعانه على النبات والنصير والناصر فى اللغة المعين والاول منهما أبلغ فى الاعانة من الثانى (مع الصبر) لانه سبب النصر ومن ثم كان الغالب على المنتصر لنفسه عدم النصر ومن صبر ورضى بحكم القضاء كان له التأييد والظفر وعن على رضى الله عنه وكرم وجهه انه قال الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ومن كلام وهب ثلاث من كن فيه أصاب البر سخاوة النفس والصبر على الأذى وطيب الكلام * وقيل الصبر تجرع المرارة من غير تعبيس وقيل هو الوقوف مع الله تعالى بحسن الادب * وقيل هو الاستعانة بالله وقيل الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر فى المحن عنوان الفرج * قيل حبس الشبلى فى المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم فقالوا أحبابك جئنا زائرين فأخذ يرميهم بالحجر فأخذوا يهربون فقال لو كنتم أحبابى لصبرتم على بلائى واعلم ان الصبر يشمل الصبر على العدو الظاهر كالكفار وأهل البدع والفسوق والعدو الباطن كالنفس الامارة والهوى والشيطان لان جهاد ذلك أعظم من جهاد العدو ويدل له ما جاء فى حديث ضعيف أنه صلى الله

والذكر ثم هى فيه بعد النوم أفضل منها فيه قبله وتحصل فضيلة قيامه بصلاة ركعتين لخبر من قام من الليل قد رحلب شاة كتب من قوام الليل واختلفوا فى أفضل أجزائه والذى دلت عليه الاحاديث الصحيحة ما ذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه من أنه ان جزأه نصفين فالنصف الثانى أفضل أو ثلاثا فالثلث الاخير أفضل (١٧٩) أو اسداسا فالسدس الرابع والخامس أفضل وهذا هو الاكمل على الاطلاق لانه الذى واظب عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقيل فيه أفضل الصلاة صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه (قوله ثم تلا) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجاجا على فضل صلاة الليل (تتجافى جنوبهم) أى تتنحى وترتفع (عن المضاجع) أى مواضع الاضطجاع للنوم حتى بلغ يعملون قيل وهذا كناية عن الصلاة بين المغرب والعشاء وقيل عن انتظار العشاء لانهم كانوا يؤخرونها الى نحو ثلث الليل وقيل عن صلاة العشاء والصبح فى جماعة والجمهور على انه كناية عن صلاة النوافل بالليل وهو الذى دل عليه سياق الحديث والآية حيث قال فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الخ فهو دال على انهم أخفوا عملهم فجوزوا بما أخفى لهم من قرة الاعين وانما تم اخفاؤه بالصلاة فى جوف الليل لان المصلى حينئذ ترك نومه ولذاته وآثر ما يرجوه من ربه عليهما فحق له ان يجازى بذلك الجزاء العظيم وفى الصحيحين يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الحديث وقد جاء ان الله تعالى يباهى بقوام الليل فى الظلام الملائكة يقول انظروا الى عبادى قد قاموا فى ظلمة الليل حين لا يراهم أحد غيرى أشهدكم أنى قد أبحتهم دار كرامتى ولا شك ولا خفاء ان الليل محل الخلوة والاختصاص ومجالسة الاحبة ومطية المحبين كما قيل

وما الليل الا للمحب مطية ... وميدان سبق فاستبق تبلغ المنى

وفى رواية لمسلم ان فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمور الدنيا

الله عليه وسلم قال لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قالوا وما الجهاد الاكبر قال مجاهدة العبد هواه (وان الفرج) بفتحتين وهو كشف الغم مع الكرب بمعنى انه يعقبه لا محالة لعدم دوامه * فائدة * من الانس الجليل روى أن مفتاح بيت المقدس كان عند سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام لا يأمن عليه أحدا فقام ليلة ليفتح فتعسر عليه فاستعان بالانس فتعسر عليهم فاستعان بالجن فتعسر عليهم فجلس حزينا كئيبا فظن أن ربه قد منعه فتحه فبينما هو كذلك اذ أقبل شيخ متكئ على عصا له وقد طعن فى السن وكان من جلساء داود عليه الصلاة والسلام فقال له يا نبى الله مالى أراك حزينا فقال جئت لهذا الباب أفتحه فتعسر على فاستعنت بالانس والجن فلم يفتح فقال الشيخ ألا أعلمك كلمات كان أبوك يقولهن عند كربه فيكشف عنه قال بلى قال قل اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت وبك أصبحت وأمسيت ذنوبى بين يديك أستغفرك وأتوب اليك فلما قالها فتح الباب اه وذكر أبو نعيم فى الحلية عن مسعر أن رجلا ركب البحر فكسرت سفينته فوقع فى جزيرة فمكث ثلاثة أيام لم يأكل ولم يشرب فتمثل فقال

اذا شاب الغراب أتيت أهلى * وصار القار كاللبن الحليب

(فاجابه مجيب لم يره فقال)

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

قال فجاءت سفينة فحملته وأصاب خيرا كثيرا * وأخرج ابن عساكر عن محمد بن عمر قال أمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما أحضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير أخرنى الى غد قال ويحك وأى فرج فى تأخير يوم ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج يقول

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من القرآن كل يوم هو فى شأن وأمر باطلاقه وأخرج ابن النجار عن معروف الكرخى من قال ثلاث مرات وكان فى غم فرج الله عنه غمه اللهم احفظ أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم عاف أمة محمد اللهم اصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد * وأخرج البيهقى عن حماد بن سلمة أن عاصم بن اسحق شيخ القراء فى زمانه قال أصابتنى خصاصة فجئت الى بعض اخوانى فأخبرته بأمرى فرأيت فى وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة وصليت ما شاء الله ثم وضعت وجهى على الارض وقلت يا مسبب الاسباب يا فاتح الابواب يا سامع الاصوات يا مجيب الدعوات يا قاضى الحاجات اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك قال فوالله مارفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى فرفعت رأسى فاذا بحدأة طرحت كيسا أحمر فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرا ملفوفا فى قطنة فبعت الجوهر بمال عظيم وفضل الدنانير فاشتريت منها عقارا وحمدت الله على ذلك * وفى الصحيح وغيره ان اعرابية كانت تخدم نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرا ما تقول

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا * على أنه من ظلمة الكفر نجانى

فسألتها عائشة رضى الله تعالى عنها عن ذلك فقالت شهدت عروسا تجلى ودخلت مغتسلا وعليها وشاح فوضعته فجاءت الحدأة فأخذته ففقدوه فاتهمونى به ففتشونى حتى قبلى

فدعوت الله تعالى أن يرينى فجاءت الحدأة بالوشاح فألقته بينهم وفى رواية فرفعت رأسى وقلت ياغياث المستغيثين (وان مع العسر يسرا) لقوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا * وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاءه اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه وتنوين يسرا للتعظيم مبالغة مع ما فى مع من المصاحبة فى معاقبته واتصاله به اتصال المتقاربين واليسر السهولة ومنه اليسار للغنا لانه تسهل به الامور واليد اليسرى لان الامور تسهل بمعاونتها لليمنى فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وما لا يريده تعالى لا يكون ولا يقع اجماعا من أهل السنة فدل على عدم وقوع العسر ضرورة كونه تعالى لم يرده وقوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا دل قطعا على وقوعه فالجواب ان المراد بالعسر فى الآية الاولى العسر فى الاحكام فقط بدليل قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السمحة مع ان صدر الآية يدل على ذلك وهو قوله تعالى ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وأما الآية الثانية فالمراد بالعسر فيها العسر فى الارزاق والاكتساب دون الاحكام وروى الحاكم عن الحسن البصرى مرسلا ان المصطفى صلى الله عليه وسلم قال لن يغلب عسر يسرين أى كما دل عليه قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا لان النكرة المعادة غير الاولى والمعرفة المعادة عين الاولى غالبا فيهما وما أحسن قول القائل

لا تجزعن لعسرة من بعدها * يسران وعد ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها * لله فى اعطافها ألطاف

(وقال الشاعر أيضا)

اذا اشتدت بك البلوى * ففكر فى ألم نشرح
فعسر بين يسرين * اذا فكرته فافرح

قال ابن أبى جمرة كان على رضى الله تعالى عنه اذا كان فى شدة استبشر وفرح واذا كان فى رخاء قلق فقيل له فى ذلك فقال ما من ترحة الا وتتبعها فرحة وما من فرحة الا وتتبعها ترحة ثم تلى الآية وما أحسن حكاية العتبى قال كنت ذات يوم فى بادية وأنا بحالة من الغم فألقى فى روعى بيت من الشعر   أرى الموت لمن أصبح مغموما له أروح
فلما جن الليل سمعت هاتفا فى الهواء يقول

ألا يا أيها المرء الذى الهم به أبرح
وأنشد بيتا لم * يزل فى فكره يسبح
اذا اشتدت بك العسرى * ففكر فى ألم نشرح
فعسر بين يسرين * اذا فكرته فافرح
فان العسر مقرون * بيسرين فلا تبرح

فحفظتها ففرج الهم عنى

(الحديث الموفى عشرين)

(عن

والآخرة الا أعطاه اياه وذلك فى كل ليلة وقيل أوحى الله الى داود عليه السلام كذب من ادعى محبتى اذا جن ايله نام عنى وقيل اذا جن الليل بظلامه يقول الله تعالى ياجبريل حرك أشجار المعاملة فاذا احركها قامت القلوب على باب المحبوب وقيل

ببابك عبد من عبيدك مذنب * كثير الخطايا جاء يسألك العفو
فأزل عليه العفو يامن بفضله

على قوم موسى أزل المن والسلوى وأوحى الله تعالى الى بعض الصديقين ان لى عبادا يحبونى وأحبهم ويشتاقون الى وأشتاق اليهم ويذكرونى وأذكرهم قال يارب ما علامتهم قال يراعون الظلام بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى أوكارها فاذا جنهم الليل يعنى سترهم واختلط الظلام وفرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا الى بانعامى عليهم فمنهم صارخ وباك ومتأوه وشاك ومنهم قائم وقاعد وراكع وساجد فأول ما أعطيهم ثلاث خصال الاولى انى أقذف فى قلوبهم من نورى الثانية لو كانت السموات والارض فى موازينهم لاستقللتها لهم الثالثة أقبل بوجهى الكريم عليهم أفترى من أقبلت عليه بوجهى أيعلم أحد ما أريد ان أعطيه (نكتة) قيل ان الطيور أنكرت على الخفاش طيرانه بالليل وقالوا نور النهار أكمل فقال الليل أنيسى وراحة المشتاقين وقد جمعنا مجلسا عظيما فى قيام الليل فى كتاب تحفة الاخوان (قوله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك برأس الامر) أى العبادة أو الامر الذى سألت عنه (وعموده وذروة) بضم أوله وكسره (سنامه الجهاد) فى أصل الترمذى قلت بلى يارسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فهذا ساقط من نسخة المصنف وكذا وقع له فى الاذكار وهذا ثابت فى بعض النسخ أيضا وذروة الشئ أعلاه والجهاد أعلى أنواع الطاعات من حيث ان به يظهر الاسلام ويعلو على سائر الاديان وليس ذلك لغيره من العبادات فهو أعلى بهذا

(عن أبى مسعود عقبة ابن عمرو) ابن ثعلبة بن أسيرة قال صاحب الاكمال بفتح الهمزة وكسر السين بن عسيرة بفتح العين وكسر السين المهملتين ابن عطية بن خدارة بن عوف بن الحارث ابن الخزرج كذا نسبه الكلبى وابن سعد وتابعهما ابن عبد البر وقال فيما حكاه عن الرشاطى أسيرة ابن عسيرة بضم أولهما وفتح ثانيهما قال ويقال فى أسيرة يسيرة بياء مضمومة ومن قال فيه بالنون فقد صحف وخدارة بخاء مضمومة كما قال ابن عبد البر ويقال أيضا جدارة بجيم مكسورة (الانصارى) الخزرجى (البدرى) نسبة الى بدر نزولا ومسكنا لانه لم يشهد وقعتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاصح الذى قال به الجمهور ولكن الذى ذهب اليه البخارى ومسلم وغيرهما انه شهدها نعم شهد العقبة الثالثة مع السبعين وكان أصغرهم وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد ونزل الكوفة وابتنى بها دارا توفى بالمدينة وقيل بالكوفة سنة احدى أو اثنتين وأربعين قيل فى خلافة على وقيل آخر خلافة معاوية وقيل توفى بعد الستين وقيل سنة احدى وثلاثين والقولان الاخيران ضعيفان روى له مائة حديث وحديثان اتفقا على تسعة وانفرد البخارى بواحد ومسلم بسبعة (قال قال صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس) بالرفع فى جميع الطرق والعائد على ما محذوف والتقدير مما أدركه الناس ويجوز النصب والعائد ضمير الفاعل وأدرك بمعنى بلغ أى مما بلغ الناس ثم ان الجار والمجرور فى قوله مما خبران واسمها قوله الآتى اذا لم تستح الخ أى على تقدير القول أى قولهم اذا لم تستح كما قاله الطيبى وهو غير متعين بل يصح أن تجعل الجملة هى الاسم على ارادة اللفظ أى هذا اللفظ ويجعل الجار هو الاسم فتكون من تبعيضية أى ان بعض ما أدرك وجملة اذا لم تستح هى الخبر (من كلام النبوة الاولى) أى مما اتفقت عليه الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه جاء فى شريعة آدم واتفقت عليه بقيتها فما من نبى من الانبياء الا وندب اليه وحث عليه ولم ينسخ فى شريعة من الشرائع لانه أمر قد علم صوابه وظهر فضله واتفقت عليه العقول وتلقته جميع الامم بالقبول واضافة الكلام الى النبوة للاشعار بأن ذلك من نتائج الوحى وقوله الاولى ليست فى رواية البخارى وان كان ظاهر كلام المؤلف خلافه لانه نسبه كله لرواية البخارى وهى ثابتة فى رواية أحمد وأبى داود وابن ماجه عن الصحابى المذكور (اذا لم تستح) بحذف الياء واثباتها ويكون الجازم حذف الياء الثانية لانه من استحيى والاول من استحى (فاصنع) وفى رواية فافعل والصنع أخص من العمل (ما شئت) الامر للتهديد والتوبيخ أى اذا نزع منك الحياء وكنت لا تستحى من الله ولا تراقبه فاصنع ما شئت أى ما تهواه نفسك من الرذائل فان الله مجازيك عليه ونظيره قوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم من دونه فاذا ارتفع الحياء صنعت النفس ما تهواه وأنشد بعضهم فى هذا المعنى قوله

اذا لم تخش عاقبة الليالى * ولم تستحى فاصنع ما تشاء
فلا والله ما فى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

(وقال آخر)

الاعتبار وان كان فيها ما هو أفضل منه وعلى هذا يحمل قول بعضهم الجهاد لا يقاومه شئ وقد صح انه صلى الله عليه وسلم سئل أى الاعمال أفضل فقال تارة الصلاة لاول وقتها وتارة الجهاد وتارة بر الوالدين ويحمل على اختلاف أحوال السائلين فأجاب كلا بما هو أفضل بالنسبة لحاله وأما الافضل على الاطلاق بعد الشهادتين فهو الصلاة عندنا ففرضها أفضل الفروض ونفلها أفضل النوافل لما صح من قوله صلى الله عليه وسلم الصلاة خير موضوع وفى رواية صحيحة واعلموا ان خير أعمالكم الصلاة (ثم قال له صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بملاك ذلك كله) أى بمقصوده وجماعه أو بما يقوم به وملاك بفتح الميم وكسرها وفيه اشارة الى ان جهاد النفس بقمعها عن الكلام فيما يرديها ويؤذيها أشق عليها من جهاد الكفار وان هذا هو الجهاد الاصغر وذلك هو الجهاد الاكبر اذ منعها هواها من أجل ما اقتناه الانسان ومن أعظم آدابها الصمت وترك الكلام فيما لا يعنى ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا ولما قال له صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك الخ قال (قلت بلى يارسول الله فأخذ صلى الله عليه وسلم بلسانه) أى أمسك لسان نفسه (ثم قال كف عليك) أى عنك (هذا) أى عن الشر قال (قلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به) استفهام استثبات وتعجب واستغراب (فقال ثكلتك) أى فقدتك (أمك وهل يكب) أى يلقى (الناس) أى أكثرهم (فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم) أى ما تكلمت به من الاثم جمع حصيدة بمعنى محصودة شبه ما تكتسبه الالسنة من الكلام بحصائد الزرع بجامع الكسب والجمع وشبه اللسان فى تكلمه بذلك بحد المنجل الذى يحصد به الزرع وفى الصحيح من يضمن لى ما بين لحييه ورجليه أضمن له الجنة وفيه أن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالا يكتب له رضوانه الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يعلم انها تقع حيث تقع فيكتب له بها سخطه الى يوم يلقاه أو قال يهوى بها فى النار

سبعين خريفا وفي الحكمة لسانك أسدك ان أطلقته افترسك وان أمسكته حرسك ولهذا كان أبو بكر رضى الله عنه يمسك لسانه ويقول هذا الذى أوردني المهالك فلما مات رؤى في المنام فقيل له ما الذى أورد لسانك قال قال لا اله الا الله فأوردني الجنة * (خاتمة المجلس) * ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما ظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه فالسنة الامساك عنه لانه قد يجر الكلام المباح الى حرام أو مكروه بل هذا غالب في العادة والسلامة لا يعدلها شئ ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وفيهما عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أى المسلمين أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده وبلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا فقال أحدهما لصاحبه كم وجدت في ابن آدم من العيوب قال هى أكثر من ان تحصى والذى أحصيته منها ثمانية آلاف ووجدت خصلة ان استعملها ستر العيوب كلها قال ماهى قال حفظ اللسان فالصمت سلامة كما قيل

احفظ لسانك أيها الانسان
لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه
كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقيل

جراحات السنان لها التئام
ولا يلتام ما جرح اللسان

* (المجلس الثلاثون في الحديث الثلاثين) *

الحمد لله الذى اذا لطف أعان واذا عطف صان أكرم من شاء ومن شاء أهان وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الحنان المنان وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة الى الانس والجان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما اختلف الجديدان آمين * (عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

أو هو للاباحة أى انظر الى ماتريد أن تفعله فان كان مما لا يستحى من الله ومن الناس في فعله فافعله وان كان مما يستحى من الله ومن الناس في فعله فدعه وعلى هذا مدار الاحكام من حيث ان الفعل اما أن يستحى منه وهو الحرام والمكروه وخلاف الاولى واجتنابها مشروع أو لا يستحى منه وهو الواجب والمندوب والمباح وفعل الاولين مطلوب والثالث جائز وهو بمعنى الخبر كما في قوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار أى صنعت ماشئت لان ترك الحياء يوجب الاستهتار والانهماك في هتك الاستار أو المراد الحث على الحياء والتنويه بفضله أى لما لم يجز صنع ماشئت لم يجز ترك الاستحياء والاول أولى وأظهر والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به وقيل انقباض وخشية يجدها الانسان من نفسه عند ما يطلع منه على قبيح واصطلاحا خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذى الحق وحده أبو القاسم الجنيد بأنه رؤية الآلاء أى النعم ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى حياء وأما الحيا بالقصر فيطلق على المطر وعلى فرج الناقة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال الحياء خير كله لا يأتى الا بخير * وحكى أن رجلا رأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أنت قلت الحيا خير كله بالقصر فقال لا ثم رآه ثانيا فسأله مثل ذلك فقال لا فاخبر بذلك بعض العلماء فقال له الحيا بالقصر فرج الناقة والذى في الحديث بالمد فرآه الثالثة وسأله وقال أنت قلت الحياء خير كله فقال نعم وينبغى أن يراعى فيه القانون الشرعى فان منه ما يذم كالحياء المانع من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع وجود شروطه فان هذا جبن لا حياء ومثله الحياء في العلم المانع من سؤاله عن مهمات المسائل في الدين اذا أشكلت عليه ومن ثم قالت عائشة رضى الله تعالى عنها نعم النساء نساء الانصار لا يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن ولذا جاءت أم سليم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ان الله لا يستحى من الحق هل على المرأة من غسل اذا هى احتلمت قال نعم اذا رأت الماء * وروى البيهقى عن الاصمعى انه قال من لم يتحمل ذل التعليم ساعة بقى في ذل الجهل ابدا وروى أيضا عن عمر قال لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلم العلم لتمارى به ولا ترائى به ولا تباهى به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضى بجهالة * وعن عمر أيضا من رق وجهه رق علمه * وقال على رضى الله عنه من كسى بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه * وقيل لابى سفيان ما أول الحياء قال أن تستحى منه أن يراك حيث نهاك * قيل فما غايته قال أن تستحى منه أن يعلم انك تريد بقلبك سواه * وقال بعض السلف لابنه يا بنى اذا دعتك نفسك الى معصية فارم ببصرك الى السماء واستح ممن فيها وارم ببصرك الى الارض واستح ممن فيها فان لم تفعل فعد نفسك من البهائم وعن أبي أيوب الانصارى رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من سنن المرسلين التعطر والنكاح والسواك والحياء * وكان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها * وروى انه عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء ورد ذلك مرارا قالوا انا لنستحيي والحمد لله فقال ليس ذاك

وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها حديث حسن رواه الدارقطنى وغيره) * اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم قال بعضهم ليس في الاحاديث حديث واحد أجمع بانفراده لاصول الدين وفروعه منه ولهذا قال السمعانى من عمل به فقد حاز الثواب وأمن العقاب (قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى فرض فرائض) أى أوجبها وحتم العمل بها (قوله فلا تضيعوها) أى بالترك أو التهاون فيها حتى يخرج وقتها بل قوموا بها كما فرض عليكم (قوله وحد حدودا) جمع حد وهو لغة الحاجز بين الشيئين وشرعا عقوبة مقدرة من الشارع تزجر عن المعصية أى جعل لكم حواجز وزواجر مقدرة تحجزكم وتزجركم عما لا يرضاه (قوله فلا تعتدوها) أى لا تزيدوا عليها عما أمر به الشرع (قوله وحرم أشياء فلا تنتهكوها) أى لا تتناولوها ولا تقربوها (قوله وسكت عن أشياء رحمة لكم) أى لاجلكم (غير نسيان) أى لها (فلا تبحثوا عنها) لان البحث عنها قد يكون سببا لنزول التشديد فيها بايجاب أو تحريم وقد صح هلك المتنطعون والمتنطع البحاث عما لا يعنيه وقال ابن مسعود اياكم والتنطع اياكم والتعمق ومن البحث عما لا يعنى البحث عن أمور الغيب التى أمرنا بالايمان بها ولم تبين كيفيتها لانه قد يترتب عليها الحيرة والشك ويرتقى الى التكذيب ولهذا قال ابن اسحق لا يجوز التفكر في الخالق ولا في المخلوق بما لم يسمعوه فيه كما يقال في قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده كيف يسبح الجماد لانه تعالى أخبر به فيجعله كيف شاء كما شاء انتهى وفي الصحيحين ما يؤيد حرمة التفكر في الخالق بخبر البخارى يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته وفي مسلم لا يزال الناس يسألون حتى يقال هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فمن وجد شيأ من ذلك فليقل آمنت بالله فتفكروا يا اخوانى في مصنوعات الله ولا تتفكروا في الله فالفكر في المصنوعات من أعظم القربات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا

ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وان تذكر الموت والبلا فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء وما زال يكرر ذلك حتى أبكاهم وقال للذى رآه يعاتب أخاه في الحياء دعه فان الحياء من الايمان وجعل منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم * وعن الفضيل خمسة من علامات الشقاء القسوة في القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة في الدنيا وطول الامل * وقيل في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ان البرهان انها ألقت ثوبا على وجه صنم في زاوية البيت فقال يوسف ما الذى تفعلين قالت أستحيى منه فقال يوسف عليه الصلاة والسلام أنا أولى ان أستحيى من الله * وقيل اذا جلس الرجل ليعظ الخلق ناداه ملكاه عظ نفسك بما تعظ به أخاك والا فاستحيى من سيدك فانه يراك قال الحليمى ويدخل في جملة الحياء من الله تعالى ثم من الناس ستر العورة فقد روى البيهقى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى غنم له وفيها أجير له يرعاها واذا بالاجير متجرد فيها فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كم لك عندنا من أجرك فقال يا رسول الله ألم أحسن الرعاية والولاية قال انى لا أحب أن يكون فيها من لا يستحى من الله عز وجل اذا خلا ودخل محمد بن عبد الرحمن الحمام فرأى بعض اخوانه عريانا فغمض عينيه فقال له العريان مذ كم عميت قال منذ هتك الله سترك وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت مكارم الاخلاق عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا تكون في الاب وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن يريد به السعادة صدق الحديث وصدق البأس واعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم للجار والتذمم للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء اه ومعنى صدق البأس أى الصدق في مقابلة العدو ومعنى التذمم أن يحفظ ذمامه أى حرمته وحقه ويطرح عن نفسه ذم الناس ومن علامات الحياء أن لا يخاف غير الله كما حكى عن بعضهم انه قال خرجنا ليلة فمررنا بأجمة واذا رجل نائم وفرسه عند رأسه ترعى فحركناه وقلنا له ألا تخاف أن تنام في هذا الموضع المسبع المخوف فرفع رأسه وقال أستحى منه أن أخاف غيره ووضع رأسه ونام وروى عن عمر رضى الله عنه انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يبكى فقال ما يبكيك يا رسول الله قال أخبرنى جبريل عليه السلام ان الله يستحيى من عبد يشيب في الاسلام أن يعذبه أفلا يستحى الشيخ من الله تعالى أن يذنب وقد شاب في الاسلام وفي الحديث أيضا انه يؤتى بشيخ يوم القيامة بين يدى الله تعالى فيقال له ما فعلت من الحسنات فيقول يا رب فعلت كذا وكذا والله يعلم أنه كاذب فيأمر الله به الى الجنة فتقول الملائكة يا رب انه كذاب فيقول الله علمت ذلك منه ولكن استحييت منه ان أكذب شيبته (رواه البخارى) في ذكر بنى اسرائيل * تنبيه حكى أن بعضهم وافى البصرة نحو شعبة يسمع منه ويكثر فصادف المجلس قد انقضى وانصرف شعبة الى منزله فجعله السمرف الى أن سأل عن منزل شعبة فأرشد اليه فجاء فوجد الباب مفتوحا فدخل من غير استئذان فوجد شعبة جالسا على البالوعة يبول فقال السلام عليكم رجل غريب قدمت

فى الله فانكم لن تقدروا قدره وقال الحسن تفكر ساعة خير من قيام ليلة وقال ابراهيم بن أدهم الفكرة حج العقل * والفكر على ثلاثة أقسام * الاول الفكر فى المصنوعات والاستدلال بها على الله وهو شأن العلماء * والثانى الفكر فى لطائف صنع الله تعالى وفواضل نعم الله وهو مادة الشكر لله * والثالث الفكر فى الاعمال لتخليصها من الشوائب وهو شأن العابدين قال الفضيل رحمه الله الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك قال تعالى أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون أى أولم ينظروا ويتدبروا ويتفكروا فى عجائب المملكة وبدائع ما فى السموات والارض ويتفكروا فيما خلق الله من شئ فيجدوا فيه دلالة على حكمة الله ويتفكروا فى اقتراب الآجال وانقطاع الآمال فيبادروا الى صالح الاعمال فبأى حديث بعد هذا القرآن يؤمنون فالتفكر فى المصنوعات هو المراد بهذه الآية وأمثالها وأقرب المصنوعات اليك نفسك ففى نظرك فى خلقك وتركيبك وميلك وشهواتك وحواسك كفاية فى الاعتبار قال الله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون المعنى أفلا تعتبرون وتنظرون الى ما فى أنفسكم من بدائع الحكمة واتقان الصنعة ودقائق اللطائف وصنوف العجائب فتستدلون بها على خالقها وعلى كمال قدرته وقد زين الله تعالى الانسان بالاعضاء الظاهرة وجمع الاشياء المتضادة فى المعانى الباطنة وهى الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وهذا من عجيب القدرة التى لا يقدر عليها غيره قال الشاعر

الماء والنار فى ذات قد اجتمعا * والماء والنار كيف الحال ضدان

وقال أهل البصائر الناقدة جعل الله تعالى فى الانسان سر نسخة الوجود كما قيل وسموه العالم الصغير وقيل ما من مخلوق الا وفى الانسان خصلة منه اما صورية أو معنوية وقال أهل النظر ينبغى للانسان أن يكون فيه عشر خصال من أخلاق الطير والبهائم سخاوة الديك وأمانة الحمامة وصمت البازى وحذر

من بلدة بعيدة لتحدثنى بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعظم شعبة ذلك فقال ياهذا دخلت منزلى بغير اذنى وتكلمنى على مثل هذا الحال فقال انى خشيت الفوت فقال تأخر عنى حتى أصلح من شأنى فلم يفعل واستمر فى الالحاح قال وشعبة يخاطبه وذكره فى يده يستبرئ فلما أكثر قال اكتب حدثنا منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش عن أبى مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت ثم قال والله لا أحدثك بعد هذا الحديث ولا حدثت قوما تكون فيهم

* (الحديث الحادى والعشرون) *

(عن أبى عمرو) بالواو لانهم ذكروا ان اسم عمر والمفتوح العين يكتب فى حال الرفع والجر بالواو للفرق بينه وبين عمر المضموم العين ولا تكتب فيه فى النصب لحصول الفرق بالالف وانما جعلت الواو فيه رفعا وجرا لخفته من ثلاثة أشياء فتح أوله وسكون ثانيه وصرفه (وقيل) أبى (عمره) بالهاء (سفيان) بتثليث أوله (ابن عبيد الله) ابن أبى ربيعة وقيل ابن حطيط بن الحارث الثقفى معدود من أهل الطائف وكان عاملا لعمر عليها حين عزل عنه عثمان بن أبى العاصى روى مسلم عنه هذا الحديث فقط (قال قلت يارسول الله قل لى فى الاسلام) أى فى دينه وشريعته (قولا) جامعا لاموره أكتفى به بحيث (لا) احتاج الى ان (أسأل عنه أحدا غيرك) لكونه واضحا فى نفسه مبينا لغيره وفى رواية بدل غيرك بعدك أى بعد سؤالك كقوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده أى من بعد امساكه وقوله فى الرواية الاولى غيرك ملزوم هذا اللفظ فانه اذا لم يسأل بعد سؤاله أحدا يلزم منه أنه لا يسأل غيره ذكره الطيبى (قال قل آمنت بالله) لفظ الترمذى قل ربى الله (ثم استقم) على عمل المأمورات عقدا بالجنان وقولا باللسان وفعلا بالاركان واجتناب المنهيات وهاتان الجملتان منتزعتان من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية والسين فيها سين الموافاة والمطاوعة كما يقال أرضيته فاسترضى وقال ابن فورك هى سين الطلب والمعنى أنهم طلبوا من الله تعالى أن يقيمهم على التوحيد وحفظ الحدود والاستقامة لغة ضد الاعوجاج أى الاستواء فى جهة الانتصاب واصطلاحا قال بعضهم لا يطيقها الا الاكابر لانها الخروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدى الله على حقيقة الصدق وقال البيضاوى اتباع الحق والقيام بالعدل ولزوم المنهج المستقيم وذلك خطب جسيم لا يحصل الا لمن أشرق قلبه بالانوار القدسية وتخلص من الكدورات البشرية والظلمات الانسية الطبيعية وأيده الله من عنده وقليل ماهم اه وقيل ان لا يختار العبد على الله شيأ وقيل هى لزوم طاعة الله تعالى وقيل هى الاخلاص فى الطاعة وقيل هى أن تشهد الوقت الذى أنت فيه قيامة قامت بان تستشعر قيامك بين يدى مولاك فتحسن استقامتك له فى دنياك وقال ابن فورك هى سؤال الله تعالى أن يثبتهم على الدين وقال بعض العارفين هى توبة بلا اصرار وعمل بلا فتور واخلاص بلا التفات ويقين بلا تردد وتفويض بلا تدبير وتوكل بلا وهم وهذا مقام عزيز لا يحكمه الا من تصفى كالابريز وقيل هى المتابعة للسنة المحمدية مع التخلق بالاخلاق المرضية وقيل هى الاتباع مع ترك الابتداع قال بعضهم والاستقامة

اصعب

الغراب وحزن الطاوس وبصيرة الهدهد وانفة الفهد وصدق الفرس وصبر الجمل وود الكلب * ولنختم المجلس بفوائد تتعلق بالتفكر قال بعض العارفين التفكر ينقسم الى قسمين الاول يتعلق بالمعبود والثانى يتعلق بالعبد فاما المتعلق بالعبد فينبغى له أن يتفكر هل هو على معصية أم لا فان رأى زلة من نفسه فله أن يتداركها بالتوبة ثم يتفكر فى نقل الاعضاء عن المعاصى الى الطاعات فيجعل شغل عينيه الاعتبار وشغل لسانه الذكر والاستغفار والتسبيح والتهليل والاذكار وكذلك سائر أعضائه فى الليل والنهار يستعملها فى طاعة الواحد القهار ثم يتفكر فى مبادرة الاوقات بالنوافل طلبا للربح فى دار الارباح فيصلى لله تعالى زيادة عن الفرض ما استطاع وكذلك ينظر فى أمر الصيام كالخميس والاثنين والايام الشريفة التى هى مواسم الخير والطاعات فلا يغفل عنها ثم بعد ذلك ينظر ان وجبت عليه زكاة أخرجها لمستحقها والا فليتصدق ثم بعد ذلك ينظر فى قصر عمره فيتنبه له قبل أن يذهب وهو لا يشعر ثم بعد ذلك يتفكر فى صفات الباطن فيترك الخصال المذمومة كالكبر والعجب والبخل والحسد ويفعل الخصال المحمودة مثل الصدق والاخلاص والصبر والخوف ويتفكر فى زوال الدنيا وفنائها فيتركها لاهلها وفى بقاء الآخرة ودوامها فيطلبها ويعمرها كما قال بعض العارفين لاخوانه زوروا الآخرة بقلوبكم كل يوم وشاهدوا المواقف بأذهانكم وتوسدوا القبور بأفكاركم واعلموا ان ذلك كائن لا محالة وقد قيل

ألا أيها الناسى ليوم رحيله * أراك عن الموت المفرق لاهيا
ولا ترعوى بالظاعنين الى البلى * وقد تركوا الدنيا جميعا كما هيا
ولم يخرجوا الا بقطن وخرقة * وما عمروا من منزل ظل خاليا
وهم فى بطون الارض صرعى بجفاهم * صديق وخل كان قبل موافيا
وأنت غدا أو بعده فى جوارهم * وحيدا فريدا فى المقابر ثاويا
جفاك الذى قد كنت ترجو وداده * ولم تر انسانا لعهدك وافيا
وكن مستعدا للحمام فانه

أصعب المقامات مطلقا وهى كمقام الشكر اذ هو صرف العبد فى كل ذرة ونفس جميع ما أنعم الله به عليه الى ما خلق لاجله من عبادة ربه بما يطيق من جوارحه على الوجه الاقوم ومن ثم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى فاستقم كما أمرت ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه حين قالوا له قد أسرع اليك الشيب شيبتنى هود وأخواتها وأخرج ابن أبى حاتم لما نزلت هذه الآية شمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رئى ضاحكا وقال الشبلى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت له روى عنك يارسول الله أنك قلت شيبتنى هود وأخواتها فما الذى شيبك منها قصص الانبياء وهلاك الامم فقال لا ولكن انما شيبنى منها قوله تعالى فاستقم كما أمرت الخ لان قوله كما أمرت يدل على أن الاستقامة تكون بحسب المعرفة فمن كملت معرفته بربه عظم عنده أمره ونهيه فاذا سمع كما أمرت علم أنه طولب باستقامة تليق بمعرفته لكن قال فى فيض الجود على حديث شيبتنى هود ما نصه عدة السور الواردة فى جملة الروايات ثمانية هود والواقعة والحاقة وسأل سائل والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت والقارعة ولا تعارض بين الروايات لان رواية شيبتنى هود وأخواتها تعم الجميع وتعيين البعض فى بعض الروايات دون بعض يحمل على اسقاط بعض الرواة لذلك البعض لعدم سماعه له أو على أنه صلى الله عليه وسلم عينه لبعض دون بعض فتكون الواقعة متعددة فظهر أيضا أن القول بأن المراد من سورة هود آية فاستقم غير مستقيم لان الاستقامة لم توجد فى جميع السور الواردة فى الطرق الصحيحة ولم يذكر شورى فى رواية من الروايات مع اشتمالها على ما فى هود أى وهو قوله تعالى فادع واستقم كما أمرت وليس للقائل بهذا القول حجة يستند اليها اه وقد يقال ان شورى متأخرة فى النزول عن هذا الاخبار فلا يرد ما ذكر قال أبو على الدقاق الاستقامة لها ثلاثة مدارج أولها التقويم ثم الاقامة ثم الاستقامة فالتقويم يكون من حيث تأدب النفوس لانه عبارة عن اصلاح الجوارح وتعديلها بميزان الخوف والرجاء لتسلم من النهايات وتستقيم على فعل الطاعات والاقامة تكون من حيث تهذيب القلوب أى تطهيرها من الآفات الذميمة والاستقامة من حيث تقريب الاسرار من القلوب بأن تكون أفعال العبد كلها موزونة بميزان الشرع من غير تكلف تقويم ولا اقامة فالمعنى الاول تمحيض والثانى تحقيق والثالث توفيق قال بعضهم وعلامة المستقيم أن يكون مثل الجبل لان للجبل أربعة أوصاف الاول لا يذيبه الحر الثانى لا يضره البرد الثالث لا يحركه الريح الرابع لا يذهب به السيل فكذلك المستقيم اذا أحسن اليه انسان لا يحمله الاحسان أن يميل اليه بغير الحق والثانى اذا أساء عليه شخص لا يتشوش منه بل يتجاوز عنه ويعد ذلك كالعدم والثالث هوى نفسه لا يحركه عن أمر الله والرابع ان متاع الدنيا لا يشغله عن طاعة الله تعالى وقال القشيرى الاستقامة درجة بها كمال الامور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما ضاع سعيه وخاب جده وقال بعضهم انه لا يطيقها الا الاكابر لانها الخروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدى الله على حقيقة

أريب ودع عنك المنى والامانيا وأما التفكر فى المعبود فقد منع الشرع منه كما قدمناه (حكاية) اضطجع كسرى ليلة على فراشه فنظر الى الفلك فتفكر فى هيئته واستدارته فقال أيها الفلك ان بناء أنت سقفه لعظيم وان بيتا أنت غطاؤه لنظيم وان شيأ أنت تظله لكبير وان فيك لعبا للمتعجبين فليت شعرى أعلى عمد من تحتك تتمسك أو بعلائق من فوقك تتعلق ولعمرى ان ملكا أمسكتك قدرته لملك قدروانه فى استدارتك بتقديره لحكيم خبير وان جهل من غفل عن التفكر فى هذه العظمة لغير صغير وليت شعرى كم أفنت هذه النجوم من القرون وكم محبت قبلنا أمما فى سالف العصور وليت شعرى بم طلوعك حين تطلعين وبم مسيرك حين تسيرين وأفولك حين تأفلين وعلام سقوطك حين تغيبين ليت شعرى أساكنة أنت أم تتحركين أم كيف صفتك التى بها تتصفين ولونك الذى به تتوسمين ومن سماك باسمائك التى بها تعرفين فسبحان من لامره تنقادين وبمشيئته تجرين وبصنعته استقامتك حين تستقيمين ورجوعك حين ترجعين واستتارك حين تستترين وبروزك حين تبرزين فيا اخوانى ارجعوا بنا الى مولانا فانه يعلم سرنا ونجوانا وقولوا يالله يالله يالله اغفر لنا ولاهل مجالسنا أجمعين آمين آمين والحمد لله رب العالمين

(المجلس الحادى والثلاثون فى الحديث الحادى والثلاثين)

الحمد لله الذى أنعم على أوليائه بالمحبة وزهدهم فى الدنيا فلم يرغبوا فى مثقال حبة وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف ربه وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل من نصح الخلق ونبيه صلى الله عليه وعلى آله ومن اختصهم بالمحبة *(عن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله دلنى على عمل اذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد جيدة حسنة)*

الصدق ولعزتها أخبر صلى الله عليه وسلم ان الناس لم يطيقوها فقد أخرج أحمد استقيموا ولن تحصوا أى لن تطيقوا الاستقامة ولن تبلغوا كنهها (رواه مسلم) وهو من بديع جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم التى اختص بها فانه صلى الله عليه وسلم جمع للسائل فى هاتين الكلمتين جميع معانى الاسلام لانه توحيد وطاعة فالتوحيد حاصل بالجملة الاولى والطاعة بجميع أنواعها فى ضمن الجملة الثانية اذ الاستقامة امتثال كل مأمور واجتناب كل منهى وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب اللسان لانه ترجمان القلب المعبر عنه ولذا زاد الترمذى فى هذا الحديث قلت يارسول الله ما أخوف ما تخاف على أمتك فأخذ بلسان نفسه وقال هذا وفى مسند أحمد لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وعن أبى سعيد الخدرى مرفوعا اذا أصبح ابن آدم قالت الاعضاء للسان اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا

(الحديث الثانى والعشرون)

(عن أبى عبد الله) وقيل كنيته أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن (جابر بن عبد الله) ابن عمرو بن حرام بمهملتين مفتوحتين بن عمرو بن سواد بتخفيف الواو بن مسيلمة بكسر اللام ويقال ابن حرام بن ثعلبة بن جابر بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة ابن تزيد بالمثناة فوق بن جشم بن الخزرج (الانصارى) السلمى بفتح السين واللام وأمه أنيسة بنية عقبة بن عدى بن سنان أسلمت وبايعت (رضى الله عنهما) فأبوه صحابى شهد العقبة مع السبعين وهو أحد النقباء الاثنى عشر وبدرا وأحدا وقتل يومئذ ولما بلغ ابنه موته أقبل فاذا هو بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم مسجى قال جابر فتناولت الثوب عن وجهه وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهونى كراهية أن أرى ما به من المثلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهانى فلما رفع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازالت الملائكة حافة بأجنحتها حتى رفع ثم لقينى بعد أيام فقال لى أى بنى الا أبشرك ان الله عز وجل أحيا اباك فقال تمن فقال أتمنى يارب ان تعيدنى وتردنى الى الدنيا حتى أقتل مرة أخرى قال انى قضيت أنهم اليها لا يرجعون ولما قتل أى أبوه كان عليه دين وترك حائطا فبذل جابر لغرماء أبيه أصل ماله وهو الحائط فلم يقبلوه ولا رضوا بالامهال ولم يكن فى ثمرها سنين كفاف دينهم فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فأمره بجذها وجعل كل صنف على حدة ثم طاف صلى الله عليه وسلم بها وأمر أن يكيل من كل واحدة منها فوفى الدين وفضل بعده آصع كثيرة وفى رواية وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفى رواية مثل ما أعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وشهد جابر العقبة الثانية مع السبعين قيل وكان أصغرهم واستغفر له المصطفى صلى الله عليه وسلم فى ليلة واحدة سبعا وعشرين مرة وروى انه قال أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانفتل الناس فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا أنا فيهم فأنزل الله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وأراد شهود بدر فخلفه أبوه على اخواته وكن تسعا وخلفه أيضا يوم أحد ثم شهد ما بعد ذلك لكن فى البخارى انه كان ينقل الماء يوم بدر ومات بالمدينة بعد أن ذهب

اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث أحد الاحاديث الاربعة التى عليها مدار الاسلام (قوله ازهد) الزهد لغة الاعراض عن الشئ احتقارا له وشرعا أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن الحل فهو أخص من الورع اذ هو ترك المشتبه وهذا هو زهد العارفين وهو المراد هنا وأعلى منه زهد المقربين وهو الزهد فيما سوى الله من دنيا وجنة وغيرهما اذ ليس لصاحب هذا الزهد مقصد الا الوصول الى الله تعالى والقرب منه ويجب الزهد فى الحرام ويندب فى المشتبه (قوله فى الدنيا) أى باستصغار جملتها واحتقار جميع شأنها لتصغير الله تعالى لها وتحقيره اياها وتحذيره من غرورها وقد فسر العلماء الدنيا بانها ما حواه الليل والنهار وأظلته السماء وأقلته الارض واختلفوا فى المزهود فيه منها فقيل الدينار والدرهم وقيل المطعم والمشرب والملبس والمسكن والاظهر انه كل لذة وشهوة ملائمة للنفس حتى الكلام بين مستمعين له ما لم يقصد به وجه الله تعالى وكان أبو سليمان يقول لا تشهد لاحد بالزهد لانه فى القلب * وقال الفضيل أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل ومن كلام على رضى الله عنه من زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب وقيل الزهد فى الرياسة أشد من الزهد فى الذهب والفضة وقيل لبعض السلف من معه مال هل هو زاهد قال نعم ان لم يفرح بزيادته ولم يحزن بنقصه * وقال سفيان الثورى رحمه الله تعالى الزهد فى الدنيا قصر الامل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء ومن دعائه اللهم زهدنا فى الدنيا ووسع علينا منها ولا تزوها عنا فترغبنا فيها * وقال أحمد رحمه الله هو قصر الامل والاياس عما فى أيدى الناس وفى حديث مرسل يارسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك أفضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من الموتى وقد قسم كثير من السلف الزهد الى ثلاثة اقسام زهد فرض وهو اتقاء الشرك الاكبر ثم الاصغر وهو ان يراد بشئ من العمل قولا أو فعلا غير الله تعالى ثم اتقاء جميع المعاصى وهذا هو الزهد فى الحرام فقط قيل

ذهب بصره سنة ثلاث أو ثمان وسبعين عن أربع وتسعين سنة وصلى عليه أبان بن عثمان ابن عفان وهو يومئذ أميرها يقال انه آخر من مات من الصحابة بها روى له ألف وخمسمائة حديث وأربعون حديثا اتفقا منها على ثمانية وخمسين وانفرد البخارى بستة وعشرين ومسلم بمائة وستة وعشرين (أن رجلا) هو النعمان بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة وآخره لام الخزاعى شهد النعمان بدرا وقتل يوم أحد شهيدا وهو القائل يوم أحد أقسمت عليك رب العزة لا تغيب الشمس حتى أطأ بعرجتى هذه خضراء الجنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان النعمان ظن بالله عز وجل خيرا فوجده عند ظنه فلقد رأيته يطأ فى خضرائها ما به عرج (سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت) بهمزة الاستفهام أدخلت على رأيت وهى بمعنى ترى أى تفتى بأنى (اذا صليت المكتوبات) الصلوات الخمس من كتب بمعنى فرض واتفق أن الشبلى جاءه رجل وقال ياسيدى أنا محب مهجور فقال له الشبلى الزم باب الحبيب فمضى الرجل ولزم المسجد فكان يصلى الليل كله فاذا صلى الفجر عفر وجهه بالتراب وقال الهى المحروم يطلب الوصال قال فما كان بعد أيام حتى سمع من جانب المسجد ياهذا قد غفرنا لك وأوصلناك (وصمت) شهر (رمضان) وهو على أربعة أقسام صوم عوام العوام وهو الكف عن المفطرات سواء جعل الكف عن المحرمات أم لا وصوم العوام وهو الكف عن المفطرات والمحرمات وصوم الخواص وهو الكف عن المفطرات والمحرمات والشبهات واللذات وصوم خواص الخواص وهو الكف عما سوى الله وأنشد بعضهم

صمت عن غيره فلما تجلى * كان لى شاغلا عن الافطار
وتشوقت مرة ثم لما * زارنى جل عن مدا الانظار

(وأحللت الحلال) أى اعتقدت حله وفعلت واجبه بقرينة السياق (وحرمت الحرام) أى اجتنبته والظاهر كما قال ابن الصلاح انه قصد به اعتقاد حرمته وان لا يفعله بخلاف تحليل الحلال فانه يكفى فيه مجرد اعتقاد كونه حلالا وان لم يفعله اه ويوجه بانا لسنا مكلفين بفعل الحلال من حيث ذاته بل لمصالح ترتب على فعله فلم يكن فعله شرطا فى دخول الجنة بخلاف الحرام فانا مكلفون باجتنابه وباعتقاد حرمته لذاته (ولم أزد على ذلك شيأ) من الطاعات المندوبة ولم يذكر الزكاة والحج اما لعدم فرضهما حينئذ واما لكونه لم يخاطب بهما لفقد النصاب والاستطاعة واما لان قوله وحرمت الحرام يتناوله لان ترك الفريضة من جملة المحرمات (أدخل الجنة) همزة الاستفهام فيه مقدرة والمراد من غير عقاب كما هو ظاهر السياق لان مطلق دخولها انما يتوقف على التوحيد قال المؤلف مذهب أهل الحق من السلف والخلف ان من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال كيفما كان فان كان سالما من المعاصى كطفل ومجنون اتصل جنونه بالبلوغ وتائب توبة صحيحة وموفق ما ألم بمعصية قط فانهم يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلا لكنهم يردونها على الخلاف فى الورود والصحيح أن المراد به المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم وأما من عمل كبيرة ومات بغير توبة فهو فى المشيئة ان شاء جعله كالقسم الاول وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة ولا يخلد فى النار احد مات موحدا ولو عمل جميع المعاصى كما أنه لا يدخل الجنة

ويسمى هذا زهدا وعليه الزهرى وابن عيينه وغيرهما وقيل لايسماه الا ان انضم الى ذلك الزهد بنوعيه الاخرين وهما ترك الشبهات
رأسا وفضول الحلال ومن ثم قال بعضهم لا زهد اليوم لفقد الحلال المحض وقد جمع أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى أنواع الزهد
كلها فى كلمة فقال هو ترك ما يشغلك عن الله عز وجل واعلم واخوانى ان الذم الوارد فى الدنيا فى الكتاب
والسنة ليس راجعا لزمانها وهو
الليل والنهار فان الله تعالى جعلهما
خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد
شكورا ولا لمكانها وهو الارض
لان الله تعالى جعلها للناس مهادا ولا
الى ما أودعه الله تعالى فيها من
الجمادات والحيوانات لان ذلك
من نعمه على عباده وقال تعالى
هو الذى خلق لكم ما فى الارض
جميعا وانما هو للاشتغال بما فيها
عما خلقنا لاجله من عبادته
تعالى قال تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون ثم من بنى
آدم من انكر المعاد وهؤلاء
هم أهل التمتع بالدنيا على أن منهم
من كان يأمر بالزهد فيها ويرى
ان كثرتها توجب الهم والغم ولذا
قال أصحابنا لا يكفى الخطيب من
الوصية بالتقوى ذم الدنيا لان
ذمها معلوم لكل أحد حتى لمنكرى
المعاد وبقيتهم يقرون بالمعاد
ولكنهم منقسمون الى ظالم لنفسه
ومقتصد وسابق بالخيرات فالاول
وهم الاكثرون هم الذين وقفوا
مع زهرة الدنيا بأخذها من غير
وجهها واستعمالها فى غير وجهها
فصارت أكبر همهم وهؤلاء هم
أهل اللهو واللعب والزينة
والتفاخر والتكاثر وكل هؤلاء
لا يعرفون المقصود منها ولا انها
منزل سفر يتزود منها الى دار
الاقامة وان آمن به مجملا والثانى
أخذها من وجهها لكنه توسع فى
مباحاتها وتلذذ بشهواتها المباحة
وهو وان لم يعاقب عليه لكنه ينقص من درجاته بقدر توسعه فى الدنيا وصح عن ابن عمر لا يصيب أحد من الدنيا شيأ
الا نقص من درجاته فى الآخرة وان كان عليه كريما وقد روى الترمذى أن الله اذا أحب عبدا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمى سقيمه
الماء وروى الحاكم أن الله ليحمى عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه وروى مسلم الدنيا

أحد مات كافرا ولو عمل من أعمال البر ما عمل هذا مذهب أهل الحق الذى تظاهرت أدلة
الكتاب والسنة واجماع من يعتد به عليه (قال نعم) تدخلها كذلك وظاهر الحديث يقتضى
ان الاعمال الصالحة أسباب لدخول الجنة لان تعليق الحكم على الوصف يشعر بالعلية وقد
ثبت فى الصحيح انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لن ينجى أحدا منكم عمله قالوا ولا أنت
يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته فالجواب ان دخول الجنة بمحض فضل
الله تعالى ليس الا وأما اختلاف مراتبها فبحسب العمل لكن لا بد للعبد أن يستند افضله
وهذا الحديث يدل على جواز ترك التطوعات فى الجملة لكن من تركها ولم يعمل شيأ منها
فقد فوت على نفسه ربحا عظيما وثوابا جسيما ومن داوم على ترك شئ من السنن كان
ذلك نقصا فى دينه وان قصد بتركها الاستخفاف بها والرغبة عنها كفر وانما ترك النبى
صلى الله عليه وسلم تنبيهه عليها تيسيرا وتسهيلا عليه وتأليفا له لقرب عهده بالاسلام
وخشية من نفرته لو أكثر عليه مع العلم بانه اذا تمكن الاسلام من قلبه شرح الله صدره ورغب
فيما رغبت فيه بقية الصحابة من محافظتهم على التطوعات كمحافظتهم على الفرائض اغتناما
لما جاء من تعظيم ثوابها (رواه مسلم) فى كتاب الايمان (ومعنى) قوله (حرمت الحرام
اجتنبته) أى تركته (ومعنى احللت الحلال فعلته معتقدا حله) فيه نظر يعلم من كلام
ابن الصلاح المتقدم ولو قال اعتقدت حله لكان أولى لان كل حلال لا يلزم فعله وأوله المؤلف
لامتناع ابقائه على ظاهره لان النعمان ليس له تحليل ولا تحريم وانما ذلك للشارع فهو
مجاز من باب اطلاق الملزوم وارادة اللازم (والله أعلم) بالصواب

(الحديث الثالث والعشرون)

(عن أبى مالك) وقيل اسمه عبيد والمشهور ان اسمه كعب (ابن عاصم) وقيل عامر وقيل عمرو
(رضى الله عنه) مات فى طاعون عمواس فى خلافة عمر بن الخطاب وطعن هو ومعاذ وأبو
عبيدة وشرحبيل بن عتبة فى يوم واحد (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور)
بالفتح اسم للماء الذى يتطهر به كسحور وفطور ووقود لما يتسحر أو يفطر أو يوقد به وبالضم
للفعل وهو المراد هنا اذ لا دخل لغيره فى الشطرية الآتية الا بتكلف بأن يقال استعمال
الطهور الخ وزعم أن الرواية بالفتح لا الضم مردود لان الضم هو المختار وقول الاكثرين
اذ المراد الفعل كما قال المؤلف وغاية ما فيه انهم جوزوا الفتح ثم ان الطهور عند مالك ما يتكرر
منه الطهارة كالصبور فجوز الطهارة بالماء المستعمل وعند الشافعى هو الماء الطاهر فى
نفسه المطهر لغيره ماء كان أو ترابا وقال أبو حنيفة انه الطاهر فجوز ازالة النجاسات بالمائعات
(شطر) بتقديم الشين المعجمة على الطاء أى نصف (الايمان) الكامل بالمعنى الاعم المركب
من التصديق والاقرار والعمل وان كان ذا خصال كثيرة وأحكام متعددة الا أنها منحصرة
فيما يطلب التنزه عنه وهو كل منهى عنه وما يطلب التلبس به وهو كل مأمور به وقيل المراد
بالايمان الصلاة كقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم الى بيت المقدس
وأطلق الايمان عليها لانها أعظم آثاره وأشرف نتائجه وانما جعل الطهور شطرها لان
صحتها باجتماع أمرين الاركان والشروط وأظهر الشروط وأقواها الطهارة فجعلت كأنها

الشروط

سجن المؤمن أى بالنسبة لما أمامه من النعيم الاخروى وجنة الكافر أى بالنسبة لما أمامه من العذاب الدائم الاليم المقيم والثالث
هم الذين فهموا المراد من الدنيا وان الله سبحانه وتعالى انما أسكن عباده فيها وأظهر لهم لذاتها ومضراتها ليبلوهم أيهم أحسن عملا
كما نص على ذلك فى غير آية قال بعض السلف ممن زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة ولما بين تعالى أنه جعل ما على
الارض زينة لها ليبلوهم أيهم
أحسن عملا بين انقطاع ذلك
ونفاده بقوله وانا لجاعلون ما عليها
صعيدا جرزا فمن فهم أن هذا هو
مآلها جعل همه التزود منها
لدار القرار واكتفى من الدنيا
بما يكتفى به المسافر فى سفره
وكان صلى الله عليه وسلم يقول
مالى وللدنيا انما مثلى ومثل
الدنيا كمثل راكب قال فى ظل
شجرة ثم راح وتركها ثم من أهل
هذا القسم من اقتصر من الدنيا
على سد رمقه فقط وهو حال
كثير من الزهاد ومنهم من فسح
لنفسه أحيانا فى تناول بعض
مباحاتها لتقوى النفس به وتنشط
للعمل ومنه خبر أحمد والنسائى
حبب الى من دنياكم النساء
والطيب وقرة عينى فى الصلاة
وخبر أحمد عن عائشة رضى الله عنها
قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحب من الدنيا النساء
والطيب والطعام فأصاب من
النساء والطيب ولم يصب من
الطعام وتناول الشهوات المباحة
بقصد التقوى على الطاعة
يصيرها طاعات فلا يكون من
الدنيا ولذا صح على ما قاله الحاكم
انه صلى الله عليه وسلم قال نعمت
الدار لمن تزود منها لآخرته حتى
يرضى ربه وبئست الدار لمن
صدفه بها عن آخرته وقصرت به عن
رضا ربه واذا قال العبد قبح الله
الدنيا قالت الدنيا قبح الله أعصانا لربه وليعلم ان الحامل على الزهد أشياء منها استحضاره الآخرة ووقوفه بين يدى مولاه فحينئذ
يغلب شيطانه وهواه ويعزب نفسه عن لذات الدنيا ونعيمها وشاهده ان حارثة رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم أصبحت
مؤمنا حقا قال له ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال صرفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها ومدرها وكأنى أنظر

الشروط كلها ونوزع بان فيه تجوزا فى قصر الايمان على الصلاة واخراج الشطر عن حقيقته
الى معنى المماثل له وهو الشرط والمجاز لابد له من قرينة وأما حمل المصنف الطهور على
معناه الشرعى وهو الوضوء فنظر فيه من وجهين أحدهما أنه لا يتضح حينئذ معنى الشطرية
الا بادعاء انه ينتهى تضعيف الاجر فيه الى نصف الايمان وهذا وان قيل به الا انه يحتاج الى
دليل ثانيهما ان الطهور لا ينحصر فى الوضوء بل يعم الغسل والتيمم والطهارة من الخبث
وليس واحد من هذين النظرين فى محله كيف ورواية ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه اسباغ
الوضوء شطر الايمان والمراد انما هو رواية الترمذى والوضوء شطر الايمان وحينئذ فيقال
يحتمل أن معناه انه تمام الشطر لا أنه كل الشطر والمراد بالوضوء فيه معناه اللغوى وهو يرجع
لمعنى الطهارة الذى قررناه أولا لكن يعكر عليه رواية اسباغ الوضوء فانها نص فى أن المراد
الوضوء الشرعى فيحمل الطهور على الوضوء والوضوء على معناه الشرعى والشطر على مطلق
الجزء اتضح هذا المقام وزال الاشكال وأما قول من قال ان الايمان يطهر نجاسة الباطن
والوضوء يطهر نجاسة الظاهر منه ففيه بحث لانه حينئذ ليس شطر الايمان بل هو مماثل
له فى التطهير *تنبيه* خص الله الاعضاء بالوضوء قيل لان آدم صلى الله عليه وعلى نبينا
وسلم توجه الى الشجرة بالوجه ومشى اليها بالرجل ووضع يده على رأسه فأمره الله بغسلها
تكفيرا لخطاياه ثم ان الطهور ورد فى القرآن لمعان الاول الطهور من الشرك كقوله تعالى
فى البقرة وطهر بيتى للطائفين أى من الاوثان فلا تدع حوله وثنا يعبد من دون الله وقال
تعالى فى المفصل فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة يعنى من الشرك والكفر والثانى طهور
القلب من الريبة كقوله تعالى ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون وقال فى
فى الاحزاب واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن
أى من الريبة الثالث الطهور بمعنى الحل كقوله تعالى فى هود هؤلاء بناتى هن أطهر لكم
يعنى أحل لكم والرابع الطهور من الذنب كقوله تعالى فى براءة خذ من أموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها أى من الذنوب الخامس الطهور من الحيض كقوله تعالى فى البقرة
لهم فيها أزواج مطهرة أى من الحيض السادس التنزه عن اتيان الرجال فى الادبار كقوله
تعالى فى الاعراف أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون أى يتناهون عن
اتيان الرجال فى أدبارهم السابع الطهور من جميع الاحداث كقوله تعالى فى الانفال
وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعنى من الاحداث والجنابة الثامن الاغتسال
كقوله تعالى فى البقرة ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن أى اغتسلن التاسع بمعنى
الاستنجاء كقوله تعالى فى براءة فيه رجال يحبون أن يتطهروا يعنى يغسلوا أثر البول والغائط
(والحمد لله) يحتمل هذا اللفظ وحده لانه أفضل صيغ الحمد كما دل عليه الكتاب والسنة
ويحتمل هذا اللفظ وكلما اشتق منه كحمدت الله وليس المراد به الفاتحة بكمالها خلافا لمن زعمه
(تملأ) بمثناة فوقية أو تحتية والاول أرجح ولفظ ابن ماجه ملء (الميزان) أى ثواب التلفظ
بها مع استحضار معناها والاذعان له يملأ كفة الميزان التى هى مثل طباق السموات
والارض وفيه كالآيات والاحاديث الشهيرة اثبات الميزان ذى الكفتين واللسان ووزن

الاعمال بها بعد أن تجسم وتكون الحسنات جواهر بيضا مشرقة والسيئات جواهر سوداء مظلمة أو توزن صحائفها المشتملة عليها وميزان مفعال من الوزن وأصله موزان قلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها كميقات وميعاد لانهما من الوقت والوعد قيل ولكل انسان ميزان لظاهر قوله تعالى ونضع الموازين والاصح أنه ليس الا ميزان واحد خلافا لمن قال لكل أمة ميزان ولكل انسان ميزان والجمع اما باعتبار الموزونات أو لكونه ذا أجزاء على حد قوله شابت مفارقه مع أنه ليس للانسان الا مفرق واحد وجمل ذو عثانين مع أنه ليس له الا عثنون واحد وهو شعيرات طوال تحت حنكه لكنهم سموا كل محل من المفرق مفرقا وكل محل من العثنون عثنونا أو لتعظيم شأنه وتفخيمه أو لان كل واحد يتلون له الميزان بصورة ما كان العبد عليه فى دار الدنيا والكافر كالمؤمن فى وزن الاعمال لكن يؤتى باعماله فى أقبح صورة وقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أى نافعا أو قدرا فان قيل اذا وزنت الاعمال ورجحت أو خفت ماذا يفعل بها بعد ذلك فالجواب أن من سعد وضعت اعماله الصالحة على باب داره فى الجنة فيكون ذلك زيادة فى نعيمه وان كان خاسرا وضعت على باب داره فى النار ليكون ذلك زيادة فى عذابه * تنبيه * قال بعض الشافعية أفضل المحامد أن يقال الحمد لله حمدا يوافى نعمه ويكافئ مزيده واحتج على ذلك بما فى بعض الاخبار أن الله تعالى لما أهبط آدم عليه الصلاة والسلام الى الارض قال يارب علمنى المكاسب وعلمنى كلمة تجمع لى فيها المحامد فاوحى الله تعالى اليه أن قل ثلاث مرات عند كل صباح ومساء الحمد لله حمدا يوافى نعمك ويكافئ مزيدك فقد جمعت لك فيها جميع المحامد وقيل أفضل المحامد أن يقال الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها ومالم أعلم زاد بعضهم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم ومالم أعلم واحتج له بما روى أن رجلا قال هذه الكلمات بعرفات فلما كان من العام المقبل حج وأراد أن يقولها فسمع قائلا يقول يا عبد الله أتعبت الحفظة فانهم يكتبون ثواب هذه الكلمة من العام الماضى الى الآن وينبنى على ذلك مسئلة فقهية وهى من حلف بالطلاق ليحمدن الله بافضل المحامد فقال كل فريق لا يبرا الا بما قاله من تلك المحامد وقيل لا يبر حتى يقول اللهم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقيل لا يبر حتى يقول ليس كمثله شئ (وسبحان الله والحمد لله تملآن) بالفوقية باعتبار أنهما جملتان أو بالتحتية باعتبار انهما لفظان أو ذكران أو نوعان (أو) شك من الراوى (تملأ) بالفوقية أى هذه الكلمة لانهما يطلق عليهما كلمة لغة كما يقال فى الخطبة والرسالة والقصيدة كلمة وبالتحتية أى هذا اللفظ أو هذا الذكر (ما بين السموات والارض) وذلك لان الحمد وحده يملأ الميزان فاذا أضاف اليه سبحان الله ملأ زيادة على ذلك ما بين السماء والارض اذ الميزان مملوء بثواب التحميد وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله كتب له ثلاثون حسنة وانما كان كذلك لان الحمد فى ضمنه التوحيد الذى هو لا اله الا الله فى قوله الحمد لله توحيد وحمد وقوله لا اله الا الله توحيد فقط وأورد على هذا قوله عليه الصلاة والسلام أفضل ما قلته انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وأجيب بأنه محمول على من أراد الخروج من الكفر الى الاسلام

الى عرش ربى بارزا وكأنى أنظر الى أهل الجنة فى الجنة ينعمون والى أهل النار فى النار يعذبون قال يا حارثة عرفت فالزم ومثل هذا هو الذى تكون الدنيا سجنه ولذا قال ائمتنا لو أوصى لاعقل الناس صرف للزهاد أى لانه لا أعقل منهم حيث آثروا الباقى على الفانى ومنها استحضار أن لذاتها شاغلة للقلوب عن الله ومنقصة للدرجات عنده وموجبة لطول الحبس والوقوف فى ذلك الموقف العظيم للحساب والسؤال عن شكر نعيمها ومنها كثرة التعب والذل فى تحصيلها وكثرة عيوبها وسرعة تقلبها وفنائها ومزاحمة الاراذل فى طلبها وحقارتها عند الله ولذا قال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على على حد لا أحاسب عليها لتقذرتها كما أتقذر الجيفة ومنها استحضار انها ومافيها ملعونة الا فيما استثنى فى قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما ومنها استحضار ان تركها موجب لرفعة الدرجات وحلول الرضوان الاكبر منه تعالى فى دار الكرامات ولذا قال صلى الله عليه وسلم ازهد فى الدنيا يحبك الله لان الله تعالى يحب من أطاعه ومحبته مع محبة الدنيا لا تجتمع كما دلت عليه النصوص والتجربة والتواتر ولذا قال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وانه لا يحب الخطايا ولا أهلها ولانها لهو أو لعب ان الله تعالى لا يحبهما ولان القلب بيت الرب لا شريك له فلا يحب أن يشركه فى بيته حب دنيا ولا غيرها قيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود انى حرمت على القلوب أن يدخلها حبى وحب غيرى يا داود ان كنت تحبنى فأخرج حب الدنيا من قلبك فان حبى وحبها لا يجتمعان فى قلب واحد يا داود من أحبنى يتهجد بين يدى اذا نام البطالون ويذكرنى فى خلواته اذا لها عن ذكرى الغافلون وحاصل ماذكرناه انا نقطع بأن محب الدنيا مبغض عند الله تعالى فالزاهد فيها محبوب له تعالى ومحبتها الممنوعة هى ايثارها لنيل الشهوات واللذات لان ذلك يشغل عن الله تعالى اما محبتها لفعل الخير والتقرب الى الله تعالى فهو محمود لخبر نعم المال

الاسلام بكلمة التوحيد والاول لمن استقر الايمان فى قلبه وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده فى كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن جويرية بنت الحارث أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسماها جويرية وكره أن يقال خرج من عند برة فخرج وهى فى المسجد ورجع بعد ما تعالى النهار فقال ما زلت فى مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته قال الامام فخر الدين الحمد لله ثمانية أحرف وأبواب الجنة ثمانية فمن قال هذه الثمانية عن صفاء قلبه استحق ثمانية أبواب الجنة وقال بعضهم أول كلمة ذكرها أبونا آدم الحمد لله رب العالمين وآخر كلمة ذكرها أهل الجنة الحمد لله رب العالمين أما الاول فلان آدم لما بلغ الروح الى سرته عطس فقال الحمد لله رب العالمين فأجابه الله تعالى يرحمك الله وأما الثانى فلقوله تعالى فى حق أهل الجنة وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (والصلاة) الجامعة لشرائطها المصححة والمكملة (نور) من باب قولهم زيد عدل وفى ذلك ثلاثة أوجه اما أن يكون جعله نفس العدل مبالغة فى التشبيه واما أن يكون معناه ذو عدل على حذف المضاف واما أن يكون بمعنى عادل وعلى الاول جعل الصلاة نفس النور مبالغة فى التشبيه من حيث انها تمنع عن المعاصى وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدى الى الصواب كما أن النور يستضاء به أو لانها سبب فى استنارة القلب واشراقه بانوار المعارف ومكاشفات الحقائق أو لانها تكون نورا لصاحبها بالبهاء فى الدنيا وبالانس فى القبر لقول أبى ذر صلوا ركعتين فى ظلم الليل لظلمة القبر وفى عرصات القيامة لخبر بشر المشائين فى ظلم الليل الى المساجد بالنور التام يوم القيامة وفى صحيح ابن حبان أنه صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة وقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة وفى الحديث ان أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء والغرة نور يخلقه الله فى جباه المؤمنين والتحجيل نور يخلقه الله فى أقدامهم وعلى الثانى يكون المعنى الصلاة ذات نور ويؤيده ما رواه الطبرانى عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا حافظ العبد على صلاته فأتم وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتنى وصعد بها الى السماء ولها نور حتى تنتهى الى الله تعالى لتشفع لصاحبها وعلى الثالث منورة لوجه صاحبها لما جاء من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار وان لم يثبت حديثا فهو أثر عن شريك قاله لثابت لما دخل عليه وفى روض الرياحين لليافعى عن شقيق البلخى قال طلبنا ضياء القبور فوجدناه فى صلاة الليل وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه فى قراءة القرآن وطلبنا عبور الصراط فوجدناه فى الصوم وطلبنا ظل العرش فوجدناه فى الخلوة

الصالح للرجل الصالح يصل به رحمه ويصنع به معروفا وفى أثر اذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الذهب والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا مالنا عاد الينا سعد به قوم وشقى به آخرون (قوله صلى الله عليه وسلم وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس) أى لان قلوب غالبهم مجبولة على حب الدنيا ومن نازع انسانا فى محبوبه كرهه ومن لم يعارضه فيه أحبه ولذا قال الشافعى رضى الله عنه

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها
وسيق الينا عذبها وعذابها
فلم أرها الا غرورا وباطلا
كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها
وما هى الا جيفة مستحيلة
عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها
وان تجتذبها نازعتك كلابها
فدع عنك فضلات الامور فانها
حرام على نفس التقى ارتكابها

قال بعضهم ولا يبعد عندى ان الزاهد فى الدنيا تحبه الانس والجن أخذا بعموم لفظ الناس اذ يطلق لغة على الانس والجن وأخرج الطبرانى خبر ازهد فيما فى أيدى الناس تكن غنيا وقال الحسن لا يزال الرجل على الناس كريما مالم يعط مما فى أيديهم فحينئذ يستخفون به ويكرهون حديثه ويبغضونه * وقال أيوب السختيانى لا يعتبر الرجل حتى يعف عما فى أيدى الناس ويتجاوز عما يكون منهم وكان ابن عمر يقول فى خطبته ان الطمع فقر وان اليأس غنى وسأل ابن سلام كعبا بحضرة عمر رضى الله عنهم ما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعد ان حفظوه وعقلوه قال يذهبه الطمع وشره النفس وتطلب الحاجات الى الناس * وقال اعرابى لاهل البصرة من سيدكم قالوا الحسن قال لم سادكم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم فقال ما أحسن هذا (خاتمة المجلس) قد تضمن هذا الحديث الحث على التقليل من الدنيا ولذا قال صلى الله عليه وسلم كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وقال حب الدنيا رأس كل خطيئة كما مر وقال صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ونقل عن

الاربعين الودعانية خبر ارغب فيما عند الله يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس ان الزاهد فى الدنيا يريح قلبه وبدنه فى الدنيا والآخرة وان الراغب فى الدنيا يتعب قلبه وبدنه فى الدنيا والآخرة ليجئ أقوام يوم القيامة لهم حسنات كامثال الجبال

فيؤمر بهم الى النار فقيل يانبى الله أو يصلون قال كانوا يصلون ويصومون ويتصدقون ويأخذون وهنا من الليل لكنهم كانوا اذا لاح لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه ونقل بعضهم خبر أيها الناس اتقوا الله حق تقاته واسعوا فى مرضاته وأيقنوا من الدنيا بالفناء ومن الآخرة بالبقاء واعملوا لما بعد الموت فكانكم بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل ان كل من فى الدنيا ضيف وما فيها عارية وان الضيف مرتحل والعارية مردودة والدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر والدنيا مبغضة لاولياء الله محببة لاهلها فمن شاركهم فى محبوبهم أبغضوه وفى خبر أحمد والترمذى وابن ماجه من كانت الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت الدنيا همه شتت الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له * وروى الترمذى لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء واذا علم ذلك فمن محاسن العاقل أن لا يغتر بمحاسن الدنيا فانها ساحرة تزين ظاهرها بمحاسنها وتخفى قبائحها ومساويها فى باطنها ليغتر الجاهل بما يرى من ظاهرها ومثلها كمثل عجوز قبيحة المنظر تخفى وجهها وتلبس أحسن الثياب وتتزين وتتجمل ليفتتن الخلق من بعد فاذا كشفوا عنها غطاءها وخمارها وألقوا عنها ازارها كرهوا النظر فى وجهها وعاينوا قبائحها وندموا على الاغترار بها كما جاء فى الخبر ان الدنيا يؤتى بها يوم القيامة فى صورة عجوز قبيحة مشوهة زرقاء العينين كريهة المنظر قد تعرت عن أنيابها وكشرت عن أسنانها فاذا رآها الخلائق قالوا نعوذ بالله من هذه القبيحة المشوهة فيقال لهم هذه الدنيا الدنية التى كنتم عليها تحاسدون ولاجلها كنتم تحاقدون

البلاء

(والصدقة) أى الزكاة كما فى رواية ابن حبان ويصح حملها على المعنى الاعم الشامل للواجبة والمندوبة وهو أتم (برهان) هو لغة الشعاع الذى يلى وجه الشمس ومنه خبر ان روح المؤمن تخرج من جسده ولها برهان كبرهان الشمس ومنه سميت الحجة القاطعة برهانا لوضوح دلالتها واصطلاحا الدليل والمرشد فهى مفزوع اليها كما يفزع الى البراهين لانه اذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين على صدق جوابه ويجوز أن يوسم المتصدق بسيما يعرف بها فيكون برهانا له على حاله ولا يسئل عن مصرف ماله أوهى حجة ودليل على ايمان المتصدق فمن تصدق استدل بصدقته على صدق ايمانه وعلى صحة محبته لمولاه ولما لديه من الثواب لبذله محبوبه بالجبلة والطبع رجاء ثوابه فلولا صحة ايمانه لما بذل عاجلا لآجل وأما المنافق فيمتنع منها لكونه لم يعتقدها كقضية ثعلبة الانصارى فانه قال للنبى صلى الله عليه وسلم أدع الله أن يرزقنى مالا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويلك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم عاود ثانيا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تكون مثل نبى الله لو شئت أن تسير معى الجبال ذهبا لسارت فقال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة وترك ماسواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهى تنمو حتى ترك الجمعة أيضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياويح ثعلبة ثلاثا ثم نزل خذ من أموالهم صدقة الآية فبعث عليه الصلاة والسلام رجلين على الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وفلان رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فأتيا ثعلبة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا فعادا عليه فامتنع فنزل قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآيات فكان شخص من أقاربه حاضرا فذهب اليه وأخبره فجمع زكاة ماله وأتى بها للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها ثم أتى بها لابى بكر فى خلافته فلم يقبلها ثم لعمر ثم لعثمان وهلك فى خلافة عثمان وتقدم ما فيه من رده والذى عليه المفسرون أنه من المنافقين وحكى عن بعض المذكرين أنه قال فى مجلسه ان الرجل اذا أراد أن يتصدق فانه يأتيه سبعون شيطانا فيتعلقون بيديه ورجليه وقلبه ويمنعونه عن الصدقة فلما سمع بعض القوم ذلك قال انى أقاتل هؤلاء السبعين وخرج من المسجد وأتى المنزل وملأ ذيله من الحنطة وأراد أن يخرج ويتصدق فوثبت زوجته وجعلت تنازعه وتحاربه حتى خرذلك من ذيله فرجع الرجل خائبا الى المسجد فقال له المذكر ماذا عملت فقال صرفت السبعين فجاءت أمهم فهزمتنى (والصبر) وهو لغة الحبس ومنه المصبورة التى نهى عنها وهى الدجاجة ونحوها تتخذ غرضا وترمى حتى تقتل وسمى شهر رمضان شهر الصبر لانه شهر تحبس فيه النفس عن شهواتها من المطعم والمشرب والمنكح وسمى الصابر فى المصيبة صابرا لانه حبس نفسه عن الجزع وقيل انما سمى الصبر صبرا لان تمرره فى القلب وازعاجه للنفس كتمرره فى الفم وشرعا الثبات على الكتاب والسنة وقال ابن عطاء الله هو الوقوف مع

وتسفكون الدماء بغير حق وتقطعون أرحامكم وتغترون بزخرفها ثم يؤمر بها الى النار فتقول يا الهى أين أحبابى فيؤمر بهم فيلقون معها فى نار جهنم وقد قال صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت ورأى عيسى صلى الله عليه وسلم الدنيا

فى بعض مكاشفاته وهى على صورة عجوز هرمة فقال لها كم كان لك من زوج فقالت لا يحصون كثرة فقال عيسى عليه السلام ماتوا عنك أم طلقوك قالت بل أنا طلقتهم وأفنيتهم فقال ياعجبا لهؤلاء الحمقى الآخرين الذين يشاهدون ما بسواهم صنعت وهم فيها يرغبون وبغيرهم لا يعتبرون * ومن أعجب النكت ما حكى عن ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه أنه وافق مجلسا فى الرى والرى قرية من قرى الاسلام واذا فيه عالم جالس على سرير مرتفع بالخيلاء والتكبر فلما فرغ من وعظه تعوذ ابراهيم وقرأ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير الذى خلق السرير فقال الفقيه أخطأت ياخراسانى فقرأ الذى خلق الفرس واللجام وكانت دابة الفقيه على باب المسجد فقال أخطأت فقال الذى خلق القصر فقال أخطأت فقال علمنى كيف هو قال قل الذى خلق الموت والحياة فقال ابراهيم اذا علمت أنك خلقت للموت فما هذا الخيلاء والتكبر فقال رميت سهما مسترضا ونفذ سهمك فى الغرض فنزل عن السرير وتاب الى الله تعالى وخرج مع ابراهيم سياحا وترك داره وماله لاهله حتى مات رحمة الله تعالى عليهما اللهم وفقنا أجمعين والحمد لله رب العالمين

* المجلس الثانى والثلاثون فى الحديث الثانى والثلاثين) *

الحمد لله الذى من علينا بفضله العميم اذ من علينا بمحمد أفضل الخلق فهدانا الى دين الحق والصراط المستقيم وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الكريم الحليم وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله الذى خص بالخلق العظيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فازوا منه بالحظ الجسيم (عن أبى سعيد سعد بن مالك بن سنان الخزرجى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا

البلاء بحسن الادب وقال الاستاذ أبو على الدقاق هو أن لا ينغر من المقدور واما اظهار البلاء لا على وجه الشكوى فلا ينافى الصبر وقيل حبس النفس على مراد الله تعالى وقيل حبس النفس بمشاق التكليف وهو مساو لقول بعضهم هو حبس النفس على العبادات ومشاقها وعلى المصايب وحرارتها وعن المنهيات والشهوات ولذاتها وأفضل أنواعه الاخير فالاول لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش مرتين قال بعضهم الصبر صبران فاللئام اصبر اجساما والكرام أصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح أن يكون صاحبه قوى الجسد على الكد كما هو من صفات البهائم بل أن يكون للنفس غلوبا وللامور محتملا ولجأشه عند الحفاظ مرتبطا والفرق بين المتصبر والصابر والصبار ان الاول هو الذى يتحمل المشاق وتظهر عليه وانما يمنعه من السخط خوف الله والثانى هو من تعود حمل المشاق فلم تظهر عليه والثالث هو الذى عود نفسه الهجوم على المكاره بلا كلفة فى ذلك دون المرارة *(تنبيهان)* الاول عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة الثانى عن عكرمة أنه قال طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل له يارسول الله أمصيبة هى قال نعم كل شئ يؤذى المؤمن فهو مصيبة وقيل فى قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا الصبر الجميل ان يكون صاحب المصيبة فى القوم لا يدرى من هو (ضياء) فيه مامر فى نور وأصله ضواء فقلبت الواو ياء كما قلبت فى الصيام والقيام والضياء هو النور الذى فيه حرارة واحتراق كضوء الشمس بخلاف النور فانه محض اشراق قال تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ونحوه للزمخشرى وانما جعل الصلاة نورا والصبر ضياء لانه أخص منها لاشتماله عليها وعلى غيرها من الطاعات لما مر فكان الضياء الاخص من النور الذى هو كالوصف الزائد عليه أولى به وأورد على هذا قوله تعالى الله نور السموات والارض وأشرقت الارض بنور ربها وأجيب بان معنى قوله تعالى الله نور أى منور فأورد بقاء السؤال ولم يقل مضئ وأجيب بان النور أعم وشمل لانه يكون ليلا ونهارا والضياء لا يكون الا للنهار بالشمس على ان المراد بالنور الهدى أى هادى أهلهما ثم ان جعل الضوء أبلغ من النور أنكره ابن السكيت فى الفلك الدائر وقال ليس له فى اللغة شاهد ولا فى الاستعمال مساعد ولا دليل فى الآية لجواز أن يكون من التدبيج وتجنب التكرير وأجيب بان كلام ابن السكيت بحسب أصل الوضع وماذكر بحسب الاستعمال كما فى الاساس *(تنبيه)* ورد انه صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الاجر مثل ما أعطى أيوب عليه الصلاة والسلام على بلائه وايما

ضرار حديث حسن رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندا ورواه مالك في الموطأ عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا فأسقط أبا سعيد وله طرق يقوى بعضه بعضا) اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم (فقوله صلى الله عليه وسلم (١٩٤) لا ضرر ولا ضرار) بكسر أوله من ضره وضاره بمعنى وهو خلاف النفع كذا قاله الجوهري فالجمع بينهما للتأكيد والمشهوران بينهما فرقا فقيل الاول الحاق مفسدة بالغير مطلقا والثاني الحاق مفسدة بالغير على وجه المقابلة أي كل منهما يقصد ضرر صاحبه من غير جهة الاعتداء بالمثل والانتصار بالحق وقال ابن حبيب الضرر عند أهل العربية الاسم والضرار الفعل فمعنى الاول لا تدخل على أخيك ضررا لم يدخله على نفسه ومعنى الثاني لا يضار أحد بأحد وقيل الضرر أن يدخل على غيره ضررا بما ينتفع هو به والضرار ان يدخل على غيره ضررا بما لا منفعة له به كمن منع ما لا يضره ويتضرر به الممنوع ورجح هذا طائفة منهم ابن عبد البر وابن الصلاح وقيل الاول مالك فيه منفعة وعلى جارك فيه مضرة والثاني ما لا منفعة فيه لك وعلى جارك فيه مضرة وهو مجرد تحكم بلا دليل وان قال غير واحد ان هذا وجه حسن المعنى في الحديث وفي رواية ولا اضرار من أضر به اضرارا اذا ألحق به ضررا قال ابن الصلاح هي على ألسنة كثير من الفقهاء والمحدثين ولا صحة لها ولذا أنكرها آخرون وخبر لا محذوف أي في ديننا وفي شريعتنا وظاهر الحديث تحريم سائر أنواع الضرر الا لدليل لان النكرة في سياق النفي تعم وفي الحديث بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقد صح حرم الله من المؤمن دمه وماله وعرضه وان لا يظن به الا خيرا وصح أيضا ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم وابن (نكتة) في ذكر ما ورد في شدة عذاب من يؤذي المؤمنين روى مجاهد بسنده قال ان لجهنم ساحلا كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبخت وعقارب كالبغال فاذا استغاث أهل النار قالوا الساحل فاذا ألقوا فيه سلطت عليهم تلك الهوام فتأخذ أشفار أعينهم

امرأة صبرت على خلق زوجها أعطاها الله من الاجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وروي ان رجلا جاء الى عمر رضي الله عنه يشكي اليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل قائلا اذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالي فخرج عمر فرآه موليا فناداه ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو اليك خلق زوجتي واستطالتها فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي فقال له عمر يا أخي اني احتملها لحقوق لها علي انها طباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي ويسكن قلبي بها عن الحرام فأنا أحتملها لذلك فقال الرجل يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي قال فاحتملها يا أخي فانها مدة يسيرة وكان لبعض الصالحين أخ صالح يزوره كل سنة مرة فجاء مرة لزيارته فطرق بابه فقالت زوجته من فقال أخو زوجك في الله تعالى جاء لزيارته فقالت ذهب ليحتطب لا رده الله وبالغت في شتمه وسبه فبينما هو كذلك واذا بأخيه قد حمل الاسد حزمة حطب وهو مقبل به فلما وصل أخاه سلم عليه ورحب به ثم أنزل الحطب عن ظهر الاسد وقال اذهب بارك الله فيك ثم أدخل أخاه وهي تسبه فلا يجيبها فأطعمه ثم ودعه فانصرف على غاية من التعجب من صبره ثم جاء في العام الثاني فدق الباب فقالت امرأته من قال أخو زوجك في الله جاء يزوره قالت مرحبا وبالغت في الثناء عليه وأمرته بانتظاره فجاء أخوه والحطب على ظهره فأدخله وأطعمه وهي تبالغ في الثناء فلما أراد مفارقته سأله عما رأى من تلك ومن هذه ومن حمل الاسد وحمله هو لها على ظهره فقال يا أخي توفيت تلك الشريرة وكنت صابرا على أذيتها وبغيها فسخر الله الاسد الذي رأيته يحمل الحطب بصبري عليها وصرت الآن أحمل الحطب على ظهري لراحتي مع هذه وذكر بعض المفسرين ان أبا بكر كان عند النبي صلى الله عليه وسلم ورجل من المنافقين يسبه وأبو بكر لا يجيبه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت يتبسم فأجابه أبو بكر رضي الله عنه فقام النبي صلى الله عليه وسلم وذهب فتبعه أبو بكر فقال يا رسول الله ما دام يسبني كنت ساكتا جالسا فلما أجبته قمت وذهبت فقال ان ملكا كان يجيبه فلما أجبته ذهب الملك وجاء الشيطان وأنا لا أكون في مجلس يكون فيه شيطان فنزل قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وعن بشر الحافي رحمه الله قال كان ببغداد رجل قد قطعه البلاء وسالت حدقتاه على وجهه وهو في ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالى فاذا هو مطروح من جنته فوضعت رأسه على حجري وجعلت أسأل الله تعالى أن يكشف ما به فأفاق فسمع دعائي فقال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي ويعترض علي في نقمتي ونحى رأسه من حجري قال بشر فعقدت مع الله عقدا أن لا أعترض أحدا في نقمة أراها عليه (والقرآن) قيل تسميته بذلك توقيفية وقيل لجمعه والقرآن على وزن فعلان بمعنى مفعول بمعنى الامر والنهي والاستخبار والوعد والوعيد والقصص والمواعظ من قرأ الماء في الحوض اذا جمعه وقرأت الناقة لبنها في الضرع جمعته أي امتثلت أمره واجتنبت نهيه واتعظت بمواعظه وقيل من قرأت الكتاب قراءة وقرآنا اذا تلوته لانه مجموع ومتلو (فائدة) عن عبد الاعلى بن النجم قال بت ليلة في أيام ابن حريش

وشفاههم وما شاء الله منهم تكشطها كشطا فيقولون النار النار فاذا ألقوا فيها سلط عليهم الجرب فيحك أحدهم جسده حتى يبدو عظمه وان جلد أحدهم لاربعون ذراعا قال يقال يا فلان هل تجد هذا يؤذيك فيقول وأي أذى أشد من هذا قال يقال هذا بما كنت تؤذي المؤمنين اللهم سلمنا من هذه الاهوال فإياك يا أخي (١٩٥) أن تؤذي أحدا أو تضره فقد قال النبي المختار لا ضرر ولا ضرار أي في ديننا أو شريعتنا كما قد مر وهاتان الكلمتان تقتضيان رعاية المصالح اثباتا والمفاسد نفيا اذ الضرر هو المفسدة فاذا انتفت لزم اثبات النفع الذي هو المصلحة فانظر يا أخي وتأمل هذا الحديث الحسن فعن أبي داود انه قال الفقه يدور على خمسة أحاديث وعد هذا الحديث من الخمسة قال النووي رحمه الله وله طرق يعضد بعضها بعضا وقد ورد في الكتاب العزيز والحديث الصحيح ما هو بمعناه فاعتضد به كقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه وأخذه من غير وجهه ومن أضر بأخيه فقد ظلمه وقوله صلى الله عليه وسلم حرم الله من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن لا يظن به الا خيرا وقوله ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كما تقدم ولنذكر جملة من أنواع الظلم والضرر ليكون الشخص منها على حذر من ذلك المكس وأكل مال اليتيم والمماطلة بحق عليه مع قدرته على وفائه ومن ذلك ان يظلم المرأة في نحو صداق أو نفقة أو كسوة وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال يؤخذ بيد العبد أو الامة يوم القيامة فينادى به على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه قال فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال فيغفر الله تعالى من حقه يومئذ ما شاء الله ولا يغفر من حقوق الخلق شيأ فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لاصحاب الحقوق ائتوا الى حقوقكم قال فيقول العبد يا رب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم حقوقهم فيقول الله للملائكة خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر مظلمته فان

وابن خلف المغافري بمصر وكانت ليلة جمعة وأنا أقول في نفسي لا أدري من أتبع هل ابن حريش وأصحابه وهو يقول بخلق القرآن أو ابن خلف وأصحابه وهو يقول ان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق قال فلما أويت الى فراشي رأيت شخصا جاءني وقال قم فقمت وقال لي قل قلت وما أقول قال قل

سبحان من رفع السما • بلا عماد للنظر
فتزينت بالساطعا • ت اللامعات وبالقمر
ما قال خالق بالقرا • ن من خلقه الا كفر
لكن كلام منزل • من عند خالق البشر

وقال اكتبه فمددت يدي فكتبته فيه فلما استيقظت رأيته مكتوبا وقوله في الحديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه صحيح وقال صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن في اهاب لما مسته النار قيل معناه من حمل القرآن وقرأه لم تمسه النار يوم القيامة (حجة لك) في المواطن التي تسأل فيها كالقبر والميزان والصراط (أو) حجة (عليك) في تلك المواطن ان أعرضت عنه ولم تعمل به وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يمثل القرآن رجلا فيؤتى بالرجل قد حمله فخالف أمره فيمثل له خصما فيقول يا رب قد حملته اياي فبئس حامل تعدى حدودي وضيع فرائضي وركب معصيتي وترك طاعتي فما زال يقذف عليه بالحجج حتى يقول شأنك فيأخذه بيده فما يرسله حتى يكبه على وجهه في النار قال ويؤتى بالرجل الصالح يوم القيامة قد حمله وحفظ أمره فيمثل خصما فيقول يا رب قد حملته اياي فخير حامل حفظ حدودي وعمل بفرائضي واجتنب معصيتي واتبع طاعتي فما زال يقذف به الحجج حتى يقال شأنك به فيأخذه بيده فما زال به حتى يلبسه حلة الاستبرق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كأس الخمر وفي الحديث القرآن شافع مشفع أي لمن عمل به وماحل مصدق أي لمن لم يعمل به من قدمه أمامه قاده الى الجنة ومن جعله وراءه دفعه في قفاه الى النار وماحل من المماحلة وهي المكابرة والمكايدة ومنه ماحل اذا تكلف الحيلة واجتهد فيها ومحل بفلان اذا مكر به وكاده وكأن القرآن يكيد من اتخذه وراء ظهره وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه فيكون قائدا لصاحبه الى الجنة أو يشهد عليه فيكون سائقا له الى النار وجاء في بعض الاحاديث من حفظ القرآن أعطي ثلث النبوة أي أعطي علم ثلث النبوة وقال بعض السلف ما جالس أحد القرآن فقام عنه خاليا بل اما أن يربح واما أن يخسر ثم تلا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقيل لك أو عليك في المباحث الشرعية والوقائع الحكمية لانه المرجع عند التنازع فتستند به على صحة دعواك أو يستند به خصمك عليك (فائدة) كان بعض المتصدرين للقراءة في الجامع العتيق قد حلف بالطلاق الثلاث انه لا يجيز أحدا يقرأ عليه القرآن فيستحق الاجازة الا بعشرة دنانير فاتفق انه قرأ عليه رجل فقير فلما أكمل سأله الاجازة فأخبره بيمينه فتألم خاطره فأخبر به أصحابه فجمعوا له خمسة دنانير فأتى بها الشيخ فلم يأخذها فخرج من عنده فرأى المحمل يدار به فقال والله لا أنفقت هذه الا في الحج فاشترى

كان وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفه الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها وان كان عبدا شقيا ولم يفضل له شئ فتقول الملائكة ربنا فنيت حسناته وبقى طالبوه فيقول الله تعالى خذوا من سيآتهم فأضيفوا الى سيئاته ثم صكوا له صكا الى النار ومن الظلم والضرر أيضا عدم ايفاء الاجير حقه لقوله صلى الله عليه (١٩٦) وسلم ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجرته ومنه أن يظلم يهوديا أو نصرانيا بضرب أو أخذ ماله تعديا لقوله صلى الله عليه وسلم من ظلم ذميا فأنا خصمه يوم القيامة ومنه أن يقتطع حق غيره بيمين فاجرة لخبر الصحيحين من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم الله عليه الجنة قيل يارسول الله وان كان شيأ يسيرا قال وان كان قضيبا من أراك فاحذروا يا اخواننا الظلم وأنواع الضرر وكونوا من دعوة المظلوم على حذر كان شريح القاضي يقول سيعلم الظالمون حق من انتقصوا ان الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر الثواب وروى اذا أراد الله بعبد خيرا سلط الله عليه من ظلمه *(خاتمة المجلس)* دخل طاوس اليمانى على هشام بن عبد الملك فقال له اتق الله يوم الاذان قال هشام وما يوم الاذان قال قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فصعق هشام فقال طاوس هذا ذل الصفة فكيف بالمعاينة اللهم سلمنا من شر الاشرار آمين آمين

(المجلس الثالث والثلاثون في الحديث الثالث والثلاثين)

الحمد لله الذى خلق الانام وقدر أرزاقهم من فضله وبين الحلال والحرام وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المختص بمزيد الاكرام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوى الفضل والانعام *(عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم ولكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر حديث حسن

ما يحتاجه وسار حتى وصل الى مكة فلما قضى مناسكه رحل الى المدينة الشريفة فلما وصل الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السلام عليك يارسول الله ثم قرأ عشرا اجمع فيه الائمة السبعة وقال هذه قراءتى على فلان عن فلان عنك عن جبريل عليكما الصلاة والسلام عن الله سبحانه وتعالى وقد سألت شيخى الاجازة فأبى على وقد استعنت بك يارسول الله فى تحصيلها ثم نام فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له سلم على شيخك وقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك أجزنى بلا شئ فان لم يصدقك فقل له بأمارة زمر ازمر افلما وصل الفقير الى مصر أخبر شيخه وبلغه الرسالة بغير أمارة فلم يصدقه فقال بأمارة زمر ازمر افصاح الشيخ وخر مغشيا عليه فلما أفاق سأله أصحابه عن ذلك فقال كنت كثيرا ما أتلو القرآن فمررت يوما على قوله تعالى ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون فخفت لا أقرأ القرآن الا متدبرا فهما فأفقت لا أتجاوز من القرآن الا اليسير مدة طويلة حتى نسيته فكفرت عن يمينى وشرعت فى حفظه فحفظته فبينما أنا أتلوه ذات يوم فمررت على قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقلت ليت شعرى من أى الاقسام أنا ثم قلت لست من الثانى ولا من الثالث بيقين فيتعين أن أكون من القسم الاول فنمت تلك الليلة حزينا فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى بشر قراء القرآن انهم يدخلون الجنة زمرا ازمرا ثم أقبل على ذلك الفقير يقبل وجهه وقال أشهدكم على انى قد أجزته ليقرأ أو يقرئ من شاء وكل ذلك ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل الناس) أى كل انسان (يغدو) يقال غدا يغدو واذا بكر أى كل انسان يصبح فى أول النهار ساعيا فى تحصيل أغراضه والغدو سير أول النهار ضد الرواح مأخوذ من الغدوة بالضم ما بين الفجر وطلوع الشمس (فبائع نفسه) خبر مبتدا محذوف أى فهو بائع نفسه والمبتدا يكثر حذفه بعد فاء الجزاء (فمعتقها) من عذاب النار (أو موبقها) قوله فمعتقها خبر آخر أو بدل من قوله فبائع نفسه وأراد بالبيع المبادلة فان عمل خيرا أو جد خيرا فيكون معتقها من النار وان عمل شرا استحق شرا فيكون موبقها أو أراد بالبيع الشراء بقرينة قوله فمعتقها اذ الاعتاق انما يصح من المشترى أى فمن ترك الدنيا وآثر الآخرة اشترى نفسه من ربه بالدنيا فيكون معتقها ومن ترك الآخرة وآثر الدنيا اشترى نفسه بالآخرة فيكون مهلكها فجعل مرور الازمان وانقضاء الانفاس بمنزلة بذل الثمن بمقابلة ما اختاره من المثمن من خير أو من شر ولبعضهم

نفسى الى ماضرنى داعى * يكثر أسقامى وأوجاعى
كيف احتيالى من عدوى اذا * كان عدوى بين أضلاعى

وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح اللهم انى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك مرة أعتق الله ربعه من النار أو مرتين فنصفه أو ثلاثة فثلاثة أرباعه أو أربعا فكله وكذا ان أمسى لان بتكرير هذه الكلمات أربع مرات تبلغ حروفها ثلثمائة وستين حرفا وابن آدم مركب من ثلثمائة وستين عضوا فاعتق الله بكل حرف عضوا فان قلت من أعتق بعض عبده كمل عليه فكيف لا يكمل العتق لمن قال ذلك مرة أو مرتين أو ثلاثا

فالجواب

رواه البيهقى وغيره هكذا وبعضه فى الصحيحين)* اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد احكام الشرع وقيل فيه انه من فصل الخطاب الذى أعطيه داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام اذا علم ذلك فلنتكلم على بعض ما فيه باختصار تتميما للمجلس فنقول (قوله لو يعطى الناس (١٩٧) بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم) أى استباحوها (ولكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر) والمعنى ان جانب المدعى ضعيف لدعواه خلاف الاصل فكلف الحجة القوية وجانب المنكر قوى لموافقته الاصل فاكتفى منه بالحجة الضعيفة والمراد بالمدعى من خالف قوله الظاهر فان امتنع المدعى عليه من اليمين بعد عرضها عليه من القاضى أو بعد قول القاضى له احلف بان يقول لا احلف ونحوه ردت على المدعى فيحلف ويستحق لتحول الحلف اليه بالنكول ولان نكول الخصم يحتمل أن يكون تورعا عن اليمين الصادقة كما يحتمل أن يكون تحرزا عن اليمين الكاذبة ومن أراد يا اخوانى بسط الكلام على هذا المقام فليراجع كتب الفقه فان مرادنا من هذه المجالس انما هو الوعظ ولا يخفى ما ورد فى السنة الغراء من الوعيد على الايمان الفاجرة كقوله صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قيل يارسول الله وان كان شيأ يسيرا قال وان كان قضيبا من أراك رواه البخارى ومسلم والاحاديث فى ذلك كثيرة واليمين الكاذبة مع العلم بالحال تسمى اليمين الغموس لانها تغمس صاحبها فى الاثم أو النار وهى من الكبائر وتذر الديار بلاقع نسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية واعلموا أن شهادة الزور أيضا من الكبائر سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الشهادة فقال للشاهد هل ترى الشمس قال نعم قال عن مثل هذا فاشهد أو دع وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما يسمع وروى أبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم قام

فالجواب أن التكميل يقع قهرا والله تعالى منزه عن ذلك أو لان ملك الله لعباده حقيقى وملك العبد لمن فى رقه مجازى فيزال بادنى الامور أو لان العتق بالسراية انما يكون عتق يحصل به الخروج من ملك المالك لا فى العتق من النار أو لان العتق بالسراية رفق بالمعتق بالكسر لانه يحصل به عتق جميعه من النار لحديث من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى الفرج بالفرج وهذا لا يتأتى مثله فى حق الله (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذى باللفظ المذكور عن صحابيه المذكور وقال ابن القطان اكتفوا بكونه فى مسلم فلم يبحثوا عنه وقد بين الدارقطنى وغيره أن فيه انقطاعا

(الحديث الرابع والعشرون)

(عن أبى ذر) جندب بن جنادة المتخلى عن الدنيا المتشمر للعقبى (الغفارى) بكسر الغين المعجمة وفتح الفاء المخففة نسبة الى غفار قبيلة من كنانة (رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى) بصيغة المضارع أصله يرويه فحذف عائد الموصول وفى رواية فيما روى (عن ربه عز وجل) فهو من جملة الاحاديث القدسية وكان أبو ادريس راويه عن أبى ذر اذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه (أنه قال يا عبادى) جمع عبد وهو لغة الانسان ليتناول الذكر والانثى والحر والعبد لكن المراد هنا بدلالة قوله الآتى انسكم وجنكم جميع الثقلين لتساويهم فى التكليف وتعاقب التقوى والفجور وقال البيضاوى يجوز أن يكون عاما شاملا لذوى العلم كلهم من الثقلين والملائكة ويكون ذكر الملائكة مطويا مندرجا فى قوله وجنكم وتوجه الخطاب نحوهم لا يتوقف عن الفجور منهم ولا على امكانه لانه كلام صادر على سبيل الفرض والتقدير اهـ وفيه بحث لانه صرح فيما يأتى بالانس والجن دون الملك فدل على ارادتهما دونه خصوصا والملائكة ليسوا من أهل الضلال والطعام وتقدير ذلك فيهم بعيد ويا حرف نداء وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كيارب يا الله وهو أقرب اليه من حبل الوريد أو لغفلته كما هنا فانهم غافلون عن تلك الامور العظيمة أو للاعتناء بالمدعو اليه وزيادة الحث عليه كما فى يا أيها الناس اعبدوا ربكم (انى حرمت) من التحريم وهو لغة المنع فشبه تعالى تنزهه عن الظلم بتحرز المكلف عما نهى عنه شرعا فى الامتناع عنه واستعار له التحريم ثم اشتق منه الفعل ويكون استعارة تبعية (الظلم) هو لغة وضع الشئ فى غير محله وشرعا التصرف فى ملك الغير بغير حق أو مجاوزة الحد وكلاهما محال اذ لا ملك ولا حق لاحد معه بل هو الذى خلق المالكين وأملاكهم وتفضل عليهم بها وحد لهم الحدود وحرم وأحل فلا حاكم يتعقبه ولا حق يترتب عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا (على نفسى) اى تنزهت وتعاليت عنه لقوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيأ فالظلم مستحيل فى حق الله عز وجل وذهب المعتزلة الى أن الله تعالى قادر على الظلم وهو متصور منه لكن لا يفعله عدلا منه وتنزها واحتجوا بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وهو تمدح بنفى الظلم والحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه ويصح منه ولو قال شخص انى منعت نفسى من صعود السماء لسخر منه ورد قولهم بأنه لو جاز أن يكون مقدورا له لجاز أن يكون موصوفا به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقولهم ان الحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه ممنوع لانه قد يتمدح

خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور وشركا بالله ثم قرأ واجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور قال الذهبي
وفى الآثار عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وفى الحديث الثابت لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار وفى
رواية حتى يأتي بالبراءة مما قال * قال الحافظ (١٩٨) الذهبي رحمه الله قلت شاهد الزور قد ارتكب عظائم * أحدها الكذب
والافتراء والله تعالى يقول ان الله
لا يهدي من هو مسرف كذاب
* وثانيها أنه ظلم الذى شهد عليه
حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه
وروحه * وثالثها أنه ظلم الذى
شهد له بان ساق اليه المال الحرام
فأخذه بشهادته فأوجب له النار
قال النبي صلى الله عليه وسلم من
قضى له من مال أخيه بغير حق فلا
يأخذه فانما أقطع له قطعة من
النار * ورابعها انه اباح ما حرم
الله وعصمه من المال والدم
والعرض قال صلى الله عليه وسلم
كل المسلم على المسلم حرام دمه
وعرضه وماله وفى الصحيحين عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا
قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك
بالله وعقوق الوالدين ألا وقول
الزور وشهادة الزور فما زال
يرددها حتى قلنا ليته سكت يعني
شفقة عليه لئلا يتعب من
التكرار فشهادة الزور لا يأتي بها
الا كل قليل الحظ من الخير
والتقوى فليحذر العبد من ذلك
ولا يشهد الا بما علم كما قال تعالى
الا من شهد بالحق وهم يعلمون
وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به
علم ان السمع والبصر والفؤاد كل
أولئك كان عنه مسؤلا والحكمة
فى تخصيص هذه الثلاثة بالسؤال
أن العلم بالفؤاد وهو مستند
الى السمع والبصر لان مدرك
الشهادة الرؤية والسماع وهما
بالبصر والسمع ولقد مدح الله تعالى أقواما فى كتابه بقوله والذين لا يشهدون الزور أى لا يشهدون
شهادة زور ولا يحضرون مواضع الباطل ومجالس السوء واللهو واذا مروا باللغو أى بمواضع الباطل مروا كراما يكرمون نفوسهم
يصونها عن الاشتغال بالباطل جعلنا الله منهم بمنه وكرمه (اخواني) تجنبوا مجالس السوء خصوصا مجالس الزور والباطل ورشوة

الشيحان

الانسان بحسن القامة والخلق الحسن الذى هو جبلة فيه وغريزة له فان قيل ظلام من صيغ
المبالغة فيوهم أن المنفي المبالغة فى الظلم وكثرته لا هو من أصله فالجواب من عدة أوجه ان
هذه الصيغة وهي صيغة فعال قد تأتي للنسبة كتمار فقوله بظلام أى منسوب للظلم وذلك
نفي له من أصله وبأنه وان كان للكثرة لكن جيء به فى مقابلة العبيد الذى هو جمع كثرة ويرشحه
قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب حيث قابل فى الاول المبالغة بالجمع وفى الثانى صيغة اسم
الفاعل الدالة على أصل الفعل بالواحد وبأن صيغة المبالغة وغيرها فى صفاته تعالى سواء فى
الاثبات فجرى النفي على ذلك وبأنه تعريض بأن ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وقال
بعضهم صفات الله تعالى بلغت غاية الكمال فلو اتصف بالظلم كان عظيما بقاؤه على حد عظمته
لو كان ثابتا أو اراد نفي أصل الظلم لكن القليل منه بالنسبة الى رحمة العامة الذاتية كثير
وقضية هذا الحديث جواز اطلاق النفس على الله تعالى على غير وجه المشاكلة وهو الصحيح
كما قاله امام الحرمين بدليل كتب ربكم على نفسه الرحمة ويحذركم الله نفسه وادعاء انه
مشاكلة تقديرية تكلف وقول أهل المعانى انها لا تطلق عليه الا مشاكلة كقوله تعالى تعلم
ما فى نفسي ولا أعلم ما فى نفسك غير صحيح كما قال السبكي وجمع بعض المحققين بين القولين
فقال النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من غير مشاكلة والجسم وهذا لا يطلق
عليه الا مشاكلة وقد قال الزمخشري فى قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار
النهي يتناول الانحطاط فى هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم وزيارتهم ومداهنتهم
والرضى بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم
لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل الى الظالمين وحكى أن الواثق صلى خلف
الامام فقرأ الامام هذه الآية فغشي عليه فلما أفاق قال هذا فيمن ركن فكيف بالظالم وعن
الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تركنوا ولا تطغوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب
اليه أخ له فى الدين عافانا الله واياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن
يدعو لك ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة
نبيه واعلم ان أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل
الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حتى أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم
وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على
العلماء ويصطادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك وما
أكثر ما أخذوا منك فى جنب ما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله
فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة الآية فانك تعامل من لا يهمل ويحفظ عليك
من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على
الله من شيء فى الارض ولا فى السماء والسلام وروى أن عمر بن عبد العزيز لما استخلف
قال رعاء الشاء هذا العبد الصالح الذى قام على الناس قيل لهم وما علمكم بذلك قالوا اذا قام
على الناس خليفة عدل كفت الذئاب عن شياهنا (وجعلته) اى الظلم (بينكم محرما) اى
حكمت بتحريمه عليكم ومنعتكم منه سواء كان كأخذ مال غيره أولا كظلم النفس وروى

قضاه السوء الذين بدلوا وعن الحق عدلوا وللحرام اكلوا ففى الحديث لعن الله الراشي والمرتشي والماشي بينهما أو كما قال والرشوة
هى ما يبذل للقاضي ليحكم بغير الحق أو ليمتنع من الحكم بالحق كما هو مشاهد وهى حرام مطلقا لما ورد فيها من الاحاديث (نكتة)
وهى ختام هذا المجلس اللطيف فى الحلية فى ترجمة عكرمة قال كانت القضاة (١٩٩) فى زمن بنى اسرائيل ثلاثة فمات أحدهم
فولى مكانه غيره ثم قضوا ما شاء
الله أن يقضوا ثم بعث الله لهم
ملكا يمتحنهم فوجد رجلا يسقي
بقرة على ماء وخلفها عجلة فدعاها
الملك وهو راكب فرسا فتبعتها
العجلة فتخاصما فقالا بيننا القاضي
فجاآ الى القاضي الاول فدفع
اليه الملك درة كانت معه وقال
له احكم بأن العجلة لى قال بماذا
أحكم قال أرسل الفرس والبقرة
والعجلة فان تبعت الفرس فهي
لى فأرسلها فتبعت الفرس فحكم
بها له وأتيا القاضي الثانى فحكم
كذلك وأخذ درة وأما القاضي
الثالث فدفع له الملك درة وقال له
احكم بيننا فقال انى حائض فقال
الملك سبحان الله أيحيض الذكر
فقال له القاضي سبحان الله أتلد
الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها
فالبلاء يا اخواني قديم نسأل الله
العافية والعفو امين امين والحمد
لله رب العالمين

* (المجلس الرابع والثلاثون فى
الحديث الرابع والثلاثين) *

الحمد لله علام الغيوب غافر الذنب
وقابل التوبة ممن يتوب وأشهد
أن لا اله الا الله وحده لا شريك
له شهادة تمحى بها ظلمات الذنوب
وأشهد أن سيدنا محمدا عبده
ورسوله الذى كشف له عن كل
محجوب صلى الله عليه وعلى اله
وأصحابه من زالت بهم الكروب
عن أبى سعيد الخدري رضى
الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان
لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان رواه مسلم) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم
(قوله صلى الله عليه وسلم من رأى) يحتمل أن يكون المراد الرؤية البصرية قال بعضهم والاشبه انها العلمية (قوله منكم) المراد

الشيحان الظلم ظلمات يوم القيامة وروى أيضا ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم
قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة وروى البخاري من كانت منه مظلمة لاخيه
فليستحله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يأخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له
حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه وفى الحديث الصحيح أتدرون من المفلس قالوا
يا رسول الله المفلس فينا من لا دينار له ولا متاع قال المفلس من أمتي من أتى يوم القيامة
بصلاة وزكاة وصيام وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا
من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرح عليه ثم طرح
فى النار وقال عليه الصلاة والسلام من دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه
ولما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة وشكوا ذلك
اليها فقالت لهم متى يركب قالوا فى غد فكتبت رقعة ووقفت فى طريقه وقالت يا أحمد بن
طولون فلما رآها عرفها فنزل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم
وقدرتم فقهرتم وخولتم ففسقتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام
الاسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أوجعتموها وأكباد أجعتموها وأجساد
عريتموها اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون
وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته وهذا وما قبله توطئة لقوله (فلا
تظالموا) بتخفيف الظاء أصله تتظالموا فحذفت احدى التاءين تخفيفا ويجوز تشديد الظاء
بادغام الاخرى فيها وزعم بعضهم أنه الرواية أى لا يظلم بعضكم بعضا فان الله يقتص للمظلوم
من الظالم بقدر ظلامته وفى الحديث ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشياع الظلمة
حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلما فيجمعون فى تابوت من حديد فيرمى بهم فى جهنم وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مشى مع مظلوم يعينه على مظلمته ثبت الله قدميه
على الصراط يوم تزل فيه الاقدام ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه أزل الله قدميه على
الصراط يوم تدحض فيه الاقدام وبعث عبد الرحمن بن مسلم الى الضحاك بعطاء أهل بخارى
وقال اعطهم فقال اعفني فلم يزل يستعفه حتى أعفاه فقال ما عليك أن تعطيهم أنت ولا
ترزأهم شيأ فقال انى لا أحب ان أعين الظلمة على شيء من أمرهم * (فائدة) ان قيل أى آية
فى كتاب الله أخوف فالجواب قيل ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم أيها الثقلان
وقيل فأين تذهبون وقيل من يعمل سوءا يجز به وقيل أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وقيل ان
بطش ربك لشديد وقيل أم حسب الذين اجترحوا السيئات قال الهيتمي ولماذا كرما أوجبه
من العدل وحرمة الظلم على نفسه وعلى عباده أتبعه بذكر احسانه اليهم وغناه عنهم
وفقرهم اليه وانهم لا يقدرون على جلب منفعة لانفسهم ولا دفع مضرة عنهم الا أن يكون
هو الميسر لذلك مشيرا الى أن ذلك الجلب والدفع اما فى الدين أو الدنيا فصارت أربعة أقسام
وهى الهداية والمغفرة وهما جلب منفعة ودفع مضرة فى الدين والاطعام والكسوة وهما
جلب منفعة ودفع مضرة فى الدنيا وأهم هذه الاقسام طلب الهداية ولذا افتتح بها فقال
(يا عبادى) كرر النداء زيادة لشرفهم وتعظيمهم (كلكم ضال) أصل الضلال فى اللغة

جميع الامة لا المخاطبون فقط فالحاضر يعلم الغائب (قوله منكرا فليغيره) أى يزيله (بيده فان لم يستطع) الازالة بها ذكر (فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) ومعناه أقل ثمرات الايمان اذ فيه الكراهة فقط وقد جاء فى رواية وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل أى لم يبق وراء هذه المرتبة مرتبة أخرى لانه اذا لم يكرهه بقلبه فقد رضى بالقضية وليس ذلك من شأن الايمان فعلم من ذلك أنه لا يكفى الوعظ لمن أمكنه ازالته باليد ولا كراهة القلب لمن قدر على النهى باللسان فقد تطابق على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الكتاب والسنة والاجماع فهو أيضا من النصيحة التى هى الدين ولنذكر جملة من الاحاديث الواردة فى ذلك فنقول عن حذيفة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عذابا من عنده ثم تدعونه فلا يستجيب لكم رواه الترمذى وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروا الله فلا يغفر لكم ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يدفع رزقا ولا يقرب أجلا وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء رواه الاصفهانى وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر أو أمير جائر رواه أبو داود وعن أبى ذر رضى الله عنه قال أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير أوصانى أن لا أخاف فى الله لومة لائم وأوصانى أن أقول الحق ولو كان مرا رواه ابن حبان وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم

الغيبوبة يقال ضل الماء فى اللبن اذا غاب فيه ومنه قول الرجل الذى قال لبنيه اذا مت فاحرقونى ثم ذرونى فى الريح لعلى أضل ربى أى يخفى موضعى عليه وضل الكافر اذا غاب عن الحجة ومن هذا قوله أئذا ضللنا فى الارض أى غبنا فيها بالموت وصرنا ترابا ومنه قوله تعالى فى الانعام لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون يعنى غاب عنكم ذكر ما كنتم تزعمون وقال فى الانعام أيضا وضل عنهم ما كانوا يفترون يعنى غاب عنهم ذكر الآلهة ويطلق الضلال بمعنى النسيان ومنه قوله تعالى أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ومعنى تضل تغفل وتسهو وضل أى لم يهتد يقال رجل ضال اذا أخطأ الطريق ورجل مضلل اذا لم يتوجه لخير قال الشاعر

ألم تسأل فتخبرك الديار * عن الحى المضلل اين سار وا

وليس المراد بالضلال المحبة كما فى قوله تعالى حكاية عن اخوة سيدنا يوسف انك لفى ضلالك القديم اى فى محبتك القديمة ليوسف وكما قال بعض المفسرين فى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أى محبا له فهداك ويطلق الضلال بمعنى عدم العلم بتفصيل الامور وعليه حمل أكثر المفسرين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أى غير عالم تفصيل شرعتك وقوله كلكم ضال أى فاقد طريق الهداية أو سالك طريق غيرها من الضلالة وهى فقدان طريق يوصل الى المطلوب وقيل سلوك طريق لا توصل اليه وضلال الطريق العدول عن سمته (الا من هديته) الهداية هى لغة الدلالة بلطف ولذا لا تستعمل فى غير الخير الا تهكما كقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وفى عرف أهل الحق الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب حصل أو لم يحصل وعند المعتزلة الدلالة الموصلة اليه قال بعضهم ولا نزاع بينهم فى الحقيقة لان الهداية تجئ تارة بمعنى خلق الاهتداء نحو يهدى من يشاء فلهذا نفى الهداية من قوله تعالى انك لا تهدى من أحببت وتارة بمعنى بيان طريق الحق فلهذا نسبت الهداية اليه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وذكر الخازن فى تفسير قوله تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ما نصه وقيل بالفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضى المغايرة فالبيان هو الدلالة التى تفيد ازالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المأمور بسلوكه دون طريق الغى والموعظة هى الكلام الذى يفيد الزجر عما لا ينبغى فى طريق الدين (فاستهدونى) أى اطلبوا منى الهداية أى الدلالة الموصلة الى طريق الحق (أهدكم) بفتح الهمزة وكسر الدال أى الطريق المستقيم وفى هذا اشارة الى أنه تعالى لا يجب عليه شئ خلافا للمعتزلة فى قولهم بوجوب الصلاح والاصلح عليه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا (يا عبادى كلكم جائع الا من أطعمته) لان الخلق ملكه ولا ملك لهم بالحقيقة وهو الرازق وخزائن الرزق بيده وهم عبيد لا يملكون شيأ فمن لم يطعمه بفضله بقى جائعا بعدله اذ ليس عليه اطعام أحد فان قلت كيف هذا مع قوله عز وجل وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فالجواب ان هذا الالتزام منه تفضلا لا أن عليه للدابة حقا بالاصالة اذ لا يجب عليه شئ وشبه هذا قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ولا يمنع من نسبة الاطعام اليه

يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا الا يوشك أن يعمهم الله بعقاب منه رواه أبو داود وعن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسمك فى وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة رواه الترمذى وغيره وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر

كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر رواه الامام أحمد وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال لا اله الا الله تنفع من قالها وترفع عنه العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها قال يظهر العمل بمعاصى الله تعالى فلا ينكر ولا يغير رواه الاصفهانى وسئل صلى الله عليه وسلم عن خير الناس قال أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر رواه أبو الشيخ وغيره اذا علم ذلك فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية والمراد الامر بواجبات الشرع والنهى عن محرماته اذا لم يخف على نفسه أو ماله أو غيره مفسدة أعظم من مفسدة المنكر الواقع أو يغلب على ظنه أن المرتكب يزيد فيما هو فيه عنادا فان فقد شرط من ذلك سقط الوجوب ولا ينكر الا ما يرى الفاعل تحريمه ولا يختص ذلك بمسموع القول بل على المكلف أن يأمر وينهى وان علم بالعادة انه لا يفيد فان الذكرى تنفع المؤمنين ولا يشترط أن يكون ممتثلا ما يأمر به مجتنبا ما ينهى عنه بل عليه أن يأمر وينهى نفسه وغيره فان اختل أحدهما لم يسقط الآخر ولا يشترط فى الآمر بالمعروف

والناهى عن المنكر العدالة بل قال الامام وعلى متعاطى الكاس ان ينكر على الجلاس وقال الغزالى يجب على من غصب امرأة الزنا أمرها بستر وجهها عنه قال الائمة ويترفق بالتغيير لمن يخاف شره وبالجاهل فان ذلك ادعى الى قبوله وازالة المنكر ويستعين عليه بغيره اذا لم يخف منه من اظهار سلاح وحرب ولم يمكنه الاستقلال فان عجز عنه رفع ذلك الى الوالى فان عجز

تعالى ما شاهد من ترتب الارزاق على أسبابها الظاهرة كالصنائع لانه المقدر لها بحكمته الباطنة فالجاهل محجوب بالظاهر عن الباطن والكامل لا يحجبه ظاهر عن باطن ولا عكسه بل يعطى كل مقام وحال حقه واعلم أن المقرر فى علم الكلام ان من اعتقد أن شيأ من الاسباب العادية يؤثر بطبعه أى بذاته وحقيقته فهو كافر اجماعا وان من اعتقد ان الله تعالى خلق فيها قوة تؤثر فهو فاسق مبتدع وفى كفره قولان وان من اعتقد أنها لا تؤثر بطبعها ولا بقوة جعلها الله فيها وانما المؤثر هو الله عز وجل ولكن التلازم بينها وبين ما قارنها عقلى لا يمكن تخلفه فهذا جاهل بحقيقة الحكم العادى وربما جره ذلك الى الكفر وان من اعتقد حدوث الاسباب وانها لا تؤثر بطبعها ولا بقوة جعلها الله فيها ويعتقد صحة التخلف بأن يوجد السبب ولا يوجد المسبب وأن المؤثر فى السبب والمسبب هو الله تعالى فهو الموحد الناجى * فائدتان * الاولى ورد فى الحديث ان من الملائكة ملكا له أربعة أوجه وجه كوجه الانسان وهو يسأل الله تعالى الرزق لبنى آدم ووجه كوجه الاسد وهو يسأل الله عز وجل الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسأل الله عز وجل الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر وهو يسأل الله عز وجل الرزق للطير وأخرج الشيخان وغيرهما المسلم يأكل فى معاء واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء وأخرج مسلم أضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفا كافرا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها ثم أخرى فشرب حلابها حتى شرب حلاب سبع شياه ثم انه أصبح فأسلم فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها ثم أخرى فلم يستتمه فقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم يشرب فى معاء واحد والكافر فى سبعة أمعاء وأخرج البزار بسندين أحدهما رجاله ثقات أكثر الناس شبعا فى الدنيا أكثرهم جوعا يوم القيامة قاله لابى جحيفة لما تجشى قال فما ملأت بطنى منذ ثلاثين سنة الثانية أخرج البيهقى بسند فيه ابن لهيعة عن عائشة رضى الله عنها قالت رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أكلت فى اليوم مرتين فقال أما تحبين أن يكون لك شغل الا جوفك الاكل فى اليوم مرتين من الاسراف والله لا يحب المسرفين وصح خبر من الاسراف أن تأكل كل ما اشتهيت (فاستطعمونى) أى سلونى الطعام ولا يغترن ذا الكثرة ما فى يده فانه ليس بحوله ولا قوته بل الله تعالى هو المتفضل عليه * (تنبيه) * ورد الطعام فى القرآن على وجوه الاول الطعام الذى يأكله الناس كقوله تعالى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وقال فى الانعام وهو يطعم ولا يطعم الثانى الذبائح كقوله تعالى فى المائدة وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم بمعنى ذبائحهم حل لكم وذبائحكم حل لهم الثالث الطعام بمعنى السمك كقوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه بمعنى السمك الرابع بمعنى الشرب كما فى قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أى شربوا من الخمر قبل التحريم وكقوله تعالى فى البقرة ومن لم يطعمه فانه منى يعنى ومن لم يشرب به فانه منى فينبغى له مع ذلك أن لا يغفل عن سؤال ادامة الله نعمته عليه لانه قلما نفرت عن انسان فعادت اليه كما قال صلى الله عليه وسلم ما نفرت النعمة عن قوم فعادت عليهم (أطعمكم) أى أيسر لكم أسباب تحصيله لان العالم كله حيوانه وجماده مطيع لله

عنه أنكره وليس له التجسيس والبحث واقتحام الدور بالظنون بل ان رأى شيأ غيره فان أخبره ثقة عن اختفى بمنكر فيه انتهاك حرمة يفوت تداركها كالزنا والقتل اقتحم له الدار وجوبا وان لم يكن فيه انتهاك حرمة فلا اقتحام ولا تجسيس * (تنبيه) * ذكر العلماء من الاحوال التى تباح فيها الغيبة للمصلحة الاستعانة (٢٠٣) على تغيير المنكر ورد العاصى الى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته

على ازالة المنكر فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده ازالة المنكر فان لم يقصد ذلك كان حراما وتباح الغيبة وان كانت محرمة فى ستة أحوال * أولها التظلم فيجوز للمتظلم ان يتظلم الى السلطان والقاضى وغيرهما فيذكر أن فلانا ظلمنى وفعل بى كذا أو أخذ لى كذا أو نحو ذلك ثانيها الاستعانة على تغيير المنكر كما قدمنا * ثالثها الاستفتاء بان يقول للمفتى ظلمنى أبى أو أخى أو فلان بكذا فهل له ذلك أم لا وما طريقى فى الخلاص منه وتحصيل حقى ودفع الظلم عنى وكذلك قوله زوجتى تفعل معى كذا وزوجى يفعل معى كذا فهذا جائز للحاجة * رابعها تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة للحديث والشهود وذلك جائز باجماع المسلمين بل واجب للحاجة ومنها اذا شاورك انسان فى مصاهرته ومشاركته وايداعه ومعاملته وجب عليك ان تذكر له ما تعلمه منه على جهة النصيحة ومنها ان تكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها اما بأن لا يكون صالحا واما بأن يكون فاسقا أو مغفلا أو نحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية ليزيله ويولى غيره ممن يصلح ونحو ذلك * خامسها الفسق كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وأخذ المكس وجباية الاموال ظلما فيجوز ذكره بما تجاهر به فانت ويحرم ذكره بغيره من العيوب الا أن يكون لجوازه سبب * سادسها التعريف فاذا كان الانسان معروفا بلقب كالاعرج والاعمش والاهرج والاعمى والاحول جاز تعريفه بذلك ويحرم اطلاقه على وجه التنقيص ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى وأدلة

فيسخر السحاب يسعى فى بعض الامكنة ويحرك قلب فلان لاعطاء فلان ويحوج فلانا الى فلان لينال منه نفعا والانسان وان صبر على الجوع لا بد له من الطعام فقد كان عبد الرحمن بن أبى نعيم لا يأكل فى الشهر الا مرة فأدخله الحجاج بيتا وأغلقه ثم فتحه بعد خمسة عشر يوما ظانا أنه مات فوجده قائما يصلى فقال تصلى بغير وضوء فقال انما يحتاج الى الوضوء من يأكل ويشرب وأنا على الطهارة التى أدخلتنى عليها وأسر الروم امرأة فى زمن سيف الدولة فهربت ومشت مائتى فرسخ لم تأكل شيأ فقال لها سيف الدولة كيف قويت على المشى فقالت كلما جعت قرأت قل هو الله أحد ثلاث مرات فأشبع وفى الحديث لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقال لعائشة أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قالت وكيف نديم قال بالجوع والظمأ وقال أيضا ما من عمل أحب الى الله من الجوع والظمأ * (فائدة) * قال الزمخشرى لو سئل أهل القبور ما سبب قصر آجالكم لقالوا التخمة ولقد أحسن القائل فيمن كثر أكله

عيث الطعام القلب ان زاد كثرة * كزرع اذا بالماء قد زاد سقيه

وأى لبيب يرتضى نقص عقله * بأكل لقيمات لقد ضل سعيه

(ياعبادى كلكم عار) كما نزل من بطن أمه محتاج الى الكسوة (الا من كسوته فاستكسونى) أى اسألونى الكسوة وهى اللباس (أكسكم) بفتح الهمزة وكسر السين وضمها أى أيسر لكم الاسباب المحصلة لها ومما نقل عن حكم عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ابن آدم أنت أسوأ بك ظنا حين كنت أكمل الناس عقلا لانك تركت الحرص حين كنت صبيا محمولا ورضيعا مكفولا ثم ادرعته عاقلا قد أصبت رشدك وبلغت أشدك وذكر اللباس والطعام لشدة الحاجة اليهما اذ لا مندوحة عنهما بل هما أصل من أمور الدين وتكمل بهما منافعه (ياعبادى انكم تخطؤن) بضم التاء وكسر الطاء على الاشهر أى تفعلون الخطيئة عمدا وروى بفتح التاء والطاء على وزن تقرؤن ويقال خطأ اذا فعل ما يأثم به فهو خاطئ ومنه انا كنا خاطئين ويقال فى الاثم أيضا أخطأ فهما صحيحان قاله المؤلف وزعم بعضهم انه لا يجوز ان يكون هذا من الرباعى لان الفعل عن غير عمد وهو لا يؤاخذ به لحديث رفع عن أمتى الخطأ والنسيان والكلام انما هو فيما فيه اثم بدليل واستغفرونى بخلافه من الثلاثى فانه يكون عن عمد ونوزع بانا لا نسلم ان اخطأ منحصر فى الفعل من غير قصد بل يأتى بمعنى الثلاثى أيضا أى فعل الخطيئة عمدا (بالليل والنهار) قدم الليل لشرفه واصالته لانه وقت العبادة والخلوة ولان الظلمة هى الاصل والنور طارئ عليها يسترها ولان الشهور غررها الليالى وقوله بالليل والنهار من باب مقابلة الجمع بالجمع أى يصدر منكم الخطأ لا دائما بل من بعضكم ليلا ومن بعضكم نهارا اذ الغالب ان العبد لا يستغرق الدهر كله فى الخطايا (وأنا أغفر الذنوب جميعا) هو كقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وهو عام مخصوص بما عدا الشرك وما لا يشاء الله مغفرته لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وسبب نزول الآيتين ما روى عن ابن عباس قال أتى وحشى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أتيتك مستجيرا فأجرنى حتى أسمع كلام الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت أحب أن أراك على غير جوارى فلما أن أتيتنى مستجيرا

ماذكرناه شهيرة ليس هذا محل الاطالة فيها (تنبيه آخر) ما تقدم من أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية اى اذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين وان تركه الكل أثم كل متمكن بلا عذر ولا خوف محله ما اذا كان فى موضع لا يعلم به غيره فيتعين (خاتمة المجلس) لا تعارض بين قوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم (٢٠٣) منكرا فليغيره الى آخره وبين قول الله تبارك

وتعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم اذ معناه عند المحققين انكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم واذا كان كذلك فمما كلف به الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فاذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه أدى ما عليه فانما عليه الامر لا القبول اللهم وفقنا أجمعين آمين آمين والحمد لله رب العالمين

* (المجلس الخامس والثلاثون فى الحديث الخامس والثلاثين) *

الحمد لله الذى خلق الانسان من طين وكتب سعادته وشقاوته ورزقه وأجله وهو فى قرار مكين وأشهد أن لا اله الا الله الخالق المنشئ المميت المحيى تبارك الله أحسن الخالقين وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الناصح الامين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأزواجه وذريته وسلم تسليما كثيرا آمين (عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه مسلم) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث عظيم الفوائد كثير العوائد (قوله لا تحاسدوا) أى لا يحسد بعضكم بعضا ومعنى الحسد تمنى زوال النعمة عن الغير وهو حرام بالاجماع

فأنت فى جوارى حتى تسمع كلام الله فأنزل الله والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله مهانا فقال قد فعلت هذا كله أنا فى جوارك حتى أسمع كلام الله فأنزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآية فقال أرى شرطا فلعلى لا أعمل صالحا أنا فى جوارك حتى أسمع كلام الله فأنزل الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال فلعلى ممن لا يشاء الله أنا فى جوارك حتى أسمع كلام الله فأنزل الله عز وجل قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فقال نعم الآن لا أرى شرطا فأسلم وقوله وأنا أغفر الذنوب جميعا أورد الخبر مضارعا لافادة الاستمرار التجددى وعرف الذنوب بلام الاستغراق وأكدها بقوله جميعا المفيد كل منهما للعموم ليقوى الرجاء فلا يقنط أحد (فاستغفرونى) أى اطلبوا منى مغفرة ذنوبكم وأصل الغفر الستر وغفرت المتاع سترته والمغفرة وقاية تستر الرأس فى الحرب وغفران الذنب ستره (أغفر لكم) لقوله صلى الله عليه وسلم لو لا تذنبون وتستغفرون لذهب الله بكم ولجاء بقوم غيركم فيذنبون ويستغفرون فيغفر لهم قيل ومن لازم على هذه الاشياء السبعة عاش سعيدا ومات شهيدا أحدها أن يقول عند ابتداء كل شئ بسم الله وعند الفراغ منه الحمد لله واذا رأى ما يكره قال لا حول ولا قوة الا بالله واذا رأى ما يستعظم قال لا اله الا الله واذا أصابته مصيبة قال انا لله وانا اليه راجعون واذا أذنب ذنبا قال استغفر الله واذا أراد ان يفعل فعلا قال ان شاء الله فينبغى للانسان ان يعود لسانه عليها وذكر عن وهب بن منبه ان ابليس لعنه الله لقى يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام فقال له يحيى أخبرنى عن طبائع بنى آدم عندكم فقال ابليس أما صنف منهم فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شئ وصنف ثان فهم فى أيدينا كالكرة فى أيدى الصبيان وقد كفونا أنفسهم والصنف الثالث فهم أشد الاصناف علينا نقبل على أحدهم حتى ندرك منه حاجتنا ثم يفزع الى الاستغفار فيفسد علينا ما أدركنا منه فنحن لا نيأس منه ولا ندرك حاجتنا منه (ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى) بضم الضاد وفتحها (فتضرونى) بحذف نون الاعراب فى جواب النفى (ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى) أى لا يلحقنى ضر ولا نفع فتضرونى أو تنفعونى قال الله تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها وما اقتضاه ظاهر الحديث من ان لضره ونفعه غاية لكن لا يبلغها العباد غير مراد بل هو مؤول بما ذكر من باب قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * وقوله
* على لاحب أى طريق لا يهتدى لمناره * أى لا ضب فلا انجحار ولا منار فلا اهتداء والمعنى هنا لا يتعلق بى ضر ولا نفع فتضرونى أو تنفعونى قال بعض الكاملين وفى قوله لن تبلغوا ضرى الخ اشعار بأن ما تقدم من الهداية والاطعام والكسوة والغفران ليس لدفع ضر ولا لجلب نفع بل بمحض فضل (ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم) سمى الانس انسا لظهورهم وانهم يرتسمون أى يتصورون وسمى الجن جنا لاجتنانهم قال فى شرح المقاصد والجن أجسام لطيفة هوائية تتشكل باشكال مختلفة ويظهر منها أحوال عجيبة والشياطين أجسام نارية شأنها القاء الناس فى الفساد والغواية اه والظاهر ان المراد كل منهما كما يدل عليه السياق (تتمة) قال المؤلف الجن موجودون وقد يراهم بعض

وفى ذمه أحاديث كثيرة وهو داء لا دواء له من أمراض القلوب العظيمة وهو يضر دينا ودنيا ولا يضر المحسود دينا ولا دنيا اذ لا تزول نعمة بحسد قط والا لم تبق نعمة لله على أحد حتى الايمان لان الكفار يحبون زواله عن أهله بل المحسود منتفع بحسد الحاسد دينا لانه مظلوم من جهته سيما ان أبرز حسده الى الخارج بالغيبة وهتك الستر وغيرهما من أنواع الايذاء

فهذه هدايا تهدى اليه حسناته بسببها حتى يلقى الله يوم القيامة مفلسا محروما من النعيم كما حرم منها فى الدنيا فعلم ان هذا داء عظيم للعبد أعاذنا الله تعالى منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء على الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذى نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بشئ اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم أخرجه أحمد والترمذى وقال صلى الله عليه وسلم الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم ليس منى ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه وقال لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا وقال لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وفى الحديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر وفى حديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذلك نعمة محسود وروى أن موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لما تعجل الى ربه رأى فى ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال أحدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه الترمذى وكان لا يمشى بالنميمة وقال بعض السلف أول خطيئة عصى الله بها الحسد حسد ابليس آدم أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية ووعظ بعض الائمة بعض الامراء فقال اياك والكبر فانه أول ذنب عصى الله به ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية

الآدميين وأما قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فمحمول على الغالب ولو كانت رؤيتهم محالا لما قال صلى الله عليه وسلم فى الشيطان الذى تغلب عليه فى صلاته لقد هممت ان أربطه حتى تصبحوا تنظرون اليه كلكم وتلعب به غلمان المدينة وقال القاضى عياض قيل رؤيتهم على خلقتهم وصورهم الاصلية ممتنعة لظاهر الآية الا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن خرقت له العادة وانما يراهم بنو آدم فى غير صورهم كما جاء فى الآثار قلت هذه دعوى مجردة فان لم يصح لها مستند فهى مردودة اهـ كلام المؤلف وجزم شيخ الاسلام بما جزم به المؤلف وقوله انسكم وجنكم بيان وتفصيل بعد اجمال (كانوا) كلهم تقاة بررة (على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى) بضم الميم (شيأ) لفظ الترمذى ما زاد ذلك فى ملكى جناح بعوضة ولفظ ابن ماجه لم يزد فى ملكى جناح بعوضة أراد بأتقى قلب رجل واحد محمدا صلى الله عليه وسلم (يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا) كلهم عصاة فجرة (على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيأ) ولفظ ابن ماجه ولو اجتمعوا وكانوا على أشقى قلب عبد من عبادى لم ينقص من ملكى جناح بعوضة أى لا ينقص ملكه بكفر الكافرين ولا بمعصية العاصين بل ملكه كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه وأراد بأفجر قلب رجل الشيطان وهو من الجن عند أكثر المتكلمين (يا عبادى لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا) وللترمذى وابن ماجه اجتمعوا (فى صعيد واحد) الصعيد وجه الارض وظاهرها أى أرض واحدة ومقام واحد فسألونى فأعطيت كل انسان) منهم (مسألته ما نقص ذلك) الذى أعطيته (مما عندى) ولفظ الترمذى وابن ماجه من ملكى أى لان أمره بين الكاف والنون اذا أراد شيأ قال له كن فيكون وفى مسند البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خزائن الله الكلام اذا أراد شيأ قال له كن فكان وليس المراد أن هناك قولا يتوقف عليه الايجاد وانما هو كناية عن وجوده فى أسرع وقت عقب تعلق الارادة به فعبر عن تلك السرعة بزمن كن اذ لا يمكن أقل منه فى القول ولا يستنكر العطاء الكثير مع عدم النقص فالنار والعلم يقتبس منهما ولا ينقص منهما شئ بل يزيد العلم بالعطاء وقال القاضى قيد السؤال بالاجتماع فى مقام واحد لان تزاحم السؤال مما يضجر عنه المسئول ويدهشه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (الا كما ينقص المخيط) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح المثناة التحتية أى الابرة آلة الخياط (اذا دخل البحر) المحيط بالدنيا أى بالنسبة الى رأى العين اذ هو فى رأى العين لا ينقص من البحر شيأ فكذلك الاعطاء من الخزائن الالهية لا ينقصها شيأ البتة وهذا بظاهره يخالف قول الخضر لموسى ما نقص علمى وعلمك من علم الله عز وجل الا كما ينقص هذا العصفور الذى رأياه يشرب من هذا البحر فان شرب العصفور من البحر لا بد وان ينقصه شيأ وان قل والابرة يتعلق بها ما تبتل به الا انه بحسب الرؤية لا تنقص شيأ ويحكى أن رجلا سأل ابن الجوزى عن شرب العصفور من البحر فقال أفعه شئ يضعه فيه وهذا جواب على جهة التحقيق وقول الخضر لموسى على جهة التقريب وأما لو فرضنا الوجود مملوءا حبا وأخذ العصفور منه واحدة لنقصه بالضرورة لكن ليس ثم ما ينقصه ولفظ

واياك والحرص فانه اخرج آدم من الجنة اسكنه الله جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فن حرصه أكل منها فأخرجه الله من الجنة ثم قرأ قال اهبطا منها جميعا الآية واياك والحسد فانه الذى حمل ابن آدم على ان قتل أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين وقيل كان السبب أيضا فى قتله له ان زوجته أخت القاتل كانت أجمل من زوجة القاتل أخت المقتول لان حواء ولدت لآدم عشرين بطنا فى كل بطن اثنان ذكر وأنثى فكان آدم صلى الله عليه وسلم يزوج أنثى كل بطن لذكر بطن أخرى لا لذكر بطنها فلما رأى قابيل ان زوجة أخيه هابيل أجمل حسده عليها حتى قتله وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة وهوانا ونكالا وعن زكريا عليه السلام انه قال قال الله سبحانه وتعالى الحاسد عدو لنعمتى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى التى قسمتها بين عبادى ولبعضهم

ألا قل لمن بات لى حاسدا
أتدرى على من أسأت الادب
أسأت على الله فى فعله
اذا أنت لم ترض لى ما وهب
فجازاك منه بأن زادنى
وسد عليك وجوه الطلب

وقال غيره

دع الحسود وما يلقاه من كمده
كفاك منه لهيب النار فى كبده
ان لمت ذا حسد نفست كربته * وان سكت فقد عذبته بيده

وللامام الشافعى رضى الله عنه

تذكرت فى دهرى رخاء وشدة * وناديت فى الاحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءنى غير شامت * ولم أر فيما سرنى غير حاسد

ومن الحكمة الحسود لا يسود أبدا والبخيل تأكل ماله العدا وقد يوضع الحسد موضع الغبطة وهو محمود ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنتين أى

الترمذى الا كما لو مر أحدكم بالبحر فغمس فيه ابرة ثم رفعها اليه ولفظ ابن ماجه الا كما لو أن أحدكم مر بشفة البحر فغمس فيها ابرة ثم نزعها ونقص يستعمل لازما كنقص المال ومتعديا نحو نقصت زيدا حقه وهو هنا متعد لان محل اذا دخل البحر نصب به (يا عبادى انما هى) الضمير راجع الى ما يفهم من قوله أتقى قلب رجل وأفجر قلب رجل وهى الاعمال الصالحة والقبيحة أو هى ضمير الشان يفسره (أعمالكم أحصيها) أى أضبطها وأحفظها (لكم) بعلمى وملائكتى الحفظة لا لاحتياج لهم بل ليكونوا شهداء بين الخالق وخلقه ولهذا يقال يوم القيامة لبعض الناس كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا (ثم أوفيكم اياها) أى أعطيكم جزاءها وافيا تاما خيرا كان أو شرا فحذف المفعول الثانى وهو المضاف فانقلب الضمير المخفوض المتصل بالاضافة معنويا منفصلا والتوفية اعطاء الحق على التمام والكمال والتوفية تكون فى الآخرة لقوله تعالى وانما توفون أجوركم يوم القيامة أو فى الدنيا أيضا لما روى انه صلى الله عليه وسلم فسر ذلك بأن المؤمنين يجازون بسيئاتهم فى الدنيا ويدخلون الجنة بحسناتهم والكافر يجازى بحسناته فى الدنيا ويدخل النار بسيئاته (فمن وجد خيرا) أى ثوابا ونعيما أو حياة طيبة هنيئة (فليحمد الله) تعالى على توفيقه للطاعات والاعمال الصالحة وعدل عن التكلم الى الغيبة كما فى انا أعطيناك الكوثر فصل لربك لتجديد النشاط للسامع واهتماما بذكر اسم الله دون الضمير وتفخيما لشأنه وايقاظا للاصغاء (ومن وجد غير ذلك) أى شرا ولم يذكره بلفظه تعليما لنا كيفية الادب فى النطق بالكناية عما يؤذى أو يستهجن أو يستحيى منه أو اشارة الى أنه اذا اجتنب لفظه فكيف فعله (فلا يلومن) بالنون للتحذير (الا نفسه) لتفريطه بكسبه القبيح المترتب عليه ذلك لان للعبد جزأ اختياريا وان كان بخلقه تعالى وايجاده على وفق ارادته والمعتزلة قالوا فلا يلومن الا نفسه مؤذن بان العبد هو الخالق لافعاله القبيحة ورد بما ورد شاهدا باسناد جميع الكائنات الى الله تعالى ابتداء فالمعنى هنا فلا يلومن الا نفسه حيث آثرت شهواتها على رضى خالقها فكفرت بانعمه ولم تذعن لاحكامه وحكمه فاستحقت أن يعاملها بمظهر عدله وأن يحرمها مزايا جوده وفضله (رواه مسلم) فى كتاب الادب ورواه أيضا أحمد والترمذى وابن ماجه عن صحابيه المذكور ولجلالته وعظم فوائده كان أبو ادريس راويه عن أبى ذر اذا حدث به جثا على ركبتيه تعظيما له

(الحديث الخامس والعشرون)

(عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أن ناسا) هم فقراء المهاجرين كما بينه فى رواية البخارى عن حديث أبى هريرة وسمى منهم فى رواية أبى داود أبا بكر وفى رواية النسائى أبا الدرداء قال فى الفتح والظاهر ان أبا هريرة منهم وكذا زيد بن ثابت ولا تنافى بين رواية فقراء المهاجرين وعد زيد مع أنه أنصارى لاحتمال التغليب (من أصحاب رسول الله) صلى الله عليه وسلم الاصحاب جمع صاحب وهو لغة من بينك وبينه مواصلة وان قلت وعرفا قال الحافظ ابن حجر من لقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك والمراد باللقاء ما هو أعم من المجالسة والمماشاة ووصول احدهما الى الآخر وان لم يكالمه ويدخل فيه رؤية أحدهما للآخر وهو

غبطة أعظم من الغبطة بهاتين الخصلتين (حكاية) كان بعض الصلحاء يجلس بجانب ملك ينصحه و يقول له احسن الى المحسن باحسانه فان المسئ ستكفيك اساءته فحسده بعض الجهلة على قربه من الملك وأعمل الحيلة على قتله فسعى به للملك فقال انه يزعم انك أبخر وامارة ذلك أنك اذا قربت منه يضع (٢٠٦) يده على أنفه لئلا يشم رائحة البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج فدعا الرجل لمنزله وأطعمه ثوما فخرج الرجل من عنده وجاء للملك وقال له مثل قوله السابق أحسن الى المحسن الى آخره كعادته فقال له الملك أدن منى فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك رائحة الثوم منه فقال الملك فى نفسه ما أرى فلانا الا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة أو صلة فكتب له بخطه لبعض عماله اذا ما أتاك صاحب كتابى هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الذى سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لى بصلة قال هبه منى فقال هو لك فأخذه ومضى به الى العامل فقال له العامل فى كتابك أنى أذبحك واسلخك فقال ان الكتاب ليس هو لى الله الله فى أمرى حتى أراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعلت بالكتاب قال لقينى فلان فاستوهبه منى فدفعته له فقال الملك انه ذكر لى انك تزعم انى أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على أنفك وفيك قال أطعمنى ثوما فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفى المسىء اساءته * فتأملوا رحمكم الله تعالى شؤم الحسد وما جر اليه تعلموا سر قوله صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله تعالى و يبتليك (قوله صلى الله عليه وسلم ولا تناجشوا) النجش فى اللغة الاثارة والخديعة وفى الشرع الزيادة فى الثمن المدفوع فى المعروض للبيع وان لم يساو القيمة أو كان لمحجور عليه ليغر غيره فيشتريه وهو حرام للايذاء وغش الغير حرام والبيع صحيح اذ المعنى فى النهى خارج عن

أولى من قول بعضهم من رأى لانه يخرج ابن أم مكتوم ونحوه من العميان وهم صحابة بلا تردد وقوله مؤمنا به يخرج من لقيه كافرا ثم أسلم بعد موته كرسول قيصر ومن لقيه مؤمنا بغيره فقط من الانبياء ونقل شيخ الاسلام ان فى كلام ابن حجر ما يدل على أنه لقيه فى حال نبوته وحينئذ فيخرج من لقيه مؤمنا بأنه سيبعث ولم يدرك البعثة كزيد بن عمرو بن نفيل وعده ابن منده فى الصحابة قال شيخ الاسلام ولا بد أن يكون اللقى قبل وفاته ليخرج من لقيه بعدها كما وقع لابى ذؤيب خويلد بن خالد الهذلى واشترط شيخ الاسلام أيضا فى الملاقى أن يكون مميزا فيخرج عبد الله بن عدى بن الخيار الذى أحضر اليه عليه الصلاة والسلام غير مميز ومن حنكه من الاطفال كعبد الله بن الحارث بن نوفل وعبد الله بن طلحة الانصارى أو مسح وجهه كعبد الله بن ثعلبة بن ظفر فهؤلاء لهم رؤية وليس لهم صحبة وهو ظاهر كلام ابن أبى زرعة الرازى وأبى حاتم وأبى داود وجزم ابن قاسم تلميذ المحلى فى شرح جمع الجوامع بعدم اشتراط التمييز وبه جزم السمهورى مصرحا بان فيه خلافا وأما من ارتد بعد صحبته فقضية مذهب مالك احباط العمل بمجرد الردة لانهم يرون احباط العمل بها فلا يسمى صحابيا الا اذا عاد الى الاسلام ولقى النبى صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن أبى سرح وقضية من لا يرى الاحباط الا بالموت كالشافعية انه يسمى صحابيا اذا عاد للاسلام بعد موته صلى الله عليه وسلم كما فى الاشعث بن قيس فانه ارتد وأتى به أسيرا لابى بكر فعاد للاسلام فقبل منه وزوجه أخته والظاهر اشتراط رؤيته فى عالم الشهادة فلا يطلق اسم الصحبة على من رآه من الملائكة والنبيين واستشكل ابن الاثير ذكر مؤمنى الجن فى الصحابة دون مؤمنى الملائكة وهم أولى بالذكر من هؤلاء وأجيب بأن الجن من جملة المكلفين الذين شملتهم الرسالة والبعثة فكان ذكر من عرف اسمه ممن رآه حسنا بخلاف الملائكة والظاهر أن عيسى يطلق عليه اسم الصحبة أيضا لانه رآه فى الارض (قالوا للنبى) بالهمز من النبأ وهو الخبر وعليه ففعيل يحتمل أن يكون بمعنى مفعول اذ هو منبأ بالغيوب أو بمعنى فاعل أو مفعل اذ هو منبئ بما أطلعه الله عليه ويصح ترك الهمز فى هذين الوجهين تسهيلا وأما فى لغة من لا يهمزه فهو مأخوذ من النبوة بفتح النون وهى ما ارتفع من الارض يقال نبا الشئ اذا ارتفع فالمعنى على هذا أن النبى مرفوع الرتبة ونهيه صلى الله عليه وسلم عن المهموز بقوله لا تقولوا يا نبىء الله بالهمز بل قولوا يا نبى الله أى بلا همز لانه قد يرد بمعنى الطريق فخشى صلى الله عليه وسلم فى الابتداء سبق هذا المعنى الى بعض الاذهان فنهاهم عنه فلما قوى اسلامهم وتواترت به القراآت نسخ النهى عنه لزوال سببه (صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ذهب أهل الدثور) الذهاب المضى ويستعمل فى المعانى والاعيان يقال ذهب فى الارض ذهابا مضى وذهب مذهب فلان قصد قصده وطريقته وذهب فى الدين مذهبا رأى فيه رأيا وأحدث فيه بدعة والدثور بضم المهملة والمثلثة جمع دثر بفتح فسكون كفلوس جمع فلس وهو المال الكثير قال الخطابى وقع فى رواية البخارى أهل الدور وجرى عليه صاحب المطالع وهو غلط والصواب الدثور هكذا رواه الناس كلهم (بالاجور) جمع أجر وهو ما يعود على الانسان من ثواب عمله الدنيوى أو الاخروى والمراد هنا الثانى ولا يقال الا فى النفع دون الضر بخلاف الجزاء ورواية

البيع ولا خيار للمشترى لتقصيره ويختص الاثم بالعالم بالتحريم دون غيره (قوله ولا تباغضوا) أى لا تتعاطوا أسباب البغضاء فالبغض حرام الا فى الله تعالى فانه واجب ومن كمال الايمان كما قال صلى الله عليه وسلم من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان (قوله ولا تدابروا) أى لا يدبر (٢٠٧) بعضكم عن بعض معرضا عنه اذ التدابر المعاداة وقيل المقاطعة لان كل واحد يولى صاحبه دبره (تنبيه) قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام وفى رواية لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام وفى سنن أبى داود فمن هجره فوق ثلاث فمات دخل النار والاحاديث فى هذا المعنى كثيرة ويجوز هجر المبتدع والفاسق ونحوهما ومن رجى بهجره صلاح دين الهاجر والمهجور وعليه يحمل هجره صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك رضى الله عنه وصاحبيه ونهيه صلى الله عليه وسلم الصحابة عن كلامهم وكذا هجر السلف بعضهم بعضا (قوله ولا يبع بعضكم على بيع بعض) نهى صلى الله عليه وسلم عن البيع على بيع غيره أى قبل لزومه بانقضاء خيار المجلس أو الشرط بأن يأمر المشترى بالفسخ ليبيعه مثله بأقل من ثمنه وكذا يحرم الشراء على الشراء قبل لزومه بأن يأمر البائع بالفسخ ليشتريه بأكثر قال صلى الله عليه وسلم لا يبع بعضكم على بيع بعض رواه الشيخان من ابن عمر زاد النسائى حتى يبتاع أو يذر وفى معناه الشراء على الشراء وروى مسلم من حديث عقبة ابن عامر المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر والمعنى فى تحريم ذلك وهو للعالم بالنهى عنه الايذاء ولو أذن البائع فى البيع على بيعه ارتفع التحريم وكذا المشترى فى الشراء ولو باع أو اشترى دون اذن صح (قوله وكونوا عباد الله اخوانا) أى اكتسبوا ما تصيرون به كذلك من حسن المعاشرة وفعل المؤلفات وترك المنفرات

ورواية البخارى بالدرجات العلى والنعيم المقيم واحترز بالمقيم عن العاجل فانه قل ما يصفو وان صفا قليلا أعقبه الكدر والزوال وزاد البخارى فى الدعوات قال وكيف ذلك قالوا (يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم) زاد فى حديث أبى الدرداء ويذكرون كما نذكر (و يتصدقون بفضول أموالهم) أى بأموالهم الفاضلة عن كفايتهم وقيدوا بذلك بيانا لفضل الصدقة فانها بغير الفاضل عن الكفاية مكروهة بل قد تحرم لحديث كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول ولفظ البخارى فى الدعوات وانفقوا من فضول أموالهم وليس لنا أموال ولمسلم فى الصلاة ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق وقولهم ذلك ليس حسدا بل تحسرا على ما فاتهم من الصدقة والبر مما لا يقدرون عليه وتعذر عليهم فعله لفرط حرصهم وقوة رغبتهم فى العمل الصالح ظنا منهم أن الصدقة لا تكون الا بالمال فأرشدهم المصطفى الى أن بكل نوع صدقة حيث (قال) لهم جوابا عن ذلك تطمينا لخاطرهم وتقريرا لكونهم ربما ساووا الاغنياء (أوليس) الهمزة للانكار وليس بمعنى لا أى لا تقولوا ذلك فانه (قد جعل الله لكم ما تصدقون) بتشديد الصاد والدال كما هو الرواية وأصله تتصدقون فادغمت احدى التاءين فى الصاد بعد قلبها صادا وقد تحذف احداهما فتخفف الصاد وحذف صلة تصدقون وهو الجار والمجرور للعلم به وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام قال من كان له مال فليتصدق من ماله ومن كان له قوت فليتصدق من قوته ومن كان له علم فليتصدق من علمه وعنه أيضا أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدم وتجر بها المعروف والاحسان الى أخيك وتدفع عنه الكربة وعنه أيضا تبسمك فى وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة واماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق صدقة وافراغك من دلوك فى دلو أخيك صدقة (ان بكل تسبيحة) أى قول سبحان الله ومعناه تنزيه الله تعالى عما لا يليق له من كل نقص فيلزم نفى الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل (صدقة) أى حسنة وعن خالد بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال خذوا جنتكم فقال يا رسول الله من عدو حضر قال بل من النار قالوا وما جنتنا من النار قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فانهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومنجيات ومعقبات وهى الباقيات الصالحات ومعنى قوله مقدمات انها تقدم صاحبها الى الجنة ومنجيات تنجيه من النار ومعقبات حافظات والباء فى قوله بكل تسبيحة سببية ويجوز أن تكون ظرفية مجازا فكان التسبيحة لما كانت سببا لها جعلت ظرفا لها فتشبيهها بالظرف استعارة مكنية واثبات ما هو من خواص الظرف لها تخييل بانها من جنسه تناسيا للتشبيه كما شبه الجذع لتمكن المصلوب به فى ولاصلبنكم فى جذوع النخل استعارة مكنية وأثبت لها ما هو من خواصه تخييلا وقوله صدقة بالنصب اسم ان وبكل متعلق بجار ومجرور وهو الخبر المحذوف تقديره لكم وليس بخبر لعدم الفائدة (وكل تكبيرة) أى قول الله أكبر (صدقة) فيه وما بعده وجهان كما قال ابن فرج الرفع على الاستئناف والنصب عطفا على صدقة وهو الاجود (وكل تحميدة) أى قول كل ما اشتق من مادة الحمد كالحمد لله وأحمد الله ونحمد الله وحمدت الله ونحو ذلك (صدقة)

وتسمية هذا وماقبله ومابعده صدقة من مجاز المشابهة أى أجرا كأجر الصدقة فحذف كاف التشبيه للمبالغة ثم حذف أجرا فبقى أجر صدقة ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وأعرب باعرابه وقيل معناه أنها صدقة على نفسه (وكل تهليلة) أى قول لا اله الا الله (صدقة) قالت أم هانئ بنت أبى طالب كنت آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله علمنى شيأ أقوله وأنا جالسة فقال قولى الله أكبر مائة مرة خير لك من مائة بدنة مجللة متقبلة قولى سبحان الله مائة مرة خير لك من مائة فرس فى سبيل الله قولى الحمد لله مائة مرة خير لك من مائة رقبة من ولد اسمعيل تعتقيهم وقولى لا اله الا الله مائة مرة لايدركها شئ ولا يسبقها وفى رواية أحمد والنسائى أنه صلى الله عليه وسلم قال لام هانئ سبحى الله مائة تسبيحة فانها تعدل مائة رقبة من ولد اسمعيل واحمدى الله مائة تحميدة فانها تعدل مائة فرس ملجمة مسرجة تحملى عليها فى سبيل الله وكبرى الله مائة تكبيرة فانها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة وهللى الله مائة تهليلة ولا أحسب الاقال غلا ما بين السماء والارض ولا يرفع يومئذ لاحد مثل عملك الا أن يأتى بمثل ماأتيت به وفى الحديث أيضا من كبر مائة وسبح مائة وهلل مائة كان له خير من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال اذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل مامن عبد مؤمن يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (وأمر) نكره ايذانا بان كل فرد من أفراده صدقة وكذا نهى ولو عرفا لاحتمل ان أل استغراقية أو عهدية فلا يفيد النص على ذلك وهو اما مجرور أو مرفوع لما سلف وعلى الثانى سوغ الابتداء به كونه عاملا فى الجار والمجرور وكذا نهى (بالمعروف) عرفه اشارة لتعظيمه ولتقرره وثبوته وانه مألوف معهود فى عرف الشرع (صدقة) بشروطه الآتية (ونهى عن منكر) نكره لتحقيره ولانه فى حيز المعدوم والمجهول الذى لا الف للنفس فيه (صدقة) بشروطه الآتية ويدخل فى الامر بالمعروف الامر بالايمان وباتباع السنة ويدخل فى النهى عن المنكر النهى عن الكفر وعن البدعة وأخرهما عما قبلهما رعاية للترقى لوجوبهما بخلاف ماقبلهما والواجب أفضل من غيره بل نقل امام الحرمين أن ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل بسبعين ضعفا الحديث وردفيه (وفى بضع) بضم فسكون يطلق ويراد به الفرج ويطلق ويراد به الجماع وارادة كل منهما هنا صحيحة وعلى الاول يكون على حذف مضاف تقديره وفى وطئ بضع (أحدكم صدقة) اذا قارنته نية صالحة كاعفاف نفسه أو زوجته عن نظر أو فكر محرم أو قضاء حقها من معاشرتها بالمعروف المأمور به أو طلب ولد يوحد الله أو يكثر به المسلمون أو يكون له فرطا اذا مات لصبره عليه وقد كان عمر رضى الله عنه يتزوج المرأة لاقصد له فيها الا ارادة الولد للمكاثرة أو ليموت فيكون له اجره فعلم أن المباح يصير طاعة بالنية الصالحة وانما عاد فى هذا لان هذا النوع من الصدقة اغرب من الكل حيث جعل قضاء الشهوة ونيل اللذة بهذا

فتعاملوا وتعاشروا معاملة الاخوة ومعاشرتهم فى المودة والملاطفة والتعاون على الخير مع صفاء القلوب والنصح على كل حال (قوله المسلم أخو المسلم) معناه ماذكر من حسن المعاشرة وغيره مما مر (قوله لايظلمه) أى لايدخل عليه ضررا لايجوزه الشرع لحرمة ذلك ومنافاته الاخوة ولان الظلم (٢٠٨) للكافر حرام فللمسلم أولى والظلم يكون فى النفس والمال والعرض وكل ذلك منهى عنه بدليل آخر الحديث قال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة والاحاديث الواردة فى ذم الظلم كثيرة شهيرة ولذا قيل فى المعنى

لاتظلمن اذا ما كنت مقتدرا
فالظلم ترجع عقباه الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال بعض السلف لاتظلم الضعفاء فتكون من شرار الاشقياء (قوله ولا يخذله) أى بعدم اعانته ونصرته الجائزة مع القدرة عند الحاجة فاذا استعان به فى رفع ظلم ونحوه لزمه اعانته اذا أمكنه من غير عذر شرعى لان من حق اخوة الاسلام التناصر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتى وجلالى لانتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ولانتقمن ممن رأى مظلوما يقدر على أن ينصره فلم يفعل وقال صلى الله عليه وسلم أنصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يارسول الله أنصره ان كان مظلوما أفرأيت ان كان ظالما كيف أنصره قال تحجزه أو تمنعه عن الظلم فان ذلك نصرة وفى الحديث أيضا أمر بعبد من عباد الله تعالى أن يضرب فى قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه وأفاق قال علام جلدتمونى قالوا انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره ودخل فى قوله ولا يخذله الخذلان الدينى والدنيوى فالدينى كان يرى الشيطان مستوليا عليه فى بعض أحواله أو أعماله فلم يعنه عن الخلاص منه بوعظ ونحوه والدنيوى كان يرى شخصا يبطش به فلم يعنه عليه وجاء فى رواية ولا يكذبه بضم الباء واسكان الكاف كما ضبطه النووى رحمه الله

الطريق

الطريق صدقة وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر الا اخبرك بخير مايكنز المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا أمرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته عن زيد بن حارثة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يازيد تزوج تزدد عفة الى عفتك ولا تتزوج خمسا لاشهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هندرة ولا لفوتا أما الشهبرة فهى الزرقاء البذية واللهبرة الطويلة المهزولة والنهبرة القصيرة الذميمة والهندرة العجوز المدبرة واللفوت ذات الولد من غيرك رواه الديلمى فى مسند الفردوس (قالوا) متعجبين من ذلك مستبعدين ان الانسان يفعل ماللنفس فيه حظ وفيه ثواب (أيأتى أحدنا شهوته فيكون له فيها أجر) أى بسببها كما فى حديث فى النفس المؤمنة مائة من الابل أو هى باقية على ظرفيتها مجازا جعلت الشهوة كالظرف له من حيث كونها منشأه وهو مرتب عليها كما فى ولاصلبنكم فى جذوع النخل (قال أرأيتم لو وضعها) أى شهوته (فى حرام كان) قال الطيبى أقحم همزة الاستفهام على سبيل التقدير بين لو وجوابها تأكيدا للاستخبار فى قوله أرأيتم (عليه وزر) أى اثم وجوابه محذوف كأنهم قالوا نعم فقال (فكذلك) أى فمثل حصول الوزر له بوضعها فى الحرام حصول الاجر (اذا وضعها فى الحلال كان له أجر) بالرفع والنصب كما فى شرح مسلم والرفع ظاهر لان أجرا اسم كان وله خبرها وأما النصب فتقديره كان ذلك الوضع أجرا (رواه مسلم) وفى رواية له فرجع الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا أهل الاموال بما فعلنا ففعلوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا مشعر بتفضيل الغنى الشاكر على الفقير الصابر وبه قال الجمهور واختاره العسقلانى والسيوطى وهو الاصح لان الغنى يؤجر من وجوه منها الشكر ومنها الصبر على مايعطيه من الزكاة الواجبة ومنها الانفاق على من يلزمه وغير ذلك والفقير يؤجر من وجهين الصبر على الفقر مع الرضى والشكر والثانى تصرفه فيما لابد منه من نفقة نفسه ومن يلزمه ولان الفقر مع الصبر هو أوائل أحواله صلى الله عليه وسلم والغنى مع الشكر هو آخرها وعادة الله الجارية مع أنبيائه ورسله انهم لايختم لهم الا بافضل الاحوال فختمه لافضل خلقه بالغنى مع الشكر دليل على انه أفضل من الفقر مع الصبر ولحديث سعد فى الوصاية انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة ولحديث كعب بن مالك حيث استشار فى الخروج عن ماله كله فقال صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك وقال العز بن عبد السلام الفقير الصابر أفضل واليه ذهب جمهور الصوفية لخبر تعس عبد الدينار ولان مدار الطريق على تهذيب النفس ورياضتها وذلك مع الفقير أكثر منه مع الغنى وقال الداودى ان الذى أعطى الكفاف أفضل والكفاف حالة متوسطة بين الفقر والغنى وان الفقر والغنى محنتان من الله يمتحن بهما من يشاء من عباده لقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا وأما الحديث الذى اخرجه الترمذى اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا الحديث فهو ضعيف وعلى تقدير ثبوته فالمراد انه لايجاوز به الكفاف وقيل متقابلان وقيل بالوقف ومحل الخلاف فيمن يصلح حاله بالغنى والفقر بان كان اذا استغنى قام بجميع وظائف الغنى من البذل والاحسان

الله تعالى أى لايخبره بأمر على خلاف ماهو عليه لانه غش وخيانة وأشد الاشياء ضررا كما أن الصدق أشدها نفعا وقد جاء فى مدح الصدق وذم الكذب أخبار وآثار كثيرة شهيرة لانطيل بذكرها وبالجملة فالكذب حرام كله وأما ماروى ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات كما هو مذكور فى حديث الشفاعة (٢٠٩) فالمراد التعريض وهو اللفظ المشار به الى جانب والغرض الى جانب آخر لكن لما شابه الكذب فى صورته سمى به وجاء فى حديث الطبرانى كل الكذب يكتب على ابن آدم الا ثلاثا الرجل يكذب فى الحرب فان الحرب خدعة والرجل يكذب على المرأة فيرضيها والرجل يكذب بين الرجلين فيصلح بينهما وفى حديث فى الاوسط الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلما أو دفع به عن دين (قوله ولا يحقره) بالحاء المهملة والقاف أى لايستخف به لان الله تعالى أكرمه ومن أكرمه الله تعالى لم تجز اهانته (قوله التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات) أى لان الصدر محل القلب الذى هو بمنزلة الملك للجسد اذا صلح صلح الجسد كله كما مر فى محله وتكرار الاشارة للدلالة على عظم المشار اليه فى الحقيقة وهو القلب (قوله بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) أى يكفيه منه وقوله بحسب باسكان السين وفيه تحذير من الاحتقار قال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم الآية والسخرية النظر الى المسخور منه بعين النقص فلا تحتقر غيرك عسى أن يكون عند الله خيرا منك وأفضل وأقرب وقد احتقر ابليس اللعين آدم عليه السلام فباء بالخسران الابدى وفاز آدم بالعز الابدى وشتان مابينهما فلا تحتقر أحدا ولو كان عبدك فربما صار عزيزا وصرت ذليلا فينتقم منك * (تنبيه) * مفهوم الخبر أن الكافر يجوز احتقاره اذ لاحرمة له بالكفر واهانته على الله ومن يهن الله فماله من مكرم (قوله كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) جعل هذه الثلاثة كل المسلم وحقيقته لشدة اضطراره اليها لان الدم به حياته والمال مادة الدم فهو مادة الحياة والعرض قيام صورته المعنوية

واقتصر على هذه الثلاثة لان ماسواها فرع راجع اليها لانه اذا قامت البدنية والمعنوية فلا حاجة الى غير ذلك (خاتمة المجالس) في ذكر شئ من ذم الغيبة • قال الله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا الآية • عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة (٢١٠) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ماهذه الريح قالوا لا يارسول الله قال هذه ريح الذين يغتابون الناس • وعن جابر أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فانها أشد من الزنا قالوا يارسول الله وكيف الغيبة أشد من الزنا قال ان الرجل قد يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها • وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل لحم أخيه في الدنيا قدم اليه لحمه يوم القيامة ويقال له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويكلح ثم يصيح ثم قرأ قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيبة لها لذة في الدنيا وفي الآخرة تورد صاحبها النار وعن عكرمة ان امرأة قصيرة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرجت قالت عائشة رضي الله عنها ما أفصح كلامها لولا انها قصيرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتيها ياعائشة قالت ماقلت الا مافيها فقال ذكرت أقبح مافيها ثم قال من كف لسانه عن أعراض المسلمين أقال الله عثرته يوم القيامة ومن ذب عن أخيه فحقيق على الله تعالى أن يعتقه من النار • قيل يؤتى العبد كتابه يوم القيامة فلا يرى فيه حسنة فيقول يارب أين صلاتي وصيامي وطاعتي فيقال له ذهب عملك كله باغتيابك للناس ويعطى الرجل كتابه بيمينه فيرى فيه حسنات لم وايضا يعملها فيقال له هذا بما اغتابك به الناس وأنت لا تشعر وكما تحرم الغيبة يحرم استماعها واقرارها وهي ذكرك الانسان بما فيه بما يكره وينبغي لصاحب الغيبة ان يستغفر الله تعالى ويتوب قبل القيام من المجلس عسى ان يغفر الله تعالى له ذلك لقوله صلى الله

والمواساة واداء حقوق المال وشكر الملك الديان واذا افتقر قام بجميع وظائف الفقر كالرضى والصبر والقناعة وأما من يصلح حاله بالغنى فقط بأن يؤدي حق الله في حالة الغنى ولا يؤديه في حالة الفقر فالغنى أفضل اتفاقا ومن يصلح حاله بالفقر فقط بان يؤدي حق الله في حالة الفقر ولا يؤديه في حالة الغنى فالفقر أفضل اتفاقا فان قلت ماحقيقة الغنى وما المراد بالشاكر والصابر فالجواب كما قال الافقهسي ان الغنى مازاد على المحتاج اليه والغني الشاكر هو الذي يكتسب المال من المباح وينفقه في المباح والمندوب والفقير الصابر هو الذي لا يشتكي فقره اهـ فقد بين ان الغنى مازاد على الحاجة وبين الغني الشاكر بأنه الذي يكتسب المال من المباح وينفقه في المباح والمندوب ولو قال بدل المندوب المطلوب ليشمل الواجب كان أولى وقوله مازاد على المحتاج اليه يشمل ذلك حتى في اليوم فاذا حصلت له زيادة على المحتاج اليه في كل يوم كان غنيا في ذلك اليوم وفي اليوم الذي لا يحصل له فيه ذلك ليس بغني وقيل الغني الشاكر هو الذي لا يبقى مما يدخل عليه من المال الحلال الا ما يحتاج اليه حالا أو مايرصده لاحوج ونحوه

•(الحديث السادس والعشرون)•

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى) بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم مع قصر الألف وهي في الاصل عظم يكون في فرسن البعير كما قال أبو عبيدة قال الجوهري والفرسن من البعير بمنزلة الحافر للدابة وقال بعضهم السلامى اسم لأصغر مافي البعير من العظام ثم عبر بها عن مطلق العظم من الآدمي وغيره وفي حديث عائشة رضي الله عنها خلق الانسان على ستين وثلاثمائة مفصل ففي كل مفصل صدقة وقال سهل بن عبد الله التستري في الانسان ثلثمائة وستون عرقا مائة وثمانون ساكنة ومائة وثمانون متحركة فلو تحرك الساكن أو سكن المتحرك لم ينم وسلامى واحده وجمعه سواء عند الاكثر وقيل جمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء (من الناس) أي من كل واحد من الناس (عليه) ظاهره الوجوب وليس كذلك بل هو مندوب وندبه كما قال ابن أبي جمرة بالاستقراء من خارج لا بالصيغة وذكر الضمير وان كانت سلامى مؤنثة باعتبار العظم والمفصل لا لرجوعه لكل كما قيل به لانها بحسب ماتضاف اليه كقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ان كل نفس لما عليها حافظ وكل شئ فعلوه في الزبر وهي في الحديث هنا أضيفت لمؤنث فلو رجع اليها لانث (صدقة) شكرا لله تعالى عليها لان تركيب هذه العظام وسلامتها من أعظم نعم الله تعالى على عبده فيحتاج كل عظم منها الى صدقة عنه بخصوصه ليتم شكر نعمته اذ لو غير واحد منها عما هو عليه لاختل نظمه وتعطلت احواله وتكدر عيشه وضاق ذرعه كما لو قصر الطويل أو طال القصير أو رق الغليظ أو غلظ الرقيق وخصت السلامى بالذكر لما في التصرف بها من دقائق الصنائع التي اختص بها الانسان وتحيرت فيها الأفهام ولذا قال الله تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه أي نجعل أصابع يديه ورجليه مستوية شيأ واحدا كخف البعير وحافر الحمار فلا يمكن أن يعمل بها شيأ مما يعمل بأصابعه المفرقة ذات المفاصل من فنون الاعمال دقها وجلها ولهذا السر غلب الصغار من العظام على الكبار

عليه وسلم اذا ذكر أحدكم أخاه المسلم بالسوء فليستغفر الله تعالى فانه كفارته (وحكي) أن فقيها من الفقهاء كان في مدرسة مع تلامذته فدخلت عليه امرأة وقالت أيدك الله الشيخ لي مسئلة لا أجترئ أن أسألكها حياء منك لعظم الاثم وصعوبة الحال فقال لها سلي ولا تستحي من العلم فقالت كنت نائمة ليلة من الليالي فجاءني ابني (٢١١) سكرانا فواقعني فحملت منه وولدت ولدا فتعجب القوم من ذلك فقال الفقيه أتعجبون من ذلك وهذا أخف وأحب الي من الغيبة فان صاحب الزنا اذا تاب تاب الله عليه وصاحب الغيبة اذا تاب لم يتب الله عليه حتى يرضى عنه خصمه اخواني نحن في زمان اذا اجتمع فيه جماعة قلما يتذاكرون فيه العلوم الدينية والحكم والمواعظ وأحوال الآخرة بل أكثر حديثهم الغيبة والتملق والنفاق ومدح أنفسهم وجلسائهم بما ليس فيهم وذكر أحوال الدنيا والبحث عن أخبار أهلها والتفحص عما لا يلزمهم ولا يعنيهم في دينهم بل يضرهم نسأل الله تعالى العفو عنا أجمعين آمين

(المجلس السادس والثلاثون في الحديث السادس والثلاثين)•

الحمد لله الكريم الحنان يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء بعدله لا اله الا هو ذو الجلال والاحسان وأشهد أن لا اله الا الله شهادة تنجي قائلها من عذاب النيران وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نبي آخر الزمان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا في كل وقت وأوان •(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع

وأيضا فالصدقة تدفع البلاء فبوجودها عن أعضائك يرجى اندفاع البلاء عنها فقد حكي انه كان رجل من قوم صالح قد آذاهم فقالوا يانبي الله ادع الله عليه فقال اذهبوا فقد كفيتموه وكان يخرج كل يوم يحتطب قال فخرج يومئذ ومعه رغيفان فأكل أحدهما وتصدق بالآخر واحتطب ثم جاء بحطبه سالما فلم يصبه شئ قال فدعاه صالح وقال أي شئ صنعت اليوم قال خرجت ومعي قرصان فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر فقال صالح عليه الصلاة والسلام حل حطبك فحله فاذا فيه أسود مثل الجذع عاض على جذر من حطب قال بهذا دفع عنك يعني بالصدقة وروي ان قصارا كان في زمن عيسى عليه السلام وكان يفسد على الناس أقمشتهم فسألوا عيسى ان يدعو عليه بالهلاك فأقبل القصار عند غروب الشمس ورزمته على رأسه فعجبوا من ذلك وأخبروا عيسى فطلبه فحضر برزمته فقال له افتح رزمتك ففتحها فاذا فيها ثعبان عظيم قد ألجم بلجام من حديد فقال له عيسى عليه الصلاة والسلام ماصنعت اليوم من الخير فقال ماصنعت شيأ الا ان رجلا نزل الي من صومعته فشكى الي جوعا فدفعت له رغيفا كان معي فقال له عيسى ان الله قد بعث لك هذا العدو فلما تصدقت أمر الله ملكا فألجمه بهذا اللجام قال الطيبي وكل سلامى مبتدأ ومن الناس صفته وعليه صدقة الجملة خبر والراجع الى المبتدأ الضمير المجرور في الخبر (كل يوم) منصوب على الظرفية لاضافته الى الظرف ولما كان اليوم قد يعبر به عن المدة الطويلة المشتملة على الايام الكثيرة كما يقال في يوم صفين وهو مدة أيام وعن مطلق الزمان قليلا كان أو كثيرا ليلا كان أو نهارا كما في قوله تعالى كل يوم هو في شان وقوله وآتوا حقه يوم حصاده وقوله يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وعن الدولة ومنه قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وعن مقابل الليل ومنه قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام ولما كان الاخير هو المراد بينها بقوله (تطلع) بضم اللام (فيه الشمس) حتى يصبح سليما من الآفات باقيا على الهيئة التي تتم بها منافعه وأفعاله فالصدقة في مقابل مافي تلك السلامى من النعم وفي بعض الآثار كم من نعمة لله عز وجل في عرق ساكن واذا كان ذلك في عرق فكيف بجميع العظام وقال وهب مكتوب في حكمة آل داود العافية الملك الخفي أي فهي النعيم المسؤل عنه يوم القيامة المعني بقوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم وقال ابن مسعود النعيم الامن والصحة وقيل صحة الجسم وشرب الماء البارد وقال ابن عباس النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العباد فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا وشكى شخص الى يوسف بن عبيد ضيق حاله فقال له يوسف أيسرك ان لك ببصرك مائة ألف درهم فقال الشخص لا قال فبيديك قال لا قال فبرجليك قال لا وعدد نعم الله عز وجل عليه فقال أرى عندك هذا وأنت تشكو الحاجة وأخرج ابن أبي الدنيا بسند فيه ضعف يؤتى بالنعيم يوم القيامة وبالحسنات والسيئات فيقول الله لنعمة من نعمه خذي حقك من حسناته فلم تترك حسنة الا ذهبت بها ولما كان المتبادر من الصدقة صدقة المال بين أنها لا تنحصر فيه بقوله (تعدل) أي ان تعدل لانه في محل رفع مبتدا وخبره صدقة فحذفت أن فارتفع الفعل كما في قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق والاصل ان يريكم لانه في موضع

به نسبه رواه مسلم بهذا اللفظ) * اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم جامع لانواع من العلوم والقواعد والآداب (قوله من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا) أى أزال وكشف والكربة هى ما أهم النفس (قوله نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) أى مجازاة ومكافأة له على مافعله وفى هذا وما يأتى ترغيب وحث على قضاء حوائج المسلمين واعانتهم والتنفيس يكون بالاستعانة على كشف المهمات من مال أوجاه أوغيرهما وقدجاء فى قضاء حوائج المسلمين أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه المسلم حاجة فى الدنيا قضى الله له سبعين حاجة من حوائج الآخرة أدناها المغفرة (قوله ومن يسر على معسر) أى بأى نوع كان من أنواع التيسير يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة اذ المجازاة من جنس العمل وقد جاء فى من أنظر معسرا أو تجاوز عنه أحاديث كثيرة منها ما جاء عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا فلقى الله فتجاوز عنه أخرجاه فى الصحيحين ومنها ما جاء عن أبى قتادة رضى الله عنه انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال انى معسر قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه الله عز وجل يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه رواه مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شئ الا انه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه ان يتجاوزوا عن المعسر قال الله عز وجل نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه رواه مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان رجلا مات فدخل الجنة فقيل له ما كنت من
نعمل فقال انى كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر وأتجاوز عنه فى السكة أوفى النقد فغفر له رواه مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله فى ظله رواه مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا كان له فى كل

رفع مبتدأ أخبره من آياته أو أوقع الفعل فيه موقع المصدر مع قطع النظر عن ان ونظيره تسمع بالمعيدى خير من أن تراه أى سماعك (بين الاثنين) المتحاكمين أو المتخاصمين أو المتهاجرين اذا كان حاكما أو مصلحا اذا نوى به رفع المنافرة بينهما ساعة وقوله بين الاثنين هذا لفظ مسلم ولفظ البخارى بين الناس أخرج الاصبهانى انه صلى الله عليه وسلم قال يا أباهريرة عدل ساعة خير وأفضل من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها يا أباهريرة جور ساعة فى حكم أشد وأعظم عند الله من معاصى ستين سنة وفى الحديث ألا أنبئكم بصدقة يسيرة يحبها الله تعالى قالوا بلى يارسول الله قال اصلاح ذات البين اذا تقاطعوا وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الناس عند الله يوم القيامة المصلحون بين الناس وروى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يارسول الله قال اصلاح ذات البين وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم أنه قال من أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس وعن أنس ابن مالك رضى الله عنه انه قال من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة وما أحسن قول القائل

ان الفضائل كلها لو جمعت * رجعت بأجمعها الى شيئين
تعظيم امر الله جل جلاله * والسعى فى اصلاح ذات البين

(صدقة) عليهما لوقايتهما مما يترتب على الخصام من قبيح الاقوال والافعال ومن ثم عظم فضل الصلح كما أشار له تعالى بقوله لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس وجاز الكذب فيه مبالغة فى وقوع الالفة لئلا تدوم العداوة (وتعين) فيه وما بعده مامر فى تعدل (الرجل) وصف طردى (فى دابته) وفى معناها السفينة (فيحمل عليها أو يرفع له متاعه) أصله ما يتبلغ به المسافر (صدقة) منك عليه قال الحافظ ابن حجر قوله فيحمل عليها أعم من أن يريد يحمل عليها المتاع أو الراكب وحمل الراكب أعم من أن يحمله كما هو أو يعينه فى الركوب وقوله أو يرفع اما شك من الراوى أو تنويع (والكلمة الطيبة) من نحو ذكر ودعاء للنفس والغير وثناء بحق وسلام عليه ورد وتشميت عاطس وشفاعة عند حاكم ونصح وارشاد على الطريق نحو سلام عليكم حياك الله وانك لمحسن وأنت رجل مبارك وقد احسنت جوارنا وغير ذلك لانه مما يسر السامع ويؤلف القلوب أو غير ذلك (صدقة) منه على نفسه لما فيه من سرور السامع واجتماع القلوب وقد ورد انه اذا التقى المسلمان تنزل عليهما مائة رحمة تسعون لاكثرهما بشرا وعشر لاقلهما رواه فى العوارف مرفوعا (وبكل خطوة) بفتح الخاء المرة الواحدة من المشى وأما بالضم فما بين القدمين وهو مبتدأ أو الباء زائدة (تمشيها) وفى رواية تخطوها (الى الصلاة) والظاهر ان مثلها الاعتكاف والطواف وعيادة المريض وغير ذلك من وجوه الطاعات (صدقة) وفى الحديث اذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة كتب له كاتباه أو كاتبه بكل خطوة يخطوها الى المسجد عشر حسنات والقاعد يرعى الصلاة كالقانت أى القائم فى الصلاة ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع اليه وفيه أيضا أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم اليها ممشى أى وانما كان أعظم أجرا لما يحصل فى بعد الدار عن المسجد

يوم صدقة ومن أنظره بعد حله كان له مثله فى كل يوم صدقة (قوله ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة) المراد بالستر ستر زلات ذوى الحرمات ونحوهم ممن ليس معروفا بالفساد والاذى قال صلى الله عليه وسلم من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من رأى عورة أخيه فسترها كان كمن أحيا موؤدة وقال صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض أخيه رد الله وجهه عن النار يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يخذل امرأ مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر مسلما فى موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته رواه أبو داود وقال صلى الله عليه وسلم من رمى مسلما بشئ يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال رواه أبو داود أيضا والاحاديث فى ذلك كثيرة اما المعروف بالفساد والاذى فيستحب أن لا يستر عليه بل يرفع قضيته الى ولى الامر أيده الله تعالى ان لم يخف من ذلك مفسدة اذ الستر على مثله يطمعه فى الايذاء والفساد وجسارة غيره على مثل فعله (نكتة) سمعت بعض مشايخى فى الفقه رحمة الله عليهم يذكر هذه الحكاية فى درسه بالجامع الازهر وهى أن رجلا نام فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه فقال له يافلان قم من منامك فسافر الى بلدة كذا فاسأل بها عن فلان المعداوى فأقرئه منى السلام وقل له أنت رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة فلما استيقظ من منامه سافر اليه فوجده لم يعمل خيرا فى نهاره فأعلمه بذلك وسأله عن عمله فقال له تزوجت بامرأة فلما دخلت بها ولدت عندى ولدا من أول ليلة فسترت عليها ولم أفضحها وأخذت الولد فجئت به للجامع وجلست أنتظر الناس فلما حضر والصلاة الصبح تسارعوا الى أخذ الولد فحلفت بالطلاق ما يأخذه الا أنا فأخذته ورددته الى أمه فربته وسترت عليها فيا اخوانى هذا هو الستر (قوله والله فى عون

من كثرة الخطى فان قيل روى أحمد عن حذيفة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فضل البيت القريب من المسجد كفضل المجاهد على القاعد عن الجهاد فالجواب أن هذا فى نفس البقعة وذاك فى الفعل فالابعد دارا مشيه أكثر وثوابه أعظم والبيت القريب أفضل من البيت البعيد واختلف فيمن قارب الخطى بحيث يساوى الخطى من داره بعيدة والى التساوى جنح الطبرى والراجح عدم المساواة لكثرة المشقة فى البعيد دون القريب (وتميط) بضم أوله وفتحه أى تنحى وتزيل يقال ماط الشئ وأماطه بمعنى أزاله حقيقة أو حكما بأن يترك القاء فى الطريق لما رواه البيهقى فى الشعب عن أنس أن رجلا رأى فى النوم قائلا يقول بشر عائذ بن عمرو المزنى بالجنة فلم يفعل فأتاه فى الثانية فلم يفعل فأتاه فى الثالثة فلم يفعل فأتاه فى الرابعة فقال له لم ذلك قال انه لا يأتى أذاه فى طريق المسلمين وكان عائذ لا يخرج من داره ماء الى الطريق لا من مطر ولا من غيره وكان اذا مات له سنور دفنه فى داره ولا يخرجه اتقاء أذى الناس وكان عائذ هذا ممن بايع تحت الشجرة (الاذى) ما يؤذى المارة كقذر وشوك وحجر وحيوان مخوف ودعم جدار مائل لانه نفع عام وقد روى أن رجلا رأى غصن شوك فى الطريق فقطعه فشكر الله فغفر له (عن الطريق صدقة) منه على الناس والحيوان وعن أبى برزة قال قلت يا نبى الله علمنى شيأ أنتفع به قال أزل الاذى عن طريق المسلمين كالشوك المؤذى والحجر الذى يعثر به والحيوان المخوف ودعم الجدار ونحوه فانه نفع عام وفى الصحيح أن رجلا ممن كان قبلكم رأى غصن شوك فى الطريق فنحاه فشكر الله ذلك فغفر له ورأى رجل فرخا وقع من عشه فرده اليه فغفر الله له وآخر رأى كلبا يأكل الثرى من العطش فسقاه فغفر الله له وامرأة رأت كلبا يلهث عطشا فأخرجت خفها فأخرجت له ماء فغفر لها وعكس ذلك المرأة التى دخلت النار فى هرة لاهى أطعمتها ولا أرسلتها تأكل من خشاش الارض وصح فى كل كبد رطبة أجر ورواية أحمد عن طريق المسلمين فغلبهم على غيرهم لشرفهم وأخرت هذه لانها دون ماقبلها كما يشير اليه خبر الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق قيل وتسن كلمة التوحيد عند اماطته ليجمع بين أعلى الايمان وأدناه وحمل بعض الصوفية الطريق على القلب والاذى على الوساوس التى تعرض له واماطتها دفعها عنه وهو تكلف بعيد وكذا حمل الاذى على أذى الظالم والطريق على طريقه تعالى وهو شرعه وأحكامه بل رواية وأدناها المذكورة صريحة فى رد ذلك لان الاماطة بهذا المعنى من أفضل الشعب لا من أدناها (رواه البخارى) فى الصلح والجهاد (ومسلم) وفى بعض طرق مسلم يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة ويجزى عن ذلك ركعتان تركعهما من الضحى أى لان الصلاة عمل بجميع الابدان فتحرك المفاصل كلها فيها بالعبادة فاذا صلى العبد فقد قام عن كل عضو منه بوظيفه وأدى شكر نعمته وكان وجه تخصيص الضحى بذلك من بين ركعتى الفجر وغيرها من الرواتب مع أنها أفضل من ركعتى الضحى تمحضها للشكر لانها لم تشرع جابرة لنقص غيرها بخلاف سائر الرواتب فانها شرعت جابرة لنقص متبوعها فلم يتمحض فيها القيام بشكر تلك النعم الباهرة والضحى لما لم يكن فيها ذلك تمحضت للقيام بذلك

العبد) أى بمعونته وتأييده (ما كان العبد فى عون أخيه) أى مدة كونه فى عونه بالاعانة بما تيسر من أنواعها (تنبيه) كل هذا حث على فعل الخير اذ الخلق عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله كما ورد (تنبيه آخر) كما يستحب ستر الزلات يستحب ستر الابدان قال صلى الله عليه وسلم من كسا مؤمنا عاريا كساه الله من خضر الجنة أى من ثيابها الخضر وقال صلى الله عليه وسلم ايما مسلم كسا مسلما ثوبا كان فى حفظ الله ما بقيت عليه منه رقعة وفى رواية خرقة وقال صلى الله عليه وسلم من رأى عورة أخيه فسترها كان كمن أحيا موؤدة من قبرها وقال صلى الله عليه وسلم من كسا مسلما لم يزل فى ستر الله ما دام عليه منه خيط وقال صلى الله عليه وسلم من كسا مؤمنا على عرى كساه الله من استبرق الجنة والاحاديث فى ذلك كثيرة شهيرة (مسئلة) يستحب لمن لبس ثوبا جديدا أن يتصدق بالثوب العتيق ذكره العلماء (قوله ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة) أى أرشده الى سبيل الهداية والطاعة الموصلين الى الجنة أو انه يجازى على فعله بتسهيل دخول الجنة بقطع العقبات الشاقة دونها يوم القيامة كالجواز على الصراط ونحوه وفيه حث على فضل العلم وطلبه وقد تظاهرت الآيات والاخبار والآثار وتواترت وتطابقت الدلائل الصريحة وتوافقت على فضيلة العلم والحث على تحصيله والاجتهاد فى اقتباسه وتعلمه * فمن الآيات قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله تعالى وقل رب زدنى علما وقوله تعالى شهد الله أنه لا اله هو والملائكة وأولو العلم فبدأ بنفسه وثنى بملائكته وثلث بأولى العلم دون غيرهم وناهيك به شرفا وقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال ابن عباس لهم درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فحصر خشيته فيهم وأعظم به شرفا لان معرفته سبب خشيته * ومن الاخبار قوله صلى الله

كذا قيل وفيه شئ والوجه ما قاله الحافظ العراقى ان الاختصاص بالنحى لخصوصية فيها وسر لا يعلمه الا الله تعالى ورسوله وأخرج أبو داود والنسائى من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر ذلك اليوم ومن قاله حين يمسى فقد أدى شكر ليلته

* (الحديث السابع والعشرون) *

قال الشارح الهيتمى وهو فى الحقيقة حديثان لكنهما لما توارداعلى معنى واحد كانا كالحديث الواحد فجعل الثانى كالشاهد للاول (عن النواس) بفتح النون وتشديد الواو آخره سين مهملة (ابن سمعان) بكسر المهملة وفتحها واقتصار ابن الاثير على الكسر يدل على انه أرجح ابن خالد بن عبد الله بن قرطة بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن عمرو الكلابى العامرى (رضى الله عنه) كان ينبغى عنهما لان لابيه وفادة والنواس من أهل الصفة ووقع فى مسلم انه انصارى وحمل على انه حليف لهم قال أقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ما يمنعنى من الهجرة أى العود الى الوطن الا الاسئلة التى ترد على المصطفى صلى الله عليه وسلم من بعض أصحابه فاقامته تلك السنة كانت مع عزمه على العود الى وطنه لكنه أحب أن يتفقه فى الدين تلك المدة بسماع تلك الاسئلة التى ترد عليه صلى الله عليه وسلم واجوبتها روى له سبعة عشر حديثا اقتصر مسلم منها على ثلاثة (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال البر) بكسر الموحدة وهو كما قال الزمخشرى اسم جامع للخير وكل فعل مرضى وهو فى تزكية النفس كالبر بالضم فى تغذية البدن والفعل منه بررت على فعل يفعل كعلم يعلم (حسن الخلق) بضم اللام وسكونها أى التخلق مع الخلق وهو كما مر طلاقة الوجه وكف الاذى وبذل الندى وقلة الغضب وان يحب للناس ما يحب لنفسه وهذا يرجع الى تفسير بعضهم له بأنه الانصاف فى المعاملة والرفق فى المجادلة والعدل فى الاحكام والبذل والاحسان فى اليسر والايثار فى العسر وغير ذلك من الصفات الجيدة وضده الجور والاثم ولذلك قابله به وقوله البر أى معظمه فالحصر مجازى كالحج عرفة والدين النصيحة وان أريد بحسن الخلق التخلق بالاخلاق الشريفة والتأدب بآداب الله التى شرعها لعباده من امتثال أمره وتجنب نهيه كان الحصر حقيقيا وقد يطلق البر فى مقابلة العقوق فيكون عبارة عن الاحسان كما ان العقوق عبارة عن الاساءة ويطلق على الصلة ومنه بررت والدى بالكسر وخبر من أبر الناس بى قال أمك قال ثم من قال أبوك قال ثم من قال الاقرب فالاقرب وفى المثل أبر من فلحس وهو رجل من شيبان ذكروا انه حمل أباه وكان كبيرا على ظهره فحج به وفيه أيضا أبر به من العملس وهو أيضا رجل كان بارا بأمه وكان يحملها على عاتقه الى حيث أرادت وبمعنى الجنة ومنه قوله تعالى لن تنالوا البر أى الجنة كما قال السدى وبمعنى الصدق ومنه بر فى يمينه أى صدق فيها وبمعنى القبول ومنه بر الله حجك وبره أى قبله وبمعنى اللطف وحسن العشرة والصحبة ولين الجانب واحتمال الاذى ومنه قول عمر رضى الله عنه

بنى ان البر شئ هين * وجه طليق وكلام لين

عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين رواه البخارى ومسلم وقوله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم رواه سهل عن ابن مسعود وقوله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وقوله صلى الله عليه وسلم العلماء أهل الجنة وخلفاء الانبياء وقالت عائشة رضى الله عنها اذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم وقال عمرو بن دينار العلم أشرف الاحساب وفى حديث مكحول عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء فقال لهم انى لم أستودعكم حكمتى وأنا أريد عذابكم ادخلوا الجنة برحمتى وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان الله يباهى الملائكة بمداد العلماء كما يباهى بدم الشهداء وقال ابراهيم بن أدهم ما أظن ان الله تعالى يدفع البلاء عن أهل الارض الا برحلة أصحاب الجنة وقال الشافعى رحمه الله من لا يحب العلم لا خير فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة فانه حياة القلوب ومصباح البصائر وعن ابن عمر رضى الله عنه قال مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة والاخبار والآثار فى ذلك كثيرة شهيرة لا تحصى وفيما ذكرته تذكرة لاولى الالباب ويرحم الله القائل

وكل فضيلة فيها سناء
وجدت العلم من هاتيك أسنى
فلا تعتد غير العلم ذخرا
فان العلم كنز ليس يفنى

(قوله وما اجتمع قوم) أى جماعة (فى بيت من بيوت الله) أى مسجد من مساجده (يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة) أى الطمأنينة والوقار أى يخلق الله تعالى ذلك فيهم ألا بذكر الله تطمئن القلوب (قوله وغشيتهم الرحمة) أى خالطتهم وعمتهم (وحفتهم الملائكة) أى جاءتهم وأحاطت بهم لاستماع كتاب الله تعالى والتبرك به وتعظيما للتالين (وذكرهم الله فيمن عنده) من الانبياء والملائكة لقوله تعالى فاذكرونى أذكركم وقوله تعالى من

ويقال بدل قوله وجه طليق الخ فعل جميل وكلام لين وبمعنى الطاعة بسائر أنواعها الظاهرة والباطنة ومنه قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون وهذه الامور كلها مجامع حسن الخلق واذا قرن البر بالتقوى كما فى قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فسر البر بمعاملة الخلق بالاحسان والتقوى بمعاملة الحق بطاعته أو البر بفعل الواجبات والتقوى باجتناب المحرمات وقد روى الحسن عن أبى الحسن عن جد الحسن بسند حسن ان أحسن الحسن الخلق الحسن رواه الترمذى وقال حديث حسن وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد والخلق السئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقال معاذ بن جبل آخر ما أوصانى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جعلت رجلى فى الغرز يعنى الركاب ان قال حسن خلقك مع الناس يا معاذ وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت ان حسن الخلق وحسن الجوار وصلة الرحم تعمر الديار وتزيد فى الاعمار ولو كان القوم فجارا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من لم يكن فيه ثلاث خصال لم يجد طعم الايمان علم يرد به جهل الجاهل وورع يحجزه عن المحارم وخلق يدارى به الناس وقال عاصم بن المصطلق دخلت المدينة فرأيت الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما فأعجبنى سمته وحسن رؤيته فأثارمنى الحسد ما كان يجنه أى يخفيه صدرى لابيه من البغض فقلت أنت ابن على بن أبى طالب قال نعم فبالغت فى شتمه وشتم أبيه فنظر الى نظر عاطف رؤف فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم خذ العفو وأمر بالعرف فقرأ الى قوله فاذا هم مبصرون ثم قال خفض عليك أستغفر الله لى ولك انك لو استعنتنا لاعناك ولو استرشدتنا لارشدناك قال فندمت على ما فرط منى فقال لا تثريب أى لا عتب عليك اليوم يغفر الله لك وهو أرحم الراحمين أمن أهل الشام أنت قلت نعم قال حياك الله وبياك وعافاك أنبسط لنا فى حوائجك وما يعرض لك تجد عندنا أفضل ظنك ان شاء الله تعالى قال عاصم فضاقت على الارض بما رحبت ووددت أنها قد ساخت بى ثم انسللت منه لواذا أى مختبئا مستترا بشئ وما على الارض أحب الى من أبيه ومنه (والاثم) يطلق ويراد به الذنب بسائر أنواعه وهو المراد هنا ويطلق ويراد به خصوص الخمر ومنه قوله

شربت الخمر حتى ضل عقلى * كذاك الاثم تذهب بالعقول

(ما حاك) بحاء مهملة وتخفيف الكاف من حاك يحيك ومنه قولهم ضربته فما حاك فيه السيف أى أثر وما يحيك كلامك فى فلان أى ما يؤثر فيه وما تحيك الفأس فى هذه الشجرة وفى بعض النسخ ما حك بتشديد الكاف وفى بعضها ما حاك بالتشديد من المحاكة (فى النفس) وفى رواية فى نفسك وفى رواية فى صدرك والمعنى أثر فى القلب اضطرابا وقلقا فلم ينشرح له ولم يطمئن اليه والحائك الراسخ فى قلبك الذى يهمك وجاء فى بعض الروايات والاثم حزاز القلوب بتشديد الزاى أى مؤثر فيها كما يؤثر الحز فى الشئ فهو بمعنى قوله هنا ما حاك فى النفس وفى أخرى حواز بتشديد الواو من حاز يحوز أى غلاب على القلوب (وكرهت أن يطلع عليه الناس) لان النفس بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها وبرها وتكره ضد ذلك اذ لها شعور

ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه اذ مقتضاه أن يكون ذكرهم فمن ذكر أن يذكرهم جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا اله غيره وفيه بيان فضيلة الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد وقد جاء في فضل تلاوة القرآن أخبار كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم (٢١٦) من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذي وقال هذا حديث صحيح حسن غريب ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه قال أبو النصر يعني القرآن رواه الترمذي وقال غريب ومنها قوله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند الله آخر آية تقرؤها رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا رواه أبو داود الى غير ذلك من الاحاديث التي لا تحصى (قوله ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه) أي لم يلحق به مرتبة أصحاب الاعمال والكمال مصداق ذلك قوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقوله صلى الله عليه وسلم ائتوني بأعمالكم ولا تأتوني بأنسابكم ولان الله تبارك وتعالى خلق الخلق لطاعته فهي المؤثرة في النفع لا غيرها فالاسراع الى العبادة انما هو بالاعمال لا بالانساب ● (خاتمة المجلس) ● فيما يتعلق بشيء من فضائل الذكر ● قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال فاذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال والذاكرين الله كثيرا والذاكرات الى غير ذلك من الآيات الدالة على طلب في الذكر وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وان

من أصل الفطرة بما تحمد أو تذم عاقبته ولكن غلبت عليها الشهوة حتى أوجبت لها الاقدام على ما يضرها كما غلبت على السارق والزاني مثلا فأوجبت لهما الحد والمراد بالكراهة هنا الدينية الجازمة لا العادية كمن يكره أن يرى آكلا لحياء أو بخل وغير الجازمة كمن يكره أن يركب بين المشاة تواضعا ونحو ذلك فانه لو روي كذلك لم يبال والمراد بالناس وجوههم وأمثالهم لا رعاعهم ولذا نقل الشارح الاشبيلي عن صاحب الافصاح الناس معرف باللام فينصرف الى وجوههم وأماثلهم لا العوام وهل علامة الاثم مركبة من مجموع الامرين أو كل واحد منهما علامة مستقلة ومقتضى العطف بالواو الاول ومقتضى الرواية الآتية الثاني وعلى الاول فالفعل ان وجد فيه الامران كالزنى والربا فهو اثم قطعا وان انتفيا عنه كالعبادة فبر قطعا وان وجد فيه أحدهما احتمل البر والاثم فيكون من المشتبه والذي يتجه أنهما متلازمان لان كراهة النفس تستلزم كراهة اطلاع الناس وعكسه وعموم الحديث يقتضي أن الهم بالمعصية الغير الجازم اثم لكن خص عمومه خبر ان الله تجاوز لامتي عما وسوست به نفوسها ما لم تعمل به أو تتكلم فقوله ما لم تعمل به مثل ان توسوس له نفسه بالزنى مثلا فيزني فقوله أو تتكلم مثل ان توسوس له بالقذف فيقذف أو بالكذب فيكذب أو بالنميمة فينم (رواه مسلم) في كتاب البر والصلة من صحيحه (وعن وابصة) بالصاد (ابن معبد) بفتح الميم والموحدة ابن عتبة ابن الحرث بن بشير بن كعب بن سعد بن الحرث بن ثعلبة بن داود بن أسد بن خزيمة الاسدي يكنى أبا سالم ويقال أبا الشعثاء ويقال أبو سعيد (رضي الله عنه) قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة من قومه بني أسد بن خزيمة سنة تسع فأسلموا ورجع الى بلاده ثم نزل الجزيرة وسكن الرقة بفتح الراء ودمشق وعمر الى قرب التسعين وأعقب بالرقة ومات بها ودفن عند منارة جامعها (قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل) استفهام تقريري حذفت همزته أي أجئت تسأل (عن البر) أي الحلال (قلت نعم) فيه معجزة كبرى له حيث أخبره بما في نفسه قبل أن يتكلم به وفي رواية أحمد وانا أريد أن لا أدع شيأ من البر والاثم الا سألت عنه واذا عنده جمع فذهبت أتخطى الناس فقالوا اليك يا وابصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت دعوني أدنو منه فقال لي ادن يا وابصة فدنوت حتى مست ركبتاي ركبتيه فقال يا وابصة أخبرك بما جئت تسأل عنه أو تسألني قلت يا رسول الله أخبرني قال جئت تسأل عن البر والاثم فقلت نعم قال فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري ويقول يا وابصة استفت نفسك (قال) المصطفى صلى الله عليه وسلم (استفت نفسك) أي اطلب الفتوى من قلبك وعول على ما فيه (البر ما) أي شيء أو الذي (اطمأنت) أي سكنت (عليه) وفي رواية اليه (النفس واطمأن اليه القلب) لانه تعالى فطر عباده على معرفة الحق والسكون اليه وقبوله وركن في الطبائع محبته والجمع بينه وبين النفس للتأكيد وهذا مطابق لقوله السابق البر حسن الخلق لان حسنه تطمئن اليه النفس والقلب وقد حكى أن أبا الحسين الثوري لما وشي به وبجماعته الى الخليفة ببغداد وقيل له انهم زنادقة وأحضرهم وأمر بقتلهم فجاء السياف فبادر اليه الثوري فسئل عن مبادرته فقال أوثر أصحابي بحياة لحظة فسأل القاضي الخليفة أن ينظر

تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة ومعناه من جاهد نفسه قليلا في خدمتي تقربت اليه برحمتي ويسرت عليه كثيرا من الطاعات بحلاوة ورغبة ورزقته لذة مناجاتي وحلاوة الانس بذكري فيصير محبوبا بعد ان كان خاملا وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله تعالى ملائكة (٢١٧) سيارة يتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر الله قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى علوا ما بينهم وبين سماء الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا الى السماء قال فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عبادك في الارض يسبحونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألوني قالوا يسألونك جنتك قال وهل رأوا جنتي قالوا لا يارب قال فكيف لو رأوا جنتي قالوا ويستجيرونك قال ومم يستجيروني قالوا من نارك يارب قال وهل رأوا ناري قالوا لا قال فكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول الله تعالى قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال فيقولون يارب فيهم فلان عبد خطاء وانما مر فجلس معهم قال فيقول الله تعالى وله قد غفرت هم القوم لا يشقى جليسهم وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله وروى في الحديث يا أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة قيل وما رياض الجنة يا رسول الله قال مجالس الذكر اغدوا وروحوا واذكروا من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه وروى أن في الجنة ملائكة يغرسون الاشجار للذاكرين فاذا فتر الذاكر فتر الملك ويقول فتر صاحبي قال سفيان بن عيينة اذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فلو تفرقوا لاخذت بأعناقهم وفي الخبر المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألف ألف مجلس من مجالس السوء وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج

في أمرهم ويبحث عن حالهم فاذن طلب القاضي منهم رجلا ليتكلم معه فتقدم اليه الثوري فسأله عن مسائل فقهية فنظر عن يمينه ثم عن يساره ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه فأجاب بجواب صحيح فسأله القاضي عن التفاته واطراقه فقال سألتني عن تلك المسائل ولا علم لي بها فسألت ملك اليمين فلم يجبني ثم ملك الشمال فلم يجبني فسألت قلبي فأخبرني بما أجبت به فأخبر القاضي الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم (والاثم ما) أي شيء أو الذي (حاك في النفس) أي أثر فيها اضطرابا وفي الحديث الآخر اياكم والحاكة فانها المأثم (وتردد في الصدر) أي لم ينشرح له القلب والجمع بينهما للتأكيد أيضا (وان) وفي رواية ولو وهو غاية لمقدر دل عليه ما قبله أي فالتزم العمل بها في قلبك وان (أفتاك الناس) أي علماؤهم كما في رواية وان أفتاك المفتون أي قد أعطيتك علامة الاثم فاعتبرها في اجتنابه ولا تقلد من أفتاك بمقارفته (وأفتوك) بخلافه فرخصوا لك فيه لانهم انما يطلعون على الظواهر لا السرائر والجمع للتأكيد كما في قوله تعالى فمهل الكافرين أمهلهم فأتى بالثاني تأكيدا للاول لزيادة التنكير قال الطيبي هذا شرط قطع عن الجزاء تتميما للكلام السابق وتقريرا له على سبيل المبالغة وقال غيره ان وصلته معطوف على مقدر أي ان لم يفتك الناس وان أفتوك وقوله وان أفتوك تأكيد وحكى عن بعض العارفين انه أتاه رجل يريد السلوك فأدخله الخلوة وتركه أياما ثم دخل عليه فقال له كيف ترى صورتي عندك قال صورة خنزير فقال صدقت ثم تركه في الخلوة مدة ودخل عليه فسأله كذلك فقال صورة كلب ثم كذلك الى أن قال أرى صورة القمر ليلة تمامه فقال صدقت الآن كمل حالك وصلحت أن ترجع الى قلبك وان تستفتي نفسك وان أفتاك المفتون وأخرجه من الخلوة وما ذاك الا لان النفس اذا كانت في رعونتها وشهواتها كانت كالمرآة المصدأة فاذا قابلتها الاشياء وقع المثال فيها مفسودا فاذا صقلت بالمجاهدة وزال عنها الصدأ ظهر مثال الاشياء مستويا من غير زيادة ولا نقص وجعلت تميز كل خاطر يقع فيها لصفائها وقوله وأفتوك تو كيد لما قبله ولا يعارض قوله في الحديث السابق فمن اتقى الشبهات الخ فان مقتضاه انها ليست اثما وأجيب بأن هذا على ما اذا قويت الشبهة ويكون من باب ترك الاصل الظاهر يعني أصل الحلال لاجل الشبهة وتمكنها وما سلف محمول على ما اذا ضعفت الشبهة فيبقى على أصل الحل ويجتنب محلها ورعا وانما وحد الفعل الاول لاسناده الى ظاهر وجمع الثاني لاسناده الى ضمير والاصل أن الفعل انما يكون له فاعل واحد فان كان ظاهرا امتنع ايصال ضمير بالفعل لئلا يتعدد الفاعل فلا يسوغ نحو أفتوك الناس وأما وأسروا النجوى الذين ظلموا وعموا وصموا كثير منهم فمن باب البدل من الضمير لا من باب تعدد الفاعل لامتناعه الا في لغة أكلوني البراغيث وهي لغة ضعيفة وان لم يكن ظاهرا وجب اضماره لئلا يتجرد الفعل عن الفاعل وهو غير جائز (حديث صحيح) وفي نسخة حسن (رويناه) بالسند المتصل حال كونه (في مسندي الامامين) الجليلين أبي عبد الله (أحمد بن) محمد بن (حنبل) ابن هلال بن راشد المروزي قدمت به أمه من مرو وهي حاملة به الى بغداد فولدته بها سنة مائة وأربعة وستين وكان يحفظ ألف ألف حديث ومات ببغداد ضحوة الجمعة في ربيع

من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه فانصرف الى منزله وليس عليه ذنب وروى أن الله تعالى يطلع الى مجالس الذكر فيقول ملائكتي وسكان سمواتي انظروا الى عبادي قد اجتمعوا الى عبد من عبادي يتلو عليهم من آياتي ويذكرهم آلائي اشهدكم أني قد غفرت لهم اللهم اغفر لنا (٢١٨) أجمعين آمين والحمد لله رب العالمين * (المجلس السابع والثلاثون في الحديث السابع والثلاثين)

الحمد لله الذي فطر الارض والسموات الكريم الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي خص أحبابه بالكرامات وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صاحب الآيات الباهرات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذريته وأزواجه الطاهرات (عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما) * اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم يدل على فضائل الله تعالى على خلقه ورأفته بهم فهو رب كريم وفضله عظيم يضاعف الحسنات دون السيآت وقال بعضهم هو من الاحاديث الالهية نحو أنا عند ظن عبدي بي المروي عن فضل الرب سبحانه وتعالى (قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كتب الحسنات والسيآت) أي قدر مقادير تضعيفها في اللوح المحفوظ أي في علمه تعالى وأطلع كتبته من الملائكة عليه فلا يحتاجون وقت الكتابة الى بيان مقدار ما يكتبونه ثم بين ذلك أي فصل الذي أجمله في قوله ان الله كتب الحسنات والسيآت رحمة لهذه الامة لما قصرت أعمارها بتضعيف أجور أعمالهم

الاول سنة احدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة ومسنده فيه أربعون ألف حديث وقيل ثلاثون يتكرر منها عشرة جمعه من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفا وقال جعلته حجة بيني وبين الله تعالى وقال أبو زرعة كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث قيل وما يدريك قال ذاكرته فأخذت عليه الأبواب وقال الحارث بن عباس قلت لابن مسهر هل تعرف أحدا يحفظ على هذه الامة أمر دينها قال الاشابا في ناحية المشرق يعني الامام أحمد وقال أبو عبيد القاسم بن سلام انتهى علم الحديث الى الامام أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وأبي بكر وقال عبد الرزاق اما يحيى بن معين فما رأيت مثله ولا أعلم بالحديث منه من غير سرد واما ابن المديني فحافظ سراد واما أحمد فما رأيت أفقه منه ولا أورع وقال الشافعي رضي الله عنه خرجت من بغداد فما خلفت فيها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم منه * (فائدة) * قال المناوي في طبقاته ارتجت الدنيا لموت أحمد بن حنبل وأغلقت بغداد لمشهده ومسحت الارض المبسوطة التي وقف الناس للصلاة عليها في سير مقادير الناس بالمساحة ستمائة ألف وكان يقول للمبتدعة بيننا وبينكم الجنائز وأسلم يوم موته من اليهود والنصارى والمجوس عشرة آلاف اه وفي حياة الحيوان حزر قدر من حضر جنازة أحمد ابن حنبل من الرجال فكانوا ثمانمائة ألف ومن النساء ستين ألفا وأسلم يوم موته عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس اه وقال النووي في تهذيب الاسماء واللغات أمر المتوكل أن يقاس الموضع الذي وقف الناس فيه للصلاة على أحمد فبلغ مقام الفي ألف وخمسين ألفا (و) أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل التميمي (الدارمي) نسبة الى دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم ولد سنة احدى وثمانين ومائة ومات يوم التروية سنة خمس وخمسين ومائتين (باسناد جيد) وفي نسخة حسن فان قلت ما حكمة قول المصنف أولا حديث صحيح وقوله هنا باسناد جيد فالجواب أنه لا تلازم بين الاسناد والمتن فقد يصح السند او يحسن لاستجماع شروطه من الاتصال والعدالة والضبط دون المتن لشذوذ فيه أو علة فنص المصنف أولا على صحة المتن بقوله هذا حديث صحيح وثانيا على صحة السند بقوله باسناد جيد

* (الحديث الثامن والعشرون) *

(عن أبي نجيح) بفتح النون وكسر الجيم وبالحاء المهملة (العرباض) بكسر المهملة وسكون الراء وموحدة وآخره معجمة وأصله الطويل من الناس وغيرهم الجلد المخاصم (ابن سارية) بسين مهملة ومثناة تحتية السلمي بضم ففتح من بني سليم بن منصور صحابي من أهل الصفة وهم كما قال النووي زهاد من الصحابة فقراء غرباء كانوا يأوون الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت لهم في آخره صفة وهي مكان منقطع من المسجد مظلل عليه يبيتون فيه وكانوا يقلون ويكثرون ففي وقت كانوا سبعين وفي وقت غير ذلك (رضي الله عنه) نزل الشام وسكن حمص وكان من البكائين الذين نزل فيهم قوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه الآية وكان من المشتاقين الى الله تعالى يحب أن يقبض اليه يقول في دعائه اللهم كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني اليك روى أن معاوية أعطى المقداد حمارا

بقوله (فمن هم بحسنة) أي أرادها وصمم على فعلها (فلم يعملها كتبها الله) أي قدرها أو أمر الملائكة الحفظة بكتابتها (عنده) والعندية هنا للشرف (قوله حسنة كاملة) أي لا نقص فيها (قوله وان هم بها فعملها كتبها الله عنده) اعتناء بصاحبها وتشريفا له (عشر حسنات) ومصداق هذا قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر (٢١٩) أمثالها وهذا أول درجات التضعيف وقوله الى سبعمائة ضعف بكسر الضاد (الى اضعاف كثيرة) بحسب النية والاخلاص وكثرة النفع ونحو ذلك ومصداق ذلك (قوله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء أي بعد السبعمائة وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وقد جاء في رواية الترمذي من حديث أبي هريرة الى سبعمائة ضعف الى ما شاء الله وفي حديث أبي ذر يقول الله تعالى من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد على ذلك (قوله وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة) أي اذا كان تركها من أجل الله تعالى (وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة) عملا بالفضل في جانب الخير والشر ولم يقل عنده كالتي قبلها لعدم الاعتناء بها ومن ثم أكد تقليلها بواحدة المستفادة من الحصر في قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقد جاء في أحاديث المعراج الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل الى محل سمع فيه صريف الاقلام قال الله تبارك وتعالى ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيأ فان عملها كتبت سيئة واحدة * (تنبيه) * كتابة الملائكة لما ذكر تكون باطلاع الله لهم على ما في قلوبهم وقيل بل يجد الملك لمن هم بالحسنة رائحة طيبة وبالسيئة رائحة خبيثة وقيل غير ذلك وليعلم ان الله تبارك وتعالى يغفر حديث النفس وما همت بفعله مالم تعمل أو تتكلم به لخبر الصحيحين ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به أنفسها مالم

في حمارا من المغنم فقال العرباض ما كان لك أن تأخذه وما كان له أن يعطيك وكأني بك في النار تحمله على عنقك فرده المقداد مات العرباض في فتنة ابن الزبير سنة خمس وسبعين في خلافة عبد الملك بن مروان (قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) من الوعظ وهو النصح والتذكير بالعواقب يقال وعظته فاتعظ أي قبل الموعظة (موعظة) مصدر ميمي وتنوينه للتعظيم أي موعظة عظيمة وكانت هذه الموعظة بعد صلاة الصبح لما في رواية الترمذي وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة أي بالغ فيها بالانذار والتخويف لاجل ترقيق القلوب وكان صلى الله عليه وسلم يعظ أصحابه في غير الجمع والاعياد امتثالا لقوله تعالى وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وفيه ندب المبالغة فيها لان لها وقعا في النفس وتأثيرا في القلب اذا صدرت من قلب ناصح سليم من الادناس والقبائح فالواعظ مالم يكن مقاله كفعاله لا ينتفع بوعظه ومنزلة الواعظ من الموعظ منزلة الطبيب من المريض فكما أن الطبيب اذا قال للناس لا تأكلوا كذا فانه مضر ثم رأوه يأكله عدوه سخرية فكذا الواعظ اذا أمر بما لم يعمله فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من المطبوع فكما يستحيل الطبع بما ليس منتقشا في الطابع يستحيل أن يحصل في نفس الموعوظ ما ليس في الواعظ وقد حكى أن العارف الكبير أبا مدين المغربي مكث في بيته عاما لا يخرج منه فاجتمع الناس ببابه وقالوا اخرج تكلم على الناس وانفعهم وألزموه فخرج ففر منه عصافير على صدره بباب داره فرجع وقال لو صلحت للكلام عليكم ما فر مني الطير فقعد في بيته عاما آخر فأتوه فخرج فنزل الطير عليه في مجلس وعظه يضرب بأجنحته ويضطرب حتى مات منه كثير ومات رجل من الحاضرين اه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقيل عمل رجل في ألف رجل ابلغ من قول ألف رجل في رجل (وجلت) بكسر الجيم أي خافت ومنه وقلوبهم وجلة من الوجل وهو الخوف من عذاب الله (منها) أي من أجلها ويصح كونها لابتداء الغاية (القلوب) وذلك لاستيلاء سلطان الخشية على القلوب وتأثير الرقة فيها وانزعاجها من ذكر الساعة واهوالها والنار وعذابها يشهد لذلك قول جابر رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته واحمرت عيناه كانه منذر جيش يقول صبحكم مساكم (وذرفت) بذال معجمة وراء مهملة وفاء مفتوحة (منها) فيها مامر (العيون) أي سالت دموعها وانصبت وكثر جريانها وأخر هذا عما قبله لانه انما ينشأ عنه غالبا والعيون جمع كثرة وفيه اشارة الى أن تلك الموعظة أثرت فيهم وأخذت بمجامعهم ظاهرا وباطنا وذلك دليل على كمال معرفتهم ومراعاتهم لربهم وفيه دليل على ان البكاء من خوف الله وعذابه محمود وقد قال عليه السلام ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت وقال عليه السلام لا يلج النار من بكى من خشية الله عز وجل حتى يعود اللبن في الضرع وقال عليه الصلاة والسلام ما من قطرة أحب الى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم أهريقت في سبيل الله وقال كعب الاحبار والذي نفسي

تعمل أو تتكلم به والهاجس هو ما يلقى في النفس والخاطر وهو ما يجول فيها مغفوران أيضا بمعنى انه لا يؤاخذ بشئ منهما كما لا يثاب عليه أما العزم وهو قوة القصد والجزم به فيؤاخذ به وان لم يتكلم لقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ولما تقدم في الحديث السابق * (فصل في قوله تعالى (٢٢٠) عن اليمين وعن الشمال قعيد وما يتعلق بذلك) * قال ابن العماد في كشف الاسرار قيل أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد حذف الاول لدلالة الثاني كقولهم قطع الله يد ورجل من قالها وقعيد بمعنى قاعد ثم قال واختلف في عدد الملائكة التي على كل انسان فقيل عشرون ملكا نقله الفاكهاني في شرح الرسالة عن المهدوي * وروى أن عثمان ابن عفان رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم كم من ملك على الانسان فذكر عشرين ملكا قال ملك عن يمينك على حسناتك وهو أمين على الذي على يسارك فاذا عملت حسنة كتبت عشرا واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أأكتب فيقول لا لعله يستغفر أو يتوب فاذا لم يتب قال نعم اكتب أراحنا الله منه فبئس القرين ما أقل مراقبته لله وأقل استحياءه لقول الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وملكان بين يديك ومن خلفك لقول الله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وملك قابض على ناصيتك اذا تواضعت لله عز وجل رفعك الله واذا تجبرت على الله عز وجل قصمك الله وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك الا الصلاة على النبي أشرف الانام صلى الله عليه وسلم وملك على فيك لا يدع الحية أن تدخل فيه وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي فتنزل ملائكة الليل على ملائكة النهار فهؤلاء وهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي وابليس بالنهار وولده بالليل قال الفاكهاني ان قلت ان الملائكة التي ترفع عمل العبد في اليوم هم الذين يأتون غدا أم غيرهم قلت الظاهر انهم هم وان ملكي الانسان لا يتغيران عليه ما دام حيا ويوضحه قول

بيده لأن أبكي من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعي على وجهي أحب الي من أن أتصدق بجبل من ذهب وقيل لعطاء السلمي ما تشتهي قال أشتهي أن أبكي حتى لا أقدر أن أبكي وفيه أنه ينبغي للعالم أن يعظ الناس ويذكرهم ويخوفهم ولا يقتصر بهم على مجرد معرفة الاحكام والحدود (قلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع) لعلهم فهموا ذلك من مبالغته في الموعظة واستقصائه فيها فوق العادة فظنوا أن ذلك لقرب وفاته ومفارقته لهم وفيه جواز الحكم بالقرائن لانهم انما فهموا ذلك من توديعه اياهم بالغه في الموعظة أكثر من العادة واحتمال أنه عرض فيها بالتوديع كما عرض في خطبة حجة الوداع بقوله فيها لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس بعيد بدليل قولهم كأنها قال بعض الشرح لكن في بعض طرق الحديث ان هذه موعظة مودع وهي شاهدة بذلك الاحتمال (فأوصنا) بفتح الهمزة أي وصية جامعة كافية لمهمات الدين والدنيا وفيه استحباب استدعاء الوصية والوعظ من أهلها اغتنام أوقات أهل الخير والدين قبل فوتها (قال أوصيكم بتقوى الله) لانها زاد الآخرة وكافلة لمن تمسك بها بسعادة الدارين لما مر من انها امتثال الاوامر واجتناب النواهي وتكاليف الشرع لا تخرج عن ذلك ولذلك أوصى الله تعالى بها الاولين والآخرين لقوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وأصلها وقيا بكسر أوله وقد تفتح من الوقاية قلبت الواو تاء كتراث ثم أبدلت الياء واوا والوقاية ما يستر الرأس فالتقي قد جعل بينه وبين المعاصي وقاية تحول بينه وبينها من قوة عزمه على تركها واستحضار علمه بقبحها وأنشد بعضهم

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله * وأنك لم ترصد كما كان ارصدا

(والسمع) ان حمل على أن المراد به الاصغاء الى كلامه ليتمكن من فهمه ومعرفته كان ما بعده تأسيسا لمغايرته له وان حمل على قبول المسموع وعبر عنه بالسمع لانه فائدته كان ما بعده تأكيدا واليه جنح الدلجي والهيتمي (والطاعة) بالفعل والاعتقاد وهي الموافقة في الظاهر والباطن فيما يؤمر به وينهى عنه فان اطاع بظاهره دون باطنه فهو عاص وهذا في غير الاثم لحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وعطف السمع والطاعة على التقوى من باب عطف الخاص على العام نحو فاكهة ونخل ورمان لاشتمال الوصية بتقوى الله على السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين وحكمة ذلك ترتب المبالغة الآتية عليه ويعكس نحو اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وسأل مسلم بن يزيد الجعفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أرأيت ان قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا فأعرض عنه ثم سأله فقال اسمعوا وأطيعوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم (وان تأمر) وفي رواية وان (استعمل عليكم عبد) ولاحمد حبشي مجدع وللبخاري حبشي وان رأسه زبيبة ولمسلم ولو كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف وهذا لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان الائمة من قريش الناس تبع لقريش لان ولاية العبد قد تكون ناشئة عن امام قرشي بشهادة حديث الحاكم الائمة من قريش أبرارها أمراء أبرارها وفجارها

الملكين في الحديث المذكور أراحنا الله منه فبئس القرين والقرين المصاحب كما قاله ابن السكيت وهذا الدعاء انما يكون عند طول الصحبة والا فصحبة اليوم والساعة لا يسئل الراحة منها انتهى وقوله تعالى يحفظونه من أمر الله فيه أوجه حسنة * أحدها أن من بمعنى الباء على معنى يحفظونه بامر الله والثاني ان المراد يحفظونه من (٢٢١) أمر الله بأمر الله على معنى يحفظونه من قضاء الله بقضاء الله وهو أمره لهما بالحفظ وهذا كما قال عمر رضي الله عنه نفر من قدر الله الى قدر الله * والثالث ان الوقف على قوله يحفظونه ومن أمر الله يتعلق بمحذوف التقدير ذلك الحفظ من أمر الله أي من قضائه قال الشاعر

امام وحاف المرء من لطف ربه * كوالئ تنفي عنه ما هو يحذر

الكوالئ الحوافظ قال الله تعالى قل من يكلؤكم وقول الملك أراحنا الله منه هو دعاء لانفسهما بالتحول عن مشاهدة المعصية لانهم يتأذون بذلك ويحتمل أن يكون هذا في حق الكافر الذي لا يتوب ولا يستغفر فان المؤمن من عادته وغالب أمره الاستغفار لاسيما عند وقوع المعصية ويحتمل تعميم ذلك في سائر العصاة من الموحدين والكافرين ويكون دعاء عليهم بالموت وهو جائز قال الكرابيسي صاحب الشافعي في كتابه أدب القضاء لو دعا على غيره بالموت لم يعزر لانه دعا له بالخلاص من غم الدنيا قال وقد قال أبو الدرداء وقد قيل له ما تحب لمن تحب قال أحب أن يموت قيل وان لم يمت قال يقل ماله وولده ونقل الواحدي عن ابن مسعود أنه قال والله ما من أحد الا والموت خير له لانه ان كان مؤمنا فان الله تعالى قال وما عند الله خير للابرار وان كان كافرا فان الله تعالى قال انما أملي لهم ليزدادوا اثما واختلفوا في موضع جلوس الملكين من الانسان فقال الضحاك مجلسهم تحت الشعر على الحنك قال البغوي ومثله عن الحسن البصري وكان يعجبه أن ينظف عنفقته * وروى أبو نعيم في تاريخ أصبهان انه صلى الله عليه وسلم قال نقوا أفواهكم بالخلال فانها مجلس الملكين المكرمين الحافظين وان مدادهما الريق وقلمهما اللسان وليس عليهما شئ أضر من بقايا

وفجارها أمراء فجارها ولكل حق فآتوا كل ذي حق حقه وان أمرت عليكم قريش عبدا حبشيا مجدعا فاسمعوا وأطيعوا وقوله وان تأمر عليكم عبد اما من باب ضرب المثل بغير الواقع على طريق التقدير والفرض والا فهو لا تصح ولايته ونظيره من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة واما من باب الاخبار بالغيب وأن نظام الشريعة يختل حتى توضع الولايات في غير أهلها والامر بالطاعة حينئذ ايثار لاهون الضررين اذ الصبر على ولاية من لا تجوز ولايته أهون من ايثار الفتنة التي لا دواء لها ولا خلاص منها ويرشد الى هذا تعقيب ذلك بقوله (فانه) أي الشأن (من يعش منكم) بعدي (فسيرى اختلافا كثيرا) بين الناس في ظهور الفتن وفي ظهور البدع والظاهر ان هذا بوحي أوحي اليه فانه عليه السلام كشف له عما يكون الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار كما صح في حديث أبي سعيد وغيره ويجوز أن يكون بنظر واستدلال ولفظ ابن ماجه اختلافا شديدا وقد كان ذلك فهو من معجزاته حيث أخبر عن غيب وقع واتيانه بالسين دون سوف يدل على قرب الرؤية وكان الامر كذلك فظهر فتنة عثمان وواقعة الجمل ومحاربة معاوية لعلي على الامارة ومحاربته للحسن عليهما فسلم الامر اليه لاجل اطفاء نار الفتنة وظهر اعظم الفتن وهي قتلة الحسين وظهر يوم موته من الآيات أن السماء أمطرت دما وان أوانيهم ملئت دما وان السماء اشتد سوادها لانكساف الشمس حينئذ حتى رؤيت النجوم بالنهار واشتد اظلام حتى ظن أن القيامة قد قامت وأن الكواكب ضرب بعضها بعضا ولم يرفع حجر الا وجد تحته دم غبيط وان الورس انقلب رمادا وأن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام فظهرت في السماء حمرة وقيل احمرت ثلاثة أشهر وقيل ستة أشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك بها وعن ابن سيرين ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حين قتل الحسين وفي الحديث النجوم أمنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لاصحابي فاذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لامتي فاذا ذهبت أصحابي أتى أمتي ما يوعدون ومعناه أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية فاذا انكدرت وتناثرت في القيامة ذهبت السماء فانفطرت وانشقت واذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون من الفتن والحروب واذا ذهبت أصحابي أتى أمتي ما يوعدون من ظهور البدع والحوادث في الدين (فعليكم بسنتي) أي الزموا التمسك بطريقتي وسيرتي القويمة التي أنا عليها مما أصلته لكم من الاحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة والمباحة وما تقرر من أن معنى السنة الطريقة القويمة هو ما توافق فيه اللغة والشرع وتخصيصها بما طلب طلبا غير جازم اصطلاح حادث قصدوا به التمييز بينها وبين الفرض قال عبد الرحمن بن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ علي بهذا آية من كتاب الله قال نعم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فامتثل ونزع ثيابه (وسنة) أي طريقة (الخلفاء جمع) خليفة وهو كل من قام مقام غيره وانما اطلق على الصحابة بذلك لانهم خلفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاحكام (الراشدين) جمع راشد وهو من عرف الحق واتبعه والغاوي من عرفه ولم يتبعه والضال من لم يعرفه بالمرة (المهديين) جمع مهدي وهو من هداه الله لاقوم طريق والراشدين

المهديين لفظان مترادفان معناهما واحد يحتمل أنهما اسما مفعول أى الذين أرشدهم الله وهداهم ويحتمل انهما اسما فاعل أى المرشدين الهادين لغيرهم وعام أريد به الخاص واللام للعهد والمعهود أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن رضى الله تعالى عنهم فان ماعرف عن هؤلاء أوعن بعضهم أولى بالاتباع من بقية الصحابة اذا وقع بينهم الخلاف فيه وقد ورد أن رجلا حلف لايطأ زوجته حينا فأفتاه أبو بكر بأن الحين الابد وعمر أربعون سنة وعثمان بأنه سنة واحدة وعلى بأنه يوم وليلة فعرض الرجل ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فقال لابى بكر مادليلك على ان الحين الابد قال قوله تعالى فى حق قوم يونس ومتعناهم الى حين وقال لعمر مادليلك على أن الحين أربعون سنة قال قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الانسان آدم ألقيت طينته على باب الجنة أربعين عاما وقال لعثمان مادليلك على أنه عام قال قوله تعالى تؤتى أكلها كل حين وقال لعلى مادليلك على أنه يوم وليلة قال قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون فقال صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وأمر الرجل أن يأخذ بقول على تخفيفا له ومذهبنا موافق لما أفتى به عثمان وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا وقد تمت بولاية الحسن ستة أشهر وقال اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر فخص مما تقدم اثنين وقال للمرأة التى سألته وأمرها أن ترجع اليه فقالت فان لم أجدك تريد الموت فقال ائت أبا بكر فخص أبا بكر قال التوربشتى وانما ذكر سنتهم فى مقابلة سنته لانه علم أنهم لايخطؤن فيما يستخرجونه ويستنبطونه من سنته بالاجتهاد ولانه عرف أن بعض سنته لاتشتهر الا فى زمانهم فأضاف اليهم لبيان أن من ذهب الى رد تلك السنة مخطئ فاطلق القول باتباع سنتهم سدا للباب اه وقد ورد ان العول لم يكن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زمن أبى بكر الصديق وأول من نزل به ذلك عمر فقال لا أدرى من أخره الكتاب فأؤخره ولا من قدمه فأقدمه ولكن رأيت رأيا فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فمن عمر وهو ان يدخل الضرر على جميعهم فحكم بالعول ويقال ان الذى أشار عليه بذلك العباس ولم يخالفه أحد من الصحابة الا ابن عباس لكنه لم يظهر ذلك الا بعد موت عمر اجلالا له وهذا فى حق المقلد الصرف فى تلك الازمنة القريبة فى زمن الصحابة اما فيما بعد ذلك فلا يجوز كما قال ابن الصلاح تقليد غير الائمة الاربعة مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد رضى الله تعالى عنهم لان هؤلاء عرفت قواعد مذاهبهم واستقرت أحكامها وخدمها تابعوهم وحرروها فرعا فرعا وحكما حكما (عضوا عليها) وحد الضمير لان سنتهم كسنته فى وجوب الاتباع (بالنواجذ) بذال معجمة الانياب وقيل الاضراس أى عضوا عليها بجميع الفم لانهشا باطراف الاسنان وهو كناية عن شدة التمسك بها لان النواجذ محددة اذا عضت شيأ أنشبت فيه فلا يكاد يتخلص من قولهم نشبت فى الامر بعض أى متمسك (واياكم ومحدثات) بفتح الدال جمع محدثة (الامور) أى اتقوا الامور المخترعة فى الدين المخالفة لسنن الخلفاء الراشدين واحذروها وكثيرا ما كان يتمثل الامام مالك بهذا البيت كما سلف

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع

الطعام بين الاسنان قال أبو طالب المكى فى تفسيره روى ان الملك على ناب الانسان الذى يأكل به وقلم الملك لسان الانسان ومداده ريق الانسان قال وهذا تمثيل فى القرب والله أعلم بكيفية ذلك وأما الذى تكتب فيه الحفظة فدواوين من رق كما قال تعالى وكتاب مسطور فى رق منشور وعلى أحد الاقوال فيه * وقال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا قال البغوى وفى الآثار ان الله تعالى يأمر الملك بطى الصحيفة اذا تم عمر المرء فلا تنشر الى يوم القيامة والظاهر ان هذه الكتابة التى تكتبها الملائكة ليست بهذه الاحرف ويدل عليه ان الغزالى ذكر عن اللوح المحفوظ ان المكتوب فيه ليس حروفا قال وانما ثبوت المعلومات فيه كثبوتها فى العقل والله اعلم واختلفوا فيما تكتبه الملائكة على بنى آدم فنقل البغوى عن مجاهد وأبو طالب عن الحسن وقتادة انهما يكتبان كل شئ حتى أنينه فى مرضه وأيد هذا القول بقوله تعالى يمحو الله مايشاء ويثبت قيل فى التفسير ان الملائكة اذا صعدت بعمل العبد محا الله عنه المباحات وأثبت فيه الحسنات والسيآت لما روت أم حبيبة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل كلام ابن آدم عليه لا له الا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله قاله أبو طالب وابن عطية وغيرهم يروى ان رجلا قال لبعيره حل فقال صاحب الحسنات ماهى بحسنة فأكتبها وقال صاحب السيئات ماهى بسيئة فأكتبها فأوحى الله تعالى الى صاحب الشمال ماترك صاحب اليمين فاكتبه قال البغوى وقال عكرمة لايكتبان الا مايؤجر عليه ويوزر * روى البغوى بسنده الى أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين فان على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر قال أبو طالب وروى أنه اذا كان الليل قال صاحب اليمين لصاحب الشمال تعال ألا قبلك واطرح أنا حسنة

(فان) ذلك بدعة وان (كل بدعة ضلالة) وجاء فى بعض روايات هذا الحديث فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وقال بعض المفسرين المغضوب عليهم أهل البدع وعن عطاء الخراسانى لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة اجتمع اليه فيها جنوده من أقطار الارض قائلين ماهذه الصرخة التى أفزعتنا قال أمر نزل بى لم ينزل قط أعظم منه قالوا وماهو فتلا عليهم الآية وقال لهم هل عندكم من حيلة قالوا ماعندنا من حيلة فقال اطلبوا فانى سأطلب قال فلبثوا ماشاء الله ثم صرخ فاجتمعوا اليه وقالوا ماهذه الصرخة التى لم يسمع منك مثلها الا التى قبلها قال وهل وجدتم شيأ قالوا لا قال لكنى قد وجدت قالوا وماوجدت قال أزين لهم البدع التى يتخذونها دينا ثم لايستغفرون أى لان صاحب البدعة يراها بجهله حقا وصوابا ولا يراها ذنبا حتى يستغفر الله وقد جاء فى الحديث أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته أى لا يثيبه على عمله مادام متلبسا بتلك البدعة وهو عام مخصوص بالبدعة المحرمة اذ البدعة تعتريها الاحكام الخمسة كما سبق فالمراد الكلية الاغلبية وفى بعض الروايات فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وأخرج أبو نعيم أهل البدع شر الخلق والخليقة والخلق والخليقة مترادفان وقيل المراد بالاول البهائم وبالثانى غيرهم وأخرج غيره أصحاب البدع كلاب النار وأخرج البيهقى وابن عاصم فى السنة أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته قال بعضهم واعلم ان أهل البدع ثمانية المعتزلة القائلون بأن العباد خالقوا أعمالهم وبنفى الرؤية ووجوب الثواب والعقاب وهم عشرون فرقة والشيعة المفرطون فى محبة على وهم اثنان وعشرون فرقة والخوارج المفرطة المكفرة لمؤمن أذنب ذنبا كبيرا وهم عشرون فرقة والمرجئة القائلون بأنه لايضر مع الايمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة وهم خمس فرق والبخارية الموافقة لأهل السنة فى خلق الافعال وللمعتزلة فى نفى الصفات وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق والجبرية القائلون بسلب الاختيار عن العباد فرقة والمشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق فرقة أيضا فتلك اثنان وسبعون فرقة كلهم فى النار والفرقة الناجية هم أهل السنة وقد ورد فى الحديث ستفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة كلهم فى النار الا فرقة واحدة وهى ما كان على ما أنا عليه وأصحابى (رواه أبو دود والترمذى وقال حديث حسن) وفى نسخة حسن صحيح

(الحديث التاسع والعشرون)

(عن معاذ بن جبل) بالتحريك ضد السهل (رضى الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله اخبرنى) وفى رواية أنبئنى (بعمل) التنوين فيه للتعظيم أو النوعية أى عمل عظيم أو معتبر فى الشرع فلا يرد ماقيل انه اذا جعل يدخلنى جواب الامر يبقى بعمل غير موصوف والنكرة غير الموصوفة لاتفيد (يدخلنى الجنة) اما أن يجعل مرفوعا والجملة فى محل جر صفة لقوله بعمل أو مجزوما وماقال الطيبى وفى مثله مذهبان أحدهما مذهب الخليل وهو أن يجعل الامر بمعنى الشرط وجواب الامر جزاء والتقدير ان تخبرنى بعمل يدخلنى الجنة وفيه اقامة السبب الذى هو الاخبار مقام المسبب الذى هو العمل لان العمل هو السبب ظاهرا لا الاخبار

وأثبت عشرا حتى يصعد صاحب السيآت ولاسيئة معه (فائدة وهى خاتمة المجلس مما يؤثر الويل لمن غلبت آحاده اعشاره فالاحاد السيآت والاعشار الحسنات والمعنى ان من عمل حسنة واحدة وعشر سيآت لم تغلب آحاده أعشاره لان الحسنة الواحدة تكفر عنه عشر سيآت ومن عمل حسنة واحدة واحدى عشرة سيئة فقد غلبت آحاده اعشاره فالويل له ان لم يعف الله تعالى عنه قال الواحدى فى تفسيره روى أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فاذا مات قالا يارب قد قبض عبدك فلان أين نذهب قال سمائى مملوأة من ملائكتى يعبدونى وأرضى مملوءة من ملائكتى يطيعونى اذهبا الى قبر عبدى فسبحانى وكبرانى وهللانى واكتبا ذلك فى صحيفة عبدى ذلك الى يوم القيامة فهذا يدل على ان الحفظة اثنان وقوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا يدل على ان الحفظة أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار على ماذكره المفسرون حيث قالوا سمى الله صلاة الصبح مشهودة لانها تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فهم أربعة اذا صعد اثنان حفظه اثنان لا يفترون اللهم وفقنا لطاعتك أجمعين آمين والحمد لله رب العالمين

(المجلس الثامن والثلاثون فى الحديث الثامن والثلاثين)

الحمد لله الذى خص أولياءه بالكرامه وجعلهم خلفاء لنبيه المبعوث بالرحمة والاستقامه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجى قائلها يوم الحسرة والندامه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الشفيع المشفع فى عرصات القيامه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا بالسلامه (عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بشئ أحب الى مما افترضت عليه ومايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده

التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وان سألنى أعطيته ولئن استعاذنى لاعيذنه رواه البخارى) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم وهو أصل فى السلوك والتقرب الى المولى تبارك وتعالى والوصول الى معرفته وهو من الاحاديث الالهية لانه من كلام الله تعالى رواه النبى (٢٣٤) صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه عزوجل (قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لى وليا) أى اتخذه عدوا (فقد آذنته) بالمد وفتح الذال المعجمة بعدها نون (بالحرب) أى أعلمته بأنى محارب له عنه بمعنى انى مهلكه والولى فيه وجهان أحدهما انه فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح بمعنى مقتول ومجروح فعلى هذا هو من يتولى الله رعايته وحفظه فلا يكله الى نفسه لحظة كما قال تعالى وهو يتولى الصالحين والوجه الثانى انه فعيل مبالغة من فاعل كرحيم وعليم بمعنى راحم وعالم فعلى هذا هو من يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فيأتى بها على التوالى من غير أن يتخللها عصيان أوفتور وكلا المعنيين شرط فى الولاية فمن شرط الولى أن يكون محفوظا كما من شرط النبى أن يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فليس بولى بل هو مغرور مخادع كذا ذكره الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه وغيره من أئمة الطريق رحمهم الله تعالى *(تنبيه)* قال الفاكهانى رحمه الله من حاربه الله أهلكه وقال غيره ايذاء أولياء الله علامة على سوء الخاتمة كالربا عافانا الله تعالى من ذلك فمن والى أولياء الله تعالى أكرمه الله ومن عادى أولياء الله أهلكه الله قال أبو تراب النخشبى رحمه الله من ألف الاعراض عن الله صحبته الوقيعة فى حق أولياء الله (نكتة) تناسب المقام روى عن حاتم الاصم عن جماعة من أصحاب العلوم والهمم أن جرجيس نبى الله نبى من أنبياء بنى اسرائيل كان فى زمانه ملك كثير الفساد مصر على مظالم العباد فمنع الله تعالى عنه المطر حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك والضرر فركب هذا الملك الكافر الظالم الغادر فى عساكره حتى أتى الى جرجيس فوجده فى صومعته وهو يكثر التسبيح

الثانى مذهب سيبويه أن الجواب جزاء شرط محذوف تقديره أخبرنى بعمل ان عملته يدخلنى الجنة (ويباعدنى عن النار) وفى رواية أحمد انى أريد أن أسألك عن كلمة قد أمرضتنى واسقمتنى وأحزنتنى قال سل عما شئت قال أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة لا أسألك غيره وفيه دليل على شدة اعتنائه بالاعمال الصالحة وعظيم فصاحته فانه أوجز وأبلغ ولهذا احمد المصطفى صلى الله عليه وسلم مسئلته واستعظمها وان الاعمال سبب لدخول الجنة ويشهد له قوله تعالى وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ولا ينافيه حديث البخارى لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته وفى رواية لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله لان العمل نفسه لا يستحق به أحد الجنة مالم يكن مقبولا والقبول انما يحصل برحمة الله أو المراد به جنة خاصة أى تلك الجنة الخاصة الرفيعة بسبب الاعمال وأما الدخول فبالرحمة أو ان الباء فى بما كنتم للملابسة أى أورثتموها ملابسة لاعمالكم أى لثواب أعمالكم أو للعوض والمقابلة والمعطى لعوض قد يعطى مجانا لا للسببية لان المسبب لا يوجد بدون السبب خلافا للمعتزلة القائلين بان العمل سبب لدخولها وأما الباء فى حديث لن يدخل أحدكم الجنة بعمله فهى سببية ولا كلام *(فائدة)* أخرج الحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال خرج من عندى خليلى جبريل عليه السلام آنفا فقال يا محمد والذى بعثك بالحق ان لله تعالى عبدا من عباده عبد الله عزوجل خمسمائة سنة على رأس جبل فى البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعا فى ثلاثين ذراعا والبحر المحيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية وأخرج له عينا عذبة بعرض الاصبع تبض بماء عذب فتستنقع فى أسفل الجبل وشجرة رمان تخرج كل ليلة رمانة يتعبد يومه فاذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته فسأل ربه عند وقت الاجل أن يقبضه ساجدا قال ففعل فنحن نمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا فنجد له فى العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدى الله عزوجل فيقول له الرب جل جلاله أدخلوا عبدى الجنة برحمتى فيقول رب بل بعملى فيقول الله تعالى قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعم الجسد فضلا عليه فيقول أدخلوا عبدى النار فيجر الى النار فينادى يارب برحمتك أدخلنى الجنة فيقول ردوه فيوقف بين يديه فيقول يا عبدى من خلقك ولم تك شيأ فيقول أنت يارب فيقول ومن قواك لعبادة خمسمائة سنة فيقول أنت يارب فيقول ومن أنزلك فى جبل فى وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح وأخرج لك كل ليلة رمانة وانما تطرح مرة فى السنة وسألته أن يقبضك ساجدا ففعل فيقول أنت يارب قال فذلك برحمتى وبرحمتى أدخلك الجنة أدخلوا عبدى الجنة فنعم العبد كنت يا عبدى فادخله الله الجنة قال جبريل عليه السلام انما الاشياء برحمة الله يا محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ (لقد) اللام واقعة فى جواب مقدر والتقدير والله لقد (سألت عن) عمل (عظيم) لان عظم الشئ بعظم الاسباب والنجاة من النار أمر عظيم فكيف مع دخول الجنة (وانه) أى العمل الذى يدخل الجنة ويباعد عن النار (يسير على من يسره الله) تعالى (عليه) بتوفيقه وتهيئته أسباب الطاعة وشرح صدره

والتقديس فقال له ياجرجيس انى أحملك رسالة الى ربك فقال له جرجيس وماذلك قال تقول لربك يأتينا بالمطر والا آذيته أذية يسمعها سائر البشر فامنعنا المطر غيره قال فدخل جرجيس الى محرابه وقد خرس من خوف الله تعالى عن جوابه فجاءه جبريل بأمر الملك الجليل فقال له هات الرسالة التى معك على الوجه الذى قال لك فقال (٢٢٥) جرجيس انى أخاف من الله ذى الجلال عند مقال ذلك القول على ماقال فقال جبريل ياجرجيس قل كما قال هكذا أمر العزيز المتعال فقال جرجيس قال ان لم يأتنا بالمطر والا آذيته أذية يسمعها سائر البشر فقال جبريل ياجرجيس ربك يقول لك قل له بماذا تؤذيه فمضى جرجيس اليه وأعاد الرسالة عليه فقال الملك لا قدرة لى على أذيته الا من وجه واحد لانى ضعيف وهو قوى وأنا عاجز وهو قادر وانما أوذى أحبابه ومن آذى أحباءه فقد آذاه فجاء جبريل فقال ياجرجيس قل له لا تفعل فنحن نأتيك بالمطر ثم جادت السماء بالسحاب وامتلأت الصحارى بالسيول من كل جانب مدة ثلاثة أيام باذن رب الارباب وأمر الله تعالى النبات والزرع فى تلك الايام الثلاثة أن يطلع فلما طلعت الشمس نظر الى الحياض مترعة والفلوات مشرقة مشعشعة والزروع الى صدر الانسان طالعة والرياض مورقة متنوعة فركب الملك وأتى الى باب جرجيس وهو فى صومعته يكثر من التسبيح والتقديس فخرج اليه وقال ياهذا ماتريد منا لم لا تشتغل بملكك عنا لا تحملنى مثل تلك الرسالة فان فيها فظاعة فى المقالة فقال يانبى الله ماأتيت حربا بل سلما وقد انفتح بصرى الضعيف الاعمى فان من عمل الاحسان (٢٩ - شبرخيتى) مع عدوه لاجل وليه يحب أن تسجد الجباه لعظمته وانى أريد المصالحة لتكون صفقتى رابحة فقد ظهر لى بأن أسرار التوحيد لا نعمة أنا أشهد أن لا اله الا الله ولا معبود بحق سواه اخوانى دل هذا الحديث الالهى ان عدو ولى الله تعالى عدو الله تعالى فمن عاداه كان كمن حاربه نعوذ بالله تعالى من الانكار والحرمان واعلموا ان التقرب الى الله تعالى اما بالفرائض واما

صدره للسعى فيما يؤديه الى السعادة الابدية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام اعملوا ماشئتم فكل ميسر لما خلق له وبالجملة فالتوفيق ان ساعد على شئ تيسر وان كان ثقل الجبال (تعبد الله) عدل عن صيغة الامر تنبيها على أن المأمور كأنه مسارع الى الامتثال وهو يخبر عنه اظهارا لرغبته فى وقوعه والمراد بالعبادة النطق بالشهادتين ولما عبر بالعبادة احتاج ان يوضحها بقوله (لا تشرك به شيأ) ومنه يا أيها الناس اعبدوا ربكم أى وحدوه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أى يوحدون ويحتمل أن العبادة ههنا تتناول الايمان الباطن والاسلام الظاهر قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا والاقرب الاول كما قال الحافظ ابن حجر والعبادة كما قال شيخ الاسلام فى شرح الرسالة القشيرية لها ثلاث درجات عليا ووسطى ودنيا فالعليا أن يعمل العبد لله وحده امتثالا لامره وقياما بحق عبوديته والوسطى أن يعمل لثواب الآخرة والدنيا أن يعمل للاكرام فى الدنيا والسلامة من آفاتها وماعرا عن الثلاث فهو من الرياء وان تفاوتت افراده واللام فى قوله للاكرام لام العاقبة والسلامة لا لام العلة والعمل لله فقط لكنه يؤل عند الاطلاع عليه الى الاكرام وذكر بعض المفسرين عن بعض العارفين ما محصله ان العبادة لها ثلاث درجات أولها أن تعبد الله تعالى طمعا فى الثواب وهربا من العقاب وهذا هو المسمى بالعبادة وأوسطها أن تعبد الله لتتشرف بعبادته أو لتتشرف بقبول تكاليفه أو بالانتساب اليه وهذه أعلى من الاولى وأعلاها أن تعبده لكونه الها وخالقا ولكونك عبداله وهذا يعكر على ماقاله شيخ الاسلام (وتقيم) بالرفع (الصلاة) وهو ومابعده من عطف المغاير على المعنى الاول فى تعبد وعليه فيكون قد ذكر له التوحيد وأعمال الاسلام والخاص على العام على المعنى الثانى (وتؤدى الزكاة) وهى القدر المخرج من النصاب للمستحق وأتى بالزكاة عقب الصلاة لان الصلاة أعظم الطاعات البدنية والزكاة أعظم الطاعات المالية وقد كتب سلمان الى أبى الدرداء رضى الله عنهما يا أخى اياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أديت حق الله فى ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله فى فما زال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور (وتصوم) شهر (رمضان وتحج البيت) الحرام ان استطعت اليه سبيلا (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (ألا أدلك) أى أرشدك وهو عرض متضمن للحث نحو هل أدلكم على تجارة الآية أى أعرض ذلك عليك فهل تحبه قصد به التشويق الى ماسيذكره له ليكون أوقع فى نفسه وأبلغ فى ملازمته وأحث على استفراغها لافادته (على أبواب الخير) أى طرقه وأسبابه الموصلة اليه ومن ثم جعلها أبوابا له لترتيبه عليها تشبيها له بأمتعة فى مكان له أبواب فهو استعارة مكنية تخييلية ثم الاضافة ان كانت بيانية كان المراد به الاعمال الصالحة التى يتوصل بها الى أعمال أكمل منها كما أستفيد من تسميتها أبوابا فهو من المجاز البليغ لما فيه من تشبيه المعقول بالمحسوس وآثر جمع القلة اشارة الى تسهيل الامر على السامع ليزيد تشوقه واقباله وان

بالنوافل وأحب القسمين الى الله تعالى الفرائض فلذلك قال (وما تقرب الى عبدى) الاضافة للتشريف (بشئ أحب الى مما افترضت عليه) عينا أو كفاية كاداء الحقوق والامر بالمعروف وغير ذلك وانما كان الفرض أحب الى الله تعالى من النفل لامور منها أنه أكمل من حيث أن الامر به جازم (٣٢٦) متضمن للثواب على فعله والعقاب على تركه ومنها أن الفرض كالاصل والاساس والنفل كالفرع والبناء ومنها أن فى الاتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الامر واحترام الآمر به وتعظيمه بالانقياد اليه واظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل (قوله ومازال عبدى) وفى رواية وما زال (يتقرب الى بالنوافل) من الصلاة وغيرها (حتى أحبه) بضم الهمزة وفتح الباء والمراد يفعل بعد أداء الفرائض ما يحصل به التقرب عادة من فعل الاحسان ونحوه اذ الله تعالى منزه عن الوصف بالقرب والبعد ومن ثم قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى رحمه الله قرب العبد من ربه يكون بالايمان ثم بالاحسان وقرب الرب من عبده ما يخصه به فى الدنيا من عرفانه وفى الآخرة من رضوانه وفيما بين ذلك من وجود لطفه واحسانه ولا يتم قرب العبد من الحق الا ببعده عن الخلق قال وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس وباللطف والنصرة خاص بالخواص وبالتأنيس خاص بالاولياء قال الفاكهانى رحمه الله معنى الحديث أنه اذا أدى الفرائض وداوم على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك الى محبة الله تعالى (قوله فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها) قالوا المعنى كنت أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الاستماع وبصره فى النظر ويده فى البطش ورجله فى المشى وقال بعضهم ويجوز أن يكون المعنى كنت معينا له فى الحواس المذكورة وقيل غير ذلك من الاقوال التى لا حاجة لنا بالاطالة بنقلها (قوله وان سألنى أعطيته) أى ما سأل (قوله وان استعاذنى)

كانت بمعنى اللام كان المراد به الجزاء العظيم وبها جميع الاعمال الصالحة ويدل للثانى رواية ابن ماجه ألا أدلك على أبواب الجنة وللاول تخصيص بعض الاعمال بالذكر بقوله (الصوم) أى صوم النفل لان الفرض تقدم (جنة) بضم الجيم أى وقاية من استيلاء الشهوة والغفلة فى العاجل ومن النار فى الآجل قال الطيبى انما جعل الصوم جنة من النار لان فى الجوع سد مجارى الشيطان كما فى الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع فاذا سد مجاريه لم يدخل فيه فلم يكن سبب العصيان الذى هو سبب دخول النار وفى خبر النسائى الصوم جنة من النار كجنة أحدكم من القتال (والصدقة) أى نفلها لان فرضها مر ذكره (تطفئ) بضم أوله وهمز آخره أى تمحو وفى رواية تكفر (الخطيئة) بالهمز بوزن فعيلة وربما أسقطت الهمزة وشددت الياء والمراد الصغيرة المتعلقة بحق الله اما الكبيرة فلا يمحوها الا التوبة وأما حق الآدمى فلا يمحوه الا رضى صاحبه وورد ان امرأة جاءت الى حسان بن سنان فسألته شيأ فجعل ينظر اليها فاذا هى امرأة جميلة فقال يا غلام أعطها أربعمائة درهم فقيل له انها تسألك درهما فأعطيتها أربعمائة درهم فقال لما نظرت الى جمالها خشيت أن تقع فى معصية فاحببت أن أغنيها عسى أن يرغب فيها أحد فيتزوجها ووجه رجل ابنه فى تجارة فمضت أشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما فسأله أبوه هل أصابك فى سفرك بلاء فقال له غرقت السفينة بنا فى وسط البحر وغرقت مع جملة الناس واذا بشابين أخذانى فطرحانى على الشط وقالا لى قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت بزائد على ذلك وأما منع الصدقة فيصير العزيز ذليلا وحكى ان رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين يديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج اليه ونهره فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل فجلس يأكل فى بعض الايام هو وزوجته وبين يديهما دجاجة واذا بسائل يطرق الباب فقال لزوجته ادفعى له هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهى باكية فسألها زوجها عن بكائها فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع السائل الذى انتهره زوجها فقال لها زوجها أنا ذلك السائل (كما يطفئ الماء النار) اذا ألقى عليها وانما استعار لفظ الاطفاء لمقابلته بقوله كما يطفئ الخ ولان الخطيئة يترتب عليها العقاب الذى هو أثر الغضب المستعمل فيه الاطفاء وفيه استعارة تبعية لانه شبه اذهاب الصدقة للخطيئة بالاطفاء واستعاره له ثم اشتق منه الفعل أو تخييلية لانه شبه الخطيئة بالنار وأثبت له ما هو من لوازمها من الاطفاء وخصت الصدقة بذلك لتعدى نفعها الا ان الخلق عيال الله وهى احسان اليهم والعادة ان الاحسان الى عيال الشخص يطفئ غضبه وسبب اطفاء الماء النار ان بينهما غاية التضاد اذ هى حارة يابسة والماء بارد رطب فقد ضادها بكيفيتيه والضد يدفع الضد ويعدمه وانما قال الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة ولم يقل الصوم والصدقة والصلاة فى جوف الليل بدون ما ذكر للاشارة الى اختلاف أنواع الخير فان قلت ما اعراب ما ذكر فالجواب ان قوله الصوم مبتدأ خبره محذوف تقديره منها الصوم وقوله جنة خبر لمبتدا

بالباء والنون أى طلب منى أن أعيذه مما يخاف لاعيذنه والمراد انه تعالى يتولى وليه فى جميع أحواله بحسن تدبيره ويكلؤه بحسن رعاية كلاءة الوليد * (فائدة) قال بعضهم اذا أراد الله تعالى أن يوالى عبده فتح عليه باب ذكره فاذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه الى مجالس الانس ثم أجلسه على كرسى التوحيد ثم رفع (٣٢٧) عنه الحجب وأدخله دار القرب وكشف له الجلال والعظمة فاذا وقع بصره على الجلال والعظمة خرج من حسه ودعاوى نفسه ويحصل حينئذ فى مقام العلم بالله فلا يتعلم بالخلق بل بتعليم الله وتجليه لقلبه فيسمع ما لم يسمع ويفهم ما لم يفهم * (خاتمة المجلس) * قال بعض العارفين علامة محبة الله تعالى بغض المرء نفسه لانها مانعة له من المحبوب فاذا وافقته نفسه فى المحبة أحبها لا لانها نفسه بل لانها تحب محبوبه اللهم تولنا فى جميع أمورنا آمين آمين والحمد لله رب العالمين *

* (المجلس التاسع والثلاثون فى الحديث التاسع والثلاثين) *

الحمد لله الذى اختص من مخلوقاته الانسان ورفع عنه بكرمه الخطأ والنسيان وأشهد أن لا اله الا الله القديم المحمود بكل لسان وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله المؤيد بمعجزات القرآن صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذريته ذوى الولاية والاحسان (عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه رواه ابن ماجه والبيهقى وغيرهما) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم عام النفع ومحل الاطالة فى الامور التى تضمنها كتب الفقه لكن نذكر شرحه مختصرا على وجه لطيف فنقول (قوله ان الله تعالى تجاوز) معناه عفا (قوله لى عن أمتى) أى لاجلى (قوله الخطأ) هو نقيض الصواب قال الآمدى المخطئ من أراد الصواب فصار الى غيره والخاطئ من فعل ما لا ينبغى مصداقه حديث لا يحتكر الا خاطئ (قوله والنسيان) هو عدم ذكر الشئ لذهول

محذوف أى وهو جنة وكذا قوله والصدقة تطفئ الخطيئة وقد سئل ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أى الصدقة أفضل قال الماء ألم تر الى أهل النار حين استغاثوا بأهل الجنة ان أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وروى ان سعدا أتى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أى الصدقة أعجب اليك قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لام سعد وفى رواية أخرى انه قال يا رسول الله ان أم سعد كانت تحب الصدقة أفينفعها أن أتصدق عنها قال نعم وعليك بالماء وروى البخارى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب ثم خرج فاذا كلب يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ هذا الكلب مثل الذى بلغت فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله فغفر له قالوا يا رسول الله وان لنا فى البهائم أجرا قال فى كل كبد رطبة أجر وفى رواية فى كل كبد حراء أجر وورد ان امرأة كانت بغية فرأت كلبا عطشانا فانتزعت بخفها ماء فسقته فغفر الله لها وعن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من سقى مسلما شربة من ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبة ومن سقى مسلما شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحياها واخفاء الصدقة أولى لقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم الآية ولما رواه أنس انه عليه الصلاة والسلام قال ان صدقة السر تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء ولذا كان على بن الحسين يحمل الخبز على ظهره بالليل ويتبع به المساكين ويقول ان الصدقة فى سواد الليل تطفئ غضب الرب ولما مات وجد فى ظهره أثر سواد فقال الغاسل ما هذا فقيل انه كان يحمل جراب الدقيق على ظهره ويعطيه لفقراء أهل المدينة وكان اذا أتاه سائل رحب به وقال مرحبا بمن يحمل زادنا الى الآخرة * (فائدة) * اخرج الشيخان من جملة حديث طويل وانك ان تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا أجرت عليها حتى ما تجعل فى فى امرأتك وأخرج أحمد باسناد جيد ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة أى ان كان مما لا بد منه لقصد التقوى به على الطاعة كما هو معلوم من القواعد الشرعية وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة وأخرج الطبرانى باسناد حسن من أنفق على نفسه نفقة يستعف بها فهى صدقة ومن أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهى صدقة وهذا مفسر لما قبله وأخرج الدارقطنى والحاكم وصحح اسناده كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على أهل بيته كتب له صدقة وما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة وما أنفق المؤمن من نفقة فان خلفها على الله والله ضامن الا ما كان فى بنيان أو معصية وفسرت وقاية العرض بما يعطى للشاعر وذى اللسان المتقى وأخرج الطبرانى فى الاوسط أول ما يوضع فى ميزان العبد نفقته على أهله وأخرج الطبرانى بسند صحيح كل ما صنعت الى أهلك فهو صدقة عليهم (وصلاة الرجل) خص بالذكر لان السائل رجل ولان الخير غالب فى الرجال اذ أكثر أهل النار النساء لا للاحتراز عن المرأة لانها مثله فى ذلك (بجوف الليل) أى فى وبها عبر فى بعض النسخ وحروف الجر تتناوب أو لابتداء الغاية فيكون مبدأ الصلاة جوفه أو للتبعيض أى صلاة بعض جوف الليل اذ هى فيه مطلقا أفضل منها فى النهار لان الخشوع

أو غفلة (قوله رما استكرهوا عليه) أى قهروا عليه فهذه الثلاثة مرفوعة عن هذه الامة كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم اذ تقع فى العبادات وغيرها كالطهارة والصلاة والصوم والحج والنكاح والطلاق والقتل والعتق وشرط الاكراه مذكور فى كتب الفقه *(تنبيه)* قال الكلبى رحمه الله تعالى كانت بنو اسرائيل اذا نسوا شيأ مما أمروا به أو أخطؤا عجلت لهم العقوبة به فحرم عليهم شئ من مطعم أو مشرب بحسب ذلك الذنب فأمر الله تعالى المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك بقوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وقد سهل الله تعالى الامر أيضا ويسره على أمة محمد صلى الله عليه وسلم كرامة له ولم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم من اليهود قال البغوى وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم باداء ربع أموالهم من الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحوها من الاثقال والاغلال روى سعيد بن جبير فى قوله تعالى غفرانك ربنا قال الله تعالى قد غفرت لكم وفى قوله لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال لا أؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا أحمل عليكم ذنبا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا أحملكم واعف عنا الى آخره قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين *(فوائد)* الاولى لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى ثم الى حيث شاء العلى الاعلى وأعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيأ المقحمات كبائر الذنوب *(الفائدة الثانية)* قال النبى صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما فى ليلة كفتاه *(الفائدة الثالثة)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بألفى عام فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن

والتضرع فيه أسهل وأكمل وللامام أحمد وقيام الرجل فى جوف الليل يكفر الخطيئة قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم رجل ينام الليل كله فقال ذاك رجل بال الشيطان فى اذنه وأوحى الله الى داود يا داود كذب فى محبتى من اذا جن ليله نام عنى ولما قال الخليل لابنه يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك قال له يا أبت هذا جزاء من نام عن حبيبه لو لم تنم ما أمرت بالذبح وقيل للحسن البصرى ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وعن أبى مالك الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام ويحصل فضل قيامه بصلاة ركعتين لخبر من قام من الليل ولو قدر حلب شاة كتب من قوام الليل وخبر من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات واختلف فى فضل اجزائه والصحيح الذى دلت عليه الاحاديث أنه ان جزأه نصفين فالنصف الثانى أفضل أو ثلاثا فالثلث الاخير أفضل أو اسداسا فالسدس الرابع والخامس أفضل وهذا هو الاكمل على الاطلاق لانه الذى واظب عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال فيه أفضل الصلاة صلاة أخى داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ورؤى الجنيد بعد موته فقيل ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وغابت تلك العبارات وفنيت العلوم ونفدت الرسوم وما نفعنا الا ركيعات كنا نركعها عند السحر وكان أبو حنيفة يحيى نصف الليل فأشار اليه انسان وهو يمشى وقال لغيره هذا يحيى الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيى الليل كله وقال انى استحييت من الله أن أوصف بما ليس فى من عبادته ولبعضهم

تغيرتمو عنا بصحبة غيرنا * وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا
وأقسمتمو أن لا تحولوا عن الهوى * فخنتم عن العهد القديم وما خلنا
ليالى كنا نشتفى بوصالكم * وقلبى الى تلك الليالى قد حنا

وقد اجتهد السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم فى قيام الليل كعثمان بن عفان رضى الله عنه فانه كان يصوم النهار ويقوم الليل الا هجعة أوله وكان يجمع القرآن فى ركعة وعبد الله بن عمرو بن العاص وكان زوجه أبوه امرأة من قريش ثم جاء اليها فقال كيف وجدت بعلك قالت خير الرجال لم يلبس لنا كساء ولم يعرف لنا فراشا وعبد الله بن حنظلة قال مولى له يقال له سعد لم يكن لعبد الله فراش ينام عليه انما كان يلقى نفسه هكذا اذا عيا من الصلاة توسد رداءه وذراعه ثم يهجع قليلا وصفوان بن سليم كان أعطى الله عهدا انه لا يضع جنبه على الارض فلما نزل به الموت قيل له رحمك الله ألا تضطجع قال ما وفيت بالعهد اذا فاستند وما زال كذلك حتى خرجت نفسه قال أهل المدينة وتثقبت جبهته من كثرة السجود وعروة بن الزبير كان يقرأ القرآن كل يوم نظرا فى المصحف ويقوم به الليل فما تركه الا ليلة قطعت رجله ثم عوده من الليلة المقبلة وسفيان الثورى كان يقول اذا جاء الليل هذه ليلتى التى أموت فيها فما ينام حتى يصبح واذا أصبح قال كذلك ويلبس الثياب

الرقاق

فى دار فيقربهما شيطان وهذا كله لاجل محمد صلى الله عليه وسلم وكم أكرم الله تعالى أمته بكرامات لاجله عليه أفضل الصلاة والسلام *(ولنختم هذا المجلس اللطيف)* بنكتة تشتمل على شئ من فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال وهب بن منبه لما قرأ موسى عليه السلام الالواح وجد فيها فضيلة أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال يا رب ما هذه الامة المرحومة التى أجدها فى الالواح قال هم أمة محمد يرضون منى باليسير أعطيهم اياه وأرضى منهم باليسير من العمل أدخل احدهم الجنة بشهادة أن لا اله الا الله قال فانى أجد فى الالواح أمة يحشرون يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد أحشرهم يوم القيامة غرا محجلين قال يا رب انى أجد فى الالواح أمة أرديتهم على ظهورهم وسيوفهم على عواتقهم أصحاب رؤس الصوامع يطلبون الجهاد بكل أفق حتى يقاتلون الدجال فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يا رب انى أجد فى الالواح أمة يصلون فى اليوم والليلة خمس صلوات فى خمسة أوقات تفتح لهم أبواب السماء وتنزل عليهم الرحمة فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يا رب انى أجد فى الالواح قوما تجعل لهم الارض مسجدا وطهورا وتحل لهم الغنائم فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يا رب انى أجد فى الالواح أمة يصومون لك شهر رمضان فتغفر لهم ما كان قبل ذلك فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يا رب انى أجد فى الالواح أمة يحجون لك البيت الحرام لا يقضون منه وطرا يعجون لك بالبكاء عجيجا ويضجون لك بالتلبية ضجيجا فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال فما تعطيهم على ذلك قال أعطيهم المغفرة وأشفعهم فيمن وراءهم قال يا رب انى أجد فى الالواح أمة سفهاء قليلة أحلامهم يعلفون البهائم ويستغفرون من الذنوب يرفع أحدهم اللقمة الى فيه فلا تستقر فى جوفه حتى يغفر له يفتتحها باسمك ويختمها بحمدك فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يا رب فانى أجد فى الالواح أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرؤنها فاجعلهم أمتى

الرقاق فى البرد حتى يمنعه البرد من النوم وعامر بن عبد قيس كان اذا جاء الليل قال اذهب عنى النوم حر النار فما ينام حتى يصبح ودهيب حكى الامام مالك عنه انه كان بمكة فقالت له امرأة أنه أفسدت نفسك نهارك صائم وليلك قائم فقال يا مولاتى اذا ذكرت النار طار نومى واذا ذكرت الجنة استقر حزنى والسرى السقطى كان ورده فى الليل والنهار خمسمائة ركعة والامام أبو الحسن الاشعرى أقام نيفا وعشرين سنة يصلى الصبح بوضوء عشاء الآخرة وعبد العزيز بن أبى رواد كان يأتى فراشه فيمر يده عليه ويقول والله انك لين وفراش الجنة ألين منك فيدرجه ويصلى الليل كله وكان سيدى عبد الوهاب الشعرانى قبل بلوغه ربما ختم القرآن فى ركعة واحدة وكان أبو بكر كثيرا ما ينشد ويقول

الشوق والوجد فى مكانى * قد منعانى عن القرار
هما لا يفارقانى * فذا شعارى وذا دثارى

وكان سرى السقطى ينشد ويقول

لا فى النهار ولا فى الليل لى فرج * فلا أبالى أطال الليل أم قصرا
لانى طول ليلى هائم دنف * وبالنهار اقاسى الهم والكدرا

وعن على بن بكار قال لى منذ أربعين سنة ما أحزننى الا طلوع الفجر وعن سيدى أحمد الرفاعى يقول

اذا جن ليلى هام قلبى بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقى سحاب تمطر الهم والاسى * وتحتى بحار بالاسى تتدفق
فلا هو مقتول ففى القتل راحة * ولا هو ممنون عليه فيعتق

وقوله وصلاة الرجل قال البيضاوى هو مبتدأ خبره محذوف أى كذلك يطفئ الخطيئة أو هى من أبواب الخير والاول أظهر لاستشهاده صلى الله عليه وسلم بالآية وهى متضمنة للصلاة والانفاق ونقله الطيبى ثم قال والاظهر أن يقدر الخبر شعار الصالحين كما فى جامع الاصول ويفيد فائدة مطلوبة زائدة على القرينتين وهى انهما كما أفادتا المباعدة عن النار فتفيد هذه الادخال فى الجنة ويتم الاستشهاد بالآية لان قرة العين كناية عن السرور والفوز التام وهو مباعدة النار ودخول الجنة كما قال تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (ثم تلا) لفظ ابن ماجه ثم قرأ يعنى احتجاجا على فضل صلاة الليل ومدحا لفاعل ذلك قوله تعالى (تتجافى) أى تتنحى وترتفع وتنبو (جنوبهم) جمع جنب وهو ما تحت ابطه الى كشحه (عن المضاجع) أى مواضع الاضطجاع للنوم وهو الفرش لانه جمع مضجع بفتح الجيم وهو موضع الاضطجاع للنوم (حتى بلغ يعملون) وفى رواية الترمذى وابن ماجه حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون وذلك لما فيها من الثناء عليهم بهجر النوم وارتكاب مشقة السهر وظهور الخوف والاحتياج اليه تعالى والانفاق مما رزقهم المرتب عليه ما أخفى لهم من قرة أعين وجمهور المفسرين على أن ما فى الآية كناية عن كثرة التنفل بالليل فانهم أخفوا من أعمالهم فجوزوا بما أخفى لهم من قرة أعين وانما تم اخفاؤه بالصلاة فى جوف الليل فما قيل انه كناية عن الصلاة بين العشاءين يرده ظاهر سياق هذا الحديث وقد

قال هم أمة محمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة اذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة اذا هم أحدهم بالسيئة ثم لم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة (٢٣٠) واحدة فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب انى أجد فى الالواح

أمة هم خير أمة أخرجت الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب انى اجد فى الالواح امة يحشرون يوم القيامة على ثلاث ثلث ثلة يدخلون الجنة بغير حساب وثلة يحاسبون حسابا يسيرا وثلة يمحصون ثم يدخلون الجنة فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال موسى يارب بسطت هذا الخير لأحمد وأمته فاجعلنى من أمته قال الله تعالى لموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين فلله الحمد والمنة على نعم أولاها ونسأله الموت على الاسلام فى عافية بكل خير آمين يارب العالمين

(المجلس الاربعون فى الحديث الاربعين)

الحمد لله اللطيف الخبير مجيب دعوة المضطرين وراحم الضعفاء والمساكين فسبحانه وتعالى الحكيم القدير وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له فى ملكه ولا نظير وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله البشير النذير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته مادام فريق فى الجنة وفريق فى السعير (عن ابن عمر رضى الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى فقال كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن عمر يقول اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك رواه البخارى) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم جامع لأنواع الخير وفيه الابتداء بالنصيحة والارشاد لمن لم يطلب ذلك وتحريضه صلى الله عليه وسلم على ايصال

جاء ان الله تعالى يباهى بقوام الليل فى الظلام الملائكة يقول انظروا الى عبادى قد قاموا فى ظلم الليل حيث لا يراهم أحد غيرى أشهدكم انى قد أبحتهم دار كرامتى وجاء اذا جمع الله الاولين والآخرين نادى مناد بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم ينادى مناد ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم ينادى مناد ليقم الذين كانوا يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الناس وفى مسلم أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل وفى جمعة بن أبى الدنيا أن يحيى عليه الصلاة والسلام شبع ليلة فنام عن حزبه حتى أصبح فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى هل وجدت دارا خيرا من دارى أو جوارا خيرا من جوارى وعزتى يا يحيى لو اطلعت على الفردوس اطلاعة لذاب جسمك وذهبت نفسك اشتياقا الى ولو اطلعت على جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع وللبست الجلود مع المسوح وحكى الحافظ بن رجب فى لطائفه عن بعض العلماء انه نام عن تهجده ليالى فرأى فى منامه رجلين وقفا عليه فقال أحدهما للآخر هذا كان من المستغفرين فترك (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (ألا أخبرك برأس الامر) أى الدين أو العبادة أو الامر الذى سألت عنه (وعموده) أى الذى يعتمد عليه كعمود الخيمة (وذروة) بتثليث الذال المعجمة والكسر أفصح (سنامه) بفتح السين أعلاه لان سنام البعير ما ارتفع فى ظهره (الجهاد) لما فيه من مقاساة الاهوال وترك الاختلاط بالاهل والعيال وسقط منه هنا شطر ثابت فى أصل الترمذى لا يتم الكلام بدونه وكأنه انتقل نظره من سنامه الى سنامه اذ لفظ الترمذى بعد سنامه المذكور (قلت بلى يارسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد) فيحتمل أن السقط من الاصل الذى نقل منه المصنف ويحتمل أنه من بعض النساخ وفى قوله رأس الامر الاسلام الخ استعارة بالكناية تتبعها استعارة ترشيحية لانه شبه الامر المذكور بفحل الابل وبالبيت القائم على عمد وأضمر هذا التشبيه فى النفس ثم ذكر ما يلائم المشبه به وهو الرأس والسنام والعمود والمراد بالاسلام النطق بالشهادتين كما جاء مفسرا بهما فى رواية أحمد وانما كان هو الرأس لانه لا حياة لشئ من الاعمال بدونه كما ان الحيوان لا حياة له بدون رأسه والصلاة العمود لانه الذى يقيم البيت ويهيئه للانتفاع به والصلاة هى التى تقيم الدين والجهاد هو ذروة السنام لان ذروة الشئ أعلاه والجهاد أعلى أنواع الطاعات من حيث ان به يظهر الاسلام ويعلو على سائر الاديان واعلم أنه اختلف فى أفضل أعمال البر بعد الفرائض فقال مالك وأبو حنيفة العلم ثم الجهاد لقوله صلى الله عليه وسلم ما جميع أعمال البر فى الجهاد الا كنقطة فى بحر وما جميع أعمال البر والجهاد فى طلب العلم الا كنقطة فى بحر وقال الشافعى أفضلها الصلاة فرضا ونفلا وقال أحمد أفضلها الجهاد وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم سئل أى الاعمال أفضل فقال تارة الصلاة لاول وقتها وتارة الجهاد وتارة بر الوالدين وحمل على اختلاف أحوال السائلين لانه صلى الله عليه وسلم كان طبيبا للخلق فرب شخص كان الغالب عليه ترك المحافظة على الصلاة فقال له الصلاة فى أول وقتها ورب شخص كان

الغالب

الخير لامته فان هذا الكلام لا يخص ابن عمر وحده (قوله قال) أى ابن عمر (أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى) بفتح الميم وسكون النون والباء وهو مجمع العضد والكتف (فقال) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (كن فى الدنيا كأنك غريب) أى لا تركن اليها ولا تطمئن فيها لانك على جناح السفر منها الى وطن اقامتك (٢٣١) وهو الآخرة كالغريب لا يستقر فى دار الغربة ولا يسكن اليها بل لا يزال مشتاقا الى وطنه عازما على السفر اليه (قوله أو عابر سبيل) أى جائز طريق فالمسافر يمر فى الطريق صارفا كل عزمه وقصده الى بلوغ مقصده غير ملتفت الى جزئيات الطريق ولا معرج عليها ولذلك قال بعضهم فى المعنى شعرا

أرى طالب الدنيا وان طال عمره
ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه
فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقد جاء فى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابن عمر رضى الله عنهما كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل واعدد نفسك فى الموتى واذا أصبحت نفسك فلا تحدثها بالمساء واذا أمسيت فلا تحدثها بالصباح وخذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك ومن غناك لفقرك ومن حياتك لوفاتك فانك لا تدرى ما اسمك غدا قيل أوحى الله تعالى الى نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان أردت لقائى غدا فى حظيرة القدس فكن فى الدنيا غريبا محزونا مستوحشا كالطير الوحدانى الذى فى الارض والقفار ويأكل من رؤس الاشجار فاذا كان الليل آوى الى وكره فلا يغتر أحد بالبقاء فى دار الدنيا فان الحياة فيها فى الحقيقة كزيارة ضيف أو سحابة صيف (وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا أصبحت فلا تنتظر المساء) والمعنى أن الشخص يجعل الموت بين عينيه فيسارع الى الطاعات ويغتنم الاوقات ويبادر الى استغراقها بالتقوى والعمل الصالح ويقصر الامل ويترك الميل الى غرور الدنيا فانه لا يدرى متى يأتيه الموت فيرتحل الى الآخرة كالغريب أو عابر

الغالب عليه ترك الجهاد فقال له الجهاد ورب شخص كان الغالب عليه ترك بر الوالدين فقال له بر الوالدين واختلاف الازمان فرب عبادة فى زمن أفضل من غيرها أو ان من مقدرة أى من أفضل الاعمال وعن أبى امامة الباهلى أنه قال خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم غزوة من غزواته فمر رجل بغار فيه شئ من ماء وحوله شئ من البقل فحدثته نفسه بأن يقيم فى ذلك الغار يشرب مما فيه من الماء ويصيب مما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا قال لو أنى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فان أذن لى فعلت والا لم أفعل فأتاه فقال يا نبى الله انى مررت بغار فيه ما يقوتنى من الماء والبقل فحدثتنى نفسى بأن أقيم فيه وأتخلى عن الدنيا فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة والذى نفس محمد بيده لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم فى الصف خير من صلاته ستين سنة وروى الحاكم أن عثمان بن مظعون جاء الى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال تحدثنى نفسى بأن أختصى فقال خصاء أمتى الصوم فقال تحدثنى نفسى بان أترهب فى رؤس الجبال فقال ترهب أمتى الجلوس فى المساجد وانتظار الصلاة فقال أريد أن أسيح فى الارض فقال سياحة أمتى الغزو فى سبيل الله تعالى فقال تحدثنى نفسى بأن أطلق امرأتى فقال المهاجر من أمتى من هجر ما حرم الله فقال تحدثنى نفسى أن لا آكل اللحم فقال أنا أحبه وآكله وقد قال بعضهم

الجود بالمال جود فيه مكرمة * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

قال الطيبى وانما خص هذه المرتبة بالباء والاولى بعلى لان هذه المرتبة أجمع وأشمل لان المعنى بأمر الدين وهو مشتمل على أبواب الخير وعلى ما قبله من نحو تعبد الله الخ ولهذا أتى بالباء فى المرتبة الثالثة الآتية وأكدها بكله لكونها أجمع منها وهذا الترقى ينبهك على جواز الزيادة فى الجواب والسؤال ضربان جدلى وتعليمى وحق الاول مطابقة الجواب من غير زيادة ولا نقص وحق الثانى أن يتحرى المجيب الاصوب كالطبيب الرفيق يتوخى ما فيه شفاء العليل طلبه أم لا ولما تكلم على جهاد الكفر أخذ يتكلم على جهاد النفس وقمعها عن الكلام فيما يؤذيها ويؤذى بها بقوله (ثم قال) له صلى الله عليه وسلم (ألا أخبرك بملاك ذلك) الامر (كله) أى بما يملكه ويضبطه أو بمقصوده وجماعه أو بما يقوم به بمعنى اذا وجدت كانت تلك الاعمال كلها على غاية من الكمال ونهاية من صفاء الاحوال لان الجهاد وغيره من أعمال الطاعات غنيمة وكف اللسان عن المحارم سلامة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا والسلامة فى نظر العقلاء مقدمة على الغنيمة (قلت بلى يارسول الله فأخذ بلسانه) الباء زائدة مؤكدة والضمير راجع الى النبى صلى الله عليه وسلم أى امسك النبى صلى الله عليه وسلم لسان نفسه بيده (ثم قال كف) من كفه منعه وفى رواية اكفف وفى رواية أمسك (عليك) أى عنك أو ضمن كف معنى احبس والمعنى احبس عليك لسانك لا يؤذيك بالكلام (هذا) أى عن الشر فان آفته عظيمة ولذا قال الغزالى اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه القويمة فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان الا به وكما يثنا وله القلم يعرب عنه اللسان اما بحق أو باطل وهذه خاصية لا توجد فى سائر الاعضاء فان

السبيل لا يدرى متى يصل الى وطنه صباحا أو مساء فهو اذا أمسى فى غربته لا ينتظر الصباح واذا أصبح لا ينتظر المساء (قوله وخذ من صحتك لمرضك) وفى رواية لسقمك ومعناه اغتنم العمل الصالح فى أيام صحتك فان المرض قد يطرأ عليك فيمنعك منه فتقدم المعاد بغير زاد وقيل تأهب للذى لا بد منه فان الموت ميقات العباد أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

فان قلت ورد أن العبد اذا مرض أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحا مقيما قلنا انه ورد فى حق من يعمل والتحذير الذى فى هذا الخبر فى حق من لم يعمل شيأ فانه اذا مرض ندم على ترك العمل وعجز لمرضه عنه فلا يفيده الندم (قوله وخذ من حياتك لموتك) أى اغتنم أيام حياتك لا تمر عنك فى سهو وغفلة فتندم بعد موتك حيث لا ينفعك الندم وقد ذم الله تعالى طول الامل فينبغى للعاقل اذا أمسى لا ينتظر الصباح واذا أصبح لا ينتظر المساء بل يظن أن أجله يدركه قبل ذلك وليكثر من ذكر الموت فان ذكره عون على الزهد فى الدنيا والرغبة فيما عند الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا * وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات * وقال أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا وسئل صلى الله عليه وسلم عن أكيس الناس فقال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا أولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة وقال الحسن فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا (وكان) عمر بن عبد العزيز لا يذكر فى مجلسه الا الموت والآخرة والنار * وقال سفيان الثورى رأيت فى مسجد الكوفة شيخا يقول أنا منذ ثلاثين سنة فى هذا المسجد أنتظر الموت أن ينزل بى فلو أتانى ما أمرت بشئ ولا نهيت عن شئ ومرض اعرابى فقيل له انك تموت قال أين يذهب بى قالوا الى الله قال فكيف أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه هذا حال من كان متهيأ للموت ولا يشتغل بالدنيا فاما من

كل عضو يقتصر على منفعته فمن أطلق عذبة اللسان ملكه الشيطان ولا ينجو من شره الا أن يلجمه بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفع فى الدنيا والآخرة ويكفه عن كل شئ يخشى غائلته وأعصى الاعضاء من الانسان اللسان فانه لا تعب فى تحريكه ولا مؤنة فى اطلاقه وقد تساهل الخلق فى الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله اه وفى الحكمة لسانك أسدك اذا أطلقته فرسك وان أمسكته حرسك وكان أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يمسك لسانه ويقول هذا الذى أوردنى الموارد فلما مات رؤى فى المنام فقيل له ما الذى أوردك لسانك قال قال لا اله الا الله فأوردنى الجنة وفى الحديث طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته وقال بعض الحكماء لا شئ أحق بالسجن من اللسان وقد جعله خلف الشفتين والاسنان ومع ذلك يكسر القفل ويفتح الابواب وقال بعضهم فى الصمت سبعة آلاف خير وقد اجتمع ذلك كله فى سبع كلمات فى كل كلمة منها ألف أولها ان الصمت عبادة من غير عناء والثانى زينة من غير حلى والثالث هيبة من غير سلطان والرابع حصن من غير حائط والخامس استغناء عن الاعتذار الى الناس والسادس اراحة الكرام الكاتبين والسابع ستر لعيوبه لان الصمت كما قيل زين للعالم وستر للجاهل وقيل ثلاثة أشياء تقسى القلب الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والكلام من غير حاجة وذكر عن الاوزاعى أنه قال المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل والمنافق يكثر الكلام ويقل العمل وقد قال أبو بكر بن خلف اللخمى

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمى برأسه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل

وعثر المتوكل بالبساط فجلس وتمثل بهذين البيتين وقوله كف يحتمل عمومه وخص منه الكلام بخير لحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ويحتمل أنه من باب المطلق استعمل فى الكف عن الشر فلا يبقى له دلالة على غير ذلك ومنشأ الاحتمالين ان الفعل يدل على المصدر لكن هل يقدر المصدر معرفا فيعم أو منكرا فلا يعم كأ كفف كفا أو على ان المصدر جنس فيعم أو لا فلا (قلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به) اللام للتأكيد وهذا استفهام استثبات وتعجب واستغراب فدل على أن معاذا لم يكن يعلم ذلك ولا ينافى خفاء هذا عليه قوله صلى الله عليه وسلم فى حقه أعلمكم بالحلال والحرام معاذ اما بحمل ذلك على المعاملات الظاهرة بين الناس والمؤاخذة المذكورة فى معاملة العبد مع ربه أو انه انما صار أعلمهم بذلك بعد هذا السؤال وأمثاله من طريق التعلم (فقال ثكلتك) بمثلثة وكاف مكسورة ولام مفتوحة أى فقدتك (امك) زاد ابن ماجه يا معاذ والثكل بسكون الكاف وفتحها فقد المرأة ولدها وليس المراد حقيقته من الدعاء بالموت بل هو من الالفاظ التى تجرى على الالسن فى المحاورات للتأديب والتنبيه من الغفلة كتربت يداك أو أن الموت لما كان يعم كل أحد كان الدعاء به عليه كلا دعاء أو أن المراد ان قلت هذا كان الموت خيرا لك من الحياة (وهل) حرف استفهام انكارى بمعنى النفى ومنه هل جزاء الاحسان الا الاحسان (يكب) بضم الكاف أى يلقى قال الطيبى مضارع كبه بمعنى صرعه على وجهه

كان غافلا عن الآخرة حتى يأتيه الموت على غرة فانما يجد لقدومه غما وحسرة (قال وهب) بن منبه ركب ملك من الملوك يوما فأعجبه ما هو فيه من زينة الدنيا وكثرة الغلمان والاعوان والملابس الحسان فامتلأ تيها وكبرا فبينما هو كذلك اذ جاءه شخص رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام فرسه فقال له أرسل اللجام فلقد تعاطيت أمرا عظيما فقال ان لى اليك حاجة أمرها اليك فادنى اليه رأسه فساره وقال انا ملك الموت فتغير لونه واضطرب لسانه وقال دعنى حتى أرجع الى أهلى وأودعهم فقال لا والله لا ترى أهلك أبدا فقبض روحه فوقع كأنه خشبة ثم مضى ملك الموت عليه السلام فلقى عبدا مؤمنا يمشى فى الطريق فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لى اليك حاجة وساره وقال أنا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته عنى والله ما من غائب أحب الى ان ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت اليها فقال والله ما من حاجة أحب الى من لقاء الله عز وجل قال فاختر على أى حالة أقبض روحك فقد أمرت بذلك فقال دعنى أصلى واقبض روحى فى السجود فصلى فقبض روحه وهو ساجد (خاتمة المجلس) حكى أن رجلا جمع مالا عظيما ثم صنع يوما طعاما لأهله وقعد على سرير وهم بين يديه يأكلون وقد وضع رجلا على رجل وهو يقول لنفسه تنعمى فقد جمعت لك ما يكفيك فبينما هو كذلك اذ أقبل ملك الموت فى زى المسكين فقرع الباب فخرج اليه بعض الغلمان فقالوا ما حاجتك فقال ادعوا لى سيدكم فانتهروه وقالوا امثلك يخرج اليه سيدنا قال نعم فجاؤا فأخبروا سيدهم بذلك فقال هلا ضربتموه فعاد فقرع الباب قرعا شديدا

(٣٠ - شبرخيتى) فخرجوا اليه فقال أخبروا سيدكم انى ملك الموت فلما سمعوه وقع على الجميع الذل ودخل ملك الموت عليه السلام عليه فأحضر أمواله ونظر اليها تحسرا وتأسفا وقال لعنك الله من مال أشغلتنى عن عبادة ربى فانطق الله المال وقال لم تسبنى وقد كنت تدخل على الملوك بى وترد المتقين وقد كنت تنفقنى فى سبيل الشر فلا امتنع منك ولو أنفقتنى فى سبيل الخير لنفعتك ثم قبض ملك

فانكب سقط على وجهه وهذا من النوادر فان ثلاثيه متعد ورباعيه لازم تقول كببت الشئ فاكب (الناس) أى أكثرهم (فى النار) أى نار جهنم (على وجوههم أو قال) شك من الراوى (على مناخرهم) جمع منخر بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة وفتحها ثقبة الانف وليس فى رواية البزار الا المتأخر بلا شك (الا حصائد) جمع حصيدة بمعنى محصودة من حصد الزرع اذا قطعه (ألسنتهم) أى ما تكلمت به من الاثم كالكبر والقذف والسب والنميمة وغير ذلك واضافة حصائد الى الالسنة من اضافة اسم المفعول الى فاعله أى محصودات الالسنة شبه ما تكتسبه الالسنة من الكلام الحرام بحصائد الزرع بجامع الكسب والجمع وشبه اللسان فى تكلمه بذلك بحد المنجل الذى يحصد به الناس الزرع ففيه استعارة بالكناية من حيث تشبيه ذلك الكلام بالزرع المحصود واللسان بالمنجل ويتبعها استعارة ترشيحية لان الحصاد يلائم المشبه به دون المشبه والحصر فى ذلك اضافى اذ من الناس من يكبه فى النار عمله لا كلامه لكن خرج ذلك مخرج المبالغة فى تعظيم جرائم اللسان كالحج عرفة أى معظمه ذلك كما أن معظم أسباب النار الكلام ولان الاعمال يقارنها الكلام غالبا فأخصه من ترتب الجزاء عليه عقابا وثوابا وفى المعجم الكبير للطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث أبى وائل عن ابن مسعود قال ارتقى ابن مسعود الصفا فأخذ بلسانه فقال يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أكثر خطايا ابن آدم من لسانه وللشافعى رضى الله تعالى عنه

احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

(رواه الترمذى) فى جامعه (وقال حسن صحيح) لكن فى الجامع زيادة على ما ذكره المصنف هنا ولفظه عن معاذ قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة فذكره

(الحديث الثلاثون)

(عن أبى ثعلبة) بفتح المثلثة (الخشنى) بضم المعجمة الاولى وفتح الثانية وكسر النون نسبة الى خشينة مصغرا بطن من قضاعة بن مالك بن حمير (جرثوم) بفتح الجيم والمثلثة بينهما راء مهملة وقيل جرثومة وقيل جرثم وقيل غير ذلك قال ابن رسلان والاكثر على أن اسمه جرهم بضم الجيم والهاء (ابن ناشر) بالنون والشين المعجمة ثم راء مهملة وقيل ناشب بباء موحدة فى آخره وقيل لاسق بالقاف وقيل لاسر وقيل لاش والاكثر على أن اسمه ناشم بالنون ومعجمة مكسورة وميم ويقال جرثم بن الاشتر بن النضر ونسبه بعضهم الى الحاف بن قضاعة بن مالك ابن حمير وهو مشهور بكنيته كان ممن بايع تحت الشجرة وضرب له صلى الله عليه وسلم بسهمه يوم خيبر وأرسله الى قومه فأسلموا نزل الشام ومات أول امرة معاوية وقيل فى امرة يزيد وقيل فى امرة عبد الملك سنة خمس وتسعين والاول أكثر وكان يقول انى أرجو أن لا يخنقنى الله كما أراكم تخنقون عند الموت فبينما هو يصلى قبض وهو ساجد (رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض) وافترض بمعنى (فرائض) أى

الموت روحه وانصرف فنسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا بمنه وفضله ويوفقنا لما يحب ويرضى ويبعدنا عن الشرك به آمين والحمد لله رب العالمين * (المجلس الحادى والاربعون فى الحديث الحادى والاربعين) * الحمد لله الذى شرفنا بخاتم النبيين اذ كنا خير أمة أخرجت للعالمين وأشهد أن لا اله الا الله وحده (٢٣٤) لا شريك له الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الصادق الوعد الامين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا آمين * (عن أبى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به حديث حسن صحيح رويناه فى كتاب الحجة باسناد صحيح) * اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم نافع (قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم) أى لا يصدق فى ايمانه (قوله حتى يكون هواه) بالقصر يعنى ما يحبه ويميل اليه (قوله تبعا لما جئت به) أى من هذه الشريعة المطهرة الكاملة فلا يؤمن حتى يميل طبعه وقلبه الى ذلك كما يكون فى محبوباته الدنيوية التى جبلت النفوس على الميل اليها من غير مجاهدة واحتمال مشقة فيهوى بقلبه ويميل بطبعه الى ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من الدين المشتمل على الايمان والاحسان والنصح لله تعالى ولرسوله ولكتابه وهى أمور جامعة لم يبق بعدها الا تفاصيلها التى فى ضمنها فمن كان هواه تابعا لما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم فهو مؤمن * (تنبيه) * عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بعض خطبه ومواعظه أيها الناس لا تشغلنكم دنياكم عن آخرتكم ولا تؤثروا أهواءكم على طاعة ربكم ولا تجعلوا ايمانكم ذريعة الى معاصيكم وحاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا ومهدوا لها قبل ان تعذبوا وتزودوا للرحيل قبل ان تزعجوا فانما هو موقف عدل واقتضاء حق وسؤال عن واجب ولقد أبلغ فى الاعذار من تقدم فى الانذار فانظروا يا اخوانى الى هذا الحديث ما أعظمه واعملوا بما فيه وخالفوا هواكم فقد قيل بينك

أوجبها وألزم العمل بها والفرض لغة القطع والتقدير واصطلاحا ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه ويرادفه الواجب الا فى الحج فان الفرض ما لا يجبر بالدم والواجب ما يجبر به وفرق الحنفية بينهما بأن الفرض ما ثبت بدليل قطعى كالصلاة والزكاة والواجب ما ثبت بدليل ظنى كالثابت بالقياس وخبر الواحد كصدقة الفطر وعند الشافعى الفرض والواجب معناهما الفرائض اما فرائض أعيان كالصلوات الخمس والزكاة والصوم أو كفاية كصلاة الجنازة ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر (فلا تضيعوها) بالترك أو التهاون فيها حتى يخرج وقتها بل قوموا بها كما فرض عليكم وقد صح انه عليه الصلاة والسلام رأى ليلة الاسراء قوما ترضخ رؤسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم ذلك فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة وما ظلمهم الله شيأ (وحد حدودا) جمع حد وهو لغة الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وشرعا عقوبة مقدرة من الشارع تزجر عن المعصية وسميت العقوبة حدا لكونها تحجز الفاعل عن المعاودة أى جعل لكم حواجز وزواجر مقدرة تحجزكم عما لا يرضاه وقد ورد حد يقام فى الارض خير من مطر أربعين صباحا وتطلق الحدود على الوقوف على الاوامر كالمواريث المقدرة وتزوج الاربع والنواهى فلا تقربوا الفواحش والمراد الاول اذ لو حمل على الثانى لتكرر مع ما قبله وتكرر معه ما بعده ويصح ارادة الثانى ويكون ذكره مع ما قبله وما بعده من ذكر العام بعد الخاص وعكسه (فلا تعتدوها) أى لا تجاوزوها وقفوا عندها ومن تجاوز فقد ظلم نفسه وأوردها موارد المهالك وجلد عمر رضى الله عنه فى الخمر ثمانين ليس فيه زيادة محظورة وان اقتصر صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فيه على أربعين لان الناس لما أكثروا من الشرب زمنه ما لم يكثروه قبله استحقوا أن يزيد فى جلدهم تنكيلا وزجرا فكانت الزيادة اجتهادا منه لمعنى صحيح مسوغ لها ومن ثم قال على كرم الله وجهه ورضى عنه ان كلا من الزيادة وعدمها سنة أى لان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بالاقتداء بعمر خصوصا بقوله اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر وعموما بقوله عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين فى الحديث السابق (وحرم أشياء) كالميتة والدم وأكل مال اليتيم والربا (فلا تنتهكوها) أى لا تتناولوها ولا تقربوها قال الجوهرى انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل لان انتهاك الشئ تناوله وحكى عن بعض السلف أنه قال رأيت المعاصى تزرى فتركتها مروأة فصارت ديانة وعن العوام بن حوشب أنه قال نزلت مرة حيا والى جانب ذلك الحى مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج منه رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد انسان فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر فاذا عجوز تغزل شعرا أو صوفا فقالت امرأة ترى تلك العجوز قلت ما لها قالت تلك أم هذا قلت وما كانت قضيته قالت كان يشرب الخمر فاذا أراح قالت له أمه اتق الله الى متى تشرب الخمر فيقول لها انما أنت تنهقين كما ينهق الحمار قالت فمات بعد العصر قالت فهو ينشق بعد العصر كل يوم ينهق ثلاث نهقات ثم يطبق عليه القبر وعن بعضهم قال يا رب أذنبت ولا تعاقبنى فاوحى الله الى نبى وقته قل لصاحب هذا الكلام عاقبتك ولم تشعر أعقوبة أشد من أن خليت

ان الهوى لهو الهوان بعينه * فاذا هويت فقد لقيت هوانا وقال آخر نون الهوان من الهوى مسروقة * فاذا هويت فقد لقيت هوانا نكتة فى مخالفة الهوى قال الله تعالى وهو أصدق القائلين وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقد ذكر السرى السقطى رضى الله عنه فى قول (٢٣٥) الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا أى على الدنيا رجاء السلامة وصابروا على القتال فى سبيل الله بالثبات والاستقامة ورابطوا الهوى النفس اللوامة واتقوا ما يعقب لكم من الندامة لعلكم تفلحون غدا على بساط الكرامة * وفى كتاب الفرج بعد الشدة أن راهبا اشتهر ببلاد مصر بالمكاشفة فقال عالم المسلمين لا بد من قتله خوفا على المسلمين أن يفتنهم فقصده بسكين مسمومة فلما طرق بابه قال اطرح السكين يا عالم المسلمين فطرحها ودخل فقال له من أين لك نور المكاشفة قال بمخالفة النفس فقال هل لك فى الاسلام قال نعم أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال ما حملك على ذلك قال عرضت الاسلام على نفسى فأبت فخالفتها (وحكى) أن عابدا من عباد بنى اسرائيل راودته امرأة عن نفسه فطلب منها ماء ليتطهر به ثم صعد الى موضع عال فى القصر ورمى نفسه الى الارض فقيل لابليس هلا أغويته فقال ليس لى سلطان على من خالف هواه * وقال المرعشى رحمه الله كنت فى مركب فكسر بنا فوقعت أنا وامرأة على لوح فعطشت المرأة فسألت الله أن يسقيها فنزلت علينا سلسلة فيها كوز ماء فنظرت الى رجل فى الهواء فقلت له كيف جلست فى الهواء قال تركت هواى لهواه فأجلسنى فى الهواء وقال الشبلى رحمه الله لما قالت له الشجرة يا شبلى كن مثلى يرمونى بالاحجار وأرميهم بالثمار فقال لها كيف مصيرك الى النار قالت يميلى مع الهواء هكذا وهكذا وقد جاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قدر على امرأة أو جارية حراما فتركها مخافة الله أمنه الله تعالى يوم الفزع الاكبر وحرم عليه النار وأدخله الجنة (نكتة) قال أبو زرعة رأيت امرأة فى الطريق فقالت هل لك

وبينك وبين مخافتى وعن ابن شبرمة أنه قال العجب ممن يحتمى من الحلال مخافة الداء ولا يحتمى من الحرام مخافة النار (وسكت عن) ذكر حكم (أشياء) فلم ينص على وجوبها ولا حلها ولا تحريمها لا أنه تعالى سكت عنها حقيقة لان الكلام من صفاته القديمة المستمرة فلا ينقطع كلامه ولا يتناهى لان الانقطاع والتناهى من صفات المحدثات والله تعالى منزه عن ذلك (رحمة لكم) مفعول لاجله أى لاجل رحمته ورأفته بكم وتخفيفه عنكم حال كون ذلك (غير نسيان) لاحكامها لا يضل ربى ولا ينسى وما كان ربك نسيا والنسيان ترك الفعل بلا قصد وبعد حصول العلم (فلا تبحثوا عنها) لان السؤال عما سكت الله عنه يفضى الى التكاليف الشاقة لان البحث عنها ان كان فى زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم ربما أفضى الى تشديد بايجاب وتحريم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان أعظم المسلمين جرما من سئل عن شئ لم يحرم فحرم لاجل مسألته وان كان فى غيره فهو من التعمق والتقطع والبحث عما لا ينبغى وقد قال عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والبحث لغة التفتيش ويفهم من سكوته رحمة لنا مع النهى عن البحث عنها أنه لا حكم قبل ورود الشرع وهو الاصح عند المحققين لان الحكم عند أهل السنة لا يكون الا بالشرع وقال أبو الزناد الاعرج على الاباحة لان الله تعالى خلق لنا ما فى الارض جميعا فكل ما لم يحرمه فهو مباح وقال الابهرى على الحظر وحكمت المعتزلة العقل فان لم يقض أى كأكل الفاكهة فتأملها الوقف على الحظر والاباحة (حديث حسن) بل صححه ابن الصلاح وقول أبى حاتم وأبى زرعة وابن مكحول لم يسمع من أبى ثعلبة معارض بقول ابن معين سمع والمثبت مقدم على النافى (رواه) الامام الحافظ على بن عمر (الدارقطنى) نسبة الى دارقطن محلة ببغداد

(الحديث الحادى والثلاثون)

(عن أبى العباس) وقيل أبى يحيى (سهل) وقيل سعد وما قاله المصنف أصح له ولابيه صحبة ولد سنة تسع ومائتين ومات سنة ثلاث وسبعين ومائتين (ابن سعد) بن مالك بن خالد بن ثعلب ابن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج (الساعدى) بكسر المهملة نسبة الى جده ساعدة بن كعب بن الخزرج كان اسمه حزنا فسماه النبى صلى الله عليه وسلم سهلا وكان يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم ابن خمس عشرة سنة ومات سنة ثمان وثمانين وله مائة سنة وقيل احدى وتسعين بالمدينة وهو آخر من مات بها من الصحابة على قول وقيل جابر كامر وأحصن سبعين امرأة وشهد قضاء النبى صلى الله عليه وسلم بين المتلاعنين (رضى الله عنه) ينبغى عنهما لان والده سعد بن مالك صحابى أيضا روى له مائة حديث وثمانية وثلاثون اتفقا منها على ثمانية وعشرين وانفرد البخارى باحد عشر (قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلنى) بضم الدال وفتح اللام مشددة (على عمل) هو فعل من الانسان مع قصد واختيار كامر والمراد هنا عمل صالح (اذا عملته أحبنى الله) محبة الله للعبد رضاه عنه واحسانه اليه لان المحبة ميل طبيعى وهو فى حقه محال والمراد غايته (وأحبنى الناس) لان محبتهم تابعة لمحبة الله فاذا أحبه ألقى محبته فى قلوب خلقه لقوله تعالى

في الاجر والثواب فقعود مريضا فقلت نعم قالت ادخل داري فدخلتها فغلقت الابواب فعلمت مقصودها فقلت اللهم سود وجهها فاسود في الحال فتحيرت وفتحت الابواب فلما خرجت من عندها قلت اللهم ردها كما كانت فعادت باذن الله تعالى * وقيل ان موسى عليه السلام قال يارب خلقت الخلق وربيتهم بنعمتك (٢٣٦) ثم جعلتهم يوم القيامة في النار فقال ياموسى ازرع زرعا فزرعه وحصده ودرسه فأوحى الله تعالى اليه مافعلت في زرعك قال رفعته قال هل تركت منه شيأ قال تركت مالا خير فيه قال ياموسى كذلك أدخل النار من لاخير فيه نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه آمين * (خاتمة المجالس) * حكى أن بعض الصالحين كان يعمل الاطباق فخرج يوما يبيعها فرأته امرأة فقالت أدخل منزلي حتى أشتري منك فدخل فغلقت الابواب وطلبت منه الفاحشة فقال أريد ماء أتطهر به فطلع الى سطح الدار ورمى نفسه فأمر الله ملكا فحمله على جناحه الى الارض سالما فرجع الى زوجته فأخبرها بأمره وكانا صائمين فقالت نطوي هذه الليلة ونحييها بالصلاة شكرا لله تعالى على السلامة من المعصية ولكن قد اعتاد الجيران أن يأخذوا نارا من التنور فان لم يروا نارا ظنوا أنا في ضيق فأوقدت التنور فدخلت عجوز لتأخذ نارا فقالت يافلانة أدركي الخبز الذي في التنور قبل أن يحترق فجاءت فوجدت فيه خبزا كثيرا فأكلا ثم قاما الى العبادة ودعيا الله تعالى أن يسوق لهما رزقا من غير عمل فسقطت عليهما جوهرة من سقف البيت ففرحا بذلك فلما ناما رأت المرأة في منامها الجنة ومنابر أهل الطاعة على أحسن حال ورأت منبر زوجها قد سقط منه جوهرة فلما استيقظت أخبرته وقالت ادع الله أن يرد الجوهرة مكانها فطارت في الحال وفي رواية أنه قال اللهم ارزقني رزقا يغنيني وتحذيره
عن بيع الاطباق فنزل جراد من ذهب فقال اللهم ان كان من الدنيا فبارك لي فيه وان كان نصيبي من الآخرة فلا حاجة لي به فارتفع الجراد باذن الله تعالى اللهم وفقنا لما يرضيك عنا يارب العالمين * (المجلس الثاني والاربعون في الحديث الثاني والاربعين) *

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال اني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض (فقال ازهد) من الزهد بضم أوله وقد يفتح وهو لغة الاعراض عن الشئ احتقارا له وشرعا أخذ قدر الضرورة من المال المتيقن الحل فهو أخص من الورع اذ هو ترك المشتبه وقيل ترك الدنيا عن قدرة ولذا قال الطيبي لا يتصور الزهد ممن ليس له مال ولا جاه وقيل لابن المبارك يازاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها أما أنا ففيم زهدت وقيل تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوت قال أبو يزيد ماغلبني أحد ماغلبني شاب من أهل بلخ مر علينا حاجا فقال يا أبا يزيد ماحد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا فقلت وماحد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وقد تقدم هذا وقيل النظر الى الدنيا بعين الاحتقار فتصغر في عينك يسهل عليك الاعراض عنها وقيل سلو القلب عن الاسباب ونفض اليد من الاملاك وقيل قصر الامل واليأس مما في أيدي الناس ومن ثم قال الضحاك انه قيل يارسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس المقابر والبلى وترك فضول زينة الدنيا وآثر مايبقى على مايفنى ولم يعد من أيامه غدا وعد نفسه من الموتى وقيل أن لاتيأس على مافات من الدنيا ولا تفرح بما أتاك منها وقيل خلو اليد من الملك والقلب من الشبع وأحسن حدوده كما قال ابن القيم أنه فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد وهذا زهد العارفين وأعلى منه زهد المقربين وهو الزهد فيما سوى الله من دنيا وجنة وغيرهما اذ ليس لصاحب هذا الزهد مقصد الا الوصول اليه تعالى والقرب منه وقال ابراهيم بن أدهم الزهد ثلاثة أصناف زهد فرض وزهد سلامة وزهد فضل فالزهد الفرض الزهد في الحرام وزهد السلامة الزهد في المشتبهات والزهد الفضل الزهد في الحلال وعلى هذا فالزاهد في الحرام ليس زاهدا وقيل لا يسماه الا اذا انضم لذلك الزهد بنوعيه الاخيرين من ترك الشبهات رأسا وفضول الحلال ومن ثم قال بعضهم لا زهد اليوم لفقد الحلال المحقق وقال الامام أحمد هو على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام وترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص وترك مايشغل عن الله وهو زهد العارفين وحكى عن جماعة من الصوفية انهم كانوا في موضع على التوكل فمضت عليهم مدة ولم يفتح عليهم بشئ فاتفق أن أحدهم خرج الى الوضوء فخطر ببال أحدهم أن في زاوية ذلك الفقير شيأ من الدنيا فنهض ففتشها فوجد فيها نصف درهم أسود فقال أصحابه كيف يفتح علينا ومع صاحبنا شئ معلوم قد كتمه منا فأشاروا عليه بستره كما كان ثم دخل الرجل من الباب وجمع حوائجه لينصرف فقيل له لم تنصرف فقال لانكم أفسدتم حجتي قالوا وكيف قال لاني ادخرت ذلك النصف درهم لسبب وذلك أن الله اذا أحضر خلقه للحساب أتيت بذلك النصف درهم الاسود أضعه بين يديه وأقول هذا مافتحت به علي من الدنيا وأكتفي الحساب فاني لم يفتح علي من الدنيا بغيره فتعجبت الجماعة من ذلك وطابت قلوبهم (في الدنيا) باستصغار جملتها والاحتقار لجميع شأنها لتصغير الله تعالى لها وتحقيره اياها

الحمد لله الذي انفرد باسمائه العظمى المختص بالرحمة والجبروت والملك الاعز الاحمى المتفضل بالعفو والمغفرة على عباده المذنبين فلم يؤاخذهم بتعجيل ولا وهما وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له الملك القدوس الذي وسع كل شئ رحمة وعلما وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المرسول الى الناس كافة عربا وعجما (٢٣٧) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا بقربه في الفردوس الاسمى (عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم انك مادعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم أتيتني لاتشرك بي شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة رواه الترمذي وقال حديث حسن) * اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم وهو من الاحاديث القدسية وليس له حكم القرآن لعدم تواتره كما في نظائره السابقة (قوله يا ابن آدم) نداء لم يرد به واحدا بعينه عدل اليه ليعم كل من يتأتى نداؤه وآدم عربي مشتق من الادمة وهي حمرة تميل الى السواد أو من أديم الارض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق آدم من أديم الارض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الابيض والاسود والسهل والحزن والطيب والخبيث وقيل اعجمي لا اشتقاق له (قوله انك مادعوتني ورجوتني) اي انك مدة دعائك اياي بما ينفعك ومدة تأميلك اياي خير ما عندي (غفرت لك) اي سترت ذنوبك فلا اظهرها بالعقاب عليها (قوله ما كان منك) اي من الذنوب على تكرار معصيتك الشرك بالايمان وغير الشرك بالاستغفار (قوله ولا ابالي) أي بما كان منك من الذنوب عظم أو لم يعظم لان الدعاء مخ العبادة وقد جاء ان الله يحب الملحين في الدعاء والرجاء يتضمن حسن الظن بالله تعالى وهو يقول انا عند ظن عبدي بي وعند ذلك تتوجه رحمة الله تعالى على العبد واذا توجهت لايتعاظمها شئ لانها وسعت كل شئ كما قال

وتحذيره من غرورها في غير ما آية من كتابه نحو قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الى صراط مستقيم وقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى قال بعضهم وصفها بالمتاع لئلا يركنوا اليها وبالقلة ليهون عليهم تركها والدنيا عبارة عما حواه الليل والنهار وأظلته السماء وأقلته الارض واختلف في المزهود منها فقيل الدينار والدرهم وقيل المطعم والمشرب والملبس والمسكن وقيل الحياة والاولى أن دنيا كل انسان بحسب حاله حتى ان كلام الفقيه بين طلبته وكلام الشيخ بين تلامذته وكلام الامير بين أجناده وما أشبه ذلك دنيا بالنسبة لهم الا أن يقصد بذلك وجه الله والدار الآخرة وهذا لايكاد يصح الا من موفق ثم الحامل على الزهد أشياء منها استحضار الآخرة ووقوفه بين يدي مولاه وشاهد ذلك ماروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي في طريقه اذ لقيه حارثة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت ياحارثة قال أصبحت والله مؤمنا حقا فقال عليه الصلاة والسلام انظر ماتقول فان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عرفت نفسي على الدنيا فاستوى عندي حجرها ومدرها وسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا وكأني انظر الى أهل الجنة في الجنة ينعمون والى أهل النار في النار يعذبون قال ياحارثة عرفت فالزم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى رجل نور قلبه بالايمان فلينظر الى هذا ومثل هذا تكون الدنيا سجنه كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقيل لبعض النساك مابال أكثر النساك محتاجون لما في يد غيرهم فقال لان الدنيا سجن المؤمن وهل يأكل المسجون الا من يد المطلق ومنها استحضار أن لذاتها شاغلة للقلوب عن الله تعالى وموجبة لطول الحبس والوقوف في ذلك الموقف العظيم للحساب والسؤال عن شكر نعمها ومنها كثرة الذل والتعب في تحصيلها وكثرة غمومها وسرعة تقلبها وفنائها ومزاحمة الاراذل في تحصيلها وطلبها ومنها احقارتها عند الله تعالى ومن ثم قال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا أحاسب بها لتقذرتها كما تتقذر الجيفة ومنها استحضار أنها ومافيها ن كما في الحديث الحسن الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم وفي رواية الا ما ابتغي به وجه الله تعالى ومنها أن تركها موجب لرفع الدرجات وحلول الرضوان الاكبر منه تعالى في دار الكرامات وفي الاثر اذا كان يوم القيامة جمع الله الذهب والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا مالنا صار الينا سعد به قوم وشقي به آخرون ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم (يحبك) بفتح الباء المشددة والاصل يحببك بكسر الاولى وسكون الثانية مجزوم في جواب الامر الذي هو ازهد فاسكنت الباء الاولى عند ارادة الادغام بنقل حركتها الى الساكن قبلها وهو الحاء فاجتمع ساكنان فحرك الاخير لالتقائهما بالفتح تخفيفا (الله) لانه تعالى يحب من أطاعه ومر سليمان عليه الصلاة والسلام على بلبل بشجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال تدرون مايقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وفي الحديث ابن آدم اذا أصبحت معافى في جسدك آمنا في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء وسربك بكسر فسكون نفسك أو بفتح فسكون مذهبك

تعالى ورحمتى وسعت كل شئ (قوله يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء) بفتح العين المهملة قيل هو السحاب وقيل عنان السماء صفائحها وما اعترض من اقطارها وقيل هو ما عن لك منها اى ظهر اذا رفعت رأسك والمعنى لو قدرت ذنوبك اشخاصا فملأت الارض والفضاء حتى وصلت السماء ثم استغفرتنى غفرت لك اياها (٢٣٨) وذلك لان الله تعالى كريم والاستغفار استقالة والكريم يقيل العثرات ويغفر الزلات وهذا مثال للتناهى فى الكثرة وكرم الله تعالى لا يتناهى وحقيقة الاستغفار اللهم اغفرلى ويقوم مقامه أستغفر الله لانه خبر بمعنى الطلب (قوله يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الارض خطايا) بضم القاف وكسرها لغتان والضم أشهر ومعناه ما يقارب ملئها وقيل علوها (قوله ثم أتيتنى لا تشرك بى شيأ) أى مت معتقدا توحيدى أى مصدقا بما جاءت به رسلى (قوله لأتيتك بقرابها مغفرة) أى لغفرتها لك وهذا الحديث يدل على سعة رحمة الله تعالى وكرمه وجوده وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم سبب نزولها ان قوما قالوا يا رسول الله هل يغفر لنا اذا أسلمنا على ما كان منا من الكفر والقتل وغيره فنزلت قل يا عبادى قال ثوبان لما نزلت قال النبى صلى الله عليه وسلم ما أحب أن تكون لى الدنيا وما فيها بهذه الآية قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه هى أرجى آية فى القرآن وقيل غير ذلك وقد ذم الله تعالى من انقطع رجاؤه من فضل الله فقال تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والرجاء حسن الظن بالله تعالى فى قبول طاعة وفقت لها أو مغفرة سيئة تبت منها وأما الطمأنينة مع ترك الطاعات والاصرار على المخالفات فأمن وغرور وقد نهى الله تعالى عنه بقوله ولا يغرنكم بالله الغرور يعنى الشيطان وجنوده فانه يحسن لك المعاصى وربما يجرك الى ذلك برجاء عفو الله وكرمه ٭ وقد جاء فى سعة رحمة الله تعالى أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم لو أخطأتم حتى تبلغ

حب

وسالك أو بفتحتين بيتك والعفاء الهلاك والدروس وذهاب الاثر وقد صح خبر ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض وخبر كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة وأهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان بن بشير لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوى ما يجد من الدقل بالتحريك أردأ التمر ما يملأ بطنه وخبر أنه كان يمضى الشهران ولا توقد فى ابياته صلى الله عليه وسلم نار وانما طعامهم التمر والماء وخبر أنه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين صاعا من شعير أخذها قوتا لاهله ودخل عمر بن الخطاب يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير وقد أثر فى جنبه فبكى عمر رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال ذكرت كسرى وقيصر عدوى الله فى الخز والقز والحرير والديباج وأنت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا فقال له أفى شك أنت يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال بلى قال فهو كذلك وقام الحسن على قبر فقال ان امرأ هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله وان امرأ هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره وقال الحسن بن محمد الحريرى أسرع المطايا الى الجنة الزهد فى الدنيا وأسرع المطايا الى النار حب الشهوات وقال الجنيد ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات وقال أبو بكر الكتانى قال لى على بن سعيد رأيت فى النوم امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت فقالت حوراء فقلت زوجينى نفسك قالت اخطبنى الى سيدى قلت فما مهرك قالت حبس نفسك عن مألوفاتها وقال يحيى بن معاذ الرازى ترك الدنيا شديد وترك الجنة أشد منه وأن مهر الجنة ترك الدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تساوى وفى رواية تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال سفيان بن عيينة الزهد ثلاثة أحرف زاى وهاء ودال فالزاى ترك الزينة والهاء ترك الهوى والدال ترك الدنيا بجملتها وأنشد بعضهم

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن ٭ اذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الانبياء كرامة ٭ وقد شبعت فيها بطون البهائم

وسئل معروف الكرخى عن الطائعين بم قدروا على الطاعة قال باخراج الدنيا من قلوبهم قال الفضيل بن عياض جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد وقد اتفق أن ابراهيم بن أدهم قال بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس فلما كان الليل نزل ملكان فقال أحدهما للآخر من هذا فقال له الآخر ابراهيم بن أدهم فقال له الذى خفضت درجة من درجاته فقال له لم فقال انه اشترى بالبصرة تمرا فوقعت تمرة من تمر البقال على تمره فرجع الى البصرة واشترى تمرا من الرجل ثم انه قلب تمره على التمر ورجع وبات فى بيت المقدس تحت الصخرة فلما كان بعض الليل نزل ملكان من السماء فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال له ابراهيم بن أدهم فقال له ذاك الذى رد التمر مكانه ورفعت درجته (وازهد فيما عند الناس) باعراضك عما فى أيديهم منها (يحبك) بفتح الموحدة المشددة كما سبق (الناس) لتركك لهم ما أحبوه اذ قلوب أكثرهم مجبولة مطبوعة على

خطاياكم عنان السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم ٭ وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ٭ وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق بألفى عام فى ورقة من ورق الجنة ثم وضعه على العرش ثم نادى (٢٣٩) يا أمة محمد ان رحمتى سبقت غضبى أعطيتكم قبل أن تسألونى وغفرت لكم قبل أن تستغفرونى من لقينى منكم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدى ورسولى أدخلته الجنة ٭ وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فوجده يبكى فقال ما يبكيك يا رسول الله قال جاءنى جبريل عليه السلام وقال لى ان الله تعالى يستحى أن يعذب أحدا قد شاب فى الاسلام فكيف لا يستحى من شاب فى الاسلام أن يعصى الله تعالى ٭ وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبى فاذا امرأة من السبى تسعى اذ وجدت صبيا فى السبى فأخذته فألصقته ببطنها فأرضعته فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار قلنا لا والله وهى تقدر على أن لا تطرحه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أرحم بعباده من هذه بولدها ٭ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رجل لم يعمل حسنة قط لاهله اذا أنا مت فأحرقونى ثم ذروا نصفى فى البر ونصفى فى البحر فوالله لئن قدر الله على أى ضيق ليعذبنى عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله تعالى البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وأنت تعلم فغفر له ٭ وعن أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى الى جميع خلقى قال يا رب كيف أحببك الى خلقك قال اذكرنى بالحسن الجميل

حب الدنيا ومن نازع انسانا فى محبوبه كرهه وقلاه ومن لم يعارضه فيه أحبه واصطفاه والناس شامل للانس والجن فيستفاد منه أن الزاهد يحبه الانس والجن قال الحسن لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع فى دينارهم فاذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه وقال اعرابى لاهل البصرة من سيدكم قالوا الحسن قال بم سادكم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دينارهم فقال ما أحسن هذا وسأل كعب الاحبار وهو تابعى عبد الله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب ما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعد ما حفظوه وعقلوه فقال يذهبه الطمع وشره النفس وطلب الحاجات الى الناس فقال صدقت وقال ابن عطاء الله الزهد فيما فى أيدى الناس سبب لمحبة الخلق والزهد فيما سوى الله سبب لمحبة الحق فمن أحب العطاء من الخلق دل على بعده من الله فالعطاء منهم حرمان والمنع منهم احسان وذكر الغزالى أن عيسى عليه السلام مر قبيل الصبح برجل نائم ملتف بعباءة فقال يا نائم قم فاذكر الله فقال ما تريد منى يا روح الله وقد تركت الدنيا لاهلها قال فنم اذن حبيبى وقال أبو الحسن الشاذلى دخل على بالمغرب بعض الكبراء فقال ما أرى لك كبير عمل فبم فقت الناس وعظموك فقلت بخصلة واحدة تمسكت بالاعراض عنهم وعن دينارهم وذكر المناوى فى شرح الجامع الصغير فى تفسير قوله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الغنم فانها بركة أنه ورد فى بعض الآثار أن الخليل عليه الصلاة والسلام كان له أربعة آلاف كلب فى عنق كل كلب طوق من الذهب الاحمر زنته ألف مثقال فقيل له فى ذلك فقال انما فعلت ذلك لان الدنيا جيفة وطالبها كلب فدفعتها لطالبها انتهى وذكر الشيخ زروق أن شعيبا كان فى غنمه اثنا عشر ألف كلب قال صاحب الحقائق ان ابليس لما أخذت منه الدنيا اغتم لها وقارون لما أعطيها فرح بها فالذى اغتم لها صار ملعونا والذى فرح بها صار تحت الارض مسجونا ونبينا صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه لم يأخذها ولما ردها لم يغتم لها فصار الى ما صار وأنشد الشافعى

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها ٭ وسيق الينا عذبها وعذابها
فما هى الا جيفة مستحيلة ٭ عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها ٭ وان تجتذبها نازعتك كلابها

٭(وفى كشف الاسرار)٭

كن زاهدا فيما حوته يد الورى ٭ تضحى الى كل الانام حبيبا
أو ما ترى الخطاف حرم زادهم ٭ فغدا ربيبا فى الحجور قريبا

غيره

تورع عن سؤال الخلق طرا ٭ وسل ربا كريما ذا هبات
ودع زهرات دنياك اللواتى ٭ تراها لا محالة ذاهبات

٭(ولابى عبيد)٭

الرزق يأتى وان لم يسع صاحبه ٭ حتما ولكن شقاء المرء مكتوب
وفى القناعة كنز لا نفاد له ٭ وكل ما يملك الانسان مسلوب

وسئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده فقال كنت يوما مع اخوانى فى بستان لنا وذلك حين

حملت الاشجار بالثمار من ألوان الفاكهة فأكلنا وشربنا حتى الليل فنمنا وكنت مولعا بضرب العود والطنبور فقمت في بعض الليل فضربت بصوت رطائر يصيح فوق رأسي على شجرة والعود بيدي ولا يجيبني الى ما أريد فاذا به ينطق كما ينطق الانسان يعني الذي بيده وهو يقول ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق قلت بلى وكسرت العود وصرفت من كان عندي فقد كان هذا أول زهدي وتشميري وقد قيل من سمي باسم الزاهد فقد سمي بألف اسم ممدوح هذا مع ما للزاهدين من راحة القلب والبدن في الدنيا والآخرة والزهاد هم الملوك في الحقيقة كما قال بعضهم

آرى الزهاد في روح وراحه * قلوبهم عن الدنيا مزاحه

اذا أبصرتهم ابصرت قوما * ملوك الارض سيمتهم سماحه

وقال الحسن والله ما أعز الدراهم أحد الا أذله الله قيل اول ماضربت الدراهم والدنانير رفعهما ابليس الى جبهته وقبلهما وقال من أحبكما فهو عبدي حقا ومن ثم قال بعضهم انهما أزمة المنافقين يقادون بهما الى النار (حديث حسن) بل صححه الحاكم في المستدرك (رواه) الحافظ الكبير أبو عبدالله بن يزيد * (ابن ماجه) * القزويني صاحب السنن ولد سنة تسع ومائتين ومات يوم الاثنين لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائتين (وغيره) كالعقيلي وابن عدي والطبراني والحاكم والبيهقي (باسانيد حسنة) وهو أحد الاحاديث الاربعة التي عليها مدار الاسلام كما مر

(الحديث الثاني والثلاثون)

(عن أبي سعيد سعد) وقيل سنان والمشهور الاول (ابن مالك بن سنان) بن عبيد وقيل عبد بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الانصاري وزعم بعضهم ان خدرة هي أم الابجر (الخدري) بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة ووهم من أعجم الدال نسبة الى جده خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج وقيل نسبة الى حي من اليمن أسلم أبو سعيد وبايع المصطفى صلى الله عليه وسلم على أن لا تأخذه في الله لومة لائم واستصغر يوم أحد فرد فخرج فيمن يتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من أحد فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن مالك فقال نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فدنا منه وقبل ركبته فقال آجرك الله في أبيك لانه قتل يومئذ شهيدا غزا أبو سعيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة أولها الخندق وكان من الرماة المشهورين وهو معدود من أهل الصفة روى عنه انه قال أصبحت وليس عندنا طعام وقد ربطت حجرا من الجوع فقالت امرأتي ائت النبي صلى الله عليه وسلم فاسأله فقد أتاه فلان فأعطاه وفلان فأعطاه فقلت لا حتى لا أجد شيأ فطلبت فلم أجد شيأ فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فأدركت من قوله من يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله قال فما سألت أحدا بعده ومازال الله يرزقنا حتى ما أعلم أهل بيت من الانصار أكثر أموالا منا روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف ومائة وسبعون حديثا اتفقا منها على ستة وأربعين وانفرد البخاري بستة عشر ومسلم باثنين وخمسين توفي بالمدينة سنة أربع وسبعين وقيل ثلاث

واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل وكان أبو عثمان يتكلم في الرجاء كثيرا فرؤي في المنام بعد موته فقيل له كيف كان قدومك على الله فقال أوقفني بين يديه فقال ما حملك على ما فعلت فقلت أردت أن احببك الى خلقك فقال قد غفرت لك * وروى ان رجلا كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة له اليوم أؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وقال ابراهيم بن أدهم خلا لي المطاف ليلة فكنت أطوف بالبيت وأقول اللهم اعصمني فهتف بي هاتف فقال يا ابراهيم كلكم تسألون الله العصمة فاذا عصمكم فعلى من يتكرم * وقال مالك بن دينار رحمه الله رأيت مسلم بن يسار بعد موته في المنام فقلت له مالقيت بعد الموت فقال لقيت والله أهوالا وزلازل عظاما شدادا قلت فما كان بعد ذلك قال وما تراه يكون من الكريم الا الكريم قبل منا الحسنات وعفا لنا عن السيآت وضمن عنا التبعات قال ثم شهق مالك شهقة ووقع مغشيا عليه ثم مات بعد أيام فكانوا يرون ان قلبه قد انصدع (خاتمة المجلس في التوبة) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الآية قال أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال القرطبي يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الخلان وقيل غير ذلك والاخبار والآثار في التوبة كثيرة * عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار * وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه أنه قال خرجت يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي كل هم ينقطع الا هم أهل النار فانه لا ينقطع وكل سرور ونعمة تزول الا سرور أهل الجنة ونعيمهم فانه لا يزول يا علي اذا أذنبت ذنبا فلا تؤخر التوبة الى الغد فان الى الغد مسافة بعيدة وهي مضي يوم وليلة وعسى أن لا تدرك الغد

وسبعين وقيل ثلاث وستين والمشهور الاول وله أربع وتسعون سنة ودفن بالبقيع (رضي الله عنه) ينبغي عنهما الا ان أباه كان صحابيا أيضا (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر) خبر لا محذوف أي في ديننا والخبر بمعنى النهي أي لا يضر أحد غيره (ولا ضرار) فعال بكسر أوله لا يجازيه على اضراره بل يعفو ويصفح أي لا يضر من لا يضره ولا يضر من يضره فالضرر ابتداء الفعل والضرار الجزاء عليه وقيل الضرر ما يضر به الانسان غيره وينتفع هو به والضرار ان يضره من غير أن ينتفع وقيل بالعكس وقيل الاول نهي للشخص عن تعاطي ما يضر نفسه والثاني نهي له عن فعل ما يضر غيره وقيل الاول عبارة عن منع ما ينفع الغير والثاني عبارة عن فعل ما يضر به وقيل معنى الاول لا يضر الشخص أخاه فينتقص شيأ من حقه ومعنى الثاني لا يضار الرجل جاره بادخال الضرر عليه وقيل معنى الاول لا يلزمه الصبر على الضرر ومعنى الثاني لا يجوز له اضرار غيره وحينئذ فالجمع بينهما للتأسيس وقيل انهما بمعنى واحد جمع بينهما للتأكيد فكأنه قال لا تضر لا تضر والاول أولى لانه اذا دار الامر بين الحمل على التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى لاسيما في كلام الشارع عليه السلام وقوله ولا ضرار وفي بعض الروايات اضرار بالهمز قال ابن الصلاح ولا صحة لها وبقية الحديث من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه وظاهر الحديث تحريم سائر أنواع الضرر ماقل منه وما كثر الا لدليل لان النكرة في سياق النفي تعم فيحرم على الشخص فتح كوة في جداره يطلع منها على عورات جاره أو احداث فرن أو حمام أو رحى أو معصرة لوجود الضرر بالدخان وصوت الرحى وما أشبه ذلك ولا يحرم عليه تعلية بنائه على جدار جاره وان ظلم عليه أبواب غرفه ومنع الشمس أن تقع في حجرته واذا انهارت بئر جاره وكان له فضل ماء فانه يجب عليه ارسال فضل مائه الى زرع جاره بشروط ثلاثة أحدها ان يكون قد زرع على أصل ماء الثاني ان يتشاغل باصلاح بئره الثالث ان يخشى على زرعه الهلاك (حديث حسن) لذاته وله طرق متعددة يرتقي بمجموعها الى درجة الصحة (رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما) كالحاكم في مستدركه والبيهقي في شعبه وظاهره ان الكل رووه من حديث أبي سعيد والامر بخلافه بل ابن ماجه رواه من حديث ابن عباس وعبادة (مسندا) وهو المتصل الذي لم يحذف من اسناده أحد (ورواه) امام الائمة وناصر السنة أبو عبدالله (مالك) بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثين بن عمرو بن الحارث وهو ذو صبح وغيمان بالغين المعجمة مفتوحة والياء باثنتين من أسفله ساكنة ذكره غير واحد وخثينا بالخاء المعجمة مضمومة وثاء مثلثة مفتوحة وياء باثنتين من أسفله ساكنة وقال أبو الحسن الدارقطني جثيل بالجيم وحكاه عن الزبير واما من قال عثمان بن جثيلا وابن حنبل فقد صحف وأبو عبد الله جد أبي مالك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد المغازي كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بدرا وابنه مالك جد مالك كنيته أبو أنس من كبار التابعين وهو أحد الاربعة الذين حملوا عثمان ليلا الى قبره وغسلوه ودفنوه وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشك أن يضرب الناس أكباد الابل في طلب العلم وفي رواية يلتمسون العلم فلا يجدون عالما أعلم وفي رواية أفقه من عالم المدينة وفي رواية من عالم بالمدينة وفي بعضها آباط الابل مكان أكباد الابل وقد ذكر السلف ان المراد به مالك لان طلبة العلم لم يضربوا أكباد الابل من مشرق الارض ومغربها الى عالم ولا رحلوا اليه من الآفاق رحلتهم الى مالك وقال الشافعي مالك استاذي وعنه أخذنا العلم وما أحد أمن علي من مالك وجعلت مالكا حجة بيني وبين الله تعالى واذا ذكر

فتتوب وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل عليه السلام أتاه عند وفاته وقال يا محمد الرب يقرئك السلام ويقول لك من تاب قبل موته بسنة قبلت توبته فقال يا جبريل السنة لامتي كثيرة فذهب جبريل عليه السلام ثم رجع فقال يا محمد الرب يقرئك السلام ويقول لك من تاب قبل موته بشهر قبلت توبته فقال يا جبريل الشهر لامتي كثير فذهب ثم رجع فقال يا محمد الرب يقرئك السلام ويقول لك من تاب قبل موته بجمعة قبلت توبته فقال يا جبريل الجمعة لامتي كثير فذهب ثم رجع فقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك من تاب من أمتك قبل موته بيوم قبلت توبته فقال يا جبريل اليوم لامتي كثير فذهب ثم رجع فقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك ان كانت هذه كثيرة فلو بلغت روحه الحلقوم ولم يمكنه الاعتذار بلسانه واستحيى مني وندم بقلبه

العلماء فمالك النجم الثاقب ولم يبلغ أحد مبلغ مالك فى العلم بحفظه واتقانه وصيانته وقال العلم يدور على ثلاثة مالك والليث وسفيان بن عيينة وحكى عن الاوزاعى انه كان اذا ذكره قال عالم العلماء وعالم أهل المدينة ومفتى الحرمين وقال ابن معين مالك من حجج الله على خلقه امام من أئمة المسلمين مجمع على فضله واختلف فى حمل أم الامام به فقال ابن نافع الصائغ والواقدى ومعن ومحمد بن الضحاك حملت به أمه ثلاث سنين وقاله بكار بن عبد الله الزبيرى وقال نفخته والله الرحم قال بن منذر وهو المعروف وروى عن الواقدى انها حملت به سنتين والاشهر أنه ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة وقيل سنة أربع وتسعين فى ربيع الاول فى خلافة الوليد وقيل سنة تسعين وقيل سنة ست وقيل سنة سبع وكان طويلا جسيما عظيم الهامة شديد البياض الى الصفرة حسن الصورة عظيم اللحية تامها تبلغ صدره ذات سعة وطول وكان يأخذ أطارف شاربه ولا يحلقه ولا يحفيه ويرى حلقه من المثلة وكان يترك له سبالين طويلين ويحتج بفعل عمر رضى الله تعالى عنه اذا أهمه أمر وقال بعضهم كان ربعة والاول أشهر وسأله رجل عن مسألة فبادره ابن القاسم فأفتاه فأقبل عليه مالك كالمغضب وقال جسرت على أن تفتى يا عبد الرحمن يكررها عليه ما أفتيت حتى سألت أناللفتيا موضع فلما سكن قيل له من سألت قال الزهرى وربيعة الراوى وذكر الدميرى فى شرح المنهاج ان امرأة غسلت ميتة فالتصقت يد الغاسلة بفرج الميتة فتحير الناس فى أمرها هل تقطع يد الغاسلة أو فرج الميتة فاستفتى مالك فقال سلوها ما قالت لما وضعت يدها عليها فسألوها فقالت قلت طالما عصى هذا الفرج ربه فقال مالك هذا قذف اجلدوها ثمانين تخلص يدها فجلدوها ثمانين فخلصت يدها فمن ثم نودى لا يفتى ومالك بالمدينة وكان اذا جلس جلسة لم يتحرك عنها حتى يقوم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ستة عشر مرة ومالك يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا فقال انما صبرت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الهيثم بن جميل شهدت مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال فى اثنين وثلاثين منها لا أدرى وكان يقول ينبغى أن يورث العالم جلساءه قول لا أدرى حتى يكون ذلك أصلا فى أيديهم يفزعون اليه فاذا سئل أحدهم عما لا يدرى قال لا أدرى وقال أحمد بن حنبل كان مالك مهابا فى مجلسه لا يرد عليه اعظاما له وكان الثورى فى مجلسه فلما رأى اجلال الناس له واجلاله للعلم أنشد

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة * فالسائلون نواكس الاذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى * فهو المهيب وليس ذا سلطان

قال بشر الحافى من زينة الدنيا ان يقول الرجل حدثنا مالك وكان كثيرا ما يتمثل الامام كما سلف بهذا البيت

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع

ولما قدم المدينة المهدى جاءه الناس مسلمين عليه فلما أخذوا مجالسهم استأذن فقال الناس اليوم يجلس مالك آخر الناس فلما دنا ورأى ازدحام الناس قال يا أمير المؤمنين أين يجلس شيخك مالك فناداه عندى يا أبا عبد الله فتخطى الناس حتى وصل اليه فرفع المهدى ركبته اليمنى وأجلسه ثم أتى المهدى بالطشط والابريق فغسل يده ثم قال للغلام قدموه الى أبى عبد الله فقال مالك يا أمير المؤمنين ليس هذا من الامر المعمول به ارفع يا غلام فأكل مالك غير متوضئ وقال القاضى عياض قال الشافعى قال لى محمد ابن الحسن رضى الله عنهما أيهما أعلم

غفرت له ولا أبالى * وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعا وتسعين نفسا فسأل عن أعبد أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعا وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فأتاه فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى أتى نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة انه قد جاء تائبا ومقبلا بقلبه الى هذه الارض وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك الموت فى صورة آدمى فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا بين الارضين فالى أيهما كان أقرب

صاحبنا

صاحبنا أم صاحبكم يعنى أبا حنيفة ومالكا فقال قلت على الانصاف قال نعم قال فقلت فانشدك من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم فقال اللهم صاحبكم قال فقلت أنشدك الله من أعلم بالسنة صاحبنا أم صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال فقلت أنشدك الله من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبنا أم صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال الشافعى قلت فلم يبق الا القياس فعلى أى شئ نقيس قال فى مختصر المدارك قالت لى عمتى ونحن بمكة رأيت فى هذه الليلة عجبا قلت وما هو قالت كان قائلا يقول مات الليلة اعلم أهل الارض فحسبنا تلك الليلة فاذا هى الليلة التى مات فيها مالك ورأى عمر بن يحيى بن سعد الانصارى فى الليلة التى مات فيها مالك قائلا يقول

لقد أصبح الاسلام زعزع ركنه * غداة ثوى الهادى الى ملحد القبر

امام هدى مازال للعلم صائنا * عليه سلام الله فى آخر الدهر

قال فانتبهت فكتبت البيتين على السراج واذا الصارخة على مالك رضى الله تعالى عنه واختلف فى تاريخ وفاته والصحيح انها كانت فى ربيع الاول لتمام اثنين وعشرين يوما من مرضه فى ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة وقيل لعشر مضت منه وقيل لاربع عشرة ولثلاث عشرة ولاحدى عشرة وقيل لاثنى عشرة من رجب وغسله ابن كنانة وابن الزبير وابن يحيى وكاتبه حبيب يصب عليه الماء ونزل فى قبره جماعة وأوصى أن يكفن فى ثياب بيض ويصلى عليه فى موضع الجنائز وبلغ كفنه خمسة دنانير قال ابن القاسم مات مالك عن مائة عمامة فضلا عن سواها (فى) كتابه (الموطأ) وأنشد بعضهم

أقول لمن يروى الحديث ويكتب * ويسلك سبيل الفقه فيه ويطلب

اذا شئت أن تدعى لدى الخلق عالما * فلا تعد ما تحوى من العلم يثرب

أتترك دارا كان بين بيوتها * يروح ويغدو جبرئيل المقرب

ومات رسول الله فيها وبعده * بسنته أصحابه قد تأدبوا

وفرق شمل العلم فى تابعيهم * فكل امرئ منهم له فيه مذهب

فخلصه بالسبك للناس مالك * ومنه صحيح فى المجس وأجرب

فبادر موطا مالك قبل فوته * فما بعده ان فات للخلق مطلب

ودع للموطا كل علم تريده * فان الموطا الشمس والغير كوكب

ومن لم يحز كتب الموطأ بيته * فذاك من التوفيق بيت مخيب

جزى الله عنا فى الموطأ مالكا * بأفضل ما يجزى اللبيب المهذب

لقد فاق أهل العلم حيا وميتا * فصارت به الامثال للناس تضرب

فلا زال يسقى قبره كل عارض * بمندفق ظلت غواليه تسكب

(مرسلا) وهو عند المحدثين ما حذف من اسناده الصحابى (عن عمرو بن يحيى) المازنى (عن أبيه) يحيى بن عمارة (عن النبى صلى الله عليه وسلم فأسقط) من السند (أبا سعيد) الخدرى (وله طرق) ضعيفة لكن (يقوى بعضها بعضا) لان الاسانيد الواهية اذا اجتمعت قوى بعضها بعضا وفى المثل

ان القداح اذا اجتمعن فرامها * بالكسر ذو احنق وبطش زائد

عزت فلم تكسر وان هى بددت * فالكسر والتوهين للمتبدد

(وقال آخر)

لا تخاصم بواحد أهل بيت * فضعيفان يغلبان قويا

فهوله فقاسوا فوجدوه أقرب الى الارض التى أراد بذراع فقبضته ملائكة الرحمة فيا اخواننا توبوا الى الله تعالى وقيل ما من ليلة الا وتشرف البحار على الخلائق فتنادى يا رب ائذن لنا فنغرق الخاطئين فيقول الله عز وجل ان كان العبيد عبيدكم فافعلوا بهم ما شئتم وان كانوا عبيدى فدعوهم فاذا امل عبدى من المعصية وأتى بابى قبلته وان أتانى فى جوف الليل قبلته أو فى النهار قبلته فليس على بابى حاجب ولا بواب متى قال رب أسأت أقول عبدى غفرت * حكى أنه كان فى بنى اسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم انه نظر فى المرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك فقال الهى أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك قبلتنى فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصه أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وان رجعت الينا

(الحديث الثالث والثلاثون)

(عن) حبر الأمة مفسر التنزيل ومبين التأويل أبى العباس عبد الله (ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو) حرف امتناع لامتناع اى امتناع الشئ لامتناع غيره اى تقتضى امتناع الجواب لامتناع الشرط كما عليه جمهور النحاة أولما كان سيقع لوقوع غيره كما عليه امامهم سيبويه وعليه فلا اشكال لان دعوى رجال أموال قوم كان سيقع لوقوع اعطاء الناس بدعاويهم وكذا الاشكال على الاول ايضا وان وقع دعوى بعض الناس مال بعض سواء أعطوا بدعاويهم أم لا لان المراد بدعوى الرجال أموال قوم اعطاؤهم اياها ودفعها اليهم اى لو يعطى الناس بدعواهم لأخذ رجال أموال قوم وسفكوا دماءهم فوضع الدعوى موضع الأخذ لأنها سببه ولا شك أن اخذ مال المدعى عليه ممتنع لامتناع اعطاء المدعى بمجرد دعواه وكذلك أخذه لما سيقع لو وقع اعطاء المدعى بدعواه ولا يقع بدون ذلك فصح معنى لو هنا على القولين قاله الشارح الهيتمى (يعطى الناس) المفعول الثانى محذوف أى الاموال والدماء (بدعواهم) أى لو كان كل من ادعى شيأ عند الحاكم يعطاه بمجرد دعواه بلا بينة (لادعى) جواب لو وروواية ابن ماجه ادعى بحذف اللام (رجال) جمع رجل وهو الذكر البالغ من بنى آدم وذكرهم لا لاخراج النساء بل لان الدعوى غالبا انما تصدر منهم أو من باب الاكتفاء باحد القبيلين كسرابيل تقيكم الحر ويؤيده رواية لادعى ناس وأتى بصيغة الجمع للاشارة الى اقدام غير واحد على ذلك والدعوى كما قال ابن عرفة قول بحيث لو سلم أوجب لقائله حقا (أموال قوم) اسم جمع وشذ من جمعه على أقوام قيل يخص الرجال لقوله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء فذكرهن دليل ظاهر على أن القوم لم يشملهن وبه صرح زهير فى قوله

وما أدرى ولست اخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

وسمى الرجال قوما لقيامهم بالمهمات وعظائم الامور وقيل يعم الفريقين اذ هم المراد فى نحو كذبت قوم نوح ليس بأرض قومى ورد بان دخولهن هنا ليس لغة بل القرينة نحو التكليف فى الآية وحكمة التعبير برجال ثم قوم على الاول تفننا ودفعا لكراهة تكرار أحدهما وعلى الثانى أن الغالب فى المدعى أن يكون رجلا اذ المرأة لا يليق بها حضور مجالس الحكام والمدعى عليه يكون رجلا أو امرأة (ودماءهم) قدم الاموال على الدماء هنا مع أن الدماء أهم وأعظم خطرا ولذا ورد أنها أول ما يقضى فيه بين الناس لان الخصومات فى الاموال أكثر وأغلب اذ أخذها أيسر وامتداد الايدى اليها أسهل ومن ثم ترى العصاة بالتعدى عليها أضعاف العصاة بالقتل على أن العطف بالواو لا يفيد ترتيبا وفى رواية الصحيحين لادعى ناس دماء رجال وأموالهم فقدم الدماء عليها لشرفها وعظم خطرها على أن العطف بالواو لا يقتضى الترتيب (لكن) هى ههنا للاستدراك وان لم تأت لفظا على قانونها من وقوعها بين نفى واثبات نحو ما قام زيد لكن عمرو وهى ههنا بعد اثبات ولا نفى قبلها حتى يصح معنى الاستدراك الذى هو مؤداها لكنها جارية عليه تقديرا اذ المعنى لا يعطى الناس بدعواهم المجردة لكن بالبينة وهى على المدعى (البينة) فعيلة من البينات (على المدعى) لان جانب المدعى ضعيف لدعواه خلاف الاصل ولو كان فاضلا شريفا أو حقا حقيقا والمدعى كما قال ابن عرفة من عريت دعواه من مرجح غير شهادة والمدعى عليه من اقترنت دعواه به والمرجح اما معهود كدعوى شخص على آخر وديعة أو عارية فيدعى ردها فمدعى الرد هو المدعى عليه لما عهد فى الشرع اذ الراد لا يحتاج لاقامة بينة واما أصل كمدعى رق شخص

قبلنا ذلك اللهم ارزقنا التوبة النصوح يارب العالمين * وهذا آخر المجالس السنية فى الاربعين النووية ونختمها بمجلس الختام فنقول بفضل الملك العلام

(خاتمة الكتاب فى مجلس الختام)

الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد الذى خلق الخلق فمنهم شقى وسعيد فهذا قربه لحضرته وهذا أشقاه فهو بعيد أحمده وأسأله من فضله المزيد واشكره شكرا مقرونا بالتهليل والتسبيح والتحميد وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الولى الحميد وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله أفضل الرسل وأشرف العبيد الذى أخبر أن ميزان أمته ترجح يوم القيامة بشهادة التوحيد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة لا تفنى ولا تبيد وسلم تسليما كثيرا وبعد فقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ

فيجيب الآخر بالحرية فمدعى الحرية هو المدعى عليه لانها الاصل فى الناس وانما عرض لهم الرق بسبب السبى بشرط الكفر ومعنى كون البينة على المدعى أنه يستحق بها لانها واجبة عليه ثم ان الدعوى الصحيحة المسموعة هى أن يكون المدعى به معلوما محققا فلو قال لى عليه شئ لم تسمع دعواه وكذا لو قال أظن أن لى عليه كذا (واليمين على من) عبر بها دون الاول مع انه كان يمكن ان يؤتى باسم الفاعل فيهما أو بمن فيهما لأن المدعى يذكر أمرا خفيا لعرو دعواه عن المرجح والمدعى عليه يذكر أمرا ظاهرا لاقتران دعواه به ولا شك أن الموصول لاشتراط كون صلته معهودة أظهر من المعرف فأعطى الخفى للخفى والظاهر للظاهر ويحتمل ان يقال ان فى المدعى ضربا من التعريف المعنوى لظهوره واقدامه على الدعوى فأتى فيه بلام التعريف المناسب له والمنكر فيه ضرب من الابهام والتنكير لاستخفائه وتأخيره وكونه اذا سكت لا يترك فأتى فيه بمن اذ فيها ابهام شبيه بحاله وزعم أن ذلك سؤال دورى غير صحيح (أنكر) لان جانب المنكر قوى لموافقته للاصل فى البراءة والبينة حجة قوية لبعدها عن التهمة واليمين حجة ضعيفة لقربها منها فجعل القوى فى جانب الضعيف والضعيف فى جانب القوى وهو جانب المنكر تعديلا وهو توجيه حسن زاد الدارقطنى الا فى القسامة اى لان اليمين فيها على المدعى وكذا اليمين مع الشاهد الواحد فى جانب المدعى وكذا يمين المدعى اذا ردها عليه المنكر وكذا يخص بمسئلة الحيازة فان البينة لا تسمع من المدعى ولا تتوجه اليمين على من أنكر لحديث ابن المسيب وزيد بن أسلم من حاز شيأ عشر سنين فهو له وكذا بالطلاق والنكاح والقذف فان اليمين لا تتوجه فيها على المنكر بمجرد الدعوى لورود المخصصات بها وقوله واليمين على من أنكر سواء كان المدعى بينه وبين المدعى عليه اختلاط أم لا فان لم يحلف لم يقض للطالب حتى يحلف اذا كانت الدعوى دعوى تحقيق وان كانت دعوى اتهام غرم المطلوب بمجرد نكوله فان قلت ما الحكمة فى أن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر فالجواب ان جانب المدعى ضعيف لعروه عن المرجحات وجانب المنكر قوى لموافقته الاصل فى براءة ذمته اذ هو المعهود والبينة حجة قوية لبعدها عن التهمة واليمين حجة ضعيفة لقربها منها فجعلت الحجة القوية وهى البينة فى الجانب الضعيف وهو جانب المدعى والحجة الضعيفة فى الجانب القوى وهو جانب المنكر تعديلا *(فائدة)* قال بعض العلماء ان فصل الخطاب فى قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر *(نكتة)* فى الحلية فى ترجمة عكرمة قال كانت القضاة فى زمن بنى اسرائيل ثلاثة فمات أحدهم فولى مكانه غيره ثم قضوا ما شاء الله أن يقضوا ثم بعث الله تعالى لهم ملكا يمتحنهم فوجد رجلا يسقى بقرة على ماء وخلفها عجلة فدعاها الملك وهو راكب فرسا فتبعتها العجلة فتخاصما فقالا بيننا القاضى فجاآ الى القاضى الاول فدفع اليه الملك درة كانت معه وقال له احكم بأن العجلة لى قال بماذا أحكم قال أرسل الفرس والبقرة والعجلة فان تبعت الفرس فهى لى فأرسلها فتبعت الفرس فحكم له بها وأتى الى القاضى الثانى فحكم له كذلك وأخذ درة وأما القاضى الثالث فدفع له الملك درة وقال له احكم لى بها فقال انى حائض فقال الملك سبحان الله أيحيض الذكر فقال له القاضى سبحان الله أتلد الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها (حديث حسن) وصحيح أيضا كما ذكره المؤلف فى موضع آخر وذكره غيره (رواه) الامام أبو بكر أحمد بن الحسين (البيهقى) بفتح الباء والقاف نسبة الى بيهق قرى مجتمعة بناحية نيسابور بلغت تصانيفه نحو الالف قال السبكى ولم يتفق ذلك

وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذه الآية العظيمة نزلت فى الحشر والحساب والميزان والقيامة هى التى تعم الناس وتأتيهم بغتة وتأخذهم أخذة واحدة على غفلة فى يوم جمعة فى غير شهر معروف ولا سنة معروفة وأول يوم القيامة من النفخة الثانية الى استقرار الخلق فى الدارين الجنة والنار وصدر يوم القيامة من الدنيا وآخره من الآخرة ومقدار ذلك اليوم كما قال الله تعالى فى سورة السجدة فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون أى فى الدنيا وكما قال تعالى فى سورة سأل فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة فى شدة أهواله بالنسبة الى الكافر وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة فى الدنيا وقيل يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة نسأل الله أن يخففه

لاحد واعتنى بجمع نصوص الشافعى وتخريج أحاديثها حتى قال امام الحرمين ما من شافعى الا وللشافعى عليه منة الا البيهقى فان له على الشافعى المنة ولد سنة أربع وثمانين وثلثمائة ومات بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة (وغيره هكذا) أى بهذا اللفظ المذكور (وبعضه فى الصحيحين) اذ لفظهما كما فى الجمع بينهما للجندى عن ابن عباس لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه

(الحديث الرابع والثلاثون)

(عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى) أى علم سواء أبصر أم لا لان الرؤية بالبصر لا تشترط فهى قلبية ويصح كونها بصرية ويقاس غير المبصر على حكم المبصر والاول أشبه وهذا الحديث قاله أبو سعيد الخدرى لما قدم مروان خطب العيد وقال له رجل الصلاة قبلها فقال هل ترك ما هنالك فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وهو أدل دليل على أن أول من فعل هذا مروان لا عثمان ولا عمر اذ لم يصح ذلك لكن فى الصحيحين عن أبى سعيد أنه هو الذى حدث به مروان حين رآه يصعد المنبر فرد عليه مروان بمثل ما رد على الرجل فيجوز أن تكون قصة أخرى (منكم) أى معشر المكلفين القادرين لتخرج نحو صبى ومجنون وعاجز والخطاب لجميع الامة لا الحاضر فقط (منكرا) أى شيأ قبيحا قبحه الشرع قولا أو فعلا ولو صغيرة (فليغيره) أى يزيله وجوبا عينيا ان انفرد بعلمه وكفائيا ان شاركه غيره والوجوب بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة وله شروط الاول أن يكون عالما بذلك لئلا يعكس الثانى أن لا يؤدى نهيه الى مفسدة أعظم كنهيه عن زنا فيؤدى لقتل الثالث أن يكون مجمعا على تحريمه أو يكون مدرك القائل بحله ضعيفا كشرب النبيذ ونكاح المتعة الرابع أن يكون ظاهرا فى الوجود فلا يتجسس على الناس ولا يقتحم الدور ولا يبحث عما خفى فى كم ونحوه الخامس أن يعلم أو يظن أنه يفيد وبانتفاء الشرط الاول ينتفى الجواز وبانتفاء الاخير ينتفى الوجوب ويبقى الجواز والندب ثم انه لا يشترط فى النهى عن المنكر أن يكون المتلبس به عاصيا كقاتل الباغى المتأول وضرب الصبيان على فعل الفواحش وقتل الصائل من صبى أو مجنون اذا لم يمكن دفعهما الا به وعلم مما سبق أن التجسس غير مطلوب بل هو مذموم منهى عنه لقوله تعالى ولا تجسسوا واستثنى الماوردى من ذلك ما اذا أخبره من يثق بقوله ان رجلا خلا برجل ليقتله أو امرأة ليزنى بها فانه يجوز له فى مثل هذه الحالة أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات ما لا يستدركه وأما العدالة واذن الامام فالمشهور عدم اشتراطهما الا أن يخاف من المفسدة فلا بد من اذن الامام وروى عن عمر رضى الله عنه أنه أحس من رجل بالخنا فتسور عليه فرآه على منكر فصاح عليه فقال الرجل يا أمير المؤمنين أنا عصيت الله فى واحدة وقد عصيته أنت فى ثلاث قال وما هن قال تجسست وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا فقد نهى وأتيت البيوت من ظهورها وقد أمر الله باتيانها من أبوابها ودخلت غير بيتك من غير أن تستأذن وتسلم وقد أمر الله بذلك فقال له عمر صدقت واستغفر لنا فقال غفر الله لنا ولك يا أمير المؤمنين وذكر بعضهم أنه مشى عمر رضى الله عنه بالليل فرأى نارا فى بيت فأتى اليها فاذا قوم يشربون وشيخ بينهم فاقتحم عليهم وقال يا أعداء الله أمكن الله منكم فقال الشيخ ما نحن بأعظم منك ذنبا يا أمير المؤمنين ان عصينا الله فى واحدة فقد عصيته أنت فى ثلاث فقال له عمر وما هن فقال تجسست وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا وأتيت البيوت من ظهورها وقد أمر الله باتيانها

علينا بمنه وفضله وليوم القيامة أسماء كثيرة تعددت أسماؤه لكثرة معانيه فمن أسمائه الساعة لوقوعها بغتة فى ساعة لسرعة حسابها قال الله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ومن أسمائه القيامة لقيام الخلق كلهم من قبورهم اليها أو لقيام الناس لرب العالمين كما روى مسلم عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم القيامة يقوم أحدهم فى رشحه الى نصف أذنيه قال ابن عمر يقومون مائة سنة ويروى عن كعب يقومون ثلثمائة سنة أو سميت بذلك لقيام الروح والملائكة صفا ومن أسمائه القارعة لانها تقرع القلوب بأهوالها والحاقة لانها كائنة من غير شك والغاشية لانها تغشى أبصار الخلائق بأهوالها حتى انهم لا يرون من عن يمينهم ولا من عن شمالهم بدليل لكل امرئ الآية ويقال هو دخان يخرج من النار يغشى وجوه الخلائق والآزفة أى القريبة والواقعة

من

من أبوابها ودخلت بيتا غير بيتك من غير استئذان ولا تسليم وقد أمر الله تعالى بذلك فاحتشم عمر وقال صدقت استغفر لى فقال الشيخ غفر الله لنا ولك وقد كان الحسن البصرى يقول اياكم والتجسس فوالله لقد أدركت ناسا لا عيوب لهم فتجسسوا على عيوب الناس فأحدث الله لهم عيوبا (بيده) لانها أبلغ فى تغييره كاراقة الخمر وتفكيك آلة اللهو والحيلولة بين الضارب والمضروب ورد المغصوب الى مالكه ونزع الحرير من لابسه فاذا احتاج الى اظهار سلاح أو حرب رفع الى السلطان وقد حكى أن شجرة كان يعبدها الناس فقصد رجل قطعها فلما شرع فى القطع جاء الشيطان وأراد منعه فلم يقدر الشيطان عليه فقال له اترك القطع وأعطيك كل يوم كذا وكذا من الدراهم تجده فى فراشك فامتنع من القطع ورجع فوجد الدراهم يومين أو ثلاثة ثم فقدها فى اليوم الرابع فغضب وأخذ الفاس وتوجه الى الشجرة فلقيه الشيطان فى الطريق فتصارع معه فغلبه الشيطان لان فى المرة الأولى كان قصده مخلصا لله تعالى وفى المرة الثانية انما غضب لاجل الدنيا (فان لم يستطع) الانكار بيده (فبلسانه) بأن يمنعه بالقول وتلاوة ما نزل الله من الوعيد والقول كصياح واستغاثة وتوبيخ وتذكير بالله وأليم عقابه مع لين واغلاظ بحسب ما يقتضيه الحال وقد يبلغ بالرفق والسياسة ما لا يبلغ بالسيف والرآسة ولذا قال بعض العلماء من رأى عورة أحد فى الحمام ينبغى أن يكون انكاره عليه بهذه الصيغة وهى أن تقول له استر سترك الله وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر شرب الخمر بالشأم فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب له حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير فترك الرجل الخمر وتاب منها وحكى التاج السبكى عن أبيه انه كان يجتمع ببعض الامراء وكان الامير يلازم الحرير فقال يا أمير بكم الذراع من هذا فقال بدينار فقال فى الصوف ما يساوى كل ذراع منه دنانير ومماليكك وخدمك يشاركونك فى لبس الحرير ولا يليق بشهامتك أن يساووك فاعدل الى الصوف فانه أعلى وأغلى مع ما فيه من السلامة من العقاب الاخروى فاستحسن كلامه ولو قال له ابتداء هذا حرام لم يفد قال العارف ابن العربى لو كشف لولى أن فلانا يزنى بفلانة أو يشرب الخمر لزمه النهى ولم يسقط عنه لان نور الكشف لا يطفى نور الشرع فشاهدته من طريق الكشف لا تسقط النهى عنه لانه تعالى تعبدنا بازالة المنكر وان شهدنا بكشفنا أنه محتم الوقوع وظاهر الحديث أنه يلزمه الامر والنهى وان كان هو لم يمتثل ذلك وبه صرح فى رواية الطبرانى من حديث أنس قلت يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نفعله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه فقال مروا بالمعروف وان لم تفعلوه وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله لانه يجب ترك المنكر وانكاره فلا يسقط أحدهما بترك الآخر ولهذا قيل للحسن فلان لا يعظ ويقول أنا أخاف ان أقول ما لا أفعل وأينا يفعل بما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر ولو توقف الامر والنهى على الاجتناب لرفع الامر بالمعروف وتعطل النهى عن المنكر وانسد باب النصيحة التى حث الشارع عليها سيما فى هذا الزمان الذى صار التلبس فيه بالمعاصى شعار الانام ودثار الخاص والعام ولا يعارض هذا ما صح أنه صلى الله عليه وسلم رأى فى النار قوما يدورون كما تدور الرحى فسأل جبريل عنهم فقال كانوا يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن المنكر ويفعلونه لان تعذيبهم انما هو على فعل المنكر لا على انكاره ولا ينافى ما تقرر من الواجب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لانها محمولة على ما اذا عجز المنكر عن ازالة المنكر ولا

لوقوع الامر فى ذلك اليوم والخافضة لانها تخفض أقواما بدخولهم النار بأعمالهم السيئة والرافعة لانها ترفع أقواما بدخولهم الجنة بأعمالهم الحسنة والطامة أى الغالبة لكل شئ وسميت بذلك لكثرة الاهوال والصاخة أى الصيحة التى تصخ الاذن فتورث الصمم ويوم الصيحة لصيحة اسرافيل فى الصور ونفخه فيه ويوم الزلزلة لتزلزل القلوب والاقدام ويوم الفرقة قال الله تعالى يومئذ يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير ومن أسمائه اليوم الموعود لانه ميعاد الخلق ومرصادهم وعد الله فيه قوما بالنجاة وقوما بالهلاك وقوما بالثواب وقوما بالعذاب ومن أسمائه يوم العرض قال الله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية والاعمال تعرض فيه على الله عز وجل ومن أسمائه يوم الحشر للخلق بان يحييهم الله بعد فنائهم ويجمعهم للعرض والحساب

شك في سقوط الوجوب حينئذ على أن معناها عند المحققين أنكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم نحو ولا تزر وازرة وزر أخرى ومما كلفنا به الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فاذا لم يمتثلهما المخاطب فلا عتب حينئذ لان الواجب الامر بالمعروف لا القبول (فان لم يستطع) الانكار بلسانه لوجود مانع كخوف فتنة أو على نفس أو عضو أو مال محترم (فبقلبه) أى فينكر بقلبه اذ لا تغيير بالقلب ويشبه هذا التركيب قوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب فان لم تستطع فمستلقيا لا يكلف الله نفسا الا وسعها فهو على حد علفتها تبنا وماء باردا لكن فيه انه من خصائص الواو ألا ترى قول ابن مالك وهى انفردت * بعطف عامل مزال قد بقى * معموله ومعنى الانكار بالقلب كراهة الفاعل للمنكر وظهور ذلك على جوارحه ان لم يخف على نفسه والعزم على أنه لو قدر على تغييره بقول أو فعل وهذا واجب عينا على كل أحد بخلاف اللذين قبله فانهما قد يكونان فرض كفاية كما سلف وذكر الشيخ الشعرانى فى المنن عن سيدى ابراهيم المتبولى أن تغييره باليد يكون للولاة الذين يضربون ولا يضربون وتغييره باللسان للعلماء العاملين فيؤثر زجرهم باللسان فى قلب ذلك المنكر عليه فيرجع عن ذلك المنكر وتغييره بالقلب على العارفين الذين غلب عليهم شهود احتقارهم نفوسهم أن يكونوا ناهين لغيرهم فيتوجه أحدهم بقلبه الى الله عز وجل فى تغيير ذلك المنكر فيكف الظالم عن ظلمه وشارب الخمر عن شربه فهذا هو التغيير حقيقة وأما قول الانسان اللهم ان هذا منكر لا أرضاه فليس فيه تغيير قلب اه والحق أن المراتب الثلاث تكون على واحد من الثلاثة فأول المراتب المقاتلة والجهاد فان عجز عن الجهاد أنكر باللفظ ليقبح ذلك المنكر عند فاعله وعند من رآه وان عجز بان خاف ضررا من قتل أو جرح أو اخراج من وطن فليقل اللهم ان هذا منكر لا أرضاه والله أعلم (وذلك) أى الانكار بالقلب (أضعف الايمان) أى الاعمال فلا يرد أن المنكر بالقلب قد يكون أقوى الناس ايمانا والايمان قد يطلق على الاعمال كما أطلق على الصلاة فى قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم لبيت المقدس أو المراد به الاسلام وهو على حذف مضاف أى أضعف خصال الاسلام أو باق على حقيقته والمراد أقل آثار الايمان وثمراته فى النفع واطلاق الايمان على المعنيين الاولين مجاز مرسل على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان الايمان سبب للامتثال بالشرائع المأمور بها وانما كان الانكار بالقلب أضعف الايمان لان مجرد كراهته له بقلبه لا يحصل به زوال مفسدة المنكر المطلوب زواله فهو قاصر بخلافه باليد واللسان فانه متعد فانه كراهة وازالة وقد قيل التغيير باليد للامراء وباللسان للعلماء وبالقلب للعامة قال ابن الفاكهانى وأعجب ما فى زماننا أن الذين يظن بهم العلم والدين ممن يتعين عليهم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر متلبسون بمناكر شتى يجب انكارها عليهم شرعا ولقد أحسن من قال

بالملح يصلح ما يخشى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير

وقال آخر

هذا الزمان الذى كنا نحاذره * فى قول كعب وفى قول ابن مسعود

دهر به الحق مردود بأجمعه * والجور فيه أذاه غير مردود

ان دام هذا ولم يحدث له غير * لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

(رواه مسلم) والنسائى

(الحديث الخامس والثلاثون)

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا) خطاب

ومن أسمائه يوم المفر قال الله تعالى يقول الانسان يومئذ أين المفر ومن أسمائه اليوم المعلوم قال الله تعالى قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم قيل ان الاولين من قبل آدم والآخرين من بعده وقيل ان الاولين من قبل محمد والآخرين من بعده الى يوم القيامة ومن أسمائه اليوم العسير لشدة الحساب فيه والمرور على الصراط ووزن الاعمال وزحمة بعضهم بعضا حتى يكونوا مثل السهام فى الجعبة وعلى كل قدم ألف قدم وقيل سبعون ألف قدم وتدنو الشمس من رؤس الخلائق حتى تكون منهم كمقدار ميل وهو المرود الذى يكتحل به فى العين ويزاد فى حرها بضعة وستون ضعفا وحرارة الانفاس وحرارة النار المحدقة بارض المحشر وعرق الناس حتى يغوص عرقهم فى الارض مقدار سبعين باعا أو ذراعا على اختلاف الروايات ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم حتى ان السفن لو

لكل

لكل من يتأتى توجيه الخطاب اليه وأصله بتاءين حذفت احداهما تخفيفا وكذا فيما بعده أى لا يحسد بعضكم بعضا وهو لغة وشرعا تمنى زوال نعمة الغير سواء تمنى انتقالها اليه أم لا وهو قبيح بالاجماع الا أن الثانى أقبح وأشد حرمة من الاول وبعضهم خصه بأن يتمنى ذلك لنفسه والحق انه أعم وهو مذموم وصاحبه مغموم وكفاه ذما أنه يفسد الطاعات ويبعث على الخطيئات وهو الداء العضال الذى ابتلى به كثير من العلماء فضلا عن العامة حتى أهلكهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال الخشب ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الحسد يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وحسبك أن الله تعالى أمر بالاستعاذة من شر الحاسد كما أمر بها من شر الشيطان ويكفيك فى قبحه أنه أول ذنب عصى الله به لان ابليس لم يحمله على ترك السجود الا الحسد كما أن قابيل لم يحمله على قتل هابيل الا الحسد وجاء أن سبب حسده له أنه تزوج أخت هابيل التى تسمى لبودا وكانت ليست بجمال أخته أقليما التى تزوجها هابيل فكان من شريعة آدم أن اختلاف بطون حواء بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس وهذا لا يخالف ما فى الآية الشريفة لانه جاء فى القصة أن آدم عليه السلام لما أمر قابيل أن يزوج أخته لهابيل فامتنع فأمرهما أن يقربا قربانا الى الله تعالى وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول نار من السماء تأكله فقرب كل منهما قربانه فتقبل قربان هابيل فزاد حسده وعلى هذا فيكون حسده بشيئين أخروى وهو ما فى الآية ودنيوى وهو جمال أخته التى تزوجها وجاء فى عدة أخبار وآثار أنه يأكل الحسنات أى يحرقها ويذهب أثرها كما تأكل النار الحطب أى اليابس وقال عبد الله بن مسعود لا تعادوا نعم الله قيل له ومن يعادى نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ومن الحكمة أن الحسود لا يسود وقد روى أن ابليس أتى باب فرعون فقرع الباب فقال فرعون من هذا فقال ابليس لو كنت الها ما جهلت فلما دخل قال لفرعون أتعرف من فى الارض شر منك ومنى قال من هو قال الحاسد وبالحسد وقعت فى هذه المحنة وأما حديث لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس فالمراد به الغبطة مجازا وهى أن يتمنى أن يكون له مثل ما للغير من غير أن يريد زواله عنه وقد قيل ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى رجلا عند العرش فغبطه وقال ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال أحدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه وكان لا يمشى بالنميمة والغبطة مباحة فى الدنيوى ومندوبة فى الاخروى وقال بعضهم

اصبر على حسد الحسود * فان صبرك قاتله

النار تأكل بعضها * ان لم تجد ما تأكله

وقال بعضهم الحاسد جاحد لانه لا يرضى بقضاء الواحد وفى معناه قال منصور الفقيه

ألا قل لمن ظل لى حاسدا * أتدرى على من أسأت الادب

أسأت على الله فى حكمه * اذا أنت لم ترض لى ما وهب

ولابى الطيب

وأظلم أهل الارض من كان حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب

ولبعضهم

دع الحسود وما يلقاه من كمده * يكفيك منه لهيب النار فى كبده

ان لمت ذا حسد فرجت كربته * وان سكت فقد عذبته بيده

وقال عمر بن عبد العزيز ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع وفيه

أجريت فى عرقهم لجرت ويقول الرجل يا رب أرحنى ولو الى النار فهذا هو اليوم العسير (ونذكر بعض أهواله وأحواله كما ذكرنا بعض أسمائه) فنقول قال الله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون واذا قام الناس من قبورهم لفصل القضاء وحشروا على أحوال فمنهم من يكسى ومنهم من يحشر عريانا ومنهم راكب وماش ومسحوب على وجهه ومنهم من يذهب الى الموقف راغبا ومنهم من يذهب خائفا ومنهم قوم تسوقهم النار سوقا وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات سكران فانه يعاين ملك الموت سكران ويعاين منكرا ونكيرا سكران ويبعث يوم القيامة سكران الى خندق فى وسط جهنم يسمى السكران فيه عين يجرى ماؤها مالا يكون له طعام ولا شراب الا منه وجاء ان المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبى الملبى وقال رسول الله صلى

قال بعضهم
قل للحسود اذا تنفس طبعه • ياظالما وكأنه مظلوم

وقال بعضهم
ان الغراب كان يمشى مشية • فيما مضى من سائر الاحوال
حسد القطاة فرام يمشى مشيها • فأصابه ضرب من المعقال

وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل من الانصار أنه من أهل الجنة فبات عنده عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لينظر عمله فلم يرله كبير عمل فقال له ما الذى بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما هو الا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لاحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله اياه فقال عبد الله هذه التى بلغت بك وهى التى لا نطيق وحكى أن بعض الصلحاء كان يجلس بجنب ملك ينصحه ويقول له أحسن الى المحسن باحسانه كفى المسيء فعله فحسده بعض الجهلة على قربه من الملك وعمل الحيلة على قتله فسعى به للملك وقال له انه يزعم أنك أبخر وأمارة ذلك أنك اذا قربت منه يضع يده على أنفه لئلا يشم رائحة البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج فدعا الرجل لمنزله وأطعمه ثوما فخرج الرجل من عنده وجاء وقال للملك مثل قوله السابق أحسن الى المحسن باحسانه كفى المسيء فعله كعادته فقال الملك أدن منى فدنا منه ووضع يده على فيه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فقال الملك فى نفسه ما أرى فلانا الا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه الا جائزة فكتب له بخطه لبعض عماله اذا أتاك صاحب كتابى هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الذى سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لى بصلة فقال هبه منى فقال هو لك فأخذه ومضى به الى العامل فقال له العامل فى كتابك أنى أذبحك وأسلخك فقال ان الكتاب ليس هو لى الله الله فى أمرى حتى أراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل للملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعلت بالكتاب قال لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته له فقال الملك انه ذكر لى أنك تزعم انى أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على أنفك وفيك قال أطعمنى ثوما فخشيت أن تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفى المسيء اساءته كذا ذكره بعض الشراح وذكر فى المستطرف أنه حكى ان رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل عليه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوى فحسده وقال فى نفسه ان لم أقتل هذا البدوى أخذ بقلب أمير المؤمنين ويبعدنى عنه فصار ذلك الوزير يتلطف بالبدوى حتى انتهى به الى منزله فطبخ طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوى منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين يشم منك رائحة الثوم فيتأذى بذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوى يقول للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوى على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال ان الذى قاله الوزير عن هذا البدوى صحيح فكتب أمير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول فيه اذا وصل اليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوى ودفع له ما رسم به أمير المؤمنين وخرج به من عنده فبينما هو بالباب فقال الوزير أين تريد فقال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير ان هذا البدوى يحصل له مال جزيل فقال يا بدوى ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك ويعطيك ألفى دينار فقال

البدوى

الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة عند الموت ولا فى قبورهم ولا فى نشورهم وكأنى بأهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم وهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وجاء ان النائحة تخرج من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة ودرع من نار يدها على رأسها وهى تنادى واويلاه والذين يأكلون الربا يبعثون كالمجانين عقوبة لهم قال تعالى الذين يأكلون الربا الآية ويجعل مع كل واحد شيطان يخنقه ومن مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة فاذا جمع الله الخلائق أجمعين فى صعيد واحد سكوتا لا يتكلمون حفاة عراة غرلا مؤمنهم وكافرهم وحرهم وعبدهم وصغيرهم وكبيرهم وانسهم وجنهم وملكهم ووحشهم وطيرهم حتى الذر والنمل قال الله تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا تناثرت النجوم من فوقهم وطمس ضوء الشمس والقمر فتشتد الظلمة ويعظم الامر ثم تنشق السماء على غلظها وصلابتها

البدوى أنت الكبير وانت الحاكم ومهما رأيته من الرأى افعل فقال أعطنى الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألفى دينار وركب الوزير وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده وسلم الكتاب للعامل فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تفكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ما رؤى وأن البدوى مقيم بالمدينة فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوى فسأل عن حاله فأخبر بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له الخليفة أنت قلت انى ابخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أحدث بشئ ليس لى به علم وانما كان مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به فى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له منه فقال له أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوى واتخذه وزيرا وراح الوزير بحسده فتأملوا رحمكم الله شؤم الحسد وما جر اليه وتعلموا من قوله صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك (ولا تناجشوا) بجيم وشين معجمتين من النجش وهو لغة الاغراء والاثارة يقال نجشت الصيد أثرته لانه يثير الرغبات فى المبيع ويغرى عليها واصطلاحا الزيادة فى المبيع لاجل غرور الغير وانما ذكره بصيغة التفاعل لان التجار يتعارضون فى ذلك فيفعل هذا لصاحبه على أن يكافئه بمثله وهذا النهى لا يقتضى الفساد لانه خارج عنه غير لازم وتفسير النجش بما ذكره وما عليه الاكثر وقيل المراد فى الحديث النهى عن اغراء بعضهم بعضا على الشر والخصومة حكاه القاضى وغيره وقال الافليسى لا تناجشوا معناه لا يكن بينكم تنافر ولا تباعد والاصل فى النجش تنفير الوحوش من مكان الى مكان فكأنه ينهى عن أن يسعى الانسان فى تغير قلبه بالقطيعة للناس حتى يقع بينهم استيحاش ولا تطمئن قلوبهم بالاستئناس الذى جعله الله سبب التحابب بين الناس (ولا تباغضوا) أى لا يبغض بعضكم بعضا أى لا تتعاطوا أسباب البغض لانه قهرى كالحب لا قدرة للانسان على اكتسابه ولا يملك التصرف فيه وهو النفرة من الشئ لمعنى مستقبح فيه ويرادفه الكراهة كقوله عليه الصلاة والسلام هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك ثم هو بين اثنين اما من جانبيهما أو من جانب أحدهما وعلى كل فهو لغير الله حرام وهو محمل الحديث وله واجب ومندوب كما قال تعالى لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وقيل معناه لا توقعوا العداوة والبغضاء بين المسلمين (ولا تدابروا) أى لا تتكلموا فى أدبار اخوانكم بالغيبة والبهتان ويحتمل معناه لا تولوا أدباركم استثقالا بل ابسطوا وجوهكم وقيل من الادبار وهو الاعراض المؤدى الى التقاطع والمعاداة لان كل واحد يولى صاحبه دبره أى لا يعرض بعضكم عن بعض كراهية فيه ونفرة منه لانه يؤدى الى تضييع ما يجب من حقوق الاسلام من الاعانة والنصرة ونحوهما وقيل معناه لا تقاطعوا لابد من قولهم قطع الله دابره أى من بقى بعده وفى الحديث لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام وفى رواية لا يحل لرجل ان يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام وأخذ منه العلماء ان السلام يرفع اثم الهجر وأنشد بعضهم

هجرك لى ياسيدى مظلمه • فاستفت فيه ابن أبى خيثمه
فانه يرويه عن جده • وجده يرويه عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى • نبينا المبعوث بالمرحمه
ان صدود الخل عن خله • فوق ثلاث ربنا حرمه

فتسمع الخلائق لانشقاقها صوتا عظيما منكرا فظيعا تدهش لهوله الالباب وتخضع لشدته الرقاب ثم ينظرون الملائكة هابطين الى الارض فتنزل ملائكة سماء الدنيا فتحيط بالخلائق ثم ملائكة السماء الثانية خلفهم دائرة ثانية كذلك حتى يكونوا سبع دوائر فى كل دائرة ملائكة سماء ثم تسيل السماء فتكون كالمهل وهو النحاس المذاب فيطوى الله بعضها على بعض ثم تنهار وتذوب وتذهب حيث شاء الله وتدنو الشمس من رؤس الخلائق حتى تكون قدر ميل فيشتد الكرب من الزحام ويكثر العرق كما قال عليه السلام ان العرق يوم القيامة ليذهب فى الارض سبعين ذراعا وانه ليبلغ الى أفواه الناس وآذانهم وجاء فى حديث آخر ان الرجل ليغرق فى عرقه الى نصفى أذنيه ولو شرب من ذلك العرق سبعون بعيرا ما نقص منه شئ قالوا فما النجاة من ذلك يا رسول الله قال الجلوس بين يدى العلماء ويكون الناس فى العرق يومئذ مختلفين فمنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ حقويه أو أذنيه

وأنت مذ شهر لنا هاجر * فما تخاف الله فينا فيه

وأخرج مسلم وغيره تعرض الاعمال فى كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل فى ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيأ الا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء يقول اتركوا هذين حتى يصطلحا وفى رواية له تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيأ الا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقول انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا وأخرج الطبرانى وابن حبان فى صحيحه والبيهقى يطلع الله تعالى الى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا المشرك أو مشاحن ووجه مغايرته لما قبله ان الشخص قد يبغض صاحبه عادة ويوفيه حقوقه وقد يعرض عنه لنحو تهمة أو تأديب وهو يحبه ومن هذا القبيل قول بعضهم لا يكتم الحب الا خشية التهم ولذا ورد ان عمر بن الخطاب قال لرجل لا أحبك فقال له يا أمير المؤمنين يحملك ذلك على ان تمنعنى حقا هولى قال لا قال فلا ابالى اذن فان الحب من شأن النساء (ولا يبع) بالجزم على النهى (بعضكم) أى معشر المكلفين من المسلمين والذميين والتقييد بالمسلم فى الاخبار للغالب خلافا لمن أخذ بمفهومه (على بيع بعض) لما فيه من تغيير القلوب بان يقول لمشترى سلعة فى زمن الخيار رد هذا البيع وانا أبيعك مثلها بانقص من ثمنها أو اجود منها بمثل ثمنها ومثله الشراء على الشراء بأن يقول آخر للبائع فى مدة الخيار افسخه وانا اشترى به منك بأزيد (وكونوا عباد الله) منادى مضاف أى يا عباد الله فحذف حرف النداء (اخوانا) خبر كان زاد مسلم كما أمركم الله ونسبه الى الله لان الرسول مبلغ عن الله تعالى وهذه الجملة كالتعليل لما قبلها كانه قال اذا تركتم التحاسد وما بعده كنتم اخوانا والا كنتم اعداء ومعنى كونوا اخوانا تعاطوا أسباب المودة واكتسبوا ما تصيرون به اخوانا من الامور المقتضية لذلك كابتداء السلام ورده وتشميت العاطس وعيادة المرضى وتشييع الجنائز واجابة الدعوى والمعاونة على البر والتقوى وطلاقة الوجه والمصافحة والنصح وقد قيل لخالد بن صفوان أى الاخوان أحب اليك قال الذى يغفر زللى ويسد خللى ويقبل عللى وقال القرطبى كونوا كاخوان النسب فى الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة ولبعضهم

من لى بانسان اذا أغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * اخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله أدرى به

وروى الترمذى تهادوا فان الهدية تذهب وحر الصدور والوحر بفتح الحاء المهملة الغش والوسواس وقيل الحقد والغيظ وقيل العداوة وقيل أشد البغض (المسلم أخو المسلم) لانه يجمعهما دين واحد ومن ثم قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فهم كالاخوة الحقيقية وهو أن يجمع الشخصين ولادة واحدة من صلب أو رحم أو منهما والاخوة الدينية أعظم من الاخوة الحقيقية لان ثمرتها أخروية وثمرة تلك دنيوية (لا يظلمه) أى لا ينقصه حقه ويمنعه اياه لان الظلم حرام ومذهب للبركة فقد أخرج ابن مردويه الاصبهانى فى الترغيب والبيهقى عن مجاهد عن ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير فى مملكته وهو مستخف من الناس حتى نزل على رجل له بقرة فراحت عليه تلك البقرة فحلبت فاذا حلابها مقدار حلاب ثلاثين بقرة فحدث الملك نفسه بأخذها فلما كان الغد غدت البقرة الى مرعاها ثم راحت فحلبت فنقص لبنها على النصف وجاء مقدار خمسة عشر بقرة فدعى الملك صاحبها فقال أخبرنى عن

ولا ظل يومئذ الا ظل الله تعالى وهو ظل يخلقه الله تعالى فى المحشر لا يكون فيه الا من أراد الله اكرامه فيقفون كذلك شاخصين الى نحو السماء قدر أربعين سنة وقيل سبعين سنة من سنى الدنيا لا ينقطعون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه وقال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله وقال صلى الله عليه وسلم من أشبع جائعا أو كسا عاريا أو آوى مسافرا أعاذه الله من أهوال يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من لقم أخاه لقمة حلوى صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة قيل وما يكفرها يا رسول الله قال الهموم فى طلب المعيشة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا طال انتظار أهل

بقرتك

بقرتك أرعت اليوم فى غير مرعاها بالامس وشربت من غير مشربها بالامس فقال ما رعت فى غير مرعاها بالامس ولا شربت من غير مشربها بالامس فقال ما بال حلابها على النصف فقال أرى الملك هم بأخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة قال وأنت من أين يعرفك الملك قال هو كما قلت لك فعاهد الملك ربه ان لا يظلم ولا يأخذ البقرة فغدت فرعت ثم راحت فحلبت فاذا لبنها قد عاد على مقدار ثلاثين بقرة فاعتبر الملك وقال بينه وبين نفسه أرى الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة لا جرم لأعدلن فلأكونن على أفضل العدل ولبعضهم

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

(ولبعضهم)

اصبر على الظلم ولا تنتصر * فالظلم مردود على الظالم
وكن الى الله مظلوما فما * ربى على الظالم بالنائم

(ولا يخذله) أى لا يتركه لمن يظلمه ولا ينصره وقد قال صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما أو مظلوما قيل له كيف ينصره ظالما قال يمنعه من الظلم قال العراقى بضم الذال المعجمة والخذلان ترك الاعانة والنصرة ذكره الطيبى والخذلان حرام سواء كان متعلقه دنيويا مثل ان يقدر على دفع عدو يريد أن يبطش به فلا يدفعه أو دينيا مثل ان يقدر على نصحه فيتركه (ولا يكذبه) بفتح ياء المضارعة وتخفيف الذال المكسورة وبضم فسكون والاول أشهر وأكثر بل اقتصر عليه الحافظ العراقى فى شرح الترمذى لكن اقتصر المؤلف على الثانى أى لا يخبره بأمر على خلاف ما هو عليه لانه غش وخيانة وفى الحديث اذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلا من نتن ما جاء به رواه الترمذى وحسنه وينبغى لمن اضطر الى الكذب أن يعرض الى المعاريض ما أمكن حتى لا يعود نفسه الكذب وفى الخبر ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب وعن أبى بكر انه كان خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر معه فتلقاه العرب وهم يعرفونه ولا يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم فيقولون من هذا فيقول يهدينى السبيل فيظنون انه يعنى هداية الطريق وهو يريد سبيل الخير وكان ابراهيم بن أدهم اذا طلب فى البيت يقول لخادمه قل له انظره فى المسجد وقد ورد أن اعرابيا بايع النبى صلى الله عليه وسلم على ترك خصلة من الخصال المحرمة كالزنا والسرقة والكذب فقال النبى صلى الله عليه وسلم دع الكذب فصار كلما هم بزنا أو سرقة أو غيرهما قال كيف اصنع ان سألنى النبى صلى الله عليه وسلم فان صدقته حدنى وان كذبته فقد عاهدنى على ترك الكذب فكان تركه سببا لترك الفواحش كلها قال التادلى والكذب خمسة أقسام واجب لانقاذ مال مسلم أو نفسه وحرام وهو الكذب لغير منفعة شرعية ومندوب وهو الكذب للكفار أن المسلمين اخذوا فى أهبة الحرب اذا قصد بذلك ارهابهم ومكروه وهو الكذب للزوجة تطييبا لنفسها ومباح وهو الكذب للاصلاح بين الناس وتعقب ابن ناجى القسم الرابع بأن السنة جوزت الكذب فيه اهـ وقال قوم الكذب كله قبيح فقد سئل مالك رضى الله تعالى عنه عن الرجل يكذب لزوجته وابنه تطييبا لنفسهما فقال لا خير فى الكذب ولقد أحسن القائل

الصدق فى أقوالنا أقوى لنا * والكذب فى أفعالنا أفعى لنا
فهم يقولون هم أشياخنا * فالهم قد يفعلوا أشياخنا

(ولا يحقره) بياء مفتوحة وحاء مهملة وقاف مكسورة اى لا يستصغر شأنه ويضع من قدره

الموقف طلبوا من يشفع لهم ليستريحوا من الموقف والانتظار والكرب وقد جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع فكانت تعجبه فنهش منها نهشة فقال انا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون بم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الهم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما بلغكم ألا ترون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول آدم ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه نهانى عن أكل الشجرة فعصيت نفسى نفسى اذهبوا الى نوح عليه

بالترفع عليه ولا ينظره بعين القلة والاستصغار ومن ذلك أن لا يسلم عليه اذا مر به ولا يرد
عليه السلام اذا بدأ هو به وهذا انما يصدر فى الغالب ممن غلب عليه الكبر والجهل ولا
ينقصه بالوقيعة فيه بالاستهزاء والسخرية به وذكر معايبه اذا رآه رث الحال أو ذا عاهة فى
بدنه أو غير لبق فى محادثته لاحتمال أن يكون افضل وأقرب عند الله منه وفى الحديث رب
أشعث أغبر ذى طمرين أى ثوبين خلقين لا يعبأ به لو أقسم على الله لأبره وفى الحديث
لا يحل لمسلم أن يشير أو ينظر الى أخيه بنظر يؤذيه رواه ابن المبارك فى كتاب الزهد
ومر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار فقال له مالك لو تركت الخيلاء لكان أجمل لك فقال
أما تعرفنى فقال والله أعرفك معرفة جيدة أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت مع
ذلك تحمل العذرة فأرخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه وقال افلاطون لرجل جاهل
معجب مختال فى نفسه وددت أنى مثلك فى ظنك وان أعدائى مثلك فى الحقيقة وقال فى الام
عجبت لمن جرى مجرى البول مرتين كيف يتكبر وروى أن رجلا قال لغلامه اسقنى فقال
نعم قال انما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفعوه ثم دعا بماء فتمضمض استقذارا
لمخاطبته وقد حرم الله الجنة على المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد وأما حديث ليس منا من لم
يتعاظم بالعلم فمعناه ليس منا من لم يعتقد أن الله جعله عظيما لكونه جعله محلا للعلم وموصوفا به
ولم يسترذله بحيث حظره عليه ومنعه منه كما ورد فى الحديث اذا استرذل الله عبدا حظر عليه
العلم والادب أو ما هذا معناه وليس المراد بتعاظمه احتقار غيره ومن جملة احتقار المسلم
اغتيابه وهو ذكرك اياه بما يكره وهى أى الغيبة محرمة بالاجماع الا ما استثناه العلماء
وقد جمع ذلك بعضهم فى بيت فقال.

تظلم واستغث واستفت حذر * وعرف بدعة فسق المجاهر

فذكر ستة ترخص الغيبة فيهم الاول التظلم لمن يظن ان له قدرة على ازالة ظلمه أو تخفيفه
الثانى الاستغاثة على تغيير المنكر بذكره لمن يظن قدرته على ازالته بنحو فلان يعمل كذا
فازجره عنه الثالث الاستفتاء بان يقول للمفتى ظلمنى فلان بكذا فهل يجوز له وما طريقى فى
خلاصى منه أو تحصيل حقى وقد روى عن هند أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ان أبا
سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى وبنى أفآخذ من غير علمه فقال خذى ما يكفيك
وبنيك بالمعروف فذكرت الشح ولم يزجرها النبى صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها
الاستفتاء الرابع تحذير المسلمين من الشر مثل أن يشترى مملوكا وعرف المملوك بالسرقة
أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك فان فى سكوتك ضررا على المشترى وكذلك
المستشار فى تزويج أو ايداع له أن يذكر له ما يعرفه على قصد النصح للمستزوج لا على قصد
الوضيعة وان علم أنه يترك التزويج مثلا بمجرد قوله لا تصلح لك فهذا الواجب فان علم أنه
لا يتركه الا بالتصريح بالعيب فله أن يصرح به الخامس أن يكون الانسان معروفا بما فيه
نقص كالاعرج والاعمش والاعور والاصم والاقرع فقد فعل العلماء ذلك لضرورة
التعريف فان أمكن تعريفه بعبارة أخرى فهى أولى ولذلك قيل للاعمى البصير عدولا عن
النقص السادس أن يكون مبتدعا السابع أن يكون متجاهرا بالفسق كالمجاهر بشرب
الخمر ومصادرة الناس وأخذ المكس وجباية الاموال ظلما فاذا ذكر منه ما يتظاهر منه فلا
اثم لما ورد بسند ضعيف من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة فيه وقال عمر بن الخطاب
رضى الله عنه ليس لفاسق حرمة والمراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من

السلام فيأتون نوحا فيقولون له
يا نوح أنت أول الرسل الى الارض
وسماك الله عبدا شكورا اشفع
لنا الى ربنا ألا ترى ما نحن فيه ألا
ترى ما قد بلغنا فيقول لهم نوح
ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم
يغضب قبله مثله ولن يغضب
بعده مثله أبدا وانه كان لى دعوة
دعوت بها على قومى نفسى نفسى
اذهبوا الى ابراهيم عليه السلام
فيأتون ابراهيم فيقولون يا ابراهيم
أنت نبى الله وخليله من أهل
الارض اشفع لنا الى ربك ألا ترى
ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا
فيقول لهم ابراهيم ان ربى قد
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولن يغضب بعده مثله
ويذكر كذباته نفسى نفسى
اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى
موسى عليه السلام فيأتون
موسى فيقولون يا موسى أنت
رسول الله فضلك الله برسالته
وتكليمه على الناس اشفع لنا الى
ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى
ما قد بلغنا فيقول لهم موسى ان
ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولن يغضب بعده مثله

مراعاة حرمته وظاهره أنه يجوز غيبته بما تظاهر به وان كان لا يرضى ذلك وقد قال
بعضهم لا يكن حظ المؤمن منك الا ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه
وان لم تمدحه فلا تذمه وقوله ولا يحقره وفى رواية ولا يحتقره وهى بمعناها وفى رواية بياء
مضمومة وخاء معجمة ساكنة وفاء مكسورة بمعنى لا يغدره ولا ينقض عهده قال أنس قل
ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له
لكن قال عياض والصواب المعروف هو الاول وهو الموجود فى غير كتاب وتخصيص ذلك
بالمسلم لمزيد حرمته لا للاختصاص به من كل وجه لان الذمى يشاركه فى حرمة ظلمه وخذلانه
بنحو ترك دفع عدوه عنه والكذب عليه وأما احتقاره من حيث الكفر القائم به فجائز قال
تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم (التقوى ههنا) أى محل سببها الذى هو الخوف الحامل
عليها القلب الذى فى الصدر لا حقيقتها الذى هو الاتقاء من العذاب بفعل المأمور
واجتناب المحظور وفى الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم
وأعمالكم ومعنى نظر الله مجازاته ويصح أن يراد بالتقوى هنا الاخلاص نحو قوله تعالى فانها
من تقوى القلوب أى من اخلاص القلوب وقد تقدم فى حديث اتق الله حيث ما كنت
أنها ترد لعدة معان (ويشير) رسول الله صلى الله عليه وسلم (الى صدره) فعل ذلك (ثلاث
مرات) من كلام الراوى (بحسب) باسكان السين ويستوى فيه الواحد والمثنى والجمع
والمؤنث والمذكر قال النحاة اذا كان ما بعده معرفة رفعه على الخبرية فالاضافة لفظية
بدليل الابتداء وان كان ما بعده نكرة فرفعه محل الابتدا فقط فالاضافة معنوية ولما كان
هنا مظنة سؤال وهو أن بقاء حكم التحقير لماذا أحرام أولا فقال (امرء من الشر) أى كافيه
منه (أن يحقر أخاه المسلم) بالنصب صفة لاخاه وكرره لحرمة المسلم ففيه تحذير شديد من
احتقاره قال تعالى يا أيها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم الى قوله الظالمون أى لا تحتقر
غيرك عسى أن يكون عند الله خيرا منك ويحتمل أن المراد بعسى يصير أى لا تحتقر غيرك
فانه ربما صار عزيزا وصرت ذليلا فينتقم منك ولذا قال بعضهم

لا تهين الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه

ولا تلمزوا أنفسكم أى لا يعب بعضكم على بعض واللمز بالقول وغيره والهمز بالقول فقط
وروى عن ابن جريج أن الهمز بالعين والشدق واليد واللمز باللسان قال البيهقى وبلغنى
عن الليث أنه قال اللمزة الذى يعيبك فى وجهك والهمزة الذى يعيبك فى الغيب ولا تنابزوا
بالالقاب أى لا تنادوهم بما يكرهون من الالقاب من النبز وهو الطرح ونبه تعالى بقوله
أنفسكم على دقيقة ينبغى التفطن لها وهى أن المؤمنين كلهم بمنزلة البدن الواحد اذا
اشتكى بعضه اشتكى كله فمن عاب غيره ففى الحقيقة انما عاب نفسه ومعنى بئس الاسم
الفسوق الخ أى من فعل واحدا من الثلاثة استحق اسم الفسوق وهو غاية النقص بعد ان
كان كاملا (كل المسلم) مبتدأ واضافة كل هنا الى المعرفة دليل على جوازه خلافا لمن زعم
أنها لا تضاف الا الى نكرة (على المسلم حرام) يقال أحرم الرجل اذا اعتصم بحرمة تمنع عنه
أى ان المسلم معتصم بحرمة الاسلام ممتنع به ممن أراده وقوله حرام خبر المبتدا (دمه) بدل
بعض من كل (وماله) الذى خصه الله به وجعله ملكا له فلا يحل أخذه الا بحقه وقد أخرج ابن
حبان فى صحيحه عن ابن حميد الساعدى لا يحل لمسلم ان يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس
منه (وعرضه) وقوله دمه الخ هذا هو المقصود من الحديث وما سبق كالتمهيد له وقد ورد

وانى قتلت نفسا لم أومر بقتلها
نفسى نفسى اذهبوا الى عيسى
عليه السلام فيأتون عيسى
فيقولون يا عيسى أنت رسول الله
وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه
وكلمت الناس فى المهد اشفع لنا
الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا
ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عيسى
عليه السلام ان ربى قد غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر
له ذنبا نفسى نفسى اذهبوا الى
محمد صلى الله عليه وسلم فيأتونه
فيقولون يا محمد أنت رسول الله
وخاتم الانبياء وغفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع
لنا عند ربك ألا ترى ما نحن فيه
فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع
ساجدا لربى ثم يفتح الله على
ويلهمنى من محامده وحسن
الثناء عليه ما لم يفتحه لاحد غيرى
ثم يقول تعالى يا محمد ارفع رأسك
وسل تعط واشفع تشفع فأرفع رأسى
فأقول يا رب أمتى أمتى فيقال
يا محمد أدخل الجنة من أمتك من
لا حساب عليه من الباب الايمن
من أبواب الجنة وهم شركاء

أنه صلى الله عليه وسلم لما أسرى به مر بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة ولكن فى الكف عن أعراض الناس وجعل هذه الثلاثة كل المسلم لشدة احتياجه اليها واقتصر عليها الان ما سواها فرع عنها وراجع اليها ولما كانت حرمتها هى الاصل والغالب لم يحتج الى تقييدها بما اذا لم يعرض ما يبيحها شرعا كالقتل قودا وأخذ مال المرتد فيأ وتوبيخ المسلم تعزيرا ونحو ذلك (رواه مسلم) وهو حديث كثير الفوائد

•(الحديث السادس والثلاثون)•

(عن أبى هريرة) رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من نفس) أى أزال وكشف وفرج من تنفيس الخناق أى ارخائه حتى يأخذ له نفسا (عن مؤمن) بنفسه أو ماله أو جاهه أو دعائه له بظهر الغيب وآثر ذكر المؤمن لشرفه ومزيد حرمته والا فالذمى كذلك وعبر هنا بمؤمن على ما فى أكثر النسخ وفيما يأتى بمسلم اما للتفنن أو لان الكربة تتعلق بالباطن فناسب الايمان المتعلق به أيضا (كربة) أى شدة عظيمة لانها ما هم النفس وغم القلب من كرب التى للمفاجأة لان الكربة تقارب أن تزهق الروح فكأنها الشدة هى ما هى طالت مجارى التنفس به وبه يعلم حكمة ايثار نفس على رديفه من أزال وكشف وفرج وأخرج الطبرانى من فرج عن مسلم كربة جعل الله تعالى له يوم القيامة شعبتين من نور على الصراط ليستضىء بضوئهما عالم لا يحصيهم الا رب العزة وروى ابن بشكوال عن عبد الله ابن المبارك انه قال خرجت الى الجهاد ومعى فرس فبينا أنا فى الطريق اذ صرع الفرس فمر بى رجل حسن الوجه طيب الرائحة فقال تحب أن تركب فرسك قلت نعم فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى الى مؤخره وقال أقسمت عليك هذه العلة بعزة الله وبعظمة الله وبجلال الله وبقدرة الله وبسلطان الله وبلا اله الا الله وبما جرى به القلم من عند الله وبلا حول ولا قوة الا بالله الا انصرفت قال فانتفض الفرس وأخذ الرجل بركابى وقال اركب فركبت ولحقت بأصحابى فلما كان غداة غد ظهر العدو واذا هو بين أيدينا فقلت له ألست صاحبى بالامس فقال بلى فقلت سألتك بالله من أنت فوثب قائما فاهتزت الارض تحته خضراء فاذا هو الخضر عليه السلام قال ابن المبارك فما قلت هذه الكلمات على عليل الا شفى باذن الله تعالى وذكر بعضهم أنه يقول لا اله الا الله العظيم الكريم لا اله الا الله العلى العظيم لا اله الا الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم الله ربى لا شريك له يا من لا يغفر الذنوب الا هو يا من لا يعرف كيف هو الا هو يا من لا يعرف قدرته الا هو فرج عنى كربتى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وأكمل أدعية الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى الى نفسى طرفة عين واصلح لى شأنى كله لا اله الا أنت الله ربى لا أشرك به شيأ لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين توكلت على الحى الذى لا يموت والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا ويقرأ آية الكرسى وخواتيم البقرة وقال بعض الفضلاء من توسل بهذه السادة فى قضاء حاجة أو دفع كربة استجيب له وقد جرب ذلك وهم سعيد بن المسيب وأبو سليمان الدارانى وأبو جابر وسليمان

الناس فيما سوى ذلك من الابواب والذى نفس محمد بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر وكما بين مكة وبصرى وفى البخارى كما بين مكة وحمير فهذه أول الشفاعات لاراحة الناس من هول الموقف وهو المقام المحمود المراد من الآية فعند ذلك يظهر نور عظيم تشرق منه أرض المحشر وهو نور العرش فترتعد فرائص الخلق ويتيقنون بان الجبار عز وجل قد تجلى لفصل القضاء فيظن كل أحد أنه هو المأخوذ المطلوب ثم يأمر الله تعالى جبريل ان يأتى بجهنم فيأتيها فيجدها تلتهب غيظا على من عصى الله فيقول لها يا جهنم اجيبى خالقك ومليكك فتثور وتفور وتشهق فتسمع الخلائق لها صوتا عظيما تمتلئ القلوب منه فزعا ورعبا ثم تزفر ثانية فيزداد الرعب والخوف ثم تزفر ثالثة فتخر الخلائق على وجوههم وتبلغ القلوب الحناجر وينظر المجرمون من طرف خفى ولا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا جثا على ركبتيه كما قال الله تعالى وترى كل امة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها

التيمى ومالك بن دينار وبشر الرقاشى وحبيب العجمى ويحيى البكاء وكهمس ورابعة العدوية قال التتائى فى شرح الجلاب ومن خطه نقلت ورأيت فى بعض المجاميع عن ابن عبد البر من كتب هذه الاسماء وجعلها فى قبر ميت حاجت عنه الملكين وهى أويس القرنى معروف الكرخى أبو مسلم الخولانى عامر بن عبد قيس مسروق بن الاجدع هرم بن حيان الاسود بن يزيد الربيع بن خيثم الحسن ابن أبى الحسن البصرى وقد نظم بعضهم أسماء هؤلاء لقضاء الحوائج فقال

توسل الى الرحمن فى كل حاجة • تروم قضاها بالكرام ذوى الزهد
أويس ومعروف الربيع وهارم • يلى الحسن البصرى عامر ذو الرفد
أبو مسلم الخولان مسروق أسود • تمام السقاة الزاهدين ذوى المجد

(من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) مجازاة ومكافأة له على فعله بجنسه فان قيل قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهذا الحديث يدل على أن الحسنة بمثلها الا انها قوبلت بتنفيس كربة واحدة ولم تقابل بعشر كرب يوم القيامة فالجواب من وجهين أحدهما ان هذا مفهوم عدد وهو لا يفيد حصرا بمعنى أنه يمنع النقص ولا يمنع الزيادة الثانى أن كل كربة من كرب يوم القيامة تشتمل على أهوال كثيرة وأحوال صعبة ومخاوف جمة وتلك الاهوال اما عشرة أو تزيد عليها وفى الحديث سر آخر مكتوم يظهر بطريق فهم اللازم للملزوم وذلك أن فيه وعدا بطريق اخبار الصادق أن من نفس الكربة على المؤمن يختم له بالخير ويموت مسلما لان الكافر لا يرحم فى الدار الآخرة ولا ينفس عنه من كربها وخص الجزاء هنا بكرب يوم القيامة وعمم فى الستر الآتى لان الدنيا لما كانت محل العورات والمعاصى احتيج الى الستر فيها وأما الكرب فهى وان كانت الدنيا محلا لها أيضا لكن لا نسبة لكربها الى كرب الآخرة حتى تذكر معها (ومن يسر) بابراء أو هبة أو صدقة أو نظرة الى ميسرة أو نحو ذلك بأن يكون واسطة فى ذلك (على معسر) وهو من عليه دين وتعسر عليه اداؤه من العسر وهو الضيق والشدة (يسر الله عليه) أموره ومطالبه (فى الدنيا والآخرة) مجازاة له عليه بجنسه لانه احسان الى عيال الله تعالى وأحب خلقه اليه أنفعهم لعياله وفى الحديث من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله وفى رواية وقاه الله من فيح جهنم وفى حديث حسن من نفس عن غريمه أو محا عنه كان فى ظل العرش يوم القيامة وصح من أنظر معسرا فله كل يوم مثله صدقة قبل أن يحل أجل الدين فاذا حل الدين فأنظره بعد ذلك فله كل يوم مثلاه صدقة وروى الشيخان ان رجلا كان يداين الناس وكان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فلقى الله عز وجل فتجاوز عنه وفى أخرى للنسائى فاذا بعثته يتقاضى قلت له خذ ما تيسر واترك ما تعسر وتجاوز لعل الله أن يتجاوز عنا قال الله تعالى قد تجاوزت عنك أخرج ابن أبى الدنيا أنه عليه الصلاة والسلام قال من أراد ان تستجاب دعوته وتكشف كربته فليفرج عن المعسر •(تنبيه)• ورد فى الحديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع ونظمها بعضهم فقال

امام محب ناشئ متصدق • مصل وباك خائف سطوة الباس

اليوم تجزون ما كنتم تعملون ويتعلق الخليل بساق العرش ويقول يا رب لا أسألك اسماعيل ولدى بل أسألك نفسى ويتعلق موسى بساق العرش ويقول يا رب لا أسألك هرون أخى بل أسألك نفسى ويتعلق عيسى بساق العرش ويقول يا رب لا أسألك مريم أمى ولكن أسألك نفسى ثم يتقدم النبى صلى الله عليه وسلم فيأخذ بخطامها فيقول لها ارجعى وراءك مدحوضة مدحورة فتقول يا محمد ليس لى عليك من سبيل دعنى أنتقم من أعداء ربى عز وجل فيأتى النداء من العلى من قبل الله سبحانه وتعالى أطيعى محمدا فترجع وراءها مسيرة خمسمائة عام ثم يخرج منها ثلاثة أعناق الاول منها يقول أين من قال أنا الله فتلتقطهم من المحشر كما يلتقط الطير الحب ثم تدخلهم فى جوفها ثم يخرج العنق الثانى فيقول أين من قال ولد الله فتلتقطهم كما يلتقط الطير الحب ثم يخرج العنق الثالث فيقول أين من أكل رزق الله وعبد غيره فتلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وعن معاذ بن جبل

يظلهم الله العظيم بظله * اذا كان يوم الحشر لا ظل للناس

وجاءت أخبار بالزيادة على ذلك كمن انظر معسرا أو وضع عنه ومن أوفى دين الغارم ومن أعان مكاتبا ومن قتله أهل الكتاب على الاسلام ومن أعاد صلاته فى جماعة ومن مات غريقا فى البحر ومن طلب علما فادركه الموت دونه ومسبغ الوضوء فى وقت البرد ومن اشترى أمة فأدبها وأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوج بها ومن انفرد فى عصره بحفظ السنة والامام المؤذن احتسابا ومن أخفى عمله الخير واذا ظهر عليه فرح واستبشر بتوفيق الله له ومن جامع يوم الجمعة من يحل جماعها واغتسل وراح للصلاة ومن ذهب ماشيا الى صلاة الجمعة ومن عاد عليه سلاحه فى الجهاد فقتله ومن أعجله فعل الخير عن لبس نعليه والماشى ليشيع الجنازة ومن شيع جنازة لاستحيائه من أهلها والمجاهد لاعلاء كلمة الله ومستمع قراءة القرآن والقارئ فى المصحف ومن قرأ القرآن فاعرب به أى تفهمه وتدبره والعبد المؤدى حق الله وحق مواليه ومن جدد الوضوء على الوضوء من غير نقض للاول وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم والمتصدقة على زوجها قال الجلال ومن صدق فى تجارته ومن حسن خلقه ورجل تعلم القرآن فى صغره ويتلوه فى كبره ورجل يراعى الشمس لمواقيت الصلاة ورجل ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت عن علم وغير ذلك مما استوفاه الحافظ السخاوى فى كتابه المسمى بالخصال الموجبة للظلال حيث نقل فيه عن شيخه الحافظ ابن حجر ثلاث سبعات زيادة على السبعة المذكورة وأكملها هو اثنين وتسعين بتقديم التاء على السين ولا يبعد ان يدخل فى قوله من يسر الخ التيسير بالعلم مثل ان يقع فى مسئلة يحسن التخلص منها شرعا فيبين له حكمها ويهديه الى الصواب فيها فينشرح صدره لذلك بتخليصها منها (ومن ستر مسلما) أى ستر عورته الحسية بان يرى عورة شخص بادية لعدم ما يسترها به فيعطيه ما يسترها به والمعنوية باعانته على ستر دينه كان يكون محتاجا النكاح فيتوسل له فى التزويج أو الكسب أو يتوسل له فى بضاعة يتجر فيها أو نحو ذلك وقوله ومن ستر مسلما أى ستر بدنه باللباس أو عيوبه بعدم الغيبة والذب عن معايبه قال ابن فرج الاندلسى والمراد الستر على ذوى الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفا بالاذى والفساد واما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته الى ولى الامر ان لم يخف من ذلك مفسدة لان الستر على هذا يطمعه فى الايذاء والفساد وانتهاك الحرمات أو جسارة غيره على مثل فعله هذا كله فى ستر معصية وقعت وانقضت أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بانكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك ولا يحل تأخيرها فان عجز لزمه رفعها الى ولى الامر اذا لم يترتب على ذلك مفسدة قال وأما جرحة الرواة والشهود والامناء على الصدقات والاوقاف والايتام ونحوهم فيجب جرحهم عند الحاجة ولا يحل الستر عليهم اذا رأى منهم ما يقدح فى أهليتهم وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة وهذا مجمع عليه (ستره الله فى الدنيا والآخرة) بأن لا يعاقبه على ما فرط منه وقال عليه الصلاة والسلام من رأى عورة فسترها فكأنما أحيا موؤدة رواه النسائى وأبو داود من حديث عقبة بن عامر زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الاسناد وقال عليه الصلاة والسلام لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة رواه الطبرانى (والله فى عون العبد) الواو للاستئناف وما عدا هذه والاخيرة للعطف وهو تذييل لما قبله لشموله لدفع المضرة وهو ما فى الاولين وجلب النفع وهو ما فى الثالث ولهذا عدل به عن سياق ما قبله من الشرطية الى الجملة الاسمية ليقوى حكمها ببناء الخبر فيها على المبتدا (ما كان العبد) أى مدة دوام كونه (فى عون أخيه) بقلبه أو بدنه أو بهما أو مال أو

رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تبارك وتعالى ينادى يوم القيامة بصوت رفيع غير وضيع ياعبادى أنا الله لا اله الا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين ياعبادى لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون أحضروا حجتكم ويسروا جوابكم فانكم مسؤلون محاسبون ياملائكتى أقيموا عبادى صفوفا على أطراف أنامل أقدامهم وقد قيل فى المعنى

مثل وقوفك يوم العرض عريانا
مستوحشا قلق الاحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق
على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك ياعبدى على مهل
فلن ترى فيه حرفا غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته
اقرار من عرف الاشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه ياملائكتى
وامضوا بعبد عصى للنار شيطانا
المشركون غدا فى النار يلتهبوا
والمؤمنون بدار الخلد سكانا

فأول من يدعى للحساب الملائكة والرسل اظهارا للعدل واقامة

غيرهما بجاهه كما اذا كان محتاجا الى النكاح فيزوجه أو الى مال فيشترى له بضاعة يكتسب فيها لان المجازاة من جنس العمل وتأمل قصة موسى لما خرج لحاجة أهله كلمه الله فى عين حاجته وهى النار وسببه أن موسى عليه الصلاة والسلام لما قضى الاجل الذى بينه وبين شعيب استأذنه فى الرجوع الى مصر لزيارة والدته وأخيه هرون فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام فولدت امرأته فى ليلة شاتية وكانت ليلة جمعة فألجأه السير الى جانب الطور الغربى الايمن فقدح زنده فلم يوره فبينما هو من أيله اذ أبصر نارا من بعد عن يسار الطريق من جانب الطور قال السدى ظن أنها نار من نيران الرعاة فأتاها فاذا هى شجرة خضراء النار من أعلاها الى أسفلها تتقد بيضاء كأضوء ما يكون فدنا منها فسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فظن أنه نار فأخذ من الحشيش اليابس ليقتبس من لهبها فمالت اليه كأنها تريده فتأخر عنها وهابها ثم لم يكن بأسرع من خمودها كأنها لم تكن فرفع رأسه الى فروعها فاذا خضرتها ساقطة من السماء وكذلك الخضر بعثه أمير الجيش الذى كان فيه يرتاد له ماء وكانوا قد فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منها فعاش الى الآن وهو لا يعرف ما خص الله به شارب ذلك الماء من الحياة وعن مجاهد أن مريم مرت فى طلبها لعيسى بحاكة فطلبت الطريق فأرشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع من كسبهم البركة وأمتهم فقراء وحقرهم فى أعين الناس فاستجيب دعاؤها وقد ورد فى الحديث من سعى فى حاجة أخيه المسلم قضيت له أو لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وبعث الحسن البصرى جماعة من أصحابه فى حاجة لرجل وقال لهم مروا بثابت البنانى فخذوه معكم فاتوا ثابتا فقال أنا معتكف فرجعوا الى الحسن فاخبروه فقال قولوا له يا أعمش أما تعلم أن مشيك فى حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة فرجعوا الى ثابت فأخبروه فترك اعتكافه وذهب معهم (ومن سلك) اى دخل (طريقا) فعيلا من الطرق لان الارجل ونحوها تطرقه والطريق يذكر ويؤنث والجمع اطرق وطرق اه لكن جمعه على أطرق مخصوص بحالة التأنيث كما أن جمعه على أفعلة مخصوص بحالة التذكير وأما جمعه على فعل فهو فى الحالتين والتنوين فيه للشيوع اذ النكرة فى الاثبات تفيد العموم كقوله تعالى علمت نفس ما أحضرت (يلتمس) أى يطلب (فيه) أى فى غايته أو بسببه أو فيه حقيقة لكنه نادر جدا فلا يحمل الحديث عليه (علما) شرعيا باى سبب كان من التعلم والتعليم والتصنيف وقوله علما حصل أو لم يحصل لان الاعمال بالنيات ونكره ليتناول أنواع العلوم الدينية ويندرج فيه القليل والكثير (سهل الله به) أى بذلك السلوك على حذا عدلوا هو أقرب للتقوى أى العدل (طريقا الى الجنة) يحتمل فى الدنيا بأن يوفق للاعمال الصالحة ويحتمل فى الآخرة بأن يجازى على طلب العلم وتحصيله بتسهيل دخول الجنة بحيث لا يرى من مشاق المواقف الشاقة من العقبات والجواز على الصراط ما يراه غيره وذلك بأن يسهل عليه الموقف فى الحشر والجواز على الصراط وهذا أقرب لظاهر الحديث وقد روى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحب أن ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذى نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف الى باب عالم الا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة فى الجنة ويمشى على الارض والارض تستغفر له ويمسى ويصبح مغفورا له (وما اجتمع قوم) هم الرجال فقط أو مع النساء على ما مر فيه من الخلاف ويذكر ويؤنث مثل رهط ونفر قال الله تعالى وكذب به قومك وقال كذبت قوم نوح واستفيد من تنكيره ان كل قوم اجتمعوا لما

للحجة على من كذب وزيادة تخويف للجاحدين فكيف تكون عقول الخلائق اذ عاينوا الملائكة والرسل قد دعاهم الله للحساب والسؤال ثم تقبل الملائكة على الخلائق وتنادى كل انسان باسمه من غير كنية يافلان هلم الينا الى موقف العرض فمن المؤمنين من لا يحاسب كما قال النبى صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من هذه الامة سبعون ألفا بغير حساب وفى رواية مع كل واحد منهم سبعون ألفا وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت سبعين ألفا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربى عز وجل فزادنى مع كل واحد سبعين ألفا قال أبو بكر فرأيت أن ذلك يأتى على اهل القرى ويصيب من حافات البوادى ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا يستره الله عن جميع الخلائق ويكلمه الله ويقرره بذنوبه ويقول سترت عليك فى

ذكر حصل لهم الاجر من غير اشتراط وصف خاص فيهم من علم أو صلاح أو زهد وكره الامام مالك الاجتماع على القراءة والذكر الا أن يكون كل واحد يقرأ لنفسه على انفراده أو يذكر وعليه حمل الحديث وما أشبهه من الاحاديث الدالة على الاجتماع على التلاوة والذكر (فى بيت من بيوت الله) مما بنى لنيل ثوابه ورضاه من نحو مسجد ورباط ومدرسة وقوله من بيوت الله ليس قيدا اذ غيرها كهى لكنه خرج مخرج الغالب اظهارا لشرفها اذ العبادة فيها أفضل من غيرها (يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم) يحتمل أن يكون ذلك جملة واحدة كما هو الواقع فى غالب البلاد ويحتمل أن يقرأ كل واحد منفردا شيأ منه وعلى هذا حمل امامنا مالك الحديث لكراهة الاجتماع على القراءة جملة واحدة وأصل الدراسة التعهد للشئ تدارسوا القرآن أى اقرؤه وتعهدوه وقوله يتلون الخ حال من قوم لتخصيصه (الا نزلت عليهم السكينة) فعيلة من السكون والمراد بها هنا الوقار والطمأنينة وكل ما يطمئن القلب به ويسكن وأيضا اسم ملك ينزل لتسكين الرعب والخوف اذ بذكره تعالى تطمئن القلوب لاضد الحركة وقيل هى الرحمة واختاره القاضى عياض وفيه نظر لعطف الرحمة عليه المقتضى للمغايرة وأما السكينة فى قوله تعالى فيه سكينة من ربكم وبقية فقال ابن عطية قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انها ريح هفافة لها وجه كوجه الانسان وروى أنه قال ريح خجوج سريعة المرور والخجوج كما قال الجوهرى هى التى تلتوى فى صوبها وقال مجاهد السكينة شئ يشبه الهرة لها رأس كرأس الهرة وجناحان وذنب وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وقال وهب بن منبه عن بعض علماء بنى اسرائيل انها رأس هرة ميتة كانت اذا صرخت فى التابوت بصراخ الهر أيقنوا بالنصر وقيل صورة هرة مع بنى اسرائيل اذا ظهرت انهزمت أعداؤهم وقال ابن عباس والسدى انها طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقيل انها روح من الله تتكلم اذا اختلفوا فى شئ اخبرتهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن أبى رباح هى ما يعرفون من الآيات فيسكنون اليها وقال النووى هى شئ من خلق الله تعالى فيه طمأنينة ورحمة وقال السيوطى انها اسم ملك مخصوص وقيل هى شئ كان يلقى موسى فيه الالواح والعصا وقيل غير ذلك (وغشيتهم الرحمة) أى علتهم وسترتهم وشملتهم وغطتهم من كل جهة (وحفتهم الملائكة) أى أحدقت وطافت بهم ورفرفت عليهم وأحاطت بهم ملائكة الرحمة المنزلة لاستماع الذكر تعظيما له واكراما للذاكرين على غاية من القرب والملاصقة بهم بحيث لم يدعوا للشيطان فرجة يتوصل منها اليهم ومنه حافة الطريق أى جانبه وقوله تعالى حافين من حول العرش أى مطيفين به وأما قوله كان بى حفيا أى لطيفا وقيل بارا (وذكرهم الله) أى أثنى عليهم أو أثابهم كما يقول الانسان لاخيه اذكرنى فى كتابك أو أثابهم كما قيل به فى تفسير قوله تعالى فاذكرونى أذكركم أى اذكرونى بالطاعة أذكركم بالجزاء عليها والمتبادر الى الذهن الاول (فيمن عنده) من الانبياء والملائكة الكروبيين والروحانيين مباهاة بهم لقوله تعالى فى الحديث القدسى من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه فالعندية هنا عندية شرف ومكانة لا عندية مكان لاستحالتها عليه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد اجتمع مالك بن دينار بالبهلول فقال أخبرنى عن الاولياء فقال له البهلول هم الذى لا يلفظون بغير ذكر الله لفظة ولا ينظرون لغيره نظرة (ومن أبطأ) من البطء نقيض السرعة أى من قصر (به عمله) يعنى من أخره عمله السئ أو تفريطه فى العمل الصالح (لم يسرع به نسبه) أى لم ينفعه شرف نسبه ولم يجبر نقصه به فلا يلحقه برتب أصحاب

الدنيا وأنا أغفرلك اليوم ومن عصاة المسلمين من يشدد عليه الحساب حتى يستوجب العذاب فيشفع فيه من اذن الله له من الانبيا والاولياء قال صلى الله عليه وسلم لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر * وروى ان من المؤمنين من يشفع فى رجل واحد ومنهم من يشفع فى رجلين ومنهم من يشفع فى قبيلة على قدر درجاتهم ومن العصاة من لا يشفع فيه أحد فيأمر به الى النار وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ثم ان الله تعالى مع علمه باعمال العباد يظهر العدل ويقيم الحجة فينصب الموازين لوزن الاعمال كما قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الآية ويؤتى بالصحف التى كتبتها الملائكة على العباد فيخلق الله تعالى فيها ثقلا وخفة على قدر الاعمال ويؤتى

الاعمال الكاملة لان المسارعة الى السعادة انما هى بالاعمال لا بالانساب لقوله عز وجل ان أكرمكم عند الله أتقاكم فاخبر تعالى أن الفضل عنده بالتقى دون النسب وقوله صلى الله عليه وسلم ائتونى باعمالكم لا بانسابكم وأنشد الحريرى

وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

فان قيل قوله تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ يدل على أن شرف النسب ينفع فان المفسرين فسروه بأن ذريات المؤمنين صغارا كانوا أو كبارا يلحقون بآبائهم فى المراتب من غير أن ينقص من مراتبهم شئ وفى الحديث أن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه اه ويؤخذ منه أن الاب اذا كان دون ولده فى الدرجة أنه يرفع فى درجة ولده للعلة المذكورة فما وجه التوفيق بين هذا وما فى الحديث هنا فالجواب أن المذكور فى الآية الشريفة يكون فى الجنة والحديث محمول على الصراط وفى لفظ الابطاء والاسراع اشارة اليه ويؤيده ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يكون رجل هو آخر من يجوز على الصراط فيلتفت فلا يرى وراءه أحدا يقول يارب أبطأت بى فيناديه يا عبدى عملك أو ان ما فى الحديث هنا محمول على شرف النسب من جهة الدنيا (رواه مسلم بهذا اللفظ) وهو حديث جليل جامع لكثير من الفوائد

(الحديث السابع والثلاثون)

(عن ابن عباس) رضى الله عنهما (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه) ظاهره أنه من الاحاديث القدسية المنسوبة الى كلام الله عز وجل نحو أنا عند ظن عبدى بى ويحتمل أن المراد فيما يحكيه عن فضل ربه أو حكمه أو نحو ذلك (تبارك) تفاعل فعل ماض لا يتصرف ولا يجئ منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مصدر ومعناه تعاظم وتقدس وهو جامع لانواع الخير ومخصوص بالبارى كسبحان (وتعالى) أى تنزه عما لا يليق بعلى كماله الاقدس (قال ان الله) تعالى (كتب) من الكتابة وهى تنقيش ما فى الذهن من العلوم بالخط بواسطة تركيب الحروف (الحسنات) أى ما يتعلق به الثواب (والسيئات) أى ما يستحق فاعله العقاب والمراد أمر الحفظة بكتابتهما أو قدرهما فى علمه على وفق الواقع ثم بين ذلك المكتتب والضمير فى قوله بين راجع الى الله تعالى ان قلنا انه من الاحاديث القدسية أى بين مقدارهما للكرام الكاتبين من التضعيف فى الحسنات من عشرة أو سبعين أو سبعمائة أو غير ذلك والتخفيف فى السيئات أولنا فى التنزيل أو الى النبى صلى الله عليه وسلم على الاحتمال الثانى أى فصل ذلك الذى أجمله فى قوله كتب الحسنات والسيئات بقوله (فمن هم بحسنة) أى قصد فعلها لان الهم قصد الفعل والفاء تفصيلية لان ما ذكره مجمل لا يفهم منه كيفية الكتابة (فلم يعملها) بجوارحه وهو بفتح الميم (كتبها الله عنده) هذه عندية شرف ومكانة لتنزهه تعالى عن عندية المكان وفى هذا رد لمقالة من زعم ان الحفظة انما تكتب ما ظهر من أعمال العباد وسمع من أقوالهم واحتجوا بما روى عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها قالت لان أذكر الله فى قلبى مرة أحب الى من أن اذكره بلسانى سبعين مرة وذلك لان ما لا يكتبها و بشر لا يسمعها واطلاع الملكين الموكلين بالعبد على الهم اما بكشف عن القلب وما يحدث فيه كما يقع لبعض الاولياء واما باعلام الله اياهما بذلك ويؤيده ما وقع فى حديث ابن عمر فينادى الملك اكتب لفلان كذا وكذا فيقول يارب انه لم يعمل فيقول انه نواه واما بريح تظهر لهما من القلب فريح الحسنة طيبة وريح السيئة خبيثة تمتاز

بكل انسان فتوضع صحيفة حسناته فى كفة وصحيفة سيآته فى كفة حتى يتبين له ولغيره رجحانها ونقصانها وتتطاير الصحف فيعطى كل عبد كتابا فيه جميع أعماله يقرأه من كان يكتب ومن كان لا يكتب وقد قيل فى معنى ذلك

تفكر يوم تأتى الله فردا
وقد نصبت موازين القضاء
وهتكت الستور عن المعاصى
وجاء الذنب مكشوف الغطاء

ثم يتعلق المظلومون بالظالمين هذا يقول قتلنى وهذا يقول ضربنى وهذا يقول شتمنى وسبنى أو اغتابنى أو استهزأبى وهذا يقول أخذ مالى وغشنى فى معاملة أو بخسنى فى وزن أو كيل او شهد على تزورا ونظر الى نظر كبر أو احتقار فتفرق حسنات الظالم على المظلومين فاذا لم يبق له حسنة جعل على الظالم من سيآت المظلوم حتى يستوفى كل ذى حق حقه فان الرجل ليأتى بحسنات كثيرة فتأخذها خصومه وتطرح عليه سيآت ما كان عملها فيقول ما هذا فيقول سيآت من

بها (حسنة) لان الهم بالحسنة سبب الى عملها وهى خير وسبب الخير خير فالهم بها خير (كاملة) مفعول ثان باعتبار تضمين الكتابة معنى التصيير أو حال موطئة أى لا نقص فيها وليس المراد بكمالها مضاعفتها الان التضعيف مختص بالعمل ولو مر عليه أزمنة متعددة وهو يحدث نفسه بعمل تلك الحسنة فان الله تعالى يكتب له حسنات بعدد تلك الازمنة (وان هم بها فعملها) بكسر الميم (كتبها الله عنده عشر حسنات) لانه أخرجها من الهم الى ديوان العمل فكتب له بها حسنة ثم ضوعفت فصارت عشرا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهذا اقل ما وعد به من التضعيف وقد تضاعف مضاعفة أخرى (الى سبعمائة ضعف) بكسر الضاد أى مثل وقيل مثلين على حسب ما يكون فيها من خلوص النية وايقاعها فى مواضعها التى هى أولى بها (الى أضعاف كثيرة) بحسب الزيادة فى الاخلاص وصدق العزم وحضور القلب وتعدى النفع كالصدقة الجارية والعلم النافع والسنة الحسنة ونحو ذلك وذكر بعضهم أن اختلاف المضاعفة باختلاف الاعمال فنوع يضاعف بعشرة أمثاله كسبحان الله كما يأتى بيانه ونوع بخمسة عشر كصوم يومين من الشهر لقوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن العاصى صم يومين ولك ما بقى من الشهر ونوع بعشرين ونوع بثلاثين لقوله عليه الصلاة والسلام من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله كتب له ثلاثون حسنة ونوع بخمسين لخبر من قرأ القرآن باعرابه فله بكل حرف خمسون حسنة لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف قال الغزالى وانظر ما المراد باعرابه هل المراد به عدم الخطأ فى الاعراب والاتيان به مجودا أو الاول فقط وعد الحافظ السيوطى فيمن يؤتى أجره مرتين من قرأ القرآن باعرابه قال والمراد باعرابه معرفة معانى ألفاظه وليس المراد به المصطلح عليه فى النحو وهو ما يقابل اللحن لان القراءة مع فقده ليست بقراءة ولا يثاب عليها اه وذكر الثعالبى رحمه الله تعالى تفسير الاعراب فى حديث من قرأ القرآن باعرابه فله بكل حرف الخ نحو ما تقدم عن السيوطى ومن هذا النوع حديث من قرأ القرآن بوضوء فله بكل حرف خمسون حسنة ونوع بخمسمائة لحديث صلاة الرجل فى بيته بصلاة وصلاته فى المسجد الذى يجمع فيه بخمسمائة صلاة ونوع بسبعمائة وهو نفقة الاموال فى سبيل الله قال الله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم وفى صحيح مسلم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال يا رسول الله هذه فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة ونوع بسبعمائة ألف لما رواه ابن ماجه أنه عليه الصلاة والسلام قال من أرسل بنفقة فى سبيل الله وأقام فى بيته فله بكل درهم سبعمائة ومن غزا بنفسه فى سبيل الله وأنفق فى وجهه فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم وذكر الحطاب فى حاشية الرسالة القيروانية أن الصلاة فى جماعة بمائتين وخمسين فان كانت بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبمائتى ألف وخمسين ألفا والله يضاعف لمن يشاء ونوع بألف ألف لقوله عليه الصلاة والسلام من دخل السوق فقال بصوت مرتفع لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة رواه الترمذى من حديث ابن عمر وقد قيل لابى هريرة أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى ليجزى على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فقال سمعته يقول ان الله

ظلمته • وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس اذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه فقيل له مم تضحك يا رسول الله قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى ربى عز وجل فقال احدهما يا رب خذ لى مظلمتى من اخى فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته فقال يا رب ما بقى من حسناتى شئ فقال يا رب فليحمل من أوزارى وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان ذلك اليوم ليوم عظيم يحتاج فيه الناس ان يحمل عنهم من أوزارهم ثم قال الله تعالى للطالب حقه ارفع بصرك فانظر الى الجنان فرفع بصره فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة فقال لمن هذا يا رب فقال لمن أعطانى ثمنه قال ومن يملك ثمن ذلك قال أنت قال بماذا قال بعفوك عن أخيك هذا قال يا رب فانى قد عفوت عنه قال خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة

ليجزى على الحسنة الواحدة ألفى ألف حسنة وقد روى عن ابن عباس أن التضعيف ينتهى لمن يشاء الله الى ألفى ألف قال ابن عطية وليس هذا ثابت الاسناد عنه وقال الشارح الهيتمى ومن الفضل أيضا أن الله تعالى اذا حاسب من له حسنات متفاوتة المقادير جازاه باجر رفعها كلا اله الا الله وحده لا شريك له الخ اذا قيلت فى سوق مع رفع الصوت فان فيها ألفى ألف حسنة ومحو ألفى ألف سيئة مع مناصب فى الجنة لقائلها كما ورد فاذا كانت فى حسنات عبد جوزى على سائر حسناته باجرها كما قال تعالى ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وهذا بحسب مقدار معرفتنا والا ففضله تعالى لا يمكن أحدا ان يحصره انتهى (وان هم بسيئة فلم يعملها) أى تركها امتثالا مع القدرة على فعلها (كتبها الله عنده حسنة كاملة) لانه انما تركها بعد أن هم بها خوفا من الله عز وجل ولذا جاء فى بعض طرق الحديث انما تركها من جراى أى من أجلى وأما لو حال بينه وبينها حائل كان يذهب الى امرأة ليزنى بها فيجد الباب مغلقا ويتعسر عليه فتحه فلا يكتب له حسنة ومثله من تمكن من الزنا فلم ينتشر أو طرقه من يخاف أذاه وحينئذ فان ترك السيئة امتثالا كتب له حسنة والا فلا (وان هم بها وفعلها كتبها الله له سيئة واحدة) قال الله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون وظاهر قوله واحدة أنه لا يكتب عليه الهم معها لكن مفهوم الحديث الذى رواه الشيخان خلافه وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به فقضيته ذلك أنه اذا تكلم بما هم به كالغيبة أو عمله كشرب المسكر انضم الى المؤاخذة بذلك المؤاخذة بالهم واعتمده التقى بن رزين وتناقض فيه كلام السبكى ورجح ولده ما يوافق كلام ابن رزين نعم ان جعل قوله فى حديث النفس ما لم تتكلم أو تعمل به ليس له مفهوم فلا يقال انها اذا تكلمت أو عملت يكتب عليها حديث النفس لانه اذا كان الهم لا يكتب فحديث النفس أولى وافق الحديث الذى هنا الا أن فيه بعدا واستثنى بعضهم الحرم المكى فقال ان السيئة فيه تضاعف وفيه ما فيه واعلم أن ما يقع فى النفس من قصد المعصية له خمس مراتب الاولى الهاجس وهو ما يلقى فيها ولا يؤاخذ به اجماعا لانه ليس من فعل العبد وانما هو وارد لا يستطيع دفعه الثانية الخاطر وهو جريانه فيها وهو مرفوع أيضا الثالثة حديث النفس وهو ما يقع فيها من التردد هل يفعل أم لا وهو مرفوع أيضا لقوله عليه الصلاة والسلام ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به الرابعة الهم وهو قصد الفعل وهو مرفوع أيضا وفى هذه المرتبة تفترق الحسنة والسيئة فان الحسنة تكتب له والسيئة لا تكتب عليه بخلاف الثلاث الاول فانه لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب الخامسة العزم وهو قوة القصد والعزم به قال بعضهم وهو كالاقسام السابقة والمحكى عن المحققين المؤاخذة به وهو الصحيح وممن قال بذلك القاضى أبو بكر قال القاضى عياض فى الاكمال عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين على ما ذهب اليه القاضى أبو بكر اه ويدل للمؤاخذة به حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه ثم ان العزم على الكبيرة وان كان سيئة فهو دون فعل الكبيرة المعزوم عليها وتردد فى ذلك القاضى أبو بكر (رواه البخارى ومسلم بهذه الحروف) وهو حديث عظيم (فانظر) من النظر وهو كما قال الجوهرى تأمل الشئ (يا أخى) نداء استعطاف وشفقة ليكون أدعى الى الامتثال والقبول (وفقنا الله) دعا بالتوفيق لعزته اذلم

والصحيح ان الميزان واحد يوزن به للجميع وانما جمع لكثرة ما يوزن فيه من الاعمال وصفته فى العظم مثل طباق السموات والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله سبحانه وتعالى والصحف يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحائف الحسنات فى صورة حسنة فى كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله سبحانه وتعالى بفضل الله تعالى وتطرح صحائف السيآت فى صورة قبيحة فى كفة الظلمة فتخف بها الميزان كما يريد الله تعالى بعدله وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه انه قال يوضع الميزان يوم القيامة فلو وضعت فيه السموات والارض لوسعها فتقول الملائكة عند رؤيتها يا ربنا ما هذا فيقول الله سبحانه وتعالى هذا أزن به لمن شئت من خلقى فتقول الملائكة عند ذلك سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وقيل سأل داود عليه السلام ربه ان يريه الميزان فأراه كل كفة تملأ ما بين السموات والارض أو ما بين المشرق والمغرب

يذكر فى القرآن الامرة واحدة فى قوله تعالى وما توفيقى الا بالله وأما قوله ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فهو من الموافقة وقوله وفقنا يحتمل أن يريد بالضمير نفسه فقط أو هو وغيره وعلى الاول أتى بنون العظمة لانه يجوز للانسان تعظيم نفسه اذا بلغ درجة التأليف كما نص عليه شراح الرسالة القيروانية وفى الحديث ليس منا من لم يتعاظم بالعلم والعالم اشبه الناس بالجماعة وتقدم المراد به عند قوله ولا يحقره (واياك) بدأ بنفسه لانه يندب للانسان أن يقدم نفسه فى الامور الدينية ومن هذا يعلم أن قول بعض الناس وبدأ بكم بعد قول من قال تقبل الله منكم ونحوه مخالفة للسنة قال أبو الحسن الشاذلى بعد أن ذكر أنه يبدأ بنفسه فى الدعاء ندبا ما نصه هذا فى الدعاء فى الكتاب وأما ان كتب كتابا لغيره وأراد أن يدعو فانه يبدأ بالمكتوب اليه وقيل يبدأ بنفسه وقيل يخير وجاء عن مالك رضى الله عنه أنه قال ان كان المكتوب اليه أكبر من الكاتب بدأ به وان كان الكاتب أكبر بدأ بنفسه وهى فائدة حسنة اه وقوله هذا فى الدعاء فى الكتاب أى فى الكتاب الذى يؤلفه وكذا اذا لفظ بالدعاء بغير كتاب كرب اغفر لى ولوالدى كما فى الآية الشريفة فان قلت يرد على هذا القول من سمع العاطس يرحمك الله فانه يبدأ بنفسه فالجواب عن ذلك من وجهين الاول أنه لما كان وسيلة الى دعاء الآخر له اغتفر ذلك الثانى أن الاول يحمل على من دعا لنفسه ولغيره والثانى على من دعا لغيره وانظر ما المراد بكونه أكبر هل فى السن أو فى النسب أو فى العلم والظاهر أن المراد فى واحد منها وربما يشعر به قوله صلى الله عليه وسلم لا توسع المجالس الا لثلاث لذى علم أو سن أو ذى نسب والظاهر أنه اذا كان مساويا له يخير وذكر فى العقيدة البرهانية أنه يقدم الدعاء للاخوان ايثارا لهم لما ورد فى الحديث أن العبد اذا دعا لاخيه المسلم قال الله تعالى عبدى ولك أبدأ فأى فضيلة يلتمس وراء هذه وهى كونه مبدوأ به فى الاجابة وقد يجمع بأن ذلك بحسب المقام ولكل امرئ ما نوى (الى عظيم لطف الله) قال أهل اللغة اللطف بضم اللام واسكان الطاء واللطف بفتحهما لغتان فيه كما صرح به النووى وهو لغة الرفق وصنوف البر لما فى النهاية يقال لطف به وله اذا رفق واليه أشار من قال هو اجتماع الرفق فى الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها لمن قدرت له ويطلق على الاقدار على الطاعة وهو بهذا المعنى مرادف للتوفيق مفهوما وما صدقا ويطلق اصطلاحا على ما يقع به صلاح العبد آخرة بأن تقع منه الطاعة دون المعصية أى بدل المعصية وعليه فهو مرادف له ما صدقا لا مفهوما وقوله آخرة على وزن درجة ومعناه أنه اذا هم بالمعصية يحصل له اللطف فيوقع بدلها طاعة ولطف بضم الطاء بمعنى صغر ودق (وتأمل هذه الالفاظ) النبوية (وقوله عنده اشارة الى الاعتناء بها) وشرف فاعلها (وقوله كاملة للتوكيد) أى صفة مؤكدة (وشدة الاعتناء بها وقال فى السيئة التى هم بها ثم تركها كتبها الله حسنة كاملة فأكدها بكاملة وان عملها كتبها سيئة واحدة فأكد تقليلها بواحدة) لان مفهوم الواحدة مشعر بالقلة (ولم يؤكدها بكاملة فلله) دون غيره (الحمد) على هذا الفضل العظيم (والمنة) اى النعمة المتقبلة من المن وهو الانعام مطلقا أو على ما يطاب ويطلق على تعداد النعم استكثارا لها وهو غير محمود الا من الله قال الله تعالى قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان لانه بمنه يذكر العبد فيبعثه على الشكر ومن الخلق قبيح مطلقا ولذا قيل المنة تهدم الصدقة كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال بعضهم

وان امرأ أهدى الى صنيعة • وذكرنيها انه لبخيل

وما

فلما رآه غشى عليه من هوله ثم أفاق فقال الهى من ذا الذى يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال الله عز وجل يا داود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها له بتمرة واحدة يا داود أملؤها له بشهادة أن لا اله الا الله وجبريل عليه السلام هو الذى يزن الاعمال يوم القيامة وهو آخذ بعموده ينظر الى لسانه ورجحان الميزان كرجحان ميزان الدنيا وقيل بالعكس وللميزان مرجحات كثيرة منها قول العبد لا اله الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصاح برجل من أمتى على رؤس الخلائق فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فيقول الله تبارك وتعالى أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر أو حسنة فيهاب الرجل فيقول لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فيقول يارب ما هذه

وما احسن قول الزمخشرى طعم الآلاء احلى من المن وهو امر من الآلاء عند المن وارد بالآلاء الاولى النعم وبالثانية الشجر المر وبالمن الاول ما ذكر فى قوله تعالى المن والسلوى وبالثانى تعديد النعم وروى عن على كرم الله وجهه انه سئل عن الحنان المنان فقال الحنان هو الذى يقبل على من اعرض عنه والمنان هو الذى يبدأ بالنوال قبل السؤال (سبحانه) وتعالى وهو مفعول مطلق اى انزهه عن النقائص وهو علم للتسبيح لا يستعمل غالبا الا مضافا (لا نحصى) معشر الخلق (ثناء عليه) موفيا بحق نعمة من نعمه والثناء بتقديم المثلثة والمد والمشهور فى اللغة قصر استعماله فى الخير واستعماله فى الشر مجاز وأما بتقديم النون فلا يستعمل الا فى الشر وذكر صاحب المصباح أنه يستعمل فيهما وهو الصحيح (وبالله التوفيق الى مرضاته

•(الحديث الثامن والثلاثون)•

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال) علم بهذا انه من الاحاديث القدسية ووقع فى حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم حدث به عن جبريل عن الله عز وجل (من عادى) من المعاداة ضد الموالاة والمصادقة والعدو ضد الولى والانثى عدوة وهو من النوادر لان فعولا اذا كان بمعنى فاعل لا تلحقه التاء لاستواء المذكر والمؤنث فيه كصبور وجمعه عدا بضم أوله وكسره وعداة بالضم لا غير وفى رواية من اهان وفى رواية أحمد من آذى أى وأغضب بالقول والفعل (لى) متعلق بقوله (وليا) أى من أجل كونه وليا لله فانه جرى بين الصديق والفاروق خصومة وبين العباس وعلى وكثير من الصحابة ما جرى ولذا قال الكرمانى قوله لى هو فى الاصل صفة لقوله وليا لكنه لما تقدم صار حالا والولى مأخوذ من الولى بسكون اللام وهو القرب والدنو ومنه كل مما يليك وهو فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله بالطاعة والتقوى من غير تخلل عصيان أو بمعنى مفعول لان الله والاه بالحفظ ومزيد الامداد ولم يكله الى نفسه لحظة وضابط الولى انه المواظب على فعل الطاعات واجتناب المنهيات المعرض عن الانهماك فى اللذات فان قلت المعاداة لا تكون الا من جانبين ومن شأن الولى الحلم والصفح عمن يجهل عليه وأجيب بان المعاداة لا تنحصر فى الخصومة والمعاملة الدنيوية بل قد تقع من بغض ينشأ عن التعصب كالرافضى فى بغضه لابى بكر والمبتدع فى بغضه السنى فتقع المعاداة من الجانبين أما من جانب الولى فلله وفى الله وأما من جانب الآخر فلما تقدم وكذا الفاسق المتجاهر يبغضه الولى فى الله ويبغضه الآخر لانكاره عليه وملازمته لنهيه عن شهواته وأيضا المفاعلة قد تأتى للواحد كسافر وعافاه الله قال على بن أبى طالب أولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر عمش العيون من العبر خمص البطون من الجوع يبس الشفاه من الذوى وعن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى قيل يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها فوالله ان وجوههم لتنور وانهم على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويتجه ان ذلك فى الولى الكامل وأما أصل الولاية فتحصل بالشهادتين ولذا قال بعض العارفين اياك ومعاداة أهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة وهم أولياء الله وان أخطأوا وجاؤا بقراب الارض خطايا

البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ ومنها الخلق الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من شئ يوضع فى الميزان يوم القيامة أثقل من الخلق الحسن ومنها قضاء حاجة المسلم قال صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له ومنها قراءة القرآن وتعليم الناس الخير أو مداد العلماء واتباع الجنازة والولد الذى يموت للانسان فيحتسبه والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وكثرة الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصدقة وتخفيف العمل عن الخادم والاضحية وكف التراب اذا ألقاه الانسان فى قبر المسلم عند دفنه واهالة التراب عليه ورجحان الموازين فى الدنيا وأدلة هذه

لا يشركون بالله شيأ فان الله تعالى يتلقاهم بمثلها مغفرة * (تنبيه) * ولى ورد فى القرآن لمعان الاول الولد كقوله تعالى فى سورة مريم فهب لى من لدنك وليا يعنى ولدا الثانى الصاحب من غير قرابة كقوله تعالى فى بنى اسرائيل ولم يكن له ولى من الذل الثالث القريب كقوله تعالى يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ أى لا ينفع الكافر القريب قريبه الكافر الرابع العصبة كما فى قوله فى سورة مريم وانى خفت الموالى من ورائى يعنى العصبة الخامس الولاية فى الدين كقوله تعالى فى المائدة لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض السادس الولى الذى يعتقه كقوله تعالى فى آل عمران لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين (فقد آذنته) بالمد وفتح المعجمة بعدها نون أى أعلمته والايذان الاعلام ونظيره قالوا آذناك أى اعلمناك واذ تأذن ربك أى اعلم فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله (بالحرب) أى اعلمته بانى محارب له واللام فى قوله بالحرب للجنس فينصرف الى أكمله فان قلت المحاربة مفاعلة وهى لا تكون الا من الجانبين مع ان المخلوق فى أسر الخالق فالجواب ان هذا من باب المخاطبة بما يفهم فان الحرب ينشأ عن العداوة والعداوة تنشأ عن المخالفة وغاية الحرب الهلاك والله تعالى لا يغلبه غالب فكان المعنى فقد تعرض لاهلاكى اياه فاطلق الحرب وأراد به لازمه أو أعمل به معاملة المحارب من التجلى عليه بمظاهر القهر والجلال والعدل والانتقام واذا ثبت هذا فى جانب المعاداة ثبت ضده فى جانب الموالاة فمن والى أولياء الله أكرمه الله وفى الحديث القدسى أين المتحابون لجلالى اليوم أظلهم تحت ظلى يوم لا ظل الا ظلى وقوله من عادى لى وليا أى من أجل ولايته وقربه من الله تعالى لا مطلقا فلا تدخل منازعة فى محاكمة أو خصومة راجعة الى استخراج حق أو كشف غامض لجريان نوع ما من الخصومة بين أبى بكر وعمر وبين على والعباس وبين كثير من الصحابة رضى الله تعالى عنهم مع أن الكل أولياء الله (وما تقرب الى) بتشديد الياء (عبدى) بالاضافة للتشريف من التقرب وهو طلب القرب من غير تخلل معصية قال أبو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى قرب العبد من ربه يقع أولا بايمانه ثم باحسانه وقرب الرب من عبده ما يخصه فى الدنيا من عرفانه وفى الآخرة من رضوانه وفيما بين ذلك من وجود لطفه وامتنانه ولا يتم قرب العبد من الحق الا ببعده عن الخلق وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس وباللطف والنصرة خاص بالخواص وبالتأنيس خاص بالاولياء ووقع فى حديث أبى أمامة تحبب بدل تقرب (بشئ) أى عمل (أحب) يجوز فيه الرفع والنصب فالنصب على انه صفة لشئ المجرور نابت فيه الفتحة عن الكسرة لانه لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل والرفع على انه خبر لمبتدا محذوف أى هو أحب (الى مما) موصولة أو موصوفة والعائد محذوف وفيه حذف مضاف أى من أداء ما (افترضته عليه) عينا كان أو كفاية كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج وأداء الحقوق الى أربابها وبر الوالدين والجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والحرف المهمة لان الامر بها جازم فيتضمن أمرين الثواب على فعلها والعقاب على تركها بخلاف النوافل لان الامر بها غير جازم فيثاب على فعلها ولا يعاقب على تركها ولذلك كانت الفرائض أكمل واحب الى الله وأشد تقريبا وروى أن ثواب الفرض يعدل ثواب النفل بسبعين درجة وبالجملة فالفرض كالأس والنفل كالبناء على ذلك الأس (ومايزال) بلفظ المضارع وفى رواية بلفظ الماضى (عبدى يتقرب الى) أى يداوم على التقرب الى زيادة على ما افترضته عليه (بالنوافل) الزائدة على الفرائض أى تطوعات من سائر أصناف العبادات من صلاة فى الليل أو فى النهار ولا سيما المؤكدات وصدقة أو حج تطوع أو اصلاح بين الناس أو جبر خاطر بينهم

الامور فى السنة الغراء كثيرة شهيرة * (نكتة) * عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنصب الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصيام فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية أنهم لو كانوا فى الدنيا تقرض أجسامهم بالمقاريض لما يرون لاهل البلاء من الفضل وذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب واذا وقع السؤال ونصبت موازين الاعمال وتطايرت الكتب عن اليمين والشمال وضع الصراط على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر ويؤمر الناس بالجواز عليه فاول من

أو اعانة مسلم أو تيسير على معسر أو نحو ذلك ولفظ الطبرانى ولا يزال عبدى يتحبب الى وفى رواية له لا يزال عبدى يتنفل الى (حتى أحبه) بضم الهمزة وفتح الباء الموحدة ويجوز فى حتى وجهان أحدهما ان تكون بمعنى الى والثانى ان تكون بمعنى كى التى للتعليل (فاذا أحببته) بتقربه الى باداء الفرائض وكثرة النوافل حتى امتلأ قلبه من معرفتى وأشرقت عليه أنوار ولايتى (كنت سمعه) السمع قوة ونبت فى العصب المفروش على سطح باطن الصماخ حتى يدرك بها صورة ما يأتى اليه بتموج الهواء (الذى يسمع به وبصره) البصر هو قوة رتبت فى العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان متفرقتين الى العينين يدرك صورة ما ينطبع فى الرطوبة الجليدية من أشباح الاجسام المتكونة (الذى يبصر) بضم أوله (به ويده التى يبطش) بفتح أوله وكسر ثالثه أو ضمه والكسر أشهر (بها ورجله التى يمشى بها) زاد عبد الواحد عن عروة عن عائشة عن أحمد والبيهقى فى الزهد وفؤاده الذى يعقل به ولسانه الذى يتكلم به فان قلت كيف يكون البارئ جل وعلا سمع العبد وبصره الخ فالجواب من أوجه أحدها على حذف مضاف أى كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره فلا ينظر الا ما يحل ابصاره وحافظ يده فلا يبطش بها فيما لا يحل وحافظ رجله فلا يمشى بها الا فيما يحل المشى اليه اما ايجابا أو ندبا أو اباحة وهذا هو المعتمد ثانيها قال الفاكهانى يحتمل معنى آخر أدق من الذى قبله وهو أن يكون معنى سمعه مسموعه لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل أنت رجائى بمعنى مرجوى وفلان أملى بمعنى مأمولى والمعنى لا يسمع الا ذكرى ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابى ولا يأنس الا بمناجاتى ولا ينظر الا فى عجائب ملكوتى ولا يمد يده الا لما فيه رضائى ومحبتى ولا يمشى برجله الا لذلك ثالثها كنت له فى النصرة كسمعه وبصره ورجله ويده فى المعاونة رابعها قال أبو عثمان الحربى أحد أئمة الطريق معناه كنت أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الاسماع وعينه فى النظر ويده فى اللمس ورجله فى المشى خامسها أنه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره فى ايثاره أمرى فهو يحب طاعتى ويؤثر خدمتى كما يحب هذه الجوارح سادسها أن المعنى أجعل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره الى آخره سابعها قد يكون عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعاء والنجح فى الطلب وذلك ان مسائل الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وحمله بعض متأخرى الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو وانه الغاية التى لا شئ وراءها وهو أن يكون قائما باقامة الله تعالى له محبا لمحبته له ناظرا بنظره له من غير أن يبقى معه بقية تناط باسم أو تقف على رسم أو تتعلق بأمر أو توصف بوصف والتحقيق أنه مجاز وكناية عن نصرة الله لعبده المتقرب اليه بما ذكر وتأييده واعانته وتوليته فى جميع أموره حتى كأنه تعالى نزل نفسه من عبده منزلة الآلات والجوارح التى يستعين بها ولهذا جاء فى رواية أخرى فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى أى أنا الذى أقدرته على هذه الافعال وخلقتها فيه فانا الفاعل لذلك لا أنه يخلق أفعال نفسه خلافا للمعتزلة وزعم الاتحادية والحلولية أن الحديث على حقيقته وان الحق عين العبد أو حال فيه فهو ضلال مكفر اجماعا ويرد حملهم قوله فى بقية الحديث ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه (ولئن) بلام القسم (سألنى) شيأ من أمور الدنيا والآخرة فحذف المفعول للتعميم وكذا فيما بعده (لاعطينه) ما سأل وقد كان العلاء بن الحضرمى فى سرية فعطشوا فصلى وقال اللهم يا عليم يا حليم يا على يا عظيم انا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك فاسقنا غيثا نشرب منه ونتوضأ ولا تجعل لاحد فيه نصيبا غيرنا فساروا قليلا فوجدوا نهرا من ماء السماء يتدفق فشربوا وملؤا أوعيتهم ثم

يجوز عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيمر عليه أولهم كالبرق الخاطف ثم كالريح ثم كالطير ثم كالخيل ثم عدوا ثم مشيا ومن الناس من يزحف زحفا ومن الناس من يسحب سحبا فمنهم من يسلم ومنهم من يزل فيقع فى جهنم ومنهم من تخطفه كلاليب فتلقيه فى النار ويسمع للواقعين فى النار جلبة عظيمة وصياح شديد يدهش العقول والملائكة والانبياء كلهم يقولون اللهم سلم سلم ولا ينطق حينئذ الا الرسل وقد قيل فى المعنى

اذا مد الصراط على جحيم
تصول على العصاة وتستطيل
فقوم فى الجحيم لهم ثبور
وقوم فى الجنان لهم مقيل
وبان الحق وانكشف المغطى
وطال الويل واتصل العويل

فاذا وقع الذين وجب عليهم العذاب فى النار وجاز الفائزون الناجون كلهم وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم

ساروا فرجع بعض أصحابه الى موضع النهر فلم ير شيأ وكانه لم يكن فى موضعه ماء قط وخرج قوم غزاة فى سبيل الله تعالى وكان لبعضهم حمار فمات الحمار وارتحل الناس فقام صاحبه وتوضأ وصلى وقال اللهم انى خرجت مجاهدا فى سبيلك وابتغاء مرضاتك وأشهد أنك تحيى وتميت وتبعث من فى القبور فأحى لى حمارى فقام الى الحمار وضربه فقام الحمار ينفض أذنيه فركبه ولحق أصحابه ثم باع الحمار بعد ذلك بالكوفة فان قلت جماعة من العباد والصلحاء دعوا وبالغوا فلم يجابوا فالجواب أن الاجابة تتنوع فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور وتارة يتأخر لحكمة فيه وتارة تقع الاجابة بغير المطلوب حيث لا يكون فى المطلوب مصلحة ناجزة وفى الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها (ولئن استعاذنى) بالنون بعد الذال المعجمة وفى رواية بالباء الموحدة والاول أشهر واستعاذ بمعنى اعتصم واستجار (لاعيذنه) مما يخاف واللام موطئة للقسم ودخل قوم على الحسن البصرى فشكوا الشيطان فقال خرج من عندى الساعة وشكى منكم وقال قل لهم يتركون لى دنياى أترك لهم دينهم وقد ورد أن الشيطان يغوص فى باطن الانسان ويضع رأسه على حبة قلبه ويلقى اليه الوسوسة ويدل لذلك ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا عليه مجاريه بالجوع وقال عليه الصلاة والسلام لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السموات والارض واختلف العلماء فى الجن هل لهم اطلاع على بواطن البشر ونفوذ فيها فالمشهور أن لهم ذلك وأنكر أكثر المعتزلة ذلك قال شرف الدين المرسى رحمه الله اعلم ان الذى يستعيذ العبد لاجله يجرى مجرى ما لا نهاية له أولها الجهل ثانيها الفسق وثالثها المخالفات والآفات والمكروهات وفى الحديث ما منكم أحد الا وله شيطان قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان الله تعالى أعاننى عليه فأسلم بفتح الميم وفى رواية بضمها فالاول من الاسلام والثانى من السلامة أى أسلم من كيده وعن معقل بن يسار عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة وروت خولة بنت حكيم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات لم يضره شئ حتى يرتحل من ذلك المنزل وقد ذكر القرطبى فى تفسير قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية أنه حكى عن بعض السلف أنه قال لتلميذه ما تصنع بالشيطان اذا سول لك الخطايا قال أجاهده قال فان عاد قال أجاهده قال هذا يطول ولكن أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع قال أكابده وأرد عليه جهدى قال هذا يطول عليك ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك والمستعاذ منه الشيطان وأعوانه والنفس والهوى والدنيا واقتصر فى الاستعاذة على الشيطان لان هذه الاشياء كلها من جنوده وأشياعه وأتباعه يصرفها فى اغوائه ووسوسته ومما قيل فى الاولياء

لى سادة من عزهم * أقدامهم فوق الجباه

ان لم أكن منهم فلى * فى ذكرهم عز وجاه

(رواه الامام البخارى) وهو أصل فى السلوك الى الله تعالى والوصول الى معرفته ومحبته وطريقته

(الحديث التاسع والثلاثون)

على نهاية ما هم فيه من العطش وما عاينوه من الاهوال ثم يذهب المؤمنون على الجنة فأول من يدخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم يدخل الذين لا حساب عليهم من هذه الامة من الباب الايمن قال بعض الحكماء اذا سيق أهل الجنة الى الجنة قال الله تعالى يا رضوان لا تنزلهم أنت فى الجنان ولا تدعهم ينزلون بأنفسهم فانهم لو نزلوا بأنفسهم نزلوا كما تنزل الغرباء واذا أنزلتهم أنت نزلوا كما تنزل العبيد فلا تدعهم ينزلون نزلة الغرباء ولا تنزلهم أنت منزلة العبيد بل دعهم لا أنزلهم أنا فى مكان أقرهم كما تنزل الارباب ليعلموا كرامتهم على فاذا أتوا باب الجنة تسلم عليهم الملائكة كما قال الله تعالى سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وجاء أن أهل الجنة على قامة آدم عليه السلام ستين ذراعا على سن عيسى بن مريم عليه السلام ثلاث وثلاثين سنة على

(عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تجاوز) اى عفا وسامح وصفح وفى رواية عفا لامتى عن الخطأ هنا عن بمعنى فعل (لى) اى لاجلى (عن أمتى) أى أمة الاجابة (الخطأ) هذا يرجع الى قوله تعالى وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به والخطأ بفتحتين مهموز مقصور المراد به ضد العمد وهو أن يقصد شيأ فيخالف غير ما قصد لا ضد الصواب خلافا لزاعمه لان تعمد الاثم يسمى خطأ بالمعنى الثانى ولا تمكن ارادته وقد يمد وقرئ بهما قوله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ويطلق على الذنب أيضا قال أبو عبيدة خطئ من باب علم وأخطأ بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد وقال غيره خطأ فى الدين وأخطأ فى كل شئ عامدا أو غير عامد وقال الاموى الخاطئ من فعل ما لا ينبغى والمخطئ من أراد الصواب فصار الى غيره وفى الحديث لا يحتكر الا خاطئ وفى رواية ان الله تجاوز لامتى عن الخطأ وهى أظهر ووجه الاولى أن تجاوز ضمن معنى ترك أى ترك لى عن أمتى الخطأ وقوله تجاوز لامتى الخ أى عن الاثم فقط فى الخطأ والخطأ يمد ويقصر وقرئ بهما فى قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ الا ان حكمه من الضمان لا يرتفع اذ الخطأ والعمد فى أموال الناس سواء واما عن النسيان والاكراه فتارة عن الاثم فقط لان من حلف لا أفعل كذا ففعله ناسيا يحنث وكذا لو أكره على فعله حيث كانت الصيغة صيغة حنث وتارة عن الاثم والحكم معا كمن أكره على الطلاق والعتق لقوله عليه الصلاة والسلام لا طلاق فى اغلاق اى اكراه وكذا على فعل المحلوف عليه حيث كانت الصيغة صيغة بر (والنسيان) بكسر النون وهو ترك التفكر بلا قصد بعد حصول العلم فان قلت اذا كان الخطأ والنسيان مجاوزا عنهما لهذه الامة فما الحكمة فى الامر بالدعاء فى قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فالجواب الامر للاستدامة وقد يطلق على الترك ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم ولا تنسوا الفضل بينكم ويطلق على التأخير كقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها أى نؤخرها واختلف فى الخطأ والنسيان المذكورين فى قوله تعالى ان نسينا أو أخطأنا قيل النسيان بمعنى الترك أى تركنا شيأ من طاعتك وقيل الذهول والخطأ عن المتعمد وقال ابن زيد المعنى ان نسينا المأمور أو أخطأنا فى المنهى وقال عطاء جهلنا وتعمدنا والمراد هنا الاول قال فى المصباح ونسيت الشئ أنساه نسيانا مشترك بين معنيين أحدهما ترك الشئ على ذهول وغفلة وذلك خلاف الذكر والثانى الترك على تعمد وعليه ولا تنسوا الفضل بينكم أى لا تقصدوا الترك والاهمال ويتعدى الى ثان بالهمز والتضعيف ونسيت ركعة أهملتها ذهولا ورجل نسيان وزان سكران والفرق بين النسيان والسهو أن النسيان زوال عن الحافظة والمدركة لانه جهل بعد العلم والسهو زوال عن الحافظة فقط والفرق بين السهو والخطأ أن السهو ما يتنبه صاحبه بأدنى تنبيه والخطأ ما لا يتنبه به ويقال المأتى به ان كان على جهة ما ينبغى فهو الصواب وان كان لا على ما ينبغى نظر فان كان مع قصد من الآتى به يسمى الغلط وان كان من غير قصد منه فان كان يتنبه بأيسر تنبيه فهو السهو والا فهو الخطأ والنسيان حالة تعترى الانسان من غير اختياره توجب غفلته عن الحفظ والغفلة ترك الالتفات بسبب أمر عارض وقيل الغفلة تكون عما لا يكون والسهو يكون عما يكون تقول غفلت عن هذا الشئ حتى كان ولا تقول سهوت عنه حتى كان وفرق آخر وهو أن الغفلة تكون عن فعل الغير تقول كنت غافلا عما كان من فلان ولا يجوز أن يسها عن فعل الغير (وما استكرهوا عليه) أى من صدر منه الاكراه فلا يكفر من أكره على الردة ولا يصح اعتاقه ولا طلاقه ولا شئ من تصرفاته وهو مذهب مالك والشافعى وأحمد خلافا لابى

حسن يوسف عليه السلام على نغمة داود عليه السلام على خلق محمد عليه الصلاة والسلام وعليهم أجمعين * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سكن أهل الجنة فى الجنة بعث الله الروح الامين يقول يا أهل الجنة ان ربكم يقرئكم السلام ويأمركم أن تزوروا ربكم على فناء الجنة التى ترابها المسك وحصباؤها الياقوت والدر وشجرها الذهب وورقها الزمرذ فيخرجون ثم يأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بذكر الزبور ثم توضع مائدة الخلد أوسع ما بين المشرق والمغرب فيقول الله تعالى أطعموا أوليائى ويلقى عليهم شهوة سبعين طعاما فيأكلون ثم يقول الله تعالى فكهوهم فيتفكهون بما لم يخطر على بالهم ثم يقول اسقوا أوليائى فيؤتون بالرحيق المختوم فيشربون ثم يقول اكسوهم فترفع شجرة ورقها الحلل فيكسى كل واحد منهم سبعمائة حلة لا يشبه بعضها

حنيفة فى الطلاق والحديث مخصوص بما اذا لم يكن بمحرم فان أكره بالقتل يجب القصاص على المكره بالكسر والمكره بالفتح أو بالزنا وغير ذلك وتجب العقوبة من أكرهته على كذا اذا حملته عليه قهرا والكره بالضم المشقة يقال قمت على كره بالضم أى على مشقة وبالفتح الاكراه يقال أقامنى فلان على كره بالفتح اذا أكرهك عليه وقال الكسائى هما لغتان ومفهوم هذا الخبران الخطأ والنسيان والاكراه كان يؤاخذ بها أولا اذ لا تمتنع المؤاخذة بها عقلا فان الذنوب كالسموم فكما أن تناولها يؤدى الى الهلاك وان كان خطأ فتناول الذنوب لا يبعد أن يفضى الى العقاب وان لم تكن عزيمة لكنه تعالى وعدنا التجاوز عنه رحمة وفضلا ومن ثم أمر الانسان بالدعاء به استدامة واعتدادا بالنعمة (حديث حسن رواه محمد بن ماجه و) أبو بكر (البيهقى وغيرهما) * (فائدة) * لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله شق ذلك على الصحابة رضى الله عنهم فجاء جماعة منهم للنبى صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا من العمل ما لا نطيق ان أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت فى قلبه وان له الدنيا فقال لهم صلى الله عليه وسلم فلعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا فلما زلفت بها ألسنتهم واطمأنت اليها نفوسهم أنزل الله تعالى آمن الرسول الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق بالكسب دون العزم كذا فى أكثر التفاسير وفى بعضها أنها نسخت هذه وأكثر المحققين من أهل الاصول على أن النسخ يكون فى الاحكام دون الاخبار وهذا خبر

(الحديث الاربعون)

(عن ابن عمر) رضى الله عنه (قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى) بفتح الميم وكسر الكاف مجمع العضد والكتف روى بالتثنية والافراد وفيه مس المعلم بعض أعضاء المتعلم عند التعليم أو الموعوظ عند الوعظ ليعى ما يقال له فيكون أبعد لنسيانه وهذا كقول عبد الله بن مسعود علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد كفى بين كفيه وقد يضمه اليه كما فعل جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم حين قال له اقرأ وذلك لاحضار القلب والتنبيه والتذكير اذ محال عادة أن ينسى من فعل معه ذلك ويقال له معه وهذا لا يفعل فى الغالب الا مع من يميل اليه الفاعل ففيه دليل على محبته عليه السلام لهما (فقال كن فى) مدة اقامتك فى (الدنيا كأنك غريب) فى محل نصب خبر كن أى كن فى الدنيا مشبها بالغريب الذى قاسى الذل والمسكنة فى غربته وعلق قلبه بالرجوع الى وطنه أى لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تتعلق بها الا بما يتعلق الغريب فى غير وطنه (أو عابر سبيل) أى طريق معطوف على غريب عطف خاص على عام وأو فيه بمعنى بل كما ذكره الجوهرى وفيها معنى الترقى والمعنى كن فى الدنيا كغريب بل عابر سبيل أى لا تركن الى الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها الا بما يتعلق به الغريب فى غير وطنه فهو حث على احتقار الدنيا والفراغ عنها والزهد فيها ولا يأخذ منها الا مقدار الضرورة المعينة على الآخرة فان الغريب منكمش متوحش لا يجد من يعرفه فينبسط اليه ويأنس به ولا مقصد له الا الخروج من غربته الى وطنه وموضع اقامته لا يبالى أن يرى على خلاف عادته فى ملبوسه ونحو ذلك ولا يحسد ولا يعادى ولا يحقد ولا ينافس أحدا فى مجلس ولا غيره لقلة اقامته وكذلك عابر السبيل أى المار فى الطريق وهو المسافر اذ ليس له أرب الا فيما يعينه على سفره وقفوله الى بلده واجتماعه بأهله فلا يتخذ فى بعض المراحل دارا ولا مسكنا ولا بستانا ولا

بعضا ثم ينادى يا أولياء الله هل بقى مما وعدكم ربكم شئ فيقولون لا الا النظر الى وجه الله تعالى فيتجلى لهم الرب سبحانه وتعالى فيخرون له سجدا فيقول الله تعالى ارفعوا رؤسكم فانها ليست بدار العمل انما هى دار الثواب فينظرون الى الله تعالى ويقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك فيقول الله تعالى أسكنتكم دارى ومكنتكم من وجهى فيأذن الله للجنة أن تكلمى فتقول طوبى لمن سكننى وطوبى لمن خلد فى فذلك قوله تعالى طوبى لهم وحسن مآب ثم يقال لهم تمنوا فيقولون نتمنى رضاك * وقال أبو محمد الهروى اذا كان يوم القيامة ودخل أهل الجنة الجنة فيوم السبت الأولاد يزورون الآباء ويوم الاحد الآباء يزورون الاولاد ويوم الاثنين تزور التلامذة العلماء ويوم الثلاثاء تزور العلماء التلامذة ويوم الاربعاء تزور الامم الانبياء ويوم الخميس

حماما ونحو ذلك لعلمه بقلة اقامته فى سفره وانه لو أمكنه الطيران لطار فهو لا يعرج على غير ما يكون سببا لرحيله ومعينا على سفره ووصوله الى وطنه وأيضا فالانسان انما وجد ليمتحن بالطاعة والمعصية ليكون مثابا أو معاقبا بدليل انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا قال ابن بطال ولما كان الغريب قليل الانبساط الى الناس بل هو متوحش منهم اذ لا يكاد يمر بمن يعرفه ويستأنس به فهو ذليل فى نفسه خائف وكذلك عابر السبيل لا ينفذ فى سفره الا بقوته عليه وتخفيفه من الاثقال غير متشبث بما يمنعه من سفره معه زاده وراحلته يبلغانه الى بغيته من قصده شبه بهما وفى ذلك اشارة الى ايثار الزهد فى الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف وكما لا يحتاج المسافر الى أكثر مما يبلغه الى غاية سفره فكذلك لا يحتاج المؤمن فى الدنيا الى أكثر مما يبلغه الى المحل اه وحينئذ فهو كعبد أرسله سيده فى حاجة الى غير بلده فشأنه ان يبادر بفعل ما أرسله سيده فيه ثم يعود الى وطنه ولا يتعلق بشئ غير ما هو فيه ودخل رجل على أبى ذر رضى الله تعالى عنه فقال يا أبا ذر أين متاعكم فقال ان لنا بيتا نوجه اليه متاعنا فقال لا بد لك من متاع ما دمت ههنا قال تعلم أن صاحب المنزل لا يدعنا فيه وقال الحسن رضى الله عنه المؤمن فى الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس فى غيرها ولهذا أوصى النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه ان يكون بلاغهم من الدنيا كزاد الراكب وقيل لمحمد بن واسع كيف أصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل الى الآخرة كل يوم مرحلة وقال داود الطائى انما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة يعنى حتى ينتهى ذلك بهم الى آخر سفرهم فان استطعت أن تقدم كل يوم زادا لما بين يديك فافعل واقض ما أنت قاض من أمورك فكأنك بالرحيل وقد بغتك فكيف يركن الى الدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره كما قيل

وما هذه الايام الا مراحل * نمر وتطوى والمسافر قاعد

وقيل

نسير الى الآجال فى كل لحظة * وأيامنا تطوى وهن مراحل

ولم أر مثل الموت حقا كأنه * اذا ما تخطته الامانى باطل

وقال الشبلى من ركن الى الدنيا أحرقته بنارها فصار رمادا تذروه الرياح ومن ركن الى الآخرة أحرقه بنورها فصار ذهبا أحمر ينتفع به ومن ركن الى الله أحرقه بنور التوحيد فصار جوهرا لا قيمة له وروى ابن أبى الدنيا والبيهقى من حديث عائشة أنه عليه الصلاة والسلام قال الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وقال عليه الصلاة والسلام مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله الى آخره فبقى معلقا بخيط فى آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع رواه أبو نعيم والبيهقى من حديث أنس رضى الله عنه وأنشد بعضهم

أيا من له فى باطن الارض حفرة * أتأنس بالدنيا وأنت غريب

وما الدهر الا كر يوم وليلة * وما الموت الا نازل وقريب

وأنشد آخر

الموت فى كل حين ينشر الكفنا * ونحن فى غفلة عما يراد بنا

لا تطمئن الى الدنيا وزينتها * ولو توشحت من أثوابها الحسنا

اين الاحبة والجيران ما فعلوا * اين الذين هم كانوا لنا سكنا

سقاهم الموت كاسا غير صافية * فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه من جمع ستة خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا يعنى لم يترك الجهد فى طلب الجنة والهرب من النار عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف

تزور الانبياء الامم ويوم الجمعة تزور الخلائق الرب جل جلاله سبحانه وتعالى فذلك قوله تعالى ولدينا مزيد فاذا استقر أهل الجنة فى الجنة بقيت آمالهم متعلقة بنجاة العصاة من المسلمين الذين دخلوا النار فيطلب الصالحون الشفاعة لهم من الرسل وقد وردت الاخبار المسندة الصحيحة أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم يستأذن ويسجد بين يدى الله عز وجل فيقول الله تعالى ارفع رأسك وسل تعط وقل يسمع لك واشفع تشفع فيقوم فيشفع ويقول يا رب ائذن لى فى كل من قال لا اله الا الله فيقول الله تعالى وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال لا اله الا الله وقد ورد فى الصحيحين البخارى ومسلم ان العصاة من المسلمين يموتون فى النار ويحمل على أنهم يعذبون بقدر ذنوبهم فيكون غاية عذابهم فاذا وقعت الشفاعة أحياهم الله تعالى وقد جاء فى آخر من يخرج

الآخرة فطلبها وقال أيضا ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل وعن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها لا يراها أحد الا كرهها فتشرف على الخلائق فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفتها فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وروى فى خبر أنه يؤمر بها فتلقى فى النار فتقول يارب أين اتباعى وأصحابى فيلحقون بها (وكان) عبد الله (ابن عمر يقول) فى بعض وصاياه (اذا أمسيت) أى دخلت فى وقت المساء (فلا تنتظر) بعمل من اعمال البر (الصباح) وهو أول ما يبدو من النهار (واذا أصبحت) دخلت فى وقت الصباح (فلا تنتظر) بعمل من أعمال البر (المساء) لانه ربما يكون تأخيرها سببا لفواتها وعدم استدراكها وقدم المساء على الصباح لان فى المساء النوم الذى هو أحد الوفاتين لقوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل فالتراخى فيه اكثر والمراد اذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالبقاء الى الصباح واذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالبقاء الى المساء وانتظر الموت فى كل وقت واجعله نصب عينيك وعقب به المصنف ماقبله لان ذلك للحث على ترك الدنيا وهذا للحث على تقصير الامل وذاك متوقف على هذا لانه المصلح للعمل والمنجى من أوقات التراخى والكسل وقد قيل لبعضهم ماقدر أملك فى الدنيا فقال هل لمن نفسه فى يد غيره أمل وكان محمد بن واسع اذا أراد النوم قال لاهله استودعكم الله فلعلى لا اقوم من نومتى ولهذا جاء فى الحديث لا يبيت أحدكم الا ووصيته عند رأسه فلعل أن يبيت من أهل الدنيا ويصبح فى أهل الآخرة فكم من مستقبل يوما أو عملا لا يستكمله قال أبو نصر بن ودعان قصر الامل اصل كل خير كما ان تطويله أصل كل شر فان من لا يقدر فى نفسه انه لا يعيش غدا لا يسعى لكفاية غد ولا يهتم لها فيصير حرا من رق الحرص والطمع والذل وخدمة ابناء الدنيا ويكفيه كل شئ ومن قدر انه يعيش عشر سنين مثلا فانه يصير عبدا لهذه الاوصاف الذميمة ولا يكفيه شئ من الدنيا ولا يملأ بطنه وعينه الا التراب ولبعضهم

تبغى من الدنيا الكثير وانما * يكفيك منها مثل زاد الراكب
لا تعجبن بما ترى فكأنه * قد زال عنك زوال أمس الذاهب

ولبعضهم

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضا * فانك لا تدرى أتصبح أم تمسى
فليس الغنى عن كثرة المال انما * يكون الغنى والفقر من قبل النفس

والحق أنه سبب للزهد فى الدنيا وقول بعض الشراح انه نفس الزهد فيها أراد به أن بينهما تلازما صيرهما كالشئ الواحد فمن قصر أمله زهد ومن طال أمله طمع ورغب فى الدنيا وترك الطاعة وسوف بالتوبة ونسى الآخرة ومقدماتها من الموت وما بعده من الاهوال فيقسو قلبه ضرورة لان رقة القلب وصفاءه انما يكون بذكر ذلك قال تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال ابن الجوزى اذا رأيت قبرا فتوهمه قبرك وعد باقى الحياة رغبا وعن أبى زكريا التميمى قال بينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد الحرام اذ أتى بحجر منقور فطلب من يقرأه فأتى بوهب بن منبه فقرأه فاذا فيه ابن آدم انك لو رأيت ما بقى من أجلك لزهدت فى طويل أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك فانما يلقاك ندمك اذا زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك فبان منك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب فلا أنت الى

من النار أخبار كثيرة تقتصر منها على رواية ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال آخر من يخرج من النار من هذه الامة من يبقى سبعة آلاف سنة فى النار فيصيح أربعة آلاف سنة يا الله يا الله ثم يصيح ألف سنة ياحنان يامنان ثم يصيح ألف سنة ياحى ياقيوم فيقول الله تعالى يامالك ان عبدا من عبادى يدعونى فى قعر جهنم فهل تعرف مكانه فيقول يارب أنت أعرف بمكانه منى فيقول الله تعالى انه فى واد فى جهنم فى قعر بئر وفى البئر صندوق وهو فيه فيصيح مالك على النار فيموج بعضها فى بعض من هيبة مالك فيخرجه من النار فيقول ياشقى ان الله يدعوك فيقول لمالك أى العذاب أشد فى جهنم فيقول له السعير وسقر فيقول يامالك اجعلنى نصفين فالق نصفى فى السعير ونصفى فى سقر ولا تقدمنى بين يدى الله تعالى فيقول لا بد من ذلك وهو بين يديه كالسمكة فى الشبكة فيقف بين

دنياك عائد ولا فى حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة ولبعضهم

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فان لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها * فما تدرى السكون متى يكون
اذا ظفرت يداك فلا تقصر * فان الدهر عادته يخون

(وخذ من) العمل من (صحتك) قبل أن يحال بينك وبينها (لمرضك) أى اغتنم العمل حال الصحة فانه ربما عرض لك مرض وسقم مانع منه فاذا كنت تعمل فى حال الصحة جرى لك ثوابه فى حال المرض لخبر ابن عساكر عن مكحول اذا مرض العبد أى الانسان المسلم يقال لصاحب الشمال ارفع عنه القلم أى عن الضعيف ويقال لصاحب اليمين اكتب له احسن ما كان يعمل فانى اعلم به لانه لم يحصل منه تقصير (و) خذ (من) العمل زمن (حياتك لموتك) أى اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك مادمت حيا فان من مات انقطع عمله قال الله عزوجل فاستبقوا الخيرات وقال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين مستنزع مما ورد أنه عليه الصلاة والسلام قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك (رواه البخارى) وخرجه ابن ماجه ولم يذكر قول ابن عمر

(الحديث الحادى والاربعون)

(عن) أبى محمد و يقال أبو نصر و يقال أبو عبد الرحمن (عبد الله بن عمرو بن العاصى) باثبات الياء وأكثر المحدثين يحذفونها واقلهم يثبتها قال النووى والصواب جواز الوجهين قال بعضهم واثباتها يدل على أنه من العصيان و يدل له أن عمر بن الخطاب كان يناديه بقوله ياعاصى يا ابن العاصى وحذفها يدل على أنه من العوص وهو تحريك الشئ ابن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهل بن عمرو بن هيص بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى السهمى واسم أمه ريطة بنت منبه بن الحجاج بن عامر بن سعد بن سهل ولم يسلم عمرو الا بعد الحديبية لانه جلس فى الحجر مع خالد بن الوليد وعثمان الحجبى وقالوا الا نرى أمر محمد الا فى ازدياد وأمر قريش فى انتقاص ثم اتفقوا على الاسلام وقيل انه أسلم على يد النجاشى ويلغز بها فيقال صحابى أسلم على يد تابعى ولما أن احتضر عمرو قال لولده عبد الله انى قبل الاسلام كنت لا ارفع طرفى للنبى صلى الله عليه وسلم كراهية ولو مت على ذلك لدخلت النار وبعد الاسلام كنت لا ارفع طرفى اليه حياء منه صلى الله عليه وسلم (رضى الله عنهما) أسلم قبل ابيه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يفضله على أبيه وكان أبوه اكبر منه باثنتى عشرة سنة وقيل باحدى عشرة سنة وقيل بثلاثة عشر سنة وهو من أجل العبادلة وكان غزير العلم مجتهدا فى العبادة وكان من زهاد الصحابة وكان يقول لأن تدمع عينى دمعة من خشية الله عزوجل أحب الى من أن أتصدق بالف دينار وكان يقول لو تعلمون حق العلم لسجدتم حتى تقصفت ظهوركم ولصرختم حتى تنقطع اصواتكم فابكوا فان لم تجدوا البكاء فتباكوا وكان واسع الرواية قال أبو هريرة رضى الله عنه ما أحد أكثر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منى الا عبد الله بن عمرو بن العاصى فانه كان يكتب ولا اكتب روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة حديث اتفقا على سبعة عشر حديثا وانفرد البخارى بثمانية ومسلم بعشرين حديثا وروايته أكثر من ذلك وانما توعرت الطرق فى الرواية عنه فكان ذلك سببا فى قلة ما نقل وصح عنه وكان عبد الله بن عمرو هذا قد استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الكتابة عنه فى حالة الرضى والغضب فأذن له حتى كان يسمى صحيفته الصادقة ويقال انه

يدى الله تعالى فيقول الله تعالى ياعبدى ألم أخلق لك سمعا وبصرا ألم أفعل بك كذا وكذا ألم ألم مثل هذا وأشباهه فيعرق حياء من الله تعالى ويقول يارب النار أحب الى من هذا فيقول الله تعالى اذهبوا به الى النار فيلتفت ويقول يارب ما كان ظنى فيك هكذا فيقول الله عز وجل ما كان ظنك بى فيقول ظنى بك اذا أخرجتنى من النار لا تعيدنى

حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم ألف مثل وكان قد قرأ الكتب وكان يصوم النهار ويقوم الليل ورغب عن غشيان النساء زوجه أبوه من قريش ثم دخل عليها أبوه فقال لها كيف وجدت بعلك فقالت خير الرجال أو خير البعولة من رجل لم يفتش لنا كنفا ولم يعرف لنا فراشا فأقبل عليه والده يعظه وقال له زوجتك امرأة من قريش فعضلتها ثم انطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكاه له فارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه فقال له أتصوم النهار قال نعم قال وتقوم الليل قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأمس النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وكان مع أبيه الى أن توفي أبوه بمصر ثم انتقل الى الشام الى أن توفي يزيد ثم انتقل الى مكة ومات بها وقيل مات بالشام وقيل مات بالطائف وقيل مات بمصر سنة خمس أو سبع أو تسع وستين عن اثنين وسبعين أو اثنين وتسعين سنة وكان قد عمي في آخر عمره ولما حضرته الوفاة قال انه كان خطب مني ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبيه بالوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق اشهدوا اني قد زوجتها له (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم) أي ايمانا كاملا (حتى يكون هواه) بالقصر وهو مصدر هواه أي أحبه وشرعا ميل النفس الى خلاف ما يقتضيه الشرع الى ما تحبه نفسه وتميل اليه وتدعو اليه شهوتها ويجمع على أهواء وأما الممدود وهو ما بين السماء والارض فجمعه أهوية وجمعهما قول بعضهم

سكن الهواء مع الهوى في أضلعي * فاستجمعت وسط الحشا ناران

فقصرت بالممدود عن وصل الظبا * ودرجت بالمقصور في أكفاني

(تبعا لما) أي لجميع ما (جئت به) من الاوامر والنواهي والغالب أن الهوى لا يطلق الا على الميل الى خلاف الحق كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى وقد يطلق على مطلق الميل فيدخل فيه الميل الى الحق وغيره ولا يحصل الرجوع عن هوى النفس ومحبوباتها الشهوانية المطبوعة عليها الا بمجاهدة وتصبر واحتمال مشقة حتى تطمئن النفس فاذا اطمأنت احبت ما يحبه الله وحينئذ فقوله حتى يكون هواه تبعا لما جئت به أي بأن يميل قلبه وطبعه اليه كميله لمحبوباته الدنيوية التي جبلت النفس على الميل اليها من غير مجاهدة وتصبر واحتمال مشقة أو بعض كراهة بل تهواها كما تهوى المحبوبات والمشتهيات فان من أحب شيأ أتبعه هواه ومال عن غيره اليه وولاه ولذلك لم يقل صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يأتمر بما أمرته أو حتى يأتي بكل ما جئت به أو حتى يتبع ما جئت به ونحو ذلك لان المأمور بالشيء الملزوم به أو المتبع له قد يفعله اضطرارا واعلم ان الهوى يميل الانسان بطبعه الى مقتضاه ولا يقدر على جعله تابعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم الا كل ضامر مهزول اذ الهوى لغلبة الشهوة الطبيعية يملك الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم تعس عبد الخميصة وقد يتغالى الشخص في اتباعه حتى يجعله الهه قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه أي مهويه قال أبو الدرداء اذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله فان كان عمله تبعا لهواه فيومه يوم سوء وان كان هواه تبعا لعمله فيومه يوم صالح وفي الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وفي رواية الفاجر بدل العاجز وعن سليمان بن داود أن الغالب لهواه أشد من الذي يفتح المدينة وحده وعن حذيفة بن قتادة قال كنت في مركب فكسرت بنا فوقعت أنا وامرأة على لوح فمكثنا سبعة أيام فقالت المرأة انا عطشانة فسألت الله تعالى أن يسقيها فنزلت عليها من السماء سلسلة فيها كوز معلق فيه ماء فشربت فرفعت رأسي

اليها ثانيا فيقول الله تعالى صدق عبدي هل تدري لم أخرجتك من النار فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى انك قلت في يوم كذا في ليلة كذا مرة واحدة لا اله الا الله محمد رسول الله فاليوم أخرجتك من النار لاجل ذلك ثم يقول الله تعالى أدخلوه الجنة فيقول يا رب ان الجنة قسمتها لانبيائك ولاوليائك ولا أجد لي فيها مكانا فيقول الله تعالى ان لك في الجنة مثل ما طلعت

انظر الى السلسلة فرأيت رجلا جالسا في الهواء متربعا فقلت ممن أنت قال من الانس قلت فما الذي بلغك هذه المنزلة قال آثرت مراد الله على هواي فاجلسني كما تراني وعن وهب بن منبه قال كان في بني اسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما الى أن مشيا على الماء فبينما هما يمشيان على البحر اذا هما برجل يمشي في الهواء فقالا يا عبد الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة قال بيسير من الدنيا فطمت نفسي عن الشهوات وكففت لساني عما لا يعنيني ورغبت فيما دعاني اليه ولزمت الصمت فان أقسمت على الله برقسمي وان سألته اعطاني وعن عبد الواحد بن محمد الفارسي قال سمعت بعض أصحابنا يقول رأيت غرفة في الهواء وفيها رجل فسألته عن حالته التي بلغته الى تلك المنزلة فقال تركت الهوى فأدخلت في الهواء وقال رجل للحسن يا أبا سعيد أي الجهاد أفضل قال جهاد هواك وقال الاصمعي مررت باعرابي به رمد شديد ودموعه تسيل فقلت ألا تمسح عينيك فقال زجرني الطبيب ولا خير فيمن اذا زجر لا ينزجر واذا أمر لا يأتمر فقلت أما تشتهي شيأ فقال أشتهي ولكن أحتمي لان أهل النار غلبت شهواتهم فلم يحتموا فهلكوا وقيل ليحيى بن معاذ من أصح الناس عزما فقال الغالب لهواه ودخل خلف بن خليفة على سليمان بن حبيب وعنده جارية يقال لها البدر من أحسن الجواري وجها وأكمله فقال سليمان لخلف كيف ترى هذه الجارية فقال أصلح الله الامير ما رأت عيناي قط أحسن منها فقال خذ بيدها فقال خلف ما كنت لافعل ولا أسلبها الامير وقد عرفت عجبه بها فقال خذها على عجبي بها ليعلم هواي أني غالب له فأخذ بيدها وخرج وهو يقول

لقد حباني وأعطاني وفضلني * من غير مسئلة مني سليمان

أعطاني البدر جودا في محاسنها * والبدر لم يعطه انس ولا جان

ولست حقا بناسي عرفه ابدا * حتى يغيبني لحد واكفان

ودخل الوليد بن يزيد بعض كنايس الشام فكتب في حيطانها ما أرى العيش غير أن تتبع النفس هواها مخطئا أو مصيبا فرأى ذلك عبد الله بن علي فكتب تحته

ان كنت تعلم حين تصبح آمنا * ان المنايا ان أتت تقيم

فالزم هواك لما رضيت فانه * لا مثل ذلك في النعيم نعيم

ولبعضهم رب مستور سبته صورة * فتعرى ستره فانهتكا

صاحب الشهوة عبد فاذا * غلب الشهوة صار ملكا

وكان عبد الله بن حسن يطوف بالبيت فنظر الى امرأة جميلة فمشى الى جانبها ثم قال

أهوى هوى الدين واللذات تعجبني * فكيف لي بهوى اللذات والدين

فقالت له دع أحدهما تنل الآخر وقيل ان سبب ذلك ان عبد الله بن حسن لقي امرأة جميلة في الطواف فلما نظرت اليه والى جماله مالت نحوه وطمعت فيه فأقبل عليها وأنشد البيت المذكور فتركته وانصرفت وقال الجنيد اذا خالفت النفس هواها * صار داؤها دواها وقال بعض الحكماء يا بني اعص هواك والنساء وأطع من شئت ويروى واصنع ما شئت وقال ابن دريد وآفة العقل الهوى فمن علا * على هواه عقله فقد نجا

ويقال ان هشام بن عبد الملك لم يقل في عمره الا بيتا واحد

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى بعض ما فيه عليك مقال

وقال غيره ان الهوان هو الهوى قصر اسمه * فاذا هويت فقد لقيت هوانا

قال آخر نون الهوان من الهوى مسروقة * وصريع كل هوى صريع هوان

عليه الشمس وغربت سبع مرات قال فيغتسل في نهر يقال له الحيوان فيخرج منه ووجهه كالقمر ليلة البدر فيتمنى أهل النار أن يكونوا قائلين مرة واحدة لا اله الا الله محمد رسول الله حتى ينجوا من العذاب كما قال الله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (خاتمة الختم) قال عطاء ابن واسع قسا قلبي على مرة فأردت تهذيبه فتفكرت في

ثم اعلم ان من كان هواه تابعا لما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم كان مؤمنا كاملا وضده
الكافر وهو من أعرض عن جميع ماجاء به ومنه الايمان واما من تبع البعض فان كان
ما تبعه أصل الدين وهو الايمان دون ما سواه فهو الفاسق وعكسه المنافق (حديث صحيح
رويناه) حالة كونه (فى كتاب الحجة) فى اتباع المحجة تأليف الفقيه الزاهد أبى القاسم
اسمعيل بن محمد بن الفضل الاصفهانى نزل دمشق وصنف هذا الكتاب فى عقيدة أهل السنة
(باسناد صحيح) وخرجه الطبرانى عن عقبة بن أوس عن عبد الله عمرو لكن زاد بعد ماجئت
به لا يزيغ عنه قال ابن عبد البر وعقبة بن أوس مجهول

(الحديث الثانى والاربعون)

(عن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن
آدم) أصله أأدم بهمزتين على وزن أفعل لكنهم سهلوا الثانية بقلبها ألفا تخفيفا لاستثقال
اجتماع الهمزتين وهو غير منصرف للعلمية ووزن الفعل مشتق من الادمة بالسكون أو الفتح
وهو حمرة تميل الى سواد أو من أديم الارض وهو ظاهر وجهها كما صح عن ابن عباس رضى الله
عنهما وورد عن على وابن مسعود رضى الله تعالى عنهما ولا ينافى هذا ماورد من براعة جماله
وان يوسف عليه الصلاة والسلام كان على الثلث من جماله لان الجمال لا ينافى السمرة اذ
سمرته بين البياض والحمرة واختلف فى لفظه هل هو أعجمى أولا فذهب أبو البقاء وغيره الى
أنه ليس بأعجمى وان منع صرفه للعلمية ووزن الفعل واشتقاقه مما ذكر يرد القول بأنه عربى
وبه صرح الجواليقى وغيره وذهب الثعالبى الى أنه أعجمى وان منع صرفه للعلمية والعجمة وصح
انه كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب انه كان يتكلم بالسريانى وفى الحديث خلق الله آدم
من أديم الارض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الابيض والاسود والاحمر والسهل
والحزن والطيب والخبيث وقال وهب خلق الله رأس آدم من الارض الاولى وعنقه من
الثانية وصدره من الثالثة ويديه من الرابعة وبطنه من الخامسة وعجزه ومذاكيره
وفخذيه من الارض السادسة وساقه وقدميه من السابعة ونقل أبو الحسن فى شرحه
لعقيدة الرسالة القيروانية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال رفعت تربة آدم من
ستة أرضين وأكثرها من السادسة ولم يكن فيها من الارض السابعة شئ لان فيها نار جهنم
اه وروى عنه أيضا انه قال خلقه الله تعالى من أقاليم الدنيا فرأسه من تربة الكعبة وصدره
من تربة الدهنا وظهره وبطنه من تربة الهند ويداه من تربة المشرق ورجلاه من تربة المغرب
وقال غيره خلق الله آدم من ستين نوعا من أنواع الارض وطبائعها فجاءت أولاده مختلفى
الالوان والطبائع قيل ولهذا المعنى أوجب الله فى الكفارة اطعام ستين مسكينا بعدد أنواع
بنى آدم ليعم الجميع بالصدقة وكان طوله ستين ذراعا والذراع ثمانية أشبار بهذا الشبر هكذا
ذكروا والجملة الاشبار أربعمائة وثمانون شبرا وعاش آدم ألف سنة (انك مادعوتنى) ليلا أو
نهارا سرا أو علانية وما مصدرية ظرفية أى مدة دوام دعائك اياى كما تقول لا احسن اليك
ماخدمتنى أى مدة دوام خدمتك اياى وغلط من جعلها شرطية والدعاء رفع الحاجات الى رفيع
الدرجات ويقال هو اظهار العجز والمسكنة بلسان التضرع وهو بلا واسطة من خصوصيات
هذه الامة وأما الامم الماضية فكانت تفرفع حوائجهم الى الانبياء تسأل لهم الله تعالى
وقد روى معمر عن قتادة انه قال أعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطها الا نبى كان يقال للنبى
اذهب فليس عليك حرج وقال لهذه الامة ماجعل عليكم فى الدين من حرج وكان يقال للنبى
أنت شهيد على قومك وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبى سل تعط

ملكوت السموات والارض
وفى الموت وما فيه وما بعده
من اهوال وبعث ونشور
وصراط وميزان وحساب
وأهوال يوم القيامة فكبر على
الامر وعظم واشتد جزعى وخوفى
وبكائى ونحيبى فعرضت عملى على
نفسى فلم أجد لى عملا يصلح
للخلاص من شئ من ذلك فبكيت
وازددت خوفا ونحيبا وجزعا قال
فاصطنع له قبرا فى بيته وحفره

وقال لهذه الامة ادعونى أستجب لكم واعلم ان المذهب المختار الذى عليه الفقهاء والمحدثون
وجماهير العلماء من الطوايف كلها من السلف والخلف ان الدعاء مستحب قال الله تعالى
ادعونى أستجب لكم وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية والآيات فى هذا كثيرة واما
الاحاديث الصحيحة فهى أشهر من أن تذكر وقد سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى
الفتاوى الموصلية هل يعصى من يقول لا حاجة بنا الى الدعاء لانه لا يرد ماقدر وقضى فأجاب
من زعم انه لا يحتاج الى الدعاء فقد كذب وعصى ويلزمه أن يقول لا حاجة بنا الى الطاعة
والايمان لان ماقضاه الله من الثواب والعقاب لا بد منه ومايدرى هذا الاخرق الاحمق ان
الله تعالى قد رتب مصالح الدنيا على الاسباب ومن ترك الاسباب وبنى على ان ماسبق به
القضاء لا يتغير لزمه ان لا يأكل اذا جاع ولا يشرب اذا عطش ولا يلبس اذا برد ولا يتداوى
اذا مرض وان يلقى الكفار بلا سلاح ويقول فى ذلك كله ماقضاه الله لا يرد وهذا لا يقوله
مسلم ولا عاقل وقوله مادعوتنى أى مادمت تعبدنى أو تسألنى لان الدعاء قد فسر فى القرآن
بالعبادة والسؤال وقيل مادعوتنى (ورجوتنى) لاجابة دعائك لانه تعالى يقول أنا عند ظن
عبدى بى وعند ذلك تتوجه رحمة الله الى العبد واذا توجهت لا يتعاظمها شئ لانها وسعت كل
شئ والرجاء بالمد لغة الامل واصطلاحا تعلق القلب بمرغوب فى حصوله فى المستقبل مع الاخذ
فى أسباب الحصول فان لم يأخذ فى الاسباب فهو طمع ولذا قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى ان
مثل الراجى مع الاصرار على المعصية كمثل من رجا حصادا أو ولدا وما زرع وما نكح
قال عبد الله بن المبارك

مابال دينك ترضى ان تدنسه * وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجوا النجاة ولم تسلك طريقتها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

ويطلق الرجاء على الخوف ومنه قوله تعالى وارجوا اليوم الآخر ما لكم لا ترجون لله وقارا
أى لا تخافون عظمة الله وقال فى عم يتساءلون انهم كانوا لا يرجون حسابا أى لا يخافونه
ويصح ارادته أيضا وقد يستعمل الطمع بمعنى الرجاء كما فى قوله تعالى والذى أطمع أن يغفر لى
واما الرجا بالقصر فهو الناحية ومنه رجا البئر أى ناحيته وهل الافضل للشخص تغليب
الرجاء لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله عز وجل أو الخوف لئلا يغلب عليه داء الامن
من مكر الله تعالى أو ان كان عاصيا فالخوف أفضل وان كان مطيعا فالرجاء أفضل أو ان كان
قبل الذنب فالخوف أفضل وان كان بعده فالرجاء أفضل أو ان كان صحيحا فالخوف أفضل
وهو المختار عندنا ولكن الراجح عند الشافعية انه يكون رجاؤه وخوفه مستويين وان كان
مريضا فالرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله ومن
مقطعات شعر عبد القاهر بن طاهر

يا فاتحا لى كل باب مرتجى * انى لعفو منك عنى مرتجى
فامنن على بما ينيل سعادتى * فسعادتى طوع امتثال أمر نجى

قال الدميرى وفى مروج الذهب عن فقير بن مسكين قال دخلت على الشافعى أعوده فى
مرض موته فقلت له كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال أصبحت من الدنيا راحلا ولاخوانى
مفارقا ولكأس المنية شاربا ولا أدرى الى الجنة تصير روحى فأهنيها أم الى النار فأعزيها
ثم قال

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى * جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوك ربى كان عفوك أعظما

(غفرت لك) ذنوبك أى سترتها عليك بعدم العقاب عليها فى الآخرة ويرادفه العفو ومقتضى

وصار كلما غفل عن العبادة
ومجاهدة نفسه لحظة نزل فى القبر
وعفر وجهه فى التراب واضطجع
وجعل يبكى على نفسه ويذكر
وحدة القبر وغربته وضيقه
ويذكر مع ذلك قلة عمله وعجزه
وتقصيره ويذكر مع ذلك أنه
سيعرض ويحاسب وتوزن أعماله
فيتلو ونضع الموازين القسط ليوم
القيامة الآية ثم يقول رب
ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما
تركت يرددها على نفسه مرات
ثم يبكى ثم يرددها على نفسه

كلام ابن عطية ان بينهما فرقا وهو أن الغفران لما لم يطلع عليه أحد والعفو لما اطلع عليه
فانه قال فى تفسير قوله تعالى واعف عنا أى فيما واقعناه واغفر لنا استر علينا
ما علمت منا قال بعضهم وهو بالحكم أشبه اه وقال بعضهم ان بين مفهوميهما بحسب
الوضع عموما وخصوصا من وجه فان المغفرة من الغفر وهو الستر والعفو بمعنى المحو ولا يلزم
من الستر المحو ولا عكسه بأن يحاسبه بذنب على رؤس الاشهاد ثم يعفو عنه أو يستره
ويجازيه عليه أما بالنظر لكرم الله تعالى فهو اذا ستر عفا فبينهما عموم وخصوص مطلق
وكذا يقال فى مقام الملاطفة الا كثر عفا الله عنه (ما كان منك) من المعاصى وان تكررت
(ولا ابالى) أى لا أكترث بذنوبك ولو كثرت لانه تعالى لا حجر عليه فيما يفعل ولا معقب
لحكمه ولا مانع لعطائه ومعنى لا أبالى لا يشتغل بالى به فان أجرام العباد فى جنب رحمته كذرة
حقيرة بل أقل منها فان قلت ثبت انه جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد ولا ينقص شيأ
وأيضا المطلوب ان كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن منها لم يجز
طلبه والا فالرضا بالقضاء باب الله الاعظم والاشتغال بالدعاء ينافيه فالجواب الدعاء من شعار
المرسلين ودثار الصالحين ودأب الصديقين (يا ابن آدم) انك (لو بلغت) أى وصلت
(ذنوبك) أن فرضتها اجراما (عنان السماء) بأن ملأت ما بينها وبين الارض والعنان بفتح
العين المهملة وتخفيف النون السحاب الواحدة عنانة وهل هو اسم للسحاب مطلقا أو بقيد
كونه ممتلئا بالماء قولان وقيل العنان اسم لما عن لك من السماء أى ظهر لك اذا رفعت رأسك
اليها ويروى اعنان السماء أى نواحيها وما اعترض من أقطارها كأنه جمع عنن وأما
العنان بكسر العين فهو اسم لما تقاد به الدابة الاسفل للاسفل والاعلى للاعلى كالملك بكسر
اللام وبفتحها والجنازة بكسر الجيم اسم للسرير الذى يحمل عليه الميت وبفتحها اسم للميت
المحمول • (تنبيه) • نقل عن بعضهم ان سماء الدنيا أفضل مما سواها لقوله تعالى ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح قال الجلال السيوطى قلت قد ورد الاثر بخلافه أخرج عثمان بن سعد
الدرامى فى كتاب الرد على الجهمية عن ابن عباس قال سيد السموات السماء التى فيها العرش
وسيد الارضين التى نحن عليها اه وههنا فوائد • الاولى مذهب أهل السنة والاشاعرة
كما دلت عليه الاحاديث ان السحاب من شجرة مثمرة فى الجنة والمطر بحر تحت العرش خلافا
للحكماء والمعتزلة فى ان منشأ المطر البحر وان السحاب اجسام ذوات خراطيم تأخذ الماء من
البحر الملح ويقصره الريح فيعذب • الثانية • قال الحكماء الارض طبق واحد ومذهب
الاشاعرة ان الارض طبقات متفاصلة بالذات بين كل أرض مسيرة خمسمائة عام كما وردت به
الاخبار وعليه انما جمعت السماء وأفردت الارض فى بعض الآيات لان السموات مختلفة
الاجناس بخلاف الارضين لاتحاد جنسها وهو التراب وذكر بعضهم ان الحكمة فى افراد
الارض ثقل جمعها لفظا وهو ارضون • الثالثة الارض العليا أفضل مما تحتها لاستقرار
ذرية آدم فيها ولانتفاعنا بها وهى مهبط الوحى وغيره من الملائكة قاله فى كشف الاسرار
(ثم استغفرتنى) من هذه الذنوب الكثيرة استغفارا يثبت معناه فى القلب ويحصل معه
الندم ليحل به عقد الاصرار وحينئذ فالمراد به التوبة وهى لغة الرجوع عن الشئ يقال تاب
وثاب بالمثلثة بمعنى رجع وشرعا الرجوع عما لا يرضى الله تعالى الى ما يرضيه مما هو محمود
شرعا ولها أركان ثلاثة اثنان عامان الاول الندم على الذنب من حيث هو ذنب وخوف
عقاب بخلاف الندم عليه لنحو هتك أو صرف مال أو تعب بدن أو لكون مقتوله ولده أو ندم
على شرب الخمر لما فيه من الصداع والاخلال بالمال أو العرض فان ذلك لا يعتد به ومعنى

فيقول قد رجعتك فاعمل فاشتد به
الجزع هذا الامر دأبه دائما ثم
خرج يوما الى المقابر فرأى مكتوبا
على قبر هذه الابيات
يا أيها الناس كان لى أمل
قصر بى عن بلوغه الاجل
فليتق الله ربه رجل
وأمكنه فى حياته العمل
ها أنا وحدى نقلت حيث ترى
كل الى مثله سينتقل
فبكى وتواجد وعاهد الله أن
لا يعود الى بيته وخرج هائما حتى

الندم تحزن وتوجع على أن تفعل وتمنى كونه لم يفعل الثانى العزم على أن لا يعود اليه
ما عاش كما لا يعود اللبن الى الضرع لا لنحو عدم انتشار ذكره بعد الزنا الثالث وهو خاص
الاقلاع عن الذنب فى الحال بأن يتركه ان كان متلبسا به أو مصرا على المعاودة اليه فان
كانت المعصية تتعلق بآدمى فلها شرط رابع وهو رد الظلامة الى صاحبها أو تحصيل البراءة
منه ان قدر فيرد المظالم ويتحلل فى الاعراض ويسلم نفسه للقصاص ان أمكن وفى الحديث
المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه وقوله فى الحديث الندم توبة أى معظم
شروطها الندم كما فى الحديث الآخر الحج عرفة ولان الندم يستلزم الشرطين الآخرين
عادة قال الحطاب فى حاشيته على الرسالة القيروانية واذا لم يرد المظالم الى أهلها مع الامكان
فصحح الامام توبته مع الجمهور وقيل انها لا تصح انتهى وفى شرح العقيدة للسنوسى التوبة
من الغصب والسرقة والحرام ونحو ذلك يشترط فى صحتها رد المغصوب الموجود الذى لم يتعلق
بالذمة وأما ما تعلق بالذمة لاستهلاكه ونحوه فرد عوضه ليس بشرط فى صحة التوبة عند
الجمهور وانما هو واجب آخر مستقل بنفسه يحتاج الى توبة ومعنى الندم تحزن وتوجع على
ما فعل وتمنى كونه لم يفعل لا مجرد قوله ندمت ويطلق الاستغفار على الصلاة كقوله تعالى
فى آل عمران والمستغفرين بالاسحار يعنى المصلين فى الاسحار وقوله فى سورة والذاريات
وبالاسحار هم يستغفرون يعنى يصلون وكقوله فى الانفال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعنى يصلون قال العلامة ابن العماد وشروطها المذكورة
مأخوذة من القرآن أما الندم فمأخوذ من قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم
ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وذلك لان العبد اذا أذنب ذنبا وذكر الله ندم على فعل
ما يستوجب العقوبة وأما الاقلاع وترك العود ورد المظلمة فمستفاد من قوله ولم يصروا على
ما فعلوا لان من لم يقلع عن الذنب مصر عليه ومن أقلع وعزم على العود بعد مدة فهو مصر
أيضا وكذا من عزم على ترك العود مطلقا لكن أمسك ما غصبه مثلا ولم يرده فهو قد أصر على
ما فعل وزاد بعضهم فى الشروط وقوع التوبة فى وقتها وهو ما قبل الغرغرة لما رواه الترمذى
وحسنه عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أى تبلغ روحه حلقومه
وهى حالة النزع لان الغرغرة أن يجعل المشروب فى فم المريض فيردده فى الحلق ولا يصل
اليه ولا يقدر على بلعه هذا عند الاشاعرة وأما عند الماتريدية فانما يشترط عدم الغرغرة
فى الكافر دون المؤمن العاصى عملا بالاستصحاب فى الموضعين وقبل طلوع الآيات كطلوع
الشمس من مغربها ولا يشترط التلفظ بالاستغفار لما رواه الحاكم وصححه لكن فيه ساقط
ما علم الله تعالى من عبد ندامة على ذنب الا غفر له قبل أن يستغفر منه خلافا للبلقينى القائل
بانه لا بد أن يقول أستغفر الله من ذنبى ونحو ذلك وكذا لا يشترط مفارقة مكان المعصية خلافا
للزمخشرى ولا تجديد التوبة كلما ذكر المعصية خلافا للقاضى أبى بكر الباقلانى وأما التوبة
النصوح فانها أخص من ذلك لانها تكفر السيئات وتبدلها بحسنات وقد اختلف فيها فقال
بعضهم التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان
واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الخلان وهو قريب من قول بعضهم هى تقدم
أربعة أشياء الندم بالقلب والاستغفار باللسان واضمار أن لا يعود ومجانبة خلطاء السوء
وقال أبو بكر الوراق هو أن تضيق عليك الارض بما رحبت وتضيق عليك نفسك كالثلاثة
الذين خلفوا وقال بعضهم أن يكون لصاحبها دمع مسفوح وقلب عن المعاصى جموح وقال
ذو النون علامتها ثلاثة قلة الطعام وقلة الكلام وقلة المنام وقال فتح الموصلى علامتها ثلاثة

مات رحمه الله تعالى • وقال بعضهم
بينما أنا مار فى سياحتى واذا أنا
بصوت أسمعه وما أرى شخصه
يقول يا عباد الله ان الجنة رخيصة
فاشتروا وان الرب كريم فأقبلوا
عليه فالتفت يمينا وشمالا فلم أر
أحدا واذا به يقول
عجبت من عاقل لبيب
يذهب بالفانيات عمره

مخالفة الهوى وكثرة البكاء ومكابدة الجوع والظمأ وقال عمرو أبى ومعاذ التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الكلبى أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن (غفرت لك) وان تكرر الذنب والتوبة منك مرارا فى اليوم الواحد لان معاودة الذنب لا تبطل التوبة ومن ثم قال عليه أفضل الصلاة والسلام ما أصر من استغفر أى تاب ولو عاد فى اليوم سبعين مرة واخرج الاصبهانى أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب وتصح التوبة من الذنب ولو كان مصرا على الآخر وخالفت المعتزلة فيهما ثم ان توبة الكافر من كفره مقطوع بقبولها وما سواها من أنواع التوبة هل قبوله قطعى أو ظنى خلاف بين أهل السنة والاصح كما اختاره امام الحرمين انه ظنى وكان سبب توبة الفضيل بن عياض أنه عشق جارية فواعدته ليلة فبينما هو يترقى الجدران اليها اذ سمع قارئا يقرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فرجع القهقرى وهو يقول بلى والله قد آن فآواه الليل الى خربة وفيها جماعة من السائلة وبعضهم يقول لبعض ان فلانا يقطع الطريق فقال الفضيل أرانى بالليل أسعى فى معصية الله وقوم من المسلمين يخافوننى اللهم انى قد تبت اليك وجعلت توبتى اليك جوار بيتك الحرام وانما حملنا الاستغفار على التوبة لان الاستغفار المطلوب هو الذى يحل عقد الاصرار ويثبت معناه فى الجنان لا مجرد التلفظ باللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة ولذا روى عن الحسن البصرى انه قال استغفارنا يحتاج لاستغفار لكن قال الغزالى لا تظن انه يذم حركة اللسان من حيث انها ذكر بل يذم غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه وفى الحديث من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وفيه أيضا من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وروى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قال أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم غفر له وان كان قد فر من الزحف (يا ابن آدم انك لو أتيتنى بقراب الارض) بضم القاف وكسرها والضم أشهر أى بقرب ملئها أو ملئها وهذا أبلغ مما قبله (خطايا ثم لقيتنى) أى حال كونك (لا تشرك بى شيأ) أى بذاتى وصفاتى وأفعالى أى مستمرا على الايمان لاعتقادك توحيدى والتصديق برسلى وبما جاؤا به (لأتيتك بقرابها) عبر به للمشاكلة والا فمغفرة الله أعظم وأوسع من ذلك (مغفرة) وفى خبر مسند أن رجلا يؤمر به الى النار فاذا بلغ ثلث الطريق التفت فاذا بلغ نصف الطريق التفت فاذا بلغ ثلثى الطريق التفت فيقول الله تعالى ردوه ثم يسأله فيقول لم التفت فيقول لما بلغت ثلث الطريق تذكرت قولك وربك الغفور ذو الرحمة فقلت لعلك تغفر لى فلما بلغت نصف الطريق تذكرت قولك ومن يغفر الذنوب الا الله فقلت لعلك تغفر لى فلما بلغت ثلثى الطريق تذكرت قولك قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فازددت طمعا فيقول الله عز وجل اذهب فقد غفرت لك (رواه الترمذى) فى الدعوات وخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس والترمذى بتثليث الفوقية وكسر الميم أو ضمها واعجام الذال (وقال حديث حسن صحيح) وأخرجه أبو عوانة فى مسنده أيضا من حديث أبى ذر قال بعض الشراح ويظهر أن معانى هذه الاحاديث كلها وان كثر تعدادها وجل مقدارها وعظم محلها واشتمل على كل الشريعة المحمدية شملها ترجع الى تقوى الله تعالى فى السر والعلانية مع قصر الامل والزهد

وبذل المال فى متاع
يفنى ويبقى عليه حسرة
بين يديه الغداة نار
ما يتقيها بشق تمره
فيا اخوانى اقبلوا بالقلوب اليه
وقفوا بالخضوع والخشوع لديه
فانه كريم ومدوا أنامل الرجاء
الى بابه فانه رحيم وقولوا سبحان
الله العظيم وبحمده سبحان الله
العظيم

فى

فى الدنيا وترك ما لا يعنى من فضول اللهو والشغل بذكر الله تعالى وحسن الخلق مع الخلق بما يقتضيه الشرع الشريف والانقباض عنهم فيما لا يعنى وارادة الخير لهم بالباطن ومساعدتهم بالظاهر فيما أمكن من ذلك وهذا آخر ما سهل الله تحصيله على حسب الامكان والحمد لله الكريم المنان الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على النبى محمد وآله وصحبه ومن والاه وانى أستغفر الله مما يعلمه منى من الجراءة على شرح قول من لا ينطق عن الهوى مع قصورى فى هذه المادة وقلة سلوكى فى هذه الجادة ونسأل الله تعالى أن يمن علينا بتوبة تمحو عنا كل جريمة وأن يختم لنا بالحسنى ويمن علينا بالمطلوب الاسنى وأن يشمل فى ذلك جميع أهلنا ومشايخنا وأحبابنا ومن أمن على هذا الدعاء ممن سمعه ومن دعا لنا بمثله وكل المسلمين وقد قيل

يا من غدا ناظرا فيما جمعت وقد ❊ أضحى يردد فى أفنانه النظرا
سألتك الله ان عاينت من خطأ ❊ فاستر على تخير الناس من سترا

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(تم كتاب المجالس السنية فى الاربعين النووية) بحمد الله تعالى وعونه فى سادس عشر شهر الله المحرم الحرام افتتاح سنة ثمانية وسبعين وتسعمائة على يد مؤلفه الفقير أحمد الفشنى الشافعى رحمه الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

نحمد من أفاض علينا من أسرار السنة غيثا هاميا ❊ وأسدى الينا من مواهب فيضه ومواكب فضله كرما متواليا ❊ ونصلى ونسلم على أكمل المخلوقات وأشرف البرايا وأفصح الموجودات وعلى آله نجوم الهدى وأئمة الاقتدا وأصحابه البدور الطوالع وأحزابه شموس المطالع وبعد فقد تم بعون رب البرية طبع شرح العلامة الشبرخيتى على متن الاربعين النووية الذى سارت الركبان بصيته فى سائر البلاد وعم نفعه جميع العباد من حاضر وباد محلى الحواشى والطرر ومزين الهوامش الغرر بشرح جليل للمتن المذكور المسمى بالمجالس السنية على الاربعين النووية للعلامة الشيخ أحمد بن حجازى الفشنى ولعمرى انهما الكتابان جليلان ومؤلفان جميلان اشتملا على درر الاحاديث الصحيحة الراجحة وتضمنا غرر النصائح المفيدة الناجحة وأودع فى كنوزهما من الحقائق النبوية والوصايا الدينية ما يميل اليه كل ذى قلب سليم وفطرة اسلامية وطبع قويم وذلك بالمطبعة الجليلة المسماة بالخيرية المنشأة بحوش عطى بجمالية مصر المحمية على ذمة صاحبى المطبعة المذكورة المتوكلين على رب الارباب الشيخ محمد عبد الواحد الطوبى والسيد عمر حسين الخشاب بتصحيح راجى ستر المساوى الفقير مصطفى عبد الله التفهناوى فى آخر شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٤ هجرية على صاحبها أفضل صلاة وأكمل تحية

(فهرست كتاب المجالس السنيه في الكلام على الاربعين النووية)

(تمت)